باهلة

القبيلة المفترى عليها

تأليف

حمد الجاسر

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)

مباحـــث الكتـــاب

المقدمة (من ص ٩ إلى ص ٣٨)

ملامح عن مظاهر حياة باهلة قبل الإسلام

(من ص ٣٩ إلى ص ٤٤)

صراحة نسب (من ص ٤٥ إلى ص٨١)

فروع باهلة في الوقت الحاضر

(من ص ٨٢ إلى ص ١٠٣)

بلاد باهلة (من ص ١٠٤ إلى ص ١٨١)

ذو سقيف ـ سلع ـ السواد (سواد باهلة) ـ السود ـ سُوْقَة ـ الشبيكة ـ الشرف ـ الشريف ـ الشط ـ ابنا شمام ـ صاحة ـ طاحية ـ طحي ـ ذو طلوح ـ طويلة الخطام ـ عاقل ـ العبلاء ـ عرار ـ عران ـ العرض ـ عرض السود ـ عروان ـ عروا ـ العريض ـ عريقة ـ عسيان ـ عصنصر ـ عصير (عصيل) ـ العفافة ـ العقار ـ عكّاش ـ عماية ـ العوسجة ـ عويسجة ـ العويند ـ الفرع ـ الفرعة ـ القتادة ـ قسا ـ قساس ـ القعاقع ـ القويع ـ القهاد ـ مأسل ـ مُخَمَّر ـ الْـمَرُّوْت ـ مريفق ـ المصعد ـ المغيراء ـ الملاطيط ـ النبجاء ـ نضاد ـ النميرة ـ نواظر ـ واسط ـ الوتدة ـ هَبُّود ـ الهلباء ـ يذبل ـ الينكير ـ .

خصب بلاد باهلة

(من ص ١٨٢ إلى ص ١٨٧)

معادن بلاد باهلة

(من ص ١٨٨ إلى ص ١٩٩)

معدن ثنية ابن عصام ـ معدن الحفير ـ معدن الحفيرة ـ معدن السود ـ معدن الشبيكة ـ معدن شمام ـ معدن العوسجة ـ معدن قساس ـ معدن هبود ـ.

الصناعة (من ص ٢٠٠ إلى ص ٢٠٣)

خيل باهلة (من ص ٢٠٤ إلى ص ٢١٨)

الأشقر ـ أعوج ـ الجموح ـ الحرون ـ خصاف ـ الرقعاء ـ السرحان ـ الصبحاء ـ العناق ـ غطيف ـ غطيف أيضاً ـ الكميت ـ الـمُعَلَّ ـ مندوب ـ ميَّاس ـ الورد ـ الوزن ـ هداج ـ.

عراقة حسب (ص ٢١٩)

موقف الإسلام من أمور الجاهلية (من ص ٢٢٠ إلى ص ٢٢١)

باهلة في العهد الجاهلي (من ص ٢٢٢ إلى ص ٢٥٥)

حمية ونجدة ـ باهلة ومذحج ـ باهلة وطيء ـ مع قبائل ربيعة ـ باهلة وتغلب ـ باهلة وبكر بن وائل ـ مع بني تميم ـ بين باهلة وضبة ـ بين باهلة وبني أسد ـ بين باهلة وجعدة ـ من مأثور الجاهلية ومعارفها ـ.

اللغة والأدب والشعر (من ص ٢٥٦ إلى ص ٢٦٣)

باهلة في العهد الإسلامي (من ص ٢٦٤ إلى ص ٢٦٦)

الصحابة من باهلة (من ص ٢٦٧ إلى ص ٢٨٦)

العلماء من باهلة (من ص ٢٨٨ إلى ص ٣٧٢)

بن عبدالرحمن العبداللطيف ـ عبداللطيف بن إبراهيم الباهلي ـ عبدالله بن بكر السهمي ـ عبدالله بن محمد بن حبان ـ عبدالملك بن قريب (الأصمعي) ـ عبيدالله بن المظفر الباهلي ـ عثمان بن عبدالعزيز بن ركبان ـ عجلان بن سهيل الباهلي ـ عقبة بن أبي الصهباء الباهلي ـ العلاء بن موسى بن عطية ـ علي بن أصمع الباهلي ـ علي بن مسعدة الباهلي ـ علي بن مسلم الباهلي ـ عمرو بن علي الباهلي ـ عمرو بن مرزوق الباهلي ـ عمرو بن ميمون الباهلي ـ أبو عمرو الباهلي ـ أبو عوانة ـ عيسى بن حاضر الباهلي ـ الفضل بن خالد الباهلي ـ الفلاّس (عمرو بن علي) ـ قتيبة بن حمان الباهلي ـ قُرَيْب بن أصمع الباهلي ـ قزعة بن سويد الباهلي ـ قعنب بن محرز (أبو عمرو) ـ كريز بن معقل الباهلي ـ مالك بن أدهم الباهلي ـ مجيبة الباهلية ـ محرز بن قعنب الباهلي ـ محمد بن الحسن الباهلي (أبو عوانة) ـ محمد بن حفص الباهلي ـ محمد بن أبي زرعة الباهلي ـ محمد بن سعيد الباهلي ـ محمد بن سنان الباهلي ـ محمد بن عبداللطيف الباهلي ـ محمد بن عمر الباهلي ـ محمد بن محمد بن مرزوق ـ محمد بن محمد النفاخ ـ محمد بن محمد بن يحيى ـ مخلد بن يحيى بن حاضر ـ أبو مروان الباهلي ـ معقل بن مالك الباهلي ـ منصور بن مصبح الباهلي ـ منصور بن يحيى الباهلي ـ نصر بن عثمان الباهلي ـ الوليد بن عبدالخالق الباهلي ـ هشام بن عبدالملك الباهلي ـ هلال بن العلاء الباهلي ـ هلال بن النجم الباهلي ـ يحيى بن المتوكل الباهلي ـ يزيد الباهلي ـ.

الأمراء والقادة والولاة وذوو المناصب
(من ص ٣٧٣ إلى ص ٤٨٣)

إبراهيم بن زيد الباهلي ـ إبراهيم بن سلم بن قتيبة ـ أحدب بن عمرو الباهلي ـ أحمد بن سعيد بن سلم ـ الأخطل بن عمرو بن قرط ـ أدهم بن محرز الباهلي ـ أَعْصُر بن النعمان الباهلي ـ إياس بن بيهس الباهلي ـ بشار بن مسلم الباهلي ـ بكر بن حبيب السهمي ـ بكر بن معاوية الباهلي ـ جارية بن النعمان الباهلي ـ جحل بن نضلة الباهلي ـ أبو جزء الباهلي ـ حاتم بن حمران الباهلي ـ حاتم بن النعمان الباهلي ـ حبيب بن عبدالله بن عمرو ـ الحجاج بن قتيبة بن مسلم ـ حَرِّي بن حري الباهلي ـ حوثرة بن سهيل الباهلي ـ حيان بن يزيد الباهلي ـ زياد الباهلي ـ السري بن الحصين الباهلي ـ سعيد بن أحمد الباهلي ـ سعيد بن سلم الباهلي ـ سلم بن قتيبة ـ سلمان بن ربيعة الباهلي ـ سليمان بن موسى الباهلي ـ سمير بن ربيعة الباهلي ـ شبيب بن جحل بن نضلة ـ شداد بن خالد الباهلي ـ شريك بن الصامت الباهلي ـ شريك بن عمرو الباهلي ـ شقيق بن جزء الباهلي ـ شماس بن هوذة الباهلي ـ صالح بن مسلم الباهلي ـ صدى بن عجلان (أبو أمامة) الباهلي ـ ضرار بن مسلم الباهلي ـ طريف بن نافع الباهلي ـ عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي ـ عبدالرحمن بن مسلم الباهلي ـ عبدالعزيز بن حاتم الباهلي ـ عبدالكريم بن مسلم الباهلي ـ عبدالله بن حاتم بن النعمان ـ عبدالله بن مسلم

الباهلي - عبدالملك بن دثار الباهلي - عصام الباهلي - عصام بن عبدالله الباهلي - علي بن أصمع الباهلي - عمرو بن أصمع الباهلي - عمرو بن سعيد بن سلم - عمرو بن مسلم الباهلي - عمرو بن يربوع الباهلي - أبو الفوارس الباهلي - قتيبة بن مسلم الباهلي - قرة بن حيان الباهلي - قطن بن قتيبة بن مسلم - قعقاع بن فضالة الباهلي - كليب بن عمرو الباهلي - مالك بن أدهم الباهلي - المثلم بن مسروح الباهلي - المثنى بن الحجاج الباهلي - محرز بن أسيد الباهلي - محمد بن عبدالرحمن الباهلي - محمد بن المثنى بن الحجاج - المستورد بن قدامة الباهلي - مسلم بن سعيد الباهلي - مسلم بن عبدالرحمن بن مسلم - مسلم بن عمرو الباهلي - المسور بن عبدالله الباهلي - أبو المضاء الباهلي - مطرف بن سَيدان الباهلي - معاوية بن بكر الباهلي - مكرم بن سيدان الباهلي - المنتشر بن وهب - موسى بن حنتم الباهلي - نعيم بن عبد مناف الباهلي - ورقاء بن نصر الباهلي - أبو هوذة (شماس بن هوذة) - يزيد بن سعيد الباهلي - يزيد بن مالك الباهلي - يوسف بن سليمان الباهلي -.

من شعراء باهلة وأشعارهم (من ص ٤٨٤ إلى ص ٥٨٢)

أدهم بن محرز الباهلي - الأزرق بن طرفة - الأشعث الباهلي - أَعْصُر جد القبيلة - بديل بن المضرب - بكر بن حبيب السهمي - بكر بن حماد الباهلي - ثعلبة بن يقظان الباهلي - جحل بن نضلة - جزء بن رياح الباهلي - الجمالي الباهلي - ابن جمانة (عبدالملك بن جمانة) - الحارث بن حبيب الباهلي - حُبَّى بنت قرط الباهلية - الحسن بن علي الباهلي - الحسين بن الضحاك - حفص بن عمرو الباهلي - أبو الحيال الباهلي - أبو الخثارم الباهلي - الدعجاء بنت وهب بن سلمة - ديسم بن رومي الباهلي - ربيعة الباهلي - رؤية بن العجاج الباهلي - رياح بن عبيدة الباهلي - الزرافة الباهلي - زِرْبِيّ بن سباق - زغبة الباهلي - زياد بن ربعي الباهلي - سباق الباهلي - سحبان وائل - أبو سحمة الباهلي - شبيب بن جحل - شتيم بن عمرو الباهلي - شقيق بن جزء الباهلي - صفية الباهلية - الطرماح الباهلي - عامر بن الحارث (الأعشى) - عبدالحميد بن سعد بن نويرة - عبالة بن عمرو الباهلي - عبدالله بن الحجاج (الأصم) - عبدالله بن حمود بن سُبَيِّل - عبدالملك بن جمانة الباهلي - عبدالملك بن قريب (الأصمعي) - عبدالواحد بن جدير الباهلي - عبيدالله بن المظفر الباهلي - العجاج بن شدقم الباهلي - عجلان بن سحبان الباهلي - العلاء بن عمرو الباهلي - عمرو بن أحمر الباهلي - عمرو بن خلف الباهلي - عمرو بن عبدالرحمن (أبو هشام الباهلي) - عمرو بن ميسم الباهلي - القتال الباهلي (الحسن بن علي) - قتيبة بن مسلم الباهلي - القعقاع بن عطية الباهلي - مالك بن أنس الباهلي - مالك بن زغبة ابن محرز (أدهم بن محرز) - محرز بن أسيد الباهلي - محمد بن حازم الباهلي - محمد بن محمد أبو أمامة الباهلي - مسلم بن ربيعة الباهلي - ابن المضرب (بديل بن المضرب) - مطرف بن خالد الباهلي - أبو معدان الباهلي - أخت المقصص (ميسون) - أبو المنيع الشاعر - ميسون أخت المقصص الباهلية - نمير بن قنفذ الباهلي - الهرماس بن زياد - أبو هشام (عمرو بن عبدالرحمن) - هلال بن العلاء الباهلي - أشعار لم تنسب لقائل.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل التفاضُلَ بين خلقه وَقْفاً على النافع الصالح من الأعمال ، فقال جلَّ من قائلٍ ﴿ إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ ﴾(١) وصلاته وسلامه على خير خلقه الذي أذهب برسالته « عُبِّيَّةَ الجاهلية ، وفَخْرَها بالآباء ، إنَّما هو مؤمن تَقِـيٌّ ، أو فاجر شَقِـيٌّ »(٢) وعلى آله وصحبه ، وسالكي نهجه ، والسائرين على دربه .

وبعدُ : فَإنَّ مِنْ أَقْوَى الوشائجِ التي تُوجِدُ الصلةَ بين قارئِ الكتاب وبين مؤلفه اتِّفَاقَهُمَا على الغايةِ التي يتوخَّيَانِهَا ، ثم اتجاههما في السَّيْرِ مَعاً لبلوغ تلك الغاية من أوضح الطرق وأقربها . والقارِئُ - أيُّ قارِئٍ - لا يُقْدِمُ على إضَاعَةِ وقْتٍ ، أوْ صرْفِ جُهْدٍ مَهْمَا قَصُرَ أوْ قَلَّ في قراءة كتابٍ لا يهدِفُ من ورائه فائدةٍ ، وكلُّ ماكان الكتابُ وَاضِحَ الهدف ، والْـمُؤَلِّفُ في سيره إلى مايهدف بارِزَ المعالم ، كانتْ صِلَةُ القارئِ أَقْوى ، وثِقَتُهُ بما يَقْرأُ أَعْمَقَ ، ولهذا سأُحاول إيضاحَ جانبٍ من موضوع هذا الكتاب ، لعله أَوْلَى جوانبه بِالْإِيْضاح ، لاسِيَّما وقد كَثُرَ تَسَاؤُلُ بعضِ مَنِ اطَّلَعَ على ماكتبتُ عن ذالك الموضوع ، مما يتعلقُ

---

(١) الآية الـ(١٣) من سورة (الحجرات) .

(٢) حديث نبوي نصه : « إن الله تعالى قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباءِ ، مؤمن تَقِيٌّ ، وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، لَيَدَعَنَّ رجَالٌ فَخْرَهُمْ بأقوامٍ ، إنما هم فَحْمٌ من فحم جهنم ، وليكونُنَّ أَهْوَنَ على الله من الْـجِعْـلانِ ، التي تدفع بأنفها النَّتَنَ » أورده السيوطي في « جمع الجوامع » ونسب روايتَه إلى الإمام أحمد وأبي داود والبيهقي . والعُبِّيَّةُ - بضم العين وكسرها وتشديد الباء الموحدة مكسورة بعدها مثناة تحتية مشددة مفتوحة - : النخوة والفخر والكِبْرُ .

بأنساب القبائل ، بل لَـمْ يَقِفِ ٱلأَمْرُ ـ في بعض الأَحْيان ـ عند حَدِّ التساؤل ، إنَّهُ تجاوزَ ذالك إلى إساءةِ النَّظْرَةِ نَحْوَ الاهتمام بناحية من نواحي تاريخ أُمَّتِنَا ، ذاتِ ارْتِبَاطٍ عميقٍ بتاريخها القديم ، بل لَعَلَّهَا كانَتْ أَوَّلَ أُسُسِهِ التي وصلَتْ إلينا مُتَنَاقَلَةً ثم مُدَوَّنَةً ، ومَا مُحَاوَلَةُ الغضِّ من هذا الجانب من تاريخ الأمة وتشويهه ، وطَمْسُ معالمهِ بالأمر الجديد ، الـمُسْتَحْدَثِ في هذا العصر ، ولكنه أَثَرٌ من آثارِ حِقْدٍ وكراهية في نفوسِ قومٍ وُتِرُوا بتقويْضِ عُرُوشِ ملكهم ، والْقَضَاءِ على عِزِّهم ، حين قامتِ الدولةُ الإسلاميةُ بقيادةِ الأُمَّةِ الْعَربيةِ بِنَشْرِ أَلْوِيَةِ العدْلِ والعلم ، والمساواة في أنحاء المعمورة ، مستنيرةً بِهَدْيِ رسالةِ السماء التي اختارها الله لنشرها ، حين اصطفى أَشْرَفَ خلقه ـ مُحَمَّداً عليه الصلاة والسلام ـ من هذه الأُمَّةِ الكريمة دون غيرها من الأمم ، ﴿ والله أَعْلَـمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ ولَهُ الْـخِيَرَةُ من خلقه ، وفي أَمْرِه .

لقد سعى أؤلئك الموتورون للكيد لهذه الأمة ، بمختلف الوسائل ، وباستعمال ما استطاعوا من أساليب الذَّكَاءِ في حَوْكِ أَمْكَرِ الْـحِيَلِ وأَخْبَثِهَا لإِخْفَاءِ مآرِبِهم ، بلْ بإِبْرَازِهَا بمظاهِرَ من الخداع والتضليل ، تنطلي على ضِعَافِ العقول ، حتى ينخدع ذوو الغايات الطيبة بما زُوِّقَتْ وزُوِّرَتْ به من مظاهر حسنة ، تخفِـي أَسْوَأَ الغايات .

لَـمْ يَكُنْ بَدْءُ تقويضِ الخلافةِ بغزو التتار العالَـمَ الإسلامي ، واستيلاءهم على قاعدة الدولة العباسية وقتل الخليفة سنة ٦٥٦ ، بل كان قبل ذالك بخمسة قرون ، حين قامت تلك الدولة بدعوة مشبوهة ، على أكتاف دُعَاةٍ من شعوب غير عربية ، تَفَيَّأَتْ ـ أَثْنَاءَ الْـمَدِّ الإسلامي ـ ظلالَ الإسلام ، ومن بينها من كان يُبْطِنُ له وللقائمين بنشره البغضاءَ والعداوةَ ، فلم يلبثْ هاؤلاء أَنْ وَجَدُوا الحماية كامِلةً في كَنَفِ وزراء الدولة وقادتها ، وذوِي الْـحَلِّ والعَقْدِ فيها ،

فجدُّوْا واجتهدوا في السعي لتحقيقِ مآربهم السيئة ، فكان أن برزتِ الدعوةُ (الشعوبية) مُغَلَّفَةً بغلاف المساواة بين الشعوب الإسلامية آوِنَةً ، وحينًا بالنَّيْلِ من العرب بالطعن في ماضيهم ، وأَنَّ الشُّعُوبَ الأخرى لها من الأمجاد والفضائل في علومها وحضارتها ماحازتْ به قصب السبق على من سواها من الأمم ، وبدأَتْ تلك الدعوة ـ بل ذالك الداءُ الْوَبِيلُ ـ ينخر في جسم الأُمَّةِ العربية ، وقد يجد من بينها من لا يدرك مايحوكه أولئك الأَعْدَاءُ مِنْ مَكْرٍ وخديعة من وراء ما يتظاهرون به من دعوة للمساواة بين الناسِ عَرَباً وعجَماً ، وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالعمل الصالح ، وهذا حَقٌّ ، ولكن الدعوة إلَى الحقِّ قد تُتَّخَذُ وسيلةً لأغراض سيئة ـ أو كما قال الإمام الْـمُجَدِّدُ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ : أن كثيراً من الناس وَلَوْ دعا إلى الحق فإنما يدعو إلى نفسه . أي إنَّ له غَايَةً مستورةً ذاتَ صلةٍ بمصلحته ، بعيدةً عما أظهر الدعوة إليه .

ولكنَّ علماءَ المسلمين تَصَدَّوْا لِدُعاةِ الشعوبية بكشف أحوالهم ، وتَزْيِيْفِ باطِلِهم ، وإبطالِ ما أقاموا عليه دعوتهم، بإبراز فضلِ العرب ، وبيانِ أنَّ الله سبحانه اختارهم من بين شعوب الأرض ، فاصطفى منهم أَشْرَفَ خلقه لتلقي رسالته ، ولِتَقُومَ تلكَ الأُمَّةُ بنشرها بين الأمم ، وأنزل كتابه الذي فَرَّق به بين الحقِّ والباطل ، وجعله أَساسَ شريعةِ تلك الرسالة الخالدة ، ونِبْرَاسَهَا ، بلغة تلك الأُمَّةِ التي اختصها بالاصطفاءِ والاختيار ، وستبقَى اللغةُ العربيةُ لُغَةَ الدينِ الحنيف ما بقِـيَ هذا الدينُ الذي تكفل الله بحفظه وبقائه ببقاء كتابه القرآن العربي الـمُبِيْنْ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] فالْعَرَبُ هُمْ

(١) الآية الـ(٩) من سورة (الحجر) .

أُمَنَاءُ الله على وَحْيِهِ ، باختيار لُغَتِهِمْ نَاطِقَةً به ، وهم خِيرةُ الله من خلقه ، باصطفاء خاتَمِ أنبيائه منهم ، وهم تراجمةُ ذالك الْوَحْيِ ، وَمُبَلِّغُوهُ لغيرهم من شعوب العالم ، ممن لا يستطيع فَهْمَهُ فَهماً تامًّا ـ كما نزل من السماء ـ بدون معرفة تلك اللغة التي نزل بها ، وهي لغة العرب .

ولعلَّ مِنْ أَغْرَبِ مايتبادر إلى الذهن ـ بلْ مِنْ أَعْجَبِهِ وأطربه ـ أن يكون من بين أوائل مَنْ تَصَدَّى لمحاربة (الشعوبيين) وإبْرَازِ ماللعرب من فضائل ، وميْزَاتٍ اختصوا بها دُوْنَ غيرهم من الشعوب ـ علماءُ لم يكونوا من النِّجَارِ الْعَرَبِيِّ صَلِيْبَةً ، ولكنهم مِمَّنْ فَهِمَ الرسالة السماويَّةَ حَقَّ الفهم ، وأدركَ جانباً مما لاختيار الله الْعَرَب من بين الأمم ـ من حكمة ، وَمِمَّنْ طَهُرَ قلبُه من شوائب الحِقْدِ ، واتَّصفَ بالإنصاف مُتَجَرِّداً من كُلِّ الغايات التي لا تَهْدِفُ إلى الحق ولا إلى صدق القصد .

ومن أؤلئك العلماء عبدالله بن مسلم بن قُتيبة الدِّيْنَوَرِيُّ (٢١٣/٢٧٦) الذي تَصَدَّى للردِّ على الشعوبية من الفرس وغيرهم ممن انتشرت أفكارُهم وآراءهم في شرق العالم الإسلامي في عهده وكتاباه « الرد على الشعوبية »[١] و « فضل

(١) نشره الأستاذ محمد كردعلي في مجموع «رسائل البلغاء» ـ وجاء في هذا الكتاب ص ٣٤٥ : ولم أر في هذه الشعوبية أرسخَ عداوة ، ولا أشدَّ نصباً للعرب ، من السفلة والحشوة ، وأوباش النبط وأبناء أَكَرَةِ القرى ، فأما أشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة ، فيعرفون مالهم وما عليهم ، ويرون الشرف نسباً ثابتاً .

وقال رجل منهم لرجل من العرب : إن الشرف نسب ، والشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم ، وإنما لَهَجَتِ السفلة منهم بذم العرب ، لأنَّ منهم قوماً تحلوا بحلية الأدب ، فجالسوا الأشراف ، وقوماً اتَّسَمُوا بميسَمِ الكتابة ، فقُرِّبُوا من السلطان ، فدخلتهم الأنفةُ لآدابهم ، والغضاضة لأقدارهم ، من لُؤمِ مغارسهم ، وخبث عناصرهم ، فمنهم من أَلحَقَ نفسه بأشراف العجم ، واعتزى إلى ملوكهم وأساورتهم ، ودخل في باب فسيح لا حِجَابَ عليه ، ونسبٍ واسِعٍ لا مدافع عنه ، ومنهم من أقام على خساسته ينافح عن لؤمه ، ويدعي الشرف للعجم كلها ، ليكونَ من ذوي الشرف ، ويظهر بغض العرب يَتَنَقَّصُهَا ، ويستفرغ مجهوده في مشاتمها ، وإظهار مثالبها ، =

العرب على العجم » معروفان ، وبهما انتفع كثير من علماء الإسلام في شرق البلاد وغربها . وما أرى البيرونيَّ مصيباً في زعمه[1] أن الدافع له على تفضيل العرب على العجم ، إِحَنٌ وَتِرَاتٌ بينه وبين الفرس ، ولكنه زعم شعوبي .

ومن أؤلئك العلماء أبو محمد عليُّ بن أحمد بن سعيد بن حَزم الأندلسِيّ (٣٨٣/٤٥٦) أحدُ أئمة الإسلام العظام من ذوي المذاهب المشهورة ، فقد انتشرتْ في قُطْرِهِ الأندلس آراءُ الشعوبية من اليهود وغيرهم ، ممن كَانُوا أَخَفَّ شَرًّا في ذالك العهد من شعوبية المشرق ، إلا أنهم كانوا لا يرون للعرب فضلاً على غيرهم ، ومن مشاهير أؤلئك الشعوبيين من اليهود ابن النغْريلة ، وللإمام ابن حزم في الرد عليه ماهو معروف[2] .

وليس المقامُ مَقَامَ التبسط في الحديث عن الشعوبية ، وما قام به مُحَقِّقُو عُلماءِ المسلمين من دَحْضِ افتراءاتهم ، والإشادةِ بما فضَّلَ الله به الأمة العربية على غيرها بأخلاقها الفاضلة ، وأعمالها الصالحة الجليلة في خدمة الإسلام والمسلمين ، فهذا من الأُمور الْبَدَهِيَّةِ التي لا ينكرها إلاَّ مكابِرٌ ، ولا يجهلها إلا جاهل .

وليس المقامُ مقامَ التوسُّعِ في الحديث عما كان لتغلغل الأفكار الشعوبية في صفوف الأمة مِنْ آثَارٍ ، في مختلف العصور ، وامتزاجها بجميع جوانب الثقافة

= وتحريف الكلم في مناقبها وبلسانها نطق ، وبهممها أنف ، وبآدابها تسلَّح عليها ، فإنْ هو عرف خَيْراً ستره ، وإن ظهر حقره ، وإن احتمل التأويلات صَرَفَهُ إلى أَقْبَحِهَا ، وإن سمع سُوْءاً نشره ، وإن لم يسمعه نفر عنه ، وإن لم يجده تخرَّصَهُ ، فهو كما قال القائل :

إنْ يَعْلَمُوا الخَيْرَ يُخفوه وإنْ عَلِمُوا ... شرًّا أُذِيْـعَ وَإنْ لَـمْ يَعْلَمُـوا بَهَتُـوا

(١) « الآثار الباقية » ٢٣٦ .

(٢) نشر أستاذنا الدكتور إحسان عباس رد ابن حزم على ابن النغريلة في مجموع رسائل ابن حزم سنة ١٩٦٠م في القاهرة .

العربية بِعُمْقٍ وشراسة ، في شرق العالم الإسلامي وغربه ، فقد تكفل العلماء بإيضاحِ ذالك وَكَشْفِ زَيْفِهِ ، ودَحْضِ باطله ، وإنما المراد الإشارة إلى مَا يُوَجَّهُ لِـمَنْ يُعْنَى بإبرازِ جانب من جوانب تأريخِ هذه الأمة الكريمة ، مُمَثِّلاً في الصِّلَات التي تجمع بينها ، وَمُوَضِّحاً جوانب الصلة بين مختلف قبائلها ، ومُحاوِلاً رَبْطَ حاضرها بماضيها ، ومُشِيراً إلى مابين فروعها من وشائِجِ القُرْبَى والصلة مما يقوي تماسكها ، ويصون كِيانها ، فتبقى قوية ، تسودها المحبةُ ، ويربطها رِباطُ ٱلأُخُوَّةِ ، والتعاوُنِ على الخير ، ذات كِيَانٍ قوي ، قادر على القيام بما وَكَلَ الله إلى هذه الأمة من أداء الرسالة السماوية ، التي أَعَزَّهَا بتحملها وإبلاغها لمختلف شعوب العالم ، وشَرَّفَهَا بِحَمْلِها وتَشْيِيدِ أقوى دولة نشرتِ العلم والعدل ، وساوَتْ بينَ الناس ، وقَوَّضَتْ صروحَ أَقْوى دولتين في العالم ، وحررت شعوب العالم مما كَبَّلَها من أغلال القهر والعبودية ، فسارَعَتْ لِلتَّفَيُّؤِ بظل تلك الدولة التي يخفق فوقها علم التوحيد .

ماالذي ينقم الناقمون ممن يَتَّجِهُ إلى دراسة تاريخ تلك الأمة ، ومحاولةِ إبراز الجوانب التي تُجَدِّدُ في نفوس ٱلـخَلَفِ الذِّكْرَيَاتِ العطرة من أمجاد السلف ؟! وما المحذُورُ من أن يكون لدى خلف هذه الأمة من المعرفة والإدراك لما كان عليه سلفهم منْ حَمِيدِ الصفات ، فيتأَسَّوْا بهم ؟! وأن يَعْرِفُوا أَنَّ فروع هذه الأمة ذَاتُ جذورٍ عميقة بأؤلئك الأبطال ، الذين ضَحَّوْا بالنفس والنفيس في إقامة صروح الدولة الإسلامية ممن ينطبق عليهم قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : « النَّاس معادنُ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذَافَقُهُوا »(١) فالعربُ كانوا خِيَارَ الْـخَلْقِ في الجاهلية وأصبحوا خيارهم في الإسلام .

---

(١) حديث رواه البخاري في صحيحه ، وغيره .

وَمَا الْـمَانِعُ مِنَ التَّعَمُّقِ في الدراسة والبحث لمعرفة مكامِنِ الخير في العرب في جاهليتهم ، وما امتازوا به من شريف الـخِلال حتى اختصهم الله بالاختيار ، واصطفاء أَشْرَفِ الخلق منهم ؟ وأيُّ ضَيرٍ أَوْ ضَرَرٍ من دِراسةِ مابين تلك الفروع من وشائِجِ القربَى ، مما يقوي الصلة بينها بحيث تزدادَ الفروعُ نَفْسُهَا قُوَّةً وتماسُكاً ، وفي ذالك مايحمي كِيانَ الأمة من التَّصَدُّعِ ، وبحمايته وقوتِهِ تقوى تلك الدولة ، إذْ بقوة العرب تزداد قوة الإسلام ، وبضعفها تضعف (إذا ذَلَّ العرب ذَلَّ الإسلام) ؟! فهم صفوةُ الله وخيرتُه من خلقه ، وهم حماةُ دينه ، وتراجمةُ وَحْيِهِ الذي أنزله بلغتهم ، وجعل فَهْمَ مقاصد شريعته وقفاً على إتقان تلك اللغة التي تكفل لها بالبقاء والحفظ بتكفله بحفظ كتابه الخالد الذي أنزله بها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

والْـمُؤْلِـمُ في الْأَمْرِ أَنَّ من أؤلئك الناقمين مَنْ هُو على جانب من التقوى والورع والمعرفة ، وحُبِّ الخير ، ولكنه يَرَى أَنَّ العربَ ليسوا أَهْلاً للتقديم على غيرهم من الْأُمَـمِ ، وكأنه يَجْهَلُ أَنَّ مَذْهَبَ أهلِ السنة والجماعة اعتقادُ أَنَّ جِنْسَ الْعَرَبِ أَفْضَلُ من جِنْسِ العجم ، عبرانِيِّهِمْ ، وسُرْيَانِيِّهِمْ ، رُومِهِم ، وفُرْسِهِم ، وليس فضلُ العربِ ثم قريش ثم بني هاشم لمجرد كون النبي ﷺ منهم - وإن كان هذا من الفضل - بل هم في أنفسهم أفضل .

لقد نقل الإمامُ ابن تيمية عن حرب بن إسماعيل صاحب الإمام أحمد فيما حكاه عن مذهب أَئِمَّةِ الغلم ، وأَصحاب الْأَثر ، وأهلِ السنة المعروفين المقتَدَى بهم[(١)] : ونعرف للعرب حقَّها وفَضْلَها ، وسابِقَتَها ، ونُحِبُّهُمْ لحديث رسول الله ﷺ « حُبُّ العرب إيمانٌ ، وبغضهم نِفاق »[(٢)] ولا نقول بقول

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » للإمام ابن تيمية ص : ٣٧٠ .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » عن أنس وقال : حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي في « التلخيص » بِأن في رجال الحديث متروكاً وضعيفاً .

الشعوبية وأراذِلِ الموالي الذين لا يُحِبُّونَ العرَب ، ولا يُقِرُّوْنَ بفضلهم ، فَإِنَّ قولهم بدعة وخلاف . هذا مانقله الإمام ابن تيمية عن حرب بن إسماعيل صاحب الإمام أحمد ، وأضاف : ويُرْوَى هذا الكلام عن أحمد نفسه . وقال : وَمِنَ الناس من يُفَضِّلُ بَعْضَ أنواعِ العجم على العرب . والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نِفَاقٍ ، إمَّا في الاعتقاد وإمَّا في العمل المنبعث عن هوى النفس ، مع شُبُهَاتٍ اقْتَضَتْ ذالك ، ولهذا جاء في الحديث « حُبّ العرب إيمان ، وبغضهم نفاق » . انتهى كلام الشيخ ابن تيمية .

وَلَنْ يذهَبَ بي حُبُّ هذا الإمام الجليل واحترامي له ، من أَنْ أَقْبَلَ جميع أقواله على عِلاَّتِها ، بدون أن أكون مقتنعاً بصحتها ، ثم هو ـ رحمه الله ـ قد أوضح سبب فضل العرب فقال[1]: وسببُ هذا الفضل ـ والله أعلم ـ مااختصوا به في عقولهم ، وألسنتهم ، وأخلاقهم وأعمالهم ، وذالك من الفضل ، إمَّا بالعلم النافع ، وإمَّا بالعمل الصالح ـ واسترسل في إيضاح ذالك . وأُضِيفُ إلى هذا المنقبةَ الخالدة وهي أن الله سبحانه وتعالى مَيَّزَ قَدْرَ العرب على غيرهم بِأَن أَنْزَلَ كتابَهُ الخالدَ باللغة العربية .

---

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » ٣٩٦ .

ثم ماذا عن اختصاص قبيلة باهلة بهذا المؤلف ؟!

كانَتِ الأَدْوَاءُ ـ ولازَالَتْ ـ تَنْخَرُ في كيانِ الأمة حتى كادتْ تُمَزِّقُ أقوى وشائج القُرْبَى بين فروعها ، وتُسَبِّبُ التباعُدَ بين تلك الفروع ، بإيجادِ مختلف وسائل التنفير بينها ، واختلاقِ الصفات التي تُحْدِثُ التنافُرَ والكراهية ، حتى أَوْشَكَتْ أن تَفْصِلَ قبائلَ كانت من الشهرة والبروز معدودةً في الْقِمَّةِ ، ومشهوداً لها ـ كغيرها من القبائل الأخرى ـ بِسِماتِ المجد والشرف ، والتَّحَلِّي بجليل الخِلال ، فتبعدها عن منبتها الأصيل في عنصر تلك الأمة الكريمة ، بما تُلْصِقُ بها منْ أوصافٍ سيئة ، وبما تنعتُها به من نعوت السُّوءِ والفساد ، ظلماً وعدواناً ـ في أول الأَمْرِ ـ ثم تقليداً أعمى وَسَيْراً على طريقة ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُقْتَدُونَ ﴾[1] في آخره ، فكان نَصِيْبُ تلك القبيلة من ذالك مافَصَلَّتُ نَبَأَهُ في كلمة نشرتها قبل ثلاث سنوات بعنوان (باهلة القبيلة المهضومة القدر) ونصها[2] : (لعلَّ مِنْ أَهَمِّ ماينبغي أن يتوخاه الباحثُ في أيِّ علم من العلوم إدراك حقائق ، أهمها : الغاية من ذالك العلم ، وعلى أيِّ أساسٍ من أُسُسِ المعرفة قام ، وما هو أثره في حياة المجتمع .

والنظرة الصحيحة إلى علم النسب توضِّحُ أن الغايةَ منه البحثُ عن الروابط القوية بين الشعوب والأُسَرِ ، وذوي القرابة ، لينشأَ التعارفُ الموجِبُ للتواصل والتقاربِ اللَّذَيْنِ بهما تقوم حياة المجتمع على أسس قوية من المحبة والأُخُوَّةِ ، كما في الآية الكريمة : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[3] وفي الأثر :

---

(١) الآية الـ(٢٣) من سورة (الزخرف) .

(٢) « العرب » ٢١/٤٣٣ .

(٣) الآية الـ(١٣) سورة (الحجرات) .

« تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم » فالتواصلُ هو أسمى الغايات من معرفة الأنساب .

ومتى انتفَتْ تلك الغايةُ الساميةُ التي أساسُها التعارف والتآخي زالتِ الفائدةُ من ذالك العلم ، بل أصبح الاشتغالُ به من الأمور التي قد تَصْرِفُ عما هو خير منه ، هذا إذَا لم يصبحِ الاهتمامُ به ضارًا ، وذالك عندما يُتَّخَذُ وسيلةً للتباهي وللتفاخر ، بتفضيل شَعْبٍ على آخر ، أو قبيلةٍ على غيرها ، إذِ التفاضلُ الصحيح ماكان قائماً على الأعمال النافعة كما في الحديث : « إن الله قد أذْهَبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرَها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي » ذالك أنَّ أصلَ بني الإنسان عَرَبِهم وعَجَمِهم واحد ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالعمل الصالح . ومن هنا يتضح أنَّ مُجَرَّدَ الانتساب لِأَيَّةٍ قبيلة أو شَعْبٍ مهما بلغت تلك القبيلة أو ذالك الشعب من سُمُوِّ المنزلة لا يُجْدِي شيئاً .

وأمر آخرُ فعلمُ النسب من العلوم التي تتوارثها الأجيال ، وليس من العلوم القائمة على أسس عقلية ، تدرك بالتعمق في البحث ، بحيث يتبين صحيحها من زيفها ، ولا شك أن ما تتناقله الشعوب من موروث تراثها ليس قائماً على حقائق علمية ثابتة ، فَكُلُّ نَقْلٍ عُرْضَة لحدوث الخطإ فيه ، وكل خَبَرٍ يحتمل الصدق أو الكذب لذاته ، ولا يمكن الجزمُ بصحته مالم تكن هناك قرائن توجب ذالك الجزم ، مما هو ثابتٌ بوحي من الله سبحانه وتعالى ، أو مما صَحَّتْ نسبته إلى أحد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

ولقد كان ـ ولا يزال ـ من أَهَمِّ ما أَتَّجِهُ إليه حينما أَتَحَدَّثُ عن الأنساب البحث عن الوسائل التي تُقَوِّي ما بين القبائل العربية من روابط ، ومحاولة إثبات أَمْرٍ لا يختلف فيه من عُنِـيَ بالبحث في علم الأنساب ، وهو أَنَّ جميعَ

سكان هذه الجزيرة تقوم أنسابهم على درجة من الصحة والصراحة ، تُعَدُّ هي الأساس عند البحث في نسب أية قبيلةٍ ، إذْ هذه البلاد هي مهد العرب منذ أَنْ عُرِفَ لهم تاريخ ، ولو فُرِضَ أَنَّ قبيلةً في هذه الجزيرة أصبحتْ مجهولةَ النسب الآن ، فليس معنى هذا أنها ليست عربيةً ذاتَ أصل صحيح ، فالقاعدة ثبوت ذالك الأَصل ، وأَنَّ مَاطَرَأَ هو الْـجَهْل به ، والجهل لا يصح أن يُتَّخَذَ أساساً لإثبات الحقائق ، بل ينبغي إزالة غشاوة ذالك الجهل ليتَّضِحَ نسبُ تلك القبيلة .

وقد أخذ عليَّ بعضُ الإخوان أنني حاولتُ إثبات نسب بعض القبائل المجهولة النسب ، بل تجاوز بعضهم الحد فوصفني بـ ـ (عدم المعقولية) ـ لأنني حاولت متجرداً من كل غاية سوى ما يوصل إلى الحقيقة ـ إثبات صحة انتساب قبيلة معروفة إلى أصل صحيح قديم معروف ، وأنا لا يعنيني أمر هاؤلاء الذين يرون التفاضل بين أنساب القبائل ، بل قد يدفعهم التعصب إلى رمي بعض قبائل أخرى بما هي بَرِيئة منه .

ولقد حَزَّ في نفسي أن أقرأ لعالم جليل ، أُكِنُّ له مِنَ الحُبِّ والاحترام والإجلال ماهو جدير به ، لما يتصف به من علم وأدب وخلق ، ولكن كما قيل : لكل جَوَادٍ كَبْوَةٌ ، ولكل صارم نبوة .

لقد ذكرت وأنا أَقْرأُ ماكتبه هذا العالم الجليل عن قبيلة عريقة النسب كريمة الْـمَحْتِدِ ، ذات حسب ومحافظة على كيانها منذ العهد الجاهلي حتى عصرنا ، منذ أَنْ كانت تحل بلاداً تُعَدُّ مِنْ أغنى بقعة في هذه الجزيرة بالثروة المعدنية من الذهب والفضة ، بحيث انطبق عليها في ذالك العهد المثل : (كُلُّ مَجْدُودٍ مَحْسُود) ـ .

لقد ذكرتُ خَبَرَ عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ حين سمع راجزاً يُنْشِدُ :

لَـوْلَا جَـرِيـرٌ هَلَكَتْ بَـجِيْلَهْ نِـعْمَ الْـفَتَى وبِئْـسَتِ الْـقَبِـيلَهْ

فقال : مامُدِحَ من هُجِـيَ قَوْمُهُ ، مع أن الممدوح هو الصحابي الجليل جرير ابن عبدالله البجلي .

لَقَدْ رَأَيْتُ بين يَدَيْ إحْدَى بناتي كتاباً عنوانه « رجال من التاريخ » ويظهر أن الكتاب قد حظي برواج ـ وهو جدير بذالك ـ فقد كان في طبعته الثانية وفي الصفحة الـ ٦٨ في الحديث عن الفاتح العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي ورد مانصه : (رجُل مارفعه نسبُه فقد كان من أَخَسِّ قبائل العرب ، وأَحَطِّهَا منزلةً ، من قبيلة كان يستحيـي أبناؤُها مِنَ الانْتِساب إليها ، ويُضْرَبُ المثلُ بالخِسَّةِ بها ، ويَتَرَفَّعُ العربُ عن ذكرها ، من باهلة) ! ثم أفاض في الثناء على قتيبة : (الرجل الذي فتح من حدود إيران إلى أواخر تركستان ، والذي دخل الصين ، ولولا ماكان من الفواجع التي أودت به شابًّا لَفَتَحَ الْهِنْدَ والصينَ) .

ماكانت قبيلة باهلة من أخس القبائل ولا من أحطها منزلة ، ولقد كان أبناؤها يفتخرون بالانتساب إليها منذ أقدم العُصور التي عُرِفَتْ فيه هذه القبيلة إلى يومِنا هذا ، وما رأيتُ مثلاً عربياً صحيحاً ضُرِبَ بها في الْـخِسَّةِ .

وكيف يترفع العرب عن ذكرها وَمَضْرِبُهُمُ المثل في الحلم الأحنف بن قيس التميمي أُمُّهُ حُبَّى بنت قُرْط بن عمرو بن ثعلبة من هذه القبيلة ؟ ، وأخوها الأَخْطَلُ بَنُ قُرْطٍ من مشاهير شجعان العرب له في يوم الـجُفْرَةِ من الذكر ماجعل الأحنف يفتخر بتلك الخؤولة قائلاً : ومَنْ لَهُ خَالٌ مثلُ خَالي !؟ .

---

(١) « المعارف » لابن قتيبة ٤٢٣ .

إنَّ الشيخ الجليل يدركُ بدون شَكٍّ أنَّ هذا المأثور الضخْمَ المتراكِمَ في خزائن الكتب من تراثنا منذ نحو ثلاثة عشر قرناً يحوي فيها يحوي - مع الخير الكثير - أشياءَ لا تضيف إلى ثقافتنا جديداً ، بل تعكر صَفْوَ هذه الثقافة ، لأنها مما وُضِعَ بِقَصْدٍ أو بدون قصد ، لا لتتخذ أسساً علمية للدراسة والاستفادة وإنما هي من نوع ما يتندر به الظرفاء ، كأحاديث القصاصين والسُّمَّار ، وكثير منها إنما وضع بدوافع خاصة ، وبأسباب وبواعث شخصية ، قد يكون لما يحدث بين رواة الشعر والأدب والأخبار من تنافس الأثر الكبير في وضعها ، كالأشعار التي تتناول القبائل العربية بالتنقص والهجاء ، مما قلَّ أن تسلم منه قبيلة من أي القبائل ومنها قريش قبيلة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - .

وما وُضِعَ بتلك الدوافع ولتلك الغايات لا يصحُّ اتخاذُهُ وسيلةً في الطعن بقبيلة كريمة ، عُرِفَ منها من العلماء والزهاد وعبادالله الصالحين طيلة أربعة عشر قرناً مَنْ هم جديرون بأن ينظر إليهم نظرة إجلال وتقدير ، وأن يُرْبَأَ بهم عن أن يكونوا عرضةً للوقيعة والتنقص ، بتناول قبيلتهم بأمور هي بريئة منها .

والأمر المحزن حقًّا أن هذه النظرة إلى تلك القبيلة الكريمة تكاد تكون عامة حتى لدى الطبقة المثقفة في عصرنا ، بل تجد من بينهم من يحاول تعليل النيل من هذه القبيلة بأن ينسب إليها أموراً نسبتها إليها زُورٌ وبهتان ، كَسَرِقَةِ نِعال النبي - ﷺ - وهذا من الأمور المكذوبة ، التي لم تَرِدْ فيها - اطلعت عليه - بنصٍّ صحيحٍ في أي كتاب معتمد من كتب التاريخ ، وإنما هو من اختراعِ الْـمُجَّانِ وأشباههم .

وَهَذَا أَدِيْبٌ ذُو منزلةٍ في سعة الإطلاع ، وتذوُّقِ الأدب ، لم يتورع أن يورد في كتاب سجل فيه ماكان يتحدث به في الإذاعة عن ذكر مااستطاع جمعه من

الشعر في ذَمِّ تلك القبيلة الكريمة ، ولم يُكَلِّفْ نفسه عناءَ التثبُّتِ من صحة ذالك الشعر ، وكأنما أراد مجرد الجمع ، ولم يدرك أن فعله هذا فضلاً عن كونه يُسِـيْءُ إلى أناسٍ ليسوا جديرين بالإساءة ـ لا يتمشّىٰ مع الروح العلمية ، التي توجب التثبتَ وشِدَّةَ التحرِّي في صحة ما ينقل ، لكي يقدم علماً مفيداً لا أنماطاً مخترعة من القصص والأخبار والأشعار الواهية) .

لقد توقعت ـ بعد نشر هذه الكلمة ـ أنَّ الشيخ الجليل ـ وهو ذُوْ برْنَامِج دائمٍ متواصل في الإذاعتين المرئية والمسموعة ـ سَيَطَّلِعُ على ماكتبتُ ، فكثيراً ما أراه يتصفح إحدى الصحف أثناء الإذاعة ، مستَشْهِداً بما فيها ، والصُّحُفُ كثيراً ماتُشيرُ إلى أحاديثه الْقَيِّمَةِ ، وتتحدث عنه ، لما له من منزلة سامية في نفوس المستمعين ، و(وزارة الإعلام) تحرص على إيصالِ صَدَى ماتنشره الصحفُ إلى المعنيين به ، وصلةُ الشيخ بالوزارة وبالقائمين على شؤون النشر والإذاعة فيها ـ صلةٌ وثيقة ، وعميقةٌ منذ مايقرب من ربع قرن من الزمان .

ثم كان أَنْ نَشَرَ الأستاذ ناجي الطنطاوي أخو الشيخ ـ مقالاً في مجلة « التضامن الإسلامي »[1] علقت عليه بكلمةٍ رأَيْتُ اطلاعَ الشيخ عليها بعد نشرها ، وبعثت معها بنسخة من مجلة « العرب »[2] وفيها ماكتبته مع كتاب مِنِّي في الموضوع ، فما كان منه ـ أكرمه الله ـ إلا أن أكرمني بكتاب منه مؤرخ في ١٢ صفر ١٤٠٩هـ فَهِمْتُ من فحواه أنه لم يَطَّلِعْ على ماكتبت وقت صدور المجلة ، بل وقفتُ طويلاً عند جملة وردت في كتاب الشيخ ونصها : (فإن بَدَى لِـيَ الْـخَطَأُ رجعْتُ عَنْهُ وشكرت من أَرْشَدَنِـي إلى الصواب ، وماقُلْتُهُ هو مااسْتَقَرَّ

(١) جزء شعبان/شوال ١٤٠٨هـ ص ١٩ ـ ٢١ .
(٢) س ٢٣ ص ٦٩٨ .

في ذهني من أيام الطلب ، وما شَكَكْتُ فيه حتَّى أَتَثَبَّتَ منه ، فإنْ كُنْتُ ظلمت هذه القبيلة ، فإني أُعَدِّلُه ، وأَعْدِلُ عنه في الطبعة المقبلة من الكتاب) .

لقد أطلتُ الوقوفَ والتفكيرَ حقًّا حين قرأتُ الكتاب ، عند هذه الجمل التي أوردتها ، إذِ الشيخُ ـ رعاه الله ووفقه ـ ليس ممن يرمي القول على عَوَاهِنِه ، وله من سعةِ العلم وعُمْقِ الاطلاع وغزارة المعرفة مايُحِلُّهُ أَسْمَى المراتب بين علماء العصر ، أفتراه لا يزال مقتنعاً ـ عن عِلْمٍ ويَقِينٍ ـ بما عَبَّر عنه في مؤلفه «رجال من التاريخ» ولهذا لن يتحول عنه حتى يتضح له الحقُّ من الجانب الآخر ؟ لَمْ أَكُنْ ـ حين كتبت ماكتبت في أول الأَمْرِ ـ شَاكًّا ولا مُتَحَيِّراً ولا مُتَرَدِّداً في القناعة به ، والاطمئنان إليه ، ولكن كلمة الشيخ الجليل كَانَتْ ذاتَ أَثَرٍ عميقٍ في نفسي المؤمنة بصدقِ ماقُلْتُ ، أَفَتَرَانِـي بحاجةٍ إلى زيادة اطمئنانٍ وقُوَّةِ يقينٍ ؟! لِيَكُنْ هَذَا لاسِيَّما وقدْ حَدَّثَنِي أحدُ الإخوة أنَّ أستاذنا الجليل تعرض للموضوع في أحد أحاديثه حين سُئِلَ عنه ، وأنه أشار إلى ماكتبت به إليه ، ولكنه ذكر أن كتب الأدب مشحونة بمثل ماورد في كتابه عن (باهلة) . كذا أخبرني الأخ ، ولا يعنيني منه سوى ما فهمت من أن الشيخ لايزال بحاجة إلى ازْدِيَادِ بَحْثٍ ليزدادَ اطمئناناً ـ أو كذا فهمت مِمَّا حُدِّثْتُ به .

ولا يُخَامرني شَكٌّ بأَنَّ موقف الشيخ ـ رعاه الله وزاده توفيقاً ـ هو موقف العالم المتثبت ، شَأْنَ العلماءِ الراسخين في العلم ، الذينَ يُسْتَنَارُ بأفكارهم ، ويُسَارُ على هَدْيِهِمْ في تَحَرِّي معرفة الحقِّ بأقوى الوسائل ، ومن أَوْضَحِ المناهج ، وعَدَمِ الاقتناع بالآراءِ والأقوال المجردة عن الحجة والبرهان ، مِنْ هُنَا كان في قولِ الشيخ (وما شَكَكْتُ فيه حتى أَتَثَبَّتَ منه) وفي موقفه الموضح في كتابه مادفعني إلى السير من أول الطريق ، وذالك بالعودة إلى الـمَوْضُوع بِذِهْنٍ خالٍ ، وبِتَجَرُّدٍ تَامٍّ مما كُنْتُ مُتَأَثِّراً به حينَ بدأْتُ بالكتابة فيه ، فَعَمِدتُّ إلى

مالَدَيَّ من المؤلفات التاريخية والأدبية وغيرها ، قديمها وحديثِها ، وإلى ماستطعتُ الاطلاعَ عليه منها مما ليس تحت يدي ، واسترسلْتُ في مطالعتها ، باحِثًا ومُنَقِّباً ، ومستخلصاً كُلَّ ماوقع نظري عليه في تلك الكتب مما يتعلق بقبيلة باهلة في مختلف عصور التاريخ ، فكانتْ حَصِيْلَةُ ذالك ما سَأُقَدِّمُه ، محاوِلاً ماستَطَعْتُ التَّجَرُّدَ من كُلِّ هَوًى أو عاطفةٍ ، ومن كل غايةٍ لاَ يُرَادُ منها الوصولُ إلى الحقيقة .

لقد كُنْتُ - في صغري - كثيراً ما أَسْمَعُ في مجالس العامة ، في مجالس التندر والفكاهة ، حين تجري الأحاديث بينهم حول ماضي القبائل ، أَطْرَافاً من هَزْلِ القول عن قبيلة باهلة ، وبحضور بعض المنتسبين إليها ، وفي الْقَرْيَةِ التي كُنْتُ أَعِيشُ فيها أُسْرَتَانِ كريمتان منهم ، آل رُشَيْدٍ ، وآل عُوَيْوِيْدٍ ، كالقولِ بأَنَّ باهلة رَقَعَتْ إحْدى دِلاَئِها بكتاب النبي - عليه الصلاة والسلام - أَوْ أَنَّ أحدَ رجَالِها سرق حِذَاءَهُ ، فكان ذالك وأمثاله - مما يُسَاقُ مَسَاقَ الهزل وَالتَّفَكُّهِ - يقابل من الإخوة الباهليين بما يلائِمُ ماسِيْقَ من أجله من الاسترسال في الضَّحك ، وبمنتهى عدم الاكتراث به .

وأذكر أننا - ونحن أطفال - نأتي إلى أحد طلبة العلم من تلك القبيلة ، ويدعى عبد العزيز البُوَيهلي ، وكان ممن سافر إلى الهند لطلب العلم مع الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمهم الله - وتلقَّى معه العلم عن العالم الهندي المعروف صِدِّيق بن حسن - صاحب كتاب «الدين الخالص» -، وكان يحفظ القرآن غيباً ، وذَا صَوْتٍ جَذَّابٍ في القِرَاءَةِ ، والرجل مغرم بحفر الآبار في الأراضي الصالحة للزراعة ، فَكُنَّا كَثِيراً ما نُطِلُّ عليه في جوف البئر ، ونحاول أن نُعَابِثَهُ ، فننشد بيتاً نسمع العامة يتناقلونه :

إذَا كُنْتَ في الفردَوْس وجارُكَ باهِلِيْ فاهْرَبْ عنِ الفِرْدَوْس وازْبَنْ جَهَنَّمَ

فكان زعيقُهُ تُرَدِّدُ أَرْجَاءُ البِئْرِ صَدَاهُ : (ازْبَنْ سَقَرْ !! ازْبَنْ سقر !!) مما يطربنا ، فنستمر بالمعابثة ، ويَسْتَمِرُّ بترديد الكلمة ، مع رَنينِ صوت (الْعَتَلة) حين يضرب بها الصفا أثناء الحفر .

إذَنْ لم يكن الشيخُ الجليل علي الطنطاوي بأولِ من نظر إلى تلك القبيلة بتلك النظرة التي لا ترتاح إليها .

وبعد أن اطلعت على ماطالعته من قديم المؤلفات وحديثها ماذا رأيت ؟!

لقد وَجَدتُّ الشيخَ قد سارَ في طَرِيْقٍ مَلْحُوبٍ ، سبقه على السير فيه كَثِيرٌ من العلماءِ والأدباء ، منذ قرون عديدة ، حتى كَادَ أن يكون سَلوكُهُ سُنَّةً متبعَةً بين المعنيين بالدراسات الأدبية من أَهْلِ العصر ، أَمَّا لِمَاذَا تَوَاطَأَ الْعُلَمَاءُ الْكُثْرُ على السير في ذالك الـمَهْيَعِ ؟ وعما إذا كان هذا الطريق هو النَّهْجُ القويمُ الذي يَعْصِمُ مَنْ سلكه من الزيغ والانحراف عن جادة الصواب ؟ فهذانِ الأمران مما يَجِبُ البحْثُ فيه ، ولَنْ أَتعَجَّلَ فَأُقَدِّمَ للقارئِ النتيجةَ المؤلمةَ حقًّا لتتابع الْـجَمِّ الغفير على هذا الأمْر ، دُوْنَ أَنْ يَتَحَرَّى بعضهم ماهو مُقْبِلٌ على الحكم به ، أَوْ أَنْ يَتَبَصَّرَ مَوْقِعَ قَدَمَيْهِ قبل إقْدَامِهِ على السير ، ماهو إلا مجرد التأثر بالتقليد والمحاكاة ، ولَنْ أُبَالِغَ فأهضم أَقْدَارَ أولئك العلماء الأجلَّة ، وفيهم أساتيذنا الذين حاولوا ـ جاهدين ومخلصين ـ أن يقدموا لنا صفوة مَاعَلِمُوْا بما ألفوه من كتب ، وما استخلصوه من آراء ، وما بذلوه من جهود عظيمة في سبيل إمدادنا بأنفس ذخيرةٍ وأجلها من العلوم النافعة من آثارهم ، أو آثار من سبقهم ، مما حَقَّقُوهُ ونشروه .

ولكنني لَا أَدَعُهَا سَانِحَةً تَمُرُّ بِذِهْنِـي دون أن أُشْرِكَ القارِئَ بها ، هي أَنَّ كَثِيْراً من قضايا تاريخ أُمتنا ـ قديمه وحديثه ـ لايزال بحاجة إلى نَظَراتٍ فاحصةٍ ، بل دراساتٍ لا تقف عند حَدِّ ما قُدِّمَ حولها من آراء ونتائِجَ لعلماء نُجِلُّهُمْ ، ونعترفُ بفضلهم ، وبتبريزِهم في مختلف جوانب العلم ، فَالْعَالِمُ ـ أيُّ عَالِـمٍ كانَ ـ لَيْسَ مَعْصُوماً ، وهو إنسانٌ يطرأُ عليه ما يطرأُ على الإنسان من غفلة وسهو ونسيان ، ويتصف بما يتصف به من رَغَبَاتٍ ومآرِبَ وغاياتٍ مختلفة ، ومن إجلالنا لأولئك العلماءِ السَّيْرُ على نهجهم في الْـجِدِّ والدَّأْبِ في التعمق في البحث ، لتكون لنا آرَاءُ كآرائهم ، تتفق معها أو تُخَالِفُها ، فهم ـ كما قال الإمام أبو حنيفة في حق من هُمْ أَفْضَلُ منهم ـ : هُمْ رِجَالٌ ونَحْنُ رجال !! وهم عَلَّمُونَا أنَّ التقليد ليس من العلم في شيء ، وأن الْـمُقَلِّدَ ليس عالِماً ، وأن كُلَّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ من قوله ويترك إلا من عصمه الله وَشَرَّفَهُ على سائر خلقه بالرسالة .

بين يدي الكتاب :

ذاك السبب الباعث لتأليف الكتاب ، وتلك الغاية التي أَتَوَخَّاهَا من كُلِّ قارِئٍ منصف ، يبحث عن الحقّ ، ويدور معه أينما دار ، ويروم الوصول إليه من أوضح الطرق .

قد تَعْرُوكَ ـ أيها القارئُ الكريم ـ دَهْشَةٌ بالغةٌ ، ويأخذُ منك الاسْتِغْرابُ كُلَّ مَأْخَذٍ ، عند قراءة عنوان هذا الكتاب لمخالفة فحواه مااستقر في ذهنك ، ورسخ في فكرك عن هذه القبيلة الكريمة ، التي اعتَدْتَّ أن تَقْرَأَ عنها ـ فيما يقع تحت يدك من كتب الأدب والتاريخ ـ وأَنْ تَسمَعَ من خُلَطَائِكَ من الناس ، تَنَدُّراً حِيْناً ، وجِدًّا أَحْيَاناً مالا يتفق مع مدلول ذالك العنوان .

ولكنني ـ وما عَهِدتُّ القارئَ أيًّا كان ـ إلَّا وينحو بقراءته بلوغَ غايةٍ ذاتِ جَدْوَى ـ لا يخالجني الشكُّ بأنَّك لَنْ تَضِنَّ عَلَيَّ بِلَفْتَةٍ من لَفَتَاتِ ذِهْنِك ، لننظر معاً إلى جانب من جوانب الأمر ، قد يبدو غَيْرَ مباشر ـ بالنسبة لموضوع الكتاب ، بل قَدْ أَطْمَعُ منك بنظرةٍ أوسعَ لتشمل جوانب أخرى ذات صلة بهذا الموضوع .

أولها : لستَ ممن يجهلُ أَنَّ الْـحَقَّ لا يدور دائماً في جانب كثرة الخلق ، فقد قال الله جل وعلا : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلاً ﴾[1]: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ الله ﴾[2] وحكى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال في حقِّ الأصنام : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ ﴾[3].

ومَا الاقْتِدَاءُ بالكثرةِ في البحثِ عن تمييز الأمور ، ومحاولةِ إدراك حقائق الأشياء ، سِوَى تَعْطِيْلٍ لأعظم ما أنعم الله به على الإنسان ، وهو عَقْلُهُ ، الذي به يتضح الحق من الباطل ، ويُمَيِّزُ النافعَ من الضار ، وما تعطيلُ العقل سوى إهْدَارٍ لكرامة الإنسان الذي فَضَّلَهُ الله على سائر الحيوان : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَامِ ﴾[4].

وأَسْوَأُ وَصْمَةٍ يُوْصَمُ بها الْـمَرْءُ أَنْ يُدْعَى (إِمَّعَةً) أي مع الناس يتبعهم حيثما اتجهوا ، وفي الأثر : (اغْدُ عالِماً أو متعلماً ، ولا تكنْ إِمَّعَةً ﴾[5].

---

(١) الآية الـ(١٢٢) من سورة (النساء) .
(٢) الآية الـ(١١٦) من سورة (الأنعام) .
(٣) الآية الـ(٣٦) من سورة (إبراهيم) .
(٤) الآية الـ(٤٤) من سورة (الفرقان) .
(٥) انظر «لسان العرب» ـ رسم أمع ـ .

ثانيها : أنَّ صفات الْـمَدْحِ والذم الْـخُلُقِيَّةِ صِفَاتٌ طارئةٌ على المرء ، تحدث بفعله هو ، أو بما تُهَيِّئُهُ له الطبيعة التي أوجده الله عليها ، من قوة أو ضعف ، قُدْرَةٍ أو عجز ، فهي صفاتٌ مكتسبة بالنسبة له ، ولَيْسَتْ ملازمةً له ، أو طَبِيْعَةً فيه ، ومن هُنَا فإنَّ إضافتها إليه تتوقف على اتِّصافِهِ بها متى ثبت ذالك .

وعلى هذا يَتَّضِحُ أنَّ مِنَ الْـخَطَإِ وَصْفَ امْرِئٍ ـ بَلْهِ جماعَة لا ينحصر عددها ـ بأية صفة من الصفات مَدْحاً أو قَدْحاً بدون ثبوت الاتصاف بها .

ثالثها : أليس مِنْ أَظْلَمِ الظُّلْمِ أَنْ تَصِمَ مَجْمُوعَةً من البشر ، لا يحصون كثرة ـ طيلة مدة تزيد على ستة عشر قرناً من الزمن ـ بوصمة من وَصَمَاتِ السُّوءِ كَالْـخِسَّةِ والحقارة ، بدون تَثَبُّتٍ واطمئنان عن يقين باتصافهم كلهم بها ، فَضْلاً عن عدم ثبوت اتِّصَاف واحد منهم بتلك الوصمة ؟! ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّذِيْنَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَـإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيْبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ ﴾[1] .

هي مقدمات ثلاث لا اختلاف على نتائجها ، فَلْنَسِرْ بَعْدَهَا لِاسْتِجْلَاءِ أَبْرزِ نواحِـي حياة هذه القبيلة منذ عُرِفَتْ ، وفي أَوْثَقِ ما وصل إلينا من تاريخ القبائل العربية حتى الثلث الثالث من القرن الأول الهجري ، وليكن هذا الاستجلاءُ على ضَوْءِ تِلك النتائج ، لِنَتَبَيَّنَ في أَيَّةِ صورة تبرز لنا هذه القبيلة ؟

١ ــ إنَّ قبيلَةَ بَاهلة من خلال الاستجلاء الشامل في أوثق المصادر ، سوف تَبْدُو ـ كغيرها من أخواتها القبائل القيسية من الجِذْمِ العدناني ـ ذاتَ كيانٍ مُتَمَيِّزٍ ، مُسْتَقِلٍّ بالتفاف فروعه بعضها إلى بعض ، في حالة من التماسك

(١) الأية الـ(٦) من سورة (الحجرات) .

والترابط ، والاسْتِقْرار في موطن خاصٍّ مُتَمَيِّز عَمَّا يجاوره من منازل الفروع القيسية الأخرى ، ومَا الاعْتِمادُ على النفس - بهذه الصورة وذالك الترابط - سوى مظهر من مظاهر القوة ، وتلك أبرز صفات العزة في تلك العصور .

٢ ــ لم يَتَّضِحْ لي من خلال ذالك الاسْتِجْلاءِ أنَّ الموطن الذي حلته تلك القبيلة واتخذته مستقرًا لها منذُ أَنْ أَصْبَحَتْ ذاتَ كيانٍ متميز - كان المكان الْـمُجْتَوَى بين أقاليم جزيرة العرب ، بل كان مُتَوَسِّطاً بينها ، كَانَ خِصْبَ التُّربة ، وَافِرَ المياه، كَثِيرَ المعادن، جَيِّدَ المراعي ، واسِعاً تفي سَعَتُهُ بِحاجة تلك القبيلة ، ويُجِدُّ سُكَّانُهُ في إصلاحه ، ويبذلون مختلف أوجه نشاطهم لاستثمار خيراته ، حتَّى أصبح مطْمَحاً ومطمعاً للأعداءِ ، فقد انتشرت في جوانبه القرى ، التي ازدَانَتْ بحدائق النخيل ، بحيث أُصبحتْ بجمالها وبهجتها تستَهْوِيْ قلوبَ الطامعين :

إِذَا أَرْطَبَتْ منْهَا الْـمَبَاكِيرُ هَيَّجَتْ صُدُوْرَ رِجَالٍ لَـمْ تَرُوعُوا لَهُمْ سِرْبَا

إنهم يَحْسُدُون سكان هذه البلاد من هذه القبيلة ، فيحاربوهم طمعاً في الاستيلاء على هذه البقعة التي تتفتح الحياةُ مُشْرِقَةً في جوانبها ، ولكن سكانها البواسل لا يتوانون ، ولن يتوانوا في الذَّوْدِ عنها ، ولَنْ يَهِنُوا في حمايتها من غارات المعتدين ، بكل شجاعة وقوة ، وهذا ما مكن هذه القبيلة من الاستقرار في تلك البلاد منذ أقدم عصورها حتى ظهر الإسلامُ ، فَسَوَّى بين أبنائه ، وجمعهم على الْـحُبِّ والتآخي ، وأزال جميع الفوارق ﴿ إِنَّمَا الْـمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١) .

---

(١) الآية الـ(١٠) من سورة (الحجرات) .

٣ ــ ومع مااتصفت به بلادُ هذه القبيلة من خِصْبٍ وَنَمَاءٍ ، وما بذلوه ويبذلونه في سبيل إصلاحها ، فإنَّ أولئك لَيْسُوا بِدْعاً بين من يحيط بهم من القبائل التي اتَخَذَتْ هذه الجزيرة سَاحاتٍ للعراك والجلاد ، وميادينَ للغارات والسلب والنهب ، بحيث تميزتْ حياتها في عصورها الأولى بأبرز صفات الفروسية والشجاعة ، فلم تركن (باهِلَةُ) إلى الدَّعَةِ وخَفْضِ العيش ، والاسْتِكانة بين قبائل لا حياة بينها إلا للقويِّ ، ولم تُخْلِدْ إلَى الراحة ، ولم تقنع بالإكتفاء بما تجود به بلادُها من وارف العيش ورغده :

دَعِ الْـمَكَـارمَ لاتَرْحَـلْ لِبغْيَتِها   واقْعُدْ فَإنَّك أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسي

إنها لَـمْ تَرْضَ أَنْ يُبْخَسَ حَظُّهَا من أبرز صفات العز والقوة في أسمى مظاهرها في عهود الجلاد والعراك ، فلقد اتَّخَذَتْ للأمر أُهْبَتَهُ ، وأَعَدَّتْ لَهُ عُدَّتَهُ في عهد الفروسية ، حين كانت العرب تتخذ من الْـخَيْلِ حصوناً تحتمي بظهورها ، ووسَائِلَ كَرٍّ وفَرٍّ أثناءَ غارتها ، ومظاهِرَ عِزٍّ وقُوَّةٍ لإرْهابِ أَعْدَائِها : ﴿ وَمِن رِبَّاطِ الْـخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وعَدُوَّكُمْ ﴾[1] فانتقَتْ من سلالاتها العريقة الممتازة عِرَابَها فَارْتَبَطَتْها وقامتْ على تربيتها والعنايةِ بها جيلاً بعد جيل ، حتى عُرِفَتْ في جاهليتها بإنتقاء أصولها ، ثم في العصور المتأخرة حين ضعف الاهتمام بأمر الخيل بالحفاظ على جيادها ، والحرص على صيانة أَعْرَاقها وأصولها من الهجنة والإقراف وعُرِفَ منها من اقترن اسمه بها .

٤ ــ إذَنْ لا عَجَبَ أَنْ يكونَ لهذه القبيلة في مُصَاوَلَةِ أعدائها ومجاولتهم ـ قبل ظهور الإسلام ـ ماهو مَبْعَثُ فَخْرٍ واعتزاز ، فقبيلة محدودة العدد والقوة ـ

---

(١) الآية الـ(٦٠) من سورة (الأنفال) .

توالي غاراتِها على قبائل أثْرَى منها فروعاً ، وأكثر عدداً ، بل كانَتْ تُباغِتُهَا على غِرَّةٍ في عُقْرِ دَارِها ، بغَاراتٍ جريئة ، تُعْقِبُها تِرَاتٌ فادحة .

هاهُو عمرُو بن كُلثوم التَّغْلَبِيُّ ـ سيدُ رَبيعة ـ وهُوَ هُوَ عِزَّةً ومكانةً بين سائر العرب ـ تفصل بين بلاد قومه في شرق الجزيرة وبين بلاد باهلة في أعلى اليمامة ، الفيافي والقفار الشاسعة ، إنه أشْهَرُ فاتِكٍ في عصره ، وأبرز فارسٍ بين قومه ، فمنْ ذا يَجْرَؤُ على ٱلأسَدِ في عرينه !! لقد فُوجِيءَ ـ بل فُجِعَ ـ بغارةِ كوكبة من فرسان باهلة ، فما كانت غنيمتهم سوى أعزِّ شيْءٍ ، وأنْفَس مايبذل ذالك الفارس روحَهُ لحمايته والذَّوْدِ عنه ، إنها (الرَّبَاب) ابنته وفلذة كبده !! وهو عمرو بن كلثوم الذي أبَى لِأُمِّهِ أن تُنَاوِلَ أُمَّ الْـمَلِكِ القَدَحَ (مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مُقْتَوِيْنَا) ، لقد ثارتْ فيه النخوة والأنفَةُ عند سماع كلمة (وَاذُلَّاهُ يَالَتَغْلِبَ) !! فما كان الثأْرُ سِوَى رَأْسِ مَلِكٍ يَتَدَهْدَى !! دَرْءاً للذل ، ودفْعاً للضيم !

ويأبى لك ياعمرو ـ ماعُرِفَ عنك من إبَاءٍ وشَمَمٍ أن تَتَجَرَّعَ مَرارةَ الْعَارِ بأسْرِ (النَّوَار) قادراً مختاراً ، وآه لها زفرات وأَنَّاتٍ تنبعث من فؤادِ فتاتك الغريرة ، وقد احتضنها فارس باهلة فوق جواده يَفْرِي بها كَبِدَ الصَّحراء ، جَذِلاً مسروراً ، ويطيبُ له أنْ يُنَغِّمَ مِنْ أَنَّاتِها وآهاتها وحَنِينها أَهَازِيـجَ تُرَجِّعُ صَدَاهَا غِيْلَانُ القفارِ ، على وقع حوافر الجواد ، فوق الأرض الجلد من فيافي الْـحَزْنِ والصَّمَّانِ ، وذاك الفارس الباهليُّ المنتصر الحذر جَحْلُ بن نَضْلَةَ يَهْزِجُ بأناشيده :

حَنَّتْ نَــوَارُ وَأَيُّ حِيـنٍ حَنَّتِ   وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ
لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَا مَشْرُوباً[1]   وَالْفَرْثُ يُعْصَرُ في ٱلإِنَاءِ أَرَنَّتِ

---

(١) كذا أورد النحويون كلمة (مشروبا) كما سيأتي ، ولا أرى ما يمنع أن يكون الصواب (مشروبها) ولا داعي لتكلف تعليل ماوقع في الوزن من خلل .

وما كانَ أَسْرُ النوار بالتِّرَةِ الأولى للربَعِيِّيْنَ عند قبيلة باهلة ، فأبو الأعشى الشاعر المشهور كان ممن قتلته تلك القبيلة ، ولم يستطع الرَّبَعِيُّون أَنْ يأْخُذُوْا بثأره .

٥ ـ أمَّا ماجرى بين قبيلة باهلة ـ ومعها غني ـ وبين القبائل اليمنية من الـمُجَاولاتِ فَمَثَارُ عَجَبٍ وَمَبْعَثُ استغرابٍ ، حين يتصور المرءُ قوة قبائل اليمن وكثرتها وحصانتها في بلادها .

لقد كانت قبيلةُ باهلة تُغَاوِرُ تلك القبائل فيما قَرُبَ من بلادها في أَوْدِيَةِ السَّرَاةِ الشرقية الجنوبية ، حيث تنتشر قبائل مَذْحِجَ (قحطان الآن) من بني الحارث ، ونَهْدٍ وغيرهم ، فكان الباهليون ينالون منهم ، بل كانتْ لهم اليد الطُّوْلى في بعض مجاولاتهم ، يقول شاعر باهلة في وصف إحدى الوقائع :

وَنَهْدِيَّـةٍ شَمْطَاءَ أَوْ حَـارِثِيَّـةٍ ... تُؤَمِّـلُ يُمْنَا مِنْ بَنِيْهَـا بَعِـيرُهـا
فَـآبَتْ إلى تَثْلِيْثَ تَدْمَـعُ عَيْنُهَا ... وعَـادَ عَلَيْهَا صَمْغُهَـا وبَرِيْـرُهَا

وتتحرَّقُ الحارثية أَسًـى وحَسْرةً ، مما أَصابها بقتل ذويها بسيوف الباهليين :

شَقِيقٌ وحَـرْمِـيٌّ هَرَاقَـا دِمَاءَنَـا ... وفَارِسُ هَدَّاجٍ أَشَابَ النَّوَاصِيَا

أَمَّا فَتَكاتُ الـمُنْتَشِرِ الباهلي بتلك القبائل ، فهي تدل على ما تتصف به قبيلته من جُرْأَة وشَجاعة وقوة إقدام ، وَمَا حَدِيْثُهَا بِسِـرٍّ .

٦ ـ ولم تكنْ باهلةُ بين أَخواتها من القبائل العدنانية بالضعيفة المغلوبة ، بل كان لها في كثير من مناوشاتها الطَّوْلُ ، فقد أَغَارَتْ على قبيلة ضَبَّةَ يوم سَاجِرٍ ، فقرتْ عيون الباهليين بانتصارهم في ذالك اليوم ، وقال فارسهم شَقِيقُ ابن جَزْء :

لَقَدْ قَرَّتْ عَيْنِي بِسِلًّ وَرَوْضَةِ سَاجِرٍ ذَاتِ الْعَرَار
نُكَسِّرُ فِي مُتُونِهِمُ الْعَوَالِي وَتَمْضِي السَّمْهَرِيَّةُ فِي انْئِطَار

وفي وادي تَرْجٍ الَّذِي لايزال مَعْرُوفاً عدَا أَحَدُ فُرْسَانِهِم على بِشْرِ بن أبي خَازِمٍ الأَسَدِيِّ الشاعر المشهور ، فرماه بسهم كان منه حَتْفُهُ ، قال عنه بشر :

وإنَّ الْوَائِلِيَّ أَصَابَ قَلْبِي بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ يُكْسَى لُغَابَا

وتُوُفِّيَ من أثر ذالك في الرَّدْهِ[1].

ولِبَاهِلَةَ مواقفُ مَعَ بني تميم ، لعل من أبرزها بَقَاءُ حاجبِ بن زُرارة سيد بني تميم الذي أسر يوم جَبَلَة - وهو يومٌ شاركتْ فيه باهلة مع بني عامر - فبقي في شَمَام (في العِرْض) في بلادِ باهلة عاماً يقاسي الهوان حتى دُفِعَتْ فيه فديةٌ جَزْلَة .

وحسبك بمنزلة قبيلة باهلة في القوة - لا في الهوان والضعف - أنَّ أَحَدَ فُتَّاكِهَا تَجَرَّأَ على قتل أحد سادة قُرَيش ، وهو عبدالدار بن قُصَيٍّ[2] فلم تَأْخُذْ قريشٌ بثأره من تلك القبيلة ، وقُرَيْشٌ بين قبائل العرب هِيَ هي ، سُمُوَّ منزلة ، وعُلُوَّ قَدْرٍ ، وارْتِفاع صِيْتٍ ، وما جرى بين باهلة وبين بني جَعْدَةَ بن كعب ، مما كان سبباً في تَصَدُّعِ باهلة هو تعبير عما كانت تجيش به نفوسُ هذه القبيلة من عِزَّةٍ وشَمَمٍ ، حيث لم يَرْضَ المنتشر فارِسُها المشهور حين قتل الجعديون ابنه حتى قتل ثلاثة منهم ، فأَحْدَثَ بذالك التباعُدَ بين قومه وبين بني كعب بن ربيعة ، القبيلة التي كانت باهلة قد انضمت إليها بالحلف ، وذالك بسبب

---

(١) انظر «العرب» ٤٢٢/٧ ، والرَّدْهُ على مايفهم من كلام المتقدمين يقع بقرب وادي مَنْعِج (وادي دخنة) شمال حمى ضرية .

(٢) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم : ٢٤٥ .

الجوار في المنازل ، إذْ منازلُ بني كعب بن ربيعة تقع مجاورةً لبلاد باهلة ، فبنو عُقَيْلِ بن كعبٍ في الْعَقِيْق (وادِي الدَّواسر الآن) جنوب بلاد باهلة ، وبنو قُشَيْرٍ وبَنُو جَعْدَة في الأَفْلاج ، وينتشرون على ضفاف أودية جبل العارض شرق بلادها ، وبنو العجلان وبنو نُمَيرٍ مختلطون معها في المنازل شرقاً وجنوباً .

ومما تقدم يتضح أن قبيلة باهلة في العصر الجاهلي لم تكن بالمغمورة ، المغموطة الحق بين القبائل ، ولم تكن خاملة الذكر ، أو مجهولة المنزلة .

فماذا كان شأنها في الإسلام ؟!

٧ ــ لقد أعز الله قبائل العرب بظهور الإسلام ، الذي وَحَّدَ شملهم ، وجمع كلمتهم ، وجعلهم أُمَّةً قويةً ، استطاعت بما فهمتْ وعَمِلَتْ به من تعاليم الدين الحنيف أن تُقَوِّضَ صروحَ ممالك أقوى الأمم في ذالك العهد .

ولقد بَادَرَتِ القبائلُ إلى الدخول في دينِ الله أَفْوَاجاً ، ومن ذالك قبيلة باهلة ، التي أرسل الرسول ﷺ إليها من يدعوها كغيرها من القبائل الأخرى ، وكان رسوله عليه الصلاة والسلام إليها من القبيلة نَفْسِها ، وهو صُدَيُّ بن عَجْلانَ أَبُو أُمَامَةَ ـ الباهلي ، فأسرعتِ الاسْتجابةَ للدعوة ، وانضوتْ تَحْتَ راية الإسلام ، فازدادتْ بذالك قوة وعزة إلى قوتها وعزتها .

ولقد شَرُفَ بصحبة المصطفى ﷺ من هذه القبيلة عدد كثير ، عَرَف متقدمو العلماء ممن أَلَّفَ عن الصحابة منهم نحو ثلاثين صحابياً ، وما جهلوه لايقل عن عشرة أضعاف هذا العدد ، بالمقارنة بما أحصى المتقدمون من العلماء من أصحاب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، كما ستأتي الإشارة إلى ذالك في الكلام على الصحابة من قبيلة باهلة .

ولما بَدَأَتْ جيوشُ المسلمين تتجه إلى الأقطار المجاورة لنشر الدين الحنيف ، كان من بين مشاهير المشاركين في تلك الحروب عَدَدٌ كثيرٌ من هذه القبيلة ، ممن يجد الباحث أسماءهم مفرقة في أمهات كتب التاريخ والسير ، ومنهم من سيرد ذكرهم .

كما عُرِفَ من رجالِ قبيلة باهلة عددٌ غيرُ قليل ، بَرَّزُوا في العلم وفي الأدب وفي الشعر ، وفي غير ذالك من العلوم والفنون ، ممن ستمر بك لَـمَحَاتٌ موجَزةٌ عن كثير منهم في هذا الكتاب .

وكان من أَثَرِ إِثْرَاءِ هذه القبيلة في الناحية العلمية أَنِ اتَّخَذَ عُلماءُ اللغة من لُغَتِهَا أساساً يرجعون إليه في كثير من قواعد لغة القرآن الكريم ، نَحْواً ، وصرْفاً ، وبَيَاناً .

أما منزِلَتُهَا بين القبائل الأخرى ـ بعد أَنْ أَعَزَّهَا الله بالإسلام ـ فحسبك بِعِزِّ قبيلةٍ يُطَاوِل أحدُ رجالها أقوى ملك في ذالك العهد ، بحيث لم يستطع ذالك الملك الانتقام منه إلاَّ بِحيلة(١) .

وينال من قبيلة باهلة أَحدُ أُمراءِ البصرة ، وكانت في ذالك العهد من أعظم أمصار المسلمين ، ولِأَميرها منزلةٌ سامية في نفوسهم ، فلا يحول ذالك من أن يَتَصَدَّى له باهلي فينال من قبيلته ـ مُفَضِّلاً باهِلةَ عليها(٢) ـ بأَسْوَأَ مما بدأ به ذالك الأمير .

---

(١) انظر ترجمة أبي هوذة بن شماس الباهلي وانظر كتاب «البرصان والعرجان» للجاحظ : ٩٩ و «الحيوان» : ٤٢٨/٣ .

(٢) انظر ترجمة حيان بن يزيد السهمي الباهلي .

ولا تمنع هيبة الخلافة - وهي في عنفوانها قُوَّةً وصرامةً - من أن يقف شاعرُ القبيلة عَمْرُو بن أَحْمَر ، وقد ناله حيفٌ من الخليفة يزيد بن معاوية ليخاطبه قائلاً[1] :

أَبَا خَالِدٍ هَذِّبْ خَمِيْلَكَ لَنْ تَرَى   بِعَيْنَيْكَ وَفْداً آخِرَ اللَّيْلِ جَائِيَا
ولا طَاعَةَ حَتَّى تَشَاجَرَ بِالْقَنَا   قَنـاً ورِجَالاً عَـاقِدِيْنَ النَّـوَاصِيَا

ولا مِنْ أَنْ يَجْأَر صارخاً مخاطِباً أميرَ المدينة حين نال قومه حيفٌ من عمال الزكاة وقسوة[2] :

يَا يَحْيَى يَاابْنَ إِمَامِ النَّاسِ أَهْلَكَنَا   ضَرْبُ الْجُلُودِ وعُسْرُ الْمَالِ وَالْحَسَرُ

ثم يضيف :

مِنْ مُتْرَفِيْكُمْ وأَصْحَابٍ لَنَا مَعَهُمْ   لاَ يَعْدِلُونَ وَلاَ نَأْبَى فَنَنْتَصِرُ
لَسْنَا بِأَجْسَادِ عَادٍ فِي طَبَائِعِنَا   لاَ نَأْلَمُ الشَّرَّ حتَّى يَأْلَمَ الْحَجَرُ
وَلاَ نَصَارَى عَلَيْنَا جِزْيَةٌ نُسُكٌ   وَلاَ يَهُودَ طَغَاماً دِيْنُهُمْ هَدَرُ
إِنْ نَحْنُ إِلاَّ أُنَاسٌ أَهْلُ سَائِمَةٍ   مَا إِنْ لَنَا دُوْنَهَا حَرْثٌ وَلاَ غُرَرُ

ويُقْتَلُ أَحَدُ أبناءِ هذه القبيلة في مدينة البصرة في ظروف غامضة ، فتتجه التهمة إلى قبيلة تُنَاوِئُها العداوة فلا ترضَى منها إلا بأربع دياتٍ عن ذالك القتيل[3] .

وبعد استقرار بَعْضِ الأُسَرِ خارج الجزيرة بعد أنِ انْسَاحَتْ جحافِلُ غزاة

(١) «شعر عمرو بن أحمر»: ١٧٥ .
(٢) المصدر السابق : ٩٥ .
(٣) انظر ترجمة المثلم بن مسروح الباهلي - مع الأعيان .

المسلمين ، وتمكنتْ من فتح البلادِ شمالاً وشرقاً وغرباً ، تستوطنُ إحْدَى الأُسَرِ الباهلية الجزيرةَ الفراتية ، ويبرز من رجالها ذَوُوْ قَدَمٍ ومقام في نصرة الإسلام ، وفي تأسيس قواعد الدولة . فيحظى بعضهم بتقدير الخلفاء والولاة بإسناد إدارة شؤون تلك الجزيرة إليه فلا يلبث ـ كفاءة ومقدرة ـ أن يتولى جميع شؤون السلطة فيها بحيث يتولى رئاسة قبائل قيس عيلان[1] على كثرتها وقوتها أثناءَ الحرب التي جرت بين تلك القبائل ـ ومن بينها باهلة ـ وبين قبيلة تغلب .

وحسبك من بين أولئك الرجال الذين تولوا قيادة الجيوش الإسلامية إبَّانَ تغلغلها في أقاصي المعمورة لنشر تعاليم الإسلام في ربوعها ، وإرساء قواعد العدل والإصلاح بين سكانها أمثال صُدَيّ بن عجلان (أبي أمامة) وسلمان بن ربيعة ، وعبدالرحمن بن ربيعة ، والفاتح العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي ، وغيرهم ممن خَلَّدَ التارِيخُ ـ عن جَدَارةٍ وحَقٍّ ـ جوانِبَ من بطولاتهم أثناء الفتوحات الإسلامية بما لا تتسع لذكر اليسير منه الصفحات ، بل يفرد بالمؤلفات .

إنها صفحات مشرقة ناصعة وناطقة بما كانت تتمتع به هذه القبيلة من عِزَّةٍ وإباءٍ وشَمَـمٍ ، منذُ أَنْ عُرِفَتْ في العهد الجاهلي حتى مضى صَدْرُ الإسلام ، وأوشك القرن الأول الهجري أَنْ ينتهِـيَ .

ثم قَلَبَ الدَّهْرُ ظَهْرَ الْـمِجَنِّ لهذه القبيلة التي مهما حاول الباحثُ المنقب في تاريخ العرب في خلال تلك الحقبة الماضية لِيَجِدَ لها مَغْمَزاً من المغامز التي تُسِـيْءُ إليها ، أو سِمَةً من سِمَات الذل والإهانة والضعف ، تختص بها دون

(١) انظر ترجمة عبدالعزيز بن حاتم الباهلي ـ مع الأعيان .

غيرها من قبائل العرب ، فإنه لا يستطيع أن يجد من ذالك شيئاً فيما بين يديه من كتب التاريخ والأدب وغيرهما على كثرتها .

ولكنَّ الْـمَأْسَاةَ بِفَقْدِ قتيبة بن مسلم بطل تلك القبيلة بل بطل الأمة الإسلامية كلها ، لسقوطه صريعاً بسيوف المكر والغدر والخديعة ، لم تقتصر عليه وحده ، بل كانت إِيْذَاناً بسقوط سُمْعَةِ قبيلتهِ بِأَسْرِهَا ، فَكَأَنَّ خُلُوَّ الْـمَيْدَانِ من كفاحِ ذالك البطل كَانَ مَبْدَأً لتكالُبِ قُوَى الـحِقْدِ والضغينة والكراهية ، للنيل من هذه القبيلة الكريمة ، مُنْذُ آخِرِ القرن الأول الهجري إلى زمننا هذا ، بحيث قلَّ أن تَجِدَ ذِكْراً لهذه القبيلة ، وخَاصَّةً بعد القرن الرابع الهجري إلى عهدنا ، لم يَشُبْهُ نَيْلٌ مِنْها ، وانتقاصٌ لقدرها ظلماً وعدواناً ، أو إن شئْتَ فَقُلْ : سَيْراً على طريقة ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُوْنَ ﴾ مما سَأُحَاوِلُ تَفْصِيْلَهُ في القسم الثاني من هذا الكتاب .

ملامح عن مظاهر حياة باهلة قبل الاسلام

تتشابه مظاهر الحياة ـ بمختلف أَنْمَاطها ـ بين القبائل العربية في جزيرتها في عهد ماقبل الإسلام ، فوسائل المعيشة واحدةٌ ، وحركاتُ التنقل للبحث عنها متماثلةٌ ، والروابط الاجتماعية بينها مستوحاة من آثار البيئة التي لا تدوم على حالة واحدة ، لكي ينشأ لمن يعيش فيها الهدوءُ والاستقرار ، بَلْ يحدث عن تغير أحوال المناخ مايُحْدِثُ لتلك القبائل التنقُّلَ الدافع للاختلاط أو الاحتكاك ، مما قد يكون عميق الأثر في حياتها ، قوةً وانتشاراً ، كثرة ووفرة عدد ، أو ضعفاً ينشأ في الغالب عن تشتت وتباعد بين الأصل وفروعه .

فالكيان القبليُّ يقوم ـ أَوَّلَ مايقوم ـ من تكاثر بطون القبيلة وأَفْخاذها ، ومن عمق ارتباطها بأصلها ، الذي يربطها بقبائل أخرى ، ويُهَيِّئُ لها الاستقرار ، متماسكةً في بلاد متميزة ، تسعى جاهدة للحفاظ عليها ، ثم لا تلبث بعض فروعها من الارتباط بهذه البلاد ارتباطاً أبرز مظاهره تَطَوُّرُ حياتِها إلى أسلوب يختلف عن الأسلوب البدائي المتوارث ، ثم هو في نفس الأمر يدفعها إلى أن تَتَخَلَّى عما نشأَتْ عليه من مظاهر القوة ، ومحاولة اتخاذ أَيَّةِ وسيلة من وسائل العيش والبقاء سِوَى ذالك الارتباط .

وهكذا يتضح للباحث في أحوال قبيلة باهلة في ذالك العهد ، فقد كانت ذاتَ كيانٍ متميز بأصله المتعدد الفروع ، وببلاده الخاصة به ـ سيأتي الكلام عنها مفصلاً ـ .

ولكن الملاحظ على نمط حياة هذه القبيلة مما قد تكون متميزة به عن كثير من القبائل الأخرى أمران : ـ

الأمر الأول : انفصالها هي وأختها غَنِـيٍّ ، عن أصل القبيلة الأُمِّ منذ عهد مبكر ، إذ أقرب القبائل إلى قبيلتي غني وباهلة غَطَفَانُ ، حيث يجمعُ الثلاثَ

سعدُ بْنُ قَيْسِ عَيْلان ، وغطفان منذ ذالك العهد إلى صدر الإسلام كانت مستقرةً في بلاد واسعة ، ممتدَّةٍ من حَرَّة خَيْبَرَ ، وما ينحدر منها من أوديةٍ صَوْبَ نجدٍ ، أشهرها وأعظمها وَادِي الرُّمَةِ ، حتى بلاد القصيم ، وجَبَلَيْ طَيِّءٍ ومنتشرة إلى الحدود الغربية الشمالية لِـحِمَى ضَرِيَّةَ ، حيث تفصلُ بلادُ فروع من بني كلاب كالضِّبَابِ وغيرها بَيْنَ بِلادِ غَنِـيٍّ التي تحلُّ بِلاداً غير متصلة ببلاد باهلة وبين بلاد باهلة ، بل يحل هذه البلاد المتصلة فروع من بني عامر كبني نُمَيْرٍ الـمُجَاوِرِيْنَ لباهِلَة من الشمال ومن نواحٍ أخرى .

وهذا الانفصال الذي أشار إليه المتقدمون(١)، لاشك أنه كان عميقَ الأثر في حياة القبيلتين غنـيٍّ وباهلة ، إذْ كلما قويت الصلة بين الفروع المتقاربة في النسب قَوِيَ التماسُك ، وازداد التعاون ، وبقي الكيان سليماً .

ويستطيع المتعمق في دراسة أحوال هذه القبيلة أن يدرك آثارَ ذالك الانفصال من عدة جوانب :

١ ـ أَنَّ القبيلة ببعدها عن بلاد قومها من بني سعدِ بن قيس عيلان ـ غطفان وغيرها ـ استوطنت بلاداً تحيط بها بلاد فروع قبيلة من أقوى القبائل ، وأثراها عَدَداً ، وهي قبيلة بني عامر ، فبنو نُمَيْرٍ يجاورون باهلة من الشمال ومن الشمال الشرقي ، وبنو كَعْبِ بن رَبيعة بن عامر تمتدُّ منازلهم جنوباً وشرقاً ، من عَقِيقِ بني عُقَيلِ بن كعب بن ربيعة (وادي الدَّواسِر) وبلاد الأفلاج ، حيث تستقر قُشَيْرٌ وجَعْدَةُ ابنا كعب ، وفي الجنوب الغربي تُحَادُّ بلادُ بني الْـحَرِيش والعجلان وبني نَهْمٍ الكعبِيِّنَ العامريين بلادَ باهلة ، وفي الغرب بلاد بني كلاب بن ربيعة ، بحيث أصبحتْ هذه القبيلة مطوقةً من جميع الجهات ببلاد

---

(١) «رسائل الجاحظ» من كتاب (النساء): ١٤٩/٣ .

فروع عامريَّة ، مما كان من أقوى الأسباب لتحالفها مع تلك الفروع ، وهو تَحَالُفُ غير متكافئٍ ، ألجأَتْ إليه الضرورة ، التي قد تسبِّبُ لِلْمُحَالِفِ - بكسر اللام - الخضوعَ للمحَالَفِ - بفتح اللام - ولذالك أمثلة في أشعار القدماء - كما في قول مُعَوِّدِ الْـحُكَماء الْعَامِرِيِّ الْكِلاَبِـيِّ :

سَـأَعْـقِلُهَـا وَتَحْـمِـلُهَـا غَـنِـيٌّ وأُوْرِثُ مَجْـدَهَـا أَبَـداً كِـلاَبـا

فقد كان بنو عامر يعطون أموالَ غنـيٍّ وباهلة في النوائب[1]، لما بينهم من الحلف .

وكما فعل العامريون حين حالفهم بنو عَبْسٍ ، فأنزلوهم في بلاد باهلة - قال النابغة الذُّبْيَاني عن بني عامر :

فدعْ عَنْكَ قَوْماً لاَ عِتَاب عَلَيْهِمُ هُمُ أَلْحَقُوْا عَبْساً بِأَرْضِ القَعَاقِعِ[2]

والقَعاقِع - كما يأتي - في بلاد باهلة .

لقد كانتْ حياةُ القبائل قديماً تقوم على أساس العنصرية والتعصب المبنيين على التقارب في النسب ، وعندما تَنْزِعُ قبيلة عن ذوي قرباها في النسبُ تُعَدُّ مباينةً لهم ، ولاسيما إذا حلَّتْ بلاداً تفصلها عن بلادهم منازلُ قومٍ آخرين ، يفوقونهم عدداً وقوةً ، كالحال بالنسبة لقبيلتي باهلة وبني عامر ، ونزوع بعض الفروع عن أُصُولها ليس بِدْعاً بين القبائل ، فسرعان ما تزول الأسباب ، ويعود الفرع إلى أصله بخلاف ماجرى بين باهلة وغطفان ، مما سبب للأولى

(١) «شرح ديوان الفرزدق» لمحمد بن حبيب - مخطوط على قوله :

تـعـطي ربيـعـة عـامـر أمـوالهـا في غير مـا اجـترمـوا وهم كـالأرنب

(٢) «ديوان النابغة الذبياني» : ٨٧ ط : دار المعارف بمصر .

من جَرَّاءِ استقرارها بين الفروع العامرية ، ثم محالفتها تلك الفروع محالفةَ اضطرارٍ أَلْـجَأَ إليها الضعف ، فكان هذا من أسباب سُوْءِ النظرة إلى هذه القبيلة كما قال الجاحظ[1] : وإذا تقادم الميلادُ ولم يَكُنِ الذَّرْءُ وكان فيهم خير كثير وشرف كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يسلموا من أن يُهْجَوْا أو يُضْرَبَ بهم المثل ، ولعل أيضاً أن تتفق لهم أشعارٌ تتصل بمحبة الرواة ، وأَمْثَالٌ تسير على ألسنة العلماء ، فصيَّرَ حينئذ من لاخير فيه ولا شر ، أَمْثَلَ حالاً في العامة ، ممن فيه الْفَضْلُ الكثير ، وبَعْضُ النقص ، ولاسيما إذا جاوروا من يأكلهم ، وحالفوا من لا يُنْصِفُهُمْ ، كما لقيت غنيّ وباهلة .

ويضيف الجاحظ[2] : والحِلْفُ ضربَانِ : فَأَحَدُهُما كانضمام عَبْسٍ وضَبَّةٍ ، وأَسَدٍ وغَطَفَان ، فإنَّ هاؤلاء أقوياءُ لم يُنْهَكُوا كما نُهِكَتْ باهِلةُ وغني ، لحاجة القوم إليهم ، ولِخُشُونَةِ مَسِّهِمْ إنْ تُذُكِّرُوا على حال ، فقد لقيتْ ضبةُ من سعدٍ وعبسٌ من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن مالقوا . انتهى .

ويحسن التَّمعُّنُ فيما قال قبل هذا مما يشير إلى أمرٍ جدير بالملاحظة ، وهو أَنَّ الشرفَ والضعَةَ بالنسبة إلى القبائل مُلاَزِمانِ للقوة والضعف فيهما . قال[3] : فمن القبائل المتقادمة الميلاد التي في شطرها خير كثير ، وفي الشطر الآخَرِ شَرَفٌ وضَعَةٌ ، مثل قبائل غطفانَ وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرة وثعلبة ومثل عَبْسٍ ، وعبدالله بن غطفان ، ثم غَنِيّ وباهلة ، واليعسوب والطفاوة ، فالشرفُ والخطر في عبس وذبيان ، والمبتلى والملقى والمحروم والمظلوم مثل باهلة وغني ، مما لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتى كأنهم آلةٌ لمدارج الأَقدام ، يُنْكِبُ فيها كل ساع ، ويَعْثُرُ بها كلُّ ماشٍ ، وربما ذكروا اليعسوب

(١) «الحيوان» ٣٥٧/١ .
(٢) المصدر السابق : ٣٦٢/١ .
(٣) المصدر السابق : ٣٥٩/١ .

والطفاوة وهاربة البقعاءَ وأشجع الخنثى ببعض الذكر ، وذالك مشهور في خصائص العلماء ، ولا يجوز ذالك صدورهم ، وجلُّ معظم البلاء لم يقع إلا بغني وباهلة ، وهُمْ أَرْفَعُ من هاؤلاءِ ، وأَكثرُ فضولاً ومناقِبَ ، حتى صار من لاخير فيه ولا شَرَّ عنده أَحْسَنَ حالاً ممن فيه الخير الكثير وبعض الشر . انتهى كلام الجاحظ .

ومعروف أن ضعف القبيلة يحدُثُ عندما يدركها الهرم ، وأن مراحل حياتها كحياة الإنسان نُشُوْءاً وَاكْتِمَالاً وبلوغ منتهى القوة ، يعقِب ذالك شيخوخةٌ يتخللها الضعفُ ، فَهَرَمٌ فزوال .

٢ ــ ولعلَّ مرحلةَ التحضُّرِ هي أُولى مراحل الضعف بالنسبة للكيان القبلي ، الذي يقوم على أساس حياة البداوة التي هِـي ـ بدون شَكٍّ ـ بما تتصف به من خشونة وجَلَدٍ ، وشِدَّةِ عِرَاكٍ أقوى تحملاً من الحياة الحضرية ، وكما جاء في الأثر : « إذا أَخَذْتُـمْ بِأَذْنَابِ الْـبَقَرِ وتركتم الغزو أصابكم الذل » وقول الشاعر :

الْـمُـوقِدُوْنَ بِنَجْـدٍ نَـارَ بَـادِيَـةٍ   لَا يَحْضُرُوْنَ وَفَقْدُ الْـعِزِّ في الْـحَضَرِ

ولعل قبيلة باهلة كانت من أسرع القبائل القيسية وأولها إلى مرحلة التحضر ، وهذا هو الأمر الثاني الذي قد تكون متميزة به عن القبائل المتصلة بها .

٣ ــ وقد هيأ الله لقبيلة باهلة بلاداً توفرت فيها جميع الأسباب التي تربطهم بها ، فاستقروا وتحضروا ، وانتقلوا من الحياة البدائية الأولى على مالها من محاسن ومساوئَ إلى حياة جديدة هي حياة رخاءٍ ونعمة ، ورفاهية واستقرار وتحضر ، فعاشوا في هذه الحياة وركنوا إليها ، ومن هُنَا نَالَهُم من آثارِهَا أو نالوا من تلك الآثارِ ماأعجزهم عن مشاركة غيرهم من القبائل التي لاتزال تعيش على الجلاد والكفاح ومصاولة الأَعداء .

على أنَّ صِفَةَ التحضُّرِ لم تشملِ القبيلة كلها ، بل بقيت فروع كثيرة منها على ماكانت عليه حياتها الأولى ، ولكنها قليلة ، مما اضطرها إلى التحالف ، بل دفع بعضها إلى النزوح عن مواطن القبيلة إلى أَمْكنةٍ نائيةٍ كبلاد بِيْشَةَ وغيرها ، وكان ذالك قبل ظهور الإسلام .

٤ ــ ولباهلة كغيرها من القبائل الأخرى من العادات والتقاليد ماكانَ متعارفاً عليه في ذالك العهد ، ومقبولاً بين أَهله ، وإِنْ كان غَيْرَ سائغٍ عقلاً ولا شرعاً .

فقد كانت تشارك في عبادة الأصنام حيث تعبد مع إخوتها غني وغطفان ـ كانت تعبد (الْـعُزَّى)[1] .

كما كان بنو أُمامَة وهو فرع من باهلة سَدَنَةَ (ذِي الْـخَلَصة) أَشْهَرِ الأصنام التي كانت القبائل الجنوبية تعبدها[2] .

وكان فيْها من عُرِفَ بالْكَهَانة ، فقد عَدَّ الجاحظ كاهِنَةَ باهلة في مشاهير الكهان[3] ، وكان لأحد كهانها شهرة بحيث كان يَجْرِي التحاكُمُ عنده ، وممن تحاكم إليه مالك بن نُوَيْرة اليربوعي والعذْل بن عمرو الطهوي[4] ، والاثنان من بني تميم .

هذه لمحات موجزة عن حالة القبيلة سيأتي تفصيل جوانب منها ، وخاصة ما يتعلق بأصلها وبلادها ، وبمجاولاتها مع القبائل الأخرى .

ولا أرى ما يدعو للاسترسال بما اعتاد بعض من يؤلفون عن القبائل أَنْ يتوسعوا فيه كالعادات والتقاليد ، ومختلفِ الصفات الاجتماعية ، فالقبيلة لا تختلف عن غيرها في شيْءٍ من ذالك .

---

(١) «المحبر» : ٣١٥ .
(٢) «الأصنام» لابن الكلبي : ٣٤ ط دار الكتب .
(٣) «الحيوان» ٢٠٤/٦ .
(٤) «معجم الشعراء» : ٣٠٥ تحقيق كرنكو .

صَرَاحة نَسَبٍ :

١ ـ باهلـــــــة

اسم القبيلة الذي عرفَتْ به منذ أقدم عصورها إلى هذا العهد ، ولعل من أثر اعتزاز أبنائها بهذا الاسم أن كثيراً من أَسْمَاءِ القبائل القديمة المنتشرة في بلاد العرب خَفِيَتْ وتغيرتْ ، وحل محلها غيرها سوى اسم (باهلة)، فتجد من ينتسب إليها حين يُسْأَلُ عن أصلهِ لا يذكر غيره (باهلي) مفخماً الباء ، رافعاً رأسه باعتزاز وترفع .

وباهِلَةُ ـ في الأصل ـ اسم امرأةٍ هي بنت صَعْبِ بن سَعْدِ الْعَشيرةِ مِن مَذْحِجَ ، ومَذْحِجُ يعرفون في عصرنا باسم قحطان ، ومنازلهم شرق جنوب بلاد عَسِير .

كانت باهِلة زوجة مالك بن أَعصُر ـ ويقال يَعْصُر ـ بضم الصاد فيهما ـ بن سعد بن قيس عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وأَعْصُرُ له ولدانِ هما مالك وعَمْرٌو ، فمالك هو أبو قبيلة باهِلة ، وعَمْرٌو هو أبو قبيلة غَنِيٍّ .

ومعروف أن مضر الجدُّ الثالث للقبيلتين هو الجد السادس عشر للرسول ﷺ .

ولمالك بن أَعْصُرَ أَبناءٌ ، منهم : سعدُ مناة وأمه باهلة ، ومَعْنٌ وأمه هند بنت شباب بن عبد الله بن غطفان ، وقد خَلَفَ معنٌ أباه مالكَ بْنَ أَعْصُر فتزوج باهلةَ زواجَ مَقْتٍ ، وكان هذا الزواج متعارفاً في الجاهلية حتى أَنْزل الله سبحانه وتعالى تحريمَه بقوله جلّ ذكره : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَانَكَحَ آباؤُكُم مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[1].

---

(١) الآية الـ(٢٢) من سورة (النساء) .

وقد أَتَتْ باهِلةُ منْ مَعْنٍ بابْنَيْن هما : أَوْدُ وجِئَاوة ـ ويقال جاوة بغير هَمْزٍ ، وقد تبدل الهمزة عيناً فيقال جِعَاوة ـ .

ولِـمَعْنٍ من غير باهلة أبناءُ هم : شَيْبانُ وهو فَرَّاصُ ، وزَيْد ، وهو لَحْيَان ، والحارث ، وهو لَيْلٌ ، وحرب وَوُهَيْبَةُ وعَمْرٌو ، وأمهم أَرْنَبُ بِنْتُ شَمْخِ بنِ فَزَارة .

ومن أبناءَ مَعْنٍ أيضاً : قُتَيْبةُ وقَعْنَبُ ، وأُمُّهُما سَوْدَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، ولكن باهلة حضنتْ كُلَّ أَبناءِ معْنٍ ، فغلبتْ عليهم ، فَنُسِبُوا جميعاً إلى باهلة .

ويُقال في اسم القبيلة : باهلةُ بن أعصر ، يُذَكَّرُ (ابن) فيراد الْـحَيُّ ، ويقال : باهلة بنت أعصر ، كما يقال : تَمِيم بنتُ مُرٍّ ، بالتأنيث بقصد القبيلة سواء كان الاسم في الأصل لرجل أو لِإمْرأة .

ولكلمة (بَهَلَ) وما اشتق منها معانٍ كثيرة ، لا داعي للتوسع في إيرادها ، ومنها : الباهلة ٱلأَيِّـمُ من النِّسَاء ، قال الفرزدق :

غَدَتْ مِنْ هِلاَلٍ ذَاتُ بَعْلٍ سَمِيْنَةٌ   وعادَتْ بِثَدْيٍ بَاهِلِ الزَّوْجِ أَيِّـم

وناقة باهِلٌ ، لاَ صِرَارَ على أخلاَفِها ، أو لاَ خِطامَ عليها ، طَلْقٌ تَسِيرُ حيث شاءتْ ، أو غُفْلٌ لا سِمَةَ عليها لِأَحَدٍ .

والنِّسْبَةُ إلى باهلة باهليٌّ ، وقد تكون هذه النسبة إلى غير باهلة القبيلة ، كما جاء في كتاب «سير أعلام النبلاء»[1] قيل : إنه أُحْضِرَ إلى الـمُعِزِّ بمصر كتابٌ فيه شهادة جَدِّهِم عبيد الله بِسَلَمِيَّة . وفيه : كتب عبيد الله بن محمد بن عبدالله الباهلي ، فقال : نعم هذه شهادة جَدِّنا ، وأراد بقوله (الباهلي) أنه من أَهْل

(١) - ١٥/١٦٤ .

المباهلة لا أَنَّهُ من باهلة . انتهى . والمباهلة الملاعَنَة وهي اجتماع القوم إِذَا اختلفُوا في شيْءٍ فيقولوا : لعنة الله على الظالم مِنَّا .

ولئلا يلحظ في استعمال اسم القبيلة مُؤَنَّثاً ضَعْفُ أَوْ ضَعَةٌ ، تحسُنُ الإشارة إلى أن كثيراً من القبائل العربية تضافُ وتُنسب إلى أُمَّهاتها ، وما كانت ترى في ذالك أيَّ مساس بِعِزِّها وشرفها ، ومن ذالك من قبيل التمثيل لا الحصر - :

بَجِيلَةُ : - بفتح الباء وكسر الجيم - وهي ابنةُ صعب بن سعد العشيرة ، من مَذْحج ، على ماذكر ابن الكلبي في «جمهرة النسب»[1]، وهي أم أَشْهَل ، وشَهْلٍ ، وطَرِيفٍ، وسُمَيَّةَ - رجل - والحارث، وخُدعَة أبناء أَنْمَارِ بن إِرَاشٍ فَنُسِبَ أؤلئك الأَبْنَاء إليها ، وعُرِفوا بذالك الاسْم ، ومن مشاهيرهم الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي[2] .

جَدِيلةُ : بِنْتُ سُبيع بن عَمْرٍو ، من حِمْيَرَ ، وهي أُمُّ جُنْدَبٍ وَحُورٍ ابني خارجة بن سعد بن فُطْرَةَ بن طَيِّءٍ ، وقد أصبحتْ جديلةُ طَيِّءٍ من أَثْرَى فروع القبيلة وأشهرها ، ونَبُهَ ذكرها وارتفع أثناءَ حروب الردة برئاسة ثمامة بن أوس ابن لأْمٍ[3].

حُدَيْلَةُ : - بضم الحاء المهملة - بِنْتُ مالك بن زَيْد مناة ، من الخزرج[4]، ينسب إليها بنوها ، وهم : بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النَّجَّار ، ومنهم : أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الصحابي الجليل ، وغيره .

(١) «مختصر جمهرة النسب» - ٣١٠ - مخطوطة خزانة راغب باشا في اصطنبول .
(٢) وانظر عن بجيلة كتاب «في سراة غامد وزهران» .
(٣) قسم شمال المملكة من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»: ١٩٧/١ .
(٤) «مؤتلف القبائل ومختلفها» و«الإيناس» ٣١٠/١٢٥ .

خِنْدِفُ : لقبُ ليلَى بنت حُلْوَان بنِ عمران بن الحاف بن قضاعة ، امرأة الياس بن مضر ، أُمُّ أبنائِهِ مُدْرِكَةَ وطابِخَة وقَمَعَة .

ولتعليل هذه الأسماء عند علماء اللغة ما يرجع فيه إلى كتبهم ، ولايزال اسمُ خِنْدِفَ يشمل عدداً من القبائل المتحالفة من القحطانيين والعدنانيين منذ أقدم العصور إلى هذا العهد ـ في مقابل (شبابة) ـ .

سَحْمَـةُ : بنتُ كعب بن عَمْرٍو ـ من غَسَّانَ ـ أم كعب وبكر والعُكَامِس ، بنو عوف بن عامر الأكبر ، من كَلْبٍ ، بها يعرفون[١] .

سَلُوْلُ : بنت ذُهْلِ بن شيبان بن ثعلبة ، وهي أُمُّ بني مُرَّةَ بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، بها يعرفون[٢] .

عَادِيَـة : أم بني عادية عبدالله والحارث ابنا صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، بها يعرفون[٣] .

عَدَسَـةُ : بِنْتُ حَصْفِ بن الحِرْمز ـ من طَيِّءٍ ـ أم كثير والحارث ابني عمرو ابن ثمامة بن مالك بن جَدْعَاءَ ، من طَيِّءٍ ، بها يعرف أبناؤُهما[٤] .

عَدَسَـةُ ـ أيضاً ـ : أم مالك والرَّمَّاح والـمِشَظِّ وَهو عوفَ والـمُذَمَّـمِ ، بنو عوف بن عامر من عُذْرَة من كلْبٍ ، بها يعرف بنو عَدَسَة[٥] .

قَيْلَـةُ : بنت كاهِلِ بن عُذْرَةَ من قُضَاعة ، وقيل : قَيْلَةُ بنت الأرقم بن

(١) «مؤتلف القبائل ومختلفها» و«الإيناس» : ٣١١/١٨٧ .
(٢) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ٦٤/٢ تحقيق محمود فردوس العظم .
(٣) «مؤتلف القبائل ومختلفها»: ٣٣٠ .
(٤) «الإيناس»: ٢٠٤ .
(٥) «مؤتلف القبائل ومختلفها»: ٣٤٥ .

عمرو بن جفنة ، أُمُّ الأَوْس والـخَزْرج وهما الأنصار - أنصار النبي ﷺ[1].

مَـجْـــدُ : - بفتح الميم وإسكان الجيم بعدها دال مهملة - ومجد علم[2] لامرأة هي بنت تيم بن عامر بن لؤي ، وأبناؤها كلاب وكعب وعامر وكليب بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ينسبون إلى أمهم ، وقد ذكرها لبيد في مقام الإفتخار :

سقى قـومي بني مجـد واسقى   نمـيرا والقبـائـل من هـلال

مُزَيْنَـة : بنت كَلْبِ بن وَبَرَة ، أُمُّ عثمان وأَوْسِ ابْنَيْ عُمْرِو بن أُدٍّ بن طابخة ، بها يعرفون[3].

هذه أَمْثِلةٌ للقبائل التي عُرِفَتْ باسم أُمَّهَاتِها ، ولا يتسع المجال لإيراد أكثر من ذالك ، وما كانت العرب ترى غضاضة في إطلاق الاسم المؤنث على القبيلة أو حتى على الرجل ، ولايزال يعرف في عهدنا من أسماء القبائل : جهينة وسلول ومزينة وغيرها .

وكان من المعروف إلى عهد قريب أن أشهر مرافقي الملك عبدالعزيز - رحمه الله - من رجال البادية من كان ينسب إلى أمه كَمُطلق ابن الْـجَبْعاءِ ، من رؤساء قبيلة مُطَيْرٍ ، ونافع بن فَضْلِيَّةَ ، من رؤساء قبيلة حَرْبٍ ، وماجد بن خُثَيْلَةَ ، من رؤساء قبيلة الْـمُقَطَةِ ، وغيرهم ، بل كان من أشهر فرسان العرب في القرن الثاني عشر بُنَيَّةُ الجَرْبَاءُ شيخ قبيلة شَمَّر[4].

---

(١) «المعارف» لابن قتيبة: ١٠٩ و«مختصر جمهرة النسب» لابن الكلبي مخطوطة راغب باشا : ١٨٣ .

(٢) «تاج العروس» رسم (مجد) و«ديوان لبيد» ٩٣ .

(٣) «الإيناس»: ٢٦٥/١١٦ .

(٤) انظر ترجمته في كتاب «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود» لايزال مخطوطاً .

وليس من المستبعد أَنْ يزْعُمَ زَاعِمٌ أَنَّ الانتساب إلى الأم عند العرب أوثق وأقوى في صحة النسب ، مستدلاً بذالك ، ومؤيداً له بخبر سؤال الْـمَلَكَيْنِ للمرء في القبر حين ينسبانه إلى أُمِّهِ (يافلان بن فلانة) كما فعل ذالك العلج الحاقد على العروبة حين اتخذ من كثرة أَسْمَاءِ الحيوانات في أصول الأَنْساب دليلاً على أنها كانت في الأَصْلِ معبوداتٍ لتلك القبائل ، ثم انْتُسِبَ إليها ، كالحال عند بعض زنوج افريقية من عبدة الوحوش[1].

والأمر الذي لا مِرْيَةَ فيه أَنَّ الاسم المؤنَّث لا يترتب على إطلاقه أية منقصة :

فَمَا التَّأْنِيْثُ لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ   وَلَا التَّـذْكِيْرُ فَخْـرٌ لِلْهِـلَالِ

نكـــاح المقـــت

ولئلا يُتَّخَذَ من فَعْلة مَعْنِ بن مالك بن أعصر - حين خلف أباه على امْرأَته باهلة فأتت منه بأولاد - وسيلة للنيل من قبيلة باهلة ، واعتبار تلك الفعلة منقصة خاصة بها ، يحسن الوقوف وقفة قصيرة لإيضاح أمور تنفي ذالك :

١ ــ كان الفعل حدث في الجاهلية ، ومعلومٌ أنَّ كثيراً من أفعال أهل الجاهلية أبطلها الإسلام ، وكانوا يرتكبون أنواعاً من المحرمات ، أشدَّ من ذالك ، منها الشرك بالله .

٢ ــ أن زواج الأبناءِ بنساءِ آبائهم كان شائعاً بين العرب في الجاهلية ، ولا يرون في ذالك أَيَّةَ غضاضَةٍ ، حتى جاء الإسلام فأَبطله ، بحيث جرى بين القبائل المشهورة كقبيلة قريش وقبيلة الأنصار - الأوس والخزرج - وغيرهما . ساق ابن كثير في تفسيره[2] عن أبي حاتم بسنده : لما تُوُفِّـيَ أَبُو قيس بن

(١) انظر «الطوتمية عند العرب» لجرجي زيدان في الرد على مرجليوث .

(٢) في تفسير قول الله عز وجل : ﴿ ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء ﴾ الآية الـ (٢٢) من سورة (النساء) .

الأسلت ، وكان من صالحي الأنصار ، خطب ابنه قيس امرأَتَهُ ، فقالت : إنما أَعُدُّكَ وَلَداً ، وأنت من صالحي قومك ، ثم أَتَتْ الرسولَ ﷺ فقالت : إنَّ ابنَ قيس خطبني وهو من صالحي قومه ، وإِنَّمَا أَعُدُّه ولداً ، فقال لها : «ارجعي إلى بيتك» . قال : فنزلت : ﴿ ولاَ تَنْكِحُوا مَانَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ، ثم سَمَّى ابنُ كثيرٍ بعض من خَلَفُوا آباءَهُمْ على نسائهم ، ومنهم الأسود بن خلف ، وصفوان ابن أمية ، من قريش ، ونقل عن السُّهَيْلي أنَّ نِكَاحَ نِسَاءِ الآباء كان معمولاً به في الجاهلية ، ولهذا قال : ﴿ إلَّا مَاقَدْ سَلَفَ ﴾ ، قال : وقد فعل ذالك كنانةُ بن خزيمة تزوج بامرأة أبيه ؛ فأولدها ابنَهُ النَّضْرَ بن كنانة[1]، وقد قال ﷺ : « ولدتُّ مِنْ نِكاح لامن سفاح » . قال : فدل على أنه كان سائغاً لهم ذالك ، فأراد أنهم كانوا يَعُدُّونَهُ نكاحاً . انتهى ملخصاً .

مما تقدم يتضح أَنَّ ٱلأَمْرَ ليسَ خاصًّا بقبيلة باهلة ، وإنما هو عام منتشر بين قبائل العرب .

٢ ـ ابنــا يَعْصُــــر

وعُرِفَتْ باهلةُ وغَنِـيٌّ باسمين آخرين ، أحدهما في مقام الثناء وهو ابنا يَعْصُرُ ، أو أَعْصُر ، وأَعْصُرُ على لفظ جَمْعِ عَصْرٍ ، لَقَبُ مُنَبِّهِ بن سعد بن قيس عيلان ، لُقِّبَ به لقوله[2]:

قَالَتْ عُمَيْرَةُ: مَالِرَأْسِكَ بَعْدَمَـا ... نَفَدَ الشَّبَابُ أَتَى بِلَوْنٍ مُنْكَرِ ؟
أَعُمَـيْرَ إِنَّ أَبَـاكِ غَــيَّرَ رَأْسَـهُ ... مَرُّ اللَّيَالِـيْ وَاخْتِـلَافُ الأَعْصُرِ

(١) «المعارف» ١١٢ : (كانت برة بنت مُرٍّ أختُ تميم بن مُـرٍّ تحت خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، فخلف عليها ابنه كنانة فولدت له النضر بن كنانة وغيره من ولده إلا عبد مناة بن كنانة) .
(٢) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ١/١٠٧ ـ تحقيق العظم و«لسان العرب» (عصر) .

وتبدل الهمزة ياءًا ، فيقال : يعصر ، ولهذا أمثلةْ في لغة العرب ، وقال جرير في مدح القبيلتين[1] :

وَحَيَّيْ آلِ يَعْصُرَ قَـدْ بَلَوْتُمْ   فَلاَ كُشُفُ اللِّقَاءِ وَلاَ الْـجَنَانِ

٣ ـ ابنـــا دُخَـــان

والاسم الثاني الذي يطلق على القبيلتين ولكنَّ إطلاقه في مقام الذمِّ أكثر ، هو: ابنا دخان، نقل البلاذري عن ابن الكلبي قوله[2]: وأَعْصُرُ يسمَّى دُخَاناً ، فيقال لغني وباهلة : ابنا دخان ، حدثني رجل من غَنيٍّ يقال له طارق ابن حمزة : قال : كان رجلٌ من ملوك اليمن في أول الزمان يُغِيرُ على مَعَدٍّ ، وكان مُسَوَّراً[3]، فأغار عليهم ثم انتهى بجمعه إلى كهف فدخل فيه ومن معه ، وتبعه بنو مَعَدٍّ ، فجعل مُنَبِّهُ يُدَخِّنُ عليهم ، فَسُمِّيَ دُخَاناً ، فهلك الملكُ وأصحابه ، وفي ذالك يقول منصور بن عكرمة بن خصفة :

إنَّـا وَجَـدْنَـا أَعْصُرَ بْنَ سَعْـدِ   مُيَمَّـم الْبَيْتِ رَفِيْـعَ الْـمَجْـدِ
أَهْلَكَ ذَا الأَسْوَارِ عَنْ مَعَدِّ

ونقل الجوهري في «الصحاح»[4]: أنَّ ابْنَيْ دُخَانٍ غَنِيَّ وباهلة ، وأنهم سُمُّوا به لأنهم دخنوا على قوم في غار ، فقتلوهم . ونقل صاحب «اللسان» عن ابن بَرِّي : إنَّما سُمُّوا بذالك لأنه غزاهم ملك من اليمن ، فدخل هو وأصحابه

(١) انظر «ديوان جرير» : ٥٩١/٢ تحقيق د. نعمان محمد طه .
(٢) «أنساب الأشراف» نسب غني و«مختصر جمهرة النسب» لابن الكلبي .
(٣) في كتاب «نقائض جرير والأخطل» ص ٣٠ : كان يقال لَهُ ذُو الأسوار .
(٤) رسم (دخن) .

في كهف ، فنذرتْ بهم غني وباهلة فأخذوا باب الكهف ، ودخنوا عليهم حتى ماتوا ، وفي «الأغاني»[1] في خبر إغارة زيد الخيل النبهانِـيِّ الطائيِّ على بني عامر : فاستحرَّ القتل في غنيٍّ بن أَعْصُر ، ومالك بن أَعْصُر ، وأَعْصُرُ هو الدُّخَان ، ولذالك قيل لهما ابنا دخان . انتهى . هذا ماذكر العلماء المتقدمون في سبب إطلاق هذا الاسم على القبيلتين ، وهو سبب يزيدهم عِزًّا ورفعة ، حيث انتصفوا من عدوهم . ولكن الشعراء كثيراً ماحاولوا إبراز المحاسن مساوِيَ ، فقد اتخذ الفرزدق والأخطل من ذالك الاسم وسيلةً لهجاء القبيلتين فقال الأول في هجاء الأصم الباهلي[2] :

أَأَجْعَـلُ دَارِمـاً كَـابْنَيْ دُخَـانٍ وَكَـانَـا في الْغَنِيْمَـةِ كَـالـرِّكَـابِ
وَمَـاأَحَـدٌ مِنَ ٱلْأَقْـوَامِ عَـدُّوْا فُـرُوْعَ ٱلْأَكْـرَمِـيْنَ إِلَى الـتُّرَابِ

وقال الأخطل :

تَعُـوذُ هَـوَازِنٌ بِـابْنَيْ دُخَـانٍ لَعَمْـرُكَ إِنَّ ذَا لَهُـوَ الشَّنَـارُ

وفي شرح «شعر الأخطل»[3] : يقصد بابني دخان غَنِيًّا وباهلة ابنا أَعْصُرَ ، وكانوا يسبون في الجاهلية بذالك . انتهى .

والواقع أن ذالك الاسم ليس سُبَّةً لهم كما يتضح مما تقدم ، ولكن الشعراء قد يتخذون من التلاعب بالألفاظ وتأويلها وِفْقَ مايريدون وسائلَ للنيل ممن يهجون ، كما قيل في العسل :

---

(١) «الأغاني» ج ٨ ص ٢٣٣ ط (دار الكتب المصرية) .
(٢) «ديوان الفرزدق» .
(٣) : ١٣٢ .

تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ   وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ: ذَا قَيْءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحاً وَذَمًّا وَمَاجَاوَزْتَ وَصْفُهُمَا   وَالْـحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيْهِ سُوْءُ تَعْبِـيْرِ

ولايزال اسم دخانٍ باقياً في باهلة إلَى هذا العهد ، كما ستأتي الإشارة إلى ذالك في الكلام على فروع باهلة في العصر الحاضر .

٤ ـ الصّادِحَـــــانِ

لما ذكر صاحب «تاج العروس»(١) ابني يَعْصُر ـ غني وباهلة ـ أضاف : ويلقب يَعْصُر أيضاً الصادحان على ماذكر ابن الكلبي ، ولم أهتد إلى معنى الكلمة ، وقد تكون تصحيف (الصريحان) لأن القبيلتين بَقِيَتا صَرِيْحَتَي النَّسَب ، لَمْ يُخَالِطْهُمَا أَحَدٌ بِحِلْفٍ أو انْتسَابٍ .

طُرْفَـةٌ : وَأَسُوقُ هذه الطُّرْفَةَ لدفع سَأَمِ الْقَارِئ منْ جفَافِ البحث :

قال أبو العباس(٢): وحدثني عَمْرُو بن بَحْرٍ قال : أتيت أبَا الرَّبيع الغنويَّ ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم ، ومعي رجل من بني هاشم ، فقلت : أأبو الرَّبيع هاهنا ؟ فخرج إليَّ وهو يقول : خرج إليك رجل كريم ، فلما رأى الهاشميَّ استحيا من فخره بحضرته ، فقال : أَكْرَمُ الناس رديفاً ، وأشرفهم حَلِيفاً ، فتحدثنا مليًّا ، فنهض الهاشمي ، فقلت لأبي الربيع : ياأبا الربيع مَنْ خَيْرُ الخلق ؟ فقال : الناس ، والله ، فقلت : مَنْ خَير الناس ؟ قال : العربُ والله ، فقلت : مَنْ خَيْرُ العرب ؟، قال : مُضَرُ والله ، قلت : فمن خير مضر ؟ قال : قَيْسٌ والله ؟ قلت : فمن خَيْرُ قَيْسٍ ؟، قال : يَعْصُرُ والله ،

---

(١) : رسم (عصر) .
(٢) «الكامل» ـ الجزء الثاني ـ ص ٢٠٥/٢٠٦ ـ .

قلت : فَمن خير يَعْصُرَ ؟ قال : غَنِـيٌّ والله ، قلت : فمن خَيْرُ غَنِـيٍّ ؟ قال : المُخَاطِبُ لك والله ، قلت : أَفَأَنْتَ خَيْرُ الناس ؟ قال : نَعَمْ إِي والله ، قلت : أَيَسُرُّكَ أن تحتك بِنْتُ يزيد بن الْـمُهَلَّب ؟ قال : لا والله ، قلت : ولك أَلْفُ دينار ، قال : لا والله ؟ قلت : فألفا دينار ؟ قال : لا والله ، قلت : ولك الجنة ، فأطرق مُكِبًّا ثم قال : على أن لاَ تَلِدَ مِنِّي ، وأنشد :

تَـأْبَى لِأَعْصُرَ أَعْـرَاقٌ مُهَـذَّبَـةٌ مِنْ أَنْ تُنَاسِبَ قَوْماً غَيْرَ أَكْفَاءِ
فإِنْ يَكُنَّ ذَاكَ حَتْماً لاَ مَرَدَّ لَهُ فَـاذْكُر حُـذَيْفَ فَإِنِّي غَـيْرُ أَبَّاءِ

وقوله : (أكرم الناس رَدِيْفا) فإِنَّ أَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ كان رديفَ رسول الله ﷺ .

وقوله : (وأشرفهم حليفاً) كان أبو مَرْثَدٍ حليفَ حَمْزَةَ بنِ عبدالمطلب .

وقوله : (فاذْكُر حُذَيْفَ)، أراد حذيفةَ بن بدر الفزاري ، وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً ، وذاك يَعْصُرُ بن سعد بن قيس ، وهاؤلاء بنو ريث بن غطفان بن سعد بن قيس .

تفريع نسب باهلة

كما ورد في كتب متقدمي العلماء

لعل أوثق وأشمل من ألف عن أنساب العرب في عصورهم القديمة محمد بن السائب الكلبي ، ثم ابنه هشام الذي ورث علم أبيه ، وأضاف إليه ، ودوَّنه وجمعه في مؤلفات وصل إلينا بعضها ، في تلك الأصول من المؤلفات التي دونها ، وبعضها بطريق رواة عاصروه فنقلوها عنه ورووها ، وها هو نص ماورد في تفريع نسب باهلة من كتاب «جمهرة النسب» من كتب هشام ، برواية محمد ابن حبيب ، مع إضافات أوردها البَلاَذُرِيُّ في كتابه «أنساب الأشراف» وقد نقل جُلَّ ماذكره ابنُ الكلبي بغير رواية ابن حبيب ، وأضاف إليه إضافاتٍ أخرى ، بحيث يُعَدُّ كتاب البلاذري كالشرح لكتاب ابن الكلبي .

ومعروف أن قبائل العرب في العصور المتأخرة تنتمي إلى جِذْمَيْنِ هما : عدنان ، وقحطان ، أما قضاعة فيختلف النسابون في نسبتها إلى أيِّ الجذمين المتقدمين ، وإن رَجَّحَ الهمدانيُّ وغيره من نساب اليمن أنها من حِمْيَرَ من قحطان .

ومن عدنان : تفرعت القبائل العدنانية ، فكان منها ربيعةُ ومُضَرُ وإيَادُ وأنمار .

ومن مُضَرَ : الياسُ وقَيْس عيلان ، واسمه (الناس) ومن قيس عيلان سعدُ ابن قَيْسٍ ، ومن سَعْدٍ هذا غطفانُ ، وأَعْصُرُ ، واسمه مُنَبِّه ، ومن أَعْصُرَ بَاهِلةُ وغَنِـيٌّ ، فأقرب القبائل إلى باهلة أختها غني ، وكانوا قديماً مجتمعين متناصرين على عدوهم ، دارهم واحدة، وكلمتهم واحدة . ويظهر أن كثرة تفرع القبيلتين سبب التفرق .

ولد مُنَبِّهُ ـ وهو أَعْصُرُ بنُ سعدٍ ـ مالكاً وعَمْراً ـ وهو غَنِـيٌّ ـ وأمهما مُلَيكة

بنت ناشج بن وادعة من همدان ، وثعلبة وعامِراً ومعاوية ، وأمهم الطُّفَاوَة بنت جَرْمِ بن رَبَّانَ ، بها يعرفون .

قال الكلبي - بعد هذا : ولد أَعْصُر أَيضاً حِبَالاً ، فولد حِبَالُ بن أَعْصُرَ جَرِيًّا ، وسَرِيًّا ، وسناناً ، وأمهم الطفاوة .

فولد مالك بن أَعْصُرَ سَعْدَ مَناة ، وأُمُّهُ باهِلةُ بنت صعب بن سَعْدِ الْعَشِيرة من مَذْحِجَ ، ومَعْناً ، وأمه هند بنت شَبَاب بن عبدالله بن غطفان .

فولد مَعْنٌ أَوْداً وجِئَاوَة ، قال عبَّاسٌ : جَاوة بغير همزٍ ، وجعاوة ، وأُمُّهُمَا باهلة ، خَلَفَ عليها مَعْنٌ بَعْدَ أَبيهِ - نِكَاحَ مَقْتٍ - وشَيْبَان وهو فُرَّاصٌ ، وَزَيْداً ، وهو لِحْيَانُ ، ووائلاً ، والحارثَ وهُوَ لَيْلٌ ، وحَرْيا وَوُهَيْبَةَ ، وعَمْراً ، وأمهم أَرْنَبُ بنتُ شَمْخِ بن فزارة ، وقُتَيْبَةَ ، وَقَعْنَباً ، وأمهما سَوْدَةْ بنتُ عمرو ابن تميم ، فحضنتهم كلهم بَاهِلَةُ فغلَبَتْ عليهم باهلة .

فولد قتيبة بن مَعْنٍ الحارِثَ وغَنْماً ، وأُمهما السوداء بنت أُسَيِّدِ بن عَمْرِو بن تميم .

فولد غَنْمُ ثَعْلَبَة ، وكَعْباً ، وعَبْداً ، وعَمْراً .

فولد ثَعْلَبَةُ بنُ غَنْمٍ عَمْراً ، فولد عَمْرُو بنُ ثَعْلَبَةَ ثعلَبَةَ ، وسَهْماً ، وعامِراً .

منهم حاتَمُ بن النُّعْمَانَ بن عُمْرِو بن جابر بن عمَّارَة بن عبدِ الْعُزَّى بن عامر ابن عمرو بن ثعلبة بن غَنْمِ بن قُتيبة بن مَعْن ، كان سَيِّدَ أَهْلِ الجزيرة(١) ، وابنه عبدُالعزيز كان سَيِّداً . زاد البلاذرِيُّ : وولَّى معاويةُ حاتِـمَ بن النعمان أرمينية ، ثم عبدالله ابنه ، فمات بها في أول أيام يزيد ، ثم ولى يزيد عبدالعزيز ابن حاتم أرمينية . . . وحصنها ، وقال الواقدي : بنا عبدالملك بَرْذَعَة على يد حاتم بن النعمان أو ابنه ، وولَّى عمرُ بن عبدالعزيز أُرمينية بعضَ ولد حاتم بن

(١) الجزيرة الفراتية المتصلة بالشام والعراق بين دجلة والفرات .

النعمان ، وروى أبو اليقظان أنَّ حاتماً فتح هراة أيام ولاية عبدالله بن عامر بن كُرَيْزٍ خراسان . وذكر أن عبدالعزيز بن حاتم كان على حرب قَيْسٍ أيام قاتلوا بني تَغْلِب ، وكان يقال له : أَصَمَّ باهِلة ، وكان عبدالملك بن حُميد كاتب أبي جعفر أمير المؤمنين مولاهم . انتهى .

ومنهم الأَحْدَبُ بنُ عَمْرِو بن جابرِ بن عَمَّارة بن عبدالعزى بن عامر بن عمرو ابن ثعلبة بن غَنْمِ بن قتيبة الذي أَخَذَ عِفَاقَ بن مُرَيٍّ بن سَلَمة بن قُشَيْر فشواه وأكله ، فقال الشاعر :

إنَّ عِفَـاقـاً أَكَـلَتْـهُ بَـاهِـلَهْ   تَمَشَّشُـوا عِـظَامَـهُ وَكَـاهِـلَهْ
وَتَرَكُوا أُمَّ عِفَاقٍ ثاكِلَهْ

وَنَاسٌ مِنْ بَنِـي فَرِيرِ بن عُنَيْنٍ مِنْ طَيِّءٍ جاورتْهُمْ امرأةٌ من بني تميم ، فأصابتهم سَنَةٌ فأكلوها ، وقوم من هُذَيْلٍ أكلوا جاراً لهم في سنةٍ أصابتهم ، وأكلَ بنو عُذْرَةَ أَمَةً لهم .

ومن بني سَهْمِ بن عَمْرِو بنِ ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن : سَلْمَانُ بنُ رَبيعةَ بنِ يزيد بن عَمْرِو بن سهم بن عمرو بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة . ومن زيادات البلاذرِيِّ : كان يقال له سلمان الخيل ، وَجَّهَهُ عثمانُ بن عفان رضي الله عنه إلى أرمينية ، ففتح بها فتوحاً كثيرة ، ولقي خاقانَ عظيمَ الْـخَزَر ، وهو في خيوله خلف نهر الْبَلَنْجَرِ ، فَقُتِلَ في أربعة آلاف من المسلمين ، وكان سلمانُ أول من اسْتُقْضِـيَ بالكوفة ، فأقام أربعين ليلة لا يأتيه خصم ، وروَى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفيه يقول ابن جُمَانَةَ الباهليُّ :

وَإِنَّ لَنَـا قَبْـرَيْنِ قَـبْرَ بَلَنْجَـرٍ   وقَبْراً بِصِينِ اسْتَانَ يَالَكَ مِنْ قَبْرِ

يعني قبر قتيبة .

وكان الذي جاء بنعيه إلى عثمان قرظَةُ بن كعب الأنصاري ، وكان سلمان وحبيب بن سلمة وُجِّهَا في وَجْهٍ لمحاربة الْعَدُوِّ ، فتنازعا الإمارة ، فقال بعض أهل العراق لأهل الشام ، وكانُوا قد هَمُّوْا بسلمان :

إنْ تَقْتُلُوا سَلْمَانَ نَقْتُلْ حَبِيْبَكُمْ وَإِنْ تَرْحَلُوا نَحْوَ ابْنِ عَفَّانَ نَرْحَلِ

وقال أبو اليقظان : يقال لقوم سلمان : الكواسجة . قالوا : وعرض سلمانُ الخيلَ ، فقال لفرس منها : هذا هَجِينٌ ، فقال عَمْرُو بن مَعْدِيْ كَرِبَ : هو عَتِيْقٌ ، فدعا بِطَسْتٍ فيه ماءٌ وسَقَى الخيلَ ، فثنى ذالك الفرسُ يَدَهُ ، وكذالك تفعل الْهُجُنُ ، فقال عَمْرُو : إنَّ الْهَجِيْنَ يَعْرِفُ الْهَجِين ، فبلغ ذالك عُمَرَ بن الخطاب ، فقال لِعَمْرٍو : بلغني ماقلتَ لِأَمِيْرِكَ ، وعندك سيفٌ تُسَمِّيهِ الصَّمْصَامَةَ وعندي سيف أُسَمِّيْهِ مُصَمِّماً ، فإن سَرَّكَ أَنْ أَضَعَهُ على رأسك حتى أَبْلُغَ جاعِرَتَك فَعُدْ !!

وكان سَلْمَانُ يقولُ : مَنْ حَسُنَتْ مُدَارَاتُهُ الناسَ سُلِمَ منهم ، وحَسُنَ عَيْشُهُ مَعَهُمْ .

ومنهم أَبُو أُمَامَةَ وهو صُدَيُّ بن الْعَجْلانِ ، صحبَ النبي ﷺ - قال البلاذرِيُّ : وصحب النبي ﷺ وروَى عنه ، وكان ممن توجه إلى الشام في أيام أبي بكر غازياً ، ومات سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

ومنهم بَكْرُ بن حبيب ، ويكنى أبا سهل ، ولي السُّوْسَ لابْنِ هُبيرة ، ودعاه إلى عمل وَوَلَّاهُ السوس فأباه، وقال: العنوق بعد النوق (؟) ومات بالبصرة ، وكان عبدالله بن بكر بن حبيب مُحَدِّثاً ، ومات ببغداد سنة سبع ومئتين .

وولد عبدُ بْنُ غنمٍ سَعْداً وعَمْراً ومنقذاً .

فولد سعد أَعَيَا وصَحْباً . قال البلاذري : منهم حرِّيُّ بن حرِّيٍّ بن رِيَاح بن عمرو بن عَبْشَمْسِ بن أعيا بن سعد بن عبد بن غَنْم بن قتيبة بن معن ، وابنه عبدالرحمن بن حَرِّيِّ بن حَرِّيٍّ بن رياح بن عمرو ، كان سنان بنُ سلمة بن الْـمُحَبِّقِ يُوَلِّيْهِ أَمْرَ السرايا بالهند ، وفيه يقول الشاعر :

لَوْلَا طِعَانِـيَ بِالنُّوْقَانِ مَارَجَعَتْ   مِنْهَا سَرَايَا ابْنُ حريٍّ بِأَسْلَابِ

وقال غير الكلبي : وَلَّى عبيدُ الله بن زياد حَرِّيَ بن حَرّي الباهليَّ ثغر الهند ، ففتح الله على يده ، والأول أثبت .

ومنهم دريد بن رياح بن عمرو ، قتله رداد بن جوش من بني عبدالله بن غطفان ، فوثب مُظَهِّرُ بن رياح على رداد فقتله فقالت الغطفانية :

إِنَّـــا وَبَـاهِلَةَ بْنِ أَعْصُرَ بَيْنَنَـا   دَاءُ الضَّرَائِـرِ بُغْضَـة وَتَقَـافِ
مَنْ يَثْقَفُـوا مِنَّـا فَلَيْسَ بِـآيِبٍ   أَبَـداً وقَتْـلُ بَنُـو قُتَيْبَـة شَـافِ
قَتَلَتْ قُتَيْبَةُ فِي النَّوَائِبِ فَارِساً   لَا طَـائِشـاً رَعْشـاً وَلَا وَقَّـافِ

ومنهم مُصَرِّفُ بن الحجاج بن أوفى بن مالك بن زيد بن نضلة بن صبح بن عبدالله بن عمرو بن عبد غنم بن قتيبة بن معن .

ومن بني صَحْبٍ : مالك بن زُغْبَة بن ربيعة بن هبة بن مرة بن صحب بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن مَعْنٍ الشاعر الذي يقول :

بِضَـرْبٍ كَآذَانِ الْفِـرَاءِ فُضُولُـهُ   وَطَعْنٍ كَإِيْزَاغِ الْـمَخَاضِ ثُبُورُهَا

ومنهم جَحْلُ بْنُ نَضْلَةَ بن صُبْح بن عبدالله بن عَمْرِو بن عَبْدٍ ، كان شاعراً رئيساً وفيهم البَيْتُ .

ومن بني أعيا بن سعد بن عبد بن غَنم بن قتيبة : أَصْمَعَ بن مُظَهِّرِ بن رِيَاح

ابن عَبْد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غَنْم ، أَبُو بَنِـي ٱلأَصْمَعِ .

ومن ولده عليُّ بنُ أَصْمَعَ كان شريفاً . زاد البلاذريُّ : ونزل عليه خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد حين قدم البصرة ، وقد ذكرنا خبره في خَبَرِ الْـجُفْرَة . انتهى .

ومنهم ٱلأَصْمَعِيُّ الرَّاوِيَةُ ، وهو عبدُ الملكِ بنُ قُرَيْبِ بنِ عبدالملك بن عليِّ ابن أَصْمَع ، من أهل البصرة ، كان في صحابة هارون أميرِ المؤمنين ، وكان الأصمعيُّ يقول : لَسْتُ مِنْ باهلة لأنَّ أُمَّ قتيبة بن مَعْنٍ تميمية ، ولكن باهلة حضنته ، فغلبت عليه .

وولد عَمْرُو بن غُنْمٍ قَعْنَباً وسُوَاءَة .

وولد وائل بن مَعْنٍ ثعلبةَ ، فولد ثعلبةُ سلامةَ وعوفا ، فولد عَوْفُ عَامِراً .

وولد سلامةُ عُصَيَّةَ وعَمْراً ، وكَعْباً وهِلالاً ، فولد هِلالُ كَرَاثَةَ وقُضَاعِيًّا .

منهم قُتيبةُ بن مُسْلِم بن عَمْرِو بن حصين بن ربيعة بن خالد بن أَسِيْدِ الْـخَيْرِ ابن كعب بن قُضَاعِـيٍّ بن هلال ـ زاد البلاذري : وكانَ مسلم بن عَمْرٍو خاصًّا بيزيد بن معاوية ، وقيل : إنه كان يغنيه ، فقال الشاعر في قتيبة ويزيد بن المهلب :

شَتَّان مَنْ بِالصَّنْجِ أَدْرَكَ وَالَّذِي　　بِالسَّيْفِ قُدِّمَ وَالْـحُـرُوْبُ تَسَعَّرُ

واسترسل البلاذريُّ في ترجمة قتيبة بما نقلناه هناك .

ولأَسَيْدِ الخير أخ يقال له أُسيْد الشَّرِّ بن كعب .

والمنتشرُ بن وهب بن عَجْلان بن سلمَةَ بن كَرَاثَة بن هِلال ، كان شريفاً قتلته بنو الحارث بن كعب .

وأَدْهَمُ بْنُ مُحْرِزِ بن أَسِيدِ بن أَخْشَنَ بن رِياح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد ابن عَمْرِو بن سلامة ، ممن أَمَدَّ به عُبَيْدُ الله بن زيادٍ حُصَيْنَ بنَ نُمَيْرٍ يوم عَيْنِ الْوَرْدَةِ ، وأَدْهَمُ الذي يقول ولم يَقُلْ شِعْراً غيره :

لَـمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ شَانَ أَهْلَهُ   تَفَتَّيْتُ وَابْتَعْتُ الشَّبَابَ بِدِرْهَمِ

وابنه مالكُ بنُ أَدْهَمَ بنِ مُحْرِزٍ ، كان في صحابة أبي جعفر المنصور ، وكان عالِماً فصيحاً ، وقد كان بلغ مئة سنة . زاد البلاذريُّ : وقال غيرُ الكلبي : كانَ أَدْهَمُ أَثِيراً عند الحجاج ، وأقطعه دَارَ عبيد الله بن عبدالرحمن بن زياد لخروجه مع ابنِ الأَشْعَثِ وأنه قتل معه ، ودخل على الحجاج وهو أَشْيَبُ فأمره بالخِضاب فاختضب ، وقال البيت : لما رأيتُ الشَّيْبَ . وأَضَاف البلاذريُّ : وقال الكلبي : ومن بني سلامة أَيضاً ٱلأَعْشَى أَعْشَى باهلة ، وهو عامر بن الحارث ابن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل ابن معن الشاعر . انتهى .

وَوَلَدَ لَيْلُ بن معنٍ عَبْدَ كَعْبٍ ، وهم قليل .

وولد عَمْرُو بْنُ مَعْنٍ عدِيًّا ، فولد عَدِيُّ عُلَيْماً بطن ، وعَبْداً ، فولد عَبْدُ جابراً ، وخلفاً ، ومنقذاً ـ عند البلاذري : (وزيان) بدل منقذ ، ويقال : ديان .

فولد عليم بن عَدي كليباً ، فولد كليب جندبا ووهبا ، فولد جندب عامراً ـ عند البلاذري : عديا ـ ونُبَيشة ومالكاً ، فولد نبيشةُ معاويةَ وعبد العُزَّى وعبدالله ، فولد معاوية بن نبيشة مظهراً .

ومن بني عُلَيم : مُظَهِّرُ بنُ معاوية بن نُبَيْشَة بن جُنْدب بن كليب بن عُلَيْمِ ابن عَدِيٍّ ، وهو جد بكر بن معاوية والي ديوان الجند .

منهم معاويةُ بن بكر بن معاوية ، وَلِـيَ ديوانَ الجند أيضاً ـ زاد البلاذري : وكان بكر من قواد أبي جعفر ـ وعلقمة بن معاوية .

وولد وهب بن كليب جُوَيَّةَ وربيعة .

وولد أَوْدُ بنُ مَعْنٍ عَدِيًّا ، وكعباً ، وسعداً .

منهم الحارث بن حَبِيبٍ الذي عُمِّرَ فقال :

أَلَا هَلْ شَبَابٌ يُشْتَرَى بِرَغِيْبِ ‏ ‏ ‏ ‏ يُدَلُّ عَلَيْهِ الْـحَارِثُ بْنُ حَبِيْبِ

وَولَدَ فُرَّاصُ بن مَعْنٍ عَبْداً وحَرَاماً .

منهم عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ بنِ الْعَمَرَّدِ بن عامر بن عَمْرِو بن عَبْدِ بن فُرَّاصِ بن معن بن مالك بن أَعْصُرَ ، الشاعر . وساق البلاذريُّ طرفاً من ترجمته تراجع في محلها .

وولد جِئَاوةُ بن مَعَنٍ عِتْبَانَ ، وحُمَيْساً ، وغَيْلانَ .

فهاؤلاء بنو مالك بن أعصر ، وهم باهلة .

وزاد البلاذري : ومن باهلة مسلم بن الشَّمَرْدَلِ الذي دخل على بلال بن أبي بردة ، فجلس متربعاً بين يديه ، فقال له : لقد جلستَ جلسة بَغِـيٍّ ! . قال : إنك لعالم بجلوسهن . قال : ياابن اللخناء . قال : بل أنت .

ومن باهلة ثم من بني سهم المستورِدُ بن قدامة ، وكان من الذين شهدوا على نسب زياد أيام معاوية .

ومن بني سَهْمٍ حيَّانُ بن يزيد الذي قال له أَبُو موسى الأشعريُّ : إنَّ باهلة كانت كراعاً ، فجعلناها ذِراعاً . قال : أَلَا أَدُلُّكَ على ٱلأم من باهلة : عَكٌّ

وأَخْلاَطُهَا من الأَشْعَرِيْنَ . فغضب أَبُو موسى رضي الله عنه ، ثم قال : ياسَابَّ أميره .

ومن باهلة ثم من بني عمرو بن عبدٍ : جَحْلُ بن نضلة ، كان شريفاً في الجاهلية ، وعرض ابنه شبيب على أبي موسى وهو شيخ ، فقال : أَنْتَ بَالٍ على بَالٍ . فقال شبيب بن جَحْل بن نضلة :

رآنِـي ٱلْأَشْعَـرِيُّ فَقَـالَ: بَـالٍ عَـلَى بَـالٍ وَلَمْ يَعْلَمْ بَـلَائِـي
وَمِثْلُكَ قَدْ كَسَرْتُ الرُّمْحَ فِيْهِ فَـآبَ بِـدَائِـهِ وَشَفَيْتُ دَائِـي

ومن بني عَمْرِو بن عبدٍ : قُرَّةُ بن حيان ، صاحب قنطرة قرة بالبصرة وكان من وجوه قومه ، قال : ومن مواليهم عبيد الصيد الصيرفي .

قال : وكان علي بن أصمع الباهلي يقرأ الكتب على منبر البصرة ، ووجه بنو عَقِيلٍ مولى لهم يقال له زياد ، ليمتار لهم ، فأتاهم ولم يَمْتَرْ لهم ، فسألوه عن أخبار أَهْلِ البصرة ، فحدثهم أَنَّ عليَّ بن أصمع تزوج امرأة من بني عامر بن صعصعة ، فقال شاعرهم :

بَعَثْنَـا زِيَـاداً مَـائِـراً لِيَمِيْـرَنَـا فَمَا جَاءَنَا إِلَّا بِصِهْرِ ابْنِ أَصْمَعَا

ومن بني قتيبة من باهلة حاتم بن حمران ، وليَ بعضَ أَمْرِ البصرة ، فمنع إِبَلاً للفرزدق من الرعيَ فقال :

وَتَمْنَعُ إِبْلِيْ أَنْ تَجُوْزَ إِلَى الْحِـمَى وَأَنْتَ تُجِيْزُ الْـحُمْرَ يَاعَبْدَ حَاتِمِ
قَرَابَتُهُ شَـرْطُ ابْنِ حِمْرَانَ دُوْنَهَا إِذَا نَفَذَتْ قَامَتْ عَلَيْهَا الْـمَآتِم

ومن باهلة بنو حبيب بن زيد يذكرون أنهم من بني الأَعرج ، قال شاعر منهم :

فَإِنْ تَكُ عَنْ نَسَبِيْ غَافِلاً   فَإِنِّي امْرُؤٌ مِنْ بَنِي ٱلْأَعْرَجِ
وَمِنْهُمْ خُلِقْتُ وَمِنْهُمْ أَبِي   كَمَا لُزَّتِ الْعُنُقُ بِالْمِنْسَجِ

فشخص هذا الشاعر إلى قتيبة بخراسان ، فقال له : ألم تزعم أنك من بني الأعرج من تميم ؟ فقال : إنَّما قلتُ :

فَإِنْ تَكُ عَنْ نَسَبِي غَافِلاً   فَإِنِّي امْرُؤٌ مِنْ بَنِي وَائِلِ
وَمِنْهُمْ خُلِقْتُ وَمِنْهُمْ أَبِي   كَمَا لُزَّتِ الْعُنُقُ بِالْكَاهِلِ

ومن باهلة عبدالرحمن بن منقذ ، كان مع مروان بن محمد من خاصته ، وقُتِلَ بالخشب ليلة قتل مروان ، وقال : كان سلمان بن ربيعة من الكواسجة ، وقتل على بَلَنْجَرَ ، قال : ومنهم سلمان بن أبي زُهير ، خالُ قتيبة بن مسلم ، وفيه يقول الشاعر :

أَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرِ لَوْ تَعْلَمِيْنَ   سُرَادِقُ سَلْمَانَ مِنْ بَاهِلَهْ

ومن باهلة حَجَّاج بن الفرافصة ، كان عابداً ، وقضى ابنٌ له على جُنْد يسابور .

ومن وائل باهلة سحبانُ ، وهو الذي أُوْفِدَ إلى معاوية فتكلم ، فقال معاوية : أَنْتَ السَّحُّ . فقال : إيْ والله ، وغير ذالك ، فقال سحبان :

لَقَدْ عَلِمَ الْوَفْدُ الْعِرَاقِيُّ أَنَّنِي   إِذَا قِيْلَ عِنْدَ الْبَابِ أَنِّي خَطِيْبُهَا

وذكره حُمَيْدٌ الأَرْقَطُ ، وابنه عجلان بن سحبان ، وهو الذي يقول لطلحة الطَّلَحَاتِ بِسِجِسْتَان :

مِنْكَ الْعَطَاءُ فَأَعْطِنِي   وَعَلَيَّ شُكْرُكَ فِي الْمَشَاهِدْ

ومن وائل باهلة الحطيمُ الخارِجي ، واسمه زيد .

ومنهم قاتِلُ بِشْرِ بن أبي خازِمٍ بسهم ، فقال بِشْرٌ :

وَأَنَّ الْـوَائِلِـيَّ أَصَـابَ قَلْبِـي   بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ يُكْسَى لُغَـابَـا

ويقال : إن الذي قتله من بني صعصعة .

ومن بني جِأوة مُطَرِّفُ بن سيدان ، كان مصعب بعثه إلى عبيد الله بن ظبيان ، وهو بالأهواز ، فقتله ابنُ ظبيان وقد ذكرت خبره في كتاب «البلدان» في أيَّامِ المصعب بن الزبير وله عقب بالبصرة .

ومنهم مضارب بن عبيد الله ، كان يخلف صاحب الشرطة .

ومنهم عطية بن عمار ، كَانَتِ ابنتُهُ أُمُّ عَبَّادٍ عند عَدِيِّ بن أَرْطَاةَ .

ومن بني فَرَّاصٍ الـمُثَلَّمُ ، دسَّتْ إليه الخوارج فقتلوه ، فقال أَبُو ٱلأَسْوَدِ :

آلَيْتُ لا أَمْشِـي إِلَى رَبِّ لقْحَةٍ   أُسَـاوِمُـهُ حَتَّى يَؤُوْبَ الْـمُثَلَّمُ

وقَالَ لَهُ: حَمْرَاءُ كَوْمَـاءُ جَلْدَةٌ   وَقَاربَهُ فِـي السَّوْمِ ، والْغَدْرَ يَكْتُمُ

ومنهم عبدالملك بن جُمانَة ، كان شاعراً وهو القائِلُ لقتيبة :

أَمْ كَيْفَ يَـرْجُـوكَ الْبَعِيْـد   وَقَـدْ أَضَعْتَ لَـهُ قَـرِيْبَـكْ ؟!

انتهى . وستأتي ترجمة ابن جمانة ـ مع الشعراء ـ .

هذا مجمل ماذكره متقدمو علماء النسب عن تفريع بطون هذه القبيلة ، وعن أصولها حين كانت ذات كيان متميز ، تجمعها رابطة النسب ، وكان ذالك في عهود سابقة لظهور الإسلام ، وقد طرأ عليها ماطرأ على غيرها من القبائل من تفرق فروعها تفرقاً نشأ عنه انحلال أقوى الروابط الإجتماعية وهو النسب ، بعد أن تناءت المنازل بين الفروع ، وحدث اندماج منها واختلاط في القبائل المجاورة وغيرها ، كالحال بالتسبة لجميع القبائل العربية .

انحلال الرابطة القبلية بالتحالف
ثم في التفرق في المنازل

من المعروف أن أية قبيلة كانت بعد أن تبلغ درجة من القوة ، يدركها الضعف ، فيحدث فيها التفرق ، وهكذا شأن قبيلة باهلةَ ، كما يُسْتدل على وجود فروع من هذه القبيلة فارقوا قومهم ، ونزلوا بلاداً بعيدة عن بلادهم ، ومنهم بنو وائل الذين جاء الإسلام وهم مستقرون في بيشة .

ولاشَكَّ أنَّ مَا يحدث بين فروع القبيلة من عداوة يسبب تفرقها ، كما أن محاربتها لقبيلة أَقْوى منها تُحْدِثُ لها من الضعف ما يضطر فروعاً منها إلى الالتجاء إلى من يُؤْوِيْهِمْ من فروع القبائل القوية ، ومن أَمثلة ذالك ما أورده صاحب «الأَغاني» وملخصه[1] : أَنَّ المنتشر الباهلي كان له ابنٌ يقال له سيدان ، قتلته بنو جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فأغار عليهم ، ثم على بني سُبَيْعٍ ، فقتل ثلاثة نفر ، وكانت باهلةُ قَدِ انْضَوَتْ إلى بني كعب ، فلما قَتَلَ المنتشرُ مَنْ قَتَلَ من جَعْدة ، تصدَّعَتْ باهلةُ ، فلحقت فرقة منهم وهم بنو وائل بِعِقَالِ بن خُويلد الْعُقَيْلِـيِّ ، فأَجارهم ، ولحقتْ بنو قتيبة ورئيسهم جَحْلٌ الباهليُّ بيزيد بن عَمْرِو بن الصَّعقِ الكلابي فأجارَهم ، فلما أرادَتْ بنو جعدة قتالَ باهِلةَ قال عِقَالٌ : لا تقاتلوهم فقد أَجَرْتُهُمْ ، فأَمَّا أَحَدُ القتلى الثلاثة منكم فهو بالمقتول ، وأَمَّا ٱلآخَرَانِ فَعَلَيَّ دِيَتُهُمَا ، فقالوا : لا نقبلُ إلا القتال ، ولا نريد من بني وائل دِيَةً ، فلم يزل بهم حتى قبلوا الدية ، وانتقلت وائل إلى قومهم ، وفي ذالك يقول النابغةُ الجعديُّ ـ وذكر عقالاً ـ وحذَّرَهُ حربًا كحرب البسوس ـ :

فَأَبْلِغْ عِقَالاً أَنَّ غَـايَةَ دَاحِسٍ ... بِكَفَّيْكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَـا أَوْ تَقَدَّمِ

(1) ٥/٢٨ ط الثقافة ـ بيروت .

تُجِيْرُ عَلَيْنَـا وَائِـلاً في دِمَـائِنَـا كَأَنَّكَ عَمَّا نَابَ أَشْيَـاعَنَا عَـمِ
كُلَيْبُ لَعَمْرِيْ كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ

إلى آخر القصيدة التي ذكر فيها قصةَ قتل كليب .

وما نقل صاحب «الأغاني» من أن بني وائل انتقلوا إلى قومهم ليس صحيحاً ، فحادثة قتل ابن المنتشر التي سببت التجاء بني وائل بالعقيلي كانت في العهد الجاهلي ، وسيأتي مايدل على أن الوائليين أؤلئك استقروا بعيداً عن قومهم في بيشة ونواحيها وكانت من منازل بني عقيل ، ولما جاء الإسلام وفد من بني وائل من باهلة وافِدٌ كتب معه الرسول ﷺ أن لباهلة ما أحيت من بلاد بيشة .

وقد تكون هناك فروع من القبيلة فارقتها قبل حادثة ابن المنتشر ، فبنو جِئآوة استقر كثير منهم على ضفاف وادي التَّسْرِير (الرشاء الآن) في أعاليه بجوار غَنِـيٍّ أبناءِ عمومتهم ، بحيث أن بعض النسابين لم ينسبهم في باهلة ، ولاشك أنهم منهم ، وأن استقرارهم في تلك البلاد في عهود متقدمة .

ولقد كان تحالف باهلة مع بني عامر من أهم الأسباب التي نشأ عنها من قهر العامريين وإذلالهم للقبيلة ، ماسبب ضعفها وتفرق فروعها ، مما يجد القارئُ آثارهُ فيما اتخذه الفرزدق منفذاً واسعاً للنيل من هذه القبيلة ، وما كان صاحب كتاب «الممتع» حين سمى هذا التحالف بحلف الذل والقهر[1]؛ بمجانِفٍ للصواب . إذ القبيلة لا تلجأ إلى التحالف إلا عندما تكون مقهورة ـ وهي في تلك الحالة تتحمل من حيف المحالِف ـ بكسر اللام ـ ما يفرضه عليها ، ولاشك أن هذا من الأسباب التي دفعت بفروع من القبيلة أن تلتجِـيً بقبائل أخرى بطرق شتى من التقرب كالجوار والمصاهرة وغيرهما ، وما أكْثَرَ ما تدخل فروع من قبيلة في قبيلة قوية .

---

(١) «الممتع في صنعة الشعر» : ١٥٤ ط دار الكتب العلمية ببيروت .

مِنْ بطون باهلة قديما

قد يقال : وما الفائدة من ذكر هذه البطون التي لا يُعْرَفُ منها أَحَدٌ في عصرنا الحاضر ؟ والجواب أَنَّ من المشاهير مَنْ قد يُقْتَصَرُ في نسبته في كتب المتقدمين على البطن دون ذكر القبيلة ، كأن يقال : سَحْبانُ وائلٍ ، فيتوهم متوهّمٌ أن سحبانَ هذا من وائل الفرع الرَّبَعي الذي منه بكر وتغلب وعنز ، ولا يدرك أنه منسوب إلى وائل الفرع الباهلي ، وقد وقع مثل هذا ، ولهذا حَسُنَ ذكر أشهر الفروع الباهلية .

الأَبْنَـــاء :

جاء في هامش «مختصر جمهرة النسب» مانصه في فصل ملحق بآخر الكتاب عن ابن الأعرابي في ذكر الأبناء من قبائل ، قال : والأَبناء يعني من باهلة ولد معن بن مالك ماخلا قتيبة[1] . انتهى . والأصل في هذا مانقله الحسن الطوسي عن شيوخه : سُمُّوا الأبناءَ لأنهم قبائل صغار ، تحالفوا على أخيهم لكثرته ، وكل قبيلة كبيرة لها إخوة صغار يقال لهم الأبناء[2] .

أصمـــع :

قال ابن حبيب[3] : في باهلة بنو أَصْمَع بن مُظَهِّر بن رياح بن عبد شمس بن أَعْيَا بن عبد بن غَنْمٍ .

وقال ابن قتيبة[4] : رهط الأصمعي ، هم من بني سعد ثم من بني صَحْبٍ ، من بني قتيبة بن معن بن أَعْصُرَ .

---

(١) مخطوطة راغب باشا ـ هامش نسب باهلة الورقة ٦٧ .
(٢) أنساب البلبيسي رسم (الأبناء) .
(٣) «مؤتلف القبائل ومختلفها» ٣٤٢ وانظر «الإيناس» ٧٤ .
(٤) «المعارف» : ٨١ .

أعْيَـــــا :

أعيا بن سعد بن قُتَيْبة ، رهط شَقِيقِ بن جَزْءٍ الباهلي ، فارس باهلة في الجاهلية ، ورهط بني النعمان رؤساء بني أَعْصُرَ في الجزيرة الفراتية .

أمامــــــة :

كان هذا البطن من باهلة هو الذي كَان يتولى سِدَانة (ذِي الْـخَلَصَة) من أشهر الأصنام في العهد الجاهلي ، قال ابن الكلبي[1] : وكان من تلك الأَصنام ذُوْ الْـخَلَصَة ، وكان مَرْوَةً بيضاء منقوشة ، عليها كهيئة التاج ، وكانت بِتَبَالَة ، بين مكة واليمن ، على مسيرة سبع ليال من مكة ، وكان سدنَتُها بَنِي أُمامة من باهلة بن أَعْصُرَ ، وكانت تعظمها وتُهْدِي لها خَثْعَمُ وَبَجِيلة وأَزْدُ السَّرَاةِ ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن .

فلما فتح رسول الله ﷺ مكة وأَسْلمت العربُ ، ووفدت عليه وفودها ، قدم عليه جَرِير بن عبدالله مُسْلِماً ، فقال له : ياجرير أَلَا تكفيني ذَا الْـخَلَصَة ؟ فقال : بَلَى . فوجهه إليه ، فخرج حتى أَتَى بني أَحْمَسَ مِنْ بَجِيلة فسار بهم إليه ، فقاتلته خثعم وباهلةُ دونه ، فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مِئَةُ رجل ، وأَثَّرَ القتلُ في خثعم ، وقتل مئتين من بني قحافة بن عامر بن خثعم ، فظفِرَ بهم وهزمهم ، وهدم بنيانَ ذِي الْـخَلَصَة ، وأَضْرَمَ فيه النار ، فاحترق ، فقالت امرأةٌ من خثعم :

وبَنُـو أُمامـةَ بِالْـوَلِيَّـةِ صُـرِّعُـوا ... ثَمِــلاً يُعَـالِـجُ كُلُّهُمْ أُنْبُـوبَـا

جَاءُوا لِبَيْضَتِهِم ، فلاقَـوْا دُوْنَهَا ... أُسْداً تَقِبُّ لَدَى السُّيُوفِ قَبِيْبَا

قَسَمَ الْـمَذَلَّةَ بَيْنَ نِسْوَةِ خَثْعَمٍ ... فِتْيَــانُ أَحْمَسَ قِسْمَــةً تَشْعِيْبَــا

---

(١) «الأصنام»: ٣٤ .

وذُو الْـخَلَصَة اليوم عتبة باب مسجد تبالة . انتهى .

أود :

منهم أم الأَحْنَفِ بن قيس وهي حُبًّا ـ بضم الحاء المهملة وتشديد الباء المفتوحة بعدها ألف ـ بنت قُرْطٍ ـ وسيأتي ذكرها في الشعر ، وأود هو ابن مَعْنِ ابن أَعْصُرُ(١).

جِئـــاوة :

ويقال : ـ جاوة بدون همز ـ بطن من باهلة وأبوهم معن بن أعصر ، ذكر ابن قتيبة أن لهم بقية . وهم رهط الأصم الشاعر عبدالله بن الحجاج(٢) ومنهم الصحابي الجليل جُنادة بن جراد . وقال في «تاج العروس»: جَأَوْتُ القِدْرَ جَأْواً ، جعلتُ له جأوة ـ عن ابن بَرِّيَ لُغة في جَأَيْتُ ـ وقالَ ابن حمزة : جأوة بطن من العرب وهم إخوة باهلة ، وقال الليث : حيٌّ من قيس قَدْ دَرَجُوا لا يعرفون . انتهى . وقول الليث بأنهم قد درجُوا ليس صحيحاً ، فالهمداني وقد عاش في القرن الرابع الهجري ذكرهم من سكان السَّوْدِ في بلاد باهلة . كما سيأتي ، كما ذكرهم الهجريُّ وهُوَ مُعَاصِرٌ للهمدانيِّ .

الحـــارث :

في قبيلة باهلة حارثان : الحارث بن قُتيبة ، والحارث بن سَهْم بن عَمْرِو بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة(٣).

---

(١) «المعارف» لابن قتيبة: ٤٢٣ و«نسب عدنان وقحطان» للمبرد : ١٩ .

(٢) «المعارف»: ٨١ و«نسب عدنان وقحطان»: ١٩ و«المؤتلف والمختلف» ٥٣ ـ تحقيق عبدالستار فراج .

(٣) «لسان العرب» رسم (حرث) .

وكان بنو الحارث معروفين في القرن الرابع الهجري ، فقد عدَّهُم الهمداني من سكان السَّوْدِ ـ سَوْدِ باهلة ـ فقال بعد ذكر جَزَالاء ومُريفق[1] : ومأسَلُ ، وحضَنُ ـ غير حَضَنِ عُكَاظ ـ من أرض باهلة ، والفرعة وادِي نخل لبلحارث من باهلة .

حَزِيْمَـــــــة :

ـ بالحاء المهملة مفتوحة ـ : قال الأزهريُّ : بطن من باهلة ، قال فيها أبو معدان الباهلي[2] :

جاءَ الْـحَزَائِمُ والـزَّبائِنُ دُلْـدُلاً ... لا ســابِقَـيْنَ ولاَمَـع الْقُـطَّانِ
فَعَجِبْتُ مِنْ عَوْفٍ ومَاذَا كُلِّفَتْ ... وَتَجِيءَ عَـوْفٌ آخِـرَ الـرُّكْبَـانِ

قال : والحزيمتانِ والزَّبينتان من باهلة ، وهما حَزِيمة وزَبينة ، جمعهما الشاعر ، أي يتدلدلون مع الناس ، لا إلى هاؤلاء ولا إلى هاؤلاء .

حِصْـــن :

بطنٌ من باهلة ، كان يسكن السَّوْدَ في القرن الرابع الهجري ، ذكرهم الهمداني بعد أن ذكر جزالاء وأنها لبني عصم ومواليها، قال[3]: ومرتفق (مريفق) فهو لبني حِصْنٍ .

ذُبْيَــــان :

هو ابن جِئَاوة ، منهم عبدالله بن الحجاج (الأصَـمُّ) الشاعر[4].

---

(١) «صفة الجزيرة»: ٣١٠ .
(٢) «تهذيب اللغة» ٦٧/١٤ و«لسان العرب» رسم (حزم) .
(٣) «صفة جزيرة العرب» ٣١٠ .
(٤) «المؤتلف والمختلف» ـ ٥٣ ـ تحقيق عبد الستار فراج ـ .

زَبِينـــــــة :

فخذٌ من باهلة ، تقدم ذكره مع حَزِيمة ، وقد جمعهما الشاعر ، فقال : الحزائم والزبائن[1].

زِيَـــــاد :

عدَّهُمُ الهمداني من بطون باهلة المعروفة في عهده ، من سكان السَّوْد ـ سَوْدِ باهلة ـ وذكر أنهم يسكنون الْقُوَيْع أو سواد باهلة من مشرقه[2]، والْقُوَيْعُ من الأمكنة التي لا تزال معروفةً هناك .

سَعْـــــــد :

عدَّ ابنُ قتيبة بني سعدٍ من بني صحب ، وقال : ومنهم بنو أصمع رهط الأصمعي[3].

سَهْـــــــم :

الذين منهم أبو أُمامة ـ صُدَيُّ بن عجلان ـ والهِرْماس بن زياد ، الصحابيان الجليلان ، قال البلبيسي في «الأنساب»[4]: ومنهم الحارث بن عمرو بن سهم ابن عمرو بن ثعلبة بن غَنْمِ بن قتيبة بن معن بن مالك بن أَعْصُر ، أَبُو سُفينة ، رفع خليفةُ نسبه إلى باهلة له حديث واحد ، سمع من النبي ﷺ بمنى أو عرفات يخطب ، فذكر المواقيتَ والضحية والعتيرة ، روى عنه ابنه . . . وحفيده زرارة ابن كريم بن الحارث وعند ابن حِبَّانَ : عِداده في أَهل البصرة ،

(١) «تهذيب اللغة» ١٤/٦٧ .
(٢) «صفة جزيرة العرب»: ٣١٠ .
(٣) «المعارف» ٨١ .
(٤) مخطوط رسم (السهمي) .

ومنهم سلمان ابن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سهم القتبي ، ذكره العُقَيْلي في الصحابة ، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : له صحبة ، يقال له سلمان الخيل ، كان على خيل عمر ، واستقضاه بالكوفة قبل شُرَيْحٍ ، فلما ولي سعد الولاية الثانية أَبْقاه . . . وقال : قتلت بسيفي هذا مئة مستلئم ، كلهم يَعْبُدُ غير الله ، ماقتلت منهم رجلاً صَبْراً كأنه يقول : إنما قتلتهم مبارزة . انتهى كلام البلبيسي .

وعَدَّ ابن قتيبة في سهم باهلة عبدالله بن بكر السهمي ، من أصحاب الحديث ، من أهل البصرة ، ومات في بغداد سنة ٢٠٨ ، وبكر بن حبيب السهمي .

صَحْب :

بطن في باهلة[١]، وقال ابن قتيبة[٢]: ومن بني قتيبة بنو صَحْبٍ ، وهم ينزلون اليمامة ، ومنهم : عمرو بن عبد واعبد وقعنب وسعد بن عبد وعامر بن عبد ، وقال ابن حبيب : وفي باهلة صَحْب ـ بالفتح ـ بن سعد بن عبد بن غنم ابن قتيبة بن معن[٣].

بنو عامر بن عوف :

ابن وائل بن معن ، رهط أعشى باهلة الشاعر[٤].

بنو عبد الخالق :

قال ابن حزم في الكلام على قبيلة باهلة[٥]: وكان منهم بِحَيَّان بنو عبد

---

(١) «لسان العرب» ـ رسم (صحب) .
(٢) «المعارف» ٨١ ، و«المؤتلف والمختلف» ـ ٥٦ ـ تحقيق عبدالستار فراج .
(٣) «مؤتلف القبائل» ـ ٢٣١ ـ .
(٤) «المعارف» ـ ٨١ ـ و« المؤتلف والمختلف» ـ ٢٤ ـ تحقيق عبدالستار فراج .
(٥) «جمهرة أنساب العرب» ـ ٢٤٦ ـ تحقيق عبدالسلام هارون .

الخالق بن محمد بن أحمد (قاضي) بن الوليد (قاضي) بن عبدالخالق (قاضي) بن عبد الجبار بن قيس بن عبدالله بن عبدالرحمن بن قُتَيْبَةَ بن مسلم .

عَبِشَمْــــــسُ :

قال ابن الوزير المغربي[1] : وفي باهلة عَبِشَمْسُ بن أَعْيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أَعْصُر ـ وهو مُنَبِّه بن سعد بن قيس بن عيلان ـ كذا أثبت أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتابه ، بفتح العين وكسر الباء ، وغيره ينطق بهذه الكلمة محققة الإضافة عبد شمس .

ومن بني عبشمس : شقيق بن جزء بن رياح بن عمرو بن عَبِشمس بن أعيا ، كان شاعراً . ومنهم علي بن أصمع بن مُظَهِّر بن رياح[2] ، كان خطيباً ، لما ورد كتاب عثمان على عبدالله بن عامر يخبره بمسير الناس إليه ، أمر عليَّ بن أصمع أن يقرأ الكتاب على الناس ، ويحضّهم على نصرة عثمان ، فذكره الفرزدق عرضاً فقال :

والا رسوم الدار قفرا كأنها   كتاب تلاه الباهلي ابن أصمعا

وذكره آخر من العرب فقال :

فان شئت حكمنا المغيرة بيننا   وان شئت حكّمنا علي بن أصمعا

ومن ولده الأصمعي الراوية عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع ، وشهرته تغني عن وصفه . انتهى ، ولم أجد هذا في كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري في نسب باهلة ، ولعله ذكره في موضع آخر من الكتاب .

---

(١) «الإيناس» ـ ٢١٥ ـ .

(٢) تقدم في «الإيناس» ـ ٧٤ ـ رباح ـ بدون ضبط .

عثمـــان :

ذكره الهجري في «النوادر» زِرْبِيَّ بن سَبَّاقٍ أنه أحد بني عثمان الباهلي[1] .

آل عِصـــام :

قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وهو يتحدث عن سواد باهلة[2] :
أوله من مشرقه بلد يقال له القويع ، يعرف ببني زياد من باهلة ، ثم أَعْلَى منه حصن آل عصام ، وهو من ولد عصام خادم النعمان ، ومنهم أَبُو المنيع شاعر من أهل عصرنا ، وفي عصام يقول النابغة :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا

وقوله :

فَخَبِّرْ مَاوَرَاءَكَ ياعصامُ

وجزالاء عن يمين ذالك . انتهى ، وسيأتي ذكر الاختلاف في ذكر عصام هذا عند ذكر الاسم في تراجم (الأعيان) .

عُصْـــم :

ذكرهم الهجري والهمداني[3] بأنهم سكان جزالاء التي قال فيها الشاعر :

أَلَا يَابَنِـي عُصْمٍ جَزَالَاءُ جَنَّةٌ   مَرَاطِيْبُ تَجْنِـي كُلَّ عَامٍ لَكُمْ حَرْبَا
إِذَا أَرْطَبَتْ مِنْهَا المَبَاكِيْرُ هَيَّجَتْ   صُدُوْرَ رجَالٍ لَمْ تَروْعُوا لَهُمْ سِرْبَا

وسيأتي الكلام على جزالاء عند ذكر بلاد باهلة .

---

(١) - ١٦٨ - مخطوطة دار الكتب المصرية .
(٢) - ٣١٠ - .
(٣) «أبو علي الهجري» - ٢٢٣ - و«صفة جزيرة العرب» - ٣١٠ - .

عُلَيـــــــم :

ـ بِضَمِّ الْعَيْنْ ـ ابن معمر بن أَعْصُر ، قال ابن قتيبة[1]: وأما بنو عُلَيم فلهم عدد في الجزيرة ، منهم بكر بن معاوية صاحب ديوان الجند ، وكان من قواد أبي جعفر ، وعَدَّ الآمِدِيُّ الشاعر عبدالملك بن جُمانَةَ من بني أبي عُلَيم[2].

فَـــــــرَّاص :

ـ بالفاء مفتوحة وتضم ، والراء مفتوحة مشددة بعدها ألف فصاد ـ : هو ابن معن من باهلة ، منهم عَمْرُو بن أَحْمَرَ الشاعر[3].

ومن بني فَرَّاصٍ مُطَرِّف بن الكاهن ، الوافد على رسول الله ﷺ من بِيْشَةَ ـ على ماذكر البلاذري وغيره ـ .

قتيبــــــة :

هو ابن معن بن أعصر ، وأخوه وائل ، أمهما من فزارة ، ومن ولد قتيبة غَنْمُ ابن قُتَيْبة ، وولد غنم سهم بن غنم ، ومن بني قتيبة بنو صَحْب[4]. ومنهم بنو عمرو بن عبد بن قتيبة رَهْط جَحْلِ بن نَضْلَةَ الفارس الشاعر ، وبنو سعد بن عَبْد ، وبنو أعيا بن عبد .

وسيأتي ذكر هذا الفرع في الكلام على [illegible]ناء الفرزدق .

قريــــــض :

نقل ابن حجر في «الاصابة»[5]: قال ابن شاهين مطرف بن الكاهن الباهلي

---

(١) «المعارف» ـ ٨١ ـ .
(٢) «المؤتلف والمختلف»: ـ ١٠٩ ـ تحقيق عبدالستار فراج .
(٣) «المعارف» لابن قتيبة ـ ٨١ ـ .
(٤) «المصدر السابق» ـ ٨١ ـ .
(٥) «الإصابة» ـ القسم الثالث .

من بني قُريض ـ ثم ساق خبر وفادته على النبي ﷺ ، وأنه كتب له كتاباً نصه : « من محمد رسول الله لِـمُطَرِّفِ بنِ الكاهن ، ولمنْ سكن بِيْشة من باهلة : أَنَّ مَنْ أَحيا أَرْضاً مَوَاتاً فيها مراح الأَنعام فهي له ، وعليه في كل ثلاثين من البقر فارِضٌ ، وفي كل أربعين من الغنم عَتُوْدٌ ، وفي كل خمسين من الإبل مُسِنَّةٌ، ـ كذا ورد الاسم (قريض) ولكن البلاذريَّ في «أنساب الأشراف» عَدَّ مُطَرِّفاً من بني فَرَّاص ، ولم يذكر من فروع باهلة من اسمه (قريض) والبلاذري من علماء النسب الموثوق بهم فيه فقوله أصح .

قنينـــــــــة :

قال صاحب «الخزانة»[1]: كان بنو قنينة الباهليون أسروا شَبيب بن جعيل التغلبي في حرب بينهم وبين تغلب ، فقال : لما رأى أُمَّهُ أَنَّتْ ، وهي بنت عمرو بن كلثوم :

حَنَّتْ نَـوارُ ولاتَ هَنَّـا حَنَّتِ ... وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوار أَجَنَّتِ

وقيل : قائلها جَحْلُ بن نضلة الباهلي حين أسر نواراً ابنة عمرو بن كلثوم .

كذا ورد الاسم : قنينة ، وضبطه صاحب «الخزانة»[2] بضم القاف ونونين ، ولكن المحقق الفاضل الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ـ رحمه الله ـ علق على هذا قائلاً : الصواب : قتيبة كما في «المؤتلف» و « جمهرة ابن حزم »[3] و « الاشتقاق »[4] وهم بنو قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر ، وهم باهلة . وقد أوردتُ هذا الاسم للتنبيه على ماوقع في كتاب « الخزانة » .

---

(١) ١٩٩/٤ . (٢) ٢٠١/٤ .
(٣) ٢٤٥ . (٤) ٢٧١ .

معـــــــن :

هو ابن أعصر ، منه تفرعت فروع باهلة ، ولما نَبُهَ بنو مُسْلم بن عَمْرٍو الوائلي قتيبة وإخوته وبنوه ، كثر التقرب إليهم بالانتساب ، أَوِ ادِّعاءِ نسبتهم في قبائل أخرى ، فقد ذكر ابن جرير في حوادث سنة ١٠٦ (ست ومئة)[1] خلافاً وقع بين المضرية واليمانية وربيعة في (البروقان) من أرض بَلْخٍ ، وأن ربيعة والأزد خرجتا إلى عَمْرِو بن مسلم الباهلي أخي قتيبة بن مسلم ، وأن مضر خرجت إلى نصر بن سيار ، وأن تغلب أرسلتْ إلى عَمْرِو بن مسلم : إنَّك منا ، وأنشدوه شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تغلب ، وكان بنو قتيبة من باهلة ، فقالوا : إنا من تغلب ، فكرهت بكر أن يكونوا في تغلب ، فتكثر تغلب ، فقال رجل منهم :

زَعَمَتْ قُتَيْبَـةُ أَنَّها مِنْ وَائِـلٍ   نَسَبٌ بَعِيْـدٌ يَاقُتَيْبَـةَ فَاصْعَـدِي

وذكر عن شَريك بن قيلة المعني أنَّ عَمْرَو بن مسلم كان يقف على مجالس بني معن فيقول : لئن لم نكن منكم مانحن بعرب . وقال عَمْرُو بن مسلم حين عزاه التغلبي إلى بني تغلب : أَمَّا القرابة فلا أعرفها ، وأما المنع فإني سأَمنعكم - وساق بقية القصة ، وفيه انتصار نصر ، وانهزام الأزد وفيهم عَمْرُو بن مسلم - وذكر في موضع آخر[2] ماوقع من التباعد بين نصر وبين الباهليين ، وإحضار عَمْرِو بْنِ مسلم إليه بحالة زريئة . وورد في « شعر الأخطل »[3] مانصه من قصيدة - :

أَلَمْ تَرَ قَيْساً في المَواطِن أُوثِرَتْ   عَـليَّ بمَعْنِ والسَّعِيـدُ سَعِيـدُ!

(١) «تاريخ الأمم والملوك»: ٧/ ٣٠ .
(٢) «تاريخ الأمم والملوك» : ٦٩/٧ .
(٣) ٥٦١/٢ - تحقيق ف. قباوة .

هذا معن بن مالك بن يَعْصُر ، زوجُ باهلة يقول : إن معناً من بني تغلب ، وأوثرتْ قيس به فصار فيها . وذالك أن معنا جاور تغلب في الجاهلية ، ثم رجعوا إلى قومهم .

لَقَدْ عَلِمُوا: مـايَعْصُرٌ بِـأَبِيهِمِ ولكنَّـهُ جـارٌ، لَهُمْ وعَـدِيـدُ

العدِيد : أن يكون دعوته في القوم ، وليس منهم .

هُمَـا أَخَوَانِ من غَنِيٍّ وأَعْصُرِ فَكَيْفَ يُعَزَّى عِنْدَ ذَاكَ جَليـدُ

ويروى : هم اخوتي : آخوا غنيًّا وأعصراً . وهو أجود . انتهى .

ومن المعروف أَنَّ المرءَ إذَا بَرَّزَ في عمل من الأعمال كثيراً ما يتجاذَبُ نسبه بعيدون عنه وخَاصَّة عند اشتعال أُوار العصبية بين القبائل كما حدث بين الـمُضَرِيَّةِ واليمانية وربيعة في عهد عَمْرِو بن مسلم أخي قتيبة .

ولاشك أنَّ عَمْرًا وآله كانوا في حاجة إلى أن يجدوا بين القبائل من يتقوون بهم في وقت انتصار أعداءِهم ، وكان من بينهم الخليفة الأموي ودولته .

وليس في قول عَمْرِو بن مسلم لبني معن اليمنيين : (لئن لم نكن منكم ما نحن بعرب) فقد يريد : إن لم نستعِنْ بكم فإنّنا سنغلب . أو ماهذا معناه ، إذ هو أَجَلُّ من أن يجهل نسبته إلى قبيلة باهلة .

وائـــــــل :

ـ هو ابن معن بن مالك بن أعصر ـ منهم الصحابي نهشل بن مالك الوائلي الباهلي ، كتب له رسول الله ﷺ كتاباً أورده ابن سعد في «الطبقات» ونصه[1] : « باسمك اللهم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لنهشل بن مالك ومن معه من

(١) ١/ ٢٨٤ .

بني وائل ، لمن أسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من الـمَغْنَمِ خُمُسَ الله وسَهْمَ النبي ، وأشهد على إسلامه ، وفارق المشركين فإنه آمِنٌ بأمان الله ، وبريءٌ إليه محمد من الظلم كله ، وإنَّ لهم أن لا يُحْشَرُوا ولا يُعَشَّرُوا وعاملهم من أنفسهم ». وكتب عثمان بن عفان .

ومنهم سَحْبان وائل الخطيب المشهور .

وقال ابن قتيبة[1] : فأما وائل بن معن فهم بنو سلم وبنو هلال بن عَمْرٍو ، وبنو زيد وبنو عامر بن عوف ، وبنو عصية .

هـــــلال :

عد ابن قتيبة من بني هلال بن عَمْرٍو من وائل : قتيبة بن مسلم الباهلي[2] .

وقال المبرد[3] : وهم رهط الحجاج بن الفُرافصة الفقيه . وقال ابن دُرَيْد[4] ومن بني هِلال بن عَمْرٍو سلمان بن ربيعة ، قضى على الكوفة في خلافة عمر ، وغزا بلَنْجَر نِاحِيَةَ الصين فقتل هو وأصحابه بها ـ كذا قال ابن دُرَيْد عن سلمان وهو يخالِف ماورد في «جمهرة النسب»[5] لابن الكلبي حيث ساق نسبه إلى بني سهم من قتيبة ولم يرد فيه (هلال بن عَفر) . وهلال هو ابن سلامة بن وائل بن معن عند ابن الكلبي ـ وعَدَّ ابْن دُرَيْدٍ سَحْبَانَ الخطيبُ المنتشر الفارس من بني هلال[6] .

---

(١) «المعارف» ٨١ . (٢) المصدر السابق .
(٣) «نسب عدنان وقحطان» ١٩ وانظر «الاشتقاق» ـ ٢٧٣ .
(٤) ٢٧٣ كذا ورد فيه (هلال بن عفر) .
(٥) ـ ٤٥٩ ـ . (٦) ٢٧٣ .

فروع قبيلة باهلة في الوقت الحاضر

من المعروف أَنَّ العنايةَ بالأنساب في قلب جزيرة العرب ، وإنْ أَصبحت القبائل تعتزُّ بأَنسابها وتحافظ عليها ، إلا أَنَّ الاتجاه لتدوينها قد وقف منذ القرن الثالث الهجري ، بالنسبة لسكان قلب الجزيرة ، ولهذا أَصْبَحَت العنايةُ بها مُقْتَصِرَةً على الحفظ ، حيث يتناقل الأَبناءُ والأَحفاد أنسابَ أُسَرِهِمْ ممن سبقهم ، ومعروف أن الذاكرة عرضةٌ للضعف وللنسيان ، كما أن تسلسل الأنساب طيلة قرون من الصعب على كل ذاكرة اختزانه وحفظه .

ولكن مما يستغربه المرء أن كثيراً من القبائل العربية القديمة قد درستْ أسماؤها فَجُهِلَتْ ، إلاَّ قبيلة باهلة ، فقد بقيتْ طوال القرون الماضية منذ أَنْ عُرِفَتْ إلى عهدنا الحاضر ، بحيث تجد من ينتسب إليها ينطق اسم (الباهلي) معتزًّا ، رافعاً رأسه . كما تجد كثيراً من فروعها ينتسبون إلى الأصل الأعلى ، وإنْ وجدت فروع كثيرة لهذه القبيلة ، ولكن من الصعب إيجادُ الصلات بين تلك الفروع ، وكأنها اكتفت من ذالك بالانتساب إلى الأصل ، وتلك الأُسَرُ متفرقةٌ في قرى نجد ، في الـمِذْنَبِ والأَثْلَةِ والْـمُرَبَّعِ ونَبْعَةَ من بلاد القصيم ، وفي الدَّوَادِميِّ وفي البُرُود وفي الـمَجْمَعَةِ والخرج وغيرها من القرى ، قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام[1] : ومساكن هذه القبيلة من العهد الجاهلي إلى الآن هو المعروف بسواد باهلة ، ويسمى الآن الْعِرْضَ ، وهو يشمل منطقة القُوَيْعِيَّة وقراها ، ومن مساكنهم الْـمَخَامِر ، وهي الأَودية والجبال التي حول نَفْيٍ والأَثْلَةِ ، حتى حِمَى ضرية المشهور ، والآن منهم حاضرة كبيرة في مدن نجد ، وفي مدن الحجاز في قِلَّةٍ ، وفي المدينة والرياض والقصيم والْوَشْم وسُدَيْر

(١) «علماء نجد خلال ستة قرون» ١٣١ .

وغيرها ، والمعروف من حاضرة قبيلة باهلة نحو عشرة أفخاذ . انتهى .

ومن المعروف أن أنساب القبائل العربية تشابكت واتصلت ، فقل أن توجد قَبْلَةٌ لم تكن ذات صلة بقبيلة أخرى ، ومن ذالك أن قبيلة باهلة كانت لها صلات ببعض القبائل القحطانية . فباهلة التي تُنْمَى إليها القبيلةُ هي بنت صَعْبِ بن سعد الْعَشِيرة من مَذْحِج ، ويضاف إلى هذا أن من فروع مَذْحِجَ من دخل في باهلة : قال ابن الكلبي في «جمهرة النسب»[1] في نسب أُوْد بن عبد بن سعد بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة قال عن أود هذا : وهو في باهلة . انتهى ، ومعروف أَنَّ سَعْدَ العَشِيرة من مَذْحِجَ ، ومَذْحِجُ يعرفون الآن باسم قحطان في وادي تَثْلِيْث وفروعه .

واسم باهلة شمل كل بني مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وأم مالك وأم أخيه عَمْرٍو وهو غَنِـيٌّ الذي تنسب إليه القبيلة هي سليكة بنت ناشج ابن وادعة من همدان[2] .

وهناك تقارب بين باهلة وبجيلة ، فقد ذكر بعض المتقدمين أن بجيلة وهي اسم أم بني أنمار[3] بن إراش من سعد العشيرة ، وأَنَّ أُختها باهلة ولدتا قبيلتين عظيمتين .

ويشير المتقدمون إلى أن باهلة وغَنِيًّا قد انفصلتا عن بني قيس عيلان ، وانضمتا إلى قيس جديلة كما جاء في «المختلف والمؤتلف»[4] للدارقطني من قول الزبير بن بكار : جديلة بنت مر ولدتْ فَهْماً وعدوان ابني عَمْرِو بْنِ قيس عيلان ، وإليهما ينسبون ، يقال لهم قيس جديلة ، وعن أبي عبيدة : جسر بن

(١) ١٣٣/١ تحقيق العظم . (٢) «أنساب الأشراف» للبلاذري - نسب بني أعصر - .
(٣) «الأنساب» للسمعاني : ٩١/٢ ، وكتاب «الجوهرة»: ٣٤٤/١ .
(٤) ٥٢٩/١ .

محارب وغني وباهلة وفهم وعدوان وجديلة يَدٌ واحدة كلهم من مضر انتهى .

وهذا يدل على تباعد قبيلة باهلة عن قبيلة غطفان التي هي أقرب إليها نسباً وداراً ، وقد حدث هذا التباعد في عهد متقدم ـ كما ستأتي الإشارة إليه في خبر مشاركة باهلة في يوم جبلة .

وسيأتي في أنباء محاولات هذه القبيلة مع غيرها أنها كانت داخلة في بني كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، حتى قُتِل ابْنُ المنتشر الباهلي ، فحدث بينها وبين بني جَعْدة ماكان سبباً في تفرقها ، ولعل استقرار بعض فروعها في بلاد بِيْشَةَ كان من أثر ذالك ، وقد ذكر المتقدمون أن باهلة لما قتل المنتشر ثلاثة نفر من جعدة استجارت بعقال بن خويلد بن عامر بن عقيل الْعُقَيْلي فأجارها[1] ، ومعروف أن من بلاد بني عُقَيْلٍ الْعَقِيْق المعروف الآن باسم وادي الدوَاسر ، ولعل هذا يُبَيِّنَ لنا الصلة بين باهلة وبين قبيلة الدواسر سكان الوادي الذين هم أخلاط من القبائل العدنانية والقحطانية . ومن النصوص القديمة ما يشير إلى صلة بين بني نُمَيْــرٍ وبين باهلة ، فقد جاء في كتاب « جمهرة النسب » في الكلام على نسب نمير[2] : وخليف بن عبدالله بن الحارث بن نُمَيْرٍ ، كان سيدَ نُمَيْر في زمانه وهو الذي عقد الحلف بين بني عامر وبين قبائل بَجِيلة الذين صاروا في بني عامر وفيه يقول القائل :

إن خُلَيْفــاً خَلَّفَ الْـخَـوَالِفَــا
وأَلَّـفُــوا بَــاهِـلَةَ الــزَّعَــانِـفَــا
وكَــانَ فِينــا يَضْـرِبُ الْكَتَـائِفَــا

(١) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ٢ / ٣٠ وعقال هذا هو قاتل دهر الجعفي يوم النُّخَيْل «الأغاني» ٥/ ١٨ ـ ط دار الكتب ـ .

(٢) «جمهرة النسب» لابن الكلبي ٢ / ٦٠ ـ ط العظم ـ وص : ٣٧٣ ـ ط : ناجي حسن ـ .

فيفهم من هذا الرجز أن باهلة ممن حالفت نُمَيْراً . بل هناك ماهو أوضح من هذا ففي يَوْمِ جبلة انضمت باهلة إلى بني عامر ، وفيهم بنو نمير ، كما انضمت قبائل بجيلة[1].

وليس بين يدي الباحث ما يتمكن بواسطته من معرفة انحلال الرابطة القبلية في قبيلة باهلة ، ولاشك أن من هذه القبيلة طوائف نزحتْ أثناء الفتوحات الإسلامية ، فاستقر بعضها في البصرة ، وبعضها في سامرَّاء في العراق ، ونزح بعض فروعها إلى الموصل ، وإلى مصر ، بل منها من انتقل إلى الأندلس ، كما أشار ابن حزم في « جمهرة أنساب العرب » إلى أن قضاة جيان من هذه القبيلة .

ولاشك أن محافظة القبيلة على اسمها القديم يدل على تماسك كيانها وليس من المستبعد أيضاً أن يكون إخوتها بنو غَنِـيٍّ ، قد اندمجوا فيها ، فشمل الجميع اسم باهلة الذي استمسكت به ، وحافظتْ عليه الفروع الباقية في نجد من هذه القبيلة . ولكن ليس معنى هذا أن ذالك التماسك استمر إلى العصور الأخيرة ، فالتمزق بدأ هذه القبيلة قبل الإسلام ، حيث نجد بني أُمامة منهم سَدَنَة ذي الْـخَلَصَةِ في تَبَالَةَ ـ ويفد وافدهم على الرسول ﷺ من بِيْشَةَ فيكتب له ولقومه بأن لهم ما أَحْيَوْا في تلك البلاد ، ثم نجد في خبر المنتشر ـ وهو جاهلي ـ أن باهلة التجأتْ إلى سيد بني عُقَيْل عقال بن خويلد فأجارها ، ومعنى هذا أن منها فروعاً انتقلت إلى بلاد بني عُقَيْل التي تقرب من بلادهم كالْعَقِيق (وادي الدواسر) .

ثم نجد من المتناقل عند أهل هذا العصر أنَّ هذه القبيلة كانت تسكن في

---

(١) «نهاية الأرب في فنون الأدب»: ١٥/٣٥٢ .

العصور الأخيرة بلدة الغاط (لُغَاط) ثم انتقلت إلى الْـمِذْنَبِ في القصيم ، ومن القصيم انتقلت إلى الأَثْلة ونَفْيٍ ، وقد يكون بقي منها من استقر بقرب بلاد المذنب حيث لايزال أناس منهم يستقرون في بلدة الْـمُرَبَّع .

ومعلوم أَنَّ تفرق القبيلة وتباعُدَ منازلها يسبب التقاطع حيث تجهل الوشائج التي تربط بين فروعها ، وهذا يفسر لنا أَنَّ كثيراً من فروع باهلة الحديثة ـ وإِنْ حافظت على الانتساب إلى القبيلة ـ بل كانت تعتز بذالك ـ لا تدرك صلاتِ النسب التي تربط بعضها ببعض ، وإنما تلتقي بالنسبة الأولى (الباهلي) لعل هذا يفسر لنا المثل المتداول عند العامة (قَطِيْعة باهلة) حين يدعون على أَحَدٍ بأن يقطعه الله كالقطيعة بين فروع قبيلة باهلة الذين لا تواصل بينهم من حيث النسب لجهلهم بأسباب التقارب بينهم .

ومن المعروف أيضاً أن كل قبيلة عندما تضعف تتفرق فروعها وتتداخل مع قبائل أخرى في أنسابها ، وفي منازلها ، وهكذا كانت قبيلة باهلةَ بعد أن أدركها الضعف ، وكان ذالك في عهود متقدمة إذ في صدر الإسلام لم تكن كلُّ فروعها مجتمعةً في بلادها المعروفة باسم سواد باهلة ، بل كانت بعضُ الفروع تحلُّ بِلَاداً خارجة عَنْه ، كبني جِئَاوَةَ الممتدين على وادي التَّسْرِيْر (الرِّشَاء الآن) من أَعَالِيه بقُرْبِ النِّيْرِ وثَهْلَانَ ، إلى حيث تنتشر بلاد إِخْوَتِهم من غَنِـيٍّ في أَسَافِل حِمَـى ضرية .

ومن باهلة من استوطن بِيْشَة ، وكتب لهم الرسول ـ ﷺ ـ كتاباً بأن لهم ما أَحْيَوْا في تلك البلاد ، ومنهم من استقرَّ في تبالة ، حيث كان منهم سدنةُ ذي الْـخَلَصَةِ .

من هنا يتضح أن تفرق هذه القبيلة كان في عهد قديم .

ولهذا فليس من المستغرب أنْ لا يجدَ الباحث بين سكان بلادها القديمة من فروعها أحداً ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ من بين تلك الفروع من اندمج في فروع قبائل أخرى كبني نُمَيْرٍ ، جيران باهلة ، الذين لا تزال فروع منهم تحلُّ بعض أجزاء من بلادهم القديمة ، كوادي الرَّيْبِ وماحوله (الرَّيْن) وإن أصبحت الفروع النُّمَيْرِيَّة في عهدنا تَنْتَسِبُ إلى قحطان ، ولعل هذا ناشيءٌ عن كون أشهر تلك الفروع يُدْعَى (عَبِيْدَةَ) في العهد القديم ، ولما صار لقبيلة عَبِيْدَةَ في العهود الأخيرة من الشهرة وارتفاع الصِّيْتِ ، وجَهِلَ ذالك الفرع أَصْلَهُ ، انتسب إلى عَبِيْدَةَ القحطانية للاتفاق في الاسم ، وهذا معروف في قبائل العرب منذ عهودها القديمة كما ذكر ذالك الهمداني في « صفة جزيرة العرب » في كلامه على الأَجْعُودِ من حِمْيَرَ ، وأنهم ينتسبون إلى جَعْدَةَ من بني عامر العدنانيين قال[1] : وكذالك سبيلُ كلِّ قبيلة من البادية تضاهي باسمها اسم قبيلة أشهر منها فإنها تكاد أن تتحصل نحوها وتنسب إليها ، رأينا ذالك كثيراً .

وليس المقام مقام تعمق في بحث هذا الموضوع .

ولا تُمِدُّنَا المصادرُ التي بين أيدينا بتفاصِيل عن أمكنة استقرار الباهليين بعد تشتت فروعهم . أما ما يتناقله العامة منهم ، ومن غيرهم فملخصه : أنهم كانوا يسكنون في الْغَاط (لُغَاط) وهذا في القديم كان من منازل بني ضَبَّة القبيلة التي اندمجتْ فروعُها في بني تميم ـ وأَنَّهُ حَدَثَ بين الباهليين وبين جيرانهم نزاعٌ اضطروا على أثره إلى الارتحال إلى الـمِذْنَبِ في القَصِيم ، وكان يحدثُ بينهم وبين جيرانهم الأولين في الغاط مناوشات ، ولهذا لا يزال خَلٌّ يقع في النفود الشرقي من الـمِذْنَب يعرف باسم (سُوَيْق باهلة) لأنهم كانوا يسلكونه في

---

(١) «صفة جزيرة العرب» ـ ١٨٠ ـ طبعة دار اليمامة .

الإغارة على بلدة الغاط ، فَبُيِّتُوا فيه ومنه انهزموا فَعُرِفَ بهم - كذا يتناقَلُ بَعْضُ الْعَامَّة - .

وبعد خلاف ونزاع بينهم وبين سكان بلدة الـمِذْنَبِ من النَّواصر من بني تميم ، ارتحلوا من البلدة ، وباعوا أملاكهم ، ولا يزال في تلك البلدة (قصر البواهل) معروفاً ، وهو الآن خراب ، وقد سلكوا في طريق ارتحالهم من الـمِذْنَبِ خلاًّ في رِمال الشُّقَيِّقَةِ لايزال يعرف بهم (خَلّ البواهل)[1] واستقروا في بلدة وادي نِفي ، وحفروا فيه آباراً وزرعوا ، وجرت بينهم وبين أهل الدوادمي بعضُ مناوشات حيث قتلوا رجلاً يدعى (الزُّويكي) حمله قومه أَهْلُ الدوادمي حتى دفنوه في هضبة عرفت باسم (هضبة الزويكي) شمال هِضَابِ (السَّمَنَات) المعروفة هُنَاك .

ونشأ عن نزاعهم مع أهل الدوادمي أن انتقلوا إلى وادي الأَثْلَة ، وباعوا آبارهم في وادي نَفْي (نَفْء) على آل سُوَيْلم من العوازم ، وقد استقروا في الأثلة وعمروها ، وكانوا أَرْبَعَ أُسَرٍ ، ولكل أُسْرَةٍ فُرُوعٌ - :

١ ــ آل سُبَيِّـل .
٢ ــ آل عبداللطيف : وجدهم مَعْيُوف .
٣ ــ آل عُوَيْوِيَد : وجدهم يَعِيد - بالياء المثناة التحتيَّة فالعين الـمُهْمَلة مكسورة بعدها ياء أخرى فدال مُهْملة .
٤ ــ المطاريد : واسم جدهم صَقْرٌ .

---

(١) يقول فيه الشاعر العامي سليمان بن شُرَيم :
وَمْشاه مع (خَلّ البواهل) سَفَارَهْ ومِقْيَالْها في مَرْبَخٍ فِيه مِشْجَار
ويسمى أيضاً هذا الخل (خلّ السُّلَيْمة) .

ومن الأثلة تفرقوا ، فعادَ آل سُبَيِّلٍ إلى نَفْي ، وتفرق الآخرون في قرى نجد سوى آل عُوَيْوِيْدٍ فقد استقروا في الأَثْلَةِ إلى هذا العهد ، والأُسَرُ الأربع أبناء رجل واحد .

هذا ماكتب به إليَّ الأستاذ سعد بن عبدالله بن جنيدل ، وذكر أنه من إملاء محمد بن علي بن عُوَيْوِيْدٍ ، الذي تحدث عنه في كتاب «عالية نجد»[1] ووصفه بالحفظ والتثبت في رواية الأخبار .

وعرف لرجال هذه القبيلة الكريمة مواقفُ بارزةٌ في مناصرة الدعوة السلفية الإصلاحية منذ قيام الدولة السعودية الأولى بنشرها واستمروا على ولائهم لهذه الدولة الكريمة .

فمن رجال تلك القبيلة الذين عرفوا بأفعالهم من أهل الدرعية : -

١ ــ سليمان بن موسى الباهلي : ممن شارك في وقعة الْبَطْحاء سنة ١١٦٣هـ مع محمد بن سعود ، ضدّ دِهَامِ بن دَوَّاسٍ ، على ماذكر ابن بشر في «عنوان المجد»[2] .

٢ ــ يوسف بن سليمان الباهلي : الذي استشهد في وقعة الدرعية سنة ١٢٣٣هـ .

٣ ــ عبدالعزيز بن سليمان الباهلي : قتل في وقعة الخرج سنة ١٢٥٤هـ بين الإمام فيصل وبين خورشد ـ على ماذكر ابن بشر في «عنوان المجد» .

٤ ــ محمد بن حسن الباهلي : قتل في الأحساء .

٥ ــ ابراهيم بن زيد الباهلي ذكره ابن بشر في حوادث سنة ١١٦٣هـ .

---

(١) ج ١ ص ٩٥ .

(٢) ٦١/١ ـ طبعة دارة الملك عبدالعزيز سنة ١٤٠٣هـ .

٦ ـ عبد ربه بن سليمان الباهلي : من مرافقي الإمام فيصل بن تركي ، رافقه في خروجه في المرة الأخيرة من مصر .

وقد عرفت الدولة السعودية الكريمة لهذه القبيلة موقفها في مؤازرتها إبان نشأتها منذ عهدها الأول ـ فأسندتْ إمارة مدينة الدرعية إلى رجل كُفْءٍ من أبناء تلك القبيلة هو الأمير محمد بن عبدالرحمن الباهلي ـ وسيأتي ذكرهُ في الأمراء ـ .

وهاهي أشهر الفروع المعروفة في عهدنا من قبيلة باهلة مرتبة على حروف المعجم : ـ

آل الباهلـــــي :

مع أنَّ انتساب كثير من الأسر الباهلية إلى القبيلة من الأمور الشائعة ، إلا أن اسم (الباهلي) أصبح يطلق على إحدى أُسَرِهَا المشهورة منذ عهد قديم ، وهذه الأسرة يظهر أن استيطانها في (العارض) في العيينة ، ثم في الدرعية قبل القرن الثاني عشر الهجري ، فقد عرف منها رجالٌ استجابوا لدعوة الإمام محمد ابن عبدالوهاب الإصلاحية إبَّانَ ظهورها ، واستقروا في الدرعية منذ ذالك العهد ، ولاتزال الأسرة في هذه البلدة ومنهم أميرها ، وقد انتقل بعضهم إلى الأحساء وهم من أبناء محمد بن عبدالعزيز الباهلي ، ويعرف بالقُصَيِّر ، ومحمد ابن عبدالعزيز الباهلي ويعرف بالطويل ، وفي بلدة الْـمَصَانِع ـ بمنطقة الرياض ـ من أسرة الباهلي لم يبق سوى عبدالله بن محمد بن حسن الباهلي ، وله ثمانية أبناء .

وأسرة الباهلي هذه يجمعها جَدُّهَا سليمان بن موسى الباهلي ، الذي ذكره ابن بشر في تاريخه .

آل بَطِــــي :

فخذ من آل سالم يسكنون الدَّوادمي والرَّسِّ والرياض ، ومنهم فرع يدعى آل عُلَيَّان ، وهو ابن بطي بن علي بن بطي بن محمد .

الحَامِــدي :

وهم أبناء حامد بن عبدالله بن محمد بن ردَّاسٍ بن عُوَيْوِيدٍ الآتي ذكرهم - وهم الآن يسكنون في السُّلَيِّل وعَرْعَرَ ، ومنهم من هو في جُدَّة .

آل حِجِّــــي :

آل حِـجِّـي بكسر الحاء المهملة والجيم مشددة بعدها ياء .

أسرة باهلية استوطنت بلدة جلاجل من إقليم سدير ، ومن مشاهيرهم : محمد بن إبراهيم آل حجي توفي على وجه التقريب في أول النصف الثاني من القرن الماضي وله بقية من ذريته منهم أُناس في المجمعة وفي الكويت .

آل حَمَّــــاد :

في الأَثلة وفي نَفْـيٍ والدوادمي والرَّسِّ ، ثم في الدمام .

الخضــــارا :

واحدهم خُضَيْرِي - بِضَمِّ الخاءِ - : في الـمِذْنَب .

آل دَخَّــــان :

في المجمعة ، ذكر الشيخ حمدالـحُقَيْل في كتابه «كنز الأنساب» أنهم في سُدَير ، وذكر لي أنَّ لهم بقية قليلة العدد في إحدى قرى المجمعة ، وهي قرية (ظَلْمَاء) ، ويرى بعض النسابين أن هاؤلاء احتفظوا بالاسم القديم لقبيلتي

باهلة وغني ، إذ كان يشملهما اسم (آل دُخَان) ، رأيت ذالك في أوراق منقولة عن خط الشيخ عبدالله بن زاحم[1] جاء فيها مانصه : وأهلُ الأُثْلَةِ باهلة بن يَعْصُرَ ، وكذالك يلحق بهم من غني آل دخان في بلدة المجمعة ، لأنهم لَقُوا ملِكاً في غارٍ ، فما تجاسروا عليه . وأشار إلى قصة تقدمت في أول الكلام على النسب . وما أرى الاسم إلا حادثاً وافق الاسم القديم ، مع اختلاف في نُطق الخاءِ .

وذكر لي الأخ عبدالرحمن بن صالح آل عبداللطيف وكيل إمارة الدرعية أن آل دَخَّان انتقلوا أولاً من بلدة أشيقر ولايزال لهم هناك بقية أملاك ، ومنهم أناس انتقلوا إلى دُبَـيّ وإلى الكويت وإلى سلطنة عُمان ، وهم يلتقون في الجد الخامس مع آل حجـي الذين في جلاجل وفي حرمة .

آل رُشَيَـــــــد :

ـ بضم الراء ـ في المربَّعِ والدوادمي ونَبْعَةَ والْبُرُود ، وهم فرعٌ من آل وُقَيَّان أمراءِ الأُثْلة في القرن الحادي عشر الهجري .

آل رُكْبَـــــان :

ـ بضم الراء ـ إحدى الأسر الباهلية ، عرف من أول مواطن استقرارها أُشيقر في أقليم الوشم ومنه انتقلت إلى المجمعة حيث استقرت فيها وبما حولها من القرى مثل (جوي) و(اشي) تمتهن الفلاحة والتجارة ، وانتشر أفراد منها في الزمن الأخير في كبريات مدن المملكة وبرز منها رجال معروفون منهم :

حمد بن محمد آل ركبان المتوفى سنة ١٣٣٠هـ عرف بالشجاعة والكرم ونظم الشعر العامي .

---

(١) انظر عن تلك الأوراق كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد»: ٩١٦ ط : ٢ .

وحمد بن عثمان آل ركبان المتوفى سنة ١٣٥٠هـ من أعيان المجمعة وتولى امرة حجاجها حتى عرف بأمير الحاج .

والشيخ عثمان بن عبدالعزيز آل ركبان المتوفى سنة ١٣٦١هـ ولي القضاء في بلدة تُمير ثم في بلدة محايل ثم في النماص ، وكان ذا اطلاع واسع ، وخط حسن ، وسيأتي ذكره في القضاة . وهناك آخرون من مشاهير الأسرةِ لا يتسع المجال لذكرهم .

آل رُمَيْـــــــح :

في المجمعة أيضاً وفي الرَّسِّ وبُرَيْدة ، وكان معظمهم يسكنون الأثلة ، ومنها تفرقُوا ومن مشاهيرهم الشاعر صالح الرُّمَيْح ، ويلَقَّبُ (الشَّابُوص) وكان من أهل الأثلة .

آل سالـــــم :

في بلدة الأثلة ، وفي المذنب ، وفي بلدة الرس ، ومن آل سالم هؤلاء آل بَطِيٍّ والمطرود وهم فرع آخر غير آل مطرود الذين سيرد ذكرهم في حرف الميم ، وآل سالم متفرقون في الأثلة والرسِّ وفي الـمِذْنب وفي الشِّنَانَةِ بقرية تدعى الـجُنَيْزِيَّة ، منسوبة إلى جد آل سالم يلقب جُنَيْزِرْ .

آل سُبَيِّـــــلٍ :

في الأَثْلَةِ ، وفي نَفْي ، وفي الدوادمي ، ومن هؤلاء الشاعر المشهور عبدالله ابن سُبَيِّل المتوفى سنة ١٣٥٧هـ سترد ترجمته عند ذكر الشعراء ، ومن آل سُبَيِّل بنو عمهم في قصر ابن عُقَيِّلٍ في الرَّسِّ ، وهذه الأُسْرَةُ نزحتْ من الـمِذْنَبِ في أواخر القرن الحادِي عشر إلى نَفْيٍ ، وعَمَرَتْ قَرْيَةً ، وحَفَرتْ آباراً زراعية ، واستقرت هناك . ولما وفد الشاعر عبدالله بـن حمود بن سُبَيِّلٍ على الملك

عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٢١هـ أكرمه ثم ولاه سنة ١٣٢٢هـ إمارةَ بلدته نَفْيٍ ، ولاتزال الإمارة في أُسْرَته ، ومن هذه الأسرة الشيخ حمود بن عبدالعزيز ابن حمود بن سبيل بن أخي عبدالله الشاعر ـ أنظر ترجمته في القضاة والعلماء .

آل سَنَـــــد :

سَندٌ ومطرود ـ جد المطاريد ـ أَخَوَانِ أبوهما صَقْر ، وصَقَرٌ هذا ورَدَّاسُ جَدُّ آل عُوَيْوِيْدٍ أخوان ـ وآل سَنَدٍ هم أبناء سند بن محسن بن سند ، ارتحلوا من المِذْنب فاستقروا في الأثلة ، وعمروها مع من عمرها من قبلهم ، ولايزال من آثارهم برْجٌ يعرف باسمهم ، وهم فرعان : آل محمد ، ويعرفون باسم (الـمِدْيان) وهاؤلاء في الأثلة وفي الرسّ وفي الرياض .

وآل محسن : ويعرفون بآل سند (العكارِد) وهم يسكنون الرس الآن .

ومحسن ومحمد أخوان . ومن مشاهيرهم الشاعر عبدالله بن علي بن حمد آل محسن المعروف بـ (الْعُبَيْدِي) .

آل سُوَيْـــدَان :

في أُثَيْثِيَة (أُثَيْفِيَة) في الوشْم ، ومنهم من رحل إلى الزبير طلباً للرزق ، ومنهم عبدالعزيز بن محمد بن سعد بن صالح بن سويدان ، الذي استقر في الرياض وكان حسن الخط ، فأصبح كاتباً لدى الإمام فيصل بن تركي .

وسليمان بن إبراهيم بن سليمان بن إبراهيم بن عبدالله بن سُوَيدان ، وكان ممن استقر في مدينة الزُّبَيْر ، وأسهم في تأسيس (مدرسة النجاة الأهلية) والمكتبة الأهلية العامة في الزُّبير . وعبدالرحمن بن سليمان بن صالح بن سويدان ، ولد في أثيثية سنة ١٣٣٣هـ ، وعرف بجودة الخط ، وجمال الرسم ، وكان ذَا وَلَعٍ باقتناء الأشياء الأثرية والتحف النادرة .

وتولى وظائف كتابية في عهد الملك عبدالعزيز وعمل في خاصته . وتوفي في ٢٣ رمضان سنة ١٤٠٥هـ .

الشعابَــــــا :

واحدهم شُعَيْبِـي ، في الخرج ، ومنهم عبدالرحمن الشعيبي كان من كُتَّابِ ديوان الملك عبدالعزيز رحمه الله على ماكتب به إليَّ الأمير محمد بن عبدالرحمن الباهلي أمير الدرعية .

آل صَقْـــــر :

ومنهم آل سَند وآل مطرود (المطاريد) وصقر جدهم ورِدَّاس جَدُّ آل عُوَيْوِيْد أَخَوَانِ .

آل صِلْهَـــــام :

في الفيضة (فَيْضَةِ السِّـرِّ) وهم من آل عويويد ـ وسيأتي ذكرهم ـ .

آل عَبْدِ اللَّطِيف :

هاؤلاء من أَشْهَر أُسَرِ هذه القبيلة الكريمة وأثراها ، وهم في الوشْم ـ في شقراء وفي أُشَيْقِر ـ وفي الدوادمي ، وقد انتشروا في بلاد أخرى ، ومنهم في مدينة الدرعية وكيل الإمارة عبدالرحمن بن صالح بن عبدالرحمن آل عبداللطيف ووالده صالح من الرجال المعروفين بكرم الأخلاق ومحبة فعل الخير وكان ممن شارك في الفتوحات التي قام بها الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ لتوحيد المملكة ، وقد مرض أول عام ١٤٠٩هـ بمرض أقعده على الفراش ـ عفاه الله ـ وأسرته انتقلت في عهد متقدم من أشيقر إلى قرية الـجُرَيفة في إقليم الوشم ، وكان منها إمام أهل هذه القرية إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن

عبداللطيف بن محمد آل عبداللطيف حتى توفي سنة ١٤٠٥هـ ولايزال في هذه القرية للأسرة بقية .

ومنهم في أشيقر محمد بن عبداللطيف وكيل المعارف المساعد وعبدالعزيز بن محمد بن مرزوق آل عبداللطيف عميد مدارس تحفيظ القرآن في جامعة الإمام سابقاً وأخوه عمر مدير التوجيه التربوي في جامعة الإمام ومن آل عبداللطيف الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف (١٢٧٠/١٣٥٢) ستأتي ترجمته في القضاة وعُرِفَ من أُسْرة آل عبداللطيف من العلماء ـ ممن سترد تراجمهم ـ المشايخ إبراهيم بن عبداللطيف ، وعبدالعزيز بن إبراهيم وعبدالرحمن بن عبدالعزيز بن إبراهيم ، وتفرع من كل واحد منهم فروع ذكرت أثناء تراجمهم ، أما الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبداللطيف بن محمد بن علي بن حمد بن معيوف بن سعد بن يوسف بن ناصر الباهلي ـ فله ابن هو عبدالرحمن المتوفى سنة ١٢٩٨هـ ، ولعبد الرحمن هذا ابنان هما عبدالعزيز وسليمان .

فأما سليمان بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز فقد كان حافِظاً لكتاب الله تعالى ، تلقَّاه على جدِّهِ الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم ، وكان ذا صَوْتٍ جهوري ، حسنَ القراءة ، ذا تأثير في خطابته ، ويحفظ الكثير من الأشعار والخطب وينظم الشعر الشعبيَّ ويجيده ، وقد تولى التدريس في مدرسة الْفَرْعَةِ ـ في الوشم ـ وإمامة جامعها بعد انتقال أخيه عبدالعزيز إلى بلدة الشَّعْراء ، ومازال كذالك إلى أن انتقل إلى عُنَيْزَةَ عام ١٣٤٨هـ ، وتولى التدريس في إحدى مدارسها حتى توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٥٠هـ وله أربعة بنين : ـ

١ ــ عبدالرحمن : وقد ولد في الْفَرْعَة ، وحفظ القرآن في حياة والده ، ثم انتقل إلى الرياض فطلب العلم فيها فترة بعدها انتقل إلى المدينة ، وتلقى تجويد القرآن فيها ، وتولى إمامة مسجد الإمارة فيها إبَّانَ إمارة الأمير عبدالعزيز بن

إبراهيم ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة ، وتولى إمامة مسجد قصر الإمارة فيها ، ثم انتقل بعد سنواتٍ إلى بلدة الشعراء حيث تولى إمامة جامعها ، والتدريس في مدرستها بعد وفاة عمه عبدالعزيز ، وفي عام ١٣٦٧هـ طلبه أمير بُرَيْدَة عبدالله بن عبدالعزيز بن مُسَاعَدٍ ليتولى الإمامة في مسجد قصر الإمارة فقام بذالك حتى طعن في السن ، فانتقل إلى الدَّوَادمي في عام ١٣٩٥هـ واستقر فيها حتى توفي يوم الخميس أول يوم من المحرم سنة ١٤٠٢هـ وقد خلف ابناً واحداً يتولى التدريس الآن في مدينة الدوادمي .

٢ ـ إبراهيم : ولد في الفَرْعة ، وحفظ القرآن على والده وهو على قيد الحياة الآن ، وله ابنان يعملان في التعليم في مدينة الدوادمي .

٣ ـ عبدالعزيز بن سليمان : من حفاظ القرآن وتولى الإمامة والخَطابة في بعض هجر البادية فترة من الزمن ، ثم انتقل إلى الرياض ، وفي آخر عمره انتقل إلى بلدة الدَّوَادِمي ، وتوفي فيها في ١٣٩٩/١٠/٥هـ وله ابن يعمل في (إدارة تعليم البنات) .

٤ ـ صالح بن سليمان : ولد في الْفَرْعة ـ في الوشم ـ وحفظ القرآن بتدريس عمه عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، في الشَّعْرَاء ، وتولى الإمامة والخطابةَ في بعض هُجَرِ البادية ، ولايزال مقيماً في الدَّوادمي ، وله ثلاثة أبناء : سليمان يرأس تعليم البنات في مدينة الدوادمي ، وعبدالرحمن ـ مدير معهد الدوادمي معهد المعلمين الثانوي ـ وعبداللطيف ، لايزال طالباً في المرحلة الجامعية .

ومن آل عبداللطيف : عبدالرحمن بن إبراهيم بن عبداللطيف ، خلف ابناً اسمه عبداللطيف ، وخلف عبداللطيف عمر بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن عبداللطيف ، وقد حفظ عمر القرآن الكريم ، وتلقى مبادئ العلوم

الدينية ، وتولى إمامة جامع الأَثْلَةِ طِيْلَةَ حياته ، ودرس في مدرستها ، وبعد أَنْ فُتِحَتِ المدرسة الحديثةُ ضُمَّ إلى هيئة التدريس ، ودرس فيها العلوم الدينية إلى أن توفي عام ١٣٨٥هـ ، وله ثمانية أبناء يعمل بعضهم في وظائف الدولة وآخرون في الأعمال الحرة . ومن آل عبداللطيف أيضاً عمر بن سليمان العبداللطيف وحمد بن إبراهيم العبداللطيف من رجال الأعمال .

آل عفــــك :

جاء في كتاب «معجم قبائل العرب» مانصه : عَفَكُ من عشائر لواء الديوانية بالعراق ، يرجع أصلها لباهلة ، وقد قصدت العراق من نجد . ويبلغ عدد نفوسها ١٦٠٠٠ نسمة تقريباً . وعرفت هذه العشيرة بالثراء ، وتتألف من آل غانم ، البحاحثة ، آل حمزة ، المخاضرة ، آل شيبة ، البوناشي ، البراجع ، المجاتيب وآل حاجي ، طرفه . انتهى ولا شك أن بعض الأسماء وقع فيها تحريف .

آل عَقْــــل :

من أسر باهلة المعروفة ويسكنون في قرية الفيضَةِ من إقليم السر في قريتين تابعتين لها هما صُفَيَّةُ العليا وصفية السفلى ، وقد عرفتُ من هذه الأسرة رجلين فاضلين هما عقل بن راشد يسكن في صفية السفلى وقد تزوج ابنة عمي هيا بنت علي بن جاسر آل جاسر ، وله منها أولاد أكبرهم راشد وعبدالله وعبدالرحمن ، والرجل الثاني هو عقل بن إبراهيم صاحب صفية العليا وقد عرف عن هذا الرجل الكرم والاحسان إلى المحتاجين ، وكان من أبرز أهل تلك الناحية في ذالك وله أبناء ، وقد انتشر آل عقل في مدن المملكة الأخرى كالرياض وغيرها ، ومن آل عقل آل هجرس وسيأتي ذكرهم .

آل عَكَـــارِد :

عكارد لقب أُطلق على أحد فرعي أُسرة آل سند (السند) وعلى الآخر (المديان) وآل عكارد هم أبناء محسن بن سند ، ويسكنون الرَّسَّ الآن .

آل عُوَيْويـــد :

في الأثلة وفي البُرود ، وقد انتقل آل عويويد إلى الأَثلة من المذنب في القرن الحادي عشر ، واستقروا فيها .

وتُنْسَبُ هذه الأسرة إلى عويويد بن رَدَّاسٍ بن يَعِيد بن محمد بن بدران الباهلي .

ولمحمد هذا ثلاثة أبناء هم : محمد وعبدالله وإبراهيم .

ولمحمد ثلاثة أيضاً هم : حمود وعبدالله وعلي ، ومن هاؤلاء الثلاثة الأُسَرُ الآتي إيضاحها :

الحامِـدِيُّ : وهم أبناء حامد بن عبدالله بن عويويد ، وتقدم ذكرهم .

آل صِلْهَـام : وهم أبناء محمد بن حمد بن إبراهيم العويويد ، لقب جدهم بـ (صلهام) لأنه هجم عليه لُصُوصٌ (حَنْشَلٌ) ، لِأَخْذِ مامعه ، فلما سُئِل عنهم قال : صَلْهَمْتُهُمْ ـ أي غلبتهم ـ وآل صِلْهام : يسكنون في الفيضة (فيضة السر) وفي الرياض .

آل هَـــذَّال : وهم أبناء هذال بن عبدالله بن محمد العويويد ، وهم في البرود في السر وفي الأَثْلة ، وفي الدَّوادمي .

ومن آل عويويد : آل محمد ، وآل حمود ، وآل علي ، وآل إبراهيم في الأَثلة

وفي الدوادمي وفي الرَّسِّ ، وفي الرياض ، وفي نَفْي ، وفي شقراء ، وفي البرود ، وفي الدمام .

ولآل عويويد : موالٍ يعرفون بالباهلي في عُنَيْزَة والعوشزية ، وهم أبناء سَدَّاح مولى محمد بن حمود العويويد .

وآل عُوَيْوِيْد : هم أمراء بلدة الأثلة منذ عهد قديم حتى عهدنا ، وممن تولى الإمارة منهم :

١ ــ محمد بن عويويد بن ردَّاس بن يَعِيد بن محمد بن بدران .

٢ ــ حمود بن محمد بن عويويد ـ تولى الإمارة عام ١٢٥٩هـ في عهد الإمام فيصل .

٣ ــ محمد بن حمود بن محمد بن عويويد ـ تولى الإمارة عام ١٢٩٠هـ .

٤ ــ حمود بن محمد بن حمود بن محمد بن عويويد ، تولى الإمارة في ٢٥ جمادى الأولى عام ١٣٠٣هـ ، وتوفي عام ١٣٣٧هـ ، وكان كريماً ممدحاً قال فيه أحد شعراء عُتَيبة :

كَـرِيْم يَانَـوٍّ نَهَضْ مِنْ حَـدْرَا　　نَـوَّ الْـخَـرِيْفِ مُلَيِّمَ الحِيَّـانْ(١)
يَسْقِـي غَرِيْسٍ حْمُود هُو والْقَصْرَا　　ويْحَـدِّرْ عَـلَى قَـرَّايَـةَ الضِّيْفَـانْ

٥ ــ عبدالله بن عبدالهادي بن علي بن محمد بن عويويد ـ عام ١٣٢٢هـ .

٦ ــ فهد بن ناصر بن فهد بن محمد بن حمود بن محمد بن عويويد ـ تولى الإمارة بأمر من الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في ١٣٦٨/١٢/٢٢هـ .

---

(١) «المعجم الجغرافي» ـ عالية نجد ـ ٩٥/١ : كلمة كَرِيْم يقصد بها التفاؤل بقوة هذا النَّوْء أي السَّحاب ـ وشموله أراضي واسعة ، حَدْرَا : من الشرق . نَوُّ الخريف : سحاب فصل الخريف . مُلَيِّم : جَامِع . الحِيَّان : الأَحْيَاء ـ جَمْعُ حَيٍّ وهو البطن من بطون العَرَب ، فإذا أصاب الأرض مَطَرُ الخريف اجتمعوا لِرَعْي أنعامهم فيها . قَرَّاية الضيفان : الذين يقرون ضيوفهم من القِرَى .

ومن أدباء هذه الأُسرة وشعرائها : -

١ ــ محمد بن علي بن محمد العويويد : ولد في بلدة الأثلة ، وتوفي في عيد الاضحى عام ١٣٨٦هـ وصفه الأستاذ سعد بن جنيدل[١] بأنه كان (موسوعة) نادرة في أخبار الأُسَر وأشعارها حافظًا لأخبار الوقائع التاريخية وتفاصيلها ، وحِفْظُهُ للشعر الشعبي مَضْرِبُ المثل ، وكان يؤتى إليه من البلاد للرِّواية عنه ، وكان كثير التحفظ في رواية الأخبار فلا يتحدث إلا بما يتأكد صحته .

٢ ــ ناصر بن فهد بن محمد بن عويويد : ولازال على قيد الحياة .

٣ ــ عبدالله بن عبدالهادي بن عويويد : قال عنه الأستاذ سعد بن جنيدل[٢]: شاعر مجيد رَصِين العبارة ، دقيق الوصف ، ولم يُحْفَظْ من شعره إلَّا القليل .

وفي الأسرة كثيرون ممن ينظم الشعر الشعبي لا يتسع المقام لذكرهم .

آل غانـــــم :

كانوا في أُشيقر ، ثم انتقلوا إلى ثَرْمداء منذ نحو ثلاثة قرون ، ومنهم من نزح إلى الكويت وإلى الزُّبير ، ومن استقر في القصب ، وفي ثرمداء حيث يعدون من وجهاء البلدة ، فقد تولى إمارة البلدة أحدهم ، وهو ناصر بن حمد ابن غانم ، تولاها في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة وألف ، بعد أن استولى الملك عبدالعزيز - رحمه الله - عليها وحبس أميرها مشاري العنقري ، وتولَّى بعد ابن غانم عبدالمحسن بن عبدالله بن عثمان العنقري ، ثم عبدالرحمن بن ناصر بن إبراهيم ، ثم سلطان بن عبدالرحمن ، ثم محمد بن عبدالرحمن - الأمير الآن - .

---

(١) «المعجم الجغرافي» - عالية نجد - ٩٨/١ .

(٢) «المعجم الجغرافي» - عالية نجد - ٩٩/١ .

ومن مشاهيرهم : عبدالله بن دُخَيِّل بن محمد الغانم ، ولي بيت المال قبل عهد الإمام فيصل بن تركي ، ثم في عهده ، وعهد ابنه عبدالله .

ومن شعرائهم (بالعامية) : فهاد بن عبدالله بن دُخَيِّل الغانم وابنه إبراهيم ودُخَيِّل بن محمد بن عبدالله الغانم ، ومحمد بن عبدالله بن دخيل الغانم من أهل ثرمداء ، ومحمد بن ناصر بن محمد الغانم ، وابنه عبدالله من أهل القصب . وانظر عفك .

آل فايـــــز :

من الأُسر التي هي فرع من آل سالم ، وهم في الـمِذْنَب ، وفي الرسّ ، وفي الرياض .

الـمِدْيَـــانُ :

بلفظ جمع مَدِي - : فرع من آل سند ، ومِدْيَان لقب عبدالله بن حسين بن محمد بن حسين بن سند بن محسن الباهلي .

كان حين انتقال أبيه إلى بلدة الرس يقوم بزراعة الخضر على سَوَاقٍ ، يسمى واحدها مَدِي[1] ، وتجمع على مديان ، ولكثرة ترديده كلمة المديان لقب بهذا اللقب . ومن هذه الأسرة من يقيم في الرياض .

آل مَطْـــرُود (المطاريد) :

ذكر لي الأستاذ سعد بن جُنيدل ، أن مما نقل عن عبدالله بن رُشَيْدٍ الباهلي ، أن المطاريد والسَّند (آل سند) من الصقر (آل صقر) ، وأن صَقْراً وَردَّاساً ، جَدَّ آل عُويويد أَخَوَانِ .

ولايزال اسْمُه (المطرود) يطلق على أُسْرَةٍ تسكن في الأَثْلَةِ وفي الرَّسِّ وفي الطائف وفي الرياض ، ولكن هاؤلاء يُعَدُّون الآن فخذاً من آل سالم على

---

(١) الـمَدِي هو الساقي الذي تزرع فيه الـخُضر كالبطِّيخ والقرع ونحو ذالك .

ماكتب به إلي الأخوان : علي بن بَطِـيٍّ الباهلي وسالم بن عبدالله الباهلي .

آل مَعْيُــــوف :

نسبة إلى جَدِّهِمْ مَعْيوف بن سعد بن يوسف بن ناصر الباهلي ، على ماكتب به إلي الأستاذ سعد بن جُنَيْدل ، وذكر أنه منقول عن الشيخ إبراهيم بن صالح ابن عيسى ـ المؤرخ المعروف ـ ومنهم آل عبداللطيف ، الذين منهم الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف . وأبناؤه في شقراء[1] ـ وتقدم ذكرهم .

آل وُقَيَّــــان :

وَوُقَيَّانُ أَخٌ لِـمَعْيُوفٍ ـ على مانقل الأستاذ سعد بن جُنيدل عن عبدالله بن رُشَيْدٍ الباهلي ، فهو ابن سعد بن يوسف بن ناصر الباهلي .

وآل وُقَيَّانَ منهم أمراء الأثلة ، في أول القرن الحادي عشر ، بعد نزوح باهلة إليها ، والاستقرار بها[2]، وكان أميرها حسن بن رُشَيْدِ الوُقَيَّان ، ثم بَعْدَهُ فهد الرُّشَيْدُ الوُقَيَّان ، ومن آل وُقَيَّان تفرع آل رُشَيْد ـ تقدم ذكرهم ـ .

آل هِجْــــرِس :

أبناء هِجْرس بن عبدالله بن حمد من آل عقل ، في الأَثْلة وفي الرس ، وفي الدوادمي ، ومن مشاهيرهم حمد بن هجرس كان إماماً لمسجد الأثلة من عام ١٣٣٦هـ حتى سنة ١٣٥٨هـ حيث عين إماماً لجامع بلدة أُضاخ حتى توفي في شعبان سنة ١٤٠٥هـ وقد عرف بالكرم ـ رحمه الله .

آل هَـــذَّال :

فَرْعٌ من آل عُوَيْوِيْدٍ ـ تقدم ذِكْرُهم ـ .

---

(١) «علماء نجد خلال ستة قرون» ـ ١٣١ ـ .

(٢) معلومات بعث بها إليَّ : علي بن بطي ، وسالم بن عبدالله .

بـلاد باهلـة قَدِيـمَـا

كانت القبائلُ العربية قبل ظهور الإسلام تحل بلاداً خاصة بها في جزيرتها ، فلما استقر الإسلام في الجزيرة قام الخلفاء الراشدون بنشره خارجها ، فبعثوا الجيوش إلى بلاد العراق والشام ومصر ، حتى نشروا الإسلام في تلك الأقطار ، وقد وجد الغزاة المجاهدون وكلهم من العرب في هذه البلاد التي نشروا الإسلام فيها مُسْتَقَرًّا وموطناً فضلوه على بلادهم القديمة ، فاستقر كثير منهم في تلك البلاد ، وانتشروا فيها ، وملكوا فيها الأملاك الواسعة .

ثم لما امتدَّتِ الفتوحات الإسلامية إلى بلاد الْـمَشْرِقِ ، فبلاد المغرب فبلاد الأندلس انتشر العرب في هذه البلاد واستوطنوها ، ولهذا قَلَّ أن توجد قبيلة من قبائل العرب القديمة لم ينتشر من فروعها في خارج الجزيرة من استقر في تلك البلاد ، ومن تلك القبائل قبيلة باهلة التي كانت تَحُلُّ اليمامة ، كما في كتاب «بلاد العرب»[1] : فأما عُقَيْل والعجلان وقُشَير ونُمير ونُهْـم وباهلة ، وكل قيس ، فإلى اليمامة . انتهى فهم من أهل العالية التي قال عنها ياقوت[2] : العالية ماجاوز الرُّمَةَ إلى مكة ، وهم عُكْلُ وتَيْمُ وطائفة من ضَبَّة ، وعامر كلها ، وغَنِـيٌّ وباهِلةَ ـ إلى آخر ماذكر ـ وفي «معجم ماستعجم»[3] : ونزل نُمَير ابن عامر وباهلةُ بـنُ يَعْصُرَ وتميم كلها بأسرها باليمامة ، وبها دارهم ، إلا أن حاضرتها لربيعة .

ولقد استوطن بعض فروع باهلة العراق وغيره أثناء الفتوحات الإسلامية ، فكان لهم في تلك البلاد أمكنة تضاف إليهم ، ولكن ليس معنى هذا أنهم كلهم

---

(١) ٣٢٦ . (٢) «معجم البلدان» رسم اليمامة . (٣) ١/ ٩٠ .

هجروا بلادَهُم القديمة ، واستوطنوا البلاد التي نسبت إلى بعض أفرادهم كما جاء في «دائرة المعارف الإسلامية»[1] حيث جاء في ذكر باهلة : وكانت مراعيهم في القديم جنوب اليمامة ، ويقال : إنهم ظَلُّوا هناك إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، ثم نجدهم بعد ذالك يحتلون الْـحُفَيْرَ على مسيرة أربعة أميال من البصرة ، وهذه البئر على جانب من الأهمية لوقوعها في طريق الحجاج . انتهى .

لاشك أنَّ بعض الباهليين استقروا في البصرة ، ولهذا نَـجِدُ عند ذكر بعض الصحابة من هذه القبيلة أنهم من أهل البصرة ، والواقع أنهم انتقلوا إلى البصرة من بلادهم القديمة ، واستقروا فيها بعد عمرانها ، كما استقروا في نواحي أُخرى في جهات العراق ، ونجد مثالاً لذالك ماورد في كتاب «تاريخ الموصل»[2] للأزديِّ ، قال : وقرأتُ في كتابٍ أن سُرَّ مرَّى أُخِذَ اسمها من اسم سام بن نوح ، وذكروا أن رجلاً من باهلة الذين ابتاع المعتصم منهم قيل له : كيف صبرتم على هذا الخراب وليس حوله عُمَّارٌ ولا معَاشٌ ولا خضرة ؟ فقال : نتوقَّعُ أَنْ تُبْنَى هاهنا مدينة يكون فيها مربطُ الفرس بألف درهم . انتهى .

وقد ذكر كثيرٌ من الباحثين استقرارَ فروع من باهلة في مدينة البصرة ، بحيث كان لهم من النفوذ والسيطرة مابرزتْ آثاره أَثناءَ حوادث القرن الأول الهجري ، مما لا يتسع المقام لتفصيله ، ولكنه يدل على ماكان لهذه القبيلة في تلك المدينة من نفوذ وقوة تصرف .

أما ماورد في «دائرة المعارف الإسلامية» من أن باهلة كانت تحلُّ (الـحُفَير)

(١) ١٥٥/٦ الترجمة العربية رسم (باهلة) وسيأتي في الكلام بعد قليل مايوضح ماهنا من خطإ .
(٢) ٤١٦ تحقيق د. علي حبيبة ـ القاهرة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) .

على مسيرة أربعة أميال من البصرة ، فلا يَعْدُوْ الأَمْرُ أن يكونَ حادثة فرديَّةً ، فقد ورد في كتاب «المناسك»[1] في الكلام على الـحُفَيْر الذي هو أول المنازل في الْـبَرِّ من البصرة وبينه وبينها أحد وثلاثون ميلاً : وكان يقال للحفير : حُفَيْر المِلْح ، فلم يزل كذالك حتى أَرْعَى محمدُ بن سليمان بالـحُفَير إبلا ، وغلب عليه أهله ، فأتاه رجل من باهلة فاستأذنه أن يحفر بئراً بالـحُفَير ، فأذِنَ له ، فأنبط بئراً عذبة فاشتراها محمد بن سليمان منه بعشرة آلاف درهم ، فشرط أن يأذنَ له في حفر أُخرى فأذِن له ، فأَنْبَط عذبة ، ثم حفر محمد فأَنبط عذبة . انتهى .

وإِذَنْ فَالْـحُفَيْرُ كان في ذالك العهد تحت تصرف محمد بن سليمان بن علي أحد مشاهير الدولة العباسية في أول أمرها ، فسمح للباهلي بأن يحفر بئراً بالحفير ، ومصدر ماورد في «دائرة المعارف» هو ماجاء في كتاب «معجم البلدان»[2] ونصه : الـحُفَيْرُ أيضاً : ماء لباهلة بينه وبين البصرة أربعة أميال : إلى آخر كلامه ، ولكن ماجاء في كتاب «المناسك» أصحُّ وأوضح .

ويظهر أن نفوذ القبيلة في مدينة البصرة وماكان لبعض مشاهيرها الذين تولوا في الدولة الأموية كثيراً من الأعمال ، كان لكل ذالك أَثَرُهُ في أَنْ تَنْتَشِر فروع القبيلة في العراق وماحوله ، حتى تكونت منها جالية كبيرة في الجزيرة الفراتية ، بقيت فروعها زمناً طويلاً .

ويلاحظ أن كثيراً من قواد الجيوش وولاة المدن والأقاليم أثناء الفتوحات الإسلامية الأولى كانوا يُولُون الناحية العمرانية لما يَلُونه من البلاد اهتماماً كبيراً ،

---

(١) ٥٧٦ .

(٢) رسم (الحفير) وتجد تَنْبيهاً على مافي كلام ياقوت هنا في رسم (الحفير) من حواشي كتاب «البلدان» للحازمي وفي «العرب» س ٢٥ ص ١٢٥ .

لأنهم يجدون فيها مايرغبهم في استيطانها ، ومن ثَمَّ يتخذُونها بلادًا لهم ويستقرون فيها ، فعبد العزيز بن حاتم بن النعمان بن عَمْرٍو الباهلي والي أرمينية وأذربيجان من قبل معاوية بنى مدينة (دَبِيل) وحصنها وكبر مسجدها وبنى (النَّشَوَا) ورَمَّ مدِينة (بَرْذَعَة) وأحكم حفر (الفارقين) حولها ، وجدد بناء مدينة (البيلقان)، وكانت هذه المدن متشعثة مستهدمة كما يقول البلاذري[1].

وليس هذا الأمير الباهلي وحده هو الذي كان يقوم بمثل هذه الأعمال .

ومن هنا نجد أن آل حاتم بن النعمان قد رسخت أقدامهم في الجزيرة الفراتية التي كان لعدد من أفرادهم من النفوذ فيها مامكن أقاربهم في النسب من قبيلة باهلة وغيرها أن ينتقلوا إليها من البصرة وأن يستقروا فيها[2]، بحيث نرى الأخطلَ ـ وهو وقومه كانوا من سكان الجزيرة ـ يقول في ذكر وقعة الثرثار[3]:

وأما عُمَيْرُ بْنُ الـحُبَابِ فَلَـمْ يَكُنْ ... لَهُ النِّصْفُ في يوْمِ الهياجِ ولا الْعُشْرِ
فـإِنْ تَذْكُـرُوهَا في مَعَـدٍّ فإِنَّمـا ... أَصَـابَكَ بـالثَّرثَـارِ راغِيَةُ البَكْـرِ
وكَانَ يُرَى أَنَّ الْـجَزِيْرَةَ أَصْبَحَتْ ... مَوَارِيثَ لِابْنَـيْ حَاتِمٍ وأبِى صَخْرِ

ابنا حاتم بن النعمان وأبو صخر جميعاً من باهلة .

وينسى الأَخطلُ أنه قال عن حاتم بن النعمان[4]:

وَسَـوَّدَ حَـاتِمـاً أَنْ لَيْسَ فِيْهَـا ... إذا مَـا تُـوقَـدُ النِّـيْرَانُ نـارُ

ولا يُمِدُّني مالديَّ من مصادر عن امتداد استقرار الأُسَرِ الباهلية في هذه الجزيرة ، ولكن نجد أَنَّ أَحَدَ موالي باهلة وهو أحمد بن العلاء بن هلال كان

(١) «فتوح البلدان»: ٢٤٢ ط المنجد .
(٢) «الاشتقاق»: ٢٧٢ . (٣) «شعر الأخطل» ٢/٤٥٧ .
(٤) المصدر السابق: ٢/٤٧٤ .

قاضياً على ديار مُضَرَ ، أي هذه الجزيرة ، على ماذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء»[1] في سنة ست وسبعين ومئتين ، مما يدل على رسوخ أقدام الباهليين في هذه البلاد .

كما نجد في كثير من تراجم مشاهير القبيلة مايفهم منه استيطان فروع منها خارج بلاد العرب في الشام وفي مصر ـ وفي خُراسان وفي الأندلس وغيرها من البلاد ، بحيث انْدَمَجَتْ تلك الفروع في السكان حتى جهِلَتْ أنسابُهم .

لقد كانت باهلة منذ العهد الجاهلي حتى جاء الإسلام تحلُّ بُحْبُوحَةً واسعةً من بلاد نجد ، واقعة في مسمى اليمامة قديماً[2] تدعى العِرْض ، فيما بين خطي الطول : ٠٠َ/٤٤° و ١٥َ/٤٥° ، وخطي العرض : ٠٠َ/٢٣° و ٢٠َ/٢٤° ، هذا التحديد يشمل وسط بلاد تلك القبيلة ولاشك أنها تتجاوز هذا التحديد من كل الجهات ، تبعاً لتوسعها وقوتها ، وتنكمش تبعاً لضعفها وانحسارها في هذه الأرض المحدودة ، فجبل يذبل المعروف باسم (صَبْحا) الآن وهو من أشهر أعلام بلاد هذه القبيلة ـ كما سيأتي في الكلام عليه ـ يقع في جنوب بلادها على الجانب الشمالي الشرقي من رَمْل السُّرَّةِ (نفوذ السُّرَّة) بقرب خط الطول : ٤٥َ/٤٤° وبقرب خط العرض : ١٥َ/٢٣° . وبلاد باهلة تتجاوز هذا حيث تبلغ صاحة وعَماية الواقعتين بقرب خط العرض: ١٠َ/٢٢° وخط الطول : ٣٦َ/٤٤° .

ونجد من أعلام بلاد القبيلة في الجهة الشرقية (سُوفَة) ورد في الخبر عن الصحابي جهم بن كلدة الباهلي : لما أتانا نَعْـيُ النبي ﷺ ونحن بِسُوْفَةَ ، وهي جرعاء من أرضِ باهلة ، فَقَوَّضَ الناسُ بيوتهم ، فما بُنِيَتْ سبعُ ليال[3].

(١) ٣١٠/١٣ .   (٢) «معجم ماستعجم»: ٩٠ .
(٣) «الاصابة» حرف الألف القسم الأول .

وسوفة هذه لاتزال معروفة ، تقع شمال بلدة القويعية بخمسة وثلاثين كيلاً ، والاسم الآن يطلق على وادٍ وَعلى أَكَمَةٍ صغيرة ، وأرض واسعة ، تقع شرق وادي الْـحَرْمَلِيَّةِ ، شمال بلدة القويعية ، وغربَ نُفُودِ السِّرِّ بقرب خط العرض : ٠٠َ/٢٤° وخط الطول : ٣٠َ/٤٥° أما الـجُبيل المعروف باسم سوفة فعلى مقربة من ذالـك الوادي الصغير في شرقه قرب خط العرض :٢٠َ/٢٤° وخط الطول : ٣٥َ/٤٥° ، وسُوْفَةُ هذا من أشهر المواضع التي تكرر ذكرها في الشعر القديم ، وقد ترد في بعضها مصحفة بالقاف (سوقة) .

أما من ناحية الشمال فإنَّ بلاد العِرْض وما يتصل بها شمالاً حتى نواحي ثَهْلَان ومُجَيْرَاتٍ وَحُذُنَّةَ ، وما حولها بمنطقة الدَّوَادِمي لابُدَّ أن تكون داخلةً في اسم السَّوْدِ سَوْدِ باهلة .

على أنَّ بلادها من تلك الجهة قد تمتد في بعض الأَحيان ، فقد جاء في كتاب «النقائض»[1]: عَاقِلُ وادٍ ببلادِ قَيْسٍ ، وهو الْيَوْمَ لِبَاهِلَة بن أَعْصُرَ . ومؤلف «النقائض» أبو عبيدة عاش في القرن الثاني الهجري ، وأدرك أول القرن الثالث ، وعاقِلُ وادٍ لايزال معروفاً باسم (الْعَاقِلِي) في جنوب غرب القصيم ، من روافد وادي الرُّمَةِ ، يقع شرق مدينة الرَّسِّ ، بقرب خط العرض : ٤٥َ/٢٥° ، وشرق عاقِلٍ رَمْلٌ يدعى العقار ، نُسِب في بعض الكتب إلى باهلة - كما سيأتي في الحديث عنه .

ومن الناحية الغربية يظهر أن بلادها لا تَتَعَدَّى المرتفعات الغربية من منطقة العرض ، هذا في الغالب الأعم ، فتلك البلاد التي عُرِفَتْ منذ القديم باسْمِ سَوْدِ باهلة كما عُرِفَتْ باسم عِرْضِ شَمَامٍ هي بُحْبُوحَةُ بلاد تلك القبيلة التي

(١) ٢٣ .

استقرتْ بها بعد أن عمرتها فاستوطنتها وتمكنت من حمايتها والدفاع عنها .

ويظهر أن قبيلتي غني وباهلة كانتا تحلان على مقربة من بلاد غطفان أقرب القبائل إليهما ، وأن منازل القبائل الثلاث كانت متصلة لأن الهجري[1] نقل عن مشايخ من أهل ضرية أن الإسلام جاء ، وكل ماءٍ منَ الـحَمْضَتَيْن لِغَنِـيٍّ ، والحمضتان حمضة التَّسْرِيْرِ وحمضة الْـجَرِيْبِ كذا قال . ومعروف أن بلاد فروع غطفان تتصل إلى وادي الْـجَرِيْبِ مما لا يتسع المجال لتفصيله .
ويشير الهجري إلى أن من بطون باهلة من بقي مع غني في بلادها فيقول ـ وهو يتحدث عن النِّيْر وما بقربه من الجبال والأودية فيعد منها نضاد[2] : ـ وفي ناحية نضاد دار غني التي فيها النقب وفيها حقوق بني جِأوة بن معن الباهلي ، وحقوق غني فاختلطوا هناك . وهناك مياه عدة لبني جأوة في غربي ثهلان ، وذكرها بما سيأتي مفصّلاً .

فكأن منازل باهلة لم تنتقل في أول الأمر إلى العرض بل بقيت فروع منها مستقرة في مواطنها القديمة القريبة من منازل قبيلة غطفان أقرب القبائل إليها نسباً ، حتى زحزحت عنها بفروع من بني عامر .

ولقد أدرك قبيلة باهلة مايدرك غيرها من القبائل من الضعف بعد القوة ، والقلة بعد الكثرة ، مما سبب تفرق كثير من فروعها فارتحلت إلى بلاد أُخرى ، كالحال في بني وائلٍ أحَدِ فُرُوعها ، فقد كان هذا الفرع يحل بِيشَةَ في العهد النبوي ، وكَبَنِـي أُمامة الذينَ تولَّوا سِدَانَة ذِي الْـخَلَصَةِ في العهد الجاهلي ، حتى جاء الإسلام فقتل عدد منهم عند هدم الصنم .

---

(١) «أبو علي الهجري»: ص ٢٦٤ .
(٢) «أبو علي الهجري»: ص : ٢٧٠ .

وتَرِدُ إشاراتٌ في كتب المتقدمين تدل على أن قبيلة باهلة تنضم في بعض الأحيان إلى قبيلة كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة التي تجاور بعض فروعها قبيلة باهلة ، وقد تخالطها في بعض البلاد مما سبب مزاحمة تلك الفروع لقبيلة باهلة ، أدت تلك المزاحمة إلى احتلال بعض بلادها ، وقد يكون من بين تلك الفروع من يندفع لأسباب نجهلها لمؤازرة فروع أخرى يجاورون باهلة في البلاد كبني نُمَيْر الذين تقع بلادهم في الجنوب ، وفي الغرب من بلاد باهلة ، بحيث نجد عُقَيْلِيًّا يخاطب باهلة بقسوة فيقول[1]:

بَاهِلَ زِيْحِي عَنْ نُمَيْرٍ واخْنَسِي ... إنَّ نُمَـيْراً لَـكِ أَنْ تُكَبَّسِي
يَـطَاكِ واطِيْهَـا بِخُفٍّ مُلْطَسِ ... وتُنْحَسِـي وتُنْخَسِـي وتَـنْخَسِـي
وتُفْرَسِـي بِالسَّـوْدِ كُلَّ مَفْـرَسِ ... وقَبْلَ وِرْدِ الْعَرَكِ الْـمُعْلَنْـطِسِ

مما يدلُّ على أَنَّ العُقَيليين وهم من كعب بن ربيعة بن عامر الذين انضوت إليهم باهلة ، أصبحوا ينظرون إليها نظرة كراهية ، وكان ذالك في آخر القرن الثالث الهجري .

إن تلك الإشاراتِ تُوَضِّحُ أَنَّ قبيلةَ باهلة لم تستطع الاحتفاظَ ببلادها منذ عهد مبكر ، وأَنَّ جيرانها - ومنهم من كانت تؤمل منه نصراً وحماية - قد تكالبوا عليها حتى اقتطعوا كثيراً من بلادها ، وهي بلاد تتميز بصفات تجعلها مطمعاً لأَعْداء القبيلة من حيثُ وفرة المياه وخصوبة الأرض وكثرة المعادن .

وسأُورد أسماءَ ماوقفتُ عليه فيما اطلعتُ عليه من المؤلفات من المواضع المنسوبة إلى قبيلة باهلة ، ومن دراستها بِتَعَمُّقٍ يتضح للباحث أن تلك القبيلة كان لها من القوة والانتشار ما أَحَلَّها مكانةً بارزة بين قبائل الجزيرة ، على أَنَّ مما

---

(١) «بلاد العرب»: ٢٣٩ .

تجب ملاحظته أَنَّ بني باهلة هم وإخوتهم غَنِـيٌّ كانوا زمناً طويلاً يجمعهم كيان واحد ، ويشتركون في منازلهم ، وكثيراً ما تنسب بعض المنازل إلى أحد الفرعين (غَنِـيٍّ) أو (باهلة) وهو للفرع الثاني ، أو يتشاركان فيه ، ولهذا لم أذكر المواضع المنسوبة إلى غَنِـيٍّ لكثرتها ، وإنما اقتصرت على ما خُصَّتْ به باهلة فيما اطلعت عليه ، ويلاحظ كثرة التصحيف والتحريف في هذه المؤلفات عند إيراد أسماءِ المواضع ، وقد أوردتُّ كثيراً منها كما ورد في تلك المؤلفات ، وإن كانت مواقعها مجهولة لديَّ ، فقد يهتدي بعض الباحثين إلى وجه الصواب فيها .

ومعلوم أن تلك المواضع تحلها الآن فروع من قبائل أخرى بعد أن تشتت قبيلة باهلة وحل مابقي من فروعها بلاداً أخرى متباعدة متفرقة ، إلا أن تلك المواضع القديمة مما قد يحتاج الباحث إلى معرفة موقعه بصرف النظر عن سكانه لوروده في النصوص القديمة التي لا تختص دراستها بقبيلة دون أخرى أو في زمن دون آخر .

الأَبِطَـــــــة :

كَذا ورد الاسم على لفظ مؤنث الأَبِطِ ، بعد الهمزة باءٌ موحدة ثم طاء مهملة ـ بدون ضبطٍ في كتاب «صفة جزيرة العرب»[1] ـ مَعْدُوْداً من قرى باهلة في سوادها ، وهو الْعِرْضُ عِرْضُ شَمَام وَنَصُّ كلامه : من قرى بَاهلة مُرَيفِقُ وعسيان وواسط وعُويسجة والعوسجة ، والإبطة وذو طلوح إلى آخر ما ذكر .

الأَجْرَعَـــــان :

ـ مُثَنَّى الأَجْرَعِ الموضع الذي فيه سُهولة ورَمْلٌ ـ والأَجْرَعَانِ : عَدَّهُـمَا الهمدانيُّ يدفعان في وادي ذِي خُشُبٍ ، وهو فَرْعُ العرض[2]، وسيأتي الكلام

---

(١) ٢٩٣ . (٢) «صفة الجزيرة»: ٢٩١ .

عليه في موضعه ، ولم أر ذكرهما عند غيره ، وقد ألزمتُ نفسي إيرادَ ما نُسبَ إلى باهلة من المواضع ، ولو كان مجهولاً .

ٱلأَجْفُـــــــرُ :

ـ بضم الفاءِ جمع جَفْرٍ وهو البئر الواسعة لَـمْ تُطْوَ ـ وأشهر موضع عرف بهذا الاسم هُوَ الواقع بطريق الحج الكوفي القديم ، شرق منطقة حائل ، وقد فصلت الكلام عنه في « المعجم الجغرافي » ـ قسم شمال المملكة ـ قال الْهَجْرِيُّ[1] :وهناك مياهٌ عِدَّةٌ لبنِـي جاوة في غربي ثهلان ، ماء يُسَمَّى الرحيضة ، وماء يسمى الأَجْفُر ، وماء يسمى العوسجة ، وماء يدعى العريض . انتهى ، وبنو جِأَوة من فروع قبيلة باهلة ، ويظهر أنه بقي لهم بقية مع غَنِـيٍّ إخوة باهلة في بلادهم بعد انفصال قومهم في المنازل ، ومنهم من انفصل معهم فسكنوا العرض ـ كما سيأتي في الكلام على عَرْوَا ـ وثَهْلاَنُ من أشهر جبال عالية نجد المعروفة ، والمياه المذكورة في الجبل في غربيّه ، إذ ذكر الهَجْرِيُّ بعدها مياهاً نَصَّ على أنها خارجة عنه .

الأَحْفَـــــاءُ :

ـ بالفاء أخت القاف ، على وَزْنِ أَفْعَالٍ ، مفتوح الأَوَّلِ ـ : بَلَدٌ ، قال طُفَيْلٌ :

شَرِبْنَ بِعُكَّاشِ الْهَبَـابِيدِ شَـرْبَةً ... وكانَ لَهَا ٱلأَحْفَا خَلِيْطاً تُزَايِلُهْ

قصر ٱلأَحْفَاءَ ضَرُورةً ، ويُروى : الأَخْفَا ـ بالخاء المعجمة ـ وعُكَّاشُ والهَبَابِيدُ : ماءان لباهلة ، الأول في بطن السِّرِّ ، ويقال : هَبُّودُ : اسمُ ماءٍ ، فجمعه[2] . وسيأتي في الكلام على هَبُّودٍ مايدل على قربه من منطقة الدوادمي .

(١) «أبو علي الهجري»: ٢٧٠ و«معجم ماستعجم» ٨٧٤ . (٢) «معجم ماستعجم»: ١١٨

ولاشَكَّ أن الشاعِرَ يُعَبِّرُ عَنْ سُرْعَةِ سَيْرِ راحِلَتِه بكونها قطعت المسافة بين الموضعين ، ولكنْ هل الشاعر مُشَرِّقاً من عكاش أو مُغَرِّباً ؟

الأَخْرَمَـــــان :

ـ قال البكريُّ(١) : تَثْنِيَةُ أَخْرَمٍ بالراء المهملة والميم ـ : جبلان من ديار بني باهلة ، قال عَمْرُو بنُ أحْمر :

فَيَارَاكِباً إمَّـا عَـرَضْتَ فَبَلِّغَنْ قَبَـائِلَنَا بِـالأَخْـرَمَـيْنِ وَجَـوْرَمِ
وَبَلِّغْ أَبَا الْوَجْنَاءِ مَوْعِدَ قَوْمِـهِ بِحَوْرِيْتَ يَظْعَنْ رَاغِباً غَيْرَ مُقْحَمِ

جَوْرَمُ : موضع أيضاً في ديارهم ، وحُوريت : موضع بالجزيرة ، قال أبو محمد الفقعسيُّ :

خَلَّفَتِ الْعِيْسُ رِعَانَ الأَخْـرَمِ فَـأَصْبَحَتْ بِـالْعُـرْفَتَـيْنِ تَـرْتَمِي

وجاءَ في شعر أَوْسٍ الأَخْرَمُ مُفرداً ، قال يخاطب الطُّفَيلَ بن مالك :

والله لَـولاَ قُـرْزُلُ إذْ نَـجَـا لَكَـانَ مَـأْوَى خَـدِّكَ الأَخْـرَمَـا

وقال أبُو عبيدة : إنما أراد أن يقطع رأسه ، فيسقط على أَخْرَمِ كَتِفِهِ ، وأَخْرَمُ الْكَتِفِ : حَزٌّ في طرف عيرها ، والأَخْرَمُ : موضعٌ لاشك فيه ، قال ربيعة بن مكدم :

إنّ كَانَ يَنْفَعُكَ الْيَقِيْنُ فَسَائِلِـي عَنِّي الظَّعِيْنَةَ يَوْمَ وَادِي الأَخْرَمِ

انتهى كلام البكريّ ، وما أرى الأَخْرَمَيْنِ وجَوْرَم ـ في شعر عَمْرِو بن أَحْمَرَ ـ

---

(١) «معجم ماستعجم» : ١٢٢ .

إلَّا في الجزيرة الفراتية التي استقرت فيها بطون من باهلة منذ القرن الأول الهجريِّ .

أَرْمَــــام :

وقال ياقوت(١) : أَرْمَامُ : اسم جبلٍ في ديار باهلة بن أَعْصُر ، وقيل : أرمامُ وادٍ يَصُبُّ في الثَّلَبُوتِ من ديار بني أسد ، وقيل : أَرْمامُ وادٍ بينَ الْـحَاجِرِ وفَيْدَ ، ويوم أَرْمَامٍ من أَيَّام العرب قال الراعي :

تَبصَّرْ خَلِيْلِـي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَجَاوَزْنَ مَلْحُوبًـا، فَقِلْنَ مُتَالِعَـا
جَوَاعِلَ أَرْمَامٍ شَمَالاً، وصَـارَةً يَمِيْناً، فَقَطَّعْنَ الْـوِهَادَ الـدَّوَافِعَا

وفي كتاب «فرحة الأديب» : أَرمامُ : موضعٌ وراءَ فَيْدَ ، بين الحاجِر وفَيْدَ ، وهو وادٍ ، وقال نصر : أَزمام : بالزاي المعجمة ، وادٍ بين فَيْدَ والمدينة على طريق الجادَّةِ ، بينه وبين فَيْدَ دون أربعين ميلاً . انتهى كلام ياقوت ولم يضبط الألف في أوله ويظهر أنها مفتوحة .

والاسم يطلق على موضعين أحدهما يقع شمالَ القصيم فيما بين الحاجر وفَيْدَ ، قد تحدثت عنه في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» والثاني في بلاد باهلة ، وهو المقصود هنا ، وسيأتي في الكلام على (بدر) في كلام ياقوت أَنَّ أرمام : جبل عند بَدْرٍ الجبل الواقع في بلاد باهلة وأنهما يقال لهما : (بَدْرانِ) في أرض الْـحَرِيْش ، وبَدْرٌ الجبل لايزال معروفاً . وهو على ضفة وادي الرَّكَاءَ الشمالية ، وبلادُ الْـحَرِيْش تُجَاوِرُ بلادَ باهلة من الجنوب الشرقي ، ومن هُنَا يقع الاختلافُ في نسبة مواضع لهذه القبيلة إلى الأخرى ، لعدم وجود حدود فاصلة بين منازل القبائل في العهد القديم . فَأَرْمَامُ في جَنُوبِ بلاد باهلة على مقربة من

(١) «معجم البلدان».

قُسَاسَ وبتران ، ومادَامَ هو أَحَدُ (البَدْرَيْنِ) فإنه لا يَزَالُ معروفاً ـ كما سيأتي في رسم (بَدْر) .

أَهْــــــــوَى :

ـ بفتح الهمزة والواو وبعدها ألف ـ قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»[١] : أَهْوَى ماء لبني قُتَيْبَةَ من باهلة . انتهى . وأَهْوَى على ما يُفهم من كلام صاحب «بلاد العرب» تقع غَرْبَ الغُزَيْزِ ورَمْلةِ الوَرِكَةِ إذْ قال[٢] : ثم تجوز الغُزَيْزَ فتأخذ على رملةٍ يقال لها الْوَرِكَة فيها قُشَيرٌ ونُمَيْرٌ وغيرهم ، فإذا جَزَعْتَهَا وردتَّ أَهْوَى وإنْ شِئْتَ إذا خرجتَ من أَهْوَى وردت العُفَافَةَ وهي لباهلة ، ثم ذكر تِبْرَاك والـمَرُّوتَ وأَهْوَى والأَسْوَدَةَ وذكر أنَّ بين أهوى وحَجْرٍ أربع ليال ورَمْلُ الوركة يعرف الآن باسْمِ نُفُودِ قُنَيْفِذَة الآن ، وفي وسطه تِبْرَاكُ ، وغَرْبَهُ الْـمَرُّوْتُ ، وأَهْوَى من مياه الْـمَرُّوتِ ـ على ماذكر الهمداني ، قال[٣] : فمن أول مياهه تِبْرَاك ومنبه ، ثم أَهْوَى ثم الْعُوَيْندِ ، ومن المعروف أن أكثر المياه القديمة قد غارَتْ ، واستُعِيضَ عنها الآن بالآبار العميقة (الارتوازية) ولهذا جُهِلَتْ تلك المياه ، وإنْ عرفَتْ مواقِعُها ومنها أَهْوَى التي من مياه الْـمَرُّوْتِ الصحراء الواقعة جنوب الوَشْمِ وشرقَ الْعِرْضِ ، وباهِلةُ كانت بلادها قد امْتَدَّت إلى صحراء الْـمَرُّوتِ وكان منها سُوْفَةَ في المروت كما تقدم ، وكما سيأتي في الكلام على الْـمَرُّوت ومما ينبغي ذكره أن أَهْوَى من المياه التي أقطعها الرسول ﷺ حُصَيْنَ ابنَ مُشْمِتٍ الحِمَّانِـيَّ التميمي ومنها أُصَيْهِبُ والسُّدَيْرَةُ والأَخيرةُ لاتزال معروفةً ، وكلها من مياه الْـمَرُّوت .

---

(١) رسم (أَهْوَى) . (٢) ٣٦٤ و٣٦٥ و٣٦٦ .
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٨ و٢٩٩ ـ ط : دار اليمامة .

بَـــــــدْرُ :

قال ياقوت(1): وبَدْرُ جبلٌ في بلاد باهلة بن أَعْصُرَ ، وهناك أرمام الجبل المعروف ، واحد جبلين يقال لهما : بَدْرَان في أرض بني الحريش ، واسم الحريش : معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . انتهى ، وتقدم ذكر هذا الجبل عند ذكر أرمام . انتهى .

وأَقْرَبُ جبلٍ يدعى بهذا الاسم إلى بلاد باهلة قديماً جبلٌ يقع في بطن وادي الرِّكَاءِ ، بمنطقة الريب (الرين الآن) في إمارة العِرْض - عِرْض القويعية - وهو عرض باهلة ، وبقرب بَدْرٍ هذا الجبل بِئْرٌ تنسب إليه تدعى البَدْرِيَّة ، يزعم (البدارين) من الدواسر أنهما منسوبين إلى جَدِّهِمْ بَدْران ، وكذا حالةُ أَبْناءِ البادية في الأَسماء التي تشابه أسماء أجدادهم . واسم بدر يطلق على جبلين الجنوبي منهما يبعد عن بلدة القويعية - قاعدة العرض - نحو سبعين ومئة كيل ، والشمالي يبعد عنها نحو ستين ومئة كيل ، وأحدهما هو أَرْمَام .

البَيَـــــاض :

قال البكري(2): - على لفظ الذي هو ضِدُّ السواد - : موضع باليمامة ، من وقع فيه هلك ، قال ابن أَحْمَرَ :

وَمِنَّا الَّذِي يَحْمِي بِمُهْجَةِ نَفْسِهِ   بَنِي عَامِرٍ يَوْمَ الْـمُلُوْكِ الْقَمَاقِمِ
فَوَرَّطَهُمْ وَسْطَ الْبَيَاضِ كَـأَنَّهُمْ   عَلَى الشَّرَفِ الْأَقْصَى الضِّرَاءُ اللَّوازم

ويروى : فَشَجَّ بِهِمْ وسطَ البياض . أي علا بهم ، قال : وجاء قوم من أهل اليمن يطلبون بني عامر فقال رجل من بني صَحْبٍ ، وهم من باهلة :

(1) «معجم البلدان».   (2) «معجم ماستعجم»: ٢٨٦ .

تعالوا أَدُلُّكم عليهم ، فركب بهم هذه الفلاة ، حتى مات وماتوا ، واللوازم : التي تَلْزَمُ الصيد ، يقول : قَحَّمَهُمْ كما تطلب الكلاب الصيد . انتهى كلام البكري ، وليس فيه مايدلُّ على أَنَّ الْبَيَاضَ من بلاد بَاهِلة ، ولكنني أوردته لئلا يتوهم متوهم أنه من بلادهم لذكره في شعر شاعرهم ابن أحمر ، ولكون الصَّحْبِي الباهلي زَجَّ بالقوم فيه حتى هلكوا وهلك معهم ، دِفَاعاً عن حلفاء باهلة . والبياض : صحراء واسعة تمتد من شرق الأفلاج الجنوبي حتى تتصل بالرمال المعروفة الآن باسم (الربع الخالي) وقديماً بِصَيْهَدَ وَوَبَارِ ، وجانبه الجنوبي الغربي متصل ببلاد بني كعب بن ربيعة حُلَفَاء باهلة وخلطائهم في بعض البلاد .

بِيْشَـــــــــةُ :

يدُلُّ ماأورده متقدمُو العلماء الذين تَصَدُّوْا لتاريخ الصحابة في ترجمة مُطَرِّفٍ ابن الكاهن الباهلي أن قبيلة باهلة انتشرت منها فروع فسكنت بيشة ونواحيها ، ويُؤَيِّدُ هذا أَيْضاً أَنَّ من أفخاذ باهلة بنو أُمَامَةَ الذين كانوا سدنة (ذِي الْـخَلَصَة) كما جاء ذالك مفصلاً في كتاب «الأَصنام» وتقدم ذكره في فصل الأنساب .

وأوضح دَلِيل على ذالك كتاب رسول الله ﷺ الذي أورده ابن سعد في «الطبقات»[(١)] وهذا نصه: «هذا كتابٌ من محمد رسول الله لِـمُطَرِّف بن الكاهن ، ولمن سكَنَ بِيْشَةَ من باهلة أَنَّ مَنْ أَحْيَا أرضاً مَوَاتاً بيضاء فيها مناخُ الأنعام ، ومراح فهي له ، وعليهم في كل ثلاثين من البقر فَارِضٌ ، وفي كل أربعين من الغنم عَتُودٌ ، وفي كل خمسين من الإبلِ ثَاغِيةٌ مُسِنَّةٌ ، وليس للمصدق أن يصدقها إلا في مراعيها وهم آمنون بأمان الله» . انتهى ، وهذا مما

(١) ١/٢٨٤ ط بيروت .

يدل على أنَّ مطرفاً ومعه ممن سكن بيشة من باهلة .

وبِيْشَة عِرْضٌ من أعراضِ نجدٍ الواسعة ، كثير القرى كثير السكان ، وشهرته تغني عن التفصيل في تحديده .

تَيْشـــــر :

كذا ورد الاسم في «صفة جزيرة العرب» وتَشَر وتَسَرَ مهملان في العربية ، وقد يكون الاسم محرفاً قال الهمداني(١) : وبشطِّ العِرْضِ الأيسرِ ماءُ تَيْشَرَ في ناحية الْبُرْمِ ، وعَدَّ البُرْمَ لِضِنَّة من نُمَيْر مما يَدُلُّ على أن هذا الماء في شمال العرض حيث تقع بلاَدُ ضِنَّةَ التي تَمْتَدُّ شمال ثَهلان حتى حمى ضَرِيَّةَ .

ثَجْـــــرُ :

قال البكري(٢) : ـ بفتح أوله وإسكان ثانيه والراء المهملة ـ: اسمُ مَاءٍ لباهلة ، وقال الجُلَيْحُ بن شديد التغلبي :

فَصَبَّحَتْ والشَّمْسُ يَجْرِي آلُهَا   مِنْ ثَجْـرَ عَيْناً بَـارِداً سِجَالُهـا

وقال أَيْضاً :

بِثَجْرَ أَوْ تَيْماءَ أَوْ وَادِي الْقُرَى

وقال ابْنُ أَحْمَرَ :

كَـوَدِيْعَـةِ الْهَجْهَـاجِ بَـوَّأَهَـا   بِبِرَاقِ عَاذِ الْبَيْضِ أَوْ ثَجْـرِ(٣)

أَضَافَ عَاذَ إلى الْبَيْضِ ، لكثرته بها ، وقال عبدالله بن سَلِيْمَة :

---

(١) «صفة الجزيرة»: ٢٩٢ .
(٢) «معجم ماستعجم»: ٣٣٦ .
(٣) ديوانه ١١١ ـ والهجهاج: الظليم والوديعة هنا بيضة النعام .

وَلَمْ أَرَ مِثْــلَ بَيْتِ أَبِي وَفَــاءٍ غَــدَاةَ بِرَاقِ ثَجْـرَ وَلاَ أُحُـوبُ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَــا بِــأُنَيْف فَــرْعٍ عَــلَيَّ إِذَنْ مُــدَرَّعَــةٌ خَضِيْــبُ

وقال في رسم (النباك) بعد إيراد قول الْبَعِيث :

وَرُحْنَا بِهَا عَنْ مَاءِ ثَجْرٍ كَأَنَّمَا تَرَوَّحْنَ عَصْراً عَنْ نُبَاكٍ وعَنْ نَقْبِ

ثَجْرُ : ماء من بلادِ باهلة ، وهو بظهر تبالة على محجة اليمن من مكة إليها . انتهى .

ثَجْرُ : اسْمٌ لمواضِع أشهرها المذكور في شعر الجُلَيْح - وأراه الثعلبي من ثعلبة غطفان لا التغلبي كما ورد في مطبوعة كتاب البكري ، وثجْرُ هذا وادٍ عظيم في شمال الجزيرة ، أوفيت الكلام عليه في (قسم شمال المملكة) مَنْ « المعجم الجغرافي » ولا يزال معروفاً ، وكان من بلاد بني القين .

أما الواقع على محجة اليمن إلى مكة فأخشى أن يكون البكري أرادَ (نَجْراً) - بالنون - فصحفه - وما أكثر التصحيف في كتابه ، ولكن نَجراً هذا لا يقع بين تَبَالة ومكة ، بل يقع بين بيشة - شرق تبالة - وبين يَبَنْبَمَ (ابن ابن الآن) شرق بِيْشَةَ ، كما يتضح من تحديد الهمداني في «صفة جزيرة العرب» لذالك الطريق الذي هو أعرفُ به لسيره فيه لنقل الحجاج والتجار من صعدة إلى مكة .

أَمَّا الوارد في شعر ابن أَحْمَر فهو من بلاد بني الحارث بن كعب ، لأنه قرنه بِعَاذٍ وهو من مِيَاهِهم على ماذكر صاحب «معجم البلدان» .

وهناك موضع ثالث لبني قشير ، بِفُوْهَةِ وادي بِرْكٍ ، والثلاثة ذكرهَا الهجريُّ ، ولَعَلَّ بَاهِلةَ حلَّتْ يَوْماً بالَّذِي في فَمِ بِرْكٍ فهو أَقْرَبُ تلك المواضع إلى بلادها ، وبنو قُشَيْرٍ حُلفاؤها ، هذا إذَا لم يكن قول البكري أنه ماء لباهلة

استناداً على وروده في شعر شاعرها ابن أحمر ، كما يفعل هو وغيره كالهمداني من إضافة الموضع الوارد في شعر شاعر إلى قبيلة ذالك الشاعر وهذا ليس صحيحاً دائماً ، فقد يذكر الشاعر مواضع كثيرة بعيدة عن منازل قبيلته .

الثُّرَيَّـــــــا :

قال الهمداني في ذكر قُرى سَوَادِ باهلة[1] ـ: وجَزَالاَءُ والثُّرَيَّا والجَوْزَا في وَادٍ عن يَمِين ذِي طُلُوح ، فيه نَخْلٌ وقُرَى ، وأورَد الهجريُّ لِأَحَدِ النُّمَيْرِيِّيْنَ شِعْراً في جَزَالاَء ـ فيه[2]:

فَلَوْلَا صَوَادٍ مِنْ جَزَالاَء دُلَّحٌ   وهُدْلُ الثُّرَيَّا مَاوَجَدْنَا لَكُمْ ذَنْبَا

ولا تُعْرَفُ الثُّرَيَّا بينَ قرى العِرْض الآن ، وَلَا الجَوْزَاءُ ، أَمَّا جَزَالاَءُ فَلَا تزالُ معروفة ، وسيأتي الكلام عن وادِيْها الذي تقع فيه الثُّريَّا .

الثَّنِيَّـــــــةُ :

الثَّنِيَّةُ لغةً واحدةُ الثَّنَايا وهي الطريق في الجبل ، وفي بلاد باهلة تكثر الجبال فَتتعدد الثنايا التي تسلك بينها ، ومن أشهر ماورد منها في كتب المتقدمين :

١ ــ ثنيةُ ابن عِصَام الباهلي .   ٢ ــ ثنية الـحُفَيْر .
٣ ــ ثنبة السَّوْد .   ٤ ــ ثنية القَوَيع .

ذكر الثَّنَايَا الأربع الهمداني في «صفة جزيرة العرب» فقال عن الأولى : ثنيةُ حصن ابْنِ عِصَامٍ معدن ذهب ، وقال عن الثانية : وفي ثنية الحُفَيْر نَخْلٌ . وعن الثالثة قال : وفي فرع الثنية ثنية السود سود باهلة ، وعن يمينه من دون

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٣ .
(٢) «النوادر والتعليقات» المخطوطة المصرية: ١٠٤ .

الثنية ماء يقال له المغيراء . وقال عن الرابعة[1]: والقويع في ثنية انتهى كلام الهمداني . والثنايا يعبر عنها في هذه الجهة بكلمة (الرِّيْعَان) جمع رِيْع ، مثل (ريع العتيبي) ويدعى أيضاً (ريع الْفَقِيسة) وقد تستعمل كلمة (الثَّنِيَّة) .

ويرى الأستاذ سعد بن جنيدل ـ بعد استقرائه نصوص المتقدمين أن ثنية ابن عصام هي الثنية الواقعة في أعلى وادِي مُحَيْرِقَة ،بل يجزم بذالك قائلاً[2]: إنها هي بدون شك، وتدعى في هذا العهد (ريع العُتَيْبِـي) والبعض يسميها (ريع الْفقِيسة) ـ بفتح الفاء وكسر القاف ـ وهي إحدى الثنايا المشهورة في جبال العرض ، وهي امتدادٌ لأعلى وَادِي مُحَيْرِقَةَ غَرْباً إلى أعلى وادي السِّرْدَاح ، وتشاهد آثار التعدين من حفر وأحجار مكسرة وغيرها على طول امتداد هذا الطريق ، وتقع هذه الثنية غرب بلدة القويعية بنحو ثلاثين كيلاً .

أما ثنية القُوَيْع[3]: فالقُوَيْعُ لايزال مَعْروفاً، يبعد عن بلدة القُوَيْعِيَّةِ غرباً بنحو خمسة عشر كيلاً في أعلى الوادي ، وادي القُوَيْعِيَّةِ ، والثنيَّةُ واقعةٌ بقربه ، وتُدْعَى في هذا العهد (رِيْع الْـمِشْعَرِ) ـ بكسر الميم وإسكان الشين وفتح العين وآخره راء ـ وهو جنوب رِيْع الفَقِيْسَةِ ، ويبعد عن بلدة القويعية أربعين كيلاً في الجنوب الغربي .

ثَهْـــــلاَنُ :

ـ بفتح الثاء المثلثة وإسكان الهاء وبعدها لام ألف فنون ، قال صاحب «الأغاني»[4]: ثَهْلاَنُ: جبل كان لباهلة ثم غلبتْ عليه نُمَير، وخِيَمُ جبلٌ يناوِحُهُ

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٣ . (٢) «عالية نجد»: ٦٤١ .

(٣) «عالية نجد»: ١١٩٧ .

(٤) ج ٨ ص ١٤ ط : دار الثقافة في بيروت . و«خزانة الأدب» ج ٥ ص ١٦٦ تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون .

من طرفه الأقصى فيما بين ركنه الأقصى وبين مطلع الشمس به ماء ونخل . انتهى ، قال هذا في شرح قول جرير :

أَقْبَلْنَ مِنْ ثَهْلَانَ أَوْ وَادِي خِيَمْ   عَلَى قِلَاصٍ مِثْلِ خِيْطَانِ السَّلَمْ

وفي «معجم ماستعجم»[1] عن ثهلان : ولِضِخَمِ هذا الجبل تضربُ به العربُ المثلَ في الثقل فتقول : أثقل من ثهلان . انتهى .

وثهلان : هذا من أشهر جبال عالية نجد . ولا يزال معروفاً فيه تقع بلدة الشعراء والعامية يبدلون الثاء ذَالاً فيسمونه (ذهلان) .

وتجد في كتاب «عالية نجد» من أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تفصيلاً وافياً عنه ، فمؤلف الكتاب من أهل تلك البلاد .

وقول صاحب «الأغاني» : إنَّ بني نُمَيْرٍ غَلَبَتْ على الجبل ، يدل على تزاحم القبيلتين في المنازل ، ومعروف أن بني نُمَيْر يجاورون باهلة من الناحية الشمالية الغربية . ولعل سكنى باهلة في ثهلان قبل استقرارهم في الْعِرْض ، وقبل انفصالهم عن إخوتهم غني التي كانت بلادهم تمتد من أسافل النّير الجنوبية وأعالي وادي الرشاء حتى تتجاوز حِمَى ضَرِيَّة ، وقد بقي من فروع باهلة من استوطن ثهلان وأعالي وادي الرشاء مُـجَاوِراً لقبيلة غني كما سَيَمُرُّ عند ذكر بعض المواضع ـ الأجفر ، والعوسجة والشبيكة والعويند وغيرها ـ وتقدمت الإشارة إلى هذا في أول البحث .

الْـجَـــــــذْرُ :

من المياه التي عدَّهَا الهجريُّ من مياه جِأوة من باهلة ـ الواقعة غربيَّ جبل

---

(١) رسم (ثهلان) .

ثهلان قائلاً[1]: وفي غربيه النبخاء والجدر. ولا أعرف شيئاً عن هذا الماء.

جَـــزَالاَءُ :

أورد الْهَجَرِيّ في نوادره ماهذا نصه[2]: للنُّمَيْرِيِّ يقولها لبني عُصْمٍ من باهلة أهلِ سَوَادِ باهلة، وكانوا يأكلون عِرْضاً لهم، نَخْلٌ يُدعى جَزالاء - ممدوداً - بسواد باهلة، وجَزَالاَ أيضاً ساحل من حدِّ البصرة إلى البحرين بين الظُّلَيْفَيْنِ، وليس في أرض العرب غيرهما :

أَلاَ يَابَنِـي عُصْمٍ جَزَالاَءُ قَرْيَةٌ مَراطِيبُ تَبْغِـي كُلَّ عَامٍ لَكُمْ حَرْبَا
فَلَوْلاَ صَوَادٍ مِنْ جَزَالاَء دُلَّـحٌ وهُدْلُ الثُّرَيَّا مَاوَجَدْنَا لَكُمْ ذَنْبَا
إِذَا أَرْطَبَتْ مِنْهَا الْـمَعَاجِيْلُ هَيَّجتْ حُرُوْبَ رِجَالٍ لَمْ يَرُوْعُوْا لَكُمْ سِرْبَا
أَقِيْمُـوا حُدُوْدَ الْـمَشْـرَفِيَّةِ دُوْنَهَا وَإِلاَّ فَخَلُّوهَا لأَعْدَائِكُمْ غَصْبَـا

وفي كتاب «بلاد العرب»[3]: وعن يسارِكَ إذا كنتَ بأَعْلا الْهَلْباءِ مِيَاهٌ لباهلةَ مِنَ السَّوْدِ، وعلى تلك المياه نخيلٌ، مِنْهَا مُرِيفقٌ وجَزَالاَءُ والخَنْفَسُ والْعَوْسجةُ، وهي مَعْدِنٌ بها تجار ونخيل.

ولما ذكر الهمدانيُّ حِصْنَ آل عِصَامٍ - كما تقدم - قال[4]: وجَزَالاَءُ عَنْ يمين ذالك، وفيها يقول الشاعر :

أَلاَ يَابَنِي عُصْمٍ جَزَالاَءُ جَنَّةٌ[5] مَرَاطِيْبُ تَجْنِي كُلَّ عَامٍ لَكُمْ حَرْبَا
إِذَا أَرْطَبَتْ مِنْهَا الْـمَبَاكِيْرُ هَيَّجتْ صُدُوْرَ رِجَالٍ لَـمْ تَرُوْعُوا لَهُمْ سِرْبَا

---

(١) «أبو علي الهجري» - ٢٧١ - و«معجم ما استعجم» رسم شرية - ٨٧٤ -.
(٢) «النوادر والتعليقات» المخطوطة المصرية: ١٠٤.
(٣) ٢٦٨.
(٤) «صفة الجزيرة»: ٣١٠.
(٥) في المطبوعة (جزالا وحنة) تحريف.

يقول : تُحْسَدُونَ عليها ، وهي لبني عصم من باهلة ، وعندما ذكر ذَا طُلُوحٍ وأن أعلاه حِصْنٌ بني عصام قال[1] : والْقُوَيْعُ وجزالاء والثُّرَيَّا والْـجَوْزَاءُ في وَادٍ عَنْ يَمِيْنِ ذي طلوح ، فيه نخل وقرى . انتهى ولاتزال جَزَالاَءُ قريةً معروفة ، وتَقَعُ غَرْبَ بلدة القُوَيْعِيَّةَ ـ قاعدة المنطقة ـ بنحو عشرين كيْلاً ، والقُوَيْعُ قَرْيَةٌ بِقُرْبِها ، وَوَادي جَزَالاَءَ فَرْعٌ صَغِير من شَعِيب مُحَيْرَقَةَ الذي يمتدُّ من الجنوب حتى يفيض في وادي الْـخَنَقَة ، الوادي الثاني من حيث العظم في المنطقة ، أعلاه وادي عَرْوا (عَرْوان) وأسفل فروعه شعيب محيرقة . ويظهر أن ذَا طُلُوحٍ هو وادي الخنقة .

الْـجُعُـــــوْرُ :

ـ كأنه على لفظ جَمْعِ جَعْرٍ وهو للإنسان كالروث للحيوان وكذا الجعموس ـ، قال الهمداني[2]: ذكر الخنفس من مياه الشريف ، وهو من مياه مأسل جِأوة ومن مياه الشريف ذُو سقوف والجعور ـ وهي الجعموسة ـ وطويلة الخطام وعُصَير وطُحَيّ . انتهى ولم أَرَ من ذكره غير الهمداني ، أما الجعموسة بالسين المهملة فقد عَدَّهَا صاحب « بلاد العرب»[3] من مياه بني ضَبِينَةِ مِنْ غَنِـيٍّ بِقُرْبِ جَبَلة ، وإعجام السين في مطبوعة كتاب الهمداني خطأ ولعله قصد بها التفسير ، فالجعور بعيدٌ عن جَبَلَةَ ، وفي جهة مأسل جِأوة (مويسل) جبل اسمه الجعير ، على اسم الضَّبُعِ عند بعض عامة البادية شمال هجرة عَرْوَا وغرب جبل (ابني شَمَام) في أسفله ماء عذب يدعى الخويطرية يقع جنوب بلدة الدوادمي بنحو ٦٠ كيلاً .

---

(١) «صفة الجزيرة»: ٢٩٣ .
(٢) «صفة جزيرة العرب» ٢٩٢ .
(٣) ٨٧ .

الجَـــــوْزَاءُ :

من قُرى سوادِ بَاهلةَ على ماذكر الهمداني ، وتقدم كلامه عند ذكر الثُّرَيَّا ، مما يفهم منه تقارب الموضعين ، وأنها بوادٍ ذي نخل وقُرَى عن يمين ذِيْ طُلُوح ، فكأَنَّها في شعيب جَزَالاَء أو بِقُرْبِه حيث تقع قرية مُحَيْرِقَة في شعيب يتفرع منه شعيب جَزَالاء .

الجـــــوف :

قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[1] : وبطن المعرس ، وبطن الْـجَوْفِ حَـدٌّ بين ضِنَّةَ وباهِلَةَ انتهى ، وضِنَّةُ من بُطُون بَنِـي نُمَيْر ، ويظهر أنهم هم الموالون لباهلة في المنازل من تلك البطون فقد ذكر الهمدانيُّ أَنَّ أَوَّلَ سواد باهلة من الشمال الخاصرة ماء بينه وبين المغرب البرم ، برم ضِنَّة ، والمشقرية نخل لضنة أسفل من ذالك ـ ثم ذكر قُرَى السَّوَاد ـ ، مما يدل على أن ضِنَّةَ تُحادُّ منازلَ باهلة من ناحية الشمال والشمال الغربي ، كما أَنَّ بِلادَ بني نُمَيْر تقع مجاورةً لبلاد باهلة من ناحية الشمال والشرق أيْضاً ، فقد ذكر الهجري[2] أن سيول التَّسْرِيْرِ وسيولَ نَضَاد تخرج من النِّيْر في أرض غَنِـيٍّ حتَّى يصير وادي التسرير في ديار نُمَيْر ، ولما ذكر نَضَادِ ذكر أَنَّ حُقُوقَ بني جِأْوَةَ ـ وهاؤلاء من باهلة ـ وحقوق غَنِـيٍّ مختلطة هناك ، وسمى المياه كما سيأتي في الكلام على نَضَادِ .

حائـــــل :

قال ياقوت[3] ـ الحائل في اللغة الناقة التي لم تَحْمِلْ عَامَها ذاك ، ورجل حائِلُ

---

(١) ـ ص ٢٩٢ و٢٩٣ ـ على التوالي .

(٢) «أبو علي الهجري» : ٢٧٠ و ٢٧١ .

(٣) «معجم البلدان» .

اللَّوْنِ إذا كان أسودَ مُتغيِّراً ـ قال الحفصِيُّ : حائل موضعٌ باليمامة لبني نُمَيْرٍ وبني جِمَّانَ من بني كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقال غيره : حائل من أرض اليمامة لبني قُشَيْرٍ ، وهو وادٍ أصله من الدهناء ، وقد ذُكِرَ في الدهناء ، وقال أبو زياد : حائل موضع بين أرض اليمامة وبلاد باهلة ، أرضٌ واسِعةٌ قريبة من سُوْفَةَ ، وهي قارة هناك معروفة ، وحائل أيضاً ماءٌ في بطن الْـمَرُّوْتِ من أرض يربوع ، قاله أبو عُبَيْدة ، وأبو زياد ، وأنشدَ أبو عُبَيْدة :

إذا قَـطَعنَا حـائِـلاً والْـمَـرُّوْتَ فَـأَبْعَدَ الله السَّـوِيْقَ الْـمَلْتُـوتْ

وقال ابن الكلبي : حائل واد في جبلي طـيْ ، قال امرؤ القيس : ـ ثم أورد الشاهد من شعره .

حائل ـ في الكلام المتقدم ـ ينطبق على موضعين : أحدهما وادٍ وأصبح الاسم يطلق على مدينة في بلاد طَـيِّءٍ ، واقعة على ضفاف ذالك الوادي ، وهو الوارد في شعر امرئ القيس ، والوادي يمتد إلى الدهناء ، والموضع الثاني : أرض واسعة تَقَعُ جنوب غرب الوشم متصلة بالْـمَرُّوْتِ ، كانت تشترك فيها قُشَيْرٌ ونُمَيْرٌ من بني عامر ، وبنو جِمَّان من تميم . وسيأتي في الكلام على سُوْفَةَ أَنَّ حائلاً ببطن الْـمَرُّوْت ، وأَنَّ سُوْفَةَ تُضَافُ إليها كما في قول الراعي :

بِقَارَة أَهْوَى أَوْ بِسُوفَةِ حائِلِ

وتقدم الكلام على أَهْوَى وأنها مِنْ مياه بني قُتَيْبَةَ الباهليين ، وسيأتي في الكلام على سُوْفَةَ أن بعض الباهلِيِّيْنَ كانوا ينزلونها عند وفاة النبي ﷺ مما يدل على امتداد بلادهم شرقاً إلى حائل والـمَرُّوت ، بَلْ قد نَصَّ على ذالك صاحب

كتاب «بلاد العرب»[1] حين قال : وحائل فلاةٌ واسعة ، فيها لِقُشير وبَاهِلَةَ ونُمَيْرٍ وغَيْرِهِمْ .

وتنطبق أوصاف المتقدمين على صحراءٍ واسعةٍ ، تعرف الآن بإسم (حَدْبَاء قَذْلَةَ) وكلمة حدباء قَدْ تكون تحريفاً لكلمة هلباء التي سيأتي الكلام عليها ، و(قِذْلة) أجهل مدلولها هُنَا .

حَــزْمُ النَّميــرة :

جاء في «بلاد العرب» و«معجم البلدان»[2] : قال الأَصْمَعيُّ : هو حزم أبيض ظاهر ، قرب ضَرِيَّة ، وبه ماءة يقال لها نُمَيْرَة ، وقال في موضع آخر : حَزْمُ النميرة : قَرْيَةٌ كانت لِعَمْرِو بن كلاب ولباهلة . انتهى ويظهر أنَّ حَزْمَ النَّميرة يقع في غربَ بلاد باهلة ، حيث اتصالها ببلاد بني عَمْرِو بن كلاب ، وبلادهم مع بلاد إخوتهم بني عبدالله بن كلاب في عالية نجد غرب بلاد باهلة ، وتمتد غرباً حتى جبل ظَلْمٍ ، ورَمْلَتُهُم المعروفة الآن باسم (نفود سُبَيْع) أسافل أودية تُرَبَة والـخُرْمة ورَنْيَةَ ، ولكن الموضع كما في كلام الأصمعي قرب ضرية ، ولعله يقصد حمى ضرية ، أي على مقربة من حَدِّه الجنوبي الموالي لبلاد باهلة . وورد اسم (التميرة)[3] بالتاء المثناة الفوقية بدل النون ، ويظهر أن أحد الاسمينْ مُصَحَّفٌ عن الثاني ، وكلاهما مجهول الآن .

حِصْــنُ باهلـــة :

ذكر ابن جرير في خبر[4] محاربة بُغَا الكبير لبني نُمَيْر سنة اثنتين وثلاثين ومئة في خبر طويل أنه لما هزمهم بوقعة بَطْنِ السِّـرِّ ، سار من موضع الوقعة ثم رجع

---

(1) ٣٦٧ . (٢) ١٤٦ - ورسم (حزم النميرة) -.
(٣) «بلاد العرب»: ٣٨٢ . (٤) «تاريخ ابن جرير»: ١٤٧/٩ و١٤٩ .

إلى حصن باهلة ، وكرر مرة أخرى أَنَّ بُغَا أقام بحصْنِ باهلة يتتبع من شَذَّ منهم في جبال ثَهْلاَنَ والسَّوْد وغيرهما . ولعل حصْنَ باهلة هذا يقع في الثَّنِيَّةِ ـ ثنية ابن عصام ـ فقد ورد في بعض المؤلفات ذكر حصن ابن عصام ـ قال الهجريُّ[1]: سألت الباهلي عن تَيْمَنَ فقال : هَضْبَةٌ برأس الذَّرْوِ ذَرْوِ الشُّرَيْفِ ، مغرب الشمس من حِصْنِ ابْنِ عِصَامٍ بيوم . وأورد من قصيدة لِعَدَّاءِ بْنِ مَضَاءٍ القُشَيْرِيِّ :

وَيَوْماً بِحِصْنِ الْبَاهِلِيِّ ظَلَلْتُهُ أُكَفِّفُ عَبْرَاتٍ تَفِيْضُ غُرُوبُهَا

ويظهر أنه حِصْن بَنِي عصامٍ الآتي ذكره بعد هَذَا .

حِصْنُ بَنِي عصام :

ذكر الهمداني[2] أَنَّ أَعْلَى ذِي طُلُوحٍ حصنُ بني عصام صاحب النعمان بن المنذر والْقُوَيْعُ ثَنِيَّةٌ ، وأَنَّ جَزَالاَء في وادٍ عن يمين ذِي طُلُوح فيه نَخْلٌ وقرى .

وقال عن سواد باهلة[3]: وأَوَّلُهُ من مَشْرِقِه بلد يقال له القُوَيْع . . . ثم أعلى منه حصن آل عصام ، وهو من ولد عصام خادم النعمان ، ومنهم أبو المَنِيْعِ شاعِرٌ من أهل عصرنا ، إلى آخر ماذكر .

حَضَنُ :

قال الهمداني[4]: وحضَنُ باهلة وادِي نَخْلٍ كَحَضَنِ نَجْرَانَ ، وحَضَنُ عكاظ جَبَلٌ ، وفيه يقول الشاعر :

كَخَلْقَاءَ مِنْ هَضَبَاتِ الْحَضَنْ

(١) «أبو علي الهجري»: ٢١٦ و٣٧٣ .
(٢) «صفة جزيرة العرب» ٢٩٣ ط دار اليمامة .
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٣١٠ .
(٤) «صفة جزيرة العرب»: ٣١١ .

وقال الراجز :

لَمَّا بَدَا شَعْفُ[1] بِأَعْلَى السِّيِّ وحَضَنٌ مِثْلُ قَرَا الزِّنْجِيِّ

وقال: ومأسل[2]، وحضن غير حضن عكاظ من أرض باهلة .

اسم حَضَنٍ يطلق على مواضع أشهرها الجبل الواقع في عالية نجد ، وفيه المثل : (أَنْجَدَ من رآى حضَناً) وشهرته تغني عن الحديث عنه ، والثاني جبلٌ متصل بجبل أَجَإٍ في جنوبه ، وقد يُعَرِّف (الحضن) وقد ذكرته في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية». والثالث : وادٍ ذُو قُرًى بمنطقة نجران لايزال معروفاً .

والرابع : حَضَنُ باهلة هذا الذي وصفه الهمدانيُّ بأنه وادٍ ذُو نَخْلٍ كَحَضَنِ نجران ، وهو لا يعرف الآن بهذا الاسم . والخامس : موضع في بلاد وَادِعَة بطريق الحج من صعدة ـ ورد ذكره في أرجوزة الرداعي[3] .

الْحَفِيرُ :

لم أر لهذا الاسم ضَبْطاً : ذكر الهمداني في كلامه على قُرى السَّوَدِ الْحَفِيرَ[4] قائلاً : وفي ثَنِيَّةِ الحَفِيرِ نَخْلٌ ، وفي أَسْفَلِهِ المقترب ، والتخر ، ثم تَحُفُّه الْبَيْضَةُ قفٌّ أَبْيَضُ فيه مياهٌ ونخل ومزارع ، من مياهِهِ عُشَيْرَة والكفافة والغاضرية والخلائق . وذكر أَنَّ البيضةَ تَحُفُّ الرَّيْبَ . وإِذَنْ فالْحُفَيْرُ هذا في أَسْفَلِ الْعِرْض مما يلي الرَّيْبَ جنوبَ بلدةِ القُويعية ، وينبغي ملاحظة أَنَّ اسْمَ الحفيرِ

(١) في الأصل: (سعف) ولكن شعفا بالشين المعجمة موضع معروف وفيه المثل: (لكن بشعفين كنت جدودا) وهو مكان مرتفع في صحراء ركبة (السِّيِّ) شمال حضن .

(٢) «صفة جزيرة العرب»: ٣١٠ . (٣) «صفة جزيرة العرب»: ٤١٩ .

(٤) «صفة جزيرة العرب»: ٢٦٢ و٢٩٣ .

يطلق على آبار عدة ، إذِ الاسْمُ في الأصل كان وصْفاً لما يُحْفَرُ من الآبار - كالْـحَفَرِ والْـحَفِيرة - ثم أصبح علماً لآبارٍ اشتهرت وعرفت .

وفي «معجم البلدان» لياقوت بلفظ التصغير : والحفير أيضاً : ماءٌ لباهلة بينه وبين البصرة أربعة أميال يبرز الحاج من البصرة بينه وبين المنجشانية ثلاثون ميلاً . انتهى ، والْـحُفَيْر هذا الأخير قد أوضح صاحب «المناسك»[1] صِلةَ باهلة به فذكر أن محمدَ بن سليمان أَرْعَى بالـحُفَيْرِ إبلاً فأتاه رجل من باهلة فاستأذنه أن يحفر بئراً بِالْـحُفَيْرِ فأَذِنَ له ، فأنبط بئراً عَذْبَةً فاشتراها محمد بن سليمان منه بعشرة آلاف درهم بشرط أن يأذن له في حفر بئر أخرى فَأَذِنَ له ، فأنبط عَذْبَةً ، ثم حفر محمد فأنبط عَذْبَةً . انتهى وإِذَنْ فهي بئر واحدة لرجل من باهلة في ذالك المكان ، أُذِنَ له في حفرها محمد بن سليمان بن علي العباسي أحد رجال الدولة العباسية ولعله أثناء إمارته على البصرة فيما بين سنتي ١٤٦ و ١٧٣ - والمسافة بين الْـحُفَيْرِ هذا وبين البصرة أحَدٌ وثلاثون ميلاً لا كما جاء في كتاب «المناسك» وهو بعد المَنْجَشانية من البصرة لا قبلها ، فالمنجشانية تبعد عن البصرة ثمانية أميال - كما أوضح ما تقدم صاحب كتاب «المناسك» وكما ورد في «معجم البلدان» في الكلام على المنجشانية .

حُلَيْمَـــــــةُ :

- بضم الحاء وفتح اللام ، تصغير حَلَمة - قال في «بلاد العرب»[2] وَبِيَذْبُلَ ماءَةٌ يقال لها حُليمة ، وقال الهمدانيُّ[3] : يَذْبُلُ : فأول مياهه الْقُرَادُ وحُلَيْمَةُ والْعَطَائِيَّةُ ماءٌ ببطن السُّرَّةِ . إلى آخر ماذكر ، وقال الهجريُّ[4] - في شرح قول

(١) ٥٧٦ . (٢) ٢٣٥ .
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ .
(٤) «أبو علي الهجري»: ٢٣٨ .

ابن أحمر الآتي: - أَوْضَاحُ النَّصِـيِّ طرائِدُ منه قليلة ، حُلَيمة : ماء بِيَذْبُل - بضم. الحاء .

ولكن حُليمة الآن من أشهر الأَوْدِيَةِ الْـمُنْحَدِرَة من جبل يَذْبُلَ (صَبحا) متجهاً نحو الغرب حتى يجتمع سيلُهُ في السُّرَّةِ ، ويُدْعَى الآن حُلَيْمِيْنْ - بضم الحاء وفتح اللام وإسكان المثناتين التحتانيتين بينهما ميم مكسورة وآخره نون - ويكثر هناك نبات أوضاح النصي وهو اليابسُ منه ، عند أبناء البادية في هذا العهد .

وفي شعر ابْن أحمر :

تَتَبَّعُ أَوْضَاحاً بِسُرَّةِ يَذْبُلٍ ... وتَرْعَى هَشِيْماً مِنْ حُلَيْمةَ بَالِيَا

- الأَوْضاحُ النَّصِيُّ اليابس -.

السُّرَّة أعلاه وادِي عُصَيْلٍ - بضم العين مصغراً - يأتي عُصَيْلُ من الشمال الغربي بالنسبة لجبل يَذْبُل (صَبْحا) ثم يدعه شرقاً متجهاً جنوباً ثم جنوباً شرقيًّا حتى يفضي في الرَّكَاءِ ، وقد يكون اسم الماء لشهرته أطلق على الوادِي الذي يقع فيه أو العكس .

ذُو خُشُب :

لعل التسمية ناشئة من كونه ينبت من العضاةِ الكبيرة ومنها تُتَّخَذُ الخشب ، قال الهمداني(١): والْـخَنْفَسُ وخلَّص مشرفتان على الرَّهْطِ ووادِي ذِي خُشُبٍ وهو فرعُ العِرْض يدفع فيه الأَجْرَعَانِ . انتهى واسم ذِي خُشُبٍ يطلق على وادٍ أشهر من هذا بقرب المدينة ، له ذكر كثير في الأخبار والأشعار ولكن الوادي

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩١ .

الذي هو فرع العرض له ذكر أيضاً ، ففي شعر طُفَيْلٍ الْغَنَوِيِّ يخاطبُ زيدَ الخيل الطائي[1]:

فَلَوْ كُنَّا نَخَافُكَ لَمْ تَنَلْهَا ... بِذِيْ بَقَرٍ فَرَوْضَاتِ الرَّبَابِ
وَلَوْ خِفْنَاكَ مَاكُنَّا بضُعْفٍ ... بِذِيْ خُشُبٍ نُعَزِّبُ والكُلَابِ

وورد ذكر ذي خُشُب في أشعار النُّميريين كما في نوادر الهجري .

واسم هذا الوادي ليس معروفاً الآن ، ولكن أحدَ فروع الأودية القريبة من الرويضة يدعى الخشبي على ماحدثني الشيخ حسين بن جُرَيْس - وهذا على مقربة من أَبِي الْـجرْفَانِ ، ولهذا فقد جزم الأستاذ سعد بن جُنَيدل[2] بأن أبا الجرفان هو ذُوْ خُشُبٍ ، وأبو الجرْفَانَ - وله روافد كثيرة - يقع في منطقة العرض الغربية ، غرب وادي السِّرْدَاح ، وترفده سيول أودية كثيرة ، وينحدر حتى يصب في وادي السِّرْدَاح .

خَلْص :

ورد غير مضبوط ، وقد قَرَنَ الهمداني الْـخَنْفَسَ وخَلْصاً هذا وقال[3]: هما مشرفتان على الرهط ، ووادي ذِي خُشُبٍ ، ولم أَرَ ذِكْراً له عند غيره ، والاسم يطلق على مواضع أَشْهَرُهَا خَلْص آرةَ ، بمنطقة المدينة ، والثاني في خَيْبَرُ ، على ماذكر البكري[4] وقال : قُسِمَتْ خَيْبَرُ على الْـوَطِيحِ وخَلْص ، فَخَلْصُ بين قراية النبي - ﷺ - وبين نسائه ، وقال : إنه من أودية خَيْبَرَ متصل بالْـوَطِيح -

(١) «معجم ماستعجم» رسم (الرباب) وديوان الطفيل: ٩٧ .
(٢) «عالية نجد»: ٣٧ .
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩١ .
(٤) «معجم ما استعجم» ٥٢١ و٥٢٤ .

أما خَلْصٌ الذي قرنه الهمدانيُّ بالـخَنْفَسِ فينبغي أن يكون بقرب هذا الموضع الذي لايزالُ معروفاً في سواد باهلة .

الـخَنْفَـسُ :

ـ بفتح الخاء وإسكان النون بعدها فاء وسين مهملة ـ جاء في كتاب «بلاد العرب» للأصفهانيِّ(١) : وعن يسارك إذَا كنتَ بأعلى الهَلْباء مياهٌ لباهلة من السَّوْدِ وعلى تلك المياه نخيل ، منها مُرَيْفِقُ وجَزَالاَءُ والخَنْفَسُ والْعَوْسَجَةُ وهي معدِنٌ بها تجَّار ونخيل . انتهى .

وقال الهمداني(٢) : الخَنْفَسُ من مياه الشُّرَيْفِ ، وهو مِنْ مِيَاهِ مأْسَلِ جِأوة . وقال : الخَنْفَسُ وخلص مشرفتان على الرهط ووادي ذِي خُشُبٍ ، وهو فَرْعُ الْعِرْضِ يدفع فيه الأجرعان . انتهى ، وفي «معجم البلدان» نقلاً عن نَصْرٍ ـ : الْـخَنْفَسُ ناحية من أعمال اليمامة ، قريبةٌ من جَزَالاَءَ ومُرَيْفِقٍ ، بين جراد وذي طلوح ، بينها وبين جَحْرٍ سبعةُ أيام أو ثمانية . انتهى .

الـخَنْفَسُ هذا لايزال معروفاً ، ولكنه بتَحْوِيرٍ يَسير في الاسم ـ فهو يُدْعَى (خُنَيْفسة) بالتصغير ، والاسم يطلق الآن على قرية ذاتِ نخل ، تقع شرق رُوَيْضةِ العِرْض تابعة لمركز هذه القرية ، إحدى قرى القويعية التي هي قاعدة الْعِرْض وتقع غرب هذه القاعدة بنحو ٧٥ كيلاً ، على مقربة من قَرْيَةِ مُوَيْسل دُون مأْسَلٍ بنحو عشرة أكيال ، وتقع غَرْبَ بلدةِ القُوَيْعية بنحو خمسة وسبعين كيلاً .

---

(١) ٣٦٨ .
(٢) «صفة الجزيرة» : ٢٩١ .

الرُّحَيْضَـــــةُ :

قال الهجريُّ[1]: وهناك مياه عدة لبني جأوة في غربي ثَهْلاَنَ ، ماءٌ يسمى الرحيضة . ومعروف أن أكثر المياه القديمة قد غارتْ فَجُهِلَت مواقعها ، ولكن ثهلان ـ الجبل العظيم ـ لايزال معروفاً والاسم عُرضةٌ للتصحيف لأنه لم يضبط في الأصل، ولكن ياقوتاً أورده رُحيضة ـ بالتَّصْغِير[2] ـ: ماء بغربيِّ ثَهْلاَنَ وهو من جبال ضَرِيَّة ، ويقال بفتح الراء وكسر الحاء . انتهى ، وليس ثَهْلاَنُ من جبال ضَرِيَّة ولكن يظهر أَنَّ هذا ناشيٌ عن ورود اسم رحيضة ـ استطراداً ـ في كلام الهجري على حِمَى ضَرِيَّة ، مع أنَّ ياقوتاً لم يطلع على كلامه لأنه لم ينقل أسماءَ كثيرٍ من المواضع التي وردت فيه .

الرَّهـــــط :

ذكر الهمداني[3] عن الـخَنْفَسِ وخَلْصٍ أَنهما مشرفتَان على الرهْطِ ووادي ذي خُشُبٍ . وليس هذا الموضع معروفاً بخلاف الخنفس .

الزَّعَّابَـــــة :

قال في «صفة جزيرة العرب»[4]: ثم سِتَار الشُّرَيْفِ الذي في طرف ذِي خُشُبٍ ، فوراءه العَبْلاءُ والزَّعابة يُزْرَعان ويُوْردانِ النَّعَمِ ، ثم مأسل جاوة . وعَدَّ ياقوتُ الزَّعَابَةَ من قرى اليمامة[5] ولم يَضْبُطِ الاسم ، ولكن صاحب

---

(١) «أبو علي الهجري»: ٢٧٠ .
(٢) «معجم البلدان» ـ رحيضة ـ . و«معجم مااستعجم» ٨٧٤ .
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩١ .
(٤) ٢٩٢ .
(٥) «معجم البلدان» .

«القاموس» قال[1]: كَسَحَابة قَرْيَةٌ بالْيَمامة .

ولايزال اسم الزَّعَابَة ـ والعامة يشددون الباء ـ يطلق على جبل في العرض ، يقع شرق قرية الرُّوَيْضَةِ ، ويشاهد منها (بقرب خط الطول ٤٥/٤٤° وخط العرض ٥٠/٢٣°) ولعل الاسم قَدِيماً كان يَشْمُلُ الرُّوَيْضَة ـ تصغير روضة ـ التي في الغالب تحفر فيها الآبار .

سِتَــار الشُّرَيْــفِ :

نقل ياقوت عن أبي زياد الكلابي[2]: وَمِنَ الجبالِ سُتُرٌ، واحدها السِّتَارُ، وهي جبال مستطيلة في الأرض ، ولم تَطُلْ في السماء ، وهي مُطَّرِحَةٌ في البلاد ، ترى الواحد منها ليس فيه وادٍ ولا مسيل ، ولست ترى أَحَداً يقطعها ويعلوها .

وقال الهمداني[3]: ثم سِتَار الشُّرَيْفِ الذي في طَرَفِ ذِي خُشُبٍ فوراءه الْعَبْلاءُ والزَّعَابَةُ . . ثم مأسل جاوة . ويظهر أَنَّ الهمداني يقصد بستارِ الشُّرَيْف جانبه الممتد فوق المواضع الذي ذكرها ، والذي ينطبق عليه وصف أبي زياد ، والشُّرَيْف مُمْتَدٌّ شمال العرض إلى تلك الجهة كما يأتي في الكلام عليه .

سَخِيــــــن :

ذكر الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[4] أن سَخِيْنَ وسخينة قريتان ونخل لباهلة ، يشرف عليهما ابنا شمام ، انتهى ، ولا تعرفان الآن ، ويظهر من هذا التحديد أنهما على وادي عَرْوَانَ على مقربة من هجرة عَرْوَا .

---

(١) رسم «زعب» . (٢) «معجم البلدان» رسم (الستار) .
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ . (٤) المصدر السابق ٢٩٣ .

السِّــــرْداحُ :

بكسر السين وإسكان الراء بعدها دال فألف فحاء مهملة ، والسرداح في اللغة والسردح : الأرض المستوية اللينة التي تنبت العِضاهَ .

أورد الهجريُّ للنميريِّ سعيد بن أشلخ (؟) القطني يرثي حميد بن أبي لطيفة وقتلته بنو قشير ثم بنو قُرَّة :

عَسَى أَنْ يَرُوْعَ اللهُ قُرَّة رَوْعَةً   بِجَيْشٍ مِنَ السِّرْدَاحِ تَهْفُو عصائبُهْ
تَنَزَّى بِأَكْنَافِ السَّوَادِ ابنُ دَلْهَمٍ   بِقَتْلِ حُمَيْدٍ حِيْنَ أَخْلَتْ جَوَانِبُهْ

وفي «معجم ماستعجم»[1] : دَارَةُ مِحْصَنٍ لِبَنِـي قُشَيْرٍ ، قالَ دُرَيْدُ :

فَـإِنَّـا بَـطْنَ غَـوْلٍ لَنْ تَضِلُّوا   فَحَـائِـلَ سَـوْفَتَـيْنِ إِلَى نَسَــاحِ
فَــدَارَة مِحْصَنٍ فَبِــذِي طُلُوْحٍ   فَسِـرْدَاحِ الْـمَثَامِنِ فَـالضَّوَاحِـي

وقال : إنه في بلاد بني تميم .

وقال الهمداني[2] : ثم من فوق ذالك يَحُفُّ بالرَّيْبِ ، إلى بلاد باهلة الضَّوَاحي ، وهي فَسْحَاءُ مِنَ الْأَرْضِ ليس فيها قِرَانٌ ، ثم الْفرْعُ وهو يَصُبُّ في بَطْنِ السِّردَاح ، مقابل للقهاد ، وبين شطِّ السرداح وبين القِهَادِ سَهْبٌ يقال له الملاطيط ، واحدهُ الملطاط ، سَهْبٌ يقطع بينه وبين مثله قِرَانَةُ الجبال ، وذكر أنَّ معدن العوسجة من أرض غَنِـيٍّ فوق الـمُغَيْراءِ ببطن السِّرْدَاح .

إنَّ وادي السِّرْدَاحِ لايزال معروفاً ، وفروعه تنحدر من مرتفعات العِرْضِ على نحو أربعين كيلاً غربَ بلدة القويعية ، وترفده أودية العرض الغربية وأودية

---

(١) «معجم ماستعجم» رسم ـ دارة محصن وسرداح ـ.
(٢) «صفة جزيرة العرب» : ٢٩٤ .

الحمرة ، وهي شفا العرض الشرقية ، ويتجه الوادي في مجراه نحو الجنوب ، تاركاً جبل العرض شمالاً منه ، وجبلي صَبْحَا (يذبل) والْيَنْكِير يميناً حتى يفيض بوادي السُّرَّةِ في الجنوب الشرقي من جبل صَبْحَا .

ذو سقيــــف :

عَدَّ الهمدانِـي[1] ذَا سقيف مِنْ مياه الشُّرَيْف كمأسل جاوة ، وعصير (عصيل) وطُحَـيٍّ ، مما يفهم منه قربه من هذه الأمواه ، وليس معروفاً الآن .

سِلْـــــعُ :

قال في «القاموس وشرحه[2]: وسِلَعٌ أَرْبَعةُ مواضع : ثلاثة منها ببلاد بني باهلة ، وهن سلع مرشوم وسلع الكلدية ، وسلع الستر ، الأول وادٍ ، والثاني جبل أو واد .

وفي «معجم البلدان»[3]: سِلْعُ ـ بكسر أوله وسكون ثانيه ـ: هذا سِلْعُ هذا ومثله وشرواه ، والسِّلْعُ : شَقٌّ في الجبل ، وسِلْعُ موشوم : وادٍ في ديار باهلة ، وسِلْع الْكَلْدِيَّة لباهلة أيضاً جبل أو واد . وسِلْعُ السُّتَر موضعٌ في ديار بني أَسَدٍ ، كله عن نصر . ونَصُّ مافي كتابِ نَصْرٍ[4]: بَابُ سَلْعٍ وسِلْعٍ وَسَلَعٍ ونِسْعٍ : أما بفتح السِّينْ وسكون اللام ـ: جَبَلٌ بالـمَدِينَةِ ، وبِكَسْرِ السِّين ـ: وادٍ في دِيَارِ بَاهِلَةِ يُقَالُ له سِلْعُ مَوْشُومٍ ، وسِلْعُ الْكَلْدِيَّةِ لهم أَيْضاً جَبَلٌ أَوْ وَادٍ ، وسِلْعُ السُّتَرِ ، وقِيْلَ : سِلْعُ في دِيَارِ بني أَسَدٍ . وأَمَّا بفتح السين واللام : ذُوْ سَلَعٍ بَيْنَ نَجْدٍ والْـحِجَاز . وما أَوله نُوْنٌ مكسورةٌ وسين ساكنة ـ: وادٍ . انتهى .

---

(١) «صفة الجزيرة»: ٢٩٢ .

(٢) رسم : (سلع) . (٣) رسم : (سلع) . (٤) في باب (السين) .

السَّـــوادُ : سوادُ باهِلَـــة :

جاء في كتاب «بلاد العرب»(1) والسَّوادُ ، سوادُ باهلة وهي جبال سُودٌ .

وابنا شَمَامٍ : بالسَّوَادِ يدفع عليهما عِرْضُ السَّوْدِ وهو غَيْرُ عِرْض اليمامة .

والرَّيْـمُ : وادٍ لبني معاوية بن قشير . انتهى ، كذا (الريم) والمعروف الريب بالباء ـ وينطق الآن (الرين) .

وقد يطلق اسم السواد على السَّوْدِ ، كما يتضح من كلام الهمداني ، فإنه بعد أن تحدث عن السواد بقوله : سواد باهلة(2) : فأوله الخاصرة من الشمال ، ماء بينه وبين المغرب البُرْم بُرْم ضِنَّةَ ، والمشقرية نخل لِضِنَّةَ أَسْفلَ من ذالك ، وشَمَام قرية عظيمة الشأن ، هي من شط العرض الأيسر إلى المنحدر ، وابنَا شَمَامٍ جبلانِ طويلانِ مُشْرِفَان على سَخِينٍ وسَخِينَةَ قريتين ، ونخل لباهلة ، وعلى عَرْوَان والشَّطِّ ، كل ذالك قُرى ومزارع ونخيل ، ثم من قرى باهلة مُرَيْفِق وعسيان وواسطِ وعُوَيْسِجة والعوسجة ، والإِبْطة ، وذو طلوح ، أعلاه حصن بني عصام ، صاحب النعمان بن المنذر ، والقُوَيْع في ثنية ، وجَزَالاء ، والثُّرَيَّا والجوزاء ، في وادٍ عن يمين ذِي طُلُوح فيه نخيل وقرى .

وبعد ماتقدم أضاف الهمداني ـ دون أن يقطع الكلام(3) : ومنها ومما يُعَدُّ في حَوْزَتِها سَوادُ باهلةَ وأوله من مشرقه بلد يقال له الْقُوَيْعُ يعرف ببني زياد من باهلة ، ثم أعلى منه حصن آل عصام وهو من ولد عصام خادم النعمان ، ومنهم أبو المنيع شاعر من عصرنا . وجَزَالاءُ عن يمين ذالك وفيها يقول الشاعر ـ وأورد الشعر المتقدم ـ وهي لبني عصم من باهلة ومواليها ، ومُرَيْفِقُ فهو لبني حصن ،

---

(1) ٢٣٥ و٢٣٦ . (2) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ .

(3) «صفة جزيرة العرب»: ٣١٠ .

والشَّطُّ لموالي عصام ، ومأسلُ وحضَنُ ـ غير حضن عكاظ ـ من أرض باهلة ، والفرعة وادي نخل لبلحارث من باهلة ، ثم أيمن من ذالك الرَّيْبُ فهو لبني مُرَيْح ، ولبني عبيدة ، ولحيدة وهذه البطون من معاوية بن قشير .

وقال ـ وقد ذكر السود[1] ـ: ثم من فوق ذالك مما يَحُفُّ الرَّيْبَ إلى بلاد باهلة الضواحي وهي فسحاءُ من الأرض ليس فيها قِرَانٌ ، ثم القرع وهو يصب في بطن السرداح ، مقابل للقهاد وبين شط السرداح وبين القهاد سَهْبٌ يقال له الملاطيط واحِدَهُ المِلْطاط ، سَهْبٌ يقطع بينه وبين مثله قِرَانَةُ الجبال ، وفي فرعه الثَّنِيَّةُ ثَنِيَّةُ السَّوَاد سَوْدِ باهلةَ ، وعن يمينه من دون الثنية ماء يقال له الـمُغَيْرَا ، وقرية عظيمة يقال لها العوسجة وهي معدن ، وكذالك شمام معدن فضة ومعدن نحاس ، وكان به ألوف من المجوس يعملون المعدن ، وكان به بَيْتَا نارٍ يُعْبَدَان ، والثنية ثنية حصن ابن عصام معدن ذهب . انتهى ملخصاً .

السَّـــــوْدُ :

وَقد يفهم من كلام بعض المتقدمين التَّفْرِيقُ بين السَّوْد وبين السواد الموضعين المعدودين في بلاد باهلة ، فالسواد ـ كما في كتاب «بلاد العرب»[2] ـ سوادُ باهلة جبال سواد ، وابنا شمام بالسواد ، يدفع عليهما عِرْضُ السَّوْدِ ، وجبل يَذْبُلَ قريب من السَّوْد ، وجبل الينكير أظنه من السواد سواد باهلة ـ على مافي ذالك الكتاب ـ .

وذكر ابن جرير[3] في حوادث سنة اثنتين وثلاثين ومئتين في حرب بُغَا الكبير بني نُمَيْر، أنه سار مع مَرْأَةَ فاحتملت بنو ضِنَّة من نُمَيْرٍ فركبت جبالها مَيَاسِرَ

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٤ . (٢) : ٢٣٥ .

(٣) «تاريخ ابن جرير»: ج ٩ ص ١٤٧ ـ طبع دار المعارف بمصر .

جِبَالِ السَّوْدِ، وهو جبل خلف اليمامة، أكثر أهله باهلة. انتهى. والقول الذي أورده صاحب كتاب «بلاد العرب» عن أبي الأزهر - وسيأتي - أَنَّ السَّوْدَ قريةٌ لباهلة بِالْوَشْمِ بأطرافِهِ ليسَ صحيحاً، إِذْ يفصلُ بين إقليم الوشم وبين إقليم العِرْضِ الذي يقع فيه السَّودُ إِقْلِيمُ السِّرِّ، وصَحْرَاءُ الـمَرُّوْتِ، والذي يظهر لي أن اسم السود يشمل مايعرف قديماً بِعِرْض السَّود وهو عِرْضُ شَمَام - عرض القويعية الآن - فهو منطقة واسعةٌ تحوي قرى وجبالاً منها شَمَام وخَزْبَة، وهما معدنان، وتقدم الكلام عنهما، والعوسَجَةُ معدن أيضاً، ومن القرى: جَزَالَاء ومُرَيْفِق والـخَنْفَسُ وذُو طلوح، وكلها عليها نخيل، كما في كتاب «بلاد العرب».

ومما أورد صاحب كتاب «بلاد العرب» في السَّوْد قول أبي الأزهر[1]: السَّوْدُ قرية لباهلة بالوشم بأطرافه، وهي التي يقول فيها الشاعر:

أُحِبُّ ثَنَايَا السَّوْدِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا يَكُنَّ لَعَمْرِي مِنْ حُمَيْدَةَ مَرْبَعَا

وأنشد لرجل من بني عُقَيْلٍ يقوله لباهلة:

بَاهِلَ زِيْجِي عن نُمَيْرٍ واخْنَسِي إِنَّ نُمَيْراً لَكِ أَنْ تُكَبَّسِي
يطَاكِ واطيها بخُفٍّ مُلْطس وتُنْحَسِي وتَنْخَسِي وتُنْخَسِي
وتُفْرَسِي بالسُّوْد كل مفرس وَقَبْلِ وِرْدِ الْعَرَكِ الْـمُعْلَنْطِسِ

وسيأتي الكلام على هذا الرَّجَزِ عند ذكر (المثالب) وأنه من قَبيل مايقع بين القبائل من احتكاك قد لا يقف عند حدِّ التهاجي.

وقال ياقوت[2]: السَّوْدُ - بفتح أوله: جبلٌ لبني نَصْرِ بن معاوية - وقيل:

(١) ١٣٥، ١٣٧، ٣٨٢، ٣٦٩، ٣٦٨، ٢٣٧، ٢٣٩، على التوالي والمعلنطس: المجتمع المتراد.
(٢) «معجم البلدان»: - رسم السود -.

السَّوْدُ جبل بِقُرْبِ حَضَنٍ في ديار جُشَمِ بنِ بكر ، قال الْـحَفْصِـيُّ : سَوْدُ باهلة قريةٌ ومعادن باليمامة ، وقال أبو شِرَاعةَ القيسيُّ : وكان محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن سَلْمٍ الباهلي قال : إنما معاش أبي شِرَاعة من السلطان :

عَيَّـرْتَنِـي نَائِـلَ السُّلْطَان أَطْلُبُه   يَاضَلَّ رَأْيِكَ بَيْنَ الْـخَرْقِ والنَّزَقِ!
لولَا امْتِنانٌ مِنَ السُّلْطَانِ تَجْهَلُهُ   أَصْبَحْتَ بِالسَّوْدِ في مُقْعَوعِسٍ خَلَقِ

سُوْفَــــةُ :

قال ياقوت في «معجم البلدان» : سُوفَةُ ـ بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء ، لعله من السافة وهي الْأَرضُ بين الرمل والجلد ، والسائِفَةُ : الرملة الرقيقة ـ قال أُبو عبيدة : سُوفَةُ مَوضِعٌ بالْـمَرُّوتِ وَهي صَحَارى واسعةٌ بين قُفَّيْنِ أَوْ شَرَفَيْنِ غليظين ، وحائِلُ في بَطْنِ الْـمَرُّوْتِ ، قال أبو عبيدة : ويروى سوقة ، وكذا قال ابن حبيب ـ وقال جرير ـ :

بَنُو الْـخَطَفَى والْـخَيْلُ أَيَّامَ سُوْفَةٍ   جَلَوْا عَنْكُمُ الظَّلْماءَ فَانْشَقَّ نُورُهَا

بالْفَاءِ يُرْوَى ، وفي شِعْرِ الرَّاعِـي الْـمَقْرُوْءِ على ثَعْلَبٍ :

تَهَانَفْتَ واسْتَبْكَاكَ رَسْمُ الْمَنَازِلِ   بِقَارَةِ أَهْوَى أَوْ بِسُوقَةِ حَـائِلِ

صَوَابُ الاسم سُوْفَةُ ـ بالفاء ـ وورد مُصَحَّفاً بالقاف في كثير من الكُتُب ـ وَوَرَدَ مُثَنَّى في شعر دُرَيْد بن الصمة الذي أورده البكري مصحفاً سُوْقَتَيْنْ

فَـإِنَّـا بَــيْنَ غَـوْلٍ أن تَضلُّوا   فحائِلِ سُـوقَتَيْنِ إلى نَسَـاحِ[1]

وهُوَ يقصد سُوْفَةَ ، لأنه أضافَ حائِلاً إِلَيْهَا ، وحائل ـ كما تقدم الكلام عليها

---

(١) «معجم ماستعجم» رسم (نساح) وتقدم في رسم (السرداح) .

ـ صحراء واسعة تقع سوفة فيها، وسوفة تُشَاهَدُ عن بُعْدٍ لها رأسان بارِزَانِ، ومن هُنَا يَظُنُّ الرائِـي أنَّهما أَكَمَتَانِ، وهي في الواقع واحدة، قال الهمداني[١] ـ بعد كلامه على سواد باهلة: وعن يمين سواد باهلة بطنُ حائل وهو بلدٌ مثل يَدِ المصافح، يُرَى فيه الراكبُ من مسيرة نصف نهار، في وسطه رُمَيْلَةٌ يقال لها رملة الأطهار، وفي أعلاه سُوفَتَانِ وَيَحُفُّهُ رُمْلُ جُرَاد، وهو منقطع وحدَهُ بين الْـمَرُّوْتِ وبين جراد إلى آخر ماذكر ـ وحائل والْـمَرُّوْتُ تنزله بطون من بني عامر، ومن باهلة ومن تميم، كما تقدم في الكلام على حائل، وسيأتي في خبر الصحابي الباهلي جهم بن كلدة: لما أتانا نَعْـيُ النبي ﷺ ونحن بسوفة وهي جرعاء من أرض باهلة فقوض الناس بيوتهم.

ولاتزال سوفة معروفة بهذا الاسم، تقع في الشمال الشرقي من بلدة القُوَيْعِيَّة، وأقربُ المناهل منها الْـحَرْمَلِيَّةُ غربها بما يقارب عشرين كيلاً، ودَلْقَانُ شرقها، وهي واقعة في صحراء واسعة تعرف الآن باسم حَذْباء قِذْلَةَ، وتقدمت الإشارة إلى أن هذه الصحراء هي مايعرف قديماً باسم حائل.

الشُّبَيْكَــــــةُ :

تصغير الشبكة، والشِّبَاكُ البئار الصغار في بطون الأودية وفيها ماء كثير[٢]، فهي في الأصل وصفٌ، ولهذا كثر إطلاقُ الاسم على مياه عدة.

قال الهجريُّ[٣]: في ذكر مياه بني جِأَوَةَ بن معن الباهلي: ولهم ماءان خارجان عن ثَهْلاَنَ بواد يقال له الرشاد، يقال لأَحَدِهما الْعُوَيْنِد، وللآخر

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٣.
(٢) «بلاد العرب»: ١٨٧.
(٣) «أبو علي الهجري»: ٢٧٠ و«معجم ماستعجم»: ٨٧٤.

الشَّبَكة ، وهما مِلْحَانِ والرَّشَادُ وادٍ رغيب يصبُّ في التسرير . انتهى . يظهر أن اسم الرشاد ، تصحيف (الرشاء) فوادي الرِّشَاءِ هو الذي عُرِفَ به وادي التَسْرِيْرِ الذي حدده المتقدمون ، وأُطْلِقَ اسم التَّسْرِيْرِ على وادٍ آخر صغير من فروع وادي القِرْنَة ، وفي شرقِيِّ ثَهْلَان ماء يسمى الشُّبَيْكة ، ولكنه لايقع في وادي الرِّشَاءِ بل في وادي الشَّعْراء ، وهو يلتقي بوادي الرِّشَاءِ ، أما العُوَيْنِدُ فَماءٌ مُرٌّ لايزال معروفاً بجانب رَمْلَةٍ تضاف إلى الماء ، في الجنوب الشرقي من النِّيْرِ ، تابع لإمارة الدَّوَادمي ، وليس من المستبعد أن يكون ماء الشُّبَيْكَةِ قد دَرَس ، وبقي ماء العوينـد .

الشَّـــــرَف :

قال البكري[1] ـ بفتح أوله وثانيه بعده فاء ـ: ماءٌ لبني كلاب وقيل لباهلة ـ إلى آخر ماذكر ـ ليس الشرفُ مَاءً بل منطقة واسعة من بلاد نجد، أكثر المتقدمون الكلام عنها، ومما أورده ياقوت عن الأصمعي : الشَّرَفُ كَبِدُ نجد، وكانت منازل بني آكل المرار من كندة الملوك وفيها اليوم حِمَـى ضَرِيَّةَ ، وحِمَى الرَّبَذَةِ ، وهو الـحِمَى الأيمن ، والشُّرَيْفِ إلى جنبها يفصل بينهما التَّسْرِيْرُ ، فما كان مشرقاً فهو الشُّرَيف، وماكن مغرباً فهو الشرف. انتهى ، وبلاد باهلة كانت تمتد شمالاً حتى تتصل بالشرف ، وكثير من فروع أَوْدِيَةِ العِرْضِ تنحدر من الشَّرَفَةِ ـ التي هي جانب الشُّرَيْف الجنوبي.

الشُّرَيْــــفُ :

ـ بضم الشين وفتح الراء تصغير الشرف[2]، مأخوذ من الارتفاع ـ: وللعلماء

(١) «معجم ما استعجم»: رسم (الشرف) .

(٢) «معجم البلدان»: ١٨٧ .

المتقدمين فيه كلام كثير ، ومن أوْجَزِه قولُ الأصمعيِّ : الشرف كَبِدُ نَجْدٍ ، والشُّرَيْفُ إلى جانبه يفصل بينهما التَّسْرير ، فما كانَ مشرقاً فهو الشُّريف ، وماكان مُغَرِّباً فهو الشرف . انتهى ، والتَّسْرِيْرُ المذكور هنا وادٍ ينحدر من جبال النِّير صَوْبَ الشمال حتى يتجاوز جَبَلَةَ ، ويُعْرَفُ الآن باسم وادي الرِّشاءِ فما كان شرقَهُ فهو الشُّرَيْفُ ، ويَمْتَدُّ جنوباً حتى يدخل فيه عِرْضُ شمام ، كما في كلام الهمداني[1]: ومن مياهِ الشُّرَيْفِ الـخَنْفَسُ وهو من مياه مَأْسل جاوة ، وذو سقيف والجعور وعصير وطحي - وذكر الزعابة - وغيرها من مواضع في العرض حين قال : ثم ستار الشريف الذي في طَرَفِ ذي خُشُبٍ فوراءه العبلاء والزعابة ثم مأسل جاوة - إلى آخر ماذكر - ولعل ستارَ الشُّرَيْفِ مايعرف الآن باسم الشرفة ، وهي الأراضي المرتفعة الواقعة شمال تلك المواضع وغربها، ممتدةً جنوباً وشمالاً، ومنها تنحدر سيول العرض.

الشَّـــــطُّ :

عَدَّ الهمداني الشَّطَّ: في سواد باهلة وقال - بعد ذكر جَزَالَاء ومُريفق[2]: والشَّطُّ لموالي عصام ومأسل وحضَنَ والفرعة ، وادي نخل لبلحارث من باهلة ، وقال : وابنا شَمَامٍ جبلان طويلان مشرفان على سَخين وسَخينة ، قريتين ونخل لباهلة ، وعلى عران (عروان) والشَّطِّ ، كل ذالك قرى ومزارع ونخيل .

ويفهم من إشراف ابني شمام على تلك المواضع وقوع الشطِّ بقربها في منطقة عَرْوان وادي عَرْوَا الهجرة المعروفة .

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ .
(٢) «صفة جزيرة العرب»: ٣١٠ .

ابْنَـــا شَمَـــام :

يرى صاحب «معجم البلدان» أنَّ اسم شَمَام للجبل المعروف مشتقٌّ من الشمم وهو العلو ، وجبل أشم طويل الرأس ، وقد تقدم في الكلام على السواد أنَّ ابْنَيْ شمام بالسواد ، يدفع عليهما عِرْضُ السَّوْد ، وسيأتي في الكلام على العرض إضافته إلى شمام ، وذالك أنَّ جَبَل شمام من أبرز الجبال الواقعة على شاطئه ، فقِمَّتَا ذالك الجبل ـ ويُدْعَيَان قديماً (ابنا شمام) ـ تشاهدان من أمكنة بعيدة من جميع جهاتها ، فاكتسبتا شهرةً في الشعر القديم كقول لَبِيْدٍ :

فَهَـلْ نُبِّئْتَ عَنْ أَخَـوَيْنِ دَامَـا   عَلَى ٱلْأَحْدَاثِ إِلَّا ابْنَيْ شَمَامِ

وقول النَّابِغة الـجَعديِّ :

لَقَـدْ أَخْـزَيْتُهُم خِــزْيـاً مُبِيْنًــا   مُقِيْمـاً مَـا أَقَـامَ ابْنَـا شَمَـامِ

ومع أن جبل شمام لا يتميز بضخامة ، ولا بِسُمُوقٍ وامتناع عن غيره من كثير من جبال الجزيرة ، إلا أن شهرته ـ لوقوعه في منطقة خصبة مأهولة ـ حمل الشعراء على التمثيل به كقول امْرِئِ القيس :

كَأَنِّـي إِذْ نَزَلْتُ عَـلَى الْـمُعَلَّى   نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شَمَامِ

وقال جَرير :

عَـايَنْتُ مُشْعَلَةَ الرِّعَـالِ كَـأَنَّها   طَـيْرٌ تُغَاوِلُ في شَمَـامَ وكُـوْراً

ومع وقوع جبل شمام في وسط بلاد باهلة ، وعَدِّه من أشهر جبالهم إلاَّ أنَّ البكري ـ في «معجم ماستعجم»(١) ـ نقل قولاً غريباً ونصه : قال ابن الأعرابي : شمام لبني حَنِيْفَةَ ، وقال جرير يُعَيِّرُ الفرزدقَ :

---

(١) رسم (شمام) .

وكُبِّــلَ حَــاتِمٌ بِشَمَــامَ حَــوْلاَ   فَحَكَّمَ ذَا الرُّقَيْبَةِ وَهْــوَ عَانِـي

ـ يعني مالكاً ذا الرقيبة القُشيري ـ انتهى ، و(حاتم) صوابه كما في «النقائض»[١] : (حاجب) وهو حاجِب بن زُرارة التميمي الذي أسره يوم شِعْبِ جَبَلةَ مالكُ ذُو الرُّقَيْبَة بن سلمة بن قُشَيْرٍ فَافْتَدَى منه بألف ناقة ، وزعمت قيس في أشعارها أنها أخذتْ منه ألفَ عبد وألفي ناقة ومعها أولادها وقد افتخر بذالك أَصَمُّ باهلة إذْ قال :

حَتَّى افْتَدَوْا حَاجِباً مِنَّا وَقَدْ جَعَلَتْ   سُمْرُ الْقُيُودِ بِرِجْلَيْ حَاجِبٍ أَثَرَا
بِأَلْفِ عَبْدٍ وأَلْفَيْ رَائِمٍ جَعَلُوا   أَوْلاَدَهُنَّ لَنَا مِنْ لُؤْمِهِمْ جَزَرَا[٢]

ويظهر أن اسم شمام لم يكن محصوراً في الجبل وحده ، بل تُوُسِّعَ فيه ، حتى شمل ماحوله من الجبال ، كما في قول الفرزدق[٣]:

ثَقُلَتْ عَـلَيَّ عَمَايَتَـانِ وَلَمْ أَجِدْ   سَبَباً يُحَوِّلُ لِـي جِبَـال شَمَامِ

كما عرفت باسم شَمَام قريةٌ لباهلة إلى جنب الجبل[٤]، وعرف المعدن المشهور ، المتقدم ذكره في المعادن ـ قال الهمداني[٥] : وشَمَامُ قريةٌ كانت عظيمة الشأن ، هي من شَطِّ العِرْضِ الأَيْسَرِ إلى المنحدر ، وابنا شَمَامٍ جبلان طويلانِ جدًّا مشرفان على سخين ، وسخينة قريتين ونخل لباهلة وعلى عروان والشَّط ، كل ذالك قرى ومزارع ونخيل . انتهى .

وفي «لسان العرب»: وشمام : اسم جبل ، قال جرير[٦] :

عَايَنْتُ مُشْعَلَةَ الرِّعَالِ كَأَنَّها ـ البيت المتقدم ـ .

---

(١) ٦٧٠ . (٢) «النقائض»: ٣٨٠ .
(٣) «النقائض»: ٣١٢ . (٤) المصدر: حاشية .
(٥) «صفة الجزيرة»: ٢٩٢ . (٦) «لسان العرب»: رسم (شمم).

ويروى بكسر الميم ، قال ابن بَرِّي : الصحيح أَنَّ البيت للأخطل ، قال : وشمام جبل بالعالية قال ابن بَرِّي : وقد أعربه جرير حيث يقول :

فَإِنْ أَصْبَحْتَ تَطْلُبُ ذَاكَ فَانْقُلْ   شَـمَامـاً وَالْـمِقَـرَّ إِلَى وُعَـالِ

وِعَالُ بالسَّوْدِ سَوْدِ باهلة ، والْـمِقَرُّ بظهر البصرة ، قال: ولِشَمَام هذا الجبل رأسان يسميان ابني شمام ، قال لبيد :

فَهَلْ نُبِّئْتَ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا . ـ البيت المتقدم ـ .

قال ابن بَرِّي : وروى ابن حمزة هذا البيت :

وَكُـلُّ أَخٍ مُـفَـارِقُـهُ أَخُـوْهُ   لَعَـمْـرُ أَبِيْـكَ إِلَّا ابْنَيْ شَمَـامِ

وقال ياقوت[1]: يروى شَمَام مثل قَطَامِ ، مبني على الكسر ، ويروى بصيغة مالا ينصرف من أسماء الأعلام ، وهو مشتق من الشمم وهو العلو ، وجبل أشم طويل الرأس ، وهو اسم جبل لباهلة ، قال جرير :

عاينت مشعلة . البيت المتقدم .

وله رأسان يسميان ابني شمام ، قال لبيد :

وَفِتْيَـانٍ يَـرَوْنَ الْـمَجْـدَ غُنَمـاً   صَبَـرْتُ بِحَقِّهِمْ لَيْـلَ التَّمَـامِ
فَـوَدِّعْ بِـالسَّـلَامِ أَبَـا جَـرِيْـرٍ   وَقَـلَّ وَدَاعُ أَرْبَـدَ بِـالسَّـلَامِ
فَهَـلْ نُبِّئْتَ عَنْ أَخَـوَيْنِ دَامَـا   عَلَى الْأَحْدَاثِ إِلَّا ابْنَيْ شَمَامِ
وَإِلَّا الْـفَـرْقَـدَيْنِ وَآلَ نَـعْشٍ   خَـوَالِـدَ مَـاتُحَـدِّثُ بِـانْهِدَامِ

ولايزال ابنا شمام مَعْرُوفَيْنِ ، ولكن العامة حرفت الاسم إلى (اذني شمال)

---

(١) «معجم البلدان» .

كعادتهم في كثير من الأسماء التي يقربونها إلى أَفْهامهم بتغييرها مثل (أسنان بلالة) يقولون: (ثنايا بلال) بين الرياض والخرج ، وابْنَا شَمَامٍ رأسان مرتفعان لجبل واحد على مقربة من هِجْرة عَرْوَا ، وقرية نُخَيْلان ، في أعلى وادٍ يعرف الآن باسم الخنقة - ويظهر أنه العرض قديماً - من أعلى فروعه وادي عَرْوا (عَرْوان) . ويبعد جبل ابني شمام عن بلدة القويعية نحو أربعين كيلاً في الشمال الغربي .

صَاحَـــــــةُ :

فَسَّرَ ياقوت صاحة بأنها[1]: اسم جبل أحمر بالرَّكَاءِ والدُّخُول ، ويجوز أن يكون من الصَّوْحِ ، بالفتح : جانب الجبل ، وقيل : الصَّوْحُ وجهُ الجبل القائم كأنه حائط صوح ، وصوح لغتان فيه ، وقال نصر[2]: صاحة هضاب حمرٌ لباهلة بقرب عَقِيق المدينة ، وهو أَحَدُ أوديتها الثلاثة ، قال بشر بن أبي خازم :

لَيَـالِيَ تَسْتَبِيْكَ بِـذِي غُـرُوْبٍ كَـأَنَّ رُضَـابَـهُ وهْنـاً مُـدَامُ
وأَبْلَجَ مُشْـرِقِ الْـخَـدَّيْنِ فَخْمٍ يُسَنُّ عَـلَى مَـراغِمِـهِ الْقَسَامُ
تَعَرُّضَ جَابَةِ الْـمِدْرَى خَـذُوْلٍ بِصَـاحَـةَ في أَسِـرَّتِهَـا السِّـلاَمُ
وصَاحِبُهَا غَضِيْضُ الطَّرْفِ أَحْوَى يَضُــوعُ فُؤَادَهـا مِـنْـهُ بَغَـامُ

انتهى كلام ياقوت .

ويظهر أن في كلام نصر سقْطاً ، فصاحة بقرب عُقَيْقِ تَمْرَة - عقيق عُقَيْلٍ - لا عقيق المدينة ، وعقيق تمرة هو المعروف الآن باسم وادي الدواسر ، وصاحةُ

---

(١) «معجم البلدان» . (٢) لم أجده في كتاب نَصْر .

تقع شماله غرب الأفلاج ، وهي قريبة من هضب الدخول ، ومن وادي الركاء.

وجبل صاحة لايزال معروفاً باسمه ، يقع بين خطي العرض : ٢١/٣٠° و: ٢١/٣٥° وبقرب خط الطول: ٤٤/٥٠° ، واسم صاحة الآن يطلق على جبلين أحمرين متقاربين واقعين على ضَفَّةِ وادي الرَّكاء الجنوبية ، بين جبال أخرى تعرف باسم جبال السَّوَادة ، فيما بين بلاد الدواسر وقحطان ، وصاحة قديماً في بلاد بني عُقَيْلٍ ، ومعروف أن باهلة قد حالَفَتْ هاؤلاء ، والتجأت إليهم بعد قتل ابن المنتشر ، ووقوع الخلاف بينهم وبين بني جَعْدَة ، كما أن بلاد باهلة قد تمتد جنوباً بازدياد قوة القبيلة حتى تبلغ هضاب صاحة ـ كما يفهم من كلام نصر ـ.

طَاحِيَـــــةُ :

عَدَّ الهمداني[1] هذا من مياه الشُّرَيْف ، وذكر معه الخنفس وطُحَيًّا المعروفين، مما يَدُلُّ على قُرْبه منهما ، ونقل ياقوت عن أبي زياد[2]: ومن مياه بني العجلان طَاحِية كثيرة النخل ، بأرض القعاقع . انتهى . ولا أستبعد أن تكون طاحية القرية الواقعة بقرب طحي المسماة الآن القُصورِيَّة .

طُحَــــيٌّ :

قال الهمداني[3] ـ بعد عَدِّ الخنفس من مياه الشُّرَيْفِ : ومن مياه الشُّرَيْفِ سقيف والجعور، وطويلة الخطام وعصير وطُحَي وعَصَنْصر وطَاحِية. وأورد

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ .
(٢) «معجم البلدان»: رسم (طاحية) .
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ .

ياقوت[1] الاسم مُعَرَّفاً (الطُّحَي) في شعر المُلَيْح الهذلي، وهو موضع آخر، في بلاد هذيل، أَمَّا طُحَيٌّ الذي ذكر الهمدانيُّ، فلا يزالُ معروفاً في العِرْض بقرب الخنفس، وعُصَيْل، باللَّام، وهو قرية بين قريتي الرويضة والقصورية، الأولى تقع شرق قرية طحي، والثانية غربها (طحي بقرب خط الطول: ٤٤/٤٠° وخط العرض: ٢٣/٤٥°) وتبعد عن الرويضة نحو خمسة عشر كيلاً.

ذُو طُلُـــوح:

قال في كتاب «بلاد العرب»[2]: في ذكر سَوْدِ باهلة: ومن السَّوْدِ ذُو طُلُوحٍ: ماء عليه نخيل، قال الشاعر:

ماأَنَا وَالنَّوْمُ بذِي طُلُوح

وقال الهمداني ـ في الكلام على سود باهلة وقراها[3]: وذُوْ طُلُوحٍ أَعْلاَهُ حِصْنُ بَنِـي عصامٍ، صاحب النعمان بن المنذر، والْقُوَيْعُ في ثَنِيَّةٍ، وجَزَالاَءُ والثُّرَيَّا والْـجَوْزَاءُ في وَادٍ عن يمين ذي طلوح فيه نَخْلٌ وقُرى. انتهى.

ويلاحظ وجود وادٍ بهذا الاسم أشهر من هذا شرق الدهناء، تحدثت عنه في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي». وموضع في بلاد الضِّبَاب في حِمَى ضَرِيَّةَ، ذكره ياقوت، ولعل تكرر الأسماء ناشـيءٌ في الأصل عن وصف تتفق فيه المسمَّيات، وهو كونها مما ينبت فيه الطلح، والذي يعنينا هنا الماء الذي عليه نخيل لباهلة، ولا يعرف الآن بهذا الاسم، ولكن مادام في السَّوْد، ومادام أعلاه حصن ابن عصام، وأنه على مقربة من القُوَيْع الذي لايزال معروفاً فإنَّ موقعه ينبغي أن يكون هو الوادي الذي أعلاه ثَنِيَّةُ ابن عصام التي

(١) «معجم البلدان». (٢) ٣٦٩.
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٣.

تعرف باسم رِيْع العتيبي ، كما تقدم ذكر هذا في رسم (الثنية) وهذا الوادي يعرف الآن باسم وادي القُوَيْعِيَّة .

طويلـــة الخطـــام :

عَدَّها الهمداني مع الـخَنْفَس وعُصَيْل وطُحَـي من مياه الشُّرَيْف ـ وتقدم كلامه ـ مما يدل على قربها منها ، وان كانت غير معروفة بهذا الاسم ، وكلها بمنطقة رُوَيْضَة العِرْضِ .

عاقـــــل :

قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب»(١): وعاقِلُ البحرين . وعاقل لباهلة أيضاً وفي «النقائض»(٢): عاقِلُ وَادٍ ببلاد قَيْسٍ ، وهو اليوم لباهلة بن أعصر . وذكر الهمداني(٣) أن غَوْلَ يقال له عاقل، كما ذكر أن في عاقل قَبْرَ الحارث الملك ابن عَمْرٍو المقصورِ الْكِنْدي.

وفي «معجم البلدان»: عاقل ـ بالقاف واللام بلفظ ضد الجاهل ـ وهو التحصن في الجبل، يقال: وَعِلٌ عَاقِلٌ إذا تحصن بِوَزَرِهِ عن الصياد ، والجبل نفسه عاقل أي مانع، وعاقل: وادٍ لبني أَبَانَ ابن دارم من دُون ، بطن الرُّمَةِ وهو يُنَاوِحُ مَنْعِجاً مِنْ قُدَّامه وعن يمينه ـ أي يُحَاذِيه ـ قال ذالك السكريُّ في شرح قول جرير:

لَعَمْرُكَ لَا أَنْسَى لَيَالِـيَ مَنْعِجٍ   وَلَا عَاقِلاً إِذْ مَنْزِلُ الْـحَيِّ عَاقِلُ

وقد أورد ياقوت في «معجم البلدان» أقوالاً كثيرة في عاقِلٍ ، ومأأرى تلك

(١) ٣٣٢ . (٢) : ٢٣ .
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٠ و ٣٣٠ .

الأقوال إلَّا منطبقة على موضع واحد هو وادٍ يعرف الآن باسم (العاقلي) يقع في غرب منطقة القَصِيم ، شرق بلدة الرَّسِّ ، وهو تابع لها . فقد يكون نفوذ باهلة إبَّانَ قوتها امتدّ إليه ، أو لكونه واقعاً بطريق الحج البصريِّ، نسبه أحد الباهليين المرافقين للحجاج إلى قبيلته.

العَبْــــلاء :

الأعبل والعبلاء حجارة بِيْضٌ ـ والاسم يطلق على مواضع أشهرها في بلاد خَثْعَمَ ـ أما العبلاء التي في بلاد باهلة فقد عدَّهَا الهَمْدانيُّ[1] من مياه الشُّرَيْف التي في عرض باهلة مع طُحَيٍّ والخنفس وعُصَيْر ومأْسَل جِآوَةَ ، وكلها حول قرية الرُّوَيْضَةِ ، وقَدْ قرنها بالزَّعَابَة قائلاً : ثم ستار الشُّرِيف الذي في طرف ذي خُشُبٍ ، فوراءه العبلاء والزعابة ، يزرعان ويوردان النَّعَمَ ثم مأسل جِآوَةَ وهو حصنان ونخل وزروع .

عِــــرَارُ :

ونقل ياقوت عن كتاب نصر[2] : عِرَار ـ بالكسر ـ وقال : مَوْضِعٌ في ديار باهِلَةَ من أَرْض اليمامة . وهو نَصُّ مافي كتابه (باب عِرَار وعَزَّان وغُرَان) إلى آخر ماذكره ، وأضاف نَصْرٌ : وهناك ذُوْ طُلُوحٍ ، ولم أجد من يعرف هذا الموضع الآن من أهل تلك الجهة ، وكونه بقرب ذي طُلُوحٍ يفهم منه موقعه مما تقدم عن ذي طلوح .

عـــران :

في «معجم البلدان» لياقوت: عران : موضع قرب اليمامة عند ذي طُلُوحٍ

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ . (٢) «معجم البلدان» .

من ديار باهلة . كذا قال ، وأراه الموضع الذي قبله ، ولولا ضَبْطُ نَصْرٍ له لَقُلْتُ بِأَنَّ أحدهما مصحف عن الآخر ، وقد ورد في «صفة جزيرة العرب»[1] في النسخ المخطوطة التي هي أصل المطبوعة : وابنا شمام جبلان مشرفان على سخين وسُخَيْنَة وعلى عران والشط ، إلى آخر الكلام ـ ولكن عران هذا تحريف (عروان) وادي (عَرْوا) ويشرف على الموضعين ابنا شمام ، ولو صح مافي مخطوطات الكتاب لكان (عران) هذا موضعاً آخر ، لبعده عن ذي طلوح .

العِـــرْضُ :

كل وادٍ فيه قرى ومياه عِرْضٌ ـ على مانقل ياقوت عن الأزهري ـ ونقل عن نصر : العِرْضَانِ واديان باليمامة ، وهما عِرْضُ شَمَام ، وعِرْضُ حَجْرٍ ، فالأول يصب في بِرْك ، وتلتقي سيولهما بِجَوٍّ ، في أسفل الْـخِضْرِمَةِ ، فإذا التقينا سميا مُحَفقاً[3]، وهو قاع يقطع الرمل ، وبه وَسِيْعٌ ، وتنهيته عُمَان . انتهى ، وهذا الكلام في كتاب نصر[4]، ولكن سيول العرضين لا تلتقي في جَوِّ الـخِضْرِمة ـ أسفل الخرج ـ فسيلُ عرض شَمَام تحجزه رمال ومرتفعات من الأرض عن اتصاله بوادي بِرْكٍ ، وبِرْكُ يفيض في المجازة روضَةٍ شرق حوطة بني تميم ، جنوب جَوِّ الْـخِضْرِمَةِ بمسافات، واسعة من الأرض ، ذات جبال وآكام ورمال ، أما عِرْضُ حَجْرٍ فيمرُّ بجو الخضارم ـ الخضرمة ـ مشرقاً حتى تحجزه رمال الدهناء في روضة السَّهْبَا ، وتدل آثار مجراه في الرمل أنه كان يتجه صوب الخليج ويقع منهل وَسِيع شمال مجرى الوادي ، ومفيضه ليس في الرمل ، بل

---

(١) ٢٩٢ . (٢) «معجم البلدان» ـ رسم عرض ـ .

(٣) في الأصل : (محققا) بالحاء المهملة بعدها قافين ، وانظر لإيضاح هذا (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» ـ رسم (مخفق) .

(٤) باب عُرْض وعِرْض .

شماله في آكام مرتفعة هي امتداد لمرتفعات منطقة الْعَرَمَةِ الجبلية ، وسيلُ الوادي الذي يقع وسيع في أعلاه يَتَّجِهُ جنوباً حتى يجتمع بِعِرْضِ حَجْرٍ المعروف بـ (وادي حنيفة) وقديماً عرض بني حنيفة.

أما عِرْضُ شَمَام ، فيعرف قديماً أيضاً بعرض السَّوْد ، وبعرض باهلة ، وأضيف إلى شمام لوقوع جبل ابني شمام المتقدم ذكره على شاطئه ، وإلى السود ، إذ الجبال الواقعة في منطقته ومنها تنحدر أغلب سيوله تدعى السود ، لسمرة ألوانها ، وهي سود باهلة ، وقد ذكرت فيما تقدم ، ويعرف هذا العرض الآن باسم وادي (الْـخَنَقَة) والعرض يشمله ويشمل وادي القويعية . ووادي القويعية هو أَعْظَمُ وادٍ في العرض بعد وادي الخنقة (عرض شمام) .

ووادي الخنقة بعد أن تنحسر عنه الجبال والآكام ، وتتسع له الأرض البراح يفترق إلى شعبتين الجنوبية منها تفيض في عُشَيْرَان ، والشمالية تتجه صوب السِّدْرِيَّات والحَرْمليَّة .

ووادي القويعية بعد انحسار الجبال والمرتفعات عنه يتجه شرقاً فيفيض في حَدْبَاء قِذْلَةَ ، (حايل) و(الهلباء) قديماً ، وإن جاد السيل قد يجتاز الحدباءَ إلى نفود الْـمَجَاذِمِ غَرْبِـيَّ الْـجِلْهِ ، ويقول الأستاذ سعد بن جُنيدل[1]: إن لهذا الوادي فرعين : وادي التَّنِيَّة - اسم ماء في بطن هذا الوادي - ووادي عَرْوَا، يلتقيان شرقاً من قريتي مرقان ونُخَيْلان في مجرى محصور بين جانبين من جبال عالية، تختنق مجراه، وتسمى جبال المخناق، وبه سمي وادي الخنقة.

عِـــرْضُ السَّـــوْدِ :

ذكر صاحب «بلاد العرب»[2] أَنَّ عِرْضَ السَّوْدِ يدفع على ابني شمام ، وأن

---

(١) «عالية نجد»: ٤٧٥ . (٢) ١٣٥ و١٣٦ .

ابني شمام بالسَّوَاد ، وهي جبال سود . وهذا القول يوضح أنَّ عرض السود هو عرض شمام ، وهو مايعرف الآن باسم وادي الخنقة .

عَـــــرْوَان :

ذكر الهمداني[1] أن ابني شمامٍ مشرفان على عروان ومواضع أخرى ، وصفها بأنها قرى وزرع ونخل ، وقد ورد الاسم في كتاب الهمداني (عران) بحذف الواو ، ولكنَّ عروان ـ الذي يشرف عليه جبل ابني شمام ـ وادٍ لايزَالُ معروفاً ، وفيه تقع هجرة عَرْوا الآتي ذِكْرُها .

عَـــــرْوَا :

ـ بفتح العين وإسكان الراء ، بعدها واو مفتوحة ثم ألف ـ : قال الهجري[2] : هضبةٌ حِذَاءَ مأسل ، بها جِأَوَةُ بطن من باهلة ، وليست بِعَرْوَا التي قرب وَحْفَةِ القهر ، من دار العتيك ، هذه أمنع وأشمخ . انتهى .

وفي «صفة جزيرة العرب»[3] : وابنا شمام جبلان طويلان جدًّا مشرفان على سخين وسخينة قريتين ونخل لباهلة ، وعلى عروان والشط ، كل ذالك قرى ومزارع ونخيل . انتهى .

وعروا[4] التي كانت من بلاد باهلة على شاطئ عروان الذي هو واديها ، وابنا شمام (أذني شمال) مشرفان عليها ، ولاشك أن عروا كانت قديماً معمورة ، لخصب واديها ووفرة مياهه ، كما يفهم من كلام صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» حيث ذكر القرى والزروع والنخيل ، ويظهر أن اندثار عمران عروا

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ .

(٢) «أبو علي الهجري»: ٣٤٠ . (٣) ٢٩٢ .

(٤) آثرت كتابة الاسم بالألف (عروا) دفعاً للبس .

قديم ، ثم عمرت حَدِيْثاً في عشر الأربعين من القرن الرابع عشر عندما استقر أبناء البادية في الهجر ، فكانت عَرْوا المكان الذي اختاره جَهْجَاهُ بن بِجَادِ بن حُمَيْدٍ ، أحد كبار شيوخ قبيلة الْـمُقَطَةِ هجرةً استقر فيها ومعه طائفة من قومه . وقد يكون الاسم يطلق في الأصل على هضبة حولها ماء شمله ذالك الاسم ، كما يفهم من قول الهجري : (بها جثاوة) إذِ اسْتقرار القبيلة لا يكون إلا على ماء .

العريـــــض :

وعَدَّ الهجريُّ العريض مِنْ مياه جَاوَة - أحد بطون باهلة - في غَرْبي ثَهْلَان(1)، ويفهم من كلامه أنه داخل الجبل لأنه قال بعده : ولهم ماءانِ خارِجَانِ عن ثَهْلان بوادي الرِّشَاد العويند والشبيكة .

عُرَيْقَـــــةُ :

قال ابنُ الأعرابي : عُرَيْقَة بلادُ باهلة بيذبل والقعاقع(2). انتهى . وقال الهمداني(3): ويَحُفُّ الرَّيْبَ مِنْ عن يساره جبل يقال له جبل عُرَيْقَة .

وقد نقل صاحب «معجم البلدان» عن أبي زياد: ومن مياه بني العجلان عُرَيْقِيَةُ . وفرق ياقوت بين هذا وبين عُريقة الذي قال عنه : يوم عريقة من أيامهم ، وقد ورد في نوادر الهجري عريقة في مواضع ، فأورد لحباب بن بكير القشيري(4):

وَلَقَـدْ أَقَمْنَ فَمَا قَضَيْتَ لُبَـانَـةً بِلِوَى عُـرَيْقَةَ مَـرْبَعـاً ومَصِيْفَـا

---

(1) «أبو علي الهجري» - ٢٧٠ - و«معجم مااستعجم» رسم ضرية - ٨٧٤ - . و(الرشاد) تقدم القول بأنه يعرف باسم (الرشاء) فلعل ماهنا تصحيف .

(2) «لسان العرب» - عرق -.

(3) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٤ . (4) : ١٣٤ (المخطوطة المصرية) .

ولعبيد الله القشيري :

أَنِّي دَبَبْتُ لَهُ بِنَعْفِ عُرَيْقَةٍ بَعْدَ الدِّيَاتِ بِذِيْ حُسَامٍ مُقْضِبِ(١)

ولقشيري لم يُسَمَّه :

أَوِ الْعَمْقُ أَوْ أَكْنَافُهُ مِنْ عُرَيْقَةٍ أَوِ الحَزْمُ أَوْ تَرْعَى جَنَاحاً فَصَمْعَرَا(٢)

وقال نَصْرٌ (باب عُرَيقة وغِرْيفة) : ـ أمَّا بضم العين وفتح الراء وسكون الياء وبالقاف ـ: موضع في ديار بني نُمَيْرٍ ـ إلى آخر ماذكر ـ .

وقد تكرر ذكر عُرَيْقَةَ في شعر جِرَانِ الْعَوْدِ النُّمَيْرِيِّ فقال :

يُـذَكِّـرُنَـا أَيَّـامَنَـا بِعُـرَيْقَـةٍ وَهَضْبِ قُسَاسٍ والتَّذَكُّرُ يَشْغَفُ

وقال :

بِأَسْفَلِ شَعْبٍ مِنْ عُرَيْقَة قَابِلٍ يَكَادُ بِأَيْـدِي النَّاعِجَـاتِ يَضِيْقُ
عَشَيَّـة كَـرَّ الْبَـاهِلِيَّـاتُ وَارْتَمَتْ بِـرِجْـلَيَّ مِقْـدَامُ الْعَشِيِّ زَهُـوْقُ
وَآخِرُ عَهْدِيْ مِنْ حُمَيْـدَةَ نَظْرَةٌ وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ خُفُوْقُ
بِبَرِّيَّةٍ لَا يَشْتَكِـي السُّلَ أَهْلُهَا بِهَا الْعَيْشُ مِثْلُ السَّابِرِيِّ رَقِيْقُ

وهذا الشاعر من بني ضِنَّة النُّميريين جيران الباهليين ، ولاشك أن له صلات بِصُوَيْحِبَاته في هذا الموطن الذي وصفه بالرقة والنعومة والبعد عن الأمراض.

يفهم مما تقدم أنَّ (عريقة) غير (عريقية) فَعُرَيْقَةُ ـ على ماذكر الهمداني ـ جبل يحفُّ بالرَّيْبِ ، وهذا وصفه الأستاذ سعد بن جنيدل بِقَوْلِهِ(٣): عُرَيْقِيَةُ جبل بُنَيٍّ

(١) المخطوطة المصرية (١٣٤) و(١١٨) .
(٢) المخطوطة الهندية (٢٠٢) . (٣) «عالية نجد»: ٩٤٩ .

اللون ، داكن ، يحف بوادي الرين من الجنوب. انتهى . فالاسم إذَنْ غُيِّرَ إلى عريقية ـ بزيادة الياء الأخيرة ـ ويظهر أنه الوارد في أشعار القشيريين التي أوردها الهجري ، فقد كانوا يجاورون قبيلة باهلة في المنازل من الناحية الشرقية .

أما عريقية الوارد في كلام أبي زياد بأنه ماء ، فقد يكون غير الذي قبله ، وقد حدثني الشيخ أبو حبيب الشثري ـ رحمه الله ـ بأن عُرَيقية من أودية الرين المعروفة ، والشيخ قد أقام في تلك البلاد سنين فعرفها ، ومنازل بني العجلان كانت متصلة ببلاد باهلة من الجنوب .

عَسْيـــــان :

ورد هذا الاسم في «صفة جزيرة العرب»(١) معدوداً من قُرَى بَاهِلة في سوادها ، بما هذا نَصُّهُ : ثم من قرى بَاهِلة : مُرَيفق وعَسْيان وواسط وعُوَيْسِجَة . ولم أَرَ له ذكراً عند غير الهمداني ، وكتابُهُ فيه تصحيفٌ كثير بحيث لا يُطْمَأَنُّ إلى كثير من الأسماء التي ينفرد بذكرها وقد يكون من المواضع التي دَرَسَتْ ، وما أكثرها !

عَصَنْصَـــرُ :

من مياه الْعِرْضِ المجهولة الآن ، عَدَّهُ الهمدانِيُّ(٢) مع الخنفس وطحي وعصير والزعابة من مياه الشُّرَيف ، وتلك المياه بمنطقة الرويضة ، وورد الاسم في شعر ابن مقبل(٣). مَقْرُوْناً بِذِي خُشُبٍ المتقدم ذكره -:

يَـادَارَ كَبْشَـةَ تِلْكَ لَـمْ تَتَغَـيَّرِ ... بِجُنُوبِ ذِي خُشُبٍ فَحَزْمِ عَصَنْصَرِ

عُصَيْـــر :

ورد في كتاب الهمداني اسم (عصير) آخره راء(٤): عُصَيْر وطُحَيّ ، بعد ذكر

---

(١) ٢٩٢ . (٢) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ .
(٣) «ديوان تميم بن أبي مقبل»: ١٢٣ . (٤) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ .

الخنفس ومأسل جاوة ، ولكن الذي بقرب المياه المذكورة عُصَيْل ـ آخره لام ـ وتصحيف اللام في آخر الكلمة راء ، يحدث كثيراً لتشابه صورتي الحرفين ، وعُصَيْلُ شعيب ينحدر من هضاب القصورية وما بقرب طُحَيٍّ ، ويتجه نحو الجنوب الغربي حتى يفيض في وادي حَلَبَان ، وفيه آبار تزرع تدعى البدايع .

العَفَافَـــــةُ :

جاء في كتاب «بلاد العرب»[1]: قال أَبو الـمُسَلَّمِ : الغُزَيْزُ لبني سعد ، فتأخذ على رملة يقال لها : الوَرِكَةُ ، وهي رملة يزعمون أَنَّ طرفيها في البحر ، فيها قُشَيْر ونُمَير وغيرهم ، فإذا جَزَعْتَها وردتَّ أَهْوَى ، وأُضَيْمِرَ ماءان لبني حِمَّان ، قال أَبُو الـمُسَلَّمِ : وإن شئْتَ إذا خرجْتَ من أَهْوَى وردت العَفَافَة وهي لباهلة ، وكثيراً ما يتخطَّونها إلى عُكَّاش . انتهى .

ويظهر أن العَفَافَة تقع غرب الْـمَرُّوْت ، وغرب الرمل المعروف بنفود تِبْرَاك ، بل غَرْبَ نُفُود السِّـرِّ (رملة جراد قديماً) وكلام أبو الـمُسَلَّم في وصف الطَّرِيق من حَجْرٍ (الرياض) إلى مكة ، فالعَفَافَةُ على ذالك ينبغي أن تكون بمنطقة الدوادمي على مقربة من عُكَّاش ، وعُكَّاشُ كما حدده صاحب «بلاد العرب»[3] بعد أن تجوز الهَلْباء (حدباءَ قِذْلَة) إلى الْعِيْصان ، والْعِيْصان هو الدوادمي حسب وصف المتقدمين . وسيأتي الكلام على عُكَّاش .

العَقَـــــار :

ـ بفتح العين والقاف مخففة ـ قال ياقوت[1]: رملةٌ قريبةٌ من الدهناء عن العمراني وقال نصر : العَقَارْ موضع في ديار باهلة بأكناف اليمامة[4]، وقيل :

---

(١) ٣٦٣ ـ ٣٦٥ . (٢) ٣٧٠ .
(٣) «معجم البلدان» .
(٤) كتاب نصر : (باب العُقار والعقار وعَفَار وغِفار) .

العقار رملٌ بالقريتين ، وقال أبو عبيدة في قول الفرزدق :

أَقُوْلُ لِصَاحِبَيَّ من التَّعَزِّي وقد نَكَّبْنَ أَكْثِبَةَ الْعَقَارِ

ـ أكثبة : جمع كثيب ، والعقار : أَرْضٌ ببلاد بني ضَبَّة .

الأقوال كلها متقاربة في تحديد هذا الموضع ، فالقريتان وبعض بلادِ ضَبَّةَ تقع كلها غربَ الدَّهْنَاءِ ويظهر أن العقار هذا هو الرمل الواقع على طريق الحج البَصْرِيِّ بعد القريتين الواقعتين في وادي الرُّمَةِ قرب عُنَيْزَةَ ، وقَبْلَ رَامَة ، وهو قديماً من بلاد ضَبَّةَ ، ويُسَمَّى الآن نفود الشُّقَيِّقَةِ .

ولكن هذا بعيدٌ عن بلاد باهلة ، فهو بَعْدَ عَاقِلٍ بمرحلة على طريق الحجِّ ، وتقدم تعليل نسبة عاقلٍ إلى باهلة ، ولا أستبعد أن يكون الأمر بالنسبة للعقار مثل ماهو في عاقل .

عُكَّـــــاشُ :

ـ بضم العين وفتح الكاف مشددة بعدها ألف فشين : ـ لَـمَّا وصف صاحب «بلاد العرب» الطريقَ من حَجْرٍ إلى مكة ، فذكر أُهْوَى ـ وتقدمت ـ قال(١) : وإنْ شئْتَ إذَا خرجْتَ من أُهْوَى وردتَّ العُفَافةَ وهي لباهلة ، وكثيراً مايتخطونها إلى عُكَّاشٍ . وقال(٢) : فإذا جزت الهلبَاءَ وقعتَ في وادٍ خَرِجٍ ، ثم تجوز ذالك فترد عُكَّاشاً ماء لبني نُمَيْرٍ ، عليه نخل ، فإذا جُزْتَ عكاشاً وردت الْعِيْصَانَ . انتهى ، وعدَّ الهمدانيُّ عكاشاً من مياه بَطْنِ السِّـرِّ فقال(٣) : بطن السر ومياهه وهو وادٍ فيه المياه عُكَّاشُ وخُفٌّ والنِّطاف ، وقال(٤) : وخائع

---

(١) ٣٦٥ . (٢) ٣٦٩ .

(٣) «صفة جزيرة العرب» : ٢٩٠ . (٤) منه : ٢٩١ .

والنَّشاش ماءان مقابلان لِـجُمْرَانَ وهو جُبيل مطروح ، من دونه السَّمَنَات ، وتَزِيد وعكاش ماءان ، وعدَّ البكريُّ عكاشاً من مياه باهلة[1].

ويظهر أن عكاشاً كان تتنازعه بَاهِلةُ ونُمير المتجاورتان ، وهو كما اتضح من كلام الهمداني ـ من مياه بطن السِّـرِّ ـ وهو يقصد فيما يظهر وادِيَ الْقِرْنَةِ أَعْظَمَ أُودية السِّـرِّ ، وقد قرن عُكَّاشاً بِخُفٍّ الواقع في بطن هذا الوادي ، والذي أصبح الآن قرية ، والهلباءُ صحراءٌ غرب الـمَرُّوْتِ بقرب نفود السِّـرِّ ، وهي الحدباء (حدباء قذلة) على مايفهم من تحديد المتقدمين ، أما العِيصان فيظهر أنه هو مايعرف الآن باسم (الدوادمي) المدينة الواقعة غرب السِّـرِّ ، كما أوضحت ذالك في الكلام على معدن (العيصان) في تعليقي على كتاب «الجوهرتين» .

عَمَايَـــــــةُ :

قال ياقوت[2]: ـ بفتح أوله ، وتخفيف ثانيه وياء مثناة من تحت : اسم جبل يجوز أن يكون من العما ، وهو الطول ، يقال : ماأحسن عما هذا الرجل ، أي طوله . وقال الهجريُّ: عَمَايَةُ جبل ضخم ، أعظم جبال النجد ، أعظم من ثَهْلَانَ ، ومن قَطَنَيْنِ ، وعماية برمل السُّرَّةِ بين سوادِ باهلة وبيشة .

وقال نصر[3]: عمايتَانِ: جبلان ، عمايةُ العليا فيها الحَرِيْشُ وقُشَيْرٌ وبَلْعَجْلَانِ ، والقُصيا هي لِنُهْمٍ شَرْقِيُّها كُلُّه ، وَلِباهلة جنوبيها ، وللعجلان غربيها ، وقيل : هي جبال حُمْرٌ وسود ، سميتْ به لِأَنَّ الناس يضِلُّون فيها يسيرون فيها مرحلتين ، ونقل ياقوت عن السكري : عماية جبل معروف

(١) «معجم مااستعجم» ١١٨/١ . (٢) «معجم البلدان» .

(٣) في كتابه : (باب عيابة وعنابة . . . وعماية) حرف العين ، ونُهْم بنو عبدالله بن كعب إخوة العجلان بن كعب .

بالبحرين ، قاله في شرح قول جرير يخاطب الحجاج ، فقال :

وَخِفْتُكَ حَتَّى اسْتَنْزَلَتْنِي مَخَافَتِي ... وَقَدْ حَالَ دُوْنِي مِنْ عمايةَ نِيْقُ
يُسِرُّ لَكَ الْبَغْضَاءَ كُلُّ مُنَافِقٍ ... كَمَا كُلُّ ذِي دِيْنٍ عَلَيْكَ شَفِيْقُ

وعن أبي زياد الكلابي : عماية جبل بنجد في بلاد بني كعب للحَرِيش حقٌّ ، والعجلان وقشير وعقيل ، قال : وإنما سمي عماية لأنه لايدخل فيه شيء إلا عمي ذكره وأثره ، وهو مستدير ، وأَقلُّ مايكون العرض والطول عشرة فراسخ ، وهي هضبات مجتمعة متقاودة حمر ، ومعنى متقاودة متتابعة ، فيها الأوشالُ وفيها الآوى(١) ، وفيها النَّمِرُ ، وأكثر شجرها البان ، ومعه شجر كثير ، وفيه قلال لا تؤتَى أَيْ لا تقطع ، وقال السكريُّ : قَتلَ القتَّالُ الكِلَابِيُّ عبدُ الله بن مجيب رجلاً وهرب حتى لحق بعماية ، فأقام به ، قيل : عشر سنين ، وأنس به هناك نَمِرٌ فكان إذَا اصْطَاد النَّمِرُ شيئاً شاركه القتَّالُ فيه ، وإذا اصطاد القتَّالُ شيئاً شاركه النَّمِر فيه ، إلى أن أصلح أهلُهُ حَالَهُ مع السلطان ، وأراد الرجوع إلى أهله فعارضه النَّمِرُ ومنعه من الذهاب حتى هَمَّ بأكله ، فخاف على نفسه فضربه بسهم فقتله ، وقال فيه :

جَزَى الله خَيْراً ، والْجَزَاءُ بِكَفِّهِ ... عَمَايَةَ عَنَّا أُمَّ كُلِّ طَرِيْدِ
فَلَا يَزْدَهِيْهَا الْقَوْمُ أَنْ نَزَلُوا بِهَا ... وَإِنْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ كُلَّ بَرِيْدِ
حَمَتْنِي مِنْهَا كُلُّ عَيْطَاءَ عَيْطَلٍ ... وَكُلُّ صَفاً جَمِّ الْقِلَاتِ كَؤُوْدِ

وقال يَذكر النَّمِرَ فيما ذكر الْهَجْرِيُّ وياقوت :

وأَرْسَلَ مَرْوَانُ إليَّ رِسَالَةً ... لآتِيَهُ إِنِّي إِذَنْ لَمُضَلَّلُ
ومابِي عِصْيَانٌ ولا بُعْدُ مَزْحَلٍ ... وَلَكِنَّنِي عَنْ سِجْنِ مَرْوَانَ أَرْحَلُ

---

(١) لعله (الأروى) أي بقر الوحش .

وَفي صَاحَةَ الْعَنْقَاءِ أَوْ في عَمَايَةٍ ... أوِ الأُدَمَى مِنْ رَهْبَةِ الْـمَوْتِ مَؤْئِلُ
وَلِـي صَاحِبٌ في الْغَارِ هَدَّكَ صَاحِباً ... أَبُـو الْـحَـوْزِ إلَّا أَنَّـهُ لاَ يُعَلِّلُ
إِذَا مَاالْتَقَيْنَا كَانَ أُنْسَ حَدِيْثِنَا ... سُكَاتٌ وَطَرْفٌ كَالْـمَعَابِلِ أَطْحَلُ
كِلاَنَا عَدُوٌّ لَوْ يَرَى في عَدُوِّهِ ... مَهَزًّا، وَكُلٌّ في الْعَدَاوَةِ مُجْمِلُ
تَضَمَّنَتِ الأَرْوَى لَنَا بِشِـوَائِنَـا ... كِلاَنَا لَهُ مِنْهَا سَدِيْفٌ مُرَعْبَـلُ
وَمَشْـرَبُنَا قَلْتٌ بِـأَرْضٍ مَضَلَّةٍ ... شَـرِيْعَتُـهَـا لأَيِّنَـا جَـاءَ أَوَّلُ
فَـأَغْلِبُهُ في صَنْعَـةِ الزَّادِ إِنَّنِـي ... أُمِيطُ الأَذَى عَنْهُ، وَمَا إنْ يُهَلِّلُ

وساق الهجري نسب القتال : عبادة بن مُجيب بن المضرحي بن الهصار بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، وأورد قصة مماثلة لقصة القتال جَرَتْ بعده لرجل لُبَيْنِـيٍّ قُشَيْرِيٍّ اعتقل بعماية وأورد له شعراً .

وَعَمَايَةُ : لاتَزَالُ معروفةً وإنْ تَغَيَّرَ اسْمُهَا فأصْبَحَتْ تُدْعَى الْـحَصَاة ، وهي في جبال تدعى السَّوَادَة غَرْب نُفُود الدِّحِـي (رمل الدَّبِيْل قدِيماً) وشمال وادي الدواسر (عَقِيْق عُقَيْل) وجنوب وادي الرِّكَاءِ ورَمْلِ السُّرَّة .

وعَمَاية (الْـحَصَاةُ) آكامٌ ومرتفعات وحُزُونٌ واسعة ، فالجانب الشمالي الشرقي منها يدعى حصاة ابنِ حُوَيْلٍ ، نسبةً لأمير سُكَّانِها من قحطان ، والجانب الجنوبي الغربي يدعى حصاة قحطان مضافة إلى سكانها ، وفي الْـحَصَاتَيْنِ هُجَرٌ (مستوطنات للبادية ، ومياه) ويخترقها وادٍ سعتُه تقرب من أربعة أكيال ، ويمتد من الشرق إلى الغرب نحو خمسة عشر كِيلاً يفيض سيله في وَادِي السُّرَّة (الرِّكَاء) وتقع عَمَايَةُ (الحصاة) بين خطي العرض: ٣٠/٢٢° و ٥٠/٢٢° وبين خطي الطول ٤٥/٤٤° و ٠٠/٤٥° ـ وقد كتب اسمها في المصور الجغرافي (الحوشة) تحريف الحصاة . وهي تابعة لإمارة القويعية ، وتبعد الحصاة الشمالية عن بلدة القويعية نحو ١٥٠ كيلاً والجنوبية نحو مئتي كيل .

العَوْسَجَـــــةُ :

عَدَّها الهمدانيُّ من قرى باهلة في سوادها إذْ قال[1]: ثم من قرى باهلة مريفق وعسيان وعويسجة والعوسجة والإبطة ، وقال أيضاً : وفي فرع الثنية ثنية السَّوْد وعن يمينه من دون الثنية ماء يقال له الْـمُغَيْراء وقرية عظيمة يقال لها العوسجة وهي معدن .

وفي «لسان العرب» قال أبو عمرو : في بلاد باهلة معدن من معادن الفضة ، يقال له : عوسجة[2]. ولم يزد عليه ياقوت في «معجم البلدان» سوى تحلية العوسج قائلاً : عَوْسجة بفتح أوله وسكون ثانيه وسين مهملة ، والعوسج : شجر كثير الشوك وهو الذي يوضع على حيطان البساتين لمنع من يريد التسرق منه ، له ثمر أحمر ، انتهى فكأَنَّ الاسْمَ في الأصل لما يُنْبِتُ هذا النوع من النبات ، وهو يكثر في منطقة سواد باهلة ويسمى العوشز ، بإبدال الجيم زاياً واحدته (عوشزة) بلغة العامة ، وفي الكلام على (المعادن) ترجيح أحد الباحثين بأن العوسجة هذه هي في الوادي المعروف باسم (أبا الرُّحِـي) أي ذو الرُّحِـيّ جمع رَحَا المستعملة لتكسير الأحجار لاستخراج المعادن ، حيث آثارُ التعدين تكثر في هذا الوادي الواقع غرب بلدة القُوَيْعِيَّة ثمانية وعشرين كيلاً .

الْعَوْسَجَـــةُ أيضـــاً :

وهذا اسم ماءٍ من مياه باهِلَةَ خَارِج الْعِرْض لبني جِأوة أحد بطون القبيلة الكبيرة ، كان يقع في غربـيِّ ثَهْلَان في الجبل نفسه على مايفهم من قول الهجري[3]، وهناك مياه عدة لبني جِأَوةَ في غربي ثهلان ، ماء يسمى

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٣ .

(٢) رسم - عوسج - .

(٣) «أبو علي الهجري» - ٢٧٠ - و«معجم ماستعجم»: رسم (ضرية) .

الرحيضة ، وماء يُسَمَّى الأَجْفُر ، وماء يسمى العوسجة ، وماء يدعى الْعَريض - ثم قال : ولهم ماءان خارجان عن ثهلان . انتهى ، ولم يبق من المياه القديمة إلَّا القليل ، وهذا الماء لا يعرف الآن .

عويسجـــــة :

- بالتصغير - ذكر الهمداني : عويسجة والعوسجة من قرى باهلة في سوادها[1]. وتقدم كلامه . ويرى الأستاذ سعد بن جنيدل أن هذه القرية هي المعروفة الآن باسم (العوشزية) غرب القويعية بنحو خمسة وثلاثين كيلاً ، وهي شمال قرية (أبا الرُّحِيِّ) التي رَجَّحَ أنها العوسجة[2].

العُوَيْنِـــــدُ :

قال الهجريُّ[3] - في الكلام على مياه جِأَوَة البطن المعروف من باهلة -: ولهم ماءان خارجان عن ثهلان بوادٍ يقال له الرشاد ، يقال لِأَحَدِهِمَا العُوَيْنِد ، وللآخر الشبيكة ، وهما مِلْحَانِ . انتهى .

وَالْعُوَيْنِدُ : اسم لمياهٍ عِدَّةٍ ، ولكن أقربها إلى ثهلان ماءٌ مُرٌّ يقع في وسط رمْلٍ يدعى نُفودَ العويند ، في الجنوب الشرقي من النِّيْر ، غربَ ثهلانَ ، بقرب أعالي وادي الرِّشاء - الذي وقع فيما نقل عن الهجريِّ (الرشاد) بالدال ، ويظهر أن الهمزة صُحِّفَتْ دَالاً لتقارب صورتي الحرفين .

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٣ .

(٢) «عالية نجد» رسم (أبا الرحي) و(العوشزية) .

(٣) «أبو علي الهجري» - ٢٧٠ - و«معجم مااستعجم» - ٨٧٤ - .

الفُـــــرْعُ :

بضم الفاء وإسكان الراء في «صفة جزيرة العرب»[1]: الفُرْعُ يَصُبُّ في السِّرْدَاح ، مقابل للقهاد انتهى . والسِّرْدَاحُ والْقِهَاد داخلان في سواد بَاهِلة ، ولايزالان معروفين وكذا الْفُرْع ، فَهُوَ وادٍ يتجه سيله مغرباً حتى يصب في وادي السِّرْدَاح بين جبال متصلة بجبال العِرْضِ ، جنوب بلدة القُويعية بما يقرب من خمسة وخمسين كيلاً ، وفيه قرية تُدْعَى الْفُرْعَ .

الفرعـــــة :

عد الهمداني ـ في سواد باهلة ـ: مَأْسَلاً وحَضَناً من أرضِ باهلة ، والْفَرْعَة وادي نَخْلٍ لبلحارث من باهلة ، ثم أيمن ذالك الريب[2]. والفَرْعَةُ ـ في الأصل ـ أعلى الوادي ، فهو وَصْفٌ أُطْلِقَ على كثير من القرى والأماكن التي تقع في فروع الأودية ، وفي منطقة سواد باهلة الآن قريتان إحداهما في وادي الْفُرْعِ المتقدم ذكره ، جنوب بلدة القويعية بنحو خمسة وخمسين كيلاً ، والثانية الْفَرْعَةُ وتقع غرب القويعية بنحو خمسة وثلاثين كيلاً ، والفرع أقرب إلى تحديد الهمداني .

القتـــــادة :

قال الهجريُّ[3] في ذكر مياه بني جِآوة من باهلة : ولبني جاوة شرقي ثَهْلَان ثلاثة أمواه المصعد ومُخَمَّر والقتادة ، وفي غربيه النَّبْخَاء ، وفي طرفه الجَذْر . انتهى ولا أعرف عن المياه المذكورة أكثر مما أورد الهجري .

قَســـــا :

قال البكري في «معجم ماستعجم»[4]: قَسَا : ـ بفتح أوله مقصور على

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٤ . (٢) المصدر : ٣١٠ .
(٣) «أبو علي الهجري» ـ ٢٧١ ـ و«معجم ماستعجم» رسم ضرية ـ ٨٧٤ ـ .
(٤) ١٠٨٥ .

وزن فعل ، يكتب بالألف ـ: جبل ببلاد باهلة ، قال ابنُ أَحْمَرَ :

بِهَجْلٍ مِنْ قَسَا ذَفِرُ الْـخُزَامَى تَـدَاعَى الْـجِرْبِيَـاءُ بِهِ الْـحَنِيْنَـا

قال أبو سعيد الضرير : قَسَا : ـ مقصور ـ علم بالدهناء ، جبيل صغير لبني ضبة ، وأنشد لِـمُحْرِزِ بن الْـمُكَعْبِرِ الضَّبِّي :

حَتَّى أَتَى عَلَمَ الدَّهْنَا بـواعسه وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّمَّانِ مَـاجَشَمُوا

إلى آخر ماذكر مما يتصل بالناحية اللغوية ، وأورد ياقوت من الأقوال مايدل على نحو ماتقدم وأنه موضع بالعالية ، وعَدَّ الهمدانيُّ قَسَا من بلاد تميم ، وأورد ياقوت مايدل على ذالك ، وبلادُ تَمِيْمٍ وضَبَّةُ مختلطة . ومجمل القول أَنَّ الاسم يطلق على مواضع أشهرها الْعَلَمُ الذي في الدهنا ، والثاني الذي في بلاد باهلة ، وهو الذي في العالية ، وكلا الموضعين غير معروف الآن .

قُسَـــــاس :

حُرِّف الاسْمُ هذا إلى (دساس) إذْ بعض العامة في نجد ينطقون القاف الساكنة أو المكسورة بقرب مخرج الدال مثل (قْساس) ويسكنون الأول أو يكسرونه في مثل (قِمِيْن) ويحسن الرجوع عن هذا الجبل في الكلام على المعادن .

القعاقـــــع :

في كتاب «بلاد العرب»[1] قال الأصمعي : يذبل والقعاقع وابنا شمام لباهلة وقال البكري[2]: القعاقع : على لفظ جمع (القعقاع): أَرْضٌ من بلاد باهلة ، قال النابغة :

---

(١) ٢٣٨ . (٢) «معجم ماستعجم»: ١٠٧٢ .

فَدَعْ عَنْكَ قَوْماً لَا عِتَابَ عَلَيْهِمُ   هُمُ أَلْحَقُوا عَبْساً بِأَهْلِ الْقَعَاقِعِ

وقال البَعِيْثُ :

وَأَنَّى اهْتَدَتْ لَيْلَى لِعُوجٍ مُنَاخَةٍ   وَمِنْ دُوْنَ لَيْلَى يَذْبُلٌ فَالْقَعَاقِعُ

وأورد ياقوت في «المعجم» عن الأزهري : وبِالشُّرَيْفِ من بلاد قَيْسٍ مواضعُ يقال لها الْقَعَاقع ، وعن أبي زياد الكلابي : القعاقع بلاد كثيرة من بلاد العجلان . ونقل ابن قُتَيبة عن أبي عَمْرِو بْن العلاء[1] : كان ابنُ أَحْمَرَ في أفصح بقعة من الأرض أهلاً : يَذْبُلٍ والقعاقع . هذا مجمل ماورد في كتب المتقدمين عن هذا الموضع ، وليس فيه مايحدده ، ولكن قول أَبِـيْ زِياد أنه من بلاد العجلان ، ثم وروده مقروناً بيذْبُلَ يَدُلَّانِ على وقوعه في بلاد باهلة خارجاً عن السَّوْدِ جَنُوباً على مقربة من بلاد بني العجلان بن عبدالله بن كعب بن ربيعة ، وهاؤلاء من حلفاء باهلة ومن خلطائها في المنازل ، وبلادهم تقع جنوب بلاد باهلة حول عَمَاية بحيث يخالطون بني عُقَيْلٍ بن كعب في بعض بلادهم[2] ، وتَتَّصِلُ بِلَادُ باهِلَة جنوباً بِعَمَايَة ـ كَمَا تَقَدَّم ذكر هذا ـ ويزيد هذا إيضاحاً أن أبا زياد الكلابي ، عَدَّ ذَا الْـحَلِيقة من مياه بني العجلان يردها طريق اليمامة إلى مكة وعليها نخل ـ عَدَّهَا من أَرْض القعاقع[3] .

وفي منطقة الحصاة (عماية قديماً) يطلق اسم الحلقة على موضعين مأهولين ، ولعل لهذا الاسم صلة بذي الحليقة . وتقدم ذكر عماية (الحصاة الآن) في منازل باهلة ، ويظهر أنَّ أرض القعاقع واسعة ، هي الواقعة فيما بين جبلي يَذْبُل

---

(١) «الشعر والشعراء» : ٣٥٩ .

(٢) انظر الحصيص في «بلاد العرب» و(حرسين) : في «معجم ماستعجم» .

(٣) «معجم البلدان» ـ الحلقة ـ .

(صبحا) وعماية ، بما فيها الجبلان المذكوران وماحولها ، إذ الوصف اللغوي ينطبق على تلك الأرض فالْقَعَاقِعُ جَمْعُ قَعْقَاع ، ومِنْ معاني القعقاع الطريق الذي يكون السيرُ فيه مُتْعَباً لِامْتداده ، والأرض الملساء المستوية تُسَمِّيْها العامَّةُ قَاعاً قَعْقَاعاً ، وأَكْثَرُ تِلْكَ الْأَرْضِ تَتَّصِفُ بِهَذَا .

القُوَيْـــــعُ :

ـ بضم القاف تصغير القاع ـ ذكر الهمداني أَنَّ القُويع في ثنية بعد أن قال[1] : ذُوْ طلوح أعلاه حصنُ بني عِصَام ، ثم ذكر جَزَالَاء وقال : ومما يُعَدُّ في حوزها ـ يعني اليمامة ـ سواد باهلة ، وأوله من مشرقه بلد يقال له القُويع ، يعرف ببني زياد من باهلة ، ثم أعلى منه حصن آل عصام انتهى . والْقُوَيْع لايزال معروفاً يطلق على وادٍ فيه قرية ومزارع ونخيل تمتدُّ بامتداد الوادي ، وهو في أعلى وادي القُوَيْعِيَّة البلدة التي هي قاعدة بلادِ الْعِرْض ، وبوادِي القُوَيْع سُمِّيَتْ ، وقرية القويع فوقها على نحو خمسة عشر كيلاً ، أما الثنية التي تضاف إليه فتعرف الآن بريع الْـمِشْعَرِ ، وقَرْيَةُ جَزَالَاء على مقربة منه .

الْقِهَـــــادُ :

ورد في كلام الهمداني عن الفرع[2] : ثم الفرع وهو يصب في بطن السرداح مقابل للقهاد ، وبين شَطِّ السِّرْدَاح وبين القهاد سَهْبٌ .

وفي شعر تميم بن أُبَـيٍّ بن مقبل العامري[3]:

فَجُنُوبِ عَرْوَا فَـالْقِهَادِ غَشِيْتُهَـا   وَهْناً فَهَيَّجَ لِـي الدُّمُوع تَذَكُّرِي

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩١ .

(٢) ووقع في المطبوعة (القرع) خطأ .

(٣) ديوانه : ١٢٣ .

واسم القهاد لايزال يطلق على قُوَيْرَاتٍ تقع شرق قرية الرويضة (رويضة الْعِرْض) جنوب هجرة عَرْوَا .

ويظهر أنها هي المقصودة بكلام الهمداني ، ولعل الاسمَ مَأْخُوذٌ من عدم صفاء اللون ، فالأبيض القَهْد والقَهْبُ وهو الْكَدِرُ الذي لونه ليس صافياً .

مأســـــــــل :

ـ بفتح الميم ـ جاء في كتاب «صفة جزيرة العرب»[1] ذكر الخنفس من مياه الشُّرَيْف ، وهو من مياه مأسل جِأَوَةَ ، ومن مياه الشريف ذُوْ سقيف والْـجُعُور ، وهي الجعموسة ، وطويلة الخطام ، وعصير ، وطحي ، وعصنصر والزعابة ـ يزرعان ويوردان النعم ـ ثم مأسل جاوة ، وهو حصنان ونخل وزرع ، وبشطِّ العِرْض الأَيْسَرِ ماء تيشر في ناحية البرم ، ثم مأسل الـجُمح ، وفي فرعها صحراء جُرَاد والرملة ، ومن ورائهما هضيبات حمر يقال لهن مُجَيْرات ، وعن أيمانهن هضب يقال له : هضب السَّمَنات ، وقال أيضاً ـ قبل ذالك[2] ـ: ومأسل جاوة لباهلة ، ومأسل الْـجُمَح لبني ضِنة من بني نمير .

وقال بعد ذكر جَزَالاء[3] ـ: ومُرَيْفق والشط ومأسل وحضن . انتهى .

ومأسل الجمح لايزال معروفاً ، وهو واقع في الطرف الغربي الشمالي من سواد باهلة ـ عرض شَمام ـ وفيه نزل الإخوان أهل الغطغط سنة ١٣٤٧ ـ بعد وقعة السبلة ، وجلائهم من هجرتهم ، وأُحْدِثَتْ فيه هجرةٌ للدعاجين من بَرْقا ، من عُتَيْبَةَ بعد ذالك ، تبعد عن بلدة الدَّوَادِمي نحو خمسين كيلاً ، هذا مأسل الْـجُمَح ، والْـجُمَح جبل أُضِيفَ إليه وكان لبني نُمَيْرٍ كما في «القاموس

---

(١) ٢٩١ . (٢) ٣١١ . (٣) ٣١٠ .

وشرحه» ومأسل هذا لبني ضِنَّةَ منهم ، (يقع بقرب خط الطول ٤٥/٤٤َ° وعرضاً ٢٢/٢٤َ°) ويبعد عن بلدة القويعية غرباً ٨٥ كيلاً .

ونُمَير كانت تجاور باهلة ، وتزاحمها في المنازل ، كما تقدمت الإشارة إلى هذا في الكلام على (الجوف) و(جَزَالاَء) ولكن الهمداني فرق بين المأسلين مما يدل على أن اسم مأسل يطلق على أكثر من موضع ، وفي عرض باهلة ، وغير بعيد من عَرْوَا ، التي كانت من منازل جِأوة ـ أحد بطون باهلة ـ شعيب فيه قرية تدعى مُوَيْسِلاً ـ تصغير مأسل ، يقع شرق عَرْوَا وبقربه الخنفس الذي عَدَّهُ الهمداني من مياه مأسل جاوة ، فيظهر أن مُوَيْسِلاً هذا هو المعدود من بلاد جِأوة ، وتبعد قرية مويسل عن بلدة القويعية غرباً ٧٥ كيلاً .

مُخَمَّـــــــــرُ :

ـ بفتح الميم الثانية بعد خاء معجمة مضمومة ـ: تقدم قول الهجريِّ أنه ماءٌ بشرقي ثَهْلاَن لبني جِأوة . واسم مُخَمَّر يطلق على غيره ، فهو واد لبني قشير بمنطقة الريب (الرين) ورد في شعرهم[٣] وفي شعر غيرهم . وركن من أركان ثهلان ـ ويظهر أنَّ الماء الذي لبني جِأوة في هذا الركن .

الْـمَـــــــــرُّوْتُ :

ـ بفتح الميم وضم الراء مشددة بعدها واو ساكنة فمثناة فوقية ـ مأخوذٌ من الْـمَرْت المفازة القليلة النبات ، والـمُرُوْت جمع مَرْتٍ ، وبتشديد الراء صيغة مبالغة لاتزال مستعملة عند بادية نجد بنحو المعنى القديم ، والـمَرُّوْتُ صحراءٌ واسعة واقعة بين الوشم شمالاً ، ونفودَيْ قُنَيْفِذَة (رملة الوركة قديماً) والسِّرِّ

---

(١) «أبو علي الهجري» ـ ٣٦٣ ـ و«معجم البلدان»: رسم (مخمر) .

(رملة جراد) ثم تمتد غرباً حتى تشمل الجِلْهَ جنوبَ نفودِ السِّرِّ ، والأراضي الواقعة غرب جنوب نفود السِّرِّ حيث سُوْفَةَ والحرملية ، أما جانبها الجنوبي فيضيق حيث تتقارب سفوح جبال العرض الشرقية وسفوح جبال العارض الغربية ، وتلك الصحراء بهذا التحديد تشمل الهَلْبَاءَ وحائل (حَذْباء قِذْلة) وفي الْـمَرُّوْتِ أوديةٌ ومياه وآكام وأراض منبسطة وليس جبلاً - كما في كلام بعض المتقدمين ولكن مايعرف باسم الجُلُوه (واحدها جِلْهُ) داخلة في مسماه ، وهي أرض خشنة مرتفعة (آكام) وفيها منهل تِبْرَاكَ ، وهو معدود من مياه المرُّوْتِ قديماً وكذا سُدَيْرة .

ويفهم من نصوص المتقدمين أَنَّ مسمى الْـمَرُّوْتِ يشمل أرضاً واقعة بين خطي الطول ٣٠َ/٤٤° و ٠٠َ/٤٦° ، وخطي العرض ٠٠َ/٢٤° و ٣٠َ/٢٤° ، فَسُوْفَةُ تقع بقرب خط العرض ٢٥َ/٢٤° وخط الطول ٥َ/٤٤° وهي معدودة من الْـمَرُّوْتِ ، وتِبْرَاكَ يقع بقرب خط العرض ١٥َ/٢٤° وخط الطول ٥٥َ/٤٥° وهو من مياهه .

وجاء في «لسان العرب»[١] : الـمَرُّوْتُ بلدٌ لباهلة ، وعزاه الفرزدق والبعيث إلى كُلَيْبٍ - ثم أورد شواهد من شعرهما - وبنو كليب بن يربوع مِنْ تميم ، والواقع أَنَّ باهلة وبني كليب لا يختصان بالمروت ، بل تشاركهما فروع قبائل أُخْرى من حِمَّان من تميم ، ومن بني نُمَير وبني قُشَير ، فقد ورد الخبر أن الرسول ﷺ أقطع حُصَيْنَ بْنَ مُشْمِتٍ - وهذا حِمَّانِيٌّ تميمي - مياهاً في المروت منها أَهْوَى وأُصيهب والسُّدَيرة والماء الأخير لايزال معروفاً .

ولوقوع الْـمَرُّوْتِ متوسطاً بين بلاد تميم من الجنوب حيث الوشم ، وفروع

(١) رسم (مرت) .

من بني عامر كبني قُشَيْر من الشرق والجنوب ، وكبني نُمَيْرٍ من الغرب ، وكذا باهلة من الغرب التي تقدم ذكر امتداد بلادها إلى سُوفَة ، من هنا كان الموضع مشتركاً بين تلك القبائل ، ولا يتسع المجال لإيراد نصوص المتقدمين في تحديده ، أو ذكر مايتعلق به من الأخبار أو الأشعار القديمة ، ويمكن الرجوع إليها في مظانّها .

مُرَيْفِـــــقُ :

قال في «بلاد العرب»[1] : وعن يسارك إذا كنت بأعلى الهَلْباءِ مياهٌ لباهلة من السَّوْدِ ، وعلى تلك المياه نخيل ، منها مُرَيْفِقٌ وجَزَالَاء والخنفسُ والعوسجة ، وهي معدن بها تجّار ونخيل .

وعدَّ الهمداني[2] مريفقاً من قرى باهلة في سوادها وأنه لبني حصن (؟) ولكنه ورد في كتابه في صورتين (مريفق) و (مرتفق)[3] وأرى أنَّ الأخيرة مصحفة عن الأولى لورود الاسم الأول في مصادر أخرى ، وقال ياقوت[4] : مُرَيْفِقٌ اسم قرية في سواد باهلة من أرض اليمامة ، عن الحفصي ، وقد أنشد :

أَلَا يَـاحَمَـامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مُـرَيْفِـقٍ ... سَقَتْكَ الْغَوَادِيْ مِنْ حَمَامٍ وَمِنْ شِعْبِ
سَقَتْـكَ الْغَـوَادِي رُبَّ خَـوْدٍ غَـرِيْـرَةٍ ... أَصَاخَتْ لِـخَفْضٍ مِنْ غِنَائِك أَوْ نَصْبِ
فَإِنْ يَرْتَحِلْ صَحْبِي بِجُثْمَانِ أَعْـظُمِـي ... يُقِمْ قَلْبِي الْـمَحْزُوْنُ فِي مَنْزِلِ الرَّكْبِ

واسم مريفق يطلق على غير هذا الماء ، ولا داعي لإيراد كلام المتقدمين عنه ، أما هذا الماء الذي فوقه نَخْلٌ ، ذُكِرَ مقروناً بجَزَالَاء وغيرها ، فلا يعرف الآن حسب علمي - .

---

(١) ٣٦٨ . (٢) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٢ . (٣) ٢٩٣ و ٣١٠ .
(٤) «معجم البلدان» .

ويرى الأستاذ سعد بن جنيدل[1] أنَّ مريفقاً هذا هو وادي الـمُرَيْقِد ، وهو في أسفل وادي جَزَالاء غرب القُويعية بنحو عشرين كِيْلاً وهو وادٍ فيه آثار زراعية ومساكن قديمة .

المصعـــــــد :

كذا ورد الاسم فيما نقل عن الهجري ـ غير مضبوط[2] ـ وأنه ماء لبني جِأْوة شرقي ثَهْلَان ـ وليس لَدَيَّ زيادة إيضاح ، وجبل ثهلان أشهرُ مِنْ أنْ يُعَرَّفَ .

الـمُغَيْــــرَاء :

ـ بضم الميم وفتح الغين المعجمة ـ تصغير الـمَغْراءِ كالـحَمْراء من الـمَغْرِ ، وهو طين أحمر يصنع به ، وقد ورد اسم المغيرا ـ غير مهموز ـ في «صفة جزيرة العرب»[3] في موضعين فقال : وفي فرع الثنية ثنية السود ـ سود باهلة ـ وعن يمينه من دون الثنية ماء يقال له المغيرا ، وقرية عظيمة يقال لها العوسجة وهي معدن . وقال[4]: ومعدن العوسجة من أرض غنـيٍّ فُوَيْق المغيرا ، ببطن السرداح . . ويقابل الـمُغَيْرا قرنٌ يقال له الوتدة في بطن الوادي . انتهى إذَنْ الـمُغَيْرا بقرب معدن العوسجة فأين يقع هذا المعدن ؟ جاء في كتاب «بلاد العرب» في الكلام على بلاد بني قُشَيْر[5]: ولهم الشبيكة من معادن اليمامة بين الحفيرة والعوسجة . وفيه[6]: وعلى يسارك إذا كنت بأَعْلَى الهلباء مياه لباهلة من السود ، وعلى تلك المياه نخيل ، منها مريفق وجَزَالاء والخنفس والعوسجة ، وهي معدن بها تجار ونخيل . انتهى . في «معجم البلدان» عن أبي عمرو : عوسجة في بلاد باهلة معدن الفضة .

---

(١) «عالية نجد»: ١١٨٢ . (٢) «أبو علي الهجري» ٢٧١ . (٣) ٢٩٤ و ٢٩٩ .
(٤) ٢٩٩ . (٥) ٢٤٠ . (٦) ٣٦٨ .

وإذَنْ هما معدنان باسم العوسجة في جهة السود أحدهما يدعى الشُّبيكة بين الحفيرة والعوسجة والثاني يدعه المتجه إلى مكة بعد مجاوزة الهلباء (حدباء قذلة) يساره ، وهذا في السود بقرب جَزَالَاء والخنفس وهذا الأخير هو القريب من بطن السِّرْدَاح ، وهناك قرية تدعى المغرة يقول عنها الأستاذ سعد بن جنيدل[1] : إنها واقعة في وادٍ أُفْيَح ، ينحدر من الغرب إلى الشرق حتى يدفع في السِّرْدَاح ، ولها علم بارز قرن أحمر ، وهي بناحية السرداح وليست في بطنه بل في أيمنه جنوب بلدة الرويضة (رويضة العرض) على بعد عشرين كيلاً منها ، ويبدو أن في هذه المنطقة موضع آخر يدعى مغيرا ، يقع شمال شرق العرض ، أحدثت فيه هجرة للدعاجين من عتيبة تقع في الجنوب الشرقي من بلدة الدوادمي على نحو ثمانين كيلاً ، ويظهر أن معدن العوسجة الذي في بلاد قُشَيْر بقرب مغيرا هذه ، ولزيادة إيضاح يحسن الرجوع لما أورده الأستاذ ابن جنيدل عن تلك المواضع .

الملاطيـــــط :

ـ بميم فلام فألف فطاءَيْن أولاهما مكسورة بينهما ياء ـ واحدها ملطاط ، ومن معانيها اللغوية : الطرف الأعلى للجبل ، والاسم علم لموضع ذكره الهمداني[2] فقال : وبين شط السِّرْداح وبين القهاد سَهْبٌ يُقَالُ لَهُ الْـمَلَاطِيط ـ واحده الملطاط ـ سَهْبٌ يقطع بينه وبين مثله قرانةُ الجبال . انتهى . إذن هذا الموضع سَهْبٌ ـ أي أرض سهلة مستوية ، وليس حرفَ جبل ، والقهاد كما تقدم يقع غرب السِّرداح ، فينبغي أن تكون الملاطيط الأرض المنبسطة الممتدة بينهما التي تخترقها جبال مقترنة .

(١) «عالية نجد» رسم (مغرة) ورسم (مغرا) .
(٢) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٤ .

النَّبْخَـــاءُ :

وهذا من المياه التي عَدَّها الهجري لبني جاوة الباهليين غربي جبل ثهلان ، وتقدم كلامه - برسم القتادة - ولا يعرف هذا الماء على حدِّ معْرفتي .

نَضَـــاد :

- بفتح النون بعدها ضاد معجمة مفتوحة فألف فدال مهملة - قال الهجري في الكلام على حمى ضرية[1] : وفي ناحية نَضَادِ دَارُ غني التي فيها النقب ، وفيها حقوق بني جِأَوة بن معن الباهلي وحقوق غني فاختلطوا هناك ، وهناك مياه عدة لبني جِأَوة في غربي ثهلان ، ماء يسمى الرحيضة ، وماء يسمى الأَجْفُر ، وماء يسمى العوسجة ، وماء يدعى العريض .

ولهم ماءان خارجان عن ثهلان بوادٍ يقال له الرشاد ، يقال لأحدهما العوين ، وللآخر الشبيكة وهما ملحان . والرشاد وادٍ رغيب يصب في التسرير .

ولبني جِأَوة بشرقي ثهلان أمواه : المصعد ، ومخمر ، وقتادة ، وفي غربيه النبخاء ، وفي طرفه الجد . انتهى .

نَضَادُ لايزال معروفاً جبل أسود كبير في طرف النِّيِّر الشمالي الشرقي شمال قرية القَاعِيَّة يُشاهد من الطريق المتجه من الدوادمي إلى عَفِيف .

ويفهم من كلام الهجري أن بني جِأَوة امتدت منازلهم إلى تلك الجهة مع أن من بلادهم عَرْوَا كما تقدم ذكر هذا .

---

(١) «أبو علي الهجري»: ٢٧٠ .

النُّمَيْـــرة :

قال في «معجم البلدان» : تصغير نمرة ، قد تقدم الكلام على هذا الموضع[١] عند ذكر حزم النميرة ، وأن فيه قرية كانت لعمرو بن كلاب ولباهلة[٢].

نَواظِــــــــر :

- على لفظ جمع ناظرة - نقل ياقوت في «معجم البلدان» عن الخارزنجي : نواظر آكام معروفة في أرض باهلة . انتهى ، واسم نواظر يطلق على مواضع أشهرها أنقية مرتفعة من رمل الدهناء . تحدثت عنها في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي». وتلك بعيدة عن بلاد باهلة .

وَاسِــــــــط :

عَدَّه الهمداني من قرى باهلة مع مُرَيْفق وعُوَيْسِجَة ، وذِي طُلُوح ، والقُوَيع وجَزَالاء[٣]، ولكن لايعرف الآن هناك قرية بهذا الاسم . ورجح الأستاذ سعد ابن جنيدل أن قرية واسط هي قرية النَّسَق التي تقع غرب القويعية بنحو خمسة وثلاثين كيلاً . وأسفل شعيبها يلتقي بشعيب العوشزية ، ثم يدفع في وادي الخنقة ، فهذه القرية قريبة من عوسجة (العوشزية) وهي من القرى القديمة - على ماذكر الأستاذ سعد[٤] - واسم واسط يطلق على عدة مواضع .

الوَتِـــــدَةُ :

- بفتح الواو وكسر التاء - يطلق هذا الاسم على مواضع لبعضها ذكر في أيام العرب والذي يعنينا الآن موضع ذكره الهمداني[٥] حين قال : عن المغيراء التي

---

(١) انظر : حزم النميرة . (٢) انظر النميرة في الكلام على المعادن .
(٣) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٣ .
(٤) «عالية نجد» رسم (النسق) و (واسط) .
(٥) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٩ .

تقدم الكلام عليها : ويقابل المغيراء قَرْنٌ يقال له الوتدة في بطن الوادي . انتهى ، وقد تُقْرَأُ هذه الجملة : (وبقابل المغيرا) وإذَا صح أنَّ المغيراء هي مايعرف الآن باسم (المغرة) فإن بقربها قرن أحمر يرى من مسافة بعيدة يقع في بطن واديها .

هَبُّـــــوْدُ :

ـ بفتح الهاء وضم الباء الموحدة مشددة بعدها واو ساكنة فدال ـ: سيأتي الحديث عن هذا الموضع في الكلام على المعادن ، وأنه يفهم من النصوص التي حددته أنه يقع في منطقة الدَّوَادِمِـي ، واسم هَبُّوْدٍ ليس معروفاً الآن ، وعُكَّاش يضاف إلى الهبابيد الذي نقل ياقوت[1] عن الأزهري أنه ماءٌ يقال له هبود فجمعه بما حوله في بيت طفيل الغنوي :

شَرِبْنَ بِعُكَّاشِ الْهَبَابِيْدِ شَرْبَةً

وتقدم في رسم الأَحْفَا ، وذكر لي أحدهم أنه سمع بذكر عكاش في بلاد الرُّوْسَان الواقعة شمال شرق الدوادمي . وهو قريب من هذه البلاد من حيث وصفه في النصوص المتقدمة .

الْهَلْبَـــــاءُ :

نقل ياقوت في «معجم البلدان» عن الحفصيّ الهلباءُ موضع بين اليمامة ومكة ، وإنَّـما سميت الهلباء لكثرة نباتها وأنها تُنْبِتُ الحلي والصِّلِّيَانَ ، وحَدَّدَ صاحب كتاب «بلاد العرب»[2] مَوْقِعَ الهلباءِ قائلاً : فإذا جزت جُرَادَ في مكان من حائل يقال لها الهلباء وحائل ، فلاة واسعة فيها لقشير وباهلة ونمير

---

(١) «معجم البلدان» . (٢) ٣٦٦ .

وغيرهم ، قال : والهَلْبَاءُ أَظُنُّهَا لِنُمَيْرٍ وباهلة ، وهي فلاة ، وعن يسارك إذا كنت بأعلى الهلباء مياهُ لباهلة من السَّوْدِ ، وعلى تلك المياه نخيل منها مُريفق وجزالاء والـخَنفس . إلى آخر ماذكر .

وعلى هذا فهي غرب نفود السِّرِّ (رَمْلة جُرَاد) وهي جزء من حائل التي رجحنا أنه تعرف الآن باسم (حَدْبَاء قِذْلَة) وهي جانب الْـمَرُّوْتِ الغربي شمال غَرْبِ سُوْفَةَ .

يَذْبُـــــلُ :

في كتاب «بلاد العرب» قال الراجز(١):

قَدْ طَالَ مَامَاشَى الْـمَطِيَّ يَذْبُلُ وَهْـوَ مُقِيْمٌ، وَالْـمَـطَايَـا تَنْسِـلُ

قال : وهو جبل لباهلة ، وتراه من مسيرة يومين وهو قريب من السَّوْدِ ، ونقل عن الأصمعي أنه من جبال باهلة .

ويروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : كان ابْنُ أَحْمَرَ في أَفْصَح بقعة من الأرض أهلاً ، يَذْبُلُ والقَعَاقِع(٢).

وقال عمرو بن أحمر(٣):

تَتَبَّـعُ أَوْضَـاحـاً بِسُـرَّةِ يَـذْبُـلٍ وَتَرْعَى هَشِيْماً مِنْ حُلَيْمَةَ بَالِيَا

وفي «معجم البلدان»: يذبل ـ بالفتح ثم السكون والباء موحدة مضمومة: ـ هو جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها ، قال أبو زياد : يَذْبُلُ جبل لباهلة ،

---

(١) ٢٣٧ . (٢) «الشعر والشعراء»: ٣٥٩ .
(٣) «شعر عمرو بن أحمر الباهلي»: ١٠ و١٧٣ .

مضارع ذَبَلَ إذَا استرخى ، وله ذكر في شعرهم ، وأورد منها ، والمقام لايتسع للاكثار من الشواهد .

وتكاد جميع أوصاف المتقدمِين لجبل يَذْبُلٍ تنطبق على جبل يعرف الآن باسم (صَبْحَا) ذُو ريعان وقمم عالية ، وفيه مياه ، ويحف به من الغرب وادي السُّرَّةِ ، ومن الشرق وادي السِّرْدَاح الذي يلتقي بوادي السُّرَّة .

ويقع جبل يَذْبُل جنوب العِرْضِ ، ويبعد عن بلدة القويعية بما يقرب من مئة وخمسين كيلاً ، ويقع بقرب خط العرض ٢٣/١٥ْ ، وخط الطول ٤٤/٤٠ْ .

الْيَنْكِيْـــــــــرُ :

في كتاب «بلاد العرب»[١] جبل الينكير أظنه أيضاً من السَّوادِ سَواد باهلة ، ولكن الهمداني[٢] عَدَّهُ من ديار بني لُبَيْنَى من قُشَيْر ، وقال : الينكير قُنَّةٌ خضراء (؟) لا طريق فيها وفيها مياه أَوْشَالٌ وماءٌ عِـدٌّ ، يقال له حُنْجُرَان ، وعن يمين الينكير مياه متقاودة للينكير ثم ذكر تلك المياه .

وجبل الينكير لايزال معروفاً ولكنهم حرفوا اسمه إلى (الانْكِير) وهو يقع شرق جبل صَبَحا (يذبل) ويقع في الجنوب الغربي من بلدة القُوَيْعِيَّة بما يقرب من مئة كيل .

---

(١) ٢٣٧ .

(٢) «صفة الجزيرة» ٢٩٧ .

خصب هذه البلاد

ولعل من أقوى الأسباب التي ربطت القبيلة ببلادها أنَّها امتهنت حياة التحضر منذ عهد قديم ، فاشتغلت بالزراعة كما استفادت من صناعة المعادن الكثيرة في أرضها ، وهذه البلاد تمتاز بخصب التربة وكثرة المياه ، ولهذا ازدهرت الفلاحةُ فيها وكثرت البساتين والزروع ، حتى أصبحت مطمعاً لغير أهلها ، كما ذكر أحدُ الشعراء يخاطب بني عُصْمٍ من فروع تلك القبيلة ، وذكر قريتين من قراها ، هما جزالاء والثُّرَيَّا ، قال[1] :

أَلَا يَابَنِي عُصْمٍ جزالاءُ جَنَّةٌ ... مَرَاطِيْبُ تَبْغِي كُلَّ عَامٍ لَكُمْ حَرْبا
فَلَوْلَا صَوَادٍ مِنْ جَزَالاءَ دُلَّحٌ ... وَهُدْلُ الثُّرَيَّا مَاوَجَدْنَا لَكُمْ ذَنْبَا
إِذَا أَرْطَبَتْ مِنْهَا الْـمَعَاجِيْلُ هَيَّجَت ... حُرُوْبَ رِجَالٍ لَـمْ يَرُوْعُوا لَكُمْ سِرْبَا
أَقِيمـوا حُدُوْدَ الْـمَشْـرَفِيَّةِ دُوْنَهَا ... وَإِلَّا فَخَلُّوْهَا لِأَعْدَائِكُمْ غَصْبَـا

أي إنكم تُحْسَدُوْنَ على مافي بلادكم من نخلٍ حينما تُرْطِبُ معاجيلُها ، تهيج في نفوس أعدائِكم الحرب ، فَذُوْدُوا عنها بحدود المشرفية ، وإلَّا فإنهم سيأخذونها منكم غصبا .

ولاشك أَنَّ بلاداً بهذه الصفة ، غزارة مياه ، وخصوبة أرض ، استوطنتها منذ عهد بعيد فروع من قبيلة تخلت عن مميزات البداوة ، قد وجدت فيها مجالاً واسعاً لاحتراف الزراعة ، ولا أَدَلَّ على ذالك من أن الذين تحدثوا عنها من المتقدمين كالأصفهاني صاحب «بلاد العرب» والهمداني صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» وغيرهما حينما يعددون قرى العرض يصفونها بأنها ذات نخيل .

---

(١) «النوادر والتعليقات» للهجري المخطوطة المصرية ص ١٠٤ و «صفة جزيرة العرب» ٣١٠ - مع اختلاف في بعض الكلمات .

ومعروف أَنَّ غرس النخل والقيام عليه يستلزم خبرةً ، كما يتطلب عناية تنشأ عن طول ممارسة ، وغير ذالك من الأمور التي لا يقوى عليها إلا من كان ذا خبرة طويلة ، وصبر وجلد على الاشتغال بالزراعة .

هذا جُلُّ ماطلعت عليه مِـمَّا ذكره المتقدمون عن بلاد باهلة ، ومن المعروف أن هذه القبيلة كان مقر تجمعها هو العرض ، المعروف الآن باسم عرض القويعية ، وقديماً باسم سواد باهلة وعرض شمام .

وإذا تعمق الباحث في أحوال القبائل قبل ظهور الإسلام وَجَدَهَا لا تستقر ، بل هي دائماً عرضة للتنقل وللحل والترحال ، ولا يقتصر هذا على البادية منها ، بل قد يشمل الحاضرة ، بحيث يحدث لهم من التمزق والتفرق مايضعف كيانهم إضعافاً يسبب زوال السمات التي عرفوا بها قديماً ، ومن ذالك اسم القبيلة ، فقد يضطرهم الضعف إلى الاندماج في قبيلة قوية بواسطة الحلف أو الجوار ، ومن ثم يفقدون اسمهم .

من هنا فليس من المستغرب أن تصبح تلك البلاد التي كان من المعروف قديماً أنها من بلاد باهلة ، تحلها أسر متحضرة من الفاف القبائل المتباعدة في النسب .

لقد اعترى باهلة مايعتري أيَّةَ قبيلة من أطوار الحياة : النشوء ، فالقوة ، فالضعف ، فالإندماج في قبائل أخرى ، وقد تبقى فروع محافظة على اسم القبيلة ، كما حدث لباهلة ، وهذا من الأمور الغريبة حقاً ، إذْ لا يكاد الباحث في تاريخ قبائل قلب الجزيرة يجد من بين سكانها من لايزال محافظاً على الاسم القديم سوى قبائل معدودة من بينها باهلة وتميم .

إن سكنى القبائل في قلب الجزيرة مُعَرَّضٌ دائماً للتغير ، فبصرف النظر عما

يعتري القبيلة من ضعف في آخر أطوارها ، يسبب اندماجها في قبيلة أخرى ، فإنَّ وسط الجزيرة مَمَرٌّ لموجات هجرات القبائل المتتابعة التي تأتي من الجنوب ، متجهة إلى الشمال ، فتتخذ من بلاد نجد في قلب الجزيرة مقرًّا لها في أول الأمر ، بحيث تُزَاحِمُ سكانها من القبائل ، وكثيراً ماتتغلب عليهم ، لأنها في حالة من القوة تمتاز على حالة القبائل التي سبقتها في الاستيطان والتحضر في هذه البلاد ، يضاف إلى هذا خُلُوُّ وسط الجزيرة من الأمكنة التي تتصف بالمناعة كالجبال كما هو الحال في سروات الحجاز ، التي لايزال أهلها ثابتين فيها .

من هنا فإنَّ مقاومة القبائل المستوطنة في هذه البلاد عندما تغزوهم قبيلة مهاجرة تكون ضعيفة ، وهذا يوضح جانباً من جوانب عدم بقاء كثير ممن كان معروفاً من القبائل العربية القديمة في منازلها ، في قلب الجزيرة .

أما بالنسبة لقبيلة باهلة ، فيضاف إلى هذا أنها قد اعتراها الضعف قبل أن يحدث الخلاف بينها وبين جيرانها من بني كعب بن ربيعة بن عامر ، فالتجأتْ كما تقدمت الإشارة إلى هذا إلى محالفة تلك القبائل العامرية، قال النهشلي[1] : وكانت غني وباهلة توالي عامر بن صعصعة في الجاهلية بالحاجة إليهم في الاعتصار والانتصار ، وكانت بنو عامر تحمل عنهم النوائب والديات ، وكذالك يشترطون عليهم في حلف الذُّلِّ والقهر . انتهى .

إذن فكيان هذه القبيلة قد ضعف منذ العهد الجاهلي ، فتفرقت وتمزق شملها ، ولم تستطع المحافظة على بلادها القديمة .

ولكن ليس معنى هذا انمياع أفنائها وفروعها كلها في غيرها من القبائل ، بل بقيت فروع محافظة على اسم القبيلة ، وإن لم تكن في مواطنها الأصلية في سواد

(١) «الممتع في صنعة الشعر» ١٥٤ ط بيروت .

باهلة وماحوله ، ينقل صاحب كتاب «عسير في مذكرات سليمان الكمالي»[1] عن كتاب «النجوم اللوامع» للمقدادي وهذا من رجال القرن السابع الهجري على ماذكر أن الأمير حسان بن سليمان قد ربط قبائل يام وعَبيدة بحلف ضدَّ قبائل اليمن التي تدعو للفاطميين ، كما شكل حلفاً في بيشة يضم قبائلها من بني قيس وباهلة وتيم وسلول ومعاوية ومخزوم وواهب ونهد وخثعم وبقية قبائل النخع للوقوف في وجه الغزو . ـ انتهى ـ وهذا يدل على أنه لاتزال هناك بقية من باهلة التي كان أحد فروعها في بيشة في العهد النبوي ، وقبله كان منها سدنة (ذي الخَلَصَة) في تَبالَة .

ويتناقل العامة في نجد أنباءً عن حرب وقعت بين باهلة وبعض جيرانها في بلدة الـمِذْنَب من منطقة القصيم ، ولاشك أن بعض فروع باهلة قد استقرت في بلدة المذنب ، وبعد هزيمتها في حرب وقعت هناك انتشرت في بعض القرى القريبة منه ، مثل نَبْعَة والـمُرَبَّع ، بحيث لايزال لها بقية في هاتين القريتين .

وقد نقل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام عن الشيخ إبراهيم بن صالح ابن عيسى (١٢٧٠/١٣٤٣) مانصه[2] : ـ عن سكنى باهلة في المِذْنب من القصيم ـ: (وحصن البواهل هو القصر المعروف شمال الجامع وهو خارج عنه ، بينهم سوق عرضه ستة عشر ذراعاً ، والقصر له باب واحد ، وغزاهم بعد ذالك السُّدَيْرِيُّ ، وحاصرهم ، فلما طال عليهم الحصارُ استعانوا عليه بقبيلة من عُنَيْزَةَ تدعى الفُضُول ، وأعطوهم نصف القصر ونصف عقارهم من نخل وأرض وآبار ، فلما شدد عليهم السُّدَيْرِيُّ الحصارَ قدم عليهم عبدالله بن إبراهيم الملقب الخُرَيْدِلِـيُّ ، وذالك في القرن العاشر ، وقدوم عبدالله الخريدلي

(١) ٢٩ .
(٢) «علماء نجد خلال ستة قرون» ٦١٩ .

من الفرعة القرية المشهورة في الوشم بقرب أُشيقر ، فاشترى نصف الـمِذْنَبِ من البواهل ، وكذالك اشترى أخوه مُعْجِلٌ وأبناء عمهم آل إبراهيمَ المعروفين بآل شامخ الآن - اشتروا ماله (؟) ثم تتابعت هجرةُ النواصر وهم من ذرية رَحمة ، ثم ازدادت هجرة النواصر إلى الـمِذْنَبِ فاشتروا نصيب الفضول منه ، وتولى الإمارة فيه عبدالله الخريدلي ، ثم بعده ابنه إبراهيم) . انتهى .

ويروي العامة أن من آثار تلك الحرب طريقاً يعرف بدرب البواهل في النفود الواقع شرق الـمِذْنَب فيما بينه وبين الزُّلْفِـي .

ولعل ماذكر بعض المؤرخين عن موسى بن حَنْتَمٍ الباهلي[١] له صلة بتلك الحرب ، فهل كان الفضول الوارد ذكرهم في كلام ابن عيسى هم الفضول المنتمون إلى بني لأم ، وكان هاؤلاء أَعْدَاءً لأمير باهلة موسى بن حنتم كما ستأتي الإشارة إلى هذا في ترجمة موسى ، أم هم فضول آخرون ؟!

وبعد أن يورد أحد أفراد هذه الأسرة مانقل عن ابن عيسى يضيف : نزح البواهل نحو الغرب حيث توفي أحدهم في النفود (الشُّقَيِّقة) غَرْبَ الْـمِذْنَبِ ، ويعرف الآن بخل الباهلي القبلي قال أحد شعراء البواهل بعد مغادرتهم بلدة الـمِذْنَبِ :

يَـادِيـرتي بـين الـودَيّ وخَـرْطَمْ   يلذّ على بالِـي مُرَاعَى قْصُوْرَهْ

ونزلوا الأثلة وعمروها وكانت الأثلة آباراً قديمة وفي جنوبها مكان قديم يدعى (المنزلة) . وكان نزولهم الأثلة بعد نزوحهم من المذنب في القرن الحادي عشر (عام ١٠٢٥) كان أميرها من حمولة الوُقَيَّان (الرُّشَيْد) حسن الرُّشَيْد الوُقَيَّان الباهلي ، وبعده فهد الوقيان الرشيد الباهلي .

---

(١) انظر ترجمته في قسم الأمراء والأعيان من هذا الكتاب .

ولاتزال أُسَرٌ كثيرة من باهلة منتشرة في القرى القريبة من بلادها القديمة ، كالدوادمي والشعراء وفي القويعية وفي قرى العِرْضِ ، وفي الوشم ، كما في بلدة نَفْـءٍ (نَفْـيٍ)، وكانت في القديم من بلاد بني غَنِـيٍّ إخوة باهلة ، الذين يظهر أنَّ اسْم باهلة غمرهم ، وفي بلدة الأثلة المجاورة لبلدة نَفْـءٍ (نَفْـيٍ) وفي أُضَاخ وفي قرى السِّـرِّ ، وكل تلك القرى ليست بعيدة عن مواطن باهلة القديمة .

يضاف إلى هذا انتشار أُسَـرٍ أُخرى في الوشم وفي سدير .

أما انتشار هذه القبيلة في الأقطار العربية التي فتحها المسلمون في أول العهد الإسلامي فمن الأمور التي لا يستطيع الباحث أن يتمكن من تحديد جميع البلدان التي استوطنتها فروع تلك القبيلة ، فقد بلغتْ أقصى المغرب في بلاد الأندلس ، قال الإمام ابن حزم في «جمهرة النسب»[1]: وكان منهم بِجَيَّان: بنو عبدالخالق بن محمد بن أحمد (القاضي) ابن الوليد (قاضي) بن عبدالخالق (قاضي) بن عبدالجبار بن قيس بن عبدالله بن عبدالرحمن بن قتيبة بن مسلم .

ويجد الباحث في المؤلفات الأندلسية ذكراً كثيراً لعلماء من هذه القبيلة ، ومنهم عبدالواحد بن أبي السداد الباهلي ، وهو من مشاهير العلماء الذين أخذ عنهم بعض علماء الأَنْدَلس كما في كتاب «المرقبة العليا»[2] للنباهي ، وكما في «نفح الطيب»[3].

ومن العلماء المشهورين محمد بن يحيـى الباهلي ، المعروف بابن المسفر ذكره المقري في «نفح الطيب» في مواضع .

---

(1) ٢٤٦ .
(2) ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٥٤ .
(3) ٣٨٠/٧ و ٢٧٥/١٠ .

معادن بلاد باهلة

وكما امتازتْ بلاد باهلة بالخصب حتى حسدها أعداؤها من القبائل ، امتازت أيضاً بكثرة المعادن . ولعل وجود التعدين في بلادها دَعَا إلى اشتغال بعض أفراد منها بصناعته ، ومعروف أَنَّ العرب قديماً كانوا ينظرون إلى مختلف الصناعات نظرةَ احتقارٍ ، وهي نظرةٌ لا تقوم على أُساس من الحكمة وحسن التقدير .

وهاهي أشهر المعادن المعروفة في بلاد تلك القبيلة .

١ ــ معدن ثَنِيَّةِ ابْنِ عِصَام :

ذكر الهمدانيُّ في كتابيه «الجوهرتين» و«صفة جزيرة العرب»[١] من معادنِ الذهب في نجد ـ: معدن ثَنِيَّةِ ابْنِ عِصَام الباهلي ، حاجبِ الملك النُّعمان بن المنذر[٢]، الذي قال فيه النابغةُ بَيْتَهُ المشهور :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَاما　　وعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ والْإِقْدَامَا

وفيه المثلُ العربيُّ القديمُ : كُنْ عِصَامِيًّا ، ولا تَكُنْ عِظَامِيًّا . وحدَّدَ الْهَمْدَانِيُّ في «صفة جزيرة العرب» موقعَ المعدِن بقوله ـ: في ذكر بلاد باهلة ـ: ومعدنُ الثَّنِيَّةِ ثَنِيَّةِ حِصْنِ ابْنِ عصامٍ الباهلي معدن ذهب وقال : ذُو طُلُوحٍ : أعلاه حِصْنُ بني عصام صاحب النعمان بن المنذر ، وقال عن سواد باهلة : أَوَّلُهُ

(١) ٢٩٤/٢٩٩/٣١٠ .

(٢) على أن البلبيسي في كتابه في الأنساب ـ رسم الذيباني ـ نقل عن ابن الأثير : ذبيان بن سعد بن عذرة ، من ولد عصام بن سهر بن الحارث بن ذبيان من فرسان العرب وفصحائهم ، وفيه قيل :

نفس عصام سودت عصاما　　وعلمته الكر والاقداما

وسيأتي في ترجمة عصام مايزيد هذا إيضاحاً .

من مَشْرِقِهِ بَلَدٌ يقال له الْقُوَيْعُ ، ثم أعلى منها حِصْنُ آل عصام ، وهم من ولد عصام خادم النعمان ـ إلى آخر ماذكر ـ وكانَ هذا الـمَعْدِنُ مستغلاً حتى آخر القرن الثالث الهجري ، كما يُفْهَمُ مما ورد في كتاب «المناسك» في ذِكر المنابر في نَجْد ، قال : ومِنْبَرٌ بالحصْن حصن بني عصام ، وهو لباهلة . انتهى يعني أنه كان في ذالك العهد مقَرَّ اجتماع تصلى فيه الجمعة . ولم يذكر في بلاد باهلة مِنْبَراً غيره .

وهذا المعدن يقع بمنطقة القُوَيْعِيَّةِ ، وتلك الجهاتُ تكثر فيها المعادن التي لاتزال آثارها باقيةً ، وهي في القديم من بلاد باهلة ، وسيأتي ذِكْرُ معادِنٍ أخرى فيها لايزال بعضها معروفاً باسمه القديم .

وقال الأستاذ سعْدُ بن جُنيدل[1]: ويبدُو لِـي أن ثنية ابن عصام هي الثنية الواقعة في أعلى وادي مُحَيْرِقَةَ ، وتدعى في هذا العهد رِيْعَ العُتَيْبِـي ، والبعض يقولون لها : ريع الفُقَيْسَة ، وأنَّ وادِي مُحَيْرِقَةَ هو وادي ذي طُلُوحٍ ، لأنَّ تحديدَ ذي طُلُوحٍ وثنية ابن عصام ينطبق عليهما ، وتقع غرب بلدة القويعية على بعد ٣٠ كيلاً .

وقال أيضاً : رِيْعُ الْعُتَيْبِـي ثَنِيَّةٌ بين جبالٍ سُوْدٍ ، وهي امتداد لأَعْلَى وادي مُحَيْرِقَةَ ، يمتد غرباً ويفيض في أعلى وادي السِّرْدَاح ، تَحُفُّ به جبالٌ سودٌ غيرُ عالية ، ويُطِلُّ عليه حين ينتحي غرباً صوبَ السرداح جبلُ العُتَيْبِـي عالياً ، فيه مياه وآثار تعدين قديم ، كما يقابله من الجنوب جبل أسود يدعى (أُمّ الْفُهُوْدِ) فيه آثار تعدين قديم ، وعلى طول امتداد هذا الريع (الثنية) تُرَى آثارُ التعدين وحُفَرُ المناجم العميقة ، وحولها كتابات بالخط الكوفي أدعية وأسماء وصلوات

(١) «عالية نجد» ٦٤٢ .

على النبي محمد ﷺ ، ويبعد عن القويعية غرباً بنحو ٣٠ كيلاً . وكرر القول بأن ثنية ابن عصام هي ريع العُتَيْبِي في رسم (العتيبي) وقال عن ريع الْـمِشْعر : وقد غلط من قال : إنَّ رِيع الـمِشْعَرِ هو ثنية ابن عصام ، ومن زار هذه الثنايا وشاهد معالمها يتبين له بدون شك أن ثنية ابن عصام هي ريع العتيبي .

٢ ـ مَعْـدِنُ الْـحُفَيْـر :

ذكر الهمداني من معادن اليمامة في الديار التي توطنتها بنو عُقَيْلٍ بن كعب في عهده : معدن الـحُفَيْر بناحية عماية ، وهو معدن ذهب غزير(١) . وأضاف الْـحُفَيْرَ إلى الضبيب (حفير الضبيب) في موضع آخر(١) . وبلاد عُقَيْلٍ هاؤلاء تقع في جنوب نجد ، في أَسْفَلِ الأَوْدية المنحدرة من سراة الحجاز ، الواقعة شرق الطائف ، بل شرق بلاد بِيْشَةَ وجهاتها ، في نواحي مايعرف الآن باسم وادي الدَّوَاسر ، الذي يعرف في القديم بِعَقِيْقِ بني عُقَيْلٍ ، وعَقِيْقِ تَمْرَةَ . وهي بالنسبة لبلاد بَاهلة تقع جَنُوباً بحيث أن بلاد باهلة تبلغ عَمَاية (الحصاة) بقرب بلاد عُقَيْلٍ الذين حالفتهم باهلة منذ العهد الجاهلي بعد قَتْلِ ابن المنتشر الباهلي .

على أن صاحب كتاب «بلاد العرب» عَدَّ الحفير من معادن اليمامة ، وذكر أنه في بلاد باهلة ـ جاء هذا في مخطوطة الأستاذ زهير الشاويش التي اطلعت عليها بعد نشر الكتاب ، فهل الاسم يطلق على أكثر من موضع ؟

وينبغي إدراك التقارب في الاسم بين هذا المعدن وبين معدن الحفيرة الآتي ذكره ، فقد يكونان واحداً إذْ معدن الحفير هذا ـ على ماذكره الهمداني ـ يقع

(١) «صفة جزيرة العرب» ٢٩٩ ، ٢٩١ .

بناحية عماية ، وعلى ماذكر صاحب كتاب «بلاد العرب» في بلاد باهلة ، وهذه البلاد شمال عماية غير بعيدة عنها ، وعمايَةُ هذه تعرف الآن باسم الْـحَصَاة ، وضعت في المصور الجغرافي باسم (الحوشة) وهما حصاتان : حصاة قَحْطان ، وحصاة (ابن حُوَيْلٍ) وهو من شيوخ قحطان أيضاً ، وفي جبل حصاة ابن حُوَيْلٍ توجد آثار معدن ، لا يستبعد أن يكون هو معدن الحفير قديماً ، أمَّا الضُّبَيْب الذي أضاف الهمداني إليه الـحُفَيْر فقد ذكر أنه من معادن اليمامة التي توطنتها عُقَيْلُ بن كعب ـ في عهده[1] ـ وذكر في موضع آخر أنه ماء ملح في بطن مُنِيْمٍ ، ويظهر أن اسم مُنَيْمٍ يطلق على مواضع منها الموضع الذي فيه المياه الأملاح[1]، وهذا على مايفهم من تحديد الهمداني يقع شرق عِرْضِ شَمَامٍ وغرب رِمَالِ الدِّحْـيِ ، ومنها موضع أورد ذكره في بيت للقطامي[1]، وهذا في بلاد الشام أو ماحولها ، والموضعان بعيدان عن عماية ، فهل المعدِنُ يسمى بالحفيرِ وبالضبيب؟ إن التباعد بين عماية وبين بَطْنِ الْعُبْرَى على ماحدد الهمداني موقعي المعدنين ـ ينفي هذا .

وموقع معدن الحفير على ماظهر لي من كونه بقرب عماية بقرب خط العرض: ٢٢/٤٥َ° وخط الطول : ٤٤/٥٥َ° تقريباً .

٣ ــ معــدن الحفيــرة :

يوجد معدنٌ يسمى الحفيرة ، وهو معدن قديم ، ولكنه يبعد عن عماية بمسافة طويلة ، حيث يقع على خط العرض : ٢٢/٣٥َ° وخط الطول : ٤٢/٣٠َ° ـ أي إنه يقع غرباً عن عَمَاية بمسافة بعيدة ، ثم إنَّ الْـحَفِيْرَ والـحَفِيرة والْـحُفَيِّرَةُ من الأسماءِ المشتركة التي هي إلى الأوصاف أقرب منها إلى الأعلام ،

---

(١) «صفة جزيرة العرب»: ٢٩٩ ، ٢٩٣ ، ٣٩٦ .

وتوجد مواضع كثيرة تسمى بهذه الأسماء ، مثل (الـحُفَيِّرة) بالتصغير ، وهي هجرة للدِّعَاجِين من عُتَيْبَة ، وحُفَيِّرة ابن دِرْعَان من النُّفَعَةِ ، من عُتَيْبة أيضاً ، وهذان الموضعان بعيدان عن عماية .

وبقرب عماية موضع يسمى الـحُفَيِّرة ـ بلفظ التصغير ـ قال الأستاذ سعد بن جنيدل[1] : الـحُفَيِّرَةُ أُسِّسَتْ فيها هِجْرةٌ لآل حُوَيْلٍ من آل رَوْقٍ من قحطان ، في ناحية الحصاة الشرقية حصاة ابن حُوَيْلٍ ، وقد ذكر الهمداني أن بها معدن ذهب غزير ، وذكر مَعْدِنَ تِيَاسٍ القريب منها ، ويلاحظُ أنَّ الهمدانيَّ ذكر الحفير بدون هاء ، وقد يكون ذالك من قبيل التحريف .

وذكر الأستاذ سعد أيضاً : الحفيرة ـ بصيغة التصغير ـ : قرية في حُمْرَةِ الْعِرْضِ تقع جنوباً من بلدة الرويضة ، وفيها آثار مساكن قديمة . وفيما بينهما وبين قرية المغرة (المغيراء قديماً) آثار تعدين قديم . وأضاف : الحفيرة ـ بصيغة التصغير ـ : ماء يقع شمالاً غربياً من مَاءِ الأَرْوَسَةِ جنوباًمن جبل كَرِشٍ ، غربَ عِرْضِ شَمَام ، ويَحُفُّ به من الغرب بُرَقٌ فيها آثار تعدين قديم ، وقديماً كانت في بلاد بني أبي بكر بن كلاب ، لكعب بن عبدالله منهم . ثم أورد نقولاً عن المتقدمين تتعلق بحفيرة الأَغَرِّ ، وقال: تبعد عن عفيف جنوباً بـ (١٧٥) كيلاً .

٤ ـ معـــدن السَّــوْدِ :

نقل ياقوت عن ابن أبي حفصة اليمامي[2]: سَوْدُ باهِلَةَ قريةٌ ومعادن باليمامة . وذكر ياقوت أنه يسمى سَوْدَ شَمَام .

والواقع أنَّ سود باهلة ـ ويسمى سواد باهلة أيضاً[3] ـ بلاد واسعة ، تشمل

(١) «عالية نجد» ٣٩٥ . (٢) «معجم البلدان» .
(٣) «بلاد العرب»: ٢٣٥ .

كثيراً مما يطلق عليه الآن اسم العرض (عرض القويعية) .

وشَمَامُ ـ ويسمى ابْنَا شمام ـ جبلٌ يقع في تلك الجهة ، شمال هجرة عَرْوَا ، ويشاهد منها رأْيَ العين ، وهو جبل له رأسانِ ، ولهذا حرفته العامة من ابني شمام إلى (أُذْنَـيْ شمال) مثنى أذن .

والسَّوْدُ هذا فيه معادنُ كثيرة منها معدِنُ شَمَام وغيره ، مما سيأتي ذكره ، بل إن كلمة السَّوْدِ تَعْنِـي أرضاً مستوية كثيرة الحجارة التي يغلب على لونها السواد ، وتبدُوْ خشنة قَلَّ ماتكون إلا عند جبل فيه معدن ـ كما ذكر الصاغاني في كتاب «التكملة»[1] وغيره من علماء اللغة في تعريفه : السَّوْدُ ـ بالفتح ـ مستوٍ في الأرض كثير الحجارة ، خَشِنُها ، والغالب عليه لون السواد ، وقَلَّ مايكون إلا عند جبل فيه معدن ، والجميع الأسواد ، والقطعة منها سودة . ومن أوفى من كتب عن تحديد سود باهلة من المتقدمين صاحبا كتابي «بلاد العرب» و«صفة جزيرة العرب» .

٥ ـ معـدن الشُّبَيْكَـة :

قال صاحب كتاب «بلاد العرب»[2] في ذكر بلاد بني قُشَيْرٍ : ولهم جبل يقال له بَتْران ، وهو قريبٌ من معدن يقال له الشُّبَيْكة من معادن اليمامة ، بين الحفيرة والعوسجة . انتهى .

ويفهم من هذا الوصف أَنَّ هذا المعدِنَ يقع في طرف الْعِرْضِ الشرقي ـ عرض القويعية ـ وهناك مكان يعرف باسم (الْـحُفَيِّرة) وهو الآن هجرة (بلدة) للدعاجين ، من فروع قبيلة برقا من عتيبة ، وتقع شرق الدَّوَادِمِيِّ ، شمال

(١) ٢/٢٥٧ .
(٢) عن مخطوطة لدى الشيخ زهير الشاويش .

جَبَلِ مَأْسَلِ الْـجُمْحِ ، وهي تنطق بالتصغير ـ الـحُفَيِّرَة مضمومة الحاء مشددة الياء مكسورة ـ .

أما جبل بَتْرَانَ الواقع بقرب معدن الشبيكة فإنه لايزال معروفاً باسمه ، وهو في شرقي العِرْضِ ، غَرْبَ بَلْدَةِ الرَّيْنِ (الريب قديماً) بنحو ثلاثين كيلاً بقرب خط الطول : ٤٥/١٣° وخط العرض : ٢٣/٢٩° وبهذا التحديد يتضح موقع المعدن .

والْعَوْسَجَةُ ـ قديماً ـ من أرض غَنِـيٍّ ، بقرب مُغَيْراء ـ كما سيأتي في تعريفها ـ وغَنِـيٌّ وباهِلَةُ وقُشَيْرٌ متجاورون ، ويختلطون في كثير من الموارد في العهد القديم .

وينبغي التفريق بين هذا المعدن وبين المعدن الذي ورد ذكره باسم (الحفيرة)، إذ ذاك على خط العرض: ٢٢/٣٥° وخط الطول: ٤٢/٢٣° .

٦ ـ معـدن شمَـام :

قال الهمداني في كتاب «الجوهرتين»[1] في كلامه على معادن الفضة : ومنها معدن شمام الْفِضَّةُ والصُّفْرُ ، من أرض نجد ، وكان فيها بيتَا نارٍ ، وابنا شمام جبلان بها ، وقد خربت ، وكان عمرانها في الجاهلية وأكثر مدة الإسلام . انتهى ، وقال عنه في «صفة جزيرة العرب»[2]: شمام : معدِنُ فضة ومعدِن نحاس ، وكان به ألوف من المجوس الذين يعملون المعدن ، وكان به بيتا نار يعبدان ، وقال : ومعدنا شمام : الفضة والصفر . انتهى .

وفي كتاب «بلاد العرب»[3]: وابْنَا شَمَامٍ بِالسَّوْدِ ، يدفع عليهما عِرْضُ

---

(١) ٨٩ . (٢) ٢٩٤ ، ٢٩٩ . (٣) ٢٣٦ ، ٣٨٢ .

السَّوْد ، وهو غير عرض اليمامة ، ومن معادن اليمامة : خَزْبَةُ ، وشمام ، وهو بسود باهلة . انتهى .

وتقدم الكلام على شمام في ذكر معدن السود ، وأنه جبل ذُوْ رَأْسَين ، ويقع في بطن العِرْض ، ويسمى الآن (أذني شمال) تحريف (ابني شمام) . والعرض - لغة - الوادي الواسع الذي يحوي قرى ومزارع ، ومنه عرض شمام - وعرض حَنِيفة (باطن الرياض) وعرض المدينة .

ويقع هذا المعدن على خط العرض : ٥٠/٢٤° ، وخط الطول : ٥٠/٤٤° على وجه التقريب .

٧ ـ معـدِنُ الْعَوْسَجَـة :

قال في كتاب «بلاد العرب»[١] : وعن يسارك إذا كنت بأعلى الْهَلْباء مياهٌ لباهلة ، من السود وعلى تلك المياه نخيل ، منها مُرَيْفِقُ ، وجَزَالاَءُ ، والْـخَنْفَسُ ، والعَوْسَجَةُ ، وهي معدن ، بها تجار ونخيل .

وقال الصاغاني في «التكملة»[٢] : ومن بلاد باهلة معدِنٌ من معادن الفضة يقال له : عوسجة . انتهى .

وقال ياقوت في «معجم البلدان» - رسم العوسجة -: قال أبو عَمْروٍ : في بلاد باهلة من معادن الفضة يقال له : عوسجة ، وفي «صفة جزيرة العرب»[٣] : الْفَرْعُ وَادٍ يَصُبُّ في بطن السِّرْدَاحِ ، وبين شَطِّ السِّرْدَاحِ وبين الْقِهَادِ سَهْبٌ يقال له الملاطيط ، وفي فرعه الثَّنِيَّةُ ، ثنية سود باهلة ، وعن يمينه

---

(١) ٣٦٨ . (٢) ١/٤٦٧ .

(٣) ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، والفَرْعُ هذا وادٍ لايزال معروفاً .

من دون الثَّنِيَّةِ ماءٌ يقال له الـمُغَيْرَاءُ ، وقرية عظيمة يقال لها العوسجة ، وهي معدن ، وقال أيضاً : ومعدنُ العَوْسَجةِ : من أرض غَنِـيٍّ ، فُوَيْقَ الـمُغَيْرا ، ببطن السِّرْدَاح . انتهى .

ومعدِنُ العَوْسَجة هذا يسمى (العَوْشَزِية)[١] العَوْسَجِية في إقليم عرض القويعية المعروف قديماً باسم (عرض شمام) وباسم (سود باهلة) يقع هذا المعدن شَرْقَ وادي السِّرْدَاح وجنوب قرية (مُحَيْرِقَة) يدعُهُ طريق المتجه من صبحا (يذبل قديماً) إلى القويعية على يمينه [طريق الحجاز الجديد] ويقع شمالَ مَعْدِنِ (قُسَاسٍ) على خط العرض : ٥٧َ/٢٣° ، وخط الطول : ٠٢َ/٤٥° .

على أَنَّ الأستاذ سعد بن جنيدل يرى أن العوسجة هي مايعرف الآن باسم (أبا الرُّحِـيِّ) وهو واد يقع في (عرض شمام) غرب بلدة القويعية على بعد ٢٨ كيلاً منها ، وهو معمور الآن من أعلاه إلى أسفله ، وفي الفرع الشمالي من أعلى الوادي ترى آثار التعدين والعمران ، آثار قرية قديمة ، وعندها معالم مقبرة ، وكثير من بقايا الرُّحِـيِّ الحجرية (جمع رَحَا) ، والمساحيق قال : ويبدو أَنَّ هذه البلدة المندرسة المعالم هي التي كانت قديماً تدعى العوسجة ، وأَنَّ تسميتها بهذا الاسم كان نسبة لكثرة شجر العوسج في هذا الوادي[٢].

وقال الأستاذ سعد أيضاً : في الجانب الشمالي من وادِي (أبا الرُّحِـي)[٣] قرية صغيرة تدعى العوشزية ـ بمعنى العوسجية ـ وهذه القرية فيما يبدو لي هي التي ذكرها الهمداني باسم العويسجة ، تصغير عوسجة ، ولا ينطبق عليها ماذكره

---

(١) العامة في نجد يسمون (العوسج) الشجر المعروف (العوشز) فيبدلون الجيم زاياً .

(٢) «عالية نجد» .

(٣) جمع رحا التي يطحن بها ، وسمي بهذا لوجود أحجار بهيئة الرحَا ، يظهر أنها كانت تستعمل لسحق الأحجار لاستخراج التبر ونحوه .

الهمداني والأصفهاني عن العوسجة وإنما ينطبق على مافي (أَبَا الرُّحيِّ) من آثار ومعالم قديمة ومن شاهد هذه البلاد وتأمل في معالمها وتتبع ماكتبه المؤرخون عنها لابُدَّ أن يطمئن إلى القول بأنَّ (أَبَا الرحيِّ) هو بلدة العوسجة القديمة .

٨ ــ معــدن قُسَــاس :

هذا من أشهر معادن الحديد في بلاد العرب ، ذكره كثير من اللغويين ، ومن كتبوا في تحديد الأمكنة ، فقال عنه ياقوت في «معجم البلدان» : قُسَاس : جبل لبني نُمَيْرٍ . . ـ وإذا قيل بالصاد فهو جبل لهم أيضاً ـ فيه معدن حديد تنسب السيوف القُسَاسِية إليه ، قال الراجز يصف فأساً :

أَخْضَرَ مِنْ مَعْدِنِ ذِيْ قُسَاسِ كَأَنَّه فِـي الْـحَيْدِ ذِي ٱلْأَضْرَاسِ
يُرْمَى بِهِ فِـي الْبَلَدِ الدِّهَاسِ

وقال أبو طالب بن عبدالمطلب :

فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَداً لِعَزَّاءَ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ وَلاَ كَرْبِ
وَلَـمَّا تَبِنْ مِنَّـا ومنْكُمْ سَوَالِفُ وأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالْقُسَاسِيَّـةِ الشُّهْبِ

وقال أبو منصور : ذكر أبو عُبيد عن الأصمعي من أسماء السيوف القُسَاسي ، ولا أدري إلى ما نُسِبَ ، وقال شِمْرٌ : قُسَاسُ يقال إنه معدن الحديد بأرمينية ، نُسب السيف إليه ، قال جرير :

إنَّ الْقُسَاسِـيَّ الَّذِي تُعْصَى بِهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْأَلْفِ الَّذِي تُعْطَى بِهِ

وقال جِرَانُ الْعَوْدِ النُّمَيْرِيُّ :

تُــذَكِّرُنَــا أَيَّــامَنَــا بُسَــوَيْقَــةٍ وَهَضْبِ قُسَاسٍ والتَّذَكُّرِ يُسْعِفُ

ولما أورد المبرِّدُ في «الكامل»[1] قول الراجز ـ المتقدم ـ أضاف : يَصِفُ مِعْوَلاً . وذُو قُسَاسٍ مَعْدِنٌ للحديد الْـجَيِّد ، وهو يقرب من بلاد بني أَسد . انتهى .

وأقول : قساس بعيد عن بلاد بني أَسَدٍ ، فتلك تقع في شمال نجْد ، وهذا يقع في جنوبها ، وجَبَلُ قُسَاسٍ لايزال معروفاً ، ولكن العامة لا يخرجون القاف من مخرجها ، بل من مخرج يقع بينه وبين مخرج السين[2]، فيظنها السامع (دالاً) ولهذا وقع الغلط في كتابة هذا الاسم في الطبعة الأولى لخريطة (جزيرة العرب) إذْ وقع (ادْسَاس) ثم حرف وصحف عدة تصحيفات .

ويقعُ هذا الجبلُ في إقليمِ الْعِرْضِ (عِرْضِ القُوَيعية) المعروف قديماً بعِرْضِ شَمَامٍ ، وسَوادِ باهلة ، غَرْبَ وادِي الْعَمْقِ ، وشرق جَبَلِ صَبْحا (يَذبل قديماً) وهو جنوب بلدة (القُوَيْعِيَّة) قاعدَة العرض بنحو ثمانين كيلاً . وقد عُثِرَ على معدنه ، وعرف في عهدنا .

٩ ـ معدن هَبُّود :

جاء في كتاب «بلاد العرب»[3] قال الْـمُسَلَّمُ : ومن معادن اليمامة : خَزْبَةُ وشَمام وهو بسود باهلة ، والعِيْصَانُ وهو بِأَرْض نُمَيْرٍ ، وهَبُّودُ والتُّمَيْرَةُ وقُسَاسُ والْـحُفَيْرُ بأرض باهلة ، والتميرة لبني أبي بكر بن كلاب ، وهبود لبني نمير . انتهى .

وبلادُ بني نُمَير واقعة بجوارِ بلاد باهلة شرقاً وشمالاً ، بالنسبة لِلْعِرْضِ ،

---

(١) ص ٨٨٦ تحقيق أحمد محمد شاكر سنة ١٣٥٦هـ .
(٢) كما ينطقون (قِمِين) ويكسرون القاف .
(٣) ٣٨٢ .

عِرْضِ شَمَام المعروف الآن بعرض القويعية ، وتمتدُّ بلادهم إلى أعالي السِّرِّ حيث تشمل ماحول جبل حَقِيل .

ولعلَّ جَبَلَ هَبُّودٍ الذي فيه المعدن واقِعاً بمنطقة الدوادمي ، حيث تكثر آثار التعدين ، ولم أَسْمع باسم هبود في جبال تلك الناحية ، ولكن مما يُؤَيِّدُ هذا أَنَّ الْبَكْرِيَّ قال في رسم (الأحفاء) من «معجم مااستعجم» : عُكَّاشُ والْهَبَابِيدُ ماءٌ لباهلة ، وهو هَبُّودُ ، فجمعه ، يشير إلى قول طفيل الغنوي :

شَرِبْنَ بِعُكَّاشِ الْهَبَابِيد . . - البيت .

ويَدُلُّ على ذالك أيضاً بيتٌ أورده البكريّ غير منسوب ونصه[1] :

وأُمُّهُمْ ضَبُعٌ باتَتْ تَجُرُّ سَلاً بِالْجِزْعِ بَيْنَ مُجَيْرَاتٍ وَهَبُّودِ

وهذا البيت يدل على قرب هبود من مجيرات التي لاتزال معروفة فيما بين بلدتي الشعراء والدوادمي ، ويدل على ذالك أيضاً أن عكاشا الذي أضيف إلى الهبابيد واقع في الطريق من اليمامة إلى مكة المكرمة ، كما جاء في كتاب «بلاد العرب»[2] في وصف ذالك الطريق حيث قال : فإذَا جُزْتَ الهلباءَ ترد عكاشا وهو ماءٌ لبني نمير ، عليه نخل ، فإذا جزت عكَّاشاً وردت العيصانَ وهو معدن . وجاء فيه أيضاً[3] : من معادن اليمامة خزبة وشمام وهو بسود باهلة والعيصان وهو بأرض نمير ، وهبود والتميرة وقساس والحفير بأرض باهلة .

والتميرة لبني أبي بكر بن كلاب وهبود لبني نمير ، كذا ورد الكلام في إحدى مخطوطات الكتاب . وبنو نُمير وباهلة منازلهم متجاورة .

وكل ماتقدم يدل على أن معدن هبود يقع في الجانب الشرقي من العرض غير بعيد من منطقة الدوادمي - وتقدم ذكر هَبُّودٍ في ذكر بلاد باهلة .

---

(١) «معجم مااستعجم»: ٤٦٠ . (٢) ٣٦٩ . (٣) مخطوطة زهير الشاويش .

الصناعـــــة :

تكثر الْـمَعادِنُ في بلاد باهلةَ كما تقدم ذكر هذا ، وذالك يتطلب أن يكون أهل تلك المعادن ذَوِي خِبْرةٍ وسِعَةِ اطّلاعٍ على معادن بلادهم ، هذا يستلزم أن يكون بين أفراد هذه القبيلة من اشتغل بصناعة التعدين ، يضاف إلى هذا أنَّ بلاد القبيلة على درجة حسنة من الخصب ، وبلدٌ هذا شأنه يكون أهلُه أَقْرَبَ إلى التحضر ، وإلى مزاولة أعمال الحياة الحضرية ، مما يجعل الأَكثرِيْنَ من العرب الذين كانوا يمارسون حياة البداوة ينظرون إلى من هذه صِفَتُهُ نظرة استهانة ، وهذا أَمْرٌ مأْلوفٌ ومعروف في العهود القديمة .

وقد أَوْرَدَ الأَبِيْوَرْدِيُّ في كتاب «زاد الرفاق»(1) مانصه : (ذكر علماؤنا ـ رحمهم الله ـ أن عامرَ بن صعصعة بن ثور الدِّثَارِيِّ تزوجَ أُمِيرةَ بنتَ واصل بن عطيبة العوذية ، وكانت من أهل الـمَعْدِن ، فعيَّرَهُ قومُهُ بها ، وقالوا : تزوجْتَ امرأةً سكنت القرى ، وجاورت أَهلها ، وليسوا بعرب ، فلم يلتفت إلى قولهم ، وقال فيها :

لَهِنَّـكِ مِنْ عَبْسِيَّـةٍ لَكَـرِيْمَـةٌ(2) ... على مَضَواتِ كَاذِبٌ مَنْ يَقُولُهَا
ومن يَغْشَ أَبْوَابَ الْـمَعَادِنِ يَلْتَمِسْ ... لَـهُ مُضْمِئِلَّاتٌ تَهَـوَّلُ غُـولُهَـا

(1) مخطوطة دار الكتب المصرية الورقة ٧٤ ب .

(2) في «تتمة الغريبين» أنشد الكسائي : لهنك من عبسية لوسيمة . يريد الله إنك فأسقط إحدى اللاَمَيْنِ من الله وحذف الألف من الهنك فصار لهنك . انتهى .
[وأقول: البيت في «الخزانة» ١٠/٣٤٠ بلفظ : لهنك من عبسية لوسيمة على هفوات . . الخ وأشار المحقق إلى وروده في «الإنصاف» ـ ٢٠٩ ـ و«الهمع» ١٤١/١ و«اللسان» ـ رسم لهن ـ وقبله في «اللسان» :

وبي من تباريح الصبابة لوعة ... قتيلة أشواقي وشوقي قتيلها

ولم ينسب الشعر لقائل] .

فولدَتْ له كَوْثراً ، فتزوج امرأةً يقال لها أسماءَ بنتَ خارجة بن قرار ، ثم خرج إلى العراق لبعض شأنه ، فوقع بينها وبين أُمِّهِ لِحَاءٌ ، فقوَّضَتْ[1] بيْتَ أُمِّهِ وضربتها فقالت :

هَلْ رَاكِبٌ مُسْتَعْجِلٌ ذُوْ أَمَانَةٍ ... يُبَلِّغُ عنِّي بِالـرَّسَاتِيْقِ كَـوْثَـرا
بِأَنَّ الَّتِـي أَعْطَيْتَ فِيْهَا حَرِيبَتِـي ... وعَاصَيْتَ فِيْهَا مَنْ نَهَاكَ فَأَكْثَرا
أَغَارتْ عَلَى بَيْتِـي تُقَوِّضُ سَمْكَهُ ... وتَشْتِمُنِـي أَنْ كَـانَ أَمْرٌ تَغَـيَّرا
تَجَاوَزَتِ الْـحُجَّاجَ نَحْوِي فَأَنْشَبَتْ ... أَظَافِيْرَهَا فِي الرَّأْسِ حَتَّى تَعَفَّرا[2]
فَــوالله لاَ أَنْسَى بَـلاَءً لِقِيْتُــهُ ... طِوَالَ اللَّيَالِـي أَو أَمُوتَ فَأُقْبَرَا

فبلغت الأبياتُ كوثراً ، فرحل من وقته حتى وافَى الْـحَيَّ فوقف عند باب أُمِّهِ ، ودعا بامرأته فطلقها ، وحلف أن لا يجلس حتى ترحلَ ، وتَغِيْبَ عن عينه ، فما جلس حتى ساقها السائق وقادها القائد ، فَضُرِبَ المثَلُ بعزيمته فقيل : أَجَدُّ مِنْ عَزِيْمَةِ كَوْثَر) . انتهى .

ولا بأْسَ من إطْرَافِ القاريَ بِخَبَرٍ أورده صاحب «الأغاني» ليس من المستبعد أن يكون مُختلقاً ، ولكن فيه مايخفف من جَفَاف البحث ، نقل عن إسحاق الموصلي أنه قال : وقف على بَشَّارٍ بعضُ الـمُجَّان ، وهو يُنْشِدُ شِعْراً ، فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ! فصفَّقَ بشَّارٌ بيديه ، وغضب ، وقال له : ويلك ومن أنت ؟ قال : أنا ـ أعزكَ الله ـ رجل من باهِلة ، وأخوالي سَلُولُ ، وأصهاري عُكْلٌ ، واسمي كلب ، ومولدي بِأُضَاخ ، ومنزلي بظفر بلال ، فضحك بشار ، وقال : اذهب ـ ويلك ـ فَأَنْتَ عَتِيقُ لُؤْمِكَ قد علم الله

---

(1) تقويض الخيمة : انحلال أطنابها .
(2) تغبَّر بالتُّراب .

أنَّك استترت منِّي بحصون من حديد . انتهى . ولا أستبعد أن يكون هذا الخبر من اختلاق الموصلي أو لعله من كتاب شيخه أبي عبيدة في «مثالب باهلة» الذي ألفه إبَّان تكالب الشعوبيين على الأصمعي وقبيلته باهِلة . ومنهم إسحاق راوي هذا الخبر - كما سيأتي -.

ولم أجِدْ نصًّا صريحاً فيما اطلعت عليه من نصوص العلماء يدل على احتراف هذه القبيلة الكريمة حِرْفَةً منبوذةً عند العرب ، مع أنه شاع بين المتأخرين من أهلِ عصرنا أنّ قبيلة باهلة كانت تصنع الْـبُرَمَ (جمع بُرْمَةٍ) وهي الْأواني التي كان يُطْبَخْ بها إلى عهد قريب ، وكان مَعْدِنُها في بلدة (أضاخ) البلدة المعروفة بقرب بلدة نَفْـء (نَفْـي) في عالية نجد ، وليس هذا من المستبعد ، فقد كان مَعْدِنُ الْبُرْمِ قريباً من بلاد باهلة ، بل كان مجاوراً لبلاد إخْوَتهم من غَنِـيٍّ ، والقبيلتان كثيراً ماتشتركان في المنازل ، بَلْ إنَّ عَمَلَ الْبُرَمِ كان معروفاً حَتَّى عَصْرِنَا في جِهة أُضاخ ، ومابقربه من القرى كالأثلة ونَفْـيٍ .

ثم أَيَّةُ غضاضةٍ بأَنْ تَمْتَهِنَ باهِلةُ حِرْفةً من الحرف الحضرية ، كالصناعة والزراعة وغيرهما ؟! إنَّ نظرةَ العرب القائمةَ على احتقار الصناعات نظرةٌ ليستْ مستقيمة ، بل هي متأثرة بحياة طبيعتهم الأولى عندما كانوا يعيشون على الْكَرِّ والْفَرِّ والسلْبِ والنهْب ، فهم لا يرغبون الارتباطَ بالأرض في أيِّ عمل من الأعمال ، من حراثةٍ أو صناعة ، بل يحتقرون ذالك ، ويتبعون مايجدون فيه حياةً لإبلهم وأنعامِهم ، ومَنْأًى عن أعدائِهم ، وإذَا وُجِدَ في بلادهم التي استقروا فيها قبيل الإسلام من يمتهن شَيْئاً من الْـحِرَفِ فإنَّ نظرتهم إليه بالاحتقار لم تتغير وقد أَشَارَ ابنُ خلدون في مقدمته[1] إلى أَنَّ العربَ أَبْعَدُ الناس عن الصناعات .

---

(١) «مقدمة ابن خلدون» ٢/٤٨٦ ط الدار التونسية سنة ١٩٨٤م .

وبالإجمال فإنَّ الحضارةَ لاتقوم إلَّا على أُساسِ الْـمِهَنِ الناشئة عن الاستقرار والتحضر وقد جَاءَتِ الأَدْيانُ بالحثّ على الأخذ بها ، وهناك من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من كان ذَا حِرْفَةٍ ، فداوُد ـ عليه السلام ـ كان حَدَّاداً يصنع الدروع ، قال الله عز وجل في حقه : ﴿ وأَلَنَّا لَهُ الْـحَدِيدَ ، أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وقَدِّرْ فِـي السَّرْدِ ﴾(١).

ونوح ـ عليه السلام ـ كان نَجَّاراً ، فقد صنع السفينة بأمرِ الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ ﴾(٢).

ومحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ اشتغل بالتجارة وهي من مقومات أَعْمال الحضارة ، فأَيُّ وَصْمَةٍ لهذه القبيلة حين تُوصَفُ بأنَّ منها من يحترف الصِّنَاعَةَ ، في وَقْتٍ كان العرب يحتقرونها ، بل إنَّ هذا مِـمَّا يدل على أنها بَلَغَتْ من الوعْيِ وعُمْقِ الإدراك وسعة المعرفة ماجعلها تستفيدُ من وسائل الحياة الممكنة ، ولا تقتصر على ماورثته عن الآباءِ والأَجْدَادِ من أُمور الحياة كالبداوة وما ينشأُ عنها .

---

(١) سورة (سبإ) الآية الـ(١١) .

(٢) سورة (المؤمنون) الآية الـ(٢٧) .

خيـل باهلـة

منزلةُ الخيلِ في نفوس العرب في عهودهم القديمة كادت تسامي منزلةَ أبنائهم عندهم ، لأنهم يرونها حصوناً لهم ، يمتنعون بظهورها من أعدائهم ، ويَعُدُّونها من أقوى وسائل العزِّ التي تحمي كيانهم ، قال ابن قتيبة[1]: الخيلُ حُصون العرب ، ومَنْبتُ الْعزِّ ، وسُلَّم الـمَجْد ، وَثِمال العيال ، وبها تُدرِكُ الثَّأْرَ ، وعليها تَصيد الوحش ، وكانوا يؤثرونها على الأولاد باللَّبَن ، ويشدونها بالأفنية للطلب والْـهَرب ، وقد كَنَّى الله عنها في كتابه بالخير لما فيها من الخير ، فقال حكاية عن نبيه سليمان ﷺ : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْـخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّـي حَتَّى تَوارَتْ بِالْـحِجَابِ ﴾ . يعني الخيل . وبها كان شُغِلَ سليمانُ عن الصلاة حتى غربت الشمس ، وقال طفيل :

وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ فَمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا ... وَيَعْرِفْ لَهَا أَيَّامَهَا الْـخَيْرَ يُعْقِبِ

ولايزال العربُ يتمثلون : (الخيلُ عِـزٌّ للرجال وهيبة) ، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية مِنْ ذكر الخيل وإبرازِ محاسنها مايدل على عظم شأنها عند العرب ﴿ ومِنْ رِبَاطِ الْـخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وعَدُوَّكُمْ ﴾[2] وأقسم الله بالخيل في قوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ، فَالْـمُورِيَاتِ قَدْحاً ، فَالْـمُغِيْرَاتِ صُبْحاً ، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ﴾ فقد أقسم الله بخيل الغزاة التي تَعْدُوْ فيرتفع صوتُ أَنْفَاسها عند العَدْوِ ، وبالموريات التي حين تَضْرِبُ أَقْدامُها الأحجار تُوْرِي ناراً ، وبالمغيرات التي تُصَبِّحُ الأعداء ، وفي الأثر «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»، ويقول شاعر عامري[3]:

---

(١) «الرد على الشعوبية»: ٣٤٩ .

(٢) الآية الـ(٦٠) من سورة (الأنفال) .

(٣) «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»: ٢/٧٧ .

بَنِي عَامِرٍ إنَّ الْـخُيُولَ وِقَايَـةٌ   لأَنْفُسِكُمْ، وَالْـمَوْتُ وقْتُ مُؤَجَّلُ
أَهِيْنُوا لَهَا مـاتُكْرِمُـوْنَ وبَاشِـرُوْا   صِيَانَتَها والصَّوْنُ لِلْخَيْلِ أَجْمَلُ
مَتَى تُكْرِمُوهَا يُكْرِمِ الْـمَرْءُ نَفْسَهُ   وكُلُّ امْرِيءٍ مِنْ قَوْمِهِ حَيْثُ يَنْزِلُ

وقال عنترة بن شداد[1]:

وَيَمْنَعُنَـا مِنْ كُلِّ ثَغْـرٍ نَخَـافُـهُ   أَقَبُّ كَسِـرْحَانِ الأَبـاءَةِ ضامِـرُ
وكُـلُّ سَبُوحٍ فِي الْعِنَـانِ كَأَنَّهَا   إذَا اغْتَسَلَتْ بِالْـمَاءِ فَتْخَاءُ كَاسِرُ

فلا غَرْوَ ـ وللخيل تلك المنزلة في النفوس ـ أن تكون هذه القبيلة النابهة في الذكر في أيام المجاولةِ ، والمصاولة بين العرب في عهودهم الأولى ذاتَ عنايةٍ شديدة بها .

ولحرص العرب على انتقاء خيولهم واختيارها كانوا يحافظون على أُصولها من حيث تسلسل تلك الأصول ، كما يحافظون على أنسابهم ، ولابن الكلبي كتابه المعروف «نسب الخيل» ذكر فيه أهم أصول الخيل . ولابن الأعرابي ، وللأسود الغندجاني الأعرابي ولغيرهما المؤلفات المشهورة عن الخيل ، ولايزال هذا شأن العرب في هذا العصر من حيث المحافظة على أصالة أنساب مايقتنون من الخيل .

ولقد امتازت قبيلة باهلة بأنها كانت تملك من الخيل أَعْرَقَها أُصُولاً حتى ظهر الإسلام ، وفي خبر أَورده ابنُ الكلبي في كتاب «نسب الخيل»[2] مايشير إلى ذالك ، قال : أَخبرني بعض علماءِ أهل اليمامة أَنَّ هشام بن عبدالملك كتب إلى إبراهيم بن عَرَبـيٍّ الكناني أَنِ اطْلُبْ في أَعرابِ باهلة لعلَّك أَنْ تُصِيب لي فيهم من ولدِ الْـحَرُوْنِ شيئاً ، فإنه كان يطرقهم ، ويجب أن يبقى فيهم نسله .

---

(١) المصدر السابق : ٧٨/٢ .   (٢) ٦٩ ط المجمع العلمي العراقي .

ويظهر أَنَّ ابْنَ عَرَبِيٍّ تتبع الخيلَ المعروفة عند العرب ، فبعث بها إلى الشام ، كما تدل على ذالك الأخبار المتعلقة بالخيل في العهد الأموي .

وقد كان لإبراهيم بن عربي من الصولة وقوة النفوذ في نَجْد حين ولي اليمامة ماهو معروف إذْ كان يترسم سياسة الحجاج بالشدة والصرامة في حكمه ، وهو الذي أنشأ السجن المعروف (دَوّار) الذي طالما جأر منه من سجن فيه[1].

ولاشك أنه كان من أَثَر اقتناء باهلة للخيل الأصيلة أَنْ تمكنت من معرفة السِّمات التي تتسم بها الفرس الأصيلة دون غيرها ، ولعل في هذه القصة الطريفة مايبرز جانباً من جوانب معرفة قبيلة باهلة بشؤون الخيل وأحوالها : قال أُبو هلال العسكري في كتاب «الأوائل»[2]: بعث عُمَرُ سَلْمَانَ بْنَ ربيعة على جيش ، وسار معه عَمْرُو بنُ مَعْدِ يْكَرِبَ وطَلْحَةُ الأسدي ، فلقوا العَدُوَّ فهزموه ، وأصابوا غنائم كثيرة ، فلما قفل قسمها ، وأمر أن تعرض عليه الخيل ، فكان يسهمها ولا يُسْهِم إلا لكل عتيق ، فمر به فرسٌ لِعَمْرٍو فيه غلظ ، فقال سلمان : إنه لهجين ، وما أُريد أن اسهمه ، فغضب عَمْرٌو وقال : أَجَلْ مايعرف الهجينَ إلا الهجين !! ، فقال إليه الأَشْتَرُ وكان من رهطه فقال : ياعَمْرُو مانراك إلَّا سلبت الماء الذي نكون عليه بالبادية ، أما تعلم أن هذا الإسلام وأَنَّ أَمْرَ الجاهلية قد اضمحل ، أما لَوْ أُمِرْنَا بِكَ لأَخَذْنَاك له . فقال عَمْرُو : ماعرفتُ الذُّلَّ قبل اليوم ، وبلغ أمرهما عمر فكتب إلى سَلمان : أما بعد : فلقد بلغني صنيعك بِعَمْرٍو ، وأنك لم تحسن بذالك ، ولم تُجْمِلْ فيه ، فإذا كنت بمثل مكانك من دار الحرب فانظر عَمْراً وطَلْحَةَ وقَرِّبْهُما منك ،

---

(١) انظر «العرب» س ١١ ص ٧٣ وس ٢٣ ص ٨٢٢ .
(٢) ٢/ ٤٤ .

واسمع منهما ، فإن لهما بالحرب عِلْماً وتجربة ، وإذا وصلت إلى دار السَّلْم فأنْزِلْهُمَا منزلتهما التي أَنْزَلَا أنفسهما بها ، وقَرِّب أهلَ الفقه والقرآن . وكتب إلى عَمْرٍو : أما بعد فَقَدْ بلغني إفحامك لأميرك وشَتْمك له ، وإن لك سَيْفاً تُسَمِّيْه الصَّمْصَامَة ، وإنَّ لِي سيفاً أُسَمِّيْهِ الْـمُصَمِّمَ ، وإنِّي أَحلف بالله لو قد وضعتُه على هامتك لَا أَرْفَعُهُ حتى أَقُدُّكَ به .

فلما جاءه الكتاب قال : والله إنْ هَمَّ لَيَفْعَلَنَّ . انتهى .

وسلمان بن ربيعة الباهلي هو سلمان الخيل ، كان أبصر الناس بعتق دابة ، وأبصرهم بإقراف وهجنة كما قال الجاحظ[1] . ومن علماء الخيل من باهلة شبيب ابن جحل - وسيأتي ذكره في الشعراء - .

بعض أسماء خيل باهلة

ومن أشهر ماعُرِف لباهلة من الخيل :

١ ـ الأشقـــــــــر[2]:

فرسُ قتيبة بن مسلم ، وكان الحجاج كتب إلى قتيبة : إنه قد اجتمعت جياد العرب بخراسان ، فاكتب إلى أَهْل الْكُوَرِ ومُرْهُمْ بإجراء الخيل ، وابعثْ إليَّ بسوابقها ، ففعل ، فبعث إليه قتيبة بالأشقر والرؤاسي وهما ابنا الـحُمَيْراء لبطنها ، فجاءت بهما رسلُهُ ، فعرض لهما أشكابُ اللِّصُّ بجوخى ، فسرق الأشقر ، فذهب به وجاؤا بالرؤاسي إلى الحجاج ، فبعث به الحجاج إلى عبدالملك ، فاستوهبه منه بشر بن مروان أخوه ، فوهبه له ، فكانت خيل عبدالملك بن بشر من بنات الرؤاسي ، فكانت سوابق الخيل بالعراق .

وكان يوسف بن عمر يجري الخيلَ فسبقه عبدُالملك بن بِشْرٍ ببنات

---

(١) الجاحظ في كتاب «البرصان والعرجان» - ٣٣١ - تحقيق عبدالسلام هارون .
(٢) «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» ٢/١٠٦ .

الرؤاسي ، وقيل ليوسف بن عمر : ألا تجري الخيل ؟ فقال : ألا أتغنى وأبعث بالسبق إلى عبدالملك ، فلم تزل عند عبدالملك بن بشر ، فحمل بعضهن على بعض فرقهن وقادهن عبدالملك بعد إلى بنات الذائد بالشام ، فسبقتها الذائدية ، فما قصبت الرؤاسية مع الذائدية ، وذالك لأنهن رقتن وضعفن .

وكانت الذائِدية أغلظَ منها وأقوى ، فاعترتها بقوتها ، قال أبو يحيى : وإنما سمي الرؤاسي لأن رجلاً من بني سُلَيْمٍ يقال له عبدالملك رؤاس ، استوهب مافي بطن الـحُمَيراء من مَعْقِلِ بن عروة فوهبه له ، فلما وضعته أَعْجَبَ مَعقِلَ ابن عروة ، فقال لعبدالملك رؤاس : دعه العام وأهب لك ماشئت . فأبى ، فقال معقل : إذا لا أُلَبِّنُه لك . قال : هاتِه ، فأخذه واشترى له برذونة حين وضعت فألْبَاهُ منها ثم صنعه حتى أجذع فأرسله فلم يَصنَعْ شيئاً ، ثم أثْنَى ، فأرسله فلم يصنع شيئاً فأعاره رجلاً من دَهَاقِينِ أهلِ خُرَاسان ، فابتذله الدهقان حتى أربع ، فانتسب الفرس بعدما ابْتُذِلَ ، فكان سابقاً مُبِرًّا ـ انتسب أي رجع إلى نسبه وعرقه ـ .

وقال أبو يحيى : كانت الـحُميراء لمعقل بن عروة ، وكانت سابقةً وبناتها سوابق ، وكان معقل بصيراً بالخيل ، وكان إذا أُجْرِيَتِ الخيلُ استدبرها فأيُّها كان أدنى سنبكا من الأرض سبقه عليها .

٢ ــ أعــــــوج :

فرس عَدِيّ بن أيوب بن شبيب العليمي(١).

٣ ــ الجمـــــوح :

لمسلم بن عمرو الباهلي ، قال فيه القائل(٢):

نَحْنُ سَبَقْنَــا حَلْبَــةَ الْعِــرَاقِ عَـلَى الْـجَمُـوحِ وعَـلَى الْعَنَـاقِ

(١) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي: ٦٧ .

(٢) المصدر السابق : ٦٦ و«التكملة» ٢/ ٢٧ .

٤ ــ الْحَـــــرُون :

قال ابن الكلبي[1]: فرسُ عَمْرٍو بن مسلم الباهلي ، اشتراه من رجل من بني هلال ، من نتاجهم ، وهو الـحَرُوْن بن الْـخُزَزِ بنِ الْـوَثِيمِـيِّ بن أَعْوَجَ ، وكان الْوَثِيْمِـيُّ والْـخُزَزُ جميعاً لبني هلال ، وكانوا يزعمون أنهما كانا أجودَ من أعوج جميعاً .

وكان مسلمُ تزايدَ هو والمهلَّبُ بنُ أبي صُفْرَة على الحرون حتى بلغا به ألف دينار ، وكان مسلم أبصرَ الناس بفرسٍ وصنعة له ، إنما كان يلقب السائِسَ من بصره بالخيل لها ، فلما بلغ صقلاه وهما خاصرتاه ، وكان صاحبه يَبْرَأُ من حِرَانِهِ ، فضن عنه المهلب ، وقال : فرس حَرُوْنٌ مُخْطِفٌ بأَلْف دينار ؟ قيل له : إنه ابن أعوج ، قال : لو كان أعوج نفسه على هذه الحال ماسَاوَى هذا الثمن . فاشتراه مسلم ثم أمر به فَعُطِّشَ عطَشاً شديداً ، وأمر بالماء فَبُرِّدَ ، حتى إذا جهده العطش قرب إليه الماء البارد العذْب ، فشرب الفرس حتى حَبَّبَ وامتلأ . ثم أمر رجلاً فركبه ثم ركضه حتى ملأ رَبْواً فرجعت خاصرته ، ثم أمر به فَصُنِعَ فسبق الناسَ دهراً لا يتعلق به فرس ، ثم افتحله فلم ينجل إلا سابقاً ، وليس في الأرض جوادٌ من لدن زمن يزيد بن معاوية ينسب إلا إلى الحرون .

وكان مسلم قد رأى فيما يرى النائم أنه يخرج من إحليله طائر يطير ، فأرسل إلى محمد بن سِيرِيْنَ فاستعبره ، فقال : إنْ صدقْت رؤياك لتنتجن خيلاً جياداً لايتعلق بها . فنتج البطين والبطان بن البطين ، لم يُرَ مِثْلُهُمَا قط ، والقتادي ، وكانت ترسل الخيل فيجيء السابق لمسلم بن عَمْرٍو ، والمصلي الثاني ، ثم توالى له عشرون فرساً معاً ليس لأحد فيها شيء ، فقال بعض الشعراء لما رأى (ما) عليه مسلم بن عَمْرٍو من السابق :

---

(١) «نسب الخيل» ط المجمع العلمي العراقي : ٦٥ .

إِذَا مَـاقُـرَيْشٌ حَـوَى مُلْكُهَـا فَـإِنَّ الْـخِـلاَفَـةَ فِـيْ بَـاهِلَهْ
لِـرَبِّ الْـحَرُوْنِ أَبِـيْ صَـالِـحٍ وَمَـا تِلْكَ بـالسُّنَّـةِ الْعَـادِلَـهْ

فلما مات مسلم وورد الحجاج أخذ البطين من قتيبة بن مسلم ، فبعث به إلى عبدالملك بن مروان ، فوهبه عبدالملك لابنه الوليد ، فسبق الناس عليه ، ثم استفحله فهو أبو (الذائد) والذائد أبو أشقر مروان .

وحدث أبو عُبَيدة قال : سبق الناس قتيبةُ بن مسلم بخراسان وخيل العرب من أهل الشام متوافرة بخراسان ، فتوالى لقتيبة ثمانية عشر فرساً ، وجاءَتْ أمامها (جَلْوَى) فرسٌ كانت لعبد الرحمن بن مسلم ، وهي بنت الحرون لصلبه ، فقال في ذالك فَضَالَةُ بن عبدالله الْغَنَوِيُّ :

خَـرَجَتْ سَوَاسِيَـةً مَعاً وأَمَـامَهَا جَلْوَى تَطِيْرُ كَمَا يَـطِيْرُ الشَّوْذَقُ
فَلَمَحْتُ أَنْـظُرُهَـا فَـمَا أَبْصَرْتهـا مِمَّـا تَرفَّـعُ في السَّرَابِ وتَغْرَقُ

ومن ولد الحرون : مُنَاهِب ، وكان لبني يربوع ، والضَّيْف ، وكان لبني تغلب ، قال الشمردل اليربوعي :

تَلْقَى الْـجِيَـادَ الْـمُقْرَبَـاتِ فِيْنَا
لأَفْـحُـلٍ ثَـلاَثَـةٍ يـنْـمِيْـنَـا
مُنَـاهِبـاً وَالضَّيْفَ والْـحَـرُوْنَـا

وأضاف ابن الكلبي قائلاً(١) : أخبرني بعض علماءِ أهل اليمامة أن هشام بن عبدالملك كتب إلى إبراهيم بن عَرَبِـيٍّ الكناني أَنِ اطلب في أعراب باهلة لعلك أن تصيب لي فيهم من ولد الحرون شيئاً ، فإنه كان يطرقهم ويجب أن يبقى فيهم نسله . فبعث إلى مشايخهم فسألهم ، فقالوا : مانعلم شيئاً غير فرس عند الحكم بن عرعرة النُّمَيْري ، يقال له : (الحموم) ، فبعث إليه فَجِـيْءَ بها ،

(١) «نسب الخيل» ط المجمع العلمي العراقي ٦٩ ومابعدها .

وجاء رجل من بني سعد بفرس أشقر أقرح ، من ولد (لاحق) ، فلما نظر إليه الحكم بن عرعرة ، ويقال : إنه كان أَبْصرَ الناس بفرس ، فقال : ماله قاتله الله ، إنْ سبقنا شيءٌ فهذا خليق ، وكل يحاكها عشر غلاء ويتقدمها ، ثم تغضب وتدركها عروق كرام ، فسبقه ، فلما أُرسلت الخيل صدر الأشقر السعدي عليها ، وانقطعا من الخيل ، فرجز السعدي فأنشأ يقول :

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً فِي دَارِهَا أَرْوَعَ يَطْوِي الْخَيْلَ مِنْ أَقْطَارِهَا
يُغَادِرُ الْخَيْلَ عَلَى انْبِهَارِهَا مَقْورَّةً تَعْثُرُ فِي غِبَارِهَا

قال : فوالله لكأنها فهمت رجزه ، فَصَرَّتْ أُذُنَيْهَا ثم اعتمدت في اللجام ، فبدرت بين أيديها ، فجاءت كأنها كُشَابُ أَعْسَرَ ، والكُشَابُ مثل المِعْرَاض ، فنهض النُّمَيْرِيُّ يرتجز :

مَا إِنْ صَبَحْتَ عَامِراً فِي دَارِهَا إِلَّا جِلَالاً كُنْتَ مِنْ مُيَّارِهَا
مُنْخَرِق الْمِئْزَرِ مِنْ تَجْرَارِهَا قَدْ تَرَكَتْ عَوْدَكَ فِي غُبَارِهَا
خَيْفَانَة لَا يُصْطَلى بِنَارِهَا تَحْمِي بَنَاتَ أُمِّهَا مِنْ عَارِهَا

قال : فكلمه فيها إبراهيم بن عَرَبِيٍّ ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب إليَّ أن أُصيب له فرساً من نسل الحرون ، قد جَلَّتْ عن نفسها بالسبق ، فخذ مني ثمنها . فقال الحكم : إنَّ لها صحبة وحقًّا ، وهي عندي نفيسة ، ما تطيب نفسي عنها ، ولكن أَهَبُ لأمير المؤمنين ابناً لها سبق الناس عاماً أول ، وإنَّهُ لرابض . قال : فضحك القوم . فقال : ما يضحككم ؟ أَرْسَلْتُ أُمَّهُ عاماً أَوَّلَ بِجَوٍّ في حلبة ربيعة ، وإنها لعقوق به ، قد ربض في بطنها ، فسبقت ، فبعث به إلى هشام ، فسبق الناس عليه ، وما اتغر .

وقال القالي[1]: حدثنا أبو بكر عن الأصمعي ، قال : كان الحرون من خيل العرب ، حدثني رجل من أهل الشام قال : كان مع مسلم بالرَّيِّ ، ثم جاء فشهد معه وقعة إبراهيم ، قال : حدثني بهذا النسب مسلم ، قال : الحرون ابن الأَثَاثي بن الْـخُزَزِ بن ذي الصُّوْفَةِ بن أَعْوَجَ ، فرس مسلم بن عمرو الباهلي في الإسلام ، وكان مسلم اشتراه من أعرابي بالبصرة بألف درهم ، معاوضة بمتاع ، وذكر أنه كان في عنقه رَسَنٌ حين أدخله الأعرابي يطير عفاؤه ، فسبق الناس عليه عشرين سنة ، وكان يسبق الخيلَ ثم يحرن حتى تلحقه الخيل ، فإذا لحقته سبقها ثم حرن ثم سبقها ، وكان الحجاج قد بعث بابنٍ له يقال له : (البِطَان) إلى الوليد بن عبدالملك ، فصيره لمحمد ابنه ، وولد البطانُ الْـبَطِينَ ، وولد البطينُ الذَّائِدَ ، وكان هشام بن عبدالملك يشتهي أن يسبق الذائدُ ، فأتوه بفرس بَرْبَرِيٍّ يقال له (المكانب) بعدما حطم الذائد ، وسبق أيضاً عشرين سنة ، قال : فضمه إليه فكان سائسه يقول : جَهَدَ المكانِبُ الذَّائِدَ ، جهده الله ، أي في الْـجَرْي وهو متفسح ، قال : فجاء معه يتقدمه بشيء ، والذائد ابن البطين ، وأشقر مروان من نسل الذائد .

قال الأصمعي : كان عبدالله بن علي قدم بأَشْقَرِ مروان البصرة ، قال : فرأيته أَشْقَرَ أَعْوَر ، من نسل الذائِد ، قال : وحدثني جعفر بن سليمان قال : كان لا يدخل على الذائد سائِسُهُ حتى يَأْذَنَ يحرك له مخلاةً فيها شعير ، فإن تحمحم دخل عليه ، وإن هو دخل قبل أَنْ يفعل ذالك شدَّ عليه ، وكذا كان يصنع بالفرس إذا جرى معه يكدمه .

قال الأصمعيُّ : الْوَجِيْهُ ولاحِقٌ والْغُرَابُ وَسَبَلُ وهي أُمُّ أَعْوَجَ كانت

---

(١) «النوادر ـ ذيل الأمالي»: ١٨٤/١٨٥ ط دار الكتب .

لغني ، وأَعْوَجُ كان لبني آكلِ الْـمُرَارِ ، ثم صار لبني هلال بن عامر ، وَجِرْوَةُ فرسُ شدَّاد بن عَمْرٍو ، أبي عنترة بن شداد ، وَميَّاسُ وهَدَّاجُ لباهلة لبني أَعْيَا ، قالت الحارثية :

شَقِيْقٌ وَحَـرْمِـيٌّ هَرَاقَـا دِمَاءَنَـا   وَفَارِسُ هَدَّاجٍ أَشَابَ النَّوَاصِيَا

وقد انتشر نَسْلُ الْـحَرُوْنِ بَيْنَ الْعَرب فكان مِنْ نَسْلِهِ[1]:

البطان لمحمد بن الوليد بن عبدالملك .

والبطين بن البطان للوليد بن عبدالملك .

والحليل لرجل من حِمْيَر .

وحَمِيل لبني عِجْل .

وذُو الْـمَوْتَة لبني سلول ، وكان يأخذه شِبْهُ الجنون في بعض الأوقات .

والزليف .

والصاحب لغني .

والضيف لتغلب .

والعصفوري لمحمد بن يوسف أخي الحجاج .

وغطيف لعبد العزيز بن حاتم الباهلي .

والقدح لغني .

ومناهب لبني يربوع .

واليحمون لهشام بن عبدالملك[2].

---

(١) انظر عن هذه الخيل كتاب «خيل العرب وفرسانها» للأسود الغندجاني وكتاب «العمدة» لابن رشيق : ٢٣٦/٢ .   (٢) «أسماء خيل العرب» للغندجاني : ٢٧٠ .

٥ ـ الحرون أيضاً :

اسم فرس عقبة بن مدلج العليمي الباهلي على ماذكر ابن الأعرابي(١).

٦ ـ خَصَاف :

لسُمَيْر بن ربيعة بن خلف بن مرة بن صحب الباهلي ، ويسمى فارس خصاف ، ويضرب به المثل فيقال : أَجْرَأُ من فارس خِصَاف ، قال بعْضُ الشعراء(٢):

إذَا وَجَّهَ الدَّهْرُ السِّهَامَ إِلَى امْرِيءٍ　　أَصَابَ وَلَمْ يُخْطِيءْ وَيَمَّمَ قَاصِدَا
وَرَبُّ خَصَافٍ قَدْ أَصَابَتْ سِهَامُهُ　　وَأَيُّ امْرِيءٍ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ خَالِدَا

وقال آخر :

أو مثل رب خصاف حين يحمله　　على الكماة يقد الهام والقصرا

وقال الميداني في «مجمع الأمثال»(٣): أَجْرَأُ مِنْ خَاصِي خَصَافِ .

فإنه رجل من باهلة ، وكان له فرس اسمه أيضاً خَصَاف ، فَطلبه بعض الملوك للفِحْلَة فخصاه .

قال أبو الندى : هو حَمْلُ بن يزيد بن ذُهْل بن ثعلبة ، خَصىَ خَصَاف بحضرة ذالك الملك ، وفيه يقول الشاعر :

تالله لو ألقى خصاف عَشِيَّة　　لكنت على الأملاك فارس أشأما

أي فارس شؤم .

(١) «نسب الخيل» لابن الكلبي ٦٧ ط دلافيدا .
(٢) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي ٥٠ والأسود الغندجاني : ٨٩ .
(٣) ٣٢٥/١ .

٧ ــ الرَّقْعَـــــاء :

فَرَسُ عَمْرِو بن عامر بن مَعْبَدٍ الباهلي ، قتله بنو عامر ، وله يقول زَيْدُ الْـخَيْلِ :

وأَنْـزِلَ فَارِسُ الـرَّقْعَـاءِ كُـرْهـاً بِذِيْ شُطَبٍ يُحَـادَثُ بِالصِّقَـالِ

والرقعاء أخت خصاف[1].

٨ ــ السِّرْحَـــــان :

فرس سالم بن أَرطاة العُلَيْمي[2].

٩ ــ الصَّبْحَـــاء :

لرجل من باهلة يقال له : كلدة[3].

١٠ ــ الْعَنَـــاقُ :

فرس لمسلم بن عَمْرٍو الباهلي[4].

١١ ــ غُطَيْـــفُ :

من وَلَدِ الْـحَرُوْنِ ، فرسٌ لعبد العزيز بن حاتِـمٍ الباهلي[5].

١٢ ــ غُطَيْـف أيضـاً :

فرس للنعمان بن عمرو الباهلي[6].

---

(١) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي: ١١١ .
(٢) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي ٦٧ .
(٣) «أسماء خيل العرب»: ١٤٨ و«التكملة» للصاغاني : ٥٧/٢ .
(٤) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي : ١٧٥ .
(٥) «الخيل» لابن الكلبي ٦٨ ط المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٦هـ و«أسماء خيل العرب» للأسود الغندجاني ١٨٦ .
(٦) المصدر الأخير : ١٨٨ .

١٣ ــ الكُمَيْت :

فرس دَيْسَمَ بنِ رُوْمـيٍّ الباهلي ، ذكره ابن الأعرابي[١]، وفيه يقول ديسم لِعُمَيْرِ بن الْـحُبَاب :

فَــأَدْرَكَـهُ الْـكُمَـيْتُ بِشَمَّــرِيٍّ   مِنَ ٱلأَبْـطَالِ مِغْـوَارٍ نَجِيْـبِ

والشَّمَّرِيُّ : الـمُشَمِّرُ . الـمِغْوار : من الغارة . النجيب : الكريم .

١٥ ــ الْـمُعَلَّـى :

فرسُ عقبة بن مدْلِجٍ العُلَيْمي[٢].

١٥ ــ مَنْدُوب[٣]:

لمسلم بن ربيعة الباهلي ، وقف عليه بدمشق مُجَلَّلا مُبَرقَعاً ، فقال : سَابِقٌ ، فابتاعه ، وصنعه فأَجراه ، فلم يَصْنع شيئاً ، فباعه ، ووقف عليه مرة أخرى ، فقال : سابِقٌ ، فابتاعه ، ثم صنعه فأجراه فلم يصنع شيئاً ، فباعه ، واشتراه الثالثة فصنعه فسبق عليه أهل دمشق ، فقال :

نَـظَرْتُ وَمَنْدُوْبٌ عَلَيْـهِ جِلاَلُـهُ   أَمَامَ رِعَالِ الْـخَيْلِ مستتلا يَعْدُو
فَقُلْتُ: جَوَادٌ أَوْ صَبُوْرٌ مُلاَزِمٌ   عَلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى إِذَا بَلَغَ الْـجَهْدُ
فَمَا خَانَنِـي لُبِّـيْ لَدُنْ أَنْ وَزَنْتُهُ   وَبِالْبَابِ أَقْوَامٌ، وَلاَ بَصَرِيْ بَعْدُ

١٧ ــ مَيَّـاس :

لشقيق بن جَزْءٍ الباهليّ ، أَحد بني قتيبة ، قال فيه ابنُ أَحْمَر :

(١) «أنساب خيل العرب» لابن الأعرابي : ٥٠ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) «أسماء خيل العرب» للأسود الغندجاني : ٢٢٦ .

مُنىً لَكَ أَنْ تَلْقَى ابْنَ هِنْدٍ مَنِيَّةٌ وَفَـارِسَ مَيَّـاسٍ إِذَا مَـا تَلَبَّبَـا
وَجَحْلاً أَبَا عَمْرٍو وَقُرَّةَ ذَا النَّدَى وَزَهْراً وَغَلَّاقـاً ويَالَـكَ مَقْنَبَا[1]

١٨ ـ ميـــاس أيضـــاً :

فرس شَقِيْقِ بْنِ جَزْءٍ[2]، وفيه قال الشاعر :

عَرانِيْنُ مِنْ عَبْدِ بْنِ غَنْمٍ أَبُوهُمُ هِجَانٌ، فَسَامَى فِي الْهِجَانِ وَأَنْجَبَا
فَوَارِسُ سُلَّى يَوْمَ سُلَّى وَسَاجِرٍ وفَـارِسُ مَيَّـاسٍ إِذَا مَـا تَلَبَّبَـا

وقال ابن الكلبي في «نسب الخيل»[3]: ميَّاسُ فرس شقيق بن جزء الباهلي وعليها قَتَلَ ابْنَ عَاهَانَ في يوم أَرْمَامٍ ، وفيه يقول الأَعْشَى :

وَأَعْـرَضَ مَيَّـاسٌ يَؤُمُّ بِفَـارِسٍ لَيَالِـيَ لَا يَنْفَكُّ يَرْأَسُ مِقْنَبَا[4]

وأورد ابن الكلبي في الكلام على هدَّاج : فرس الرَّيب بن الشريق السعدي ، وله يقول في يوم أرمام :

شَقِيْقُ بْنُ جَزْءٍ مَنْ هَرَاقَ دِمَاءَنَا وَفَارِسُ هَدَّاجٍ أَصَابَ النَّوَاصِيَا

١٩ ـ الْـــوَرْدُ[5]:

فرسُ حاتِـم بْنِ النعمان الباهلي .

---

(١) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي: ٢٢٨ .
(٢) المصدر السابق : ٤٩ .
(٣) ٢٨ ط دلافيدا .
(٤) «النوادر» للقالي : ١٨٤ .
(٥) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي : ٦٧ .

٢٠ ـ الـــــوزن :

فرس شبيب بن دَيْسم ، عند ابن الأعرابي[١].

٢١ ـ هـــــدّاج :

فرس ربيعة بن مُدْلج الباهلي ، أحد بني صَحْبٍ ، ويسمى فارس هَدَّاج ، وهو الذي ذكره الحارثي في وقعة أرمام فقال :

شَقِيْقٌ وَحَــرِّيٌّ أَرَاقَـا دِمَــاءَنَـا وَفَارِسُ هُدَّاجٍ أَشَابَ النَّوَاصِيَا

كذا ذكر ابن الأعرابي والأسود الغندجاني[٢]، ونقل صاحب «لسان العرب»[٣]: وهداج اسم فرس كان لباهلة ، وأنشد الأصمعي للحارثية تَرْثي من قتل من قومها في يوم كان لباهلة على بني الحارث ومراد وخثعم :

شَقِيْقٌ وَحَـرْمِـيٌّ أَرَاقَـا دِمَــاءَنَـا وَفَارِسُ هَدَّاجٍ أَشَابَ النَّواصِيَا

أرادت بشقيق وحَرْمي : شقيق بن جزء بن رياح الباهلي ، وحرمي بن ضمرة النهشلي .

(١) «أسماء خيل العرب»: ٦٧ و«المخصص» ٢/١٩٦ .
(٢) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي : ٤٩ وللأسود الغندجاني : ٢٦٤ .
(٣) رسم (هدج) .

عراقـــة حســـب :

١ ـ تمهيـــد

عرف الحسبُ قبل الإسلام بما يَعُدُّهُ الإنسانُ من مْفَاخِرِ آبائه وأعمالهم الطيبة التي اتصفوا بها ، كالشجاعة والكرم والنجدة وحماية الذِّمَار ، وسمي (حسبا) لأن الـمُفَاخِرَ كان يُعَدِّدُ تلك المآثر ويحسبها[1].

ثم تُوُسِّعَ في إطلاق الكلمة فشملت جميع الخصالَ الكريمة كالدين والتقوى وكل فعل حسن ، ولهذا ورد في الأثر : «كَرَمُ المرء دِيْنُه ، وحَسَبُهُ خلقه»، فكمال الإنسان بحسبه أي بما يتصف به من الأخلاق الفاضلة ، لا بما يُنْسَبُ إلى آبائه من تلك الأخلاق ، كما قال المتلمس :

مَنْ كَانَ ذَا نَسَبٍ كَرِيـمٍ ولَـمْ يَكُنْ   لَهُ حَسَبٌ، كَانَ اللَّئِيْـمَ الْـمُذَمَّـمَا

وقبيلة باهلة في عهدها الجاهلي لم تكن بِأَقلَّ من غيرها من قبائل العرب من المآثر الحسنة ، والأفعال الحميدة وغير ذالك مما يعد حَسَبا ، فقد حافظت على كيانها ، وحَمَتْ بلادَها ، ودافعتْ عن جيرانها ، وهَبَّتْ إلى نجدَةٍ من تربطها به صلة القرابة ، إلَّا أن كثيراً من مآثر العرب في الجاهلية مَّما لم يَتَصَدَّ العلماءُ لتدوينه ، وما وصل إلينا منه يُعَدُّ نَزْراً يسيراً ، ومن ذالك ما اتصفت به هذه القبيلة الكريمة ، وحسبُ المرءِ الاكتفاءُ بِإشاراتٍ موجزة وردت في كتب المتقدمين .

---

(١) «لسان العرب» و«تاج العروس» رسم : حسب .

٢ - موقف الإسلام من أمور الجاهلية

من غايات الإسلام الأساسية تقوية الروابط بين المسلمين ، والقضاءُ على جميع الأُمور التي قد تسبب شيئاً من الفرقة أو الاختلاف أو تُثير عداوةً أَوْ حِقْداً ، ولهذا فقد قضى على جميع أحوال الجاهلية التي لا تتلاءَم مع تعاليمه ، كما جاء بإزالة كل ماكان مثيراً للأحقاد والضغائن القديمة ، التي كانت سائدة بين العرب إبَّانَ اختلافهم وتفرقهم ، واشتعال نيران الحروب بينهم ، وإزالة العصبية والنَّخْوَةِ الجاهلية من نفوسهم ، كما في الأثر الشريف : «إنَّ الله قد أذْهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفَخْرَها بالْآباءِ ، إنَّما هو مؤمن تقي ، أو فاجر شقي» .

ومع ذالك فقد راعى الإشادة بما عليه الأقدمون من محاسن الأَخلاق ، فجاء في الأثر : «خِيارکم في الجاهلية خيارکم في الإسلام إذا فَقُهُوا » أي فقهوا أمور دينهم . «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» .

من هنا فإن كثيراً من أَحوال العرب في جاهليتهم أصبح مجهولاً ، إذْ لم يصل إلى الباحثين منه سوى ماله صلة باللغة العربية ، إذ هي وسيلة فهم القرآن الكريم ، وكذا ما يتصل بإيضاح بعض الأمور التي وردت في كلام الله عز وجل أو كلام رسوله عليه الصلاة والسلام .

ومما دون من أخبار العرب في جاهليتهم بعض مايتعلق بأيام العرب في الجاهلية مما له ارتباطٌ بالشعر الجاهلي الذي نقله العلماءُ للاستعانة به على فهم اللغة العربية .

وهناك من العلماء من حاول أن يُدَوِّن كلَّ ماوصل إليه من علوم أهل الجاهلية كهشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ تقريباً في كتبه «جمهرة النسب» و«النسب الكبير» و«الأصنام» و«الخيل» وغيرها من المؤلفات الكثيرة التي لم يصل إلينا منها سوى الكتب التي مَرَّ ذكرها ، وكذا بعض معاصريه لهم مؤلفات في الموضوع ، ولكن لم يعثر الباحثون على أكثرها .

وحَرِصَ متقدِّمُو العلماءِ على تدوين الشعر باعتباره ديوان العرب ، وسِجِلَّ مآثرهم ومفاخرهم ، وخاصة ماجاء الإسلام مُؤَيِّداً له ، غير أن ما يحويه ذالك الشعر من أخبار العرب في جاهليتهم لا يُمِدُّ الباحثَ بتفصيل وافٍ ، وإنما بلمحات موجزة عن تلك الأمور .

لهذا فليس في مستطاع المعنيِّ بدراسة أحوال العرب التوسع في ذالك ، عن عهد ماقبل الإسلام ، وقبيلة باهلة كغيرها من القبائل الأخرى ، واللمحات الموجزة التي حفظها لنا التاريخ عن هذه القبيلة تبرزها بصورة مُشَرِّفة في جميع ماكان يتحلَّى به العرب الأقدمون من محاسن الشِّيَمِ ، وماكانوا يعتزُّون بها من سماحة ونجدة ، وشجاعة وحماية ذِمَار ، ورعاية حقوق جار ، وإغاثة ملهوف ، وغير ذالك من الصفات الحميدة . ولهذا فإنها تعد بين قبائل العرب بما لا ينزل بها عن مستوى القبائل الأخرى .

وهاهو ما أُمكن العثور عليه مما يتعلق بأحوال هذه القبيلة في جاهليتها من لمحاتٍ وإشارات هي وإن لم توضح معالِـمَ الطريق لما كانت تتصف به من صفات الكرم والوفاء والنُّبْلِ ، إلا أنها قد تضع صُوًى لمن أراد أن يتابع السير في هذا الميدان .

٣ ـ باهِلة في العهد الجاهلي

كان ابنا يعصر (أعصر) بن سعد بن قيس عيلان وهما غَنِيٌّ وباهلة قبيلةً واحدةً تجمعها دارٌ واحدة ، ثم لما أَثْرَتِ القبيلةُ وكثرت فروعها واتسعت بلادها ، افترقت إلى قبيلتين ، غني وباهلة ، ولكن افتراقهما هذا لم يؤثر فيما بينهما من تَآخٍ وتناصرٍ وتعاوُنٍ ، بحيث كانت كلمتهما واحدة ، وعدوهما واحد ، وكان أعداؤهما يطلقون على القبيلتين اسم (ابني دخان) كما في أهاجي الفرزدق والأخطل لهما ، وكانتا معروفتين بـ (آل يَعْصُرُ) كما في قول جرير[1] :

وَحَيَّـيْ آلِ يَعْصُرَ قَـدْ بَلَوْتُمْ فَلاَ كُشُفُ اللِّقَاءِ وَلاَ الْـجَنَانِ

ويظهر أَنَّ قبيلة غَنِيٍّ كانت أثرى عدداً ، وأَنْبَه ذكراً ، ولهذا فإنَّ جُلَّ ماينسب إلى القبيلتين من الحوادث التي وقعت في العهد الجاهلي كان يكتفى فيه بذكر قبيلة غني ، ولكون باهلة كانت تشارك أُخْتَهَا غَنِيًّا في حروبها فقد خفيت كثير من أخبار قبيلة باهلة ، وخاصة في الوقائع التي تعرف باسم أيام العرب ، ومن أمثلة ذالك ما وقع بين القبيلتين وقبيلة طَيِّءٍ من عِراك في العهد الجاهلي ، ولولا أَنَّ الشعر القديم أَشَار إلى مشاركة باهلة أختها غنيًّا في تلك الحروب ، لما عرف ذالك .

وسَأُحَاوِلُ إبرازَ جوانب مما قامت به هذه القبيلة في العهد الجاهلي من مصاولة بعض القبائل ومحاربتها مما يدل على ما تتصف به من شجاعة وإقدام .

ومن المعروف بداهةً أن التئام القبائل في العهود القديمة كان على أساس التقارب في النسب ، ولا يحدُثُ تباعدٌ بين قبيلتين متقاربتي النسب إلاّ لأسباب

(١) «ديوان جرير» .

عارضة كما قال الجاحظ[1]: إن تباغض الأقرباء عارض دَخِيل ، وتَحَابُّهُمْ واطِدٌ أصيل ، والسلامة من ذالك أعم ، والتناصر أظهر ، والتصادق في المودة أكثر ، فلذالك القبيلة تنزل معاً ، وتحارب من ناوأها معاً ، إلَّا الشاذ النادر ، كخروج غني وباهلة من غطفان ، وكنزول عَبْسٍ في بني عامر ، وما أشبه ذالك . انتهى .

لقد كانت قبيلةُ باهلة مع غطفان التي يجمعها بها قيس عيلان ، ثم انفصلت عنها لسبب نجهله ، ويظهر أن صلتها بقيت في القبيلة الأم قيس عيلان ، لأننا نجدها قد شاركت في يوم جَبَلَةَ مُنْضَمَّةً هي وغَـنِـي إلى بني عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن قيس عيلان ، بينما بعض إخوتها من غطفان مع بني تَمِيْـمٍ ضِدَّ بني عامر ، وذالك أَنَّ لقيط بن زُرَارة ـ سَيِّدَ تميم ـ لما انقضتْ وقعةُ رَحْرَحَان التي هَزَمَتْ فيها بنو عامر بني تميم ـ وبين يوم رَحْرَحَانَ ويومِ جَبَلَةَ سَنَةٌ ، ويومُ جَبَلَةَ قبل الإسلام بأربعين سنة ، وكانت بنو عبسٍ يومئذ في بني عامر حلفاء ، فَاستَعْدَى لقيطُ بَنِـي ذُبْيَانَ لعدواتهم لِعَبْسٍ من أجل حَرْب دَاحِس ، فأجابته غطفان كلها ـ غير بني بدر ـ وكان مع بني عامر بنو عَبْس وغني ، وباهلة ، وكان رهطُ مُعَقِّرٍ الْبارِقِـيِّ يومئذ في بني نُمَيْرِ بن عامر ، وكانت قبائل بَجِيلة كلهم فيهم غير قَسْرٍ[2] ، وقد صارتِ الهزيمة على تميم فَقُتِلَ لَقِيْطُ رئيسُ القوم ، وقتل آخرون من مشاهيرهم ، وأُسِرَ حاجبُ بن زرارة ـ أخو لقيط ـ ويظهر أَنَّ لباهلة في تلك الوقعة مقاماً محموداً ، فقد بقي حاجبُ أسيراً عندهم كما يفهم من قول جرير :

---

(١) «رسائل الجاحظ» من كتاب «النساء»: ١٤٩/٣ .
(٢) «نهاية الارب»: ٣٥٢/١٥ .

وَيَوْمَ الشِّعْبِ قَدْ تَرَكُوا لَقِيْطاً ... كَــأَنَّ عَــلَيــه حُمْـلة أُرْجُــوَانِ
وَكُبِّـلَ حَـاجِبٌ بِشَمَــامَ حَـوْلاً ... فَحَكَّم ذَا الرُّقَيْبَةِ وَهْـوَ عَانِـي

وشَمَامُ جبل باهلة المشهور في بلادها ، الـمُطِلُّ على هجرة (عَرْوا) وحَرَّفَتِ العامَّة اسمه من (ابني شمام) إلى (أُذْنَيْ شمال) كما حرفوا اسم (أسنان بلالة) وهي شناخيب بارزة من الْـعَرَمَةِ بين الرياض وبين الخرج فسموها (ثنايا بلال) .

وتقدمت الإشارةُ إلى أَنَّ أَخبار العرب قبل الإسلام لم يدون منها إلا اليسير ، ولهذا يرد في الشعر ذكرُ حوادث لايجد الباحثُ تفصيلاً لها فيما بين يديه من المؤلفات . ومما ورد فيه افتخار الباهليين بانتصاراتهم على أعدائهم في الحروب في أيام منها :

١ ــ أرمام : وتقدم أنه في بلاد باهلة في جنوبيِّها ـ كما سبق ذكره في الكلام على بلاد بَاهِلة في رسمه ورسم (بدر) .

٢ ــ ساجر : والموضع لايزال معروفاً ، وقد أصبح منذ عشر الأربعين من القرن الماضي هجرةً مسكونة .

٣ ــ سِلًّــى : وقد قُرِنَ بالموضع الذي قبله مما يدل على تقارب الموضعين ، ويؤيد هذا أَنَّ صاحب كتاب «بلاد العرب» قال في الكلام على بلاد ضَبَّة[(١)] : ثم في رملة يقال لها جُرَاد ماءة يقال لها الرِّبَّاءُ . . . وسِلًّى وسَاجِرُ لِأَخْلَاطِ ضَبَّة . ورَمْلَةُ جُرَاد تعرف الآن باسم (نفود السِّرِّ) وساجِرُ غَرْبَ هذا غير بَعِيْدٍ ، ولا أستبعد أَنْ تكون سِلًّى هي الروضة التي تعرف الآن باسم (أمِّ هِلِّي) بتحريف سِلًّى .

---

(١) ٢٨٨ .

٤ ــ الْعَقِيق : وقد يكون عَقِيق بني عُقيل (وادي الدواسر) أَقْرب الأَعِقَّةِ إلى بلاد باهلة ، ولباهلة صلة بأهله من عُقَيْل .

٥ ــ الكوم : ورد ذكره في شعر ابن زغبة وأنه بين باهلة وبين بني الحارث ومراد وخثعم فهو بقرب بلاد هاؤلاء .

هي أيام ورد ذكرها في أشعارهم في مقام الافتخار ، إلا أن تفصيل أخبارها مما لم تتضمنه المؤلفات المعروفة الآن .

ثم كانت باهلة في بني كعب ، وغني في بني كلاب[1]، ولا نعرف متى انضوت باهلة إلى بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ولكن مما لا شك فيه أن فروع بني كعب كانت تُجاور باهلة في منازلها ، بل قد تختلط معها في بعض الأمكنة كما تقدمت الإشارة عند ذكر بلاد باهلة ، لقد كان بنو العجلان ابن عبدالله بن كعب يشاركون باهلة في القَعاقع ، ويجاورونها في عَمَايَةَ ، وكذالك إخوتهم نُهْم ـ وهم بنو عبدالله بن كعب ـ وكانت قُشَيْرُ بن كعب تشترك هي وباهلة في فلاة حائِل الواسعة ، الواقعة شرق عرض باهلة ، جنوب غرب بلاد الْـمَرُّوْتِ ، ويشاركهم فيها بنو نُمَيْرٍ ، وكانت قُشَيْرٌ أَيْضاً تحلُّ الرَّيْب (الرين) المنطقة الواقعة شرق عرض باهلة ، والتي تفضي إليها سيول العرض ، كَمَا أَنَّهَا كانت تنتشر شرق هذه البلاد في رملة الْوَرِكَة (الميركة) إلى الْـمَجَازَةِ (حوطة بني تميم) وتنتشر مع إخوتها بنو جَعْدَة في الْفَلَجِ (الأفلاج) إلى المجازة[2] .

---

(١) «الأغاني»: ٢٨/٥ و«العقد الفريد»: ١١/٦ .
(٢) انظر عن هذه المواضع كتاب «بلاد العرب» .

٤ ـ حَمِيّـــةُ ونَجْـــدة

كانت العرب في الجاهلية على درجة من التماسك والتواصل ، بحسب التقارب في النسب ، وقد يحدث بين فرعي القبيلة الواحدة خلافٌ يَجُـرُّ إلى حرب ، ويُسَبِّبُ عداوةً بين الفرعين ، ولكن تلك العداوة سرعانَ ماتزول إذا اعتدى عَدُوٌّ بعيد على قبيلة أخرى فإن ذينك الفرعين ينضمان معاً لمؤازرة القبيلة التي يجمعهما بها النسب ، وهكذا يتسع التناصر والتعاون كل ماكان العدُوُّ بعيداً .

ومن أمثلة ما اتصفت به هذه القبيلة من نجدة وحمية أن قبائل اليمن حينما علمت بأن قبيلة بني تميم قد قُتِلَ كثير من رجالها في وقعة الصَّفْقَة ـ صَفْقَةِ بَابِ الْـمُشَقَّرِ ـ الحصن الذي كان في هجر (الأحساء) أرادت تلك القبائل أن تستغل ضعفَ بني تميم ، وأن تغير على أموالها حين قل المدافعون عنها ، فماذا كان موقف قبيلة باهلة من مؤازرة هذه القبيلة التي تجمعها بها في النسب (المضرية) ضِدَّ قبائل اليمن ؟

قدم رجل من بني قيس بن ثعلبة من ربيعة على بني الحارث بن كعب في نجران ، فسألوه عن الناس ، فأخبرهم بأن بني تميم قُتِلَتِ الـمُقَاتِلَةُ منهم ، وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم ، لا مانع لها ، فاجتمعوا في عسكر عظيم بلغ ثمانية آلاف ، لا يُعْلَمُ في الجاهلية جيشٌ أكثر منه ، ومن جيشِ كِسْرَى بِذِي قَارٍ ومن يَوْمِ جَبَلَة(١) .

ويظهر أنَّ بني تميم اتخذوا للأمر أُهْبَتَه ، واحتاطوا من مفاجأة العدو ،

---

(١) «الكامل» لابن الأثير ٦٢٢/١ ط دار صادر بيروت سنة ١٣٨٥هـ .

فارتحلوا من مكان يسهل عليه اجتياحهم ، كما في صَحَارِي الدَّهناء والصَّمَّان المكشوفة أمام المهاجمين ، إذ لا جبال فيها فأنتقَلُوا إلى العالية بعد أن أنزلوا بني حنظلة بن مالك منهم في الدَّهْناء ، وبني سعد والرِّبَاب في الْكُلاَب ، لكي يقوم هاؤلاء بحماية الطريق . وكانت بلادُ باهلة واقعةً في طريق الجيش القادم من نَجْران وما حوله ، فمضى الجيش حتى إذا كان ببلاد باهلة قال جَزء بن جَزْءِ بن جَزْءٍ الباهلي لابنه[1]: يا بُنَيَّ هل لك في أُكرومةٍ لا يُصاب أبداً مِثْلُها ؟ قال : وماذاك ؟ قال : هذا الحي من تميم قد ولجوا هناك مخافة ، وقد قصصت أَثَرَ الجيش يريدونهم ، فاركب جملي الأرحبي ، وسِرْ سَيْراً رويداً عُقْبَةً من الليل - يعني ساعة - ثم حُلَّ عَنْهُ حَبْلَيْهِ وأَنِخْهُ ، وتوسَّدْ ذراعَهُ ، فإذا سمعته قد أفاض بجِرَّتِهِ وبال فاسْتَنْقَعَتْ ثَفَنَاتُهُ في بَوْله فَشُدَّ عليه حبله ، ثم ضع السوط عليه ، فإنك لا تَسْأَلُ جَمَلَك شيئاً من السير إلَّا أعطاك ، حتى تُصَبِّحِ القومَ . ففعل ما أمره به .

قال الباهلي : فحللت بالْكُلاَبِ قبلَ الجيش وأنا أنظر إلى ابن ذُكَاءَ - يعني الصبح - فنادَيْتُ : ياصباحاه ، فإنَّهُمْ لَيَثِبُوْنَ إليَّ ليسألوني من أنت ؟ إذا أقبل رجل منهم من بني شقيق على مُهْرٍ كان في النعم ، فنادى : ياصباحاه قد أُتِـيَ على النَّعَم !! ثم كَرَّ راجِعاً نحو الجيش ، فلقيه عبدُ يغوث الحارثيُّ وهو أول الرَّعيل ، فطعنه في رأس مَعِدَتِهِ فسبق اللبنُ الدَّمَ ، وكان قد اصطبح فقال عبد يغوث : أطيعوني وامضوا بالنعم ، وخَلُّوا العجائز من تميم ساقطةً أفواهها . قالوا : أَمَّا دُوْنَ أن تُنْكَحَ بناتُهم فلا .

تجالد الجمعان ، وتلاقى الفرسان فكان النصر لبني تميمٍ بعد أَنْ قُتِلَ بعضُ

(١) «العقد الفريد» ٦/٨١ .

فرسانهم ، وشغلت مَذْحِجُ ومن معها بانتهاب النعم .

وكان على رأس المأسورين عبدُ يغوثَ بنُ الحارث بنِ وقاص الحارثي رئيس مَذْحِجَ الذي قُتِل بالنعمان بن مالك أحد رؤساء بني تميم المقتولين في أول المعركة ، وعبد يغوث هو صاحب القصيدة التي تُعَدُّ من عيون الشعر ، فيحسن إيرادها[1]: ـ دَرْءًا لدفع السأمِ من الاسترسالِ في البحث ـ:

أَلَا لَا تَلُوْمَانِي، كَفَى اللَّوْمَ مَابِيَا ... فَمَالَكُمَا في اللَّوْمِ نَفْعٌ وَلَا لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْـمَـلَامـةَ نَفْعُهَـا ... قَلِيْلٌ وَمَا لَوْمِـي أخاً مِنْ شِمَالِيا
فَيَـا رَاكِباً إِمَّـا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَلَّا تَلاقِيَـا
أَبَـا كُـرَبٍ والأَيْهَمَـيْنِ كَلِيْهِـمَا ... وَقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوْا لِسَانِـي بِنِسْعَةٍ: ... مَعَاشِرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا مِنْ لِسَانِيَا
كَأَنِّـيَ لَـمْ أَرْكَبْ جَوَاداً وَلَـمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِـيَ كُـرِّيْ كَرَّةً مِنْ وَرَائِيَـا
وَلَـمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَـمْ أَقُلْ ... لأَيْسَارِ صِدْقٍ عَظِّمُوا ضَوْءَ نَارِيَا
وَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِـيْ مُلَيْكَةُ أَنَّنِـي ... أَنَا اللَّيْثُ مَعْدُوًّا عَلَيْهِ وعَادِيَـا
لَحَى الله قَوْماً بِالْكُلَابِ شَهِدتُّهُمْ ... صَمِيْمَهُمُ والتَّابِعِيْنَ الْـمَـوَالِيَـا
وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِـي مِنَ الْقَوْمِ شَطْبَةٌ ... تَرَى خَلْفَهَا الْكُمْتُ الْعِتَاقُ تَوَالِيَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْـخَيْلُ شَمَّصَهَا الْقَنَا ... لَبِيْقـاً بِتَصْـرِيْفِ الْقَنَـاةِ بَنَـانِيَـا
فَيَاعَاصِ فُكَّ الْقَيْدِ عَنِّي فَإِنَّنِـي ... صَبُورٌ عَلَى مَرِّ الْـحَوَادِثِ نَاكِيَا
فَإِنْ تَقْتُلُونِـي تَقْتُلُوا بِـيَ سَيِّداً ... وَإِنْ تُطْلِقُونِـي تُحْرِبُونِـيَ مَـالِيَا

وقد حدثتِ الوقعة في وادي الْكُلَاب ، وهو وادٍ في عالية نجد ، يرى بعض

---

(١) «الكامل» لابن الأثير ١/٦٢٥ ط دار صادر بيروت سنة ١٣٨٥هـ .

الباحثين أنه هو وادي الشَّعْرَاء المنحدر من ثَهْلان ، لقربه من حُذُنَّة ومُجَيْرَاتٍ ، وهي قُوْرٌ ورد ذكرها في خبر يوم الكُلاب في شعر مُحرز بن الـمُكَعْبِر الضَّبِّيِّ حيث قال :

ظَلَّتْ ضِبَاعُ مُـجَيْرَاتٍ يَلُذْنَ بِهِمْ　　وأَلْـحَمُـوهُنَّ مِنْهُمْ أيَّ إلْـحَامِ
سارُوا إلينَا وهُمْ صِيدٌ رُؤُوسُهُمُ　　فَقَدْ جَعَلْنَا لَهُـمْ يـوْماً كـأيَّامِ
حَتَّى حُذُنَّةُ لَـمْ نَتْرُكْ بِهَا ضَبُعاً　　إلَّا لَهَا جَزَرٌ مِنْ شِلْوِ مِقْدَامِ

ولكنَّ قول لبيد :

لاَقَى الْكُلاَبُ الْبَدِيَّ فَـاعْتَلَجَا　　سَيْـلُ أَتِـيَّيْهِـمَا لِمَنْ غـلبَـا
فَـدَعْـدَعَـا سُرَّةَ الـرَّكَـاءِ كَـمَا　　دَعْدَعَ سَاقِـي الْأَعَاجِمِ الْغَرَبَـا

يدل على أن وادي الكلاب يفيض سيله في وادي السرة ، وليس كذالك وادي الشعراء .

لهذا فليس من المستبعد أن يكون وادي الكُلاَبُ هو مايعرف الآن بِاسْمِ وادِي عُصَيْل .

ويلاحظ أنَّ هذه الوقعة هي يوم الكُلاَب الثاني ، وهناك يوم الكُلاَب الأول ، وقع بين شُرَحْبِيْلَ وسلمة ابني الحارث بن عمرو الكندي في حدود العراق .

٥ ـ موقف آخر ....

وشبيهٌ بموقف باهلة من تميم في يوم الكُلاَب ماجرى من قبيلة غَنِـيٍّ في إنْجَادِ بني ضبة حين أخذ النعمانُ بنُ المنذر إبِلَ أَحَدِهِمْ ، ويظهر أَنَّ باهلة مع غنيّ ، إذ القبيلتان كانتا في العهد الجاهلي مُتَّحِدَتَيْنِ ، قال الأصمعي[١] : خرج النعمان ابن المنذر ـ وكان كسرى عمله على العرب ـ فمر على إبِلٍ لسنان بن عائذ الضبي من بني عبس بن ضبيب ، فقال : مارأيتُ كاليوم إبِلاً ليست لملك ، وكانت العربُ إذَا بلغتْ إبلُ الرجل أَلْفاً فَقَأَ عَيْنَ جملٍ منها ، فأمر بها فَاسْتِيْقَتْ فأَتَى غَنِيًّا الصَّرِيخُ وهم بِالرُّخَيْمَةِ بين سَلْمَى وَرَمَّان ، فجاءت غَنِـيٌّ حتى رَدَّتْها وأخذوا إبِلاً للملك واستاقوها ، وكانت تعرف في إبلهم حتى جاء الإسلام ، فقال طفيل في هذه القصة قصيدته التي مطلعها[١]:

أَبَيْتَ اللَّعِنَ والرَّاعِـي مَتَى مَا ... يَضِـعْ تَكُنِ الـرَّعِيَّـةُ لِلذِّئَـابِ
فَيُصْبِـح مـالُـه فَـرْسَىَ ويُفْـرش ... إلى مـاكـان من ظفـر ونـاب

ولباهلة موقفٌ مُشَرِّفٌ شبِيهٌ بموقفها مع بني تميم ، افتخر به شاعرها ابنُ أحمر حين قال[٢]:

ومِنَّـا الَّـذِي يَحْمِي بمُهْجَـةِ نَفْسِـهِ ... بَنِي عَـامِرٍ يَـوْمَ الْـمُلُوكِ الْقَمَـاقِمِ
فَـوَرَّطَـهُـمْ وَسْطَ الْـبَـيَـاضِ كَـأَنَّهُمْ ... عَلَى الشَّرَفِ الأَقْصَى الضِّرَاءُ اللَّوازم[٣]

وأَوضح الخبرَ الْبَكْرِيُّ فيما أورده في «معجم ماستعجم» قال: وجاء قومٌ من أهل اليمن يطلبون بني عامرٍ ، فقال رجل من بَنِـي صَحْبٍ وهم من باهلة :

---

(١) «ديوان طفيل الغنوي»: ٩٠ . (٢) ديوانه : ١٤٤ .

(٣) اللوازم : التي تلزم الصيد . يعني قحمهم كما تطلب الكلاب الصيد «معجم ماستعجم» : رسم (البياض) .

تعالُوا أَدُلُّكُمْ عليهم ، فركب بهم هذه الفلاة حتى مات ، وماتوا . انتهى .

ويظهر من شعر ابْنِ أَحْمَرَ أَنَّ أؤلئك الغزاة كانوا ملوكاً ، ومن عادة ملوك اليمن محاولةُ بَسْطِ نفوذهم على العدنانيين ، وأقرب مَنْ يلي بلادهم بنو عامر ، ويظهر أَنَّ الباهليَّ التقى بهم في حدود منازل القبائل اليمنيَّة من مَذْحِجَ ، على مقربة من أسافل وادي الدواسر (الْعَقِيْق قديماً) فَشَرَّقَ بهم في صحراء البياض الواقعة بين مرتفعات جَبَل طُوَيْق (عارض اليمامة) وبين رِمَال صَيْهَدَ (الربع الخالي) حتى توغلوا في الرمال فَضَلُّوا سبيلهم فهلكوا .

٦ ـ مع القبائل اليمنية

وبين القبائل العدنانية بوجه عام وبين قبائل اليمن حروب وغارات كثيرة ، ولكن المحفوظ منها كغيرها من أخبار الجاهلية قليل .

ولا يعني الباحث هنا إلَّا ماله صلة بقبيلة باهلة .

باهلة ومَذْحِج

قال عبدالله بن حمزة في قصيدة «ذات الفروع»[١] في ذكر مفاخر قَيْسٍ :

وَفي مَذْحِجٍ مِنْهُمْ وَقَائِعُ لَمْ يَزَلْ　　لَهَا نَدَبٌ دَامٍ وَآخَرُ يَحْلِبُ
وَفي مَذْحِجٍ مِنْ يَعْصُرِ ابْنَةِ يَعْصُرٍ　　قَتِيْلٌ وَمَأْسُوْرٌ لَدَيْهِمْ مُكَلَّبُ

أغارتْ مَذْحِجُ في الجاهلية على باهلة فهزمتهم باهلةُ ، قال الباهلي في ذالك :

---

(١) مخطوطة .

وَنَهْدِيَّـةٍ شَمْـطَاءَ أَوْ حَـارِثِيَّـةٍ ... تُؤَمِّـلُ يُمْنَا مِنْ بَنِيْهَـا بَعِيْـرُهَـا
تَـوَاتَعُ أَثْنَـاءَ الْـحَنِـيْنِ فَـرَاعَهَـا ... بَوَادِرُ خَيْلٍ لَـمْ يُدَرَّعْ بَشِيْرُهَا
فَـآبَتْ إلَى تَثْلِيْثَ تَدْمَـعُ عَيْنُهَا ... وَعَـادَ عَلَيْهَا صَمْغُهَـا وَبَرِيْـرُهَا

انتهى كلام ابن حمزة .

وهذه الأبيات التي أوردها من قصيدة لمالك بن زُغْبة مذكورة في ترجمته ، وقد أشار إلى تلك الحرب أبو محمد الأَسْود الأعرابيُّ في كتابه «فرحة الأديب»[1] بما هذا نصه :

قال ابن السيرافي : قالت بنتُ أبي الحصين من مَذْحِجَ :

إنَّـا وَبَـاهِلَةَ بْنَ يَعْصُرَ بَيْنَنَـا ... دَاءُ الضَّرَائِـرِ بُغْضَـةً وتَقَـافِـي
مَنْ يُثْقَفَنْ مِنَّـا فَلَيْسَ بِـآيبٍ ... أَبَداً وَقَتْلُ بَنِـي قُتَيْبَـةَ شَافِـي

قال : قالت هذه الأبيات في حرب بينهم وبين باهلة .

قال س[2]: هذا موضع المثل :

هَيْهَاتَ تَطْلُبُ شَيْئاً لَسْتَ مُدْرِكَهُ ... مَنْ لِلأَصَمِّ بِصَوْتِ الْبَـمِّ والزِّيْرِ؟

هيهات أن ينتفع المستفيد مما ذكره ابن السيرافي في هذا الشعر بشيء .

ليس هذا الشعر لبنت أبي الحصين مِنْ مَذْحِجٍ ، وإنما هو لابنة مرة بن عاهان ، قالته حين قتلت باهلة أباها بِأَرْمَامٍ ، وهو :

إنَّـا وَبَـاهِلَةَ بْنَ يَعْصُرَ بَيْنَنَـا ... دَاءُ الضَّرَائِـرُ بُغْضَـةً وَتَقَـافِـي
مَنْ يَثْقَفُـوا مِنَّا فَلَيْسَ بِـوَائِلٍ ... أَبَداً وقَتْلُ بَنِـي قُتَيْبَـةَ شَافِـي
ذَهَبَتْ قُتَيْبَةُ فِي اللِّقَاءِ بِفَارِسٍ ... لَا طَـائِشٌ رَعِشٌ وَلَا وَقَّـافِ

---

(١) ١٤١ . (٢) أي : الأسود الأعرابي المؤلف .

ويفهم مما تقدم أن الوقعة حدثت في موضع يدعى (أرمام)، وقد جاء في «خزانة الأدب»[1] : كان المنتشر رئيساً فارساً ، وكان رئيسَ الأَبْنَاء يوم أرمام ، وهو أحد يومي مضر في اليمن ، كان يوماً عظيماً قُتِلَ فيه مرةُ بن عاهان وصلاءة بن العنبر والجموح ومعارك ، واسم (أرمام) يطلق على موضعين : أحدهما في بلاد باهلة بقرب وادي الركاء ، على مقربة من وادي السُّرَّةِ وجبل يذبل (صَبْحَا الآن) ولعله هو المذكور في الوقعة لتوسطه بين بلاد القبائل اليمنية ، والقبائل المضرية .

أما الموضع الثاني فيقع في شمال القصيم وهو وادٍ من روافد وادي الرُّمَةَ الشمالية وقد تحدثت عنه في «المعجم الجغرافي» ـ قسم شمال المملكة ـ ومن المستبعد أن تكون الوقعة حدثت فيه .

وتحسن الإشارة إلى أنَّ مُرَّة بن عاهان الوارد في الخبر كان قتله المنتشر بن وهب الباهلي ومُرَّة من بني الحارث بن كعب على ماجاء في «خزانة الأدب»[2] فقد ذكر أن الأبيات الثلاثة : رواها أبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني في كتاب «أشعار النساء» ، قال : كتب إليَّ أحمد بن عبدالعزيز قال : أخبرنا عمر ابن شَبَّة قال : قالت بنت مرة بن عاهان أبي الحصين لما قتلته باهلة :

إنَّا وَبَاهِلَةَ بْنَ أَعْصُرْ .

ثم أورد الأبيات ، وقال بعدها : ومرة بن عاهان بن الشيطان بن أبي ربيعة ابن خيثمة بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب ، أحد قبائل اليمن ، وكان عاهان شريفاً عظيماً بينهم ، ويقال له : هاعان أيضاً ، وهو جاهلي قديم .

---

(١) ١٠/١٨٨ . (٢) ١١/٤٠٣ .

ومعروف أنَّ قبيلة بني الحارث بن كعب من مَذْحج ، وكانوا يسكنون نجران ، وماحوله ، ولايزال لهم فيه بقية ، وقد حالفت بَنُو الحارثِ مَذْحَج ، و(مَذْحج) هم المعروفون الآن باسم (قحطان) جنوب شرق بلاد عسير .

وأورد صاحب «الخزانة»[1] أيضاً عن المرزباني في كتاب «أشعار النساء»[2] بالسند إلى أبي عُبيدة ، قال : كان المنتشر بن وهب الباهلي يُغَاوِرُ أهلَ اليمن ، فقتل مرة بن عاهان الحارثي فقالت نائحته :

يَاعَيْنُ بَكِّـي لِـمُرَّةَ بْنِ عَاهَانَا لَوْ كَانَ قَاتِلُهُ مِنْ غَيْرِ مَنْ كَانَا
لَوْ كَانَ قَاتِلُهُ قَوْماً ذَوِيْ حَسَبٍ لَكِنَّ قَـاتِلُهُ بَهْـلُ بْنُ بَهْـلاَنَـا

قال أبو عبيدة : ماهُجُوا بمثله ، لأنها صغرت بهم ، وإنما أرادت باهلة . انتهى ومعروف أن أبا عبيدة هو مؤلف كتاب «مثالب باهلة» فلا يستكثر منه هذا القول ، وقد يكون هذا القول من كتابه ؛ وهجاء باهلة هذا مِنْ قَبِيل (أَوْسَعْتُهُمْ ذَمًّا وأَوْدَوْا بالإبل) .

ويظهر أن الإغارات بين باهلة ومَذْحِجَ بسبب تقارب القبيلتين في المنازل قد تكررت ، فقد ذكر المبرد في كتاب «الكامل»[3] في خبر المنتشر بن وهب الباهلي أنه أَسَرَ صلاءَة بن العنبر الحارثي ، فقال : افْتَدِ نفسك . فأَبَى ، فقال : لأقطعنك أنملةً أنملةً ، وعضْواً عضواً مالم تَفْتَدِ نفسك . فجعل يفعل ذالك به حتى قتله ، ثم حج من بعد ذالك المنتشر ذَا الْـخَلَصةِ ـ وهو بيت كانت خثعم تحجه ، زعم أبو عبيدة أنه بالْعَبَلاتِ[4]، وأنه مسجد جامعها ، فدلت عليه بنو

(١) ١١/٤٠٠ .
(٢) طبعت قطعة من كتاب «أشعار النساء» ليس فيها هذا الخبر .
(٣) ٤/٦٤ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
(٤) المعروف أنه بتَبَالَةَ ، وانظر عنه وعن ذي الخلصة الذي كان ببلاد دوس كتاب «في سراة غامد وزهران» .

نُفَيْل بن عَمْرو بن كلاب الحارثِيِّيْنَ ، فقبضوا عليه ، فقالوا : لنفعلن بك كما فعلت بصلاءة ، ففعلوا ذالك به ، فلقيَ راكبُ أَعْشَى باهلة ، فقال له أَعْشَى باهلة : هل من جائبة خبر؟ قال : نعم ، أَسَرَتْ بنو الحارث المنتشر ، وكانت بنو الحارث تسمي المنتشر مُجَدِّعاً ، فلما صار في أَيديهم قالوا : لنقطعنك كما فعلت بصلاءة ، فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر :

إنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا   مِنْ عَلُ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ

وأنشد الأصمعيُّ للحارثية ترثي من قتل من قومها في يوم كان لباهلة على بني الحارث ومراد وخَثْعَم[1] :

شَقِيْقٌ وَحَرْمِيٌّ أَرَاقَا دِمَاءَنَا   وَفَارِسُ هَدَّاجٍ أَشَابَ النَّوَاصِيَا

أرادتْ بشقيق وحرمي شقيقَ بن جزءِ بن رياح الباهلي ، وحرمي بن ضمرة النهشلي .

فهل كان لباهلة يوم ـ أو أيام غير يوم قتل عاهان ـ على القبائل الثلاث المذكورة ؟

ولصلة خبر ذالك اليوم بالمنتشر الفاتك الباهلي الذي كان كثير الغارة على اليمانيين يحسن الرجوع إلى ترجمته مع الأعيان .

ومن أيام باهلة على اليمانيين يوم الكوم ، وهو يوم افتخر به جَزْءُ بن رِيَاح الباهليُّ ، فقال : من قصيدة أوردها الأخفش الصغير في كتاب «الاختيارين» قال[2] :

---

(١) «لسان العرب» رسم (هدج) .
(٢) ١٩٧ .

أَلَا زَعَمَتْ عَلَّاقَةُ أَنَّ سَيْفِي ... يُفَلِّلُ غَرْبَهُ الرَّأْسُ الْحَلِيْقُ
فَلَوْ شَهِدَتْ غَدَاةَ الْكُوْمِ قَالَتْ: ... هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَذْرِبَةُ الْعَتِيْقُ

وقال في شرح البيت الأخير : الكوم : يوم كان لباهلة على بلحارث ومراد وخَثْعم . انتهى .

وكان صاحب جيش بلحارث يوم الكوم هو أبو طلق ، قال فيه الشاعر :

يَسُوقُهُمُ أَبُو طَلْقٍ إِلَيْنَا ... وَمَا يَدْرِي وَرَبِّكَ مَا يَسُوْقُ

ثم وصف في هذه القصيدة المعركة ، وذكر بعض من قتله من الأعداء ، وليس في المستطاع تفصيل ماوقع بين الفريقين إلا أن الغلب كان لباهلة كما يظهر من سياق القصيدة .

باهلة وطيّءٌ

نَقَل صاحب «الأغاني»(١) عن أبي عَمْرٍو الشيبانيِّ والطوسي فيما روياه عن الأصمعي وأبي عبيدة أن رجلاً من غني يقال له : قيس الندامى ، وفد على بعض الملوك ، وكان قيس سيداً جواداً ، فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب فقال : لَأَضَعَنَّ تاجي هذا على رأس أكرم رجل من العرب . فوضعه على رأس قيس . وأعطاه ماشاء ونادمه مدة ، ثم أَذِنَ له في الانصراف إلى بلده ، فلما قرب من بلاد طيٍّءٍ خرجو إليه وهم لا يعرفونه فلقوهُ بِرَمَّانَ(٢)، فقتلوه ، فلما علموا أنه قيس ، نَدِمُوا لِأَيَادٍ له كانت فيهم ، فدفنوه بِرَمَّانَ ، وبنوا عليه بيتاً ، ثم إنَّ طفيلاً جمع جموعاً من قيس فأغار على طيٍّءٍ

(١) ١٥/٢٨٢ ط الثقافة ببيروت .
(٢) رَمَّان من أشهر جبال منطقة حائل ، لايزال معروفاً انظر قسم شمال المملكة من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

فاستاق من مواشيهم ماشاء ، وقتل منهم قتلى كثيرة ، وكانت هذه الوقعةُ بين الْقَنَانِ وشَرْقِيِّ سَلْمَى ، فذالك قول طفيل في هذه القصيدة :

فَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحَجَّرٍ   مِنَ الْغَيْظِ في أَكْبَادِنَا وَالتَّحَوُّبِ
فَبِالْقَتْلِ قَتْلٌ والسَّوَامُ بِمِثْلِهِ   وبَالشَّلِّ شَلُّ الْغَائِطِ الْـمُتَصَوِّبِ

هذا نص ماذكر الأصفهاني ، وليس فيه إشارة إلى قبيلة باهلة ، إذْ شهرة غني فيها يظهر طغت على أختها باهلة ، ولكن إذَا رجعنا إلى الشعر العربي القديم وجدنا مايدل على أن قبيلة باهلة كانت قد شاركت أختها في هذه الحروب ، فزيد الخيل يقول في قصيدة له :

فَخَيْبَةُ مَنْ يُغِيْرُ عَلَى غَنِيٍّ   وَبَاهِلَةَ بْنِ أَعْصُرَ وَالرِّكَابِ
وأَدَّى الْغُنْمَ مَنْ أَدَّى قُشَيْراً   وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَسْرَى كِلَابِ

وقد أجابه طفيل الغنويُّ فقال[1] :

سَمَوْنَا بِالْجِيَادِ إِلَى أَعَادٍ   مُغَاوَرَةً بِجِدٍّ واعْتِصَابِ
نؤمهم على رعب وشحط   بِقُودٍ يَطَّلِعْنَ مِنَ النِّقَابِ
طِوَالُ السَّاعِدَيْنِ يَهُزُّ لُدْناً   يَلُوحُ سِنَانُهُ مِثْلُ الشِّهَابِ
وَلَوْ خِفْنَاكَ مَاكُنَّا بِضَعْفٍ   بِذِيْ خُشُبٍ نُعَزِّبُ والْكِلَابِ
وَقَتَّلْنَا سَرَاتَهُمُ جِهَاراً   وَجِئْنَا بِالسَّبَايَا والنِّهَابِ
سَبَايَا طَيِّءٍ مِنْ كُلِّ حَيٍّ   بِمَنْ في الْفَرْعِ مِنْهَا وَالنِّصَابِ
وما كَانَتْ بَنَاتُهُمُ سَبِيًّا   وَلَا رُغْباً يُعَدُّ مِنَ الرِّغَابِ

---

(١) ديوانه : ٩٦ .

وقال الأصمعي[1]: كان غَنِـيٌّ قد أغارت على طَيِّءٍ بَعْدَ وَقْعَةِ مُحَجَّرٍ ودخلوا سَلْمَى وأَجَأَ ـ وهما من جبال طيءٍ ـ وسبوا سبايا كثيرة ، فقال طفيل في ذالك من قصيدة طويلة :

قَبائلُ من فَرْعَي غَنِـيٍّ تَوَاهَقَتْ ... بِهَا الْخَيْلُ لَا عُزْلٌ ولا مُتَأَشِّبِ
أَلَا هَلْ أَتى أهل الحِجَازِ مُغَارنُا ... على حَيِّ وِرْدٍ وابن رَيَّا الـمُضَرِبِ
جَلَبْنَا مِنَ الْأَعْرَافِ أَعْرَافِ غَمْرَةٍ ... وأَعْرَافِ لُبْنَى الْخَيْلَ يَابُعْدَ مَجْلَبِ
بَنَاتِ الْغُرَابِ والْـوَجِيهِ وَلَاحِقٍ ... وأَعْـوَجَ تَنْمِـي نِسْبَةَ الـمُتَنَسِّبِ
وِرَاداً وحُـواً مُشْرِفـاً حَجَبَـاتُهَـا ... بَنَاتِ حِصَانٍ قَدْ تُعُوْلِـمَ مُنْجِبِ
وَكُمْتـاً مُـدَمَّـاةً كَـأَنَّ مُتُــونَهَا ... جَرَى فَوْقَهَا واسْتَشْعَرَتْ لَوْنَ مُذْهَبِ
فَلَمَّا بَـدَا حَزْمُ القَنَـانِ وَصَـارَةٌ ... وَوَازَنَّ مِنْ شَرْقِـيِّ سَلْمَى بِمَنْكِبِ
أَنَخْنَا فَسُمْنَاهَا النِّطَافَ فَشَارِبٌ ... قليلاً وآبٍ صَدَّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبِ
يُرَادي عَلَى فَأْسِ اللِّجَامِ كَأَنَّمَا ... يُرَادي بِهِ مِرْقَاةُ جِذْعٍ مُشَذَّبِ
وَشَدَّ العَضَارِيْطُ الرِّحَالَ وَأُسْلِمَتْ ... إِلَى كُلِّ مِغْوَارِ الضُّحَى مُتَلَبِّبِ
فَلَمْ يَرَهَا الـرَّاؤُونَ إِلَّا فُجَاءَةً ... بِـوَادٍ تُنَاصِيْـهِ العِضَاهُ مُصَـوَّبِ
ضَوَابِعُ تَنْوِي بَيْضَةَ الحَيِّ بَعْدَمَا ... أَذَاعَتْ بِرِيْعَانِ السَّوَامِ الـمُعَزَّبِ
رَآى مُجْتَنُو الْكُرَّاثِ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ ... رِعَالاً مَطَتْ مِنْ أَهْلِ شَرْجٍ وَتُنْضُبِ
فَأَلْوَتْ بَغَـايَاهُمْ بِنَـا وَتَبَاشَـرَتْ ... إِلَى عُرْضِ جَيْشٍ غَيْرَ أَنْ لَـمْ يُكَتَّبِ
فَقَالُوا : أَلا مَاهَاؤُلَاء وقَدْ بَدَتْ ... سَـوَابِقُهَـا فِي سَاطِـعٍ مُتَنَصِّبِ
فَقَـالَ بَصِـيرٌ يَسْتَبِـينُ رِعَـالَهَـا ... هُمُ وَالإِلٰهِ مَنْ تَخَافِيْنَ فَاذْهَبِـي
فَـذُوْقُوْا كَـما ذُقْنَا غَـدَاةَ مُحَجَّرٍ ... من الغيظ في أَجوافِنَا والتَّحَوُّبِ

---

(١) «ديوان طفيل»: ١٧ .

أَبأْنا بِقَتْلاَنا مِنَ القَوْمِ مِثْلَهُمْ   وَمَا لاَيُعَدُّ مِنْ أَسِيرٍ مُكَلَّبِ
نُخَوِّي صُدُور المَشْرَفِيَّةِ مِنْهُمُ   وكُلَّ شُرَاعِيٍّ مِنَ الهِنْدِ شَرْعَبِ
بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهَامَ عَن سَكِنَاتِهِ   وَيَنْقَعُ مِنْ هَامِ الرِّجَالِ بِمَشْرَبِ
فَبِالْقَتْلِ قَتْلٌ والسَّوَامِ بِمْثِلِهِ   وبالشَّلِّ شَلُّ الغائطِ المُتَصَوَّبِ
وَجَمَّعْنَ خَيْطاً من رِعَاءٍ أَفَأْنَهُمْ   وَأَسْقَطْنَ مِنْ أَقْفَائِهِمْ كُلَّ مِحْلَبِ
فَرُحْنَ يُبَارِينَ النِّهَابَ عَشِيَّةً   مُقَلَّدَةً أَرْسَانَهَا غَيْرَ خُيَّبِ

لابد أنَّ زيدَ الخيل حين وصف من يغير على قبيلتي غني وباهلة بالخيبة ، قد أَحَسَّ بأحد أمرين : إما أن تكون القبيلتان على درجة من القوة والشجاعة ، بحيث يخيب من يغير عليهما ، أو أن أموال القبيلتين محرزة محمية ، كالحال في الغالب من مال باهلة ، إذْ هي قبيلة متحضرة يَقِلُّ عندها النعم ، وتكثر العقارات كالآبار والنخيل والبساتين والمعادن ، كما هو الحال في بلاد باهلة ، وأيًّا كان فشِعْرُ زيد يحتمل المدح والهجاءَ ، وهو في الوقت نفسه صادر من نِدٍّ ، يغاور القبيلة ويحاربها ، فليس عجيباً ولا غريباً أن يَهْجُوها ، وليكن ذالك مادامت تأخذُ حقَّها وتحمي حماها ، فَلْيَهْجُهَا مَنْ يَهْجُوها ، وأَكْثَرُ مَنْ يُهْجَى الأَقْوياءُ (أَوْسَعْتُهُمْ ذَمًّا وأَوْدَوْا بِالإِبِل) . بل إنَّ زَيْداً ـ عفا الله عنه ـ لَمْ يتورَّعْ مِنْ هَجْو قَوْمِهِ فَضْلاً عَنْ أَعْدَائِه فقد قال[1] :

لَوْ كنْتُ أَنْهَضُ في مُلَمْلَمَةٍ   شُمِّ الْمَفَاخِرِ مِنْ بَنِي قُرْطِ
أو مِنْ بني شَكَل الَّذِينَ هُمُ   مَنَعُوا الْحَرِيْمَ بِأَذْرُعٍ شُمْطِ[1]
لكنَّما قَوْمِي هُمُ خَذَفٌ   يَرْغَبْنَ في أَشِبٍ مِنَ الخَمْطِ

(١) «الإيناس» ـ ١٩٢ .
(٢) بنو شكل ابن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

فجعل قومه جِدَاءً صغاراً (خَذَفاً) همُّها مَلْءُ بطونِها من الخمط .

إن أبيات طفيل في الإغارة على طـيٍ بعد وقعة مُـحَجَّرٍ وقعتْ من فرعي غني ولعله أراد أن يقول فرعي (أَعْصُرَ) فلم يستقم له الوزن ، إذْ ليس من المعقول أن تغير قبيلة غني على طـيِّءٍ وحدها ، في عُقْرِ دارِها المحصنة ، ولاتَهُبُّ أخْتُها باهلةُ لنصرتها ، كيف لا وهي على مايفهم من شعر زيد الخيل بينها وبين طـيِّءٍ غارات .

وهناك نَصٌّ صريح على مشاركة باهلة في هذه الغارة ، فصاحب «الأغاني»[1] في الكلام على شعر لطفيل الغنوي من هذه القصيدة قال مانصه : والذي عندي أنه لطفيل الغنوي ، قاله في ابن زيد[2] الخيل أغار على بني عامرٍ فأصاب في كِلَابٍ ، وبني كعب واستَحَرَّ القتلُ في غني بن أَعْصُرَ ، ومالك بن أَعْصُر ـ وأعصر هو الدخان ، ولذالك قيل لهما ابنا دخان ـ وكانت غني مع بني عامر في دارهم ، مَوَالِـيَ لِنُمَيْرٍ ، وكان فيهم فرسانٌ وشعراءُ ، ثم إنَّ غَنِيًّا أغارتْ على طَيِّءٍ وعليهم سيَّارُ بن هُرَيْمٍ فقال في ذالك قصيدته الطويلة[3] :

وَبِالْقَفْرِ دَارٌ مِنْ جَمِيْلَةَ هَيَّجَتْ ... سوالِفَ شَوْقٍ في فُؤَادِكَ مُنْصِبِ

باهلة مع بعض القبائل العدنانية

مع قبائل ربيعة

ومعروف ماكان قديماً بين الـمُضَرِيِّيْنَ والرَّبَعِيِّيْنَ من إِحَنٍ وحروب ، استمرت إلى ما بعد ظهور الإسلام ، ممثلة فيما جرى بين بني تميم وبني بكر

---

(١) ٨/٢٣٣ ط (دار الكتب المصرية) .

(٢) كذا ولعل كلمة (ابن) مقحمة في غير محلها .

(٣) يقصد طفيلاً .

وائل ، في يومي النِّبَاجِ وثَيْتَل (قرية العليا) و(قرية السفلى) في شرق الجزيرة .

ولكن مما يثير الدهشة والاستغراب ماجرى بين قبيلة باهلة وبين بعض قبائل ربيعة بعد أن انتقلت إلى شرق الجزيرة ، فأصبحت بلادها بعيدة عن بلاد باهلة ، فكانت هذه القبيلة تغير على الربَعيين ، وتحدث فيهم من النكايات ما يقف الباحث أمامه حائراً ، كيف يتصور أن تلك القبيلة القليلة العدد تحدث منها تلك الأفعال كأَسْرِ النَّوَارِ بنت عمرو بن كلثوم الفاتك المشهور الذي كانت قبيلته تُعَدُّ من أَشَدِّ الناس في الجاهلية ويقول عنها أحدهم : لو أَبطأَ الإسلام قليلاً لأكلتْ بنو تغلب الناسَ(١).

ويتبجَّحُ عَمْرٌو من قصيدته المشهورة فيقول :

ألا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِيْنَا

ويقول :

وَأَنَّا الْمُنْعِمُوْنَ إِذَا قَدِرْنَا وَأَنَّا الْمُهْلِكُونَ إِذَا أُتِيْنَا

باهلة وتغلب

لعل من المناسب إِضْفَاءُ الْقَوْلِ بما كان يتمتع به عمرو بن كلثوم بين معاصريه من شجاعة وإقدام ، بحيث حيكت حوله قصص أشبه بِالْأَسَاطير ، ومنها فَتْكُهُ بِعِمْرِو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة على ماذكر الرواة(٢) .

---

(١) «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري: ٣٦٩ .

(٢) «الكامل» لابن الأثير ٥٤٨/١ ط دار صادر بيروت سنة ١٣٨٥هـ .

قالوا : كان عَمْرٌو ولقبه مُضَرِّطُ الـحِجَارة لشدة ملكه ، وقوة سياسته ، وأُمُّهُ هِنْدُ بنت الحارث بن عَمْرٍو ، عَمَّةُ امرئِ القيس بن حُجْرٍ ، كان عَمْرٌو هذا قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أَنَّ أَحَداً من العرب من أَهْل مملكتي يأنَفُ أَنْ تخدم أُمَّهُ أُمِّـي ؟! قالوا : مانعرف إلا أن يكون عَمْرَو بْنَ كلثوم التغلبي ، فإنَّ أُمَّهُ ليلَى بنت مهلهل ، وعمها كُلَيْب بن وائل ، وزوجها كلثوم ، وابنها عَمْرٌو ، فسكت مُضَرِّطُ الحجارة على مافي نفسه ، وبعث إلى عَمْرٍو بن كلثوم يستزيره ويأمره أَنْ تزور أُمُّهُ لَيْلَى أُمَّهُ هِنْدَ بِنْتَ الحارث ، فقدِم عمرٌو في فرسان من تغلب ، ومعه أمه ، فنزل على شاطئِ الفرات ، وبلغ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ قدومه ، فأمر فضُرِبَتْ خيامُهُ بين الـحِيْرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أَهل مملكته ، فصنع لهم طعاماً ، ثم دعا الناس ، فقرب إليهم الطعام على باب السُّرَادِقِ ، وجلس عَمْرٌو وعَمْرُو بْنُ كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ، ولِأُمِّهِ هِنْدٍ قُبَّةٌ في جانب السرادق ، وليلى أمُّ عمرو بن كلثوم معها في القبة ، وقد قال مُضَرِّطُ الحجارة لِأُمِّهِ : إذَا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلَّا الطُّرف فَنَحِّي خَدَمَكِ عنك ، فإذا دَعَوْتِ بالطُّرَفِ فاستخدِمي ليلَى ، وَمُرِيْهَا فَلْتُنَاوِلْكِ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ ، ففعلت ما أمرها به ابنُها ، فلما قالت : ليلَى نَاوِلِيْنِـي ذالك الطَّبَقَ - من الطُّرَفِ - . قالت : لِتَقُمْ صاحبةُ الحاجة إلى حاجتها ، فأَلَحَّتْ عليها ، فقالت ليلى : وَاذُلَّاهُ يا آل تغلب !! ، فسمعها ولدُها عَمْرٌو فثار الدم في وجهه ، فعرف عمرُو بنُ هند الشَّرَّ في وجهه ، وثار ابنُ كلثوم إلى سيف ابن هندٍ وهو معلق في السرادق ، وليس هناك سيف غيره ، فضرب به رأْسَ مُضَرِّطَ الحجارة فقتله ، وخرج فنادَى آل تغلب ، فانتهبوا ماله وخيله ، وسَبَوا النِّسَاء ولحقوا بِالْـحِيرة ، فقال أفنونُ التَّغْلِبِـي :

لَعَمْرُكَ مَا عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ وَقَدْ دَعَا   لِـتَخْـدِمَ لَـيْـلَى أُمَّـهُ بِمُـوَفَّقِ

فَقَامَ ابْنُ كُلْثُومٍ إِلَى السَّيْفِ مُصْلَتاً وَأَمْسَكَ مِنْ نُدْمَانِهِ بِالْمُخَنَّقِ

أما خبر باهلة مع بني تغلب ، فقد ذكر الآمِدي[1] أن شَبِيب بن جُعَيل التغلبي أَسَرَهُ بنو قتيبة بن مَعْنٍ الباهليون في حروب كانت بينهم وبين تغلب ، فقال شبيب يخاطب أُمَّهُ وهي بِنْتُ عمرو بن كلثوم :

حَنَّتْ نَوَارُ وَأَيُّ حِينٍ حَنَّتِ وَبَدَا الَّذِيْ كَانَتْ نَوارُ أَجَنَّتِ
لَـمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى مَشْرُوْبَا وَالْفَرْثُ يُعْصَرُ فِي الْإِنَاءِ أَرَنَّتِ[2]

كذا ذكر الآمِدِيُّ سبب قول الشعر ، ولكن الأنباريَّ في «شرح القصائد السبع الطوال»[3] أورد سبباً آخر عن الأصمعي أنه قال : أخبرني أعرابيٌّ من بني وائل من باهلة قال : مَـرَّ رجل من بني ضَبَّة على بني قتيبة وقد عطفوا الثلاثَ والأربع على حِوَارٍ وَاحِدٍ ، وذبحوا البقية من أَوْلادها ، وأكلوها ليفْضُلَ اللبَنُ للخيل فَتُسْقَى فَتَسْمَنَ ويُغَارَ عليها ، وهي الغارة التي أغارتْ فيها على بني تغلب ، فأصابوا النَّوارَ وذالك اليوم يسمى يوم ذِي طَلَح .

وقد أورد صاحب «خزانة الأدب»[4] ماذكره الآمديُّ ثم عقَّبَ عليه بأن قائل هذه الأَبيات هو جَحْل بن نضلة وهو جاهلي أيضاً وهو قول أبِـي عبيد وتبعه ابن قتيبة في كتاب «الشعراء» وأبو علي في «المسائل البصرية» قالوا : قالها - جحل بن نضلة في نوار بنت عمرو بن كلثوم لما أسرها يوم طَلَح ، فركب بها الفلاة خوفاً من أَنْ يُلْحَقَ بِهِ .

---

(١) «المؤتلف والمختلف» : ١١٥ .
(٢) نقص حرف من صدر البيت ، قال عنه ابن قتيبة : سمي إقواءً لأنه نقصَ من عروضه قُوَّة ، وكان يستوى البيت بأن تقول (متشرباً) : يقال : أقوى فلان الحبلَ إذا جعل إحدى قواه أَغلظ من الأخرى ، وهو حبل قَوٍ . انتهى .
(٣) ٣٠٥ . (٤) ١٩٩/٤ .

ولَعَلَّ مافي كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة أصح ، لقدم مؤلفه ، وسعة إطلاعه حيث نسب البيتين إلى جَحْل بن نضلة قائلاً : كان أَسَر بِنْتَ عمرِو بن كلثوم ، وركب بها المفاوز واسمها النَّوار .

وَطَلَحُ ـ الْوَارِدُ في الْـخَبَرِ ـ أَوْضَحْتُ في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» موقعه ، وأنه شرق الدَّهْنَاءِ على مقربة من التَّيْسِيَّة .

باهلة وبكر بن وائل

ولباهلة مع قبيلة بكر بن وائل مجاولاتٌ ومصاولات ، ولكن المؤلفات التي بين أيدينا لاتُمِدُّنَا إلا بإشاراتٍ موجزة من ذالك ماجاء في كتاب «فرحة الأديب» ونصه[1]: قال ابن السيرافي : قال سيبويه في باب المصادر : قال الْـمَرَّارُ :

لَقَـدْ عَلِمَتْ أُوْلَى الْـمُغِـيْرات أَنَّـنِي   كَرَرْتُ فَلَم أَنْكَلْ عَنِ الضَّرْبِ مَسْمَعَا

قال ابن السيرافي : وجدت في هذا الباب بيتاً منسوباً إلى الْـمَرَّار ، ورأيته في شعر مالك بن زُغْبَة الباهلي ، وكان بنو ضُبيعة قد أغارتْ على باهلة فلحقتهم باهلةُ وهزمتهم :

قال س[2]: هذا موضع المثل :

وَهَلْ يَشْفِيَنَّ النَّفْسَ مِنْ سَقَمٍ بِهَا   غِنَـاءٌ إِذَا مَـافَـارَقَتْ وَرُكُـوبُ

لايكاد يشفي المستفيد ماذكره ابن السيرافي سيما والقليل الذي ذكره مختل ، والبيت لمالك بن زغبة الباهلي ، يعني مِسْمَعَ بنَ شيبان أحدَ بني قيس بن ثعلبة ، وكان خرج هو وابنُ كَدْرَاء الذهلي يطلبان بدماءِ من قتلته باهلة من بكر

(١) ٣٠ . (٢) أي الأسود الأعرابي مؤلف كتاب «فرحة الأديب» .

ابن وائل ، يوم قُتِلَ أَبُو ٱلْأَعْشَىٰ بن جندل ، فبلغ ذالك باهلة فلقوهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو قيس ومن كان معها من بني ذهل وضُرِبَ مسمع بن شيبان فَأُفْلِتَ جريحاً .

وفي «خزانة الأدب»[1] البيت من قصيدة لمالك بن زغبة الباهلي ، وبعده :

وَلَوْ أَنَّ رُمْحِي لَـمْ يَخُنِّيْ انْكِسَارُهُ　　لَغَـادَرْتُ طَيْراً تَعْتَفِيْـهِ وأَضْبُعَـا
وَفَرَّ ابْنُ كَدْرَاءَ السَّدُوْسِـيُّ بَعْدَمَا　　تَنَاوَلَ مِنِّـي فِـي الْـمَكَرَّةِ مَنْزَعَا
وَمَاكُنْتُ إلَّا السَّيْف رقَّى ضَرِيْبَةً　　فَقَـطَّعَهَـا ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَـطَّعَـا
وَإِنِّـي لَأُعْدِيْ الْـخَيْلَ تَعْثُرُ بِالْقَنَا　　حِفَاظاً عَلَى الْـمَوْلَى الْـحِرِيْدِ لِيَمْنَعَا
وَنَحْنُ جَنَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ سَرْوِ حِمْيَرٍ　　إِلَى أَنْ وَطَئْنَا أَرْضَ خَثْعَمَ نُزَّعَا
أَجِئْتُمْ لِكَيْـمَا تَسْتَبِيْحُوا حَـرِيْمَنَـا　　فَصَادَفْتُمُ ضَرْباً وَطَعْنـاً مُجَدِّعَـا
فَـأُبْتُمْ خَـزَايَـا صَـاغِـرِيْنَ أَذِلَّـةً　　شَـرِيْجَةَ أَرْمَـاحٍ لِأَكْتَافِكُمْ مَعَـا

ثم أورد كلام أبي محمد الأعرابي في «فرحة الأديب» وستأتي قصيدة مالك بأكملها في ترجمته .

مع بعض القبائل الأخرى

كثيراً ما تثور الحرب بين قبيلتين متقاربتين في النسب ، متجاورتين في المنازل ، لسبب قد يُنظر إليه باعتباره يسيراً ، ولكنه بالنسبة لحالة أولئك الذين كانوا ينظرون إلى كل يَرَوْنَ فيه إهانة أو خدش كرامة ، وإن كان يسيراً يرونه عظيماً ، ومن هنا كان شاعر ذالك العهد ـ القُطَامِـيُّ التَّغْلِبِـيُّ ـ يقول :

وأَحْيَـانـاً عَـلَى بَكْـرٍ أَخِيْنَـا　　إِذَا مَـالَـمْ نَجِـدْ إِلَّا أَخَـانَـا

وهو يقصد الأخوين بَكْراً وتغلب .

ولقبيلة باهلة معارك مع بعض القبائل من ذالك القبيل .

---

(٣) ١٣٢/٧ .

مع بنـي تميـم

قال أَبو هِلَالٍ العسكريُّ في كتاب «جمهرة الأمثال»[1]: قولُهم : لَوْ لَكِ عَوَيْتُ لَـمْ أَعْـوِ .

يقوله الرَّجلُ يطلبُ الخيرَ فيقَعُ في شَرٍّ . قالوا : وأصله أنَّ رجلاً بَقِـيَ في قَفْرٍ ، فنَبح لتُجيبَهُ الكِلابُ إن كُنَّ قريباً ، فَيَعْرِفَ موضعَ الأَنيس ، فسمعتْ صوتَه الذِّئابُ فأقبلْنَ يُرِدْنَه فقال : لَوْ لَكِ عَوَيْتُ لَـمْ أَعْوِ .

وقال آخرون : أصله أَنَّ بني سَعْدٍ أغارَتْ على باهلةَ ، ورئيسُهُمُ الزِّبْرِقانُ ابن بَدْرٍ ، والأهتَمُ الْـمِنْقَرِيُّ ، فلما دنا الأهتمُ من مَحلَّتِهم متقدِّماً لأصحابه ، لِيَعْلَم عِلْمَ القوم ، وكانت لِعَمْرِو بن ميسم الباهليِّ غَنمٌ لايزالُ الذِّئْبُ يَعْتَرِضُها ، فَبَيْنَا عَمْرُو يُفَوِّقُ سَهْمَهُ ينتظرُ الذِّئْبَ عَوَى الأَهتمُ عُواءَ الْكَلْبِ ، كيما تُجِيْبَهُ الكِلابُ إنْ كُنَّ قريباً ، فرماه عَمْرٌو فأصابَ بَطْنَهُ فسلَح ، وقال : لَوْ لَكِ عَوَيْتُ لم أعْوِ . وولَّى هَارِباً ، واتَّبعَتْهُمْ باهلةُ ، فأخَذُوْا الأَهْتَمَ ، وقالوا : ماجاءَ بك ؟ فأخبرهم الخبرَ ، وركبوا مع الصُّبْح ، فهزَمُوا بَني تَمِيمٍ ، وأَسَرُوا الزِّبْرِقَانَ ، فافْتَدَى الأهتمُ نفسَه ومَنُّوا على الزِّبْرِقَان ، فقال عَمرُو بنُ مِيْسَمٍ :

غَزَتْنَا بَنُو سَعْدٍ فَدُسْنَا مُقَاعِساً ... وَأَشْحَيْتُ بالرُّمحِ ٱلْأَصمِّ مَلادِسا
قَـرَيْنَاهُمْ زُرْقَ ٱلْأَسِنَّـةِ والـظُّبَـا ... وَلَـمْ نَقْرِهِمْ كُوْماً جِلَاداً قَنَاعِسا
عَـوَى أَهْتَمٌ ثُمَّ انْثَنَى فأَصـابَه ... دَرِيْرٌ يُثِيرُ البَطْن رَطْباً ويـابِسَا

وهذا اليوم يُسمى يومَ العَرِيض . انتهى .

وتقدم في الكلام على بلاد باهلة[2] أَنَّ حاجِبَ بن زُرَارة سيِّدَ بني تَمِيم ، أُسِرَ يَوْمَ جَبَلة ، وبقي في الأَسْرِ في شَمَام عند باهلة حَوْلاً حُتَّى افْتَدِيَ بِفِدْيةٍ عظيمة ، وافتخر الشاعر الباهلي ببقائه في أَسْرِهم حتى دُفِعت فِدْيَتُهُ .

(١) «جمهرة الأمثال»: ج ٢ ص ١٥٩ . (٢) رسم شمام .

بيـن باهلـة وضَبّـة

بلاد ضَبَّة بن أُدِّ بن طابخة بن الياس بن مضر كانت تمتد إلى منطقة السِّرِّ ، جنوب شرق بلاد باهلة ، والمسافة بين القبيلتين قصيرة ، وقد وقع بينهما احتكاك بل غَزْوٌ وانتصرت فيه قبيلة باهلة ، وكانت الغازيَة على ماجاء في كتاب «فرحة الأديب» ونصه[1]: قال ابن السيرافي :

قال شقيقُ بن جَزْءِ بن رِياح الباهلي :

وعـاد عليه أن الخيـل كـانتْ طَـرَائِـقَ بَـيْنَ مُـنْـقِـيَـةٍ وَرَارِ
كـأَنَّ عذِيْـرَهُمْ بِجَنُـوبِ سِلًـى نَـعَـامُ قَـاقَ في بَـلَدٍ قَـفَـارِ

قال : سِلًى موضع بعينه . وكانت بنو ضبة غزتْ باهلة وعليها حكيم بن قَبيصة بن ضِرار الضبيُّ ، فهزمتهم باهلة ، وجرحُوا حكيماً وقتلوا عبيدة الضبي .

قال س[2]: هذا موضع المثل :

آب الْكِـرَامُ بِـالسَّبَـايَـا غَنِيْمَـةً وَآبَ بَنُو نَهْدٍ بِأَيْرَيْنِ في سَفَطْ

جاء ابن السيرافي بغلطين فاحشين في تفسير هذا الشعر ، لأنه ذكر أن بني ضبة أغارت على باهلة فهزمتهم باهلة، وهذا بجهله بِسِلًى أَنَّهَا في بلاد باهلة أو ببلاد ضبة ، وجاء بالأبيات أيضاً متفرقة لا متوالية ، وفيها أيضاً تقديم وتأخير .

والصواب ما أملاه علينا أُبو النَّدَى ـ رحمه الله ـ قال : أغار شَقيقُ بن جَزْءٍ

---

(١) ٧٦ . (٢) أي الأسود لقب أبي محمد الأعرابي مؤلف الكتاب .

الباهلي على بني ضبة بِسِلًّ وَسَاجِرٍ وهما روضتان لِعُكْلٍ ، وإياهما عني سُوَيْدُ بْنُ كُرَاعٍ بقوله :

أَشَتَّ فُؤادِيْ مِنْ هَوَاهُ بِسَاجِرٍ ... وآخَرُ كُوْفِيٌّ هَوًى مُتَبَاعِدُ

وضبَّةُ وعُكْلٌ وعَدِيٌّ وتَيْمٌ حلفاءُ متجاورون ، وفيهم يقول لَقِيْطُ بن زُرارة :

أَلَا مَنْ رَأَى الْعَبْدَيْنِ إِذْ ذُكِرُوا لَهُ ... عَدِيٌّ وَتَيْمٌ تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ

فَحَالِف فَلَا واللهِ تَهْبِطُ تَلْعَةً ... مِنَ الأَرْضِ إِلَّا أَنْتَ لِلذُّلِّ عَارِفُ

وَضَبَّةُ عَبْدٌ ثَالِثٌ لَا أَخَا لَهُ ... كَمَا زَيَّفَ النُّمِّيَّ بِالْكَفِّ صَارِفُ

فهزمهم ، وأُفْلِتَ عوفُ بن ضرار في ذالك اليوم ، وحكيم بن قَبِيْصَة بن ضرار بعد أن جرح ، وقتلوا عبيدة بن قضيب الضبي . وقال شقيق بن جزء في إفلات عوف بن ضرار :

أَفْلَتَنَا لَدَى الْأَسَلَاتِ عَوْفُ ... لَدَى الْوَرْهَاءِ تَطْعَنُ فِي اللِّجَامِ

وكَانَ هُوَ الشِّفَاءَ فَأَحْرَزَتْهُ ... صَنِيعَ الْمَتْنِ رَابِيَةَ الْحِزَامِ

كَأَنَّ حَمَامَةً وَرْقَاءَ يُرْمَى ... بِهَا الرَّجَوَانِ مِنْ وُرْقِ الْحَمَامِ

أَهَانَ لَهَا الطَّعَامَ فَلَمْ تُضِعْهُ ... غَدَاةَ الرَّوْعِ إِذْ أَزَمَتْ أَزَامِ

وقال شَقيقٌ في يوم سِلًّى :

لَقَدْ قَرَّتْ لَهُمْ عَيْنِي بِسِلًّى ... وَرَوْضَةِ سَاجِرٍ ذَاتِ الْعَرَارِ

جَزَيْتُ الْمُلْحِبِيْنَ بِمَا أَزَلَّتْ ... مِنَ الْبُؤْسَى رِمَاحُ بَنِي ضِرَارِ

نُكَسِّرُ فِي مُتُونِهِمُ الْعَوَالِي ... وَتَمْضِي السَّمْهَرِيَّةُ فِي انْئِطَارِ

وأَفْلَتَ مِنْ أَسِنَّتِنَا حَكِيْمُ ... جَرِيْضاً مِثْلَ إِفْلَاتِ الْحِمَارِ

وَعَادَ عَلَيْهِ أَنَّ الْخَيْلَ كَانَتْ طَـرَائِـقَ بَـيْنَ مُنْقِيَـةٍ وَرَارِ
كـأن عَـذِيْـرَهُمْ بِجَنُـوبِ سِلًّى نَـعَـامٌ قَـاقَ في بَـلَدٍ قِـفَـارِ
وَلَمَّـا أَنْ رَأَيْتُ أَبَـا حُـدَيْـرٍ صَرِيْعَ القَوْمِ حَق به حِذَارِي
ولَـمْ أَكُ نَـافِسـاً شَيْئـاً عَلَيْـهِ وَلَـمْ يَكُ نَافِعِيْ إلَّا اتّيَـارِي
تَـرَكْتُ الـطَّيْرَ عَـاكِفَـةً عَلَيْـهِ كَمَا عكَفَ النِّسَـاءُ عَـلَى دُوَارِ
وَلَوْلَا اللَّيْلُ عَـادَ لَهُمْ بِنَحْسٍ بِـأَشْـأَمِ طَـائِـرٍ رَاقٍ وَجَـارِ
فَـإِمَّـا تُـقْتَـلَنَّ أَبَـا حُـدَيْـرٍ فَإِنِّي قَدْ شَفَى نَفْسِـي انْتِصَارِي
تَـرَكْنَ عُبَيْـدَةَ الضَّبِّيَّ يَكْبُـو عَـلَى الْكَفَّـيْنِ مُـرْتَمِـلَ الإِزَارِ

ـ انتهى . والموقع المذكور في الشعر هو (ساجر) لايزال معروفاً ، قد أُحدثت فيه هجرة في عشر الأربعين من القرن الماضي ، وأصبحت الآن أكبر بَلْدَةٍ في مِنطقة السِّـرِّ .

بين باهلة وبني اسد

لعل من أشهر ماعُرِفَ مما جرى بين القبيلتين من الاحتكاكات قتل بشر بن أبي خازم الأسدي ، شاعر قبيلة بني أسد ، قال ياقوت في «معجم البلدان» في الكلام على تَرْجٍ : وقيل تَرْجُ وادٍ إلى جنب تَبَالَة ، على طريق اليمن ، وهناك أُصيب بشرُ بن أبي خَازِمٍ الشاعر في بعض غزواته ، رماه نعيم بن عبد مناف ابن رياح الباهلي ، فماتَ بالرَّدْهِ من بلاد قيس ، فدفن هناك ، وفي ديوان بشر قصيدة يرثي بها نفسه[١] :

أَسَـائِلَةٌ عُمَيْـرَةُ عَنْ أَبِيهَـا خِلالَ الْجَيْشِ تَعْتَرِفُ الرِّكَابَا
تُؤَمِّـلُ أَنْ أؤُوبَ لهـا بِنَهْـبٍ وَلَـمْ تَعْلَـمْ بِأَنَّ السَّهْـمَ صَابَا

(١) ديوانه تحقيق الدكتور عزة حسن ص ٢٤ .

فَـإِنَّ أبـاكِ قَـدْ لاقَى غُـلَامـاً ... مِنْ الأبْنـاءِ يَلْتَهِبُ الْتِهـابَـا
وَأَنَّ الـوائِـلِيَّ أَصـابَ قَلْبِـي ... بِسَهْمٍ لم يكُنْ يُكْسَى لغـابَا
فَرَجِّـي الـخَيْرَ وانْتَظِري إِيابِـي ... إذا مـا القـارِظُ العَنَـزِيُّ آبَا
فَمنْ يَكُ سَائِلاً عن بَيْتِ بِشْرٍ ... فَـإِنَّ لَـهُ بِجَنْبِ الـرَّدْهِ بـابَـا
ثَـوَى في مُلَحـدٍ لابُـدَّ مِنْـهُ ... كَفَى بِـالْـمَوْتِ نَـأْيًا واغْـتِرَابَا
رَهِـينَ بِلًى، وكـلُّ فَتًى سَيَبْـلَى ... فَأَذْرِي الدَّمْعَ وانْتَحِبِـي انْتِحَابَا
مَضَى قَصْدَ السَّبِيلِ، وَكلُّ حَيٍّ ... إذا يُـدْعَـى لِميتَتِـهِ أجَـابَـا
فَإِنْ أَهْلِكْ عُمَيْرَ فَـرُبَّ زَحْفٍ ... يُشَبَّـهُ نَقْعُـهُ عَـدْواً ضَبـابَـا
سَمَـوْتُ لـهُ لِأُلْبِسَـه بِـزَحْفٍ ... كَـما لفتْ شَـآمِيَـةٌ سَحَـابَـا
عَـلَى رَبِـذٍ قَـوائِمُـهُ إذا مـا ... شَـأَتْهُ الخَيْـلُ يَنْسَـرِبُ انْسِرَابَا
شَـدِيـدِ الأَسْرِ يَحْمِـلُ أَرْيَحِيًّا ... أَخَـا ثِقَـةٍ إذا الحـدَثـانُ نـابَـا
صَبُـوراً عِنْـدَ مُخْتَلَفِ العَـوَالِـي ... إذا ماالـحَرْبُ أَبْـرَزتِ الكَعَابَـا
وَطـالَ تَشَاجُـرُ الأَبْـطَالِ فِيْهَـا ... وَأَبْـدَتْ نـاجِـذاً مِنْهـا وَنَـابَـا
فَعَـزَّ عَلَيَّ أَنْ عَجِـلَ الْـمَنَـايا ... ولَـمَّا أَلْقَ كَعْبـاً أو كِـلَابَـا
وَلَـمَّا أَلْـقَ خَيْـلاً مِـنْ نُمَـيْرٍ ... تَضِبُّ لِثَـاتُهـا تَـرْجُـو النِّهـابَا
ولمـا تَـلتَبِس خَيْـلٌ بخَيْـلٍ ... فَيَـطَّعِنُوا ويضْـطربـوا اضْـطِرَابَا
فَيـا للنـاسِ إِنَّ قَنَاةَ قَـوْمِـي ... أبَت بِثِقـافهـا إلا انْـقِـلابَـا
هُمُ جَـدَعُوا الأُنـوفَ فَأَوْعَبُـوها ... وهُـم تَـركـوا بني سَعـدٍ يَبَـابَا

على أنَّ الجاحظ في كتاب «الحيوان»(١) يرى أن القصيدة مصنوعة .

وفي ديوان بشر ثلاثة أبيات مطلعها(٢):

(١) ٦/٢٧٩ . (٢) ١٦٠ .

إنَّـا وَبـاهِلَةَ بْنَ يَعْصُرَ بَيْنَنَـا دَاءُ الضَّرَائِـرِ بُغْضَـةً وَتَقَـافِـي

وهذه الأبيات لو صَحَّتْ نسبتها إلى بشر لكانت دليلاً واضحاً على مابين القبيلتين من مناوشات وحروب . ولكن سبقت الإشارة إلى أنها لابنة مُرَّةَ بن عاهان من مَذْحِج ، فيما جرى بين هذه القبيلة وبين قبيلة باهلة .

على أَنَّ الْبَلاذُرِيَّ أَوردَ في كتابه «أنساب الأشراف»[1] في الكلام على بني رِيّاحِ بن عَمْرو بن عَبْشمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غَنم مانصه : ومنهم دُرَيد بن رياح بن عَمْرٍو ، قتله ردَّاد بن جوش من بني عبدالله بن غطفان ، فوثب مُظَهِّر بن رياح على رداد فقتله ، فقالت الغطفانية :

إنَّـا وبَـاهِلَةَ بْنَ أَعْصُرَ بَيْنَنَـا ــ الأبيات ــ .

وقد ذكر البلاذريُّ في «أنساب الأشراف»[2]: ومن وائل باهلة قاتل بشر بـن أبي خازم الأسديِّ بِسَهْمٍ ، فقال بِشْرٌ :

وأَنَّ الْـوَائِـلِيَّ أَصَـابَ قَلْبِـي بِسَهْـمٍ لَـمْ يَكُنْ يُكْسَى لُغَابَا

وقيل : إنَّ الذي قتله من بني صعصعة انتهى . ولعل منشأ الاختلاف كون القاتل من الأبناء ، كما في «مختارات ابن الشجري»[3]. والأبناء فرع من بني صعصعة ، وفرع من باهِلَة أيضاً ، وكان بنو وائل الباهليين يَحُلُّونَ بيشَةَ في ذالك العهد ، وتَرْجُ الوادي الذي أُصيب فيه بشر من أشهر روافد وَادِيْها ؛ ولايزال معروفاً مأهولاً .

---

(١) نسب باهلة ـ والكتاب لايزال مخطوطاً .

(٢) في الكلام على نسب باهلة . (٣) ٢/ ٣١ .

بين باهلة وقبيلة جعدة

مع أن قبيلة باهلة كانت قد انضمتْ إلى بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة لأسباب مجهولة ، وهذا يستلزم أنْ تسالم هذه القبيلة التي انضوت إليها ، وكانت بلاد بني جعدة هاؤلاء تقع شرق بلاد باهلة في إقليم الأَفْلَاج ، وتمتد إلى مايقرب من المجازة (حوطة بني تميم الآن) وقد حدث بين القبيلتين احتكاك كان أثره على قبيلة باهلة سَيِّئاً ، وقد أشار إلى ذالك الأصفهاني حين أورد للنابغة الجعديِّ قوله[1]:

فَأَبْلِغْ عِقَالاً أَنَّ غَـايَةَ دَاحِسٍ بِكَفَّيْكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَـا أَوْ تَقَدَّم

وأضاف : قال أبو عمرو الشيباني : كان السبب في قول الجعدي هذه القصيدة أَنَّ المنتشر الباهلي خرج فأغار على اليمن ، ثم رجع مظفراً ، فوجد بني جعدة قد قتلوا ابناً له يقال له سَيْدَانُ ، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ثم في بني جعدة ، فلما أنْ علم المنتشر وأتاه الخبر أغار على بني جعدة ، ثم على سُبَيْعٍ في وجهه ذالك ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، فلما فعل ذالك تصدَّعَتْ باهلةُ فلحقت فرقة منهم يقال لهم بنو وائل بعقال بن خويلد العقيلي ، ولحقت فرقة أخرى يقال لهم بنو قتيبة وعليهم جَحْل الباهلي بيزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي ، فأجارهم يزيد ، وأجار عقال وائلاً ، فلما رأتْ ذالك بنو جعدة أرادوا قتالهم ، فقال لهم عقال : لا تقاتلوهم فقد أَجَرْتُهُمْ ، فأَمَّا أَحَدُ الثلاثة القتلَى منكم فهو بالمقتول ، وأَمَّا الآخرَان فَعَلَيَّ عَقْلُهُما ، فقالوا : لا نَقْبَلُ إلا القتال ولا نريد من وائل غيرا - يعني الدية - فقال : لا تفعلوا فقد أَجَرْتُ القوم ، فلم يزل بهم حتى قبلوا الدية ، وانتقلت

---

(١) «الأغاني» ٥/٢٨ ط دار الثقافة - بيروت .

وائل إلى قومهم ، فقال النابغة في ذالك قصيدته التي ذكر فيها عقالا .

من هنا يتضح أن قبيلة باهلة تصدع كيانها ، وتفرقت بعد أن حدث بينها وبين جيرانها الأدنين ـ من بني كعب بن ربيعة ، الذين انضمت إليهم ـ ماحدث ، بسبب قتل ابن المنتشر ، إذ انتقلت بعض فروعها بعيدة عن بلادها فحلّت في بيشة وما حولها من الأودية ، حيث نجد أن بني أُمَامَة وهم من فروع قبيلة باهلة ، كانوا سَدَنة ذِي الْـخَلَصَةِ ، أشهرِ الأصنام في جنوب الجزيرة ، والذي كان يُعْرَف باسم كعبة اليمانية ، وكان في تَبَالَة البلدة المعروفة بمنطقة بِيشَةَ .

ولما جاء الإسلام وفد أحد رؤساء باهلة الذين يسكنون في جهات بِيشة ، وهو مُطَرِّفُ بن الكاهن ، وفد على رسول الله ﷺ ، فأسلم وأخذ لقومه أَمَاناً وكتاباً من رسول الله ﷺ ، فيه أحكام الزكاة ، وفيه نصٌّ صريحٌ على سكنى الباهليين في تلك الجهة ، وأن لهم منها ما ملكوه .

وليس معنى هذا أن الضعف قد تمكن من تلك القبيلة ، حتى أَزال مقوماتها وقضى على كيانها ، وإنما كان سبباً من أسباب تفرقها مع احتفاظها بمقوماتها قبيلةً متماسكة ذات بلاد خاصة ، حتى جاء الإسلام .

من مأثور الجاهلية ومعارفها

باهلةُ كغيرها من القبائل العربيةِ ، التي استفادت من تجاربها في الحياة جوانب من المعرفة المتصلة بحياتها ، وأَضافَتْ إلى تلك التجاربِ أُمُوراً مبنيةً على الحدْس والتخمين ، اعتقدت صحتها ، ولعل من أبرز معارف العرب في جاهليتهم عنايتهم بحفظ أنسابهم لكونها أَصْلَ تاريخهم ، واهتمامهم بقرض الشعر وروايته لأنه سجل مفاخرهم وديوان حِكَمِهِمْ وأَمثالهم .

ولباهلة في ذالك نصيبها ، فقد عرف منها عدد من الشعراء في العهد الجاهلي ثم في صدر الإسلام ومابعده ، وهي كغيرها من القبائل ذاتُ معرفة بكثير من أحوال الصحراء وبما يعيش فيها من حيوانات وبتربية الأنعام ومعرفة أدوائها ، يضاف إلى ذالك أن هذه القبيلة لِقِدَمِ تحضرها أدركتْ قسطاً مما يتعلق بشؤون الزراعة والصناعة نجد نماذج من ذالك مفرقة في كتب اللغة كوصف الباهلي لِلْعَرِيَّةِ من النخل وصفاً يدل على معرفة بحالة النخل[١] . فبلاد باهلة بلاد نخل وزراعة ، كما أنها مشهورة بكثرة معادنها ، وبلاد بهذه الصفة لابد أن يتأثر من يعيش فيها بنمط حياة من يعاني الأعمال المختلفة التي تتطلبها الفلاحة والصناعة .

ويمارس أبناءُ البادية في عهودهم القديمة في علاج بعض أَمراضهم أَنواعاً من الطب مبنية على تجاربهم كـ (الْكَـيِّ) والتداوي ببعض أنواع النباتات المعروفة بينهم ، كما في شعر ابن أحمر[٢] :

شَرِبْتُ الشُّكَاعَى وأَلْتَدَدْتُ أَلِدَّةً ... وأَقْبَلْتُ أَفْوَاهَ العُرُوْقِ الْـمَكاوِيَا
لِأُنْسَأَ في عُمْرِي قَلِيلاً وما أَرَى ... لِدَائِـيَ إِنْ لَـمْ يَشْفِهِ الله شَافِيَا

(١) «تهذيب اللغة» ٣/١٥٧ . (٢) «ديوانه»: ١٧١ .

شَرِبْنَا وَدَاوَيْنَا وما كَانَ ضَرَّنَـا   إذا الله حَمَّ القَدْرَ أَلَّا نُداوِيَا

وقد يستعين ابنُ البادية بمن يتخيل فيه المعرفة ، وكان الدَّجْلُ في تلك العصور منتشراً فهنالك الكُهَّانُ والعرَّافُونَ ، وعُرِف لباهلة كاهنةٌ مشهورة[1]، كما اشتهر كاهنٌ آخر كان الشعراء يتحاكمون عنده[2].

ومجمل القول أن باهلة بالنسبة لما أُثِر عن العرب في جاهليتهم من علوم ومعارف كغيرها من القبائل ـ لها نَصِيْبُها من جميع ذالك .

---

(۱) «الحيوان» للجاحظ : ٢٠٤/٦ .

(٢) «معجم الشعراء»: ٣٠٥ ط كرنكو .

اللغة والأدب والشعر

فصاحة القبيلة :

تقاس فصاحة أية قبيلة من قبائل العرب بصفاءِ لغتها وخلوها من الكلمات الأعجمية ، وذالك ينشأ بسبب عدم اختلاطها بالأعاجم ، وبعد بلادها عن بلادهم .

قال ابن خلدون[1]: لهذا كانت لغةُ قريش أفصحَ اللغات العربية وأصرحها ، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثَقيف وهُذَيل وخُزاعة وبني كِنَانة وغَطفان وبني أُسد وبني تميم . واما من بَعُدَ عنهم من رَبيعة ولَخْـمٍ وجُذَام وغَسَّان وإيَادٍ وقُضَاعة وعَرَبِ اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغتهم تامَّةَ الملكة ، لمخالطة الأعاجم . وعلى نِسْبَةِ بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة . انتهى .

ولم يذكر ابنُ خلدون قبيلتي غَنِـيٍّ وباهلة ، مع أنه ذكر قبيلة غطفان ، وماذالك ـ فيما أرى ـ عن قصد ، فهو لا يجهل أنَّ بلاد غَنِـيٍّ وباهلة تتوسط جزيرة العرب ، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء الإمام اللغوي المشهور ـ عن عمرو بن أحمر الباهلي[2]: كان ابنُ أَحْمَرُ في أفْصحِ بقعةٍ من الأرض أهْلاً ، يَذْبل والقعاقع انتهى . وباهلة مِنْ أبعد القبائل عن بلاد الأعاجم وعن الاختلاط بهم ، فبلادهم أَبْعَدُ من بلاد بني تميم وبني أسد ، ومن هنا عرف علماءُ اللغة لهذه القبيلة فضلَها من الناحية اللغوية ، فَعُنُوا بتدوين ما انفردتْ به

---

(١) «مقدمة ابن خلدون» ص ٧٢٣ ط الدار التونسية .
(٢) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ـ ٣٥٩ ـ.

من لغة ، واتخذوا من أَشْعارها شواهدَ لِقَواعِدَ أَصَّلُوها في النحو ، وهذا الأمر وإنْ لم يكن متكاملاً بين أيدي الباحثين إلَّا أنَّ ماوصل إلينا منه يدل على الاهتمام بلغة هذه القبيلة التي بَرَّزَ فيها في الجانب اللغوي أَفْذَاذٌ من الفصحاء والعلماء أمثال سَحْبَان وائِلٍ خطيب العرب ، والأصمعي الإمام اللغوي الذي كان من أوائل من تصدَّى لتدوين اللغة العربية ، وأبي نصر الباهلي ، وغيرهم ممن سيأتي الحديث عنهم وأكتفي الآن بعرض كلمات لغوية منسوبة إلى هذه القبيلة مما عرض لي أثناء مطالعة كتاب «لسان العرب» وغيره ـ من قبيل التمثيل لا الحصر ، ولن يَعْدِمَ غيري من الباحثين ممن يحاول دراسة لغة هذه القبيلة دراسة شاملة أن يجد كثيراً من ذالك .

١ ــ **سطــــأ** : ابن الفرج : سمعت الباهليين يقولون : سطأ الرجل المرأة ومطأها ، بالهمز أي وطئها .

٢ ــ **عَبَــــأ** : قال أبو عدنان عن رجل من باهلة يقال : مايَعْبَأُ الله بفلانٍ ، إذا كان فاجراً مَائِقاً ، وإذَا قيل : قد عَبَأَ الله به ، فهو رجلُ صِدْقٍ ، وقد قبل الله منه كُلَّ شيْءٍ قال : وأقول : ما عبأْتُ بفلان أي لم أقبل منه شيئاً ولا من حديثه .

٣ ــ **مطــــأ** : ابن الفرج : سمعت الباهليين تقول : مطأ الرجل المرأة ومطأها بالهمز أي وطئها .

٤ ــ **وثــــج** : شِمْر عن باهليٍّ : من الثياب الموثوج ، وهو الرِّخْوُ الْغَزْل والنسج .

٥ ــ **هــــرد** : قال الأزهري : قرأت بخط شِمْرٍ لأبي عدنان ، أخبرني العالِمُ من أعراب باهلة أن الثوب المهرود الذي يُصْبَغُ بالورس ، ثم

بالزعفران ، فيجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانة ، فذالك الثوب المهرود[1] .

٦ ــ دبــــر : وقال ابنُ الأعرابي : مَهَبُّ الدَّبُور من مسقط النَّسْرِ الطائر إلى مطلع سُهيل ، من التذكرة : يكون اسماً وصفة ، فمن الصفة قول الأَعْشَى :

لَهَــا زَجَــلٌ كَحَفِيْفِ الْـحَصَــا دِ، صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيْحاً دَبُوْرَا

ومن الاسم قوله ـ أنشده سيبويه لرجل من باهلة ـ:

رِيْحُ الدَّبُورِ مَعَ الشَّمَالِ وَتَارَةً رِهَمُ الـرَّبِيْعِ وَصَـائِبُ التَّهْتَانِ

قال : وكونها صفة أكثر ، والجمع دبر ودبائر .

٧ ــ بَــنْ : (بَــلْ) : قال الفرَّاء في قولهم : بلْ بمعنى الاستدراك ، تقول : بل والله لا آتيك ، وبَنْ والله ، يجعلون اللام فيها نوناً ، وقال : وهي لغة بني سَعْدٍ ولغة كلب قال : وسمعت الباهليين يقولون : لابَنْ ، بمعنى لابَلْ ، قال : ومن خفيف هذا الباب بن وَلاَ بَنْ لغة في بل ولاَ بَلْ ، وقيل : هو على البدل .

٨ ــ عــرا : قال أبو عدنان : قال الباهلي : الْعَرِيَّةُ من النخل : الفاردة التي لا تُمْسِكُ حَملها ، يتناثر عنها ، قال : وأَنشدني لنفسه :

فَلَمَّا بَدَتْ تُكْنَى تُضِيْعُ مَوَدَّتِـي وتَخْلِطُ بِـي قَوْماً لِئَاماً جُدُوْدُهَا
رَدَدْتُ عَلَى تُكْنَى بَقِيَّةَ وَصْلِهَـا ذَمِيْماً فَأَمْسَتْ وَهْيَ رَثٌّ جَدِيْدُهَا
كَـمَا اعْتَكَرَتْ لِـلأَقِطِيْنَ عَـرِيَّـةٌ مِنَ النَّخْلِ يُوْطَى كُلَّ يَوْمٍ جَرِيْدُهَا

(١) بادية نجد يسمون الكركم : الهِرْدَ ، وهو مما تُصْبَغُ به الثياب لِتَصْفَارَّ .

قال : اعتكارها كثرة حَتِّها ، فلا تأتي أَصْلَها دابَّةٌ إلَّا وَجَدَتْ تَحْتَهَا لُقَاطاً من حملها ولا تاني خوافيها إلا وجد سقاطا من أي ماشاء[1].

ومن الشواهد النحوية :

١ ــ استشهد سيبويه بقول الشاعر[2]:

حَالَتْ وَحِيْلَ بِهَا وَغَيَّرَ آيَهَا   صَرْفُ الْبِلَى تَجْرِي بِهِ الرِّيْحَانِ
رِيْحُ الْجَنُوبِ مَعَ الشَّمَالِ وَتَارَةً   رِهَمُ الرَّبِيْعِ وَصَائِبُ التَّهْتَانِ

ولم يذكر القائل ، وهو رجل من باهلة . كما في «المخصص» ١٥١/١٦ و «اللسان» رسم (دبر) .

٢ ــ كما استشهد في باب المفعول معه بقول شقيق بن جزء الباهلي ، وسيأتي الشعر كاملاً في ترجمة شقيق .

٣ ــ وجاء في «شرح أبيات سيبويه»[3] لابن الأنباري ، قال سيبويه : قال ابن أحمر :

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي   بَرِيْئاً وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي

الشاهد فيه أنه جعل (بريئاً) الخبر عن أحدهما ، واكتفى به عن خبر الآخر ، ولم يقل بريئين .

ووجدت الشعر في الكتاب منسوباً إلى ابن أحمر ، والذي روت الرواة أنه : تنازع ناس من بني باهلة من بني فَرَّاصٍ ، وناس من بني قُرَّة بن هبيرة بن سلمة

(١) «تهذيب اللغة» ١٥٧/٣ .
(٢) «شرح أبيات سيبويه» ٣٢٧/٢ .
(٣) ٢٤٨/١ ، ٢٤٩ .

ابن قُشَيْرٍ ، حتى صاروا إلى السلطان ، فقال بعضُ القشيريين للسلطان : إنَّ الأَزْرَق بن طُرفة ـ وهو من بني باهلة ـ لِصٌّ بنُ لِصٍّ ، ليغروه به ، فقال قصيدة فيها :

رَمَاني بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدي بَرِيْئاً وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي
دَعَانِيَ لِصًّا مِنْ لُصُوصٍ وَمَادَعَا بِهَا وَالِدِي فِيْمَا مَضَى رَجُلَانِ

وزعم قوم من مفسري الشعر أنه ينبغي أن ينشد : ومن جَوْلِ الطَّوِيِّ رماني . ومعناه أنه رماني بِأَمْرٍ عادَ عليه قبيحه ، كما أن الذي يَرْمِي من البئر يعودُ مَارَمَى به عليه ، والخبر يدل على صحة قوله : ومن أجل الطَّوِيِّ . لأن الخصومة كانت في بئر .

٤ ــ وفيه أيضاً[١]: قال سيبويه في باب إعمال (أحد) الفعلين: وقال رجل من باهلة :

وَلَقَدْ أَرَى تَغْنَى بِهِ سَيْفَانَةٌ تُصْبِي الْحَلِيْمَ وَمِثْلُهَا أَصْبَاهُ

الشاهد : فيه أنه أعمل الفعل الثاني وهو (تَغْنَى) ورفع به (سيفانة)، والسيفانة : الممشوقة الطويلة ، يعني أنَّ الحليم تحمله بحسنها وجمالها على أَنْ يصبو إلى اللهو ، ويحب الغزل ، وملاعبة النساء ، ومن كان مثلها من النساء أصبى الحليم .

والبيت في «الكتاب» منسوب إلى رجل من باهلة ، وهو فيما ذكر بعض الرواة لوعلة الجرمي .

٥ ــ وقال سيبويه في ضرورة الشعر[٢]: قال رجلٌ من باهلة :

---

(١) «شرح أبيات سيبويه» ٢٥٧/١ . (٢) المصدر : ٤٢٢/١ .

أَوْ مُعْبَرُ الظَّهْرِ يُنْبِي عَنْ وَلِيَّتِهِ   مَا حَجَّ رَبَّهُ في الدُّنْيَا وَلاَ اعْتَمَرَا

الشاهد فيه على اضطرار الشاعر لما حذف صلة ضمير الغائب ، وهي الواو التي تتبع الضمير (الهاء) أراد (ربهو) فحذف الواو .

والـمُعْبَرُ من الإبل : الذي يُتْرَكُ وَبَرُهُ عليه لا يُجَزُّ سنين ، و(الولية) البرذعة التي تقع على ظهره ، وينبي : يرفع ، وأراد أن يقول : ينبي وليته ، فلم يستقم له فقال : عن وليته .

وإذا كثف الوبر على سنامه وعظم نَبَتْ وليَّته وارتفعت ، وقوله : ماحجَّ ربه في الدنيا ولا اعتمرا . يريد أن صاحبه لو كان حج أو اعتمر لاحتاج إلى النظر في إصلاح بعيره والقيام عليه ، وجَزِّ وبَرِهِ ، حتى تقع الوليَّةُ والرحْلُ وقوعاً جَيِّداً متمكناً ، فيتمكن الراكب عليه .

٦ ـ وجاء في «الكتاب»[١] لسيبويه : ومما جاء في الشعر قد جُمع فيه الاسمُ وفُرِّقَ النَّعْتُ وصار مجروراً قوله وهو رجل من باهلة :

بَكَيْتُ وَمَابُكَا رَجُلٍ حَلِيْمٍ   عَلَى رَبْعَيْنِ مَسْلُوْبٍ وَبَالِ

كذا سمعنا العرب تُنْشِدُهُ ، والقوافِـي مجرورة .

ومنه أيضاً : مررت بثلاثة نَفَرٍ : رَجُلَيْنِ مُسْلِمَيْنِ : ورجُلٍ كافرٍ ، جمعت الاسمَ ، وفصَّلْتَ الْعِدَّةَ ، ثم نعتَّه وفسَّرته ، وإن شئت أجريته مجرى الأول في الابتداء فترفعه ، وفي البدل فتجره .

ومن شواهد الكافية على مافي كتاب «خزانة الأدب»[٢] .

١ ـ الشاهد السابع والعشرون :

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيْهَا وَيَسْأَلُهَا   يَأْبَى الظُّلاَمَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ[٣]

شاهد على أَنَّ الزُّفَرَ بمعنى السيد ـ بضم الفاء وفتح العين ـ وأَنَّ فُعَلَ إذا كان علماً يشترط لمنع صرفه جمع شرطين بثبوت فاعل ، وعدم فعل قبل العلمية ،

---

(١) ١/٤٣١ ، ٤٣٢ .   (٢) ج ٩ ص ٢٠٥ .   (٣) ١/١٨٥ .

والبيت لأعشى باهلة .

٢ ــ الشاهد الثالث والثمانون بعد المئتين :

حَنَّتْ نَـوَارُ وَلَاتَ هَنَّـا حَنَّتِ ... وَبَدَا الَّذي كَانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ

على أن (هَنَّا) في الأصل للمكان استعير للزمان وهو مضاف إلى الجملة الفعلية وهي (حنت)[١] والبيت لِجَحْل بن نضلة الباهلي .

٣ ــ الشاهد الـ (٥٩٨) :

لَقَـدْ عَلِمَتْ أُوْلَى الْـمُغِـيْرَاتِ أَنَّـنِي ... كَرَرْتُ فَلَمْ أَنْكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعَا[٢]

الشاهد في نصب مسمع بالضرب ، ويجوز أن يكون بلا حقد ، والبيت لمالك بن زُغْبَةَ الباهلي .

٤ ــ الشاهد الـ (٧٢٧) :

بِتَيْهَـاءَ قَفْرٍ وَالْـمَـطِـيُّ كَأَنَّها[٣] ... قَطَا الْـحَزْنِ قَدْ كَانَتْ فِرَاخاً بُيُوضُهَا

وهو شاهد على أن كان فيه بمعنى (صَارَ) والبيت لِابْنِ أَحْمَرَ الباهلي .

٥ ــ الشاهد الـ (٨٦٧) :

لَقَدْ عَلِمَ الْـحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنَّنِـي ... إِذَا قُلْتَ: أَمَّا بَعْدُ إِنِّـيْ[٤] خَطِيْبُهَا

شاهد على أنه روى (إِنِّي) الثانية ـ بكسر الهمزة وفتحها ـ أما الكسر فَعَلَى أن جملة (إني خطيبها) خبر أنني المفتوحة الهمزة ، ولايجوز فتحها لِئَلاَّ يُؤَدِّي إلى ألإخبار بالحدث عن اسم العين . . . وأما فتحها فَعَلَى أنها تكرير للأولى على وجه التأكيد ، وخطيبها خبر إن الأولى ، ولا خبر لأن الثانية ، لأنها جاءت مؤكِّدَةً للأولى ، والبيت لسحبان وائل وروى صدره :

وَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ أَنَّنِـي .

وأكتفي بهذه النماذج التي تدل على اهتمام علماء اللغة بلهجة هذه القبيلة ،

---

(١) ٢٠٠/١ . (٢) ١٢٩/٨ . (٣) ٢٠١/٩ . (٤) ٣٦٩/١٠ .

وماذاك إلا لأنها من أفصح القبائل العربية لغة ، ويكفي للتدليل على مكانتها اللغوية أن منها الإمام اللغوي الكبير عبدالملك بن قريب الأصمعي ، الذي قال فيه الإمام الشافعي : ماعَبَّرَ أحدٌ عن العرب بأحسنَ من عبارة الأصمعي .

ونعته الذهبي بأنه حجة الأدب ولسان العرب[1] وسيأتي ذكره مع العلماء .

وتلميذه أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، له مؤلفات في اللغة سيأتي ذكرها في ترجمته .

ولم يطبع من مؤلفاته سوى «شرح ديوان ذي الرُّمة» بتحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح .

وعبدالرحمن بن عبدالله الأصمعي ، ابن أخي الأصمعي المعروف ، كان من اللغويين الأدباء ، وممن تلقى العلم عن عمه ، وله من المؤلفات في اللغة «معاني الشعر» .

ومحمد بن زُرْعَةَ الباهلي ، نَحْوِيٌّ صنف نُكَتاً على كتاب سِيْبَوَيه ، وقال عنه أبو علي الفارسي[2] : كان أبو زرعة أَحْذَقَ من المبرد ، وإنَّما قَلَّ الأخذ عنه لأنه عوجل أي قتل يوم دخول صاحب الزنْج البصرة سنة ٢٥٧ .

وسيرد لمن عرف من علماء باهلة فصل خاص بتراجمهم .

أما الشعر والشعراء فله فصل آخر حوى ما أمكن العثور عليه في هذا الباب .

---

(١) «سير أعلام البنلاء»: ١٠/١٧٥ .

(٢) «بغية الوعاة» ـ مخطوطة مكتبة الحرم المكي ـ .

ثُـمّ أشرقت شَمْسُ الهداية...

في العهد الإسلامي :

كانت قبيلة باهلة ـ كغيرها من القبائل العربية ـ قلَّ أن يوجد فيها الموحد ، بل كانت تعبد الأصنام ، قال ابن حبيب في «المحبر»[1] : وكانت العزّى شجرة بنخلة ، عندها وثن ، تعبدها غطفان ، سدنتها من بني صِرْمَة بن مُرَّة ، وكانت قريش تعظمها ، وكانت غَنِـيٌّ وباهلة تعبدها معهم . انتهى ، وهو مختصر من كلام ابن الكلبي في «الأصنام»[2] ويحسن الرجوع إليه في معرفة السدنة .

وكان أحدُ فروع هذه القبيلة بَنُو أُمامة ، سَدَنَةَ ذِي الْـخَلَصَةِ أَشْهَرِ الأَصنام التي كان يتقرب إليها اليمنيون ، ويحار المرء في تعليل كون هذه القبيلة العدنانية هي التي تقوم بسدانة ذِي الخلصة ، الذي كان يعرف باسم الكعبة اليمانية ، مع أن القبائل التي كانت تسكن المنطقة كلها قحطانية ، باستثناء ألفاف من القبائل العدنانية جاورت القحطانيين ، فسكنت في بلادهم ، ومنهم بنو وائل الباهليون ، كما تقدم في الكلام على فروع باهلة .

ولما انتشر الإسلام بين العرب ، كان من الوفود التي وفدت على رسول الله ﷺ وفدُ باهِلة ممن كان يسكن بِيشة منها ، وكان رئيس ذالك الوفد مُطَرِّفُ بين الكاهن بعد فتح مكة ، فأسلم وأخذ لقومه أماناً ، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً فيه الفرائض وشرائع الإسلام ، كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه[3] .

ثم انتشر الإسلام في هذه القبيلة كغيرها من قبائل العرب ، فكان منها من صحب رسول الله ﷺ ، ومن شارك في الفتوحات الإسلامية ، ومن هنا تُعَدُّ هذه القبيلة من بين قبائل العرب التي لها مواقف محمودة في الإسلام .

---

(١) ٣١٥ . (٢) ١٧ ـ ٢٧ . (٣) «البداية والنهاية» ٥/ ٩٩ .

في الفتوحات الاسلامية

ولما انساحت الجيوش الإسلامية إلى خارج الجزيرة العربية لنشر الدين الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين ومَنْ بعدهم ، كان لهذه القبيلة مواقف محمودة ، ومآثر مشهودة ، تتضح للباحث المتتبع بين ثنايا الحوادث التاريخية في الكتب المؤلفة لذالك ، ومنها : ـ

١ ـ حين حدثت وقعة القادسية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٤ من الهجرة بين جيوش المسلمين وبين جيوش الدولة الفارسية ، قال ابن جرير في تاريخه[١] : أَبصر سلمان بن ربيعة الباهلي أناساً من الأعاجم تحت راية لهم ، قد حفروا لها وجلسوا تحتها ، وقالوا : لا نبرح حتى نموت ، فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم ، وكان سلمانُ فارسَ الناس يوم القادسية ، وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثَبَت ، والآخر عبدالرحمن بن ربيعة ذو النور الباهلي ، ومال على آخرين قد تكتبوا ، ونصبوا للمسلمين ، فطحنهم بخيله ، وكان يقال : لَسَلْمَانُ أَبْصَرُ بالمفاصل من الجازِر بمفاصل الجزور . وأضاف ابن جرير : وثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة استقتلوا واستحيوا من الفرار ، فأبادهم الله ، فصمد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين ولم يتبعوا فالَّةَ القوم ، فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة ، وعبدالرحمن بن ربيعة ذُو النُّوْرِ لأخرى ، وصمد لكل كتيبة منها رأْسٌ من رؤساء المسلمين ، وكان قتال أهل هذه الكتائب من أَهل فارس على وجهين : فمنهم من كذب فهرب ، ومنهم من ثبت حتى قُتِل ، وكان ممن استقتل شهريار بن كنار ، وكان بإزاء سلمان ، وابن الهربذ وكان بإزاء عبدالرحمن . انتهى .

---

(١) ٥٦٩/٣ .

٢ ــ وفي فتوح الشام ، كان بعض الباهليين قواداً فأبلوا بلاء حسناً في فتح مدينة حِمْص ، فقد ذكر ابن حجر في «الإصابة»[١] أنه كانت لأبي أُمامة راية ـ وأبو أمامة الباهلي الصَّحابي الجليل ولمحرز بن أسيد الباهلي راية ، وكان محرز هذا أول من قتل مشركاً في حمص .

ومن هنا استقر بعض الباهليين في الشام فنسبوا إليه ، ومنهم أبو أُمامة ، حيث عده مترجموه من أَهْل الشام[٢].

أما مآثر هذه القبيلة في الفتوحات الإسلامية التي حدثت بعد عصر الخلفاء الراشدين ، فالكلام عليها يطول ، ولو لم يكن منها سوى ماقام به قُتَيْبَةُ بْنُ مسلم لكفاها شرفاً وفخراً .

---

(١) ج ٣ ترجمة محرز بن أسيد .
(٢) «طبقات خليفة» ٤٦ .

الصحابة

يحسن أن أبدأ هذا الفصل بذكر من شرف بصحبة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من هذه القبيلة الكريمة .

من المعروف أن من الصعب إحصاء جميع من صحب الرسول ﷺ من أيِّ قبيلة من القبائل ، إذِ الصحابي كما هو معروف من اجتمع بالنبي ـ ﷺ ـ وآمن به ، ومات على ذالك ، وهذا يشمل أناساً يجلون عن الحصر .

قال ابن الأثير[1] : أَصْحابُ رسول الله ﷺ على ما شرطوه كثيرون ، فإنَّ رسول الله ﷺ شهد حُنَيْناً ومعه اثنا عشر ألفاً سوى الأتباع والنساء ، وجاء إليه هوازنُ مسلمينَ فاستنقذوا حَرِيْمَهُمْ وأولادهم ، وترك مكة مملوءة ناساً وكذا المدينة أيضاً ، وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين ، فهاؤلاء كلهم لهم صحبة ، وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير مالا يحصيهم ديوان ، وكذالك حَجَّةَ الوداع ، وكلهم له صحبة ، ولم يذكروا إلا هذا القدر .

وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة كتاب «الإصابة»[2] : فجمعت كتاباً كبيراً ميزت فيه الصحابة من غيرهم ، ومع ذالك فلم يحصل لنا من ذالك الوقوف على الْعُشْرِ من أسامي الصحابة ، بالنسبة إلى ماجاء عن أبي زُرْعَةَ ، قال : توفي رسول الله ﷺ ، ومن رآه وسمع منه زيادة على مئة ألف إنسان ، من رجل وامرأة ، وكلهم قد روى عنه سماعاً أو رُؤْيَةً .

وسأكتفي بذكر من مَرَّ بي فيما اطلعت عليه من المؤلفات ـ أنه من أصحاب رسول الله ﷺ ـ وماكانت مطالعتي للكتب التي تصدى مؤلفوها لذكر الصحابة شاملةَ ، بل كانت مقتصرة على المشهور منها ، مما وقع تحت يدي :

---

(١) «أسد الغابة» ١٢/١ .   (٢) ج ١/ ٢ طبعة دار نهضة مصر .

أبيّ بن عجلان الباهلي

أخو أبي امامة : ـ سيأتي نسبه عند ذكر أخيه ـ ذكر الحافظ ابن حجر في «الإصابة» أنَّ ابن شاهين فيما روى عن ابن أبي داود ذكر أنه من الصحابة الذين رووا عن النبي ﷺ .

أدْهَمُ بن مُحْرِزِ الباهلي

نقل ابن حجر في «الإصابة»[١] أن أبا حاتم السِّجِسْتاني عَدَّهُ في المعمرين ، وأنه عاش إلى زمن عبدالملك بن مروان ، فدخل عليه ورأسه كالثغامة .

أَصْمَع بن مُظَهّر

تقدم ذكره عند سرد نسب قبيلة باهلة ، وقد أدرك النبي ﷺ وكذا أبوه مُظَهِّر ، وأسلما جميعاً ، وذكر ابنُ حزمٍ أَنَّ قَبْر مُظَهِّرٍ كان في كاظمة بقرب البحر[٢]، وكاظمة لا تزال معروفة بقرب مدينة الكويت ، وذكر الزّبيديُّ في «طبقات النحويين»[٣]: أنَّ الأَصْمَعَ أُصيب بالأهواز ، وأَصْمَعُ هذا هو جَدُّ الأصمعي العالم المشهور عبدالملك بن علي بن أَصْمَع ، وقد ذكر المبرّد في «الكامل» لابنه عليّ بن أصمع قصةً مع علي بن أبي طالب ، ثم مع الحجاج .
كذا ذكر الحافظ بن حجر في «الإصابة» وقد تتبعت كتاب «الكامل» فلم أَقِفْ لعليّ بن أصمع على ذِكْرٍ ، فهل مطبوعة الكتاب ناقصة أم أنَّ ابنَ حجر اطلع على القصة في كتاب آخر ؟

---

(١) القسم الأول : ١٠١ . (٢) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: ٢٤٦ .
(٣) ١٨٣ .

أبو أمامة الباهلي: (صُدَيٌّ بن عجلان)

أَنَــسُ بن قتــادة

عده الحافظ ابن حجر في «الإصابة»[١] من الصحابة ، وذكره في القسم الأول وسيأتي ذكره في الاسم الذي بعده .

أنيس بن قتادة الباهلي

عده ابن حجر[٢] بصريًّا ـ أي ممن سكن البصرة ـ ونقل عن ابن عبد البر أن أبا نضرة روى عنه ، قال : أتيت رسول الله ﷺ في رهط من بني ضبيعة ، وذكر الاختلاف في اسمه ، وصحح أن اسمه : أنيس .

جنادة بن جراد العيلاني

ترجمه الحافظ بن حجر بما ملخصه[٣] : جنادة بن جراد العيلاني الباهلي ، أحد بني عيلان بن جئاوة بن معن ، وقال: إن الدارقطني في «المؤتلف» روى عن طريق زياد بن قريع أحد بني عيلان عن جنادة بن جنادة بن جراد أحد بني عيلان بن جئاوة بن معن . قال انتهيت إلى النبي ﷺ بإبلي ، قد وسمتها في أنفها فقال : «ماوجدت فيها عضواً تسمه إلا في الوجه» ثم نقل عن الرشاطي : العيلاني ـ بالمهملة ـ هو ابن عيلان من باهلة . انتهى . ولم أجد جنادة هذا في كتاب الدارقطني «المؤتلف» في النسخة المطبوعة .

---

(١) القسم الأول : ٧١ .

(٢) «الإصابة» حرف الألف القسم الأول : ٧٦ .

(٣) «الإصابة» القسم الأول من حرف الجيم .

جمانة الباهلي

قال الحافظ ابن حجر : ذكره أبو الفتح الأزدي في الصحابة وروى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لما أذن الله لموسى في الدعاء على فرعون أَمَّنَتِ الملائكة ـ الحديث ، وفيه فضل المجاهدين استدركه أبو موسى . كذا قال الحافظ في «الإصابة»(١) .

جهم بن كلدة الباهلي

ذكره ابن حجر في «الإصابة»(٢) قائلاً : وقع ذكره في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني من طريق مظهر بن سعيد الباهلي ، حدثني جدى مظهر بن جهم بن كلدة عن أبيه قال : لما أتانا نعي النبي ﷺ ونحن بِسُوفَةَ وهي جرعاء من أرض باهلة فقوَّض الناس بيوتهم ، فما بنيت سبع ليال . انتهى ماذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة»، ولم أجد ماذكر في كتاب الدارقطني المطبوع ، مما يدل على أن النسخة التي طبع عنها كتاب «المؤتلف والمختلف» ناقصة . أمَّا سُوفَةُ فموضع في الْـمَرُّوت لايزال معروفاً ، سبق الكلام عليه في ذكر بلاد باهلة .

الحارث بن عَمرِو بن ثعلبة

ويقال : الحارث بن عَمْرو بن الحارث بن إياس بن عمرو بن سهم بن نضلة ابن غنم بن ثعلبة بن معن بن مالك بن أَعْصُرَ الباهلي ، ثم السهمي يكنى أبا مَسْقَبَة ـ بفتح الميم وسكون المهملة وفتح القاف والموحدة ـ وصحفه صاحب «الكمال» وتبعه المزيُّ فيما قرأتُ بِخَـطِّ مُغَلْطَاي ، فقال : أبو سفينة : نزل

---

(١) حرف الجيم القسم الأول : ٢٤٢ .
(٢) حرف الجيم القسم الأول : ٢٦٤ .

البصرة ، وروى حديثاً أخرجه البخاري في «الأدب»، وأبو داود والنسائي ، وصححه الحاكم ، ومنهم من طوله من طريق زرارة بن كريم بن الحارث بن عمرو ، قال : أُتيت النبي ﷺ بمنىً أو عرفات وقد أُطاف به الناس ـ الحديث ، ومن طريق يحيى بن زرارة : أُخبرني أبي عن جَدِّهِ الحارث وأخرجه البغوي من طريق يحيى بن الحارث : أخبرني أبي عن جده الحارث وكان جاهلياً إسلامياً ، فذكر بعض الحديث في الاستغفار وفي الْقَزَعَ ، والْعَتِيرة ، روى عنه ابنه عبدالله ابن الحارث وحفيده زرارة بن كريم بن الحارث وسيأتي في ترجمة كريم بن الحارث في حرف الكاف شيء من ذكره . كذا قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»[1]. وفي «الطبقات» لخليفة بن خياط : الحارث بن عمرو بن الحارث ابن سهم بن عمرو بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أَعْصُر ، يكنى أبا مسقبة ـ نسبه محمد بن سعيد الباهلي وقد عدَّهُ خليفة من الصحابة من أهل اليمامة[2].

زياد الباهلي والد الهرماس

ذكر ابن حجر في «الإصابة»[3] عنه قائلاً : روى الدارقطني من طريق عَمْرِو ابن بلبل بن القعقاع حدثني أبي عن جدي عن أبيه الهرماس بن زياد ، قال : أتيت النبي ﷺ مع أبي فولاه على عشيرته من باهلة ـ الحديث وروى ابن منده من طريق عكرمة بن عمار عن الهرماس بن زياد قال : أبصرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الناس وأَبِـي مُرْدِفِـي على جمل ، وأنا صبيٌّ صغير . إسناده صحيح . وسَمَّاهُ خليفة في «الطبقات»: زياد بن الهرماس ، وعَدَّهُ من أهل اليمامة[4].

---

(١) ١/ ٢٨٥ ترجمة رقم ١٤٥٧ .

(٢) الطبقات ٢٨٩ ـ وانظر رسم (السهمي) في كتاب البلبيسي .

(٣) ٢٨٩ ط سنة ١٤٠٢هـ . (٤) ١/ ٥٥٩ .

سلمان بن ربيعة بن الباهلي

قال ابن حجر في «الإصابة»[1]: سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سهم بن ثعلبة الباهلي مختلف في صحبته، فقال أبو حاتم: له صحبة، يكنى أبا عبدالله ، وقال أبو عمر : ذكره العقيلي في الصحابة ، وهو عندي كما قال أبو حاتم ، وقال ابن منده : ذكره البخاريُّ في الصحابة ، ولايصح ، ويقال له سلمان الخيل ، وقال : روى عنه كبار التابعين كأبـي وائلٍ وأبي مَيْسرة وأبي عثمان النهديِّ ، وسُوَيد بن غَفَلَة ، وشهد فتوحَ الشام ، ثم سكن العراق وولي غزو أرمينية في زمن عثمان ، فاستشهد قبل الثلاثين أو بعدها ، ويقال : إنه أول من فرق بين العتاق والهجين ، فقيل له : سلمان الخيل ، وقال ابنُ حبان في ثِقَاتِ التابعين ، كان يلي الخيول أيام عمر ، وهو أول من استقضى على الكوفة ، وكان رجلاً صالحاً ، يحج كل سنة وذكره في التابعين أيضاً ابن سعد والعِجْليُّ ، وقال الآجُرِيُّ عن أبي داود : روى عن النبي ﷺ ، وما أَقَلَّ ماروى عن أبي وائل ، اختلفتُ إلى سلمان بن ربيعة أربعين صباحاً فلم أَجِدْ عنده فيها خصماً ، وحديثه في «صحيح مسلم» من روايته عن عمر ، وله ذكر في حديث اللقطة ، قال سلمة بن كُهيل عن سويد بن غَفَلَة : وجدتُ سوطاً فأخذته فعاب علي ذالك زيدُ بن صَوْحَان وسلمان بن ربيعة ، وذكرت ذالك لِأُبَـيِّ بن كعب ، فقال : أحسنت وأصبت السنة ، وهو عند البخاري وغيره ، وله ذكر في قصة أبي موسى حيث سُئِلَ عن بنت وابنة ابنٍ ، فوافقه سلمان بن ربيعة في القَسْمِ ، وسُئِل أبو مسعود فخالفهما . أخرجها النسائي وأصلها في البخاري وكان في خلافة عثمان . انتهى كلام ابن حجر .

---

(١) ٣/٦١ ، ٦٢ .

سَحبَانُ وَائل

ذكر ابن حجر في القسم الثالث من «الإصابة»[1]: بأنه يُضْرَبُ به المثلُ في البلاغة ، وذكره ابن عساكر في تاريخه ، وقال : بلغني أنه وفد على معاوية . قلت : إن ثبت هذا فهو من أهل هذا القسم ، فإن المعروف أنه جاهلي ، وقال أبو نُعَيْمٍ في كتاب «طبقات الخطباء»: كان سحبان خطيبَ العرب ، غير مُدَافعٍ ، وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ، ولم يَتَلَعْثَم ولم يتوقف ولم يتفكر ، بل كان يَسِيْلُ سَيْلاً . انتهى كلام ابن حَجَرٍ .

شَبيب بن جَحْل بن نَضلة الباهلي

قال ابن حجر في «الإصابة»[2]: له قصة مع أبي موسى الأشعريِّ في الفتوح ، تدل على أنه أدرك الجاهلية ، وعمر حتى شاخ ، ذكر الزبير بن بكار في «الـمُوَفَّقِيَّات» بغير إسناد : أن أبا موسى الأشعري عرض الخيل ، فمر به شبيب بن جَحْل بن نضلة الباهلي على فرس أعجف ، فقال : بالٍ على بالٍ ، فبلغه ذالك فأنشد :

رَآنِـي ٱلأَشْعَـرِيُّ فقَـالَ: بَـالٍ عَلَى بَالٍ، وَلَـمْ يَعْلَمْ بَلاَئِـي
وَمِثْلُكَ قَدْ قَضَيْتُ الرُّمْحَ فِيْه فَبَـاءَ بِـدَائِـهِ، وشَفَيْتُ دَائِـي

وأورد البلاذريُّ الخبر والشعر في «أنساب الأشراف» .

شقيق بن جَزْءِ بن رِيَاح الباهلي

قال ابن حجر في «الإصابة»: ويقال : اسم أبيه حريز[3]، له إدراك ، واستشهد باليرموك . ذكره ابن عساكر ، وقال ابنُ حجر أيضاً في ترجمة حكيم

(١) ٢/١٠٩ . (٢) ٣/ رقم الترجمة ٣٩٥٩ .
(٣) كذا وأراه تصحيف (جزء).

ابن قبيصة بن ضرار الضبي - فيما نقل عن ابن قُتيبة بسنده -: لما كان يَوْمُ سِلًى وساجِرٍ طرد شقيقُ بن جزء بن رياح الباهلي حكيمَ بن قبيصة - فذكر قصة لم يوردها ابن حجر - وقال: فحدثني غير واحد من أصحابنا أن شقيقاً أدرك الإسلام، فاستشهد باليرموك. قال: وقال غيره: وأدرك حكيم الإسلام فأسلم، وعاش إلى زمن معاوية، فقال له: أيُّ يومٍ من الزمنِ مَرَّ بِكَ، أَشَدُّ؟ قال: يومَ طردني شقيق. قال: فأيُّ يوم مَرَّ بك أَحَبُّ؟ قال: يوم هداني الله للإسلام.

صَخْر بن القعقاع الباهلي خال سويد بن حُجير

ذكره ابن حجر في «الإصابة»(١) فقال: روى الطبراني وابن منده من طريق قزعة بن سويد الباهلي: حدثني أبي، حدثني خالي صخر بن القعقاع، قال: لقيت النبي ﷺ بين عرفة والمزدلفة فأخذتُ بخطام راحلته، فقلت: يارسول الله مايُقَرِّبُنِـي إلى الجنة ويباعدني من النار - الحديث وفي آخره: «حُلَّ خِطَامَ الناقةِ».

صُدَيّ - بالتصغير - بن عجلان بن الحارث

ويقال ابن وهب بن عمرو بن وهب بن عريب بن رياح بن الحارث بن مَعْنِ ابن مالك بن أَعْصرُ الباهلي، أبو أُمامة، ذكره ابن حجر في «الإصابة» قائلاً(٢): مشهور بكنيته، روى عن النبي ﷺ وعن عمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة ومعاذ وأبي الدَّرْداء، وعبادة بن الصامت وعَمْرِو بن عَبَسَة وغيرهم، روى عنه أبو سلام الأسود، ومحمد بن زياد الألهاني وشرحبيل بن مسلم وشداد وأبو عمار،

---

(١) ٢/١٨١. (٢) ٢/١٨٢.

والقاسم بن عبدالرحمن وشَهْرُ بن حَوْشَبَ ومكحول وخالد بن معدان وآخرون ، قال ابن سعد : سكن الشام ، وأخرج الطبراني مايدل على أنه شهد أُحُدَ ، لكن بسند ضعيف ، وروى أبو علي من طريق أبي غالب عن أبي أمامة ، قال بعثني رسول الله ﷺ إلى قوم فانتهت إليهم وأنَا طاوٍ ، وهم يأكلون الدم ، فقالوا : هَلُمَّ ، قلت : إنما جئت أنهاكم عن هذا ، فنمت وأنا مغلوب ، فأتاني آتٍ بإناءٍ فيه شراب ، فأخذته وشربته فكظني بطني فشبعت ورويت ، ثم قال لهم رجل منهم : أتاكم رجل من سراة قومكم فَلَم تُتْحِفُوه فأتوني بلبن ، فقلت : لا حاجة لي به ، وأريتهم بطني ، فأسلموا عن آخرهم ، ورواه البيهقي في «الدلائل» وزاد فيه : أنه أرسله إلى قومه باهلة ، وقال ابن حبان : كان مع علي بِصِفِّيْنَ . مات أبو امامة الباهلي سنة ست وثمانين ، قال ابن البرقي : بغير خلاف ، وأثبت غيرُه الخلافَ فقيل سنة إحدى ، قاله محمد بن سعد ، وقال عبدالصمد بن سعيد : ولما مات خلف ابناً يقال له المغلِّس ، وله يعني صاحب الترجمة مئة وست سنين ، فقد صح عنه أن النبي ﷺ مات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وأخرج البخاريُّ في تاريخه من طريق عبدالحميد بن ربيعة : رأيت أبا أمامة خرج من عند الوليد بن عبدالملك في ولايته سنة ست وثمانين ، ومات ابنه الوليد سنة ست وتسعين ، قال : وقال الحسن - يعني ابن رافع عن ضَمُرَةَ - في «فضائل الصحابة» لخيثمة من طريق وهب بن صدقة : سمعت جدِّي يوسف بن حزن الباهلي ، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : لما نزلت ﴿لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ الْـمُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قلت : يارسول الله أَنَا ممن بايعك تحت الشجرة ، قال : «أنت مني وأنا منك» وأخرج أبو يعلي من طريق رجاءِ بن حَيْوَةَ عن أَبي أُمامة أَنْشَأَ رسول

الله ﷺ غَزْواً فأتيته فقلت : ادْعُ الله لي بالشهادة ، فقال : «اللهم سَلِّمْهُمْ وغَنِّمْهُم» ـ الحديث . ذكر ماتقدم الحافظ ابن حجر . وذكر خليفة في «الطبقات» أبا أمامة من أهل الشام[1] وساق نسبه هكذا : أبو أُمامة اسمه صُدَيُّ بن عجلان بن وهْب بن عَرِيب بن وهب بن رِيَاح بن الحارث بن مَعْنِ ابن مالك بن أَعْصُر ، مات سنة ست وثمانين ، نسبه ابن قُرَيب ، وساق الذهبي في «سير أَعلام النبلاءِ»[2] نسبه عن خليفة وأضاف : روى علماً كثيراً ، وكان في حجة الوداع ابن ثلاثين سنة ، ورُوي أنه بايع تحت الشجرة . انتهى . والغريب أَنَّ ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب»[3] قال : هو من بني سهم ـ وساق النسب إلى أعصر ـ وقال : ولا يصل نسب أبي أمامة بأكثر ، ولاشك أنه لم يطلع على مافي كتاب خليفة .

عَبَايَةُ بن بُحَيْر الباهلي

ذكر ابن حجر في «الإصابة»[4] بأن له ولأبيه يزيدَ صُحْبَةً ، وذكر ابن أبي حاتم أنه روى عن النبي ﷺ أنه أَنْكَرَ عليه وَسْمَهُ إبلِه عند الْـخِطَام .

عبدالرحمن بن رَبيعة الباهلي

أخو سلمان ، ذكر ابن حجر في «الإصابة»[5] فقال : تقدم نسبه عند ذكر أخيه ، وكان عبدُ الرحمن أَسَنَّ من أَخيه ، قاله أبو عمرو ، ذكر سيف في الفتوح عن مجالد عن الشعبي ، قال : لما وجه عمر سعداً على القادسية جعل على قضاء الناس عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي ، وكان يلقب : (ذَا النُّوْرِ)

---

(١) ـ ٤٦ ـ ط سنة ١٤٠٢هـ . (٢) ٣٥٩/٣ . (٣) ٢٤٧ .
(٤) ٢٧٣/٢ . (٥) ٣٩٨/٢ . .

وجعل إليه قسم الْفَـيْءِ والأقباض ، ثم استعمله عمر على الباب والأبواب ، وقتال الترك ، واستشهد بعد ذالك في بَلَنْجَرَ بعد مضي ثمان سنين من خلافة عثمان ، قال أبو عمر : ليس له عن النبي ﷺ سماع ولا رواية ، ويقال : إن عمر استخلفه مكان سراقة بن عَمْرٍو لما مات ، وأنه أراد غزو الترك فمنعه شَهْرَيَار وقال : إنا لَنَرْضَى أن تدعونا ، فقال عبدالرحمن : لٰكِنَّا لا نرضى بذالك حتى نأتيهم ، وإن معي لأقواماً لو أذِنَ لهم أميرهم في الإمعان لبلغوا الروم ، فلما هجم عليهم قالوا : ما اجترأ علينا هاؤلاء إلا ومعهم الملائكة ، قالوا : ودُفن عبدالرحمن في بلاد التُّرك ، فهم يستسقون به إلى الآن ، قلت : وقد ذكرنا غير مرة أنهم ماكانوا يُؤَمِّرُون في الفتوح إلا الصحابة . انتهى كلام ابن حَجَر ، وذكر صاحب «تاج العروس»[1] أن (ذا النور) لَقَبٌ عُرِفَ به عبدالرحمن ابن رَبيعة الباهلي ، قتله الترك بِبَاب الأبواب : زمن عمر بن الخطاب ، فهو لا يزال يُرَى على قبره نُوْرٌ ، نقله السُّهَيليُّ في «الروض» انتهى .

عبدالله بن أبي سبقة، ويقال سقبة الباهلي

ذكره ابن حجر في «الإصابة»[2] قائلاً : ذكره البغويُّ وغيره في الصحابة ، وأوردوا من طريق سعيد بن أبي حبَّان الباهلي حدثنا شبلُ بن نعيم الباهلي ، حدثنا عبدالله بن أبي سبقة الباهلي قال : أتيت النبي ﷺ وهو واقف على بعيره ، وكان رِجْلُهُ في غَرْزَة لحماره ، فاحتضنتها فقرعني بالسوط ، فقلت : يارسول الله الْقِصَاصَ ، فناولني السوطَ فَقَبَّلْتُ ساقه ورجله . ورواه ابن منده

(١) رسم (نور) .
(٢) ٢/٣٦٦ ، كذا في مطبوعات كتاب «الإصابة» (سبقة) ولكن إيراد هذا الاسم بين (مسافع) و(المستورد) يدل على أن صوابه (مسبقة) أو (مستقة) كما في «التجريد» للذهبي ، وفي «أسد الغابة» ٣/٢٥٥ : عبدالله بن أبي مسقبة وقيل : عبدالله بن أبي سقبة .

من هذا الوجه ، وزاد : في حجة الوداع ، وقال : غريب ، ووقع في روايته سعيد بن أبي حبان وصوب أبو نعيم الأول ، وحكى ابن قانع : أنه قيل فيه عبدالله بن أبي شعبة .

عبد الله بن معاوية الباهلي

قال ابن حجر في «الإصابة»[1] : تقدم في القسم الأول في ترجمة عبدالله بن معرضٍ وأنَّ ابن قانع غير اسم أبيه فأَخْطَأَ .

عبد الله بن مُعْرِض الباهلي

ذكره ابن حجر في «الإصابة»[2] فقال : ترجم له ابن أبي حاتم وبيض ، وقال ابن منده : سكن البادية ، وقال خليفة : سكن اليمامة ، وروى البغويُّ وابن أبي داود والطبريُّ من طريق خليفة بن خياط ومحمد بن سعد بن عمرو عن الفضل بن ثمامة حدثني عبدالله بن حمزة عن أبيه عن جده عبدالله بن مُعْرِضٍ الباهلي أنه وفد على رسول الله ﷺ فجعل له رسول الله ﷺ فريضةً في إبلهم ـ الحديث ، إسناده غريب ، وقال ابن قانع : وجدت في كتابي عن خليفة ولم أحفظ من حدثني به ، فذكره بسنده لكنه قال عبد ابن معاوية بغير اسم أبيه ، وقال في السند : عبدالله بن حمزة بن أيمن الباهلي ، فإن كان محفوظاً فالضمير في قوله عن جده لحمزة ، لا لعبدالله بن حمزة . وسَمَّى خليفةُ أبا عبدالله مُقْرِضَا قائِلًا : عبدالله بن مقرض من ساكني اليمامة[3] .

---

(١) ١٤٢/٣ .

(٢) ٣٧٢/٢ . (٣) طبقات خليفة ـ ٢٨٩ ـ .

عَمْرُو بن ألاحْمَر بن العَمَرّدِ بن تميم بن ربيعة بن حرام الباهلي أَبُو الخطاب

ذكره ابن حجر في «الإصابة»[1] فقال : قال المرزباني : مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ، وغزا مغازيَ في الروم وأُصيب بإحْدَى عينيه هناك ، ونزل الشام وتوفي على عهد عثمان بعد أن بلغ سناً عالية ، وهو صحيح الكلام كثير الغريب وهو القائل :

مَتَى تَطْلُبِ الْـمَعْرُوْفَ في غَيْرِ أَهْلِهِ ... تَجِدْ مَطْلَبَ الْـمَعْرُوْفِ غَيْرَ يَسِيْرِ
وَإِنْ أَنْتَ لَـمْ تَجْعَلْ لِعِرْضِكَ جُنَّةً ... مِنَ الذَّمِّ سَارَ الذَّمُّ كُلَّ مَسِيْرِ

وقال أبو الفرج : كان من شعراءِ الجاهلية المعدودين ، ثم أسلم ، وقال في الإسلام شعراً كثيراً ، ومدح الخلفاء الذين أدركهم ، وخالدَ بن الوليد ، وكان في جيشه بالشام ، ولم يلقَ أبا بكر ، ومدح عُمَر فمن دونه إلى عبدالملك بن مروان ، كذا قال وهو يُخالف قول المرزباني أنه مات في عهد عثمان ، فالله أعلم . (انتهى وسيأتي ذكره في الشعراء) .

كَريـم بن الحارث بن عمرو السّهْمِـيّ

جاء في «الإصابة»[2] لابن حجر : ذكره ابن منده وقال : ذكره البخاري في الصحابة ، وأورد له البغويُّ وابن قانع الحديث الذي رواه حفيده يحيـى بن زرارة بن كريم بن الحارث عن أبيه أَنَّ جده حدثه فكأنه توهم أَنَّ الضمير ليحيـى [وليس] كذالك بل هو لزرارة ، فقد أخرجه النسائي بلفظ : سَمِعْتُ أَبِـي يذكر أنه سمع جده ، وفي الطبراني عن يحيـى بن زرارة بن كريم بن

---

(١) ١١٢/٣ . (٢) ٢٩٣/٣ ، ٢٩٤ رقم ٧٤٠٣ .

الحارث ، حدثني أبي عن جده ، وعند أبي داود : عن زرارة بن كريم عن جده الحارث بـن عَمْرٍو ، وهذا أَبْيَنُ في المراد ، ووقع عند البزَّار من طريق أبي عاصم : حدثني يحيـى بن زرارة بن كريم بن الحارث رجل من بني سَهْمٍ ، حدثني أبي وجدي قال : أتيت النبي ﷺ ، فقلت : استغفرْ لي ، فقال : «غفر الله لكم . . .» الحديث ، في الْقَزَعِ والْعَتِيْرَةِ ، وهذا نظير ، رواه البغوي ، والصواب : أنَّ الحديث للحارث بن عمرو ، ولولا النقل عن البخاري : أنَّ لكريمٍ صُحْبَةً ـ لأوردته في القسم الأخير ، فليسَ البخاريُّ ممن يطلق الكلام بغير تأمل ، وقد تقدم في الحارث بن عمرو من رواية زيد بن الحباب مايقتضي أَنَّ الحديثَ لِعَمْرٍو والد الحارث . انتهى . وبنو سَهْمٍ من فُروع بَاهِلة المشهورة .

لاحق بن ضمير الباهلي

ذكره ابنُ حجر في «الإصابة»[1] قائلاً : أخرج أبو موسى من طريق أبي الشيخ بسندٍ له ، فيه مجاهيل إلى سليم أبي عامر سمعت لاحِقَ بن ضُمَيْرٍ الباهلي قال : وفدتُ على النبي ﷺ فسألته عن الرجل يلتمس الأَجْر والذِّكْرَ ، فقال النبي ﷺ : «لا شيْءَ له إن الله لا يقبل من العمل إلا ماكان خالصاً يُبْتَغى به وجهه» .

مالك بن أخامر[2] الباهلي

ذكره ابن حجر ، فقال[3]: ويقال ابن أُخَيْمِرٍ بالتصغير ، ويقال بالمهملة مع التصغير ، أُحَيْمر ، ذكره البخاري والبغوي وابن شاهين من طريق موسى بن

(١) ٣/٣٢٤ .

(٢) بالخاء المعجمة . (٣) «الإصابة» ٣/٣٣٨ .

يعقوب الربعي عن أَبي رَزِينٍ الباهلي عن مالك بن أخامر ، وفي رواية البغوي وابن شاهين : ابن أُحيمر ، لكن بالمهملة عند البغوي ، وبالمعجمة عند ابن شاهين : أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إن الله لا يقبل من الصفور يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» فقلنا : يارسول الله وما الصفور ؟ قال : «الذي يُدْخِلُ على أهلِه الرجالَ» . ورجح ابن حِبَّان أن أباه أخيمر ومن قال فيه أخامر فقد وهم .

أبو مجيبة الباهلي

قال ابنُ حجر في الكُنَى من كتاب «الإصابة»[1] : أبو مجيبة ـ بضم أوله وكسر الجيم وبموحدة ـ ذكره ابن حبان في الصحابة ، وقال أبو عمر : لا أعرفه ، وقال البغوي : أبو مجيبة أو عمها سكن البصرة ، قلت : هو والد مجيبة الباهلي ، والباهلية ، وقع عند ابن ماجه عن مجيبة الباهلي عن أبيه ، وعن أبي داود : مجيبة الباهلية عن أبيها ، وأفاد البغويُّ أن اسم والد مجيبة عبدالله بن الحارث ، والصواب أن مجيبة امرأة ، فقد وقع عند سعيد بن منصور عن ابن عُلَيَّةَ عن الْـجُرَيْرِيِّ عن أبي سليل عن مجيبة الباهلية عجوز من قومها . انتهى .

وفي اسم (عبدالله بن الحارث الباهلي) لم يزد على : (قيل : هو اسم أبي مجيبة) ولم يذكر شيئاً عن مجيبة في «تهذيب التهذيب» فضلاً عن «الإصابة» . وفي «طبقات خليفة» : أبو مجيبة أَوْ عَمُّ مُجِيبة الذي روى الـجُرَيري عنه في الصوم[2] .

مُحْرِز بن أَسَيْد الباهلي

قال ابن حجر في «الإصابة»[3] : مُحْرِز بن أَسَيْد بن أخشن بن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بـن زيد بن عمرو بن سلامة الباهلي له إدراك ، ذكره أبو بشر

(١) ١٧٣/٤ . (٢) طبقات خليفة ـ ٢٨٩ ـ .
(٣) ٣٦٨/٣٦٧/٣ .

الدُّوْلَابِيُّ في الْكُنَى ، في ترجمة ولده أَدْهَمَ من رواية أدهم ، قال : أول رايَةٍ دخلتْ حِمْصَ ورُكِزَتْ حول مدينتها رايةُ ميسرة بن مسروق ، قال : ولقد كانت لأبي أمامة راية ، ولأبي مُحْرِزِ بن أسيد قال : وكان أبي أولَ مسلم قتل مشركاً بحمص ، وهو القائل في الخضاب :

وَلَـمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ شَيْناً لِأَهْلِهِ   تَشَبَّبْتُ وَابْتَعْتُ الشَّبَابَ بِدِرْهَمِ

وكان أدهم من الأمراء الشاميين في وقعة عين الوردة ، وكان هو البشير بالفتح ، وهو أول مولود بحمص ، وأول مولود فُرِض له بها . قلت : وقد تقدم أنهم ماكانوا يُؤَمِّرُونَ في الفتوح إلا الصحابة ، فيكون محرز على هذا من أهل القسم الأول ، وقد أشرت إليه هناك في القسم الرابع . انتهى كلام ابن حجر ولكنه لم يذكرهُ في القسم الرابع من «الإصابة»: وإنما ذكره في القسم الثالث بما هذا نصه : محرز بن أسيد الباهلي : له إدراك ، وذكر أبو إسماعيل الأزديُّ أنه شهد حصار دمشق في خلافة أبي بكر ، ونقل عن عمرو بن مالك عن أدهم بن محرز بن أسيد الباهلي ، عن أبيه ، قال : افتتحنا دمشق سنة أربع عشرة في خلافة عمر ، قال : وقال قرة بن لقيط ، عن أدهم بن محرز : أول راية دخلتْ أرض حمصَ رايةُ مسروق بن ميسرة ، قال : وكان أبي يقول : أنا أول رجل قتل رجلاً من المشركين بحمص . قال أدهم . وإني لأَوَّلُ مولودٍ بحمص ، وأول من فُرِض له بها وَبيدي كَتِفٌ ، وأَنَا أَخْتَلِفُ إِلَى الْكُتَّابِ .

وأخرج ابن عساكر من طريق محمد بن إبراهيم بن مهدي ، عن عمرو بن مالك القيني ، عن أدهم بن محرز ، عن أبيه ، قال : افتتحنا دمشق في رجب سنة أربع عشرة ، ومن طريق خليفة بن خياط قال : في رجب سنة ثمان وسبعين غزا مُحْرِزُ بن أبي محرز أرضَ الروم وفتح أَرْحَلَةَ . انتهى .

محمد بن ابراهيم الباهلي

ذكره خليفة بن خياط في «الطبقات»[1] من أصحاب رسول الله ﷺ ، من أهل اليمامة .

مُطَرّفُ بن خالد بن نضلة الباهلي

قال ابن حجر في «الإصابة»[2]: ذكره أبو أحمد العسكريُّ في الصحابة ، وقال : أسلم ، وكتب له النبي ﷺ كتاباً وقال الرُّشَاطِيُّ : مطرف الكاهلي ، وفَد على النبي ﷺ بعد الفتح ، فكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقات ، كذا ذكره بالكاف ، وقال ابن شاهين : مطرف بن الكاهن الباهلي من بني قريض[3]، ثم ساق حديثه ، فقال : حدثنا عمرو بن مالك ، أخبرني المنذر حدثنا الحسين بن محمد بن علي ، حدثنا علي بن محمد المدائني عن أبي معشر عن يزيد بن رَوْمَان عن محمد بن إسحاق عن شيوخه قالوا : وفد مطرف بن الكاهن الباهلي أحد بني قريض على رسول الله ﷺ بعد الفتح فقال : يا رسول الله سَلَّمْنَا للإسلام ، وشهدنا دين الله في سماواته ، وأنه لا إله غيره ، وصدَّقْنَاك ، وآمنَّا بكل ما قلت ، فاكتب لنا كتاباً ، فكتب له : «من محمد رسول الله ﷺ لمطرف بن الكاهن ، ولمن سكن بِيْشَة من باهلة ، أنّ من أَحيا أرضاً مواتاً فيها مراحُ الأنعام ، فهي له ، وعليه في كل ثلاثين من البقر فارِضٌ ، وفي كل أربعين من الغنم عتودٌ ، وفي كل خمسين من الإبل مُسِنَّةٌ . . .» الحديث ، وفيه : فانصرف مطرف وهو يقول :

---

(١) ٢٨٩ طبعة سنة ١٤٠٢هـ .

(٢) ٣/٤٢٣ .

(٣) كذا والصواب : من بني فراص كما في «أنساب الأشراف» للبلاذري ، ونصه : فمن بني فراص مطرف بن الكاهن ، وفد على النبي ﷺ رسولاً لقومه ، فكتب له رسول الله ﷺ .

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً عَلَى كُلِّ حَرْفٍ مِنْ سَدِيْسٍ وَبَازِلِ

في أبيات يمدح بها النبي ﷺ ، وهذا مما يقوي أنه من باهلة ، قال أبو عبيد البكري في «معجم مااستعجم»: قال يعقوب : بِيْشَةُ وَادٍ يصبُّ من جبل تهامة ، وفي بعضها لبني هلال ، وبعضها لسلول ، وهذا يقوي أنه باهلي . وقد أورد ابن سعد في «الطبقات» مانصه[1]: وكتب رسول الله ﷺ وسلم ، لمطرف ابن الكاهن الباهلي : «هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ولمن سكن بِيْشَةَ من باهلة ، أَنَّ من أَحْيَا أرضاً مَوَاتاً بيضاء فيها مناخ الأنعام ومراح فهي له ، وعليهم في كل ثلاثين من البقر فارض ، وفي كل أربعين من الغنم عتود ، وفي كل خمسين من الإبل ثاغِيَة مُسِنَّةٌ وليس للمُصَدِّقِ أن يصدِّقَها إلا من مراعيها ، وهم آمنون بأمان الله» .

نَهْشَلُ بن مالك الوائلي الباهلي

جاء في كتاب «الطبقات الكبرى»[2] لابن سعد مانصه : قالوا وكتب رسول الله ﷺ لنهشل بن مالك الوائلي من باهلة : «باسمك اللهم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لنهشل بن مالك ، ومن معه من بني وائل ، لمن أسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من الْـمَغْنَمِ خُمُسَ الله وسَهْم النبي ، وأشهد على إسلامه ، وفارقَ المشركين ، فإنه آمِنٌ بأمان الله وبريء إليه محمد من الظلم كله ، وأنَّ لهم أن لا يحشروا ولا يعشَّرُوا وعاملهم من أنفسهم» وكتب عثمان بن عفان .

---

(١) ١/٢٨٤ ط بيروت .
(٢) ١/٢٨٤ .

الْهِرْمَاس بن زياد الباهلي

قال ابنُ سعدٍ في «الطبقات»(١): أخبرنا هشام أبو الوليد الطاليسي قال: حدثنا عكرمةُ بن عمار، قال: حدثني الهِرْمَاسُ بن زياد الباهلي قال: أبصرتُ رسول الله ﷺ وأَبي مُرْدِفِـي وراءَهُ على جمل له، وأَنا صبيٌّ صغير، فرأيت النبي ﷺ يخطب الناس على ناقته العضْبَاء يوم الإضحى بمنى. وقال الذهبي(٢): عداده في صغار الصحابة، رأى النبي ﷺ يخطب بِمِـنَى على بعير، عُمِّرَ دهراً، وأضاف: قُلْتُ: أَظُنُّ الهرماسَ بقي حَيًّا إلى حدود سنة تسعين.

قال: أخبرنا أبو النصر هاشم بن القاسم قال: حدثنا عكرمة بن عمار قال: حدثنا الهرماس بن زياد الباهلي قال: كنت ردف أَبي يوم الإضحى ونبي الله ﷺ يخطب الناس على ناقته بمنى.

وساق ابن حجر نسبه في «تهذيب التهذيب»(٣) فقال: هو أبو حُدير الهِرْماس بن زياد بن مالك بن عبدالعزى بن عامر بن ثعلبة بن غنم بن مالك ابن أَعْصُر، من ساكني اليمامة، وقال خليفة بن خياط في «الطبقات»(٤): روى عن النبي ﷺ وهو آخر من مات من الصحابة باليمامة، قال عكرمة بن عمار: لقيته سنة اثنتين ومئة. وعَدَّهُ من أهل اليمامَةِ.

وروى عنه ابنه القعقاع، وحنبل بن عبدالله، وعكرمة بن عمار وقد ترجمه ابن حجر في «الإصابة»(٥) فقال: روى حديثه أبو داود وغيره بإسناد صحيح، وهو أحد بني سَهْمٍ بن عمرو، من رهْطِ أَبي أمامة الباهلي، كان له ابن عم

---

(١) ٥/٥٥٣. (٢) «سير أعلام النبلاء» ٣/٤٥٠.
(٣) ١١/٢٨. (٤) ٢٨٩ ط سنة ١٤٠٢. (٥) ٣/٦٠٠ رقم الترجمة: ٨٩٤٤.

يقال له : حبيب بن وائل ، وقد وُسِّعَ عليه في المال ، فقال فيه أبو شحمة الباهلي :

إنِّـيْ وإنْ كَـانَ حَبِيْبُ أوْسَعَا ... ولَـمْ أزِدْ عَـلَى الْكَفَـافِ قَنعَـا
آكُـلُ مَـاآكُـلُ حَتَّى أشْبَعَـا ... وأشْـرَبُ الْبَـارِدَ حَتَّى أنْـقَعَـا

فقال الهرماس يجيبه عن حَبيب :

كُنْ كَحَبِيْبٍ ثُمَّ دَعْـهُ أوْدَعَـا ... وَارْقَ عَلَى ظَلْعِكَ أنْ تَكَعْكَعَا

في أبيات .

يزيد بن عباية الباهلي

جاء في كتاب «الإصابة»(١) لابن حجر : يزيد بن عباية بن بجيرة بن خالد ابن جُلَاسِ بن مُرّة بن زيد بن مالك بن جنادة بن معن الباهلي ذكره أبو عمر مختصراً ، وقال ابن منده : روى حديثه إبراهيمُ بن المستمر بن زياد بن قُريع ابن يزيد بن عباية ، عن أبيه عن جده يزيد أنه أتَى النبي ﷺ فمسح على رأسه ، وأتاه بصدقة ، وقد تقدم ذكر عباية في حرف العين .

---

(١) ٣/٦٦٠ .

من مشاهير هذه القبيلة

قل أَنْ تَخْلُوَ قبيلة من قبائل العرب من أن يوجد بين أُفرادها من بَرَّزَ في جانب من جوانب الفضل والنبل ، من علم أو شجاعة أو سخاء وكرم ، أو نجدة أو غير ذالك من صفات النباهة ، وسِمات المجد .

ولهذه القبيلة من ذالك نصيبها ، ولكن من المعروف أن التَّصَدِّيَ لتسجيل مآثر كل قبيلة لإبراز مشاهيرها على حدة لم يكن معروفاً بصفة شاملة ، وإنما كان يتخذ من سروات القبيلة وسيلة لإبراز ذوي النبوغ والبروز فيها ، ذالك أنَّ علم النسب عند العرب ، كان من أولى المراحل التي سُجِّلَ فيه تاريخُ تلك القبائل ، ولعله في أول الأمر إنما وضع لذالك ، وليست الغايةُ منه مُجَرَّدَ سرد الأنساب ، وإنما التركيز على ذوي الشهرة في هذه القبيلة .

والمتتبع لكتب التاريخ والأدب والأنساب يجدها تحوي أسماءَ كثير ممن عُرف بمزايا حميدة ، ولكنه لايجد فيها من التفصيل مايشفي غلة الباحث المتتبع .

ولقد مَرَّ بي أثناء القراءةِ من أسماء مشاهير هذه القبيلة ممن برز في جانب من جوانب المحامد مَنْ رَأَيت أن أقدمه في هذه المحاولة التي أردتُّ منها التدليل على أن قبيلة باهلة لها من الفضل والشرف ما لغيرها من القبائل الأخرى ، ولم أُحَاوِلِ الشُّمُولَ والإستيعاب ، والحصر ، إذ ليس من السهولة بمكانٍ إدْرَاكُ ذَالِكَ إلَّا بِطُوْل زَمَنٍ ، وسعة اطِّلَاع ، وتَوَفُّرِ مراجع ، واتِّجَاهٍ خَاصٍّ لهذا الأَمْرِ ، وهذا مِمَّا لا يَتَسَنَّى لِكُلِّ أَحَدٍ .

١ - العلمـــاء

ابراهيم بن عبد اللطيف الباهلي

هو الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالله بن عبداللطيف بن محمد بن علي بن حمد بن مَعْيُوف بن سعد بن ناصر بن قاسم الباهلي[١]، ولد في القصيم سنة سبعين ومئتين وألف ثم انتقل به والده عبداللطيف وهو صغير السن إلى بلدة شَقْراء قاعدة إقليم الوشم ، فنشأ بها نشأة صالحة ، فحفظ القرآن عن ظهر قلب ، واشتهر بالصلاح ، فعينه جماعته حين بلغ عشرين سنة إماماً وخطيباً في جامع شقراء ، فاستقام في هذا المنصب نحو خمسين عاماً احتساباً للأجر والثواب ، وقد طلب العلم منذ صغره ، فقرأ على علماء بلده ، ومن مشايخه الشيخ علي بن عبدالله بن عِيسى ، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، كما أخذ عن غيرهما كالشيخ الفقيه محمد بن محمود في خلال زياراته لمدينة شقراء ، وجدَّ واجتهد حتى أدرك جانباً من العلوم .

وفي عام سبع وثلاثين وثلاث مئة وألف ولاه الملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ القضاء في شقراء وتوابعها من بلدان الوَشْم ، واستمر في هذا المنصب حتى توفي ـ رحمه الله ـ وكان مثالاً في العبادة والورع ، والعدالة والنزاهة ، وتحرِّي الحقِّ والصواب في أحكامه ، ذا غيرة على دين الله تعالى ، وعبادة وصلاح ، وحُسْنِ خُلُق ، مما جعل الله له محبة في القلوب ، وجلالاً في النفوس ، وثقةً في أقواله وأعماله ، وكان له مع قيامه بالقضاء وإمامة جامع البلد

---

(١) من كتاب «علماء نجد في خلال ستة قرون»: ١٣١/١ مع إضافة بعض ما يتعلق بالترجمة . ونقل الأستاذ سعد بن جنيدل عن الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى : معيوف بن سعد بن يوسف بن ناصر الباهلي . انتهى .

حلْقَةُ تدريسٍ ، فنفع الله بعلمه ، وكان من تلاميذه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر ، الذي كان رئيساً لهيئة التمييز بمكة ، والشيخ محمد بن علي الْبَيْزِ رئيس محكمة الطائف ، والشيخ علي بن عبدالرحمن بن عودان أحد قضاة المحكمة الكبرى في الرياض ، والشيخ محمد بن إبراهيم البواردي أحد قضاة محكمة التمييز في الرياض ، والشيخ إبراهيم بن عبدالله الْهُوَيْش من القضاة ، والشيخ عبدالله بـن محمد الدَّوْسَرِي تولى القضاء أيضاً في القويعية قاعدة الْعِرْضِ وغيرهم ، وابنَا المترجم الشيخان عبدالعزيز وعبداللطيف .

وللشيخ إبراهيم خمسة أبناء كلهم من أهل العلم ، أكبرهم الشيخ عبدالله توفي في حياة والده ، والمشايخ محمد وعبدالعزيز وعبداللطيف وصالح ، وكلهم ذوو فضل وعلم وأبناه الشيخان محمد وعبدالعزيز ستأتي ترجمتاهما ، وأما ابنه الشيخ محمد ، فقد ولد في شقراء سنة ١٣٠٨هـ ، وطلب العلم على والده الشيخ إبراهيم ثم على الشيخين محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأخيه عبداللطيف في الرياض ، وتولى رئاسة هيئة الأمر بالمعروف في رابغ وفي تُرَبَة ، كان آخرها هيئة الأمر بالمعروف بالمسجد النبوي الشريف إلى عام ١٣٩٦هـ ، وقد توفي ـ رحمه الله ـ في مدينة الرياض في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٩٩هـ .

وأصغر أبناء الشيخ إبراهيم هو الشيخ صالح ، ولد في مدينة شقراء سنة ١٣٣٩هـ ، ونشأ بها وتعلم على الطريقة التي كانت معروفة في ذالك العهد ، فحفظ القرآن ، وتعلم الكتابة ، ثم انتقل سنة ١٣٦٦هـ إلى مدينة بُرَيْدة مشتغلاً بالتجارة إلى سنة ١٣٨٤هـ حيث انتقل إلى المدينة المنورة فشغل وظائف في الجامعة الإسلامية في مكتبتها المركزية ، وغيرها حتى أحيل إلى التقاعد سنة ١٣٩٨هـ .

وقد توفي الشيخ إبراهيم في ثامن عشر شهر شوال عام اثنين وخمسين وثلاث

مئة وألف عن اثنتين وثمانين سنة ، وقد رثاه الأديب الشاعر محمد بن عبدالله بن بُلَيْهِد بقصيدة جاء فيها :

أرِقْتُ أُرَاعِـي النَّجْمَ وانْبَلَجَ الْفَجْرُ ... أُكَابِدُ أَحْزَاناً يَضِيْقُ بِهَا الصَّدْرُ
فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَجْرِي كَأَنَّهَا ... جَدَاوِلُ مَاءٍ أَوْ مِنَ الْـمُدْجِنِ الْقَطْرُ
عَلَى فَقْدِ مَيْمُونِ النَّقِيْبَةِ طَـاهِرٍ ... (فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ)
فَمَوْتُ أَبِـي عَبْدِ اللَّطِيْفِ مُصِيْبَةٌ ... وَلَيْسَ لَنَـا إِلَّا التَّجَلُّدُ والصَّبْرُ
فقد كان في شقراء بَدْرٌ سَنَاؤُهُ ... يُؤَمُّ فَأُلْقِـي في الثَّرَى ذَالِكَ الْبَدْرُ
قَضَى عُمْرَهُ شَطْرَيْنِ طُوْلَ حَيَاتِهِ ... بِمِحْرَابِهِ شَطْرٌ وَفي عِلْمِهِ شَطْرُ

وترجمه الشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي في كتابه «روضة الناظرين» بترجمة لا تخرج عما تقدم[1].

إبراهيم بن معالي الباهلي

ذكر الحافظ المنذريُّ في كتاب «التكملة لوفيات النقلة» في حوادث سنة ٦٢٦ قال : في العاشر من شهر رمضان توفي القاضي إبراهيم بن معالي بن عبدالرحيم ابن الفهم الباهلي حدث عن جماعة . ولم يَزِدْ على هذا .

ومعروف أَنَّ الحافظ المنذري عبدالعظيم بن عبدالقوي (٥٨١/٦٥٦) مصريُّ المولد والدار والوفاة .

إبراهيم بن معاوية الباهلي

قال الخطيب[2] : إبراهيم بن معاوية بن حبلة بن إسحاق الباهلي ، حدث عن عمه عبدالرحمن بن حبلة وأبي نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن ، ومسلم بن

(١) ٤٧/١ . (٢) «تاريخ بغداد» ١٨٧/٦ .

إبراهيم ، وأبي الوليد الطيالسي وقال : وكان من أهل البصرة ، فسكن بغدادَ وروى الخطيبُ بواسطته حديثاً ساق بسنده إلى أنس في فضل قراءة ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ .

إبراهيم بن يوسف الباهلي البلخي

قال السمعاني في «الأنساب»[1] : أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن ميمون ابن رَزِين البلخي الماكِيَاني ، يروي عن حماد بن زيد وسفيان بن عيينة ، وعبدالله بن المبارك . وروى عن مالك بن أنس حَديثاً واحداً ، روى عنه جماعة من أهل بلخ . مات سنة إحدى وأربعين ومئتين في أولها . قال أبو حاتم بن حبان : وكان ظاهر مذهبه ـ يعني أبا إسحاق الماكياني ـ الإِرْجَاءُ ، واعتقاده في الباطن السُّنَّة . قال محمد بن داود الفرعي : حلفتُ ألا أكتب إلَّا عمن يقول : الإيمان قول وعمل كذا وردت الترجمة في كتاب «الأنساب» للسمعاني ، وقد فصلها صاحب كتاب «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» فقال مانصه[2]: إبراهيم بن يوسف بن ميمون بن قدامة ، وقيل ابن رزين ، أبو إسحاق ، الباهلي ، عرف بالماكياني ، نسبة إلى جَدِّه ، فيما ذكره السَّمْعَانِـيّ . وهو أخو عِصَام ، ومحمَّد ، ووالدُ عبدالله وعبدالرحمن ، الآتي كُلٌّ منهُم في بَابه . وإبراهيم هذا هو الإمام المشهُورُ ، الكبيرُ الْـمَحلِّ عند أصحاب أبي حَنيفة ، وشيخ بَلْخَ وعالِمُها في زمانِه .

لزم أبا يُوسُفَ حتى برعَ ، وروى عن سفيان بن عُيَيْنة ، وإسماعيل بن عُلَيَّة ، وحَمَّادِ بن زَيْد وروَى عن مالك بن أنس حَدِيثاً وَاحداً ، عن نافع مولى

(١) رسم (الماكياني) .
(٢) : ٢٥٥/٢٥٤/١ .

ابن عُمَرَ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : (كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)، وسَبَبُ تفرُّدِهِ أنه دخل على مالك يسمع منه ، وقُتَيْبَةُ بن سعيد حَاضِرٌ ، فقال لمالك : إن هذا يَرَى الإِرْجاءَ . فأمر أن يُقامَ مِنَ المجْلس ، ولمْ يَسْمَعْ غَيْرَ هذا الحديث ، ووقع له بهذا مع قُتَيْبَةَ عداوة ، فأخرجه من بَلْخ ، فنزل قرية بَغْلاَنَ ، وكان بها إلى أن مات .

وَرَوَى النَّسائِيُّ عن إبراهيم هذا ، وقال : ثقة .

وذكَرَهُ ابنُ حِبَّان في الثِّقات . وقال عبدالرحمن بن أبي حَاتِمٍ في كتاب «الرَّدِّ على الجَهْمِيَّةِ» حدَّثني عيسى بن بنت إبراهيم بن طَهْمَانَ ، قال : كان إبراهيمُ ابن يُوسُف شَيخاً جَليلاً فقيهاً ، من أصحاب أبي حنيفة . طلبَ الحديث بَعْدَ أن تفقَّهَ في مذهبهم ، فأَدْرك ابنَ عُيَيْنة وَوَكيعاً . فسمعْتُ محمد بن محمد بن الصِّدِّيق ، يقول : سمعتُه يقول : القرآنُ كلامُ الله ، ومن قال : مخلوق فهو كافر بَانَتْ منه امرأتُهُ ، ولا يُصلَّى خلفه ، ولا يُصَلَّى عليه إذا مات ، ومَن وقف فهو جَهْمِيٌّ . وقال أحمد بن محمَّد بن الفضل : سمعتُ محمد بن دَاوُد الفُوعي يقول : حَلفْت أن لا أكتب إلاَّ عَمَّنْ يقول : الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ ، فأتيتُ إبراهيم بن يُوسف فقال : اكتُبْ عَنِّي ، فإني أقول : الإيمان قولٌ وعَمَلٌ . وكان عِصَامُ بن يوسف أخو إبراهيمَ هذا يَرْفع يَدَيْهِ عند الركوعِ ، وعند رَفْعِ الرَّفْعِ ، وكان إبراهيمُ لا يَرْفعُ تُوُفِّي سنة إحْدَى وأَرْبعين في أوَّلها ، وقيل : سنة تسع وثلاثين ومئتي ـ رحمه الله تعالى ـ . وأضاف الذهبي[1] إلى ما تقدم : وكان من أبناء التسعين ، وذكر في نسبة الماكياني : وماكيان : قرية من قرى بلخ .

(١) «سير أعلام النبلاء» ١١/٦٢ .

أحمد بن حاتم الباهلي

هو أبو نَصْرٍ أحمد بن حاتم الباهلي ، الملقب بصاحب الأصمعي[١]، وقيل : غلام الأصمعي ، وقد عرف في كتب اللغة والأدب بكنيته ولقبه ، وربما أُشير إليه بنسبته فقط .

ولم تذكر المصادر شيئاً عن مولده ، إلا أنها تكاد تجمع على أنه توفي سنة ٢٣١هـ كما ذكر بعضها أنه بلغ من العمر نيفاً وسبعين سنة ، وأما شيوخه[٢] الذين أخذ عنهم فأشهرهم خاله أبو سعيد عبدالملك بن قُرَيب الأصمعي ، وهو أستاذه الأول ، وقد لزمه طوال حياته ، وكان أبو نصرٍ أثِيراً عنده ، يفضله على سائر تلاميذه ، حتى رَوى عنه أبو حاتم السِّجِسْتَانِيُّ : سمعت الأَصْمعيَّ يقول : ليس يصدُقُ عليَّ أحدٌ إلا أبو نصر[٣].

وممن روى عنه : إبراهيم الحربي ، وثعلب ، ووصفه الخطيب بأنه ثقة[٣].

وذكر ابن النديم من مؤلفاته :

١ ـ «الشجر والنبات» .

٢ ـ «اللبأ واللبن» .

٣ ـ «أبيات المعاني»[٤].

٤ ـ «الإبـل» .

٥ ـ «اشتقاق الأسماء» .

٦ ـ «الزرع والنخل» .

٧ ـ «الخيـــل» .

٨ ـ «ما تلحن به العامة» .

٩ ـ «الجـــراد» .

ونقل في «لسان العرب»[٥] عن كتاب «الأجناس» من تأليفه .

---

(١) «ديوان ذي الرمة» ١/٨٣ و٨٤ .

(٢) المصدر السابق ١/٨٤ و٨٥ .

(٣) «تاريخ بغداد» ٤/١١٤ .

(٤) في «تاج العروس» رسم عطر سماه «كتاب المعاني» .

(٥) رسم (غرر) .

وله «شرح ديوان ذي الرمة» حققه الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، ونشره (مجمع اللغة العربية) بدمشق في ثلاثة أجزاء ، ولأبي نصر ترجمة مطولة في أول هذا الشرح ، كتبها محققه .

وفي ترجمة الأصمعي ما لمؤلفاته من أَثَرٍ في مؤلفات تلميذه أحمد بن حاتم أبي نصر هذا ، بحيث يرى بعضُ الباحثين أن أكثر مؤلفاته استقاها من مؤلفات شيخه وخاله الأصمعي ، ولعل من تلك المؤلفات شرحُهُ لديوان ذي الرُّمَّةِ ، فقد ذكر المتقدمون أنَّ الأصمعيَّ شرح هذا الديوان ، ووصل إلينا هذا الشرح منسوباً إلى أبي نصر .

أحمد بن سعيد بن سَلْمٍ الباهلي

هو أحمد بن سعيد بن سَلْم بن قتيبة الباهلي ، كان الأصمعي وأبو عَمْرٍو وابنُ الأعرابي يجتمعون عنده[(١)]، مما يدل على أنه يقدر العلماء ، ولايعرف الفضل إلا ذووه .

أحمد بن معاوية الباهلي

من رواة الأخبار المتعلقة بأبي جعفر المنصور ، يروي عن أبيه معاوية بن بكر الباهلي ، وعن عبدالعزيز بن يحيـى المدني مولى بني هاشم ، وهذا يروي عن عبدالله بن أبي سعد[(٢)]، وهو من شيوخ القاضي وكيع ، يروي عنه في «أخبار القضاة»[(٣)]، وقال الخطيب البغدادي[(٤)]: أحمد بن معاوية بن أبي بكر بن

---

(١) «مجالس العلماء» للزجاج ١٩/ ٨٧ .
(٢) «تاريخ الموصل» ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٢٤ ، ٤٣١ و«تاريخ ابن جرير» ٨/ ٥٦ و٢٠٣ .
(٣) ١/ ٣٥٦ .
(٤) «تاريخ بغداد»: ٥/ ١٦٢ .

معاوية ، أبو بكر الباهلي البصري ، سكن سُرَّ مَنْ رآى ، وذكر من مشايخه وكيعاً القاضي محمد بن حيان ـ ، والنضرَ بن شميل ، وممن روى عنه عمر بن شَبَّة ، وعبدالله بن أبي سعد الوراق[1] وغيره .

وقال : وكان صاحب أخبار ، وراويةً للآداب ، ولم يكن به بأس . انتهى ، وهو من تلاميذ الأصمعي[2].

أحمد بن الوليد بن عبد الخالق الباهلي

عدة ابن حزم في قضاة مدينة جَيَّان ، حين تحدث عن قضاتها من باهلة ، قائلاً[3]: ومنهم بِجيَّان بنو عبدالخالق بن محمد بن أحمد (قاضي) بن الوليد (قاضي) بن عبدالخالق (قاضي) بن عبدالجبار بن قيس . وساق النسب إلى قتيبة ابن مسلم .

ادْهَمْ بن مُحْرِز الباهلي

سيأتي في الأمراء ذكر أدهم بن محرز بن أسيد بن أخشن الباهلي ، وهذا أدهم بن محرز باهلي آخر ، لا يتفق مع الذي سيأتي ذكره في الزمن ، فالأول عاش في القرن الأول الهجريِّ ، والثاني في القرن الثاني ، ولهذا الأخير كتاب «الطيور» في الخزانة التيمورية[4] في دار الكتب المصرية ، قال عنه الدكتور محمد عيسى صالحية[5]: عاش زمن المهدي ، حيث أمره المهدي أن يصنف

---

(١) انظر ترجمة الوراق في مقدمة كتاب «المناسك» .

(٢) «تاريخ الأمم والملوك» ٢٠٣/٨ حيث نقل عنه قوله : حدثنا الأصمعي .

(٣) «جمهرة أنساب العرب»: ٢٤٦ . (٤) رقم ٢ فروسية .

(٥) «الصقر والصيد عند العرب» حاشية ٧١/٣١ .

كتاباً جامعاً لمقالات الحكماء والفلاسفة من تُرْكٍ وروم ، ولما جربته العرب . انتهى ، فإذا صح ماتقدم فقد يكون حفيداً لأدهم بن محرز الأول ، الذي تقدمت ترجمته في الصحابة ، وسيأتي له ذكر في الأعيان .

وبعد كتابة ماتقدم اطلعت على الكتاب الذي في دار الكتب المصرية ففهمت من مقدمته أن أدهم بن محرز لم ينفرد في تأليفه ولكنه شارك في ذالك ، فقد جاء في أوله : قال الحجاج بن خيثم : استخرجنا من خزانة الرشيد هذا الكتاب ، وعرضناه على الغطريف بن قدامة الغساني ، صاحب (الضواري) فعرفه ، فذكر أن معاذ بن مسلم زادهم فيه كلماتٍ لملوك الأكاسرة ، وأن ميخائيل بن ليون عظيم الروم لما سمع بولع المهدي بالصيد ولذته ، أَهْدى إليه كتاباً كان لأوائلهم في ضواري الصيد ، فأمر المهدي بإحضار أدهم بن محرز الباهلي ، وكان قد سمع منه فيها نوادرَ العرب ، فأمر بأن نؤلف كتاباً جامعاً لمقالات الحكماء والترك والفلاسفة والروم ، وبما جربت العرب ، فألفنا هذا الكتاب ، وكان أحسنَها وأجمعها لأمور البزاة والصقور والشواهين وسائر الضواري .

وأصل مخطوطة الكتاب في إحدى مكتبات استنبول ، وصورتها في دار الكتب المصرية برقم ٧٤٨ (طب) وعنوانه «طب الطيور» .

اسحاق بن الضيف الباهلي

مُحَدِّثٌ ذكره ابنُ عساكر في تاريخه ، وقال[1] : يقال إسحاق بن إبراهيم بن الضيف بن يعقوب الباهلي البصري العسكري ، حدث عن عبدالرزاق ومحمد ابن حبيب العدني ، ويزيد بن أبي حكيم العدني ، وذكر غير هاؤلاء ، وأنه قدم

(١) «تاريخ دمشق» ٢/٧٥٩ .

دمشق ، فسمع بها ، وروى عنه أبو داود السجستاني ، وذكر آخرين ، فأورد بسنده عن طريقه أحاديث ، وأن بشر بن الحارث قال له : قد أكثرتَ مجالستي ولي إليك حاجة ، إنك صاحب حديث ، وأخاف أَنْ تفسد علي قلبي ، فأُحِبُّ أَنْ لا تعود إلي قال : فلم أَعُـدْ إليه ، ونقل عن أبي سعيد بن يونس : إسحاق ابن الضيف الباهلي البصري ، قَدِمَ مِصْرَ وكُتِبَ عنه .

اسماعيل بن أحمد بن معاوية

قال الخطيب[1]: إسماعيل بن أحمد بن معاوية بن بكر الباهلي ، بصريٌّ ، سكن بِسُرَّ مَنْ رأى ، وحدث بها عن أبيه ، وساق بسنده إليه ، قال عن أبيه قال : قال الأصمعيُّ : قلت لأعرابـيٍّ حدثني عن ليلتك مع فلانة . قال : نعم خَلَوْتُ بها ، والْقَمَر يُرِيْنِيْهَا ، فلما غاب أَرَتْنِيْهِ ، قلت : فما كان بينكما ؟ قال : أَقْرَبُ ما أحلَّ الله مما حرَّمَ ، الإِشَارَةُ لغير ما بَأْسٍ ، والدُّنُوُّ لِغَير إِمْسَاس ، ولعمري لئن كانتِ الأيامُ طالتْ بَعْدَها لقد كانت قصيرةً معها ، وحسبك بالحب . انتهى .

اسماعيـل الباهلـي

من مشائخ المدائني[2] يروي عن ابن عون ، وابن عون عبدالله هذا بغدادي توفي سنة اثنتين وثلاثين ومئتين .

---

(١) «تاريخ بغداد» ٦/٢٨١ .
(٢) «أنساب الأشراف» للبلاذري القسم الرابع الجزء الأول ص ٢١٦ .

اسماعيل بن محمد بن معاوية بن بكر الباهلي

ذكر ابن جرير في «تاريخه»[1] أنه ممن حمل إلى الخليفة الواثق من منزله بالجانب الشرقي من بغداد إلى سَامَرًّا ، وامتحنوا بالقول بخلق القرآن ، وهذا يدلُّ على أنه من العلماء ، وذكر أنه من أتباع أحمد بن نصر بن مالك ، وذكر أنهم بعد قتل أحمد بن نصر رُدُّوْا إلى بغداد ، فَجُعِلوا في المحابس ، وكان ذالك سنة إحدى وثلاثين ومئتين .

الأصمعي : (عبدالملك بن قريب) الباهلي العلّامة

كذا ورد في كتاب «أشعار النساء»[2] يروى عنه : عبدالله بن أبي سعد الوراق بواسطة الحكم في موسى السلولي قال : أخبرني الباهلي العلامة ، قال : ذكر ـ وينقطع الخبر المتعلق بأخبار ليلى مع النابغة الجعدي[3] ـ ولعله أبو بكر الباهلي الذي يروي عنه عمر بن شبة كما في كتاب «أشعار النساء»[4].

بِشْرُ بن محمد الباهلي

قال السمعاني[5]: وأبو القاسم بن بشر بن محمد بن أحمد بن ياسين بن النضر بن سليمان بن سلمان بن ربيعة الباهلي ، القاضي ابن القضاة بنيسابور ، كانت خطته لآبائه الواردين عند فتح نيسابور ، وأَقْدَمُ بيتٍ للفتوى على مَذْهَبِ أهل النظر ، وكان الحاكم أبو القاسم هذا رحمه الله حسَنَ الوجه والخُلُقِ ، طلْقَ

---

(١) ١٣٧/٩ .
(٢) ٢٥ ـ المطبوعة .
(٣) الورقة الـ(٢٦) من المخطوطة الأصلية .
(٤) ١١٠ ـ المطبوعة . (٥) «الأنساب» ٢/ ٧٢ .

الوَجْهِ ، كَثِيْرَ الذِّكر ، والصلاة بالليل والنهار ، شديدَ الميل إلى الصالحين والفقراء والمتصوفة ، سمع بنيسابور أبا بكرٍ محمدَ بن إسحاق بن خزيمة ، وأبا العباس محمد بن إسحاق السراج ، وبِسَرْخَس أبا العباس محمد بن عبدالرحمن الدغولي ، وأبا الحسن بن إسحاق بن مزيد ، وببلخ أبا بكر محمد بن علي بن طرخان ، وأبا القاسم بن حم الفقيه وغيرهم .

سمع منه أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ وذكره في التاريخ فقال : القاضي بن ياسين الباهلي كان كثير السماع ، إلا أنه ضَيَّعَ كتبه وسماعاتِه ، فلما حدَّثَ لم يجد منها إلا القليل ، وأولُ مجلسٍ جلس للإملاء في مسجد أبيه في المربعة يوم الثلاثاء الخامس من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة ، ثم مرض فأملى المجلس الثاني في داره ، توفي صبيحة يوم السبت الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة . انتهى كلام السمعاني . وأضاف الذهبي[1]: وله اثنتان وثمانون سنة .

بكر بن حبيب الباهلي

هو من بني سهم من باهلة ، ترجمه القفطي في «إنباه الرواة»[2] فقال ما ملخصه : هو والد عبدالله المحدث ، كان عالماً بالعربية في طبقة أبي عَمْرِو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، وهو أكبر من الخليل بن أحمد ، ولم يكن له شهرته ، واختلف عيسى بن عمر وأبو عَمْرِو بن العلاء في (سَطْر) و(سَطَر) وكانا عند بلال بن أبي بردة ـ وكان هذا قاضي البصرة وأميرها ـ فأرسلوا إلى بكر بن حبيب فحكموه فقال : (سَطْر) أفصحهما ، وذكر أنَّ بلال بن أبي بردة كان يحسده على الفصاحة ، ولِبَكْرٍ هذا شعر مذكور في موضعه ، وهو معدود من أعيان باهلة ومترجم بينهم .

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ١٦/٣٢٨ . (٢) ١/٢٤٤ .

جعفر بن أحمد بن بهرام الباهلي

ترجمه عبدالقادر التميمي في «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»[١] فقال عنه : أبو حنيفة الشهيد ، قال السَّهْمِيُّ في «تاريخ جرجان» كان من فقهاء الحنفية بأستراباذ ، وإليه الفتيا ، سُعِيَ به عند الحسن بن زيد العلوي بأنه يبغض آل البيت ، فحبسه في سجنه حتى مات ، ثم أمر به فصلب بجرجان ، فذهب جماعة من أهل أستراباذ وسرقوه ليلاً ودفنوه في مقبرة جرجان ، وأخفوا قبره ، ثم ذكر بعض من روى عنهم ومنهم محمد بن خالد الحنظلي ، وجعفر بن عون ، والفضل بن دُكين ، وممن روى عنه الحسن بن الحسين بن عاصم والحسين بن بندار المفسر وغيرهما .

حِبّان بن هلال الباهلي

عدَّهُ ابن قتيبة في «المعارف»[٢] من رُواة الحديث ، وقال : يكنى أبا حبيب ، وكان قد امتنع عن الحديث قبل موته ، ومات بالبصرة سنة ست عشرة ومئتين .

وترجمه ابنُ حَجَرٍ في «تهذيب التهذيب»[٣] فذكر أنَّ الجماعة رووا عنه، ونقل عن الإمام أحمد قوله فيه : إليه المنتهى في التثبت في البصرة ، وقال ابنُ سعدٍ : كان ثقة ثبتاً حُجَّةً ، وكان امتنع من التحديث قبل موته ، مات بالبصرة سنة ست ومئتين . انتهى .

ولم أجد ترجمته في «طبقات ابن سعد» ويلاحظ الاختلاف في تاريخ وفاته بين ماذكر ابن قتيبة وماذكر ابن حجر ، ولعل كلمة (عشرة) سقطت من كلام الأخير . ويؤيد هذا مانقله الذهبي[٤] عن ابن سعد : كان ثقَةً حُجَّةً ثبتاً ،

---

(١) ٢٧٦/٢ . (٢) ٥٢١ . (٣) ١٧٠/٢ .

(٤) «سير أعلام النبلاء» ٢٣٩/١٠ .

ومات بالبصرة في شهر رمضان سنة ست عشرة ومئتين . ووصفه بأنه الإمام الحافظ الحجة ، ونقل عن بكار بن قتيبة : مارأيت نحْوِيًّا يشبه الفقهاء إلا حبان ابن هلال . وأضاف : ومولده في حدود الثلاثين ومئة .

حجّاج بن حجاج الباهلي

ترجمه ابن حجر وقال(1) : البصري الأحول ، روى عن أنس بن سرين ، وقتادة ويونس بن عبيد ، وأبي قزعة وغيرهم ، وروى عنه إبراهيم بن طهمان ، ويزيد بن زُريع ، وقزعة بن سويد بن حجير وابن أبي عروبة ، ونقل عن أحمد : ليس به بأس ، وعن ابن معين وابن أبي حاتم : ثقة وقال : أَرْوَى الناسِ عنه إبراهيم بن طهمان ، ونقل عن يزيد بن زريع أنه مات بالطاعون في البصرة سنة إحدى وثلاثين ومئة .

وترجمه الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»(2) بترجمة لا تخرج عما ذكره ابن حجر وقال : روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة .

حجاج بن فرافصة الباهلي

حجاج هذا ترجمه الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»(3) ووصفه بقوله : العابد . وذكر أن أبا داود والنسائي رويا عنه ، وأنه يروي عن ابن سِيْرِيْنَ وعطاء ، ويروي عنه الثوريُّ ومعتمر وغيرهما ، وأنه توفي سنة نيف وأربعين ومئة ، وقال ابن دريد في «الإشتقاق»(4) : كان عابداً صواماً ، ولي قضاء جند يسابور .

---

(1) «تهذيب التهذيب» ٢/١٩٩ .
(2) ٦/١٥١ . (3) ٧/٧٨ . (4) ٢٧٣ .

وترجمه الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» نحو ترجمة الذهبي ، ونقل توثيقه عن ابن معين وابن حِبَّان وأبي حَاتِـمٍ ، الذي وصفه بأنه شيخ صالح متعبد .

أبـو الحسـن الباهلـي

لا أعرف عن هذا سوى ما أورد الذهبي والصفدي ، فقد ترجماه بكنيته ولم يُسَمِّيَاه وملخص ماذكر الذهبي[1] : الباهلي العلامة شيخ المتكلمين ، أبو الحسن الباهلي البصري ، تلميذ أبي الحسن الأشعري ، برع في العقليات ، وكان يقظاً فَطِناً لَسِناً صالحاً عابداً ، ونقل عن أبي إسحاق الاسفراييني : أنا في جانب شيخنا أبي الحسن الباهلي كقطرة في بحر ، وقد سمعته يقول : أنا في جنب الشيخ الأشعري كقطرة في جنب بحر .

وأضاف الصفدي[2] : توفي في حدود السبعين والثلاث مئة .

حمـدان بن يحيـى الباهلـي

شاهد كثرة المرد عند يحيـى بن أكثم فقال : كفى بالغلاء جالباً ![3] وهذا يدل على أن الرجل ذُو منزلة اجتماعية ، فيحيـى كان رئيس القضاة في عهده ، ولا يَجْرُؤُ على مخاطبته بمثل تلك الكلمة إلا من هو رفيع المنزلة ، إذْ يَحيـى كان (ممن يُزَنُّ بالْهَنَات) فيكثر في مجلسه الـمُرْد ـ جمع أمرد ـ.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ١٦/٣٠٤ .
(٢) «الوافي بالوفيات» ١٢/٣١٢ .
(٣) «أخبار القضاة» ٢/١٦٤ .

حمود بن عبد العزيز بن سبيل

الشيخ حمود بن عبدالعزيز بن حمود بن سُبَيِّل - بضم السين وفتح الباء الموحدة وكسر الياء المثناة التحتية مشدَّدة - بعدها لام - هو ابن أخي الشاعر عبدالله بن حمود الذي ستأتي ترجمته في الشعراء ، وقد ولد الشيخ حمود سنة ١٣٣٨ ، سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة وألف ، في بلدة الشَّعْرَاء ، وحفظ القرآن الكريم في مدرستها على يد عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبداللطيف الباهلي ، ثم قدم مدينة الرياض آخر عام ١٣٥٩هـ استقر فيها لطلب العلم على الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ حتى فتح (المعهد العلمي) فالتحق به ، وأكمل دراسته من السنة الثانية الثانوية إلى نهاية كلية الشريعة ، أربع سنوات ، وتخرج عام ١٣٧٧هـ وكان يتولى إمامة جامع مسجد الوسيطى أثناء الدراسة ، ثم عُيِّنَ في القضاء في محكمة حوطة بني تَميم في ٢٦ ربيع الثاني عام ١٣٧٨هـ ، واستمر ست سنوات ، حيث نقل إلى محكمة القُوَيْعِيَّة قاضياً ، ومكث في العمل اثني عشر عاماً وأربعة أشهر ، ثم نقل رئيساً لمحاكم منطقة الأفلاج ، وبقي هناك ثماني سنوات بعدها نقل رئيساً لمحكمة الْـخَرْج فبقي ثلاث سنوات ، وكان يزاول مع عمل القضاء الوعظ والإرشاد .

وفي أول رجب سنة ١٤٠٧هـ أُحِيل إلى التقاعد .

خَلاّدُ بن المبارك الباهلي

يروي عن بشار على مافي كتاب «مجالس العلماء» للزجاج(١)، ويظهر أنه من رجال الأدب واللغة ، إذ لم أجد له ذكراً في تراجم المحدثين .

---

(١) ١٥٧ .

خلّاد بن يزيد الباهلي

من رواة الحديث ، يروي عن ابن جُرَيج عبدالملك بن العزيز المتوفى سنة ١٥٠ وتوفي خلاد سنة ٢٢٠[١] .

قال الجاحِظُ[٢] : ومن أراد الأخبار فليأْخُذْهَا عن مثل قتادة ، وأبي عمرو بن العلاء ، وابن جعدبة ، ويونس بن حبيب ، وأبي عبيدة ، ومسلمة بن محارب ، وأبي عاصم النبيل ، وأبي عمر الضرير ، وخَلّاد بن يزيد الأرقط .

وهو أحد رواة الأشعار والعارفين بأخبار القبائل ، وهو صهر يونس بن حبيب البصري ، روى عن سفيان الثوري ، وعنه عمر بن شَبَّةَ ، وكان يقول فيه : كان من الجبال الرواسي نبلاً[٣] . وذكر ابن حجر في «تهذيب التهذيب»[٤] أنه بصري وذكر ممن روى عنه الحسن بن علي الخلال وعمر بن علي الفلاس ، وأن ابن حِبَّان عدَّهُ في الثقات ، ونقل قول عمر بن شبَّة فيه .

خليل بن موسى الباهلي

قال عنه ابنُ عساكر[٥] : محدث بصريٌّ سكن دمشق ، وحدث عن سليمان التَّيْمِـي ، وحُمَيْدٍ الطَّوِيل وغيرهما ، وروى عنه سليمان بن عبدالرحمن ، وهشام ابن عمار وغيرهما ، ونقل الحافظ ابن عساكر عن هشام بن عمَّار : سُئِل أَبي عنه فقال : يُكْتَبُ حديثه ولا يحتج به ، وسألته عنه فقال : ما بحديثه بأس ، ليس

---

(١) «ميزان الاعتدال» ١/٦٥٧ .
(٢) «رسائل الجاحظ» ٢/٢٢٦ .
(٣) «الفهرست» ١٥٦ . (٤) ٣/١٧٦ .
(٥) «تاريخ دمشق» /٦٨٤ .

بالمشهور ، ومحلُّه الصدق ، ولا يعرفونه بالبصرة في حديثه بعض الإنكار . انتهى .

وترجمه ابن حجر في «لسان الميزان»[1] بنحو هذه الترجمة إلا أنه قال : قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، قال ابن أبي حاتم ، وسألته عنه فقال : مابحديثه بأس ـ إلى آخر الكلام ـ وترجمه الحافظ الذهبي[2] فقال : شيخ بصري مِنَ العلماء ، سكن دمشق وأخذ عنه أهلها .

رُبَيِّعُ بن عبدالعزيز الرّبَيّعِ الباهلي

قال في «القاموس» وشرحه[3] : عبدالعزيز بن الربيع ، أبو العوام الباهلي ، بَصْرِيٌّ وابنه رُبَيِّعُ بن عبدالعزيز ، مُحدِّثان ، ولم أجد لربيع هذا في كتب رجال الحديث التي لديَّ ذكراً ، أما ضبط الاسم فقد ورد في كتاب «تبصير المنتبه»[4] بما نصه : وأما الرُّبَيِّع ـ بضم الراء وتشديد الياء الأخيرة ـ فذكر أسماء منها عبدالعزيز بن الرُّبَيِّع أبو العوام الباهلي ، وهو أبو صاحبنا وسيأتي في موضعه ، ولعل ضبط هذا الاسم يشفع في إفراد صاحبه بهذه الترجمة .

زكريا بن يحيى الباهلي

زكريا بن يحيى بن زكريا أبو الفضل الباهلي ، قال الخطيب[5] : حدث عنه أبو داود الطيالسي ، ويحيى بن سعيد القطان ، وذكر غيرهما قال : فكان ثقة .

---

(1) ٢/٤١٠ .
(2) «سير أعلام النبلاء» ٩/٣٠٠ . (3) رسم (ربع) .
(4) ٥٩١ . (5) «تاريخ بغداد» ـ ٨/٤٥٨ ـ.

سحبان وائل الباهلي

هو سحبان بن زُفَرَ بن إيَاسٍ بن عبد شَمْسٍ بن ٱلْأَجَبِّ من بني وائل بن معن بن مالك بن أعصر[1] بن سعد بن قيس عيلان .

ووهم أبو عبيد البكريُّ فعده من ربيعة من بني بكر ، وكذا صاحب «لسان العرب»[2]، وكان يُضرب به المثل في الخطابة والبلاغة والفصاحة[3]، فيقال : أَخْطَبُ من سحبانَ وائلٍ ، وهو من خطباء باهلة وشعرائها[4]، قال حميد الأرقط[5]:

أَتَانَا وَلَـمْ يَعْدِلْهُ سَحْبَانُ وَائِلٍ ... بَيَاناً وَعِلْماً بالَّـذِي هُوَ قَـائِلُ
يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى مَرَاسِيَ لِلْقِرَى: ... أَبِنْ لِـيَ مَاالْـحَجَّاجُ بِالنَّاسِ فَاعِلُ؟
تُـدَبِّـلُ كَفَّـاهُ وَيَحْـدُرُ حَلْقُـهُ ... إِلَى الْبَطْنِ مَاضَمَّتْ عَلَيْهِ ٱلْأَنَامِلُ
فَقُلْتُ: لَعَمْرِي مَاهِـذَا طَرَقْتَنَـا ... فَكُلْ وَدَعِ ٱلْإِرْجَافَ مَا أَنْتَ آكِلُ
فَمَـازَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَـأَنَّهُ ... مِنَ الْـعِـيِّ لَمَّا أَنْ تَكلَّمَ بَاقِلُ

وأورد ابن دريد الأبيات في «أماليه»[6] عن أبي عبيدة قال : كان حميدُ الأرقطُ وهو أحد رُجَّازِ بني تميم ، هَجَّاءً للضِّيفان ، فَحَّاشاً عليهم ، فنزل به ضيفٌ ذات ليلة ، فقال لامرأته : نزل بك البلاءُ ، فقومي فأعدِّي لنا شيئاً ، فجعل الضيف يأكل متنفِّجاً ، ويقول : مافعل الحجاج بالناس ؟ فلما فرغ ، قال حميد :

(١) «شرح المقامات» للشربيني ١٩٤/١ ط دار الكتب في بيروت سنة ١٣٩٩هـ و«البداية والنهاية» ٧١/٨ نقلاً عن «المنتظم» لابن الجوزى .
(٢) «كتاب الأمثال»: ٣٦٨ ط دار المأمون للتراث بدمشق سنة ١٤٠٠ و«لسان العرب» رسم (بقل) .
(٣) «العقد الفريد» ٩/٣ و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٦٥/٦ .
(٤) «مجمع الأمثال» ٢٥٩/١ ط عبدالرحمن محمد سنة ١٣٥٢هـ .
(٥) «الأمثال» لأبي عبيد : ٣٦٨ .
(٦) «أمالي ابن دريد»: ١٤٤ .

يَخِرُّ عَلَى ٱلْأَطْنَابِ مِنْ خَدْلِ بَيْتِنَا هِجَفٌّ لِمَخْزُوْنِ التَّحِيَّةِ بَاذِلُ
يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى الْمَرَاسِيَ لِلْقِرَى: فِدًى لَكَ مَا الْحَجَّاجُ بِالنَّاسِ فَاعِلُ؟
فَقُلْتُ: لَعَمْرِيْ مَالِهَذَا طَرَقْتَنِي فَكُلْ وَدَعِ ٱلْأَخْبَارَ مَا أَنْتَ آكِلُ
تُجَهِّزُ كَفَّاهُ وَيَحْدُرُ حَلْقُهُ إِلَى الصَّدْرِ مَاضَمَّتْ إِلَيْهِ ٱلْأَنَامِلُ
أَتَانَا وَلَمْ يَعْدِلْهُ سَحْبَانُ وَائِلٍ بَيَاناً وَعِلْماً بِالَّذِيْ هُوَ قَائِلُ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنَ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بَاقِلُ

وقال ابن منظور في «لسان العرب»[1]: ورجل سَحْبَانٌ أي جَرَّافٌ ، يَجْرِفُ كل ما مرَّ به وبه سمي سحبان ، وسحبان اسم رجل من وائِلٍ ، كان لَسِناً ، بَلِيْغاً ، يُضرب به المثلُ في البيان والفصاحة ، فيقال : أفصح من سحبان وائل .

وقد اخْتُلِفَ في الزمن الذي عاش فيه سحبانُ ، فذكر بعضهم أنه من أَوَّلِ من آمنَ بالبعث في الجاهلية ، وذكر صاحب «خزانة الأدب»[2]: أنه أدرك الجاهلية وأسلم ، ومات سنة ٥٤هـ ، وقبله أَرَّخَ وفاته في هذه السنة ابنُ كَثيرٍ في «البداية والنهاية» وغيره ، إلا أنَّ ابْنَ جَرِيرٍ أورد في تاريخه[3] شعراً منسوباً لسحبان وائل في ذكر وقعة خجَنْدَة سنة ٩٤هـ ، وهي مما فتح قتيبةُ بن مسلم الباهلي ، ونصه : قال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة :

فَسَلِ الْفَوَارِسَ في خَجَنْـ ـدَةَ تَحْتَ مُرْهَفَةِ العَوَالي

في أبياتٍ ستأتي في ترجمة ابنه عَجْلان ـ مع الشعراء ـ .

وتَقَدَّم نَقْلُ الحافظِ ابنِ حجر في «الإصابة» عن ابن عساكر أنه وفد على

(١) «لسان العرب» رسم (سحب) .
(٢) ١٠/٣٧١ . (٣) ٦/٤٨٤ .

معاوية في دمشق ، ومانقل عن كتاب «طبقات الخطباء» لأبي نُعَيْم : كان سحبان خطيب العرب ، غير مدافع ، وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ولم يتلعثم ، ولم يتوقف ، ولم يفكر ، بل كان يسيل سيلاً . وصدر الحافظ ترجمته بقوله : الذي يضرب به المثل في البلاغة[١] . وخبر وفادته على معاوية مفصلة في «خزانة الأدب» و«بلوغ الأرب»[٢]، ونصه : وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان ، فطلب سحبانَ فأُتِـي به ، فقال : تكلم ! فقال : انظروا لي عصاً تُقَوِّمُ مِنْ أَوَدِي ! فقالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ماكان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربَّهُ وعصاه في يده ! فضحك معاوية ، وقال : هاتوا عصاه[٣]! فأخذها ،ثم قال: فتكلم من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ماتنحنح ، ولا سعل ، ولا توقف ، ولا ابتدأ في معنى فخرج منه ، وقد بقى عليه شيء فمازالت تلك حالته حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان : أن لا تقطع عليَّ كلامي ! فقال معاوية : الصلاة ! فقال : هي أمامك ، ونحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعيد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ! فقال سحبان : والعجم والإنس والجن ! . وسَمَّى الجاحظ[٤] خطبة سحبان هذه (الشوهاء) وقال : وقيل لها ذالك من حسنها ، وذالك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ، ولم يخطب خطيب .

وذكر البلاذري[٥] أن معاوية قال له : ياسحبان أنت السَّحُّ ، فقال :

لقد علم الوفـد العراقي أنني ... إذا قلت عند الباب أي خطيـب

---

(١) «الإصابة» حرف السين القسم الثالث .

(٢) ٣٧١/١٠ ، و١٥٦/٣ .

(٣) في «البيان والتبيين» - ١٢٠/٣ - فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة ، فرطلها بيده فلم تعجبه حتى أتوه بمخصرته من بيته .

(٤) «البيان والتبيين»: ٣٤٨/١ . (٥) القسم الرابع ج ١ ص ١٣٤ .

ومما روى من خطبه البليغة : إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس فخذوا من دار ممركم ، لدار مقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حييتم ، ولغيرها خلقتم ، إن الرجل إذا هلك قال الناس : ماترك ؟ وقالت الملائكة : ماقدم ؟ قال حمزة الأصبهاني في أمثاله في قولهم : (هو أبلغ من سحبان وائل) : كان من خطباء العرب وبلغائها ، وفي نفسه يقول :

لقد علم الحي اليمانون أنني   إذا قلت : أما بعد أني خطيبها

وساق الميدانيُّ في «مجمع الأمثال» خبره مع طلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي ، وأنه مدحه بقوله[1] :

يَاطَلْحَ أَكْرَمَ مَنْ مَشَى   حَسَباً وأَعْطَاهُمْ لِتَالِدْ
مِنْكَ الْعَطَاءُ فَأَعْطِنِي   وعَلَيَّ مَدْحُكَ في الْمَشَاهِد

فقال طلحة : احتكم ، فقال : برذُوْنك الأشهب الورد ، وغلامك الخباز ، وقصرك بِزَرَنْجَ ، وعشرة آلاف ، فقال له طلحة : أُفٍّ لَمْ تسألني على قدري ، وإنما سألتني على قدرك وقدر باهلة ، ولو سألتني كل قصر لي وعبدٍ ودابةٍ لأعطيتك ، ثم أمر له بما سأل ولم يزده عليه شيئاً ، وقال : تالله مارأيت مسألة مُحَكَّمٍ أَلْأَمَ مِنْ هذا .

وأورد الخبر صاحب «اللسان»[2] ولكنه لم يذكر (وقدر باهلة)، وفي كتاب «المعارف»[3] لابن قتيبة بعد ذكر سحبان : وابنه عجلان بن سحبان الذي

(١) ٢٥٩/١ . (٢) رسم (طلح) .
(٣) ٦١١ ط دار الكتب المصرية وأورد البلاذري هذا برواية : وعليَّ شكرك الخ .

يقول في طلحة الطلحات :

مِــنْـكَ الْـعَـطَاءُ فَــأَعْـطِنِـي وعَـلَيَّ مَـدْحُـك في إلْـمَشَـاهِـد

وذكر ابن عساكر في كتاب «تاريخ دمشق» مايفهم منه أن هذا البيت لرجل يدعى سيحان بن عجلان الباهلي ، فقد نقل عن المدائني : قال سيحان بن عجلان الباهلي لطلحة الطَّلَحَاتِ وهو طلحة بن عبدالله :

يــا طــلح أكــرم مــن مشى حَــسَــبــاً واعــطاه لــتــالــد

إلى آخر القصة التي ذكرها .

فهل الاسم الذي أورده ابن عساكر صحيح أم محرف ؟

وقد وصفه الأصمعيُّ بأنه كان إذا خطب يسيل عرقاً ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ، ولا يقعد ، حتى يفرغ .

ومن حكم سحبان : الفِعْلُ بالتجارب ، لأن عقل الغريزة سلم إلى عقل التجربة[1]. وشَرُّ خليطيك السَّؤُوْم المحزوم . ـ لأن السَّؤُوَم لا يَصْبر ، والْـمحْزُوْم صَعْبٌ لا يراد منه ، وليس الحزم إلا بالتجارب[2].

وقد ذكر الجاحظ لسحبان ابناً عدَّهُ خطيباً شاعراً[3].

سعيد بن سلم الباهلي

قال السمعاني[4]: وحفيدُ قتيبةَ بنِ مسلم أبو محمد سعيدُ بن سَلْم بن قتيبة ابن مسلم الباهلي ، كان ولي الأعمال بمرو ، وكان عالِماً بالحديث والعربية ، إلاَّ

(١) «العقد الفريد» ٢/١٠٤ .
(٢) «البيان والتبيين»: ٢/١٤ .
(٣) المصدر : ١/٤٨ . (٤) «الأنساب» ٢/٧١ .

أنه كان لا يبذل نفسه للناس ليقرأوا عليه ، روى عن محمد بن زياد بن الأعرابي وعلي بن خشرم وغيرهما ، وستأتي ترجمته بين الولاة بأبسط من هذا .

سلام بن عبد الله الباهلي

سلام بن عبدالله بن سلام ، أبو الحسن الإشبيلي الباهلي ، أَدِيبٌ أندلسيُّ الأَصْلِ ، من إشبيلية صنف «الذخائر والأعلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق» فرغ من تصنيفه في ذي القعدة سنة ٨٣٩هـ[١].

وقد أورد الْـمَقَّرِيُّ في «نفح الطيب»[٢] من شعر سلاَّم هذا مما نقله من كتابه المذكور قوله :

إذَا تَمَّ عَقْلُ الْـمَرْءِ تَمَّتْ فَضَائِلُهْ وَقَامَتْ عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ دَلاَئِلُهْ

سلمان بن ربيعة الباهلي

تقدمت ترجمته في الصحابة ، وقال الجاحظ : ومن العُرْجَانِ : سلمانُ بن ربيعة الباهلي[٣] ، وهو سلمان الـخَيْلِ ، كان أبصرَ الناس بِعِتْقِ دابَّةٍ ، وأبصرَهُمْ بِإِقْرَافٍ وَهُجْنَةٍ ، وأَعْلَمَهُمْ بخارجيٍّ وعريق ، وتميم وبقير[٤]، ويعرف السابِقَ من الـمُصَلِّي .

---

(١) «الأعلام» ١٠٦/٣ ط دار العلم للملايين ، و«كشف الظنون» و«دائرة معارف القرن الـ ١٤» (العشرين): ٣٤/٢ ولم يرد في كتاب «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة .

(٢) ١٠٩/٦ .

(٣) كتاب «البرصان والعرجان والعميان» ص ٣٣٣/٣٣١ وانظر «الإصابة» و«المعارف» و«تهذيب التهذيب» وهو سلمان بن ربيعة بن يزيد .

(٤) التميم الذي استوفى أيام حمله ، والبقير الذي يُشَقُّ عنه بعد الولادة السَّلاَ أو الماسكة .

قالوا : وكان أَبِـي أُقَيْصِرَ على مثاله يَحْتَذِي ، وإِيَّاهُ يَحْكِـي : وفي قبره وقبر قتيبة بن مسلم يقول شاعرهم :

إنَّ لَنَـا قَبْـرَيْنِ قَـبْرَ بَلَنْجَـرٍ[1]   وَقَبْراً بِصِينْ اسْتَانَ يَالَكَ مِنْ قَبْرِ
فأَمَّا الَّذِي بِالصِّينْ عَمَّتْ فُتُوحُهُ   وسَلْمَانُ يُسْتَسْقَى بِهِ سَبَلُ الْقَطْرِ

وكان على المقاسم ، وأول من قَضَى لعمر بن الخطاب على الكوفة . قالوا : جلس للناس شهرين ، فلما لم يتقدم إليه خصمان ـ لصلاح الزمان واصطلاح الناس ـ طوَى بساطه ، وحمِدَ الله على ذالك ، وله أخبار وأحاديث .

قالوا : وكانت دار سلمان بن ربيعة لسعيد بن قيس الهمداني ، حتى رحل سلمان إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رجل أعرج ، ولا قوة لي على المشي إلى المسجد ، وكلم سعدُ سعيد بن قيس فقال له : يا أبا عبدالرحمن ، هذا رجلٌ زَمِنٌ ، فتحوَّلْ عن دارك وأُعطيك مثلها ، فتحول عنها سعيد ونزلها سلمان ، ووفى له سعد بالذي قاله .

وقال العسكري[2] : أولُ من قضى بالبصرة لعمر سلمان بن ربيعة الباهلي وقتل بِبِلَنْجَرَ من أرض الترك في خلافة عثمان ، وعظامه عند أهلها يستسقون بها قال ابن جُمَانة :

وإنَّ لَنَــا قَبْـرَيْنِ قَــبْرَ بَلَنْجَـرٍ   وقَبْراً بِأَعْلَى الصِّينْ يالَكَ مِنْ قَبْرِ
فَهذَا الَّذِي بِالصِّينْ عَمَّتْ فُتُوحُهُ   وَهذَا الَّذِي بالتُّرْكِ يُسْقَى بِهِ الْقَطر

أراد قبر قتيبة بن مسلم قتل بفرغانة فجعله في الصين . انتهى .

---

(١) في «معجم البلدان» ـ بلنجر ـ وهذا الذي سقى به سبل القطر ـ بلنجر كورة وراء النهر متاخمة لتركستان من بلاد الخزر . قتل سنة ٢٧ أو ٣٠ ـ «طبقات ابن سعد» ٦/١٣٦ . «طبقات خليفة» : ٣٢١ .   (٢) «الأوائل» : ٢/١٠١ .

وذكر ابن حزم[1]: أن سلمان من كبار التابعين، كوفي، ولي قضاء الكوفة. وله الفتوح بأذربيجان. انتهى. وترجمه ابن عساكر[2]: فقال ما ملخصه: يقال إن له صحبة، وشهد فتوح الشام مع أبي أمامة الباهلي، ثم سكن العراق وولاه عمر قضاءَ الكوفة، ثم ولي غزو أرمينية في خلافة عثمان فقتل ببلنجر، وحدث عن عمر، وبلغني أنه كان يغزو سنة ويحج سنة، وذكر أنه شهد وقعة القادسية، وأنه أول من قضى بالكوفة، وأنه قتل ببلنجر في بلاد أرمينية، سنة تسع وعشرين، وقيل ثلاثين، وقيل إحدى وثلاثين، وكان قليلَ الحديث، وذكر أنَّ البخاريَّ ذكره في الصحابة، ولا يصح، كان على قضاء الكوفة، ونقل عن خليفة بن خياط أنه في سنة خمس وعشرين، حين تولى الوليد بن عقبة الكوفة بعث سلمان بن ربيعة في اثني عشر ألفاً إلى بردعة فقتل وسبى وفتحها. انتهى.

وسيأتي ذكر سلمان في القادة.

سويد بن حُجَيْرِ الباهلي

قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب»[3]: سُوَيْدُ بن حُجَيْر بن بيان الباهلي أبو قزعة البصري، روى عن خاله صخر بن القعقاع الباهلي وله صحبة، وأنس ابن مالك وأبيه حُجَيْر، وحكيم بن معاوية والأسقع بن الأسلع، والحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة، وصالح أبي الخليل، والحسن البصري، ومهاجر بن عكرمة المخزومي، وأبي نضرة العبدِيِّ وعدة. وعنه داود بن أبي هند، وابن

(١) «جمهرة أنساب العرب»: ٢٤٧. (٢) «تاريخ دمشق»: ٤٣٧/٧.
(٣) ٢٧١/٤.

جريج ، وشعبة وحاتم بن أبي صغيرة، والحجاج بن الحجاج الباهلي ، ومعقل ابن عبيدالله الجزري ، وداود بن شابور ، وحماد بن سلمة ، وابنه قزعة بن سويد وغيرهم . قال أبو طالب عن أحمد : من الثقات ، وقال ابن المديني وأبو داود والنسائي : ثقة ، وقال أبو حاتم : صالح ، وذكره ابن حبان في الثقات ، قلت : وقال العجلي : بصري تابعي ثقة ، وقال أبو بكر البزار في «السنن» : ليس به بأس ، وقال الآجُرِّيُّ : قُرِئَ على أبي داود عن أحمد بن صالح بن عبدالرزاق عن ابن جريج حدثنا أبو قزعة ، سمع عمران بن حصين ، قلت لأبي داود : من أبو قزعة ، قال سويد : قلت : سويد سمع من عمران بن الحصين ، قال : لا .

شَرِيْكُ بن معاوية الباهلي

ذكر القاضي وكيع في «أخبار القضاة»[1] أنَّ شَرِيْك بن معاوية الباهلي ولي قضاء البصرة نحو سنة اثنين ومئة ، ويقال : بل ولي سعيد بن عمر الحرشي .

صالح بن عبد الله بن ذكوان الباهلي

وصفه الذهبي[2] بالحفظ والثقة ، وأنه حدث عن مالك وشريك وأبي عوانة ، وحدث عنه الترمذيُّ وأبو زرعة وأبو يعلى ، ووصفه أبو حاتم بالصدق ، ونقل عن ابن حبان : هو صاحب حديث وسنة ، كتب وجمع .

وذكر أنه ترمذيُّ الأَصْل ، نزل بغداد وأنه توفي في مكة سنة ٢٣٩هـ .

---

(١) ٢/ ١٤ .
(٢) «سير أعلام النبلاء» ١١/ ٥٣٨ .

أبـو طلحـة الباهلـي

من شيوخ الهجريِّ ، فقد أورد في كتابه «التعليقات والنوادر» : من إنشاد أبي طلحة الباهلي :

تَـرَبَّعَتْ مَـابَـيْنَ أَقْـطَارِ إِضَـمْ فَـالْقُفَّ الْـحَلَّتَـيْنِ ذِي الثَّلَـمُ

إِضَـمُ : ماءٌ بالْـحَلَّةِ شمالِـيَّ النِّبَاجِ ، وليس بِإِضَـمِ الْـحِجَاز ، والْـحَلَّتَانِ حَلَّةُ النِّبَاجِ وَحَلَّةُ السر(١).

عامر بن عُبَيْدة الباهلي

قال محمد بن خلف(٢): ذِكْرُ عامرِ بن عبيدة الباهلي ، وولايته القضاء بالبصرة . قال أبو حسان : عن أبي عُبيدة قال : عَزَلَ يوسفُ بنُ عمر أبا العاج كَثِيرَ بن عبدالله عن البصرة ، وولى القاسم بن محمد الثقفي ، فولى القاسم القضاءَ عامر بن عبيدة الباهلي . قال أبو حسان : فحدثني أبو بكر بن قيس البكريُّ ، قال : أشهدني الأَشْعثُ الْـحُدَّانِـيُّ على شهادة ، فشهدت بها عند عامر بن عبيدة القاضي فأجازها وكان الأشعث أعمى .

حدثنا علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثنا المغلس بن زياد العامري ، قال : حدثنا عامر بن عُبَيدة قال : ركبنا إلى أنَسِ بن مالك نسأله عن الحرير ، فقال : ما أَحَدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قَدِرَ على الحرير إلَّا لَبِسَهُ ، إلا ماكان من عمر وابنه ، ولقد خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يومٍ وعليه جُبَّةُ

(١) هامش مخطوطة الأزهر من «معجم ماستعجم»: ـ ١/١٢ ـ . والحَلَّتَانِ تعرف الواحدة منهما باسم الصَّفْرَاءِ صفْرَا السِّرِّ ، وهي قُفٌّ مستطيل غرب إقليم السِّرِّ ، وصفراء النباج (الأسياح) قُفٌّ أيضاً مستطيل يقع شماله .

(٢) «أخبار القضاة»: ج ٢ ص ٤٢ ـ .

دِيْبَاجٍ ، فجعل الناس يلمسونها ويعجبون من حسنها ، فقال : « أتعجبون من حُسْنِ هذا ، والله لمناديْلُ سعد بن معاذ في الجنة أَلْيَنُ منها وأحسن » .

حدثني الأحوص بن المفضل بن حسان ، قال : حدثني أبي ، قال : قال أبي : كان يحيى بن سعيد يوثِّقُ عامِرَ بن عبيدة الباهلي ، وولي البصرة وولاه يوسف بن عمر .

أنشدني أحمد بن محمد بن بكر بن خالد ، قال : أنشدني أبو زيد في عامر بن عُبيدة :

مَتَى كانَ في أَعْرَابِ بَاهِلَةَ التُّقَى ... وَفَصْلُ الْقَضَايَا بَعْدَ طُولِ التَّشَاجُرِ
لَـهُ لِحْيَةٌ شَـانَتْ دَوَائِرَ وَجْهِـهِ ... كَأَنَّ علَى أَطْـرَافِهِ سَلْحُ طَـائِرِ

وقال أبو عبيدة : فلم يزلْ قاضياً حتى قُتِلَ الوليد ، ووقعت الفتنة فلزم بيته واعتزل القضاء . وقد روى حمَّادُ بن زيد ، عن عامر بن عبيدة .

حدثنا أحمد بن منصور الرماديُّ قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا حماد بن زيد بن عامر بن عبيدة الباهلي ، قال : أَوَّلُ ما أُنْكِرَ من عمر بن عبدالعزيز أنه خرج في جنازة فجيءِ بِبُرْدٍ كان يُلْقَى للخلفاء إذا خرجوا إلى جنازة ، يجلسون عليه ، فأُلْقِيَ ، فضربه برجله ، وقعد على الأرض . انتهى .

وذكر ابن جرير أنه على قضاء البصرة سنة ١٢٠ و١٢١ و١٢٦[١].

---

(١) «تاريخ ابن جرير» ٧/١٥٩/١٧٩/٢٩٩ .

العباس بن الوليد

هو العباس بن الوليد بن نصر الباهلي بالولاء النَرْسي البصري ، قال الذهبي[1] : الحافظ الإمام الحجة ابن عم المحدث عبد الأعلى بن حماد ، ونرس هو جدهما نصر كان بعض العجم يدعوه يانصر ، فينطق بها : يانرس لعجمة لسانه ، حدث عنه البخاري ومسلم والنسائي بواسطة ، ووثقه يحيى بن معين ، مات سنة ٢٣٧هـ .

عبد الأعلى بن حماد النرسي الباهلي

قال الخطيب[2] : عبد الأعلى بن حماد ، أبو يحيى الباهلي البصري ، المعروف بالنرسي ، ونَرْسُ لقبٌ لجده لقبته به النبط ، وكان اسمه نصراً فقالوا نرس[3] ، سكن عبد الأعلى بغداد مدة ، وحدث بها عن مالك بن أنس ، وحماد ابن سلمة ، وذكر آخرين ، وقال : روى عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وذكر غيرهما ، وساق بسنده إليه ، قال : قدمت على المتوكل بِسُرَّ مَنْ رَأى ، فدخلت عليه يوماً فقال لي : يا أبا يحيى قد كُنَّا هممنا لك بأمر ، فتدافَعَتِ الأيامُ به ، فقلتُ : يا أَمير المؤمنين سمعتُ مسلم بن خالد المكي يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : من لم يشكر الْهَمَّةَ لم يشكر النعمة ، وأنشدته :

لأَشْكُرَنَّك معروفاً هَمَمْتَ بِهِ إنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوف
ولا أَذُمُّكَ إنْ لَمْ يُمْضِهِ قَدَرٌ فَالشَّيْءُ بِالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ مَصْرُوْف

(١) «سير أعلام النبلاء»: ١١/٢٧ .
(٢) «تاريخ بغداد» - ١١/٧٥ .
(٣) كذا ولكن في «لب اللباب»: النرسي نسبة إلى نرس نَهْرٌ بالكوفة عليه عدة قرى .

فجذب الدواة فكتبها ثم قال : يُنْجَزُ لأبي يحيى ماكُنَّا هممنا له به ، وذكر أنه مات سنة سبع وثلاثين ومئتين بالبصرة . انتهى . وترجمه ابن حجر[1] فذكر أنه مولى لباهلة ، وأن البخاري ومسلما وأبا داوود والنسائي رووا عنه ، ونقل توثيقه عن ابن معين وأبي حاتم وابن حبان وغيرهم .

عبد الخالق بن عبد الجبار الباهلي

هو عبد الخالق بن عبد الجبار بن قيس بن عبدالله بن عبدالرحمن بن قتيبة بن مسلم ـ وبقية النسب سيرد في ترجمة قتيبة ، لما تحدث ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب»[2] عن قبيلة باهلة قال : وكان منهم بِجَيَّان بنو عبدالخالق بن محمد بن أحمد (قاضي) بن الوليد (قاضي) بن عبدالخالق (قاضي) بن عبدالجبار ابن قيس .

فكأنَّ عبدالخالق هو أول قضاة الباهليين في مدينة جَيَّانَ في الأندلس .

عبد الرحمن بن يزيد الباهلي

صحابي يلقب ذا النور وتقدم ذكر نسبه في (الصحابة) ولاه عمر قضاة الجيش الذي وجهه إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وعهد إليه تقسيمَ الغنائم ، ثم ولَّاهُ البابَ ، وقتالَ التُّرك والخزر ، فاستمر في ولايته إلى أن استشهد في بعض وقائعه سنة ٣٤[3].

---

(١) «تهذيب التهذيب»: ٦/٩٣ .

(٢) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ـ ٢٤٦ ـ تحقيق عبدالسلام هارون . و«وفيات الوفيات» ١٨/٨ .

(٣) «أسد الغابة» و«الإصابة» و«الكامل» لابن الأثير : ٣/٥ .

عبد الرحمن بن عبد الله الأصمعي

هو ابن أخي الأصمعي وتلميذه[1]، من اللغويين الأدباء. وقد اشتهر في رواياته عن عمه . وكان يلازمه في حلقته ويصاحبه في بعض أسفاره حتى قيل : إنه كان راويته الخاص به ، ويكاد لا يروي إلا عنه ، وعن عبدالرحمن هذا أخذ عدد من العلماء كانوا يقصدونه ، لتلقي علوم عَمِّه عنه لأنه كان ثقة ، وله كتاب «معاني الشعر» .

عبد الرحمن بن مُصَبّح الباهلي

القاضي عبدالرحمن بن مصبح ، في زمن أجود بن زامل . ذكره ابن بشر[2] في سوابق سنة ٩٤٨هـ وأنه ممن أيَّدَ فُتْيا للشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة المتوفى سنة ٩٤٨ .

عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد اللطيف

هو الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبداللطيف بن محمد بن علي بن حمد ابن معيوف الباهلي ، ولد ونشأ في بلدة الْفَرْعَةِ في إقليم الوشم ، وتلقى العلم على مشائخ زمنه كالشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وابنه الشيخ عبداللطيف ، وكان بينه وبين الشيخ عبدالعزيز مراسلات منها رسالة الشيخ عبداللطيف المشهورة التي بعثها إليه بشأن ابن منصور[3] وعن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين .

وقد تولى الشيخ عبدالعزيز إمامة جامع بلدة الفَرْعَة حتى توفي ، وكان ـ رحمه الله ـ حسنَ الخط وقد نقل جملة من الكتب منها كتاب «المنتقى» فرغ من كتابته في ١٢٧٥/١/١٥هـ ، وكتاب «القواعد» لابن رجب في ١٢٨٨/٧/٧هـ ،

(١) «الأصمعي حياته وشعره» : ـ ص ٢٣٨ .
(٢) «عنوان المجد» سوابق سنة ٩٤٨ ج ٣٠٣/٢ ط : دارة الملك عبدالعزيز .
(٣) انظر كتاب «مشاهير علماء نجد» ـ ص ١٠٠ ـ الحاشية : الطبعة الثانية سنة ١٣٩٤هـ .

وكتاب «تذكرة السامع» لابن جماعة في ١٦/١٠/١٢٧١هـ ، وكتاب «الروح» لابن القيم في ١١/٤/١٢٧٠هـ ، وكتاب «إغاثة اللهفان» لابن القيم في ١/٢/١٢٦٢هـ ، وكتاب «فرائد فوائد قلائد المرجان» لمرعى الحنبلي في ٢/٨/١٢٦٢هـ ، وكتب أخرى غير هذه ، يوجد بعضها في المكتبة العامة في مدينة شقراء ، وكان ذا مكتبة تحوي من نفائس المخطوطات ماتفرق بعد وفاته شذر مذر ، وقد توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الجمعة ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣١٠هـ عن ثلاث وتسعين سنة . وخلف من البنين عبدالله ، ولد في المحرم سنة ١٢٤٧هـ ، وعبدالرحمن ، ولد في جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨هـ ، وإبراهيم ، ولد في رمضان سنة ١٢٥٠هـ ، ومحمد ، ولد في ربيع الأول سنة ١٢٥٧هـ ، ولم يخلف من أبنائه سوى عبدالرحمن الذي توفي سنة ١٢٩٨هـ وله ابنان هما : عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، وسليمان بن عبدالرحمن .

انموذج لخط الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم :

كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان
تصنيف الشيخ الإمام شيخ الإسلام العلامة الفاضل العامل
المجتهد المفسر ترجمان القرآن فريد العصر وفريع الدهر
ناصر الشريعة وقامع البدع سيف السنة وسنا
ئها وشمس الشريعة وبرهانها أبي عبدالله
محمد بن الشيخ الصالح الزاهد أبي بكر
بن أيوب بن سعد المعروف
بابن قيم الجوزيه قدس الله
روحه ونور ضريحه
وجمع بيننا وبينه
في دار كرامته
امين امين
آمين

عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد اللطيف

هو الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبداللطيف - وتقدم نسبه في ترجمة والده - ولد في مدينة شقراء حاضرة بلاد الوشم عام ١٣٠٩هـ ، وكان والده الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل عبداللطيف قاضي هذه المدينة وتوابعها ، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وعمره اثنتا عشرة سنة ، ورآه والده أَهْلاً لتولي الإمامة وعمره سبعة عشر عاماً فصار ينوب عنه في إمامة جامع شقراء عند غيابه أو مرضه ، ثم تولى التعليم في الكتاتيب الموجودة في شقراء ، فحفظ على يديه القرآن كثير من طلبة العلم ، وناب عن والده في القضاء وفي كتابة الوثائق الشرعية من عام ١٣٣٧هـ حتى وفاة والده عام ١٣٥٢هـ ، وقد خصص له في بيت المال في شقراء من قبل الملك عبدالعزيز - رحمه الله - راتب سنوي عيني من التمر والحبوب اعتباراً من سنة ١٣٤٧هـ ، ثم في سنة ١٣٥٧هـ استقدمه الملك عبدالعزيز إلى الرياض حيث عينه قاضياً لبلدة الحريق وتوابعها ، واستمر في عمله هذا إلى سنة ١٣٦٩هـ ، وكان ممن تلقى العلم على يديه الشيخ عبدالله ابن حسن بن قعود عضو ديوان المظالم سابقاً ، والشيخ محمد بن زيد آل سليمان رئيس محاكم الدمام الآن وغيرهما ، وفي سنة ١٣٦٩هـ طلب الاعفاء من القضاء ، فكان ممن اختاره الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف في ذالك الوقت للتدريس في (دار التوحيد) في الطائف ، عند إنشائها ، وقد تولى ذالك اعتباراً من أول شهر صفر سنة ١٣٧١هـ ، وكان من تلاميذ تلك الدار كثير من الرعيل الأول الذين تولوا مناصب قيادية في الدولة .

وفي سنة ١٣٨١هـ نُدِبَ لتدريس المواد الدينية في المدرسة الثانوية في الطائف ، واستمر فيها إلى أَنْ حان تقاعده سنة ١٣٨٩هـ ، فانقطع إلى العبادة والتذكير والفتيا وإمامة مسجد الشرقية في الطائف إلى أن توفاه الله في ١٩ رمضان سنة ١٣٩٩هـ في مدينة الطائف - رحمه الله تعالى -.

عبد العزيز بن الرّبيّع الباهلي

قال الحافظ أبو الحجاج يوسفُ الْـمِزِّي : هو عبدالعزيز بن الرُّبَيِّع الباهلي أبو العوام ، بصريٌّ محدث ، روى عن عطاء بن أبي رباح ، وأبي الزبير المكي . روى عنه روح بن عبادة ، وسفيان الثوري ، والنضر بن شميل ، ووكيع بن الجرَّاح ويحيى بن كثير العنبري ، قال إسحاق بن منصور عن يحيى ابن معين : ثقةٌ وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» روى له البخاريُّ في كتاب «الأدب» حديثاً واحداً ، وقد وقع لنا بِعُلُوٍّ منه . ثم ساق بسنده إلى جابر بن عبدالله : كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في مَسِيرٍ فأتى على قَبْرَيْنِ يعذب صاحباهما فقال : « أَمَا إِنَّهُمَا لن يعذَّبا في كبير ، أما أحدهما فكان يغتاب الناس ، وأما الآخر فكان لَا يتأذَّى من بوله » ـ وساق بقية الحديث ـ. انتهى كلام الحافظ[1].

وتقدم ضبط اسم (الرُّبَيِّع) في حرف الراء في ترجمة الرُّبَيِّع بن عبدالعزيز هذا . وأورد ابن حَجَرٍ[2] له ترجمة مختصرة ذكر فيها أن الجماعة رووا عنه .

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل عبد اللطيف

هو الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبداللطيف ، وبقية نسبه تقدمت عند ذكر جده عبدالعزيز .

ولد الشيخ عبدالعزيز في بلدة الفَرْعَةِ ـ من إقليم الوشم ـ ونشأ بها وحفظ القرآن ، وتلقى مباديءَ القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن على جدِّهِ ، وعنه تلقى بعض العلوم الشرعية ، ثم رحل إلى الرياض ، وتلقى العلم فيها على علماء

---

(١) «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» ـ ٨٣٦ ـ و«الإكمال» لابن ماكولا : ٤/٢٠ .
(٢) «تهذيب التهذيب»: ٦/٣٣٦ .

عصره ، كالشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ وغيره . كما درس على ابن عمه الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل عبداللطيف في شقراء .

وقد خَلَفَ جَدَّهُ الشيخ عبدالعزيز في إمامة جامع الفرعة إلى أن انتقل إلى بلدة الشَّعْرَاءِ عام ١٣١٧هـ بطلب من أهلها ، ودرس في مدرستها ، وبقي على ذالك إلى أن توفي .

وقد حفظ القرآن الكريم على يده بعض تلامذته من أهل الشعراء ، ومن أشهرهم إبراهيم بن عبدالله بن صالح ، إمام أحد مساجد مدينة الدوادمي في العصر الحاضر ، والشيخ سعد بن محمد آل يحيا ، والشيخ حمود بن عبدالعزيز ابن سُبَيِّل ، والأستاذ سعد بن إبراهيم أبو مُعْطِي . وممن درس عليه القرآن وتعلم على يديه الخط الشيخ سعد بن عبدالله بن جُنَيْدِل .

وقد كان إلى جانب قيامه بالإمامة والخطابة في جامع الشَّعراء له حلقةٌ علمية ، يُدَرِّسُ فيها مبادئَ العلوم الشرعية كالتوحيد والفقه وعلم الفرائض ، وكانت تلك الحلقة تعقد بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ، وبعد صلاة العشاء من كل يوم ، وكان يتولى قسمة المواريث ، وعقود الأنكحة وكتابة الوصايا ، وكان ذا خَطٍّ حسن ، نسخ عدداً من الكتب منها كتاب «التهذيب والتجويد بشرح كتاب التوحيد» للشيخ عبدالرحمن بن حسن فرغ منه في ٢٠ شوال سنة ١٣١٠هـ ، وكتاب «عمدة الفقه» لابن قدامة ، فرغ منه في ١١ جمادى الأولى سنة ١٣١٠هـ ، وكتاب «عمدة الأحكام في الحديث» لعبد الغني المقدسي ، فرغ منه في ٨ ربيع الأول سنة ١٣١٥هـ ، كما نقل كتباً ورسائل أخرى .

وللشيخ عبدالعزيز من الأبناء : ـ

١ ــ عبدالرحمن وهو أكبر أبنائه ولد في الشَّعْراء عام ١٣٢٦هـ حفظ القرآن على

والده في شبابه ، ونشط في طلب العلم ، وتولى إمامة الجامع الجديد في الشعراء والخطابة في هذا الجامع ، حتى توفي في ١٣٥٧/٣/٥هـ ، قبل وفاة والده ، وله ابنان .

٢ ــ إبراهيم : حفظ القرآن وأتقنه على يد والده وشاركه في تدريس القرآن حتى توفي سنة ١٣٥٧هـ .

٣ ــ عبدالله : حفظ القرآن ، وشارك أباه في التدريس بمدرسته ، ثم تولى إمامة مسجد والده بعد وفاته ، ثم انتقل إلى الدوادمي عام ١٣٨٦هـ .

٤ ــ عمر : حفظ القرآن الكريم على يد والده ، وتوفي وهو شاب سنة ١٣٦٧هـ .

عبد اللطيف بن ابراهيم الباهلي

هو الشيخ أبو محمد عبداللطيف بن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالله آل عبداللطيف ، وأسرة آل عبداللطيف أسرة محافظة ذاتُ علم ودِيْن ، ووالده الشيخ إبراهيم كان إماماً وخطيباً للمسجد الجامع في شقراء نحو خمسين عاماً ، وتولَّى القضاءَ في شقراء ونواحيها خمس عشرة سنة ، وقد ولد ابنه عبداللطيف سنة ١٣٢٥هـ فنشأ في بيئة دينية علمية ، وتلقى دراسته عن والده فأخذ عنه القرآن الكريم وحفظه في صغره ، ثم درس عليه في الحديث والفقه والفرائض والأصول والعقائد مدة طويلة حتى توفي فارتحل إلى الرياض بعد وفاته بخمس سنين لطلب العلم سنة ١٣٥٧هـ ، ومكث هناك ثلاث سنين ملازماً لشيخه الكبير الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، تلقى عنه علم الحديث والفقه ، وعن أخيه الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم الفرائض والنحو ، كما تلقى عن

الشيخين محمد بن عبداللطيف وصالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ، وكان والده ، وشيخه محمد بن إبراهيم ، لهما الأثر البالغ في تربيته التربية الدينية العلمية ، ثم في توجيهه الوجهة النافعة ، وفي آخر عام ١٣٥٩هـ نُدِبَ مع بعض طلبة العلم إلى مكة المكرمة للوعظ والإرشاد ، فمكثوا سنتين ، وتلقوا العلم على الشيخ محمد بن مانع في الحرم الشريف .

وفي عام ١٣٦١هـ عين الشيخ عبداللطيف قاضياً في بلدة رَنْيَةَ ، ثم نقل منها سنة ١٣٦٦هـ قاضياً في بلدة الـخُرْمة .

وفي سنة ١٣٦٩هـ نقل قاضياً لبلدة تُرَبَة حتى عام ١٣٨١هـ .

وكان أثناء توليه القضاء يقوم بتدريس الطلاب وبالوعظ والإرشاد ، وقد ندب سنة ١٣٧٣هـ ، وهو في القضاء في تُرَبة مع بعض طلبة العلم للقيام بالوعظ والإرشاد في بلاد غامدٍ وزهران أربعة شهور عاد بعدها إلى مقر عمله .

وفي سنة ١٣٨١هـ أعفي من القضاء بعد أن كرر طلب الإعفاء ، وعين مدرساً في كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، منذ افتتاحها في شهر جمادى الأولى من عام ١٣٨١هـ ، وقام بتدريس الحديث والفقه في الكلية المذكورة حتى طلب الإحالة إلى التقاعد سنة ١٣٩٧هـ بعد أن أمضى في القضاء عشرين عاماً ، وفي التدريس في الجامعة ست عشرة سنة .

وهو الآن وقد جاوز الثمانين من عمره يقيم في المدينة المنورة .

ختم الله أعماله الخاتمة الحسنى .

ومن مؤلفاته كتاب «تخريج أحاديث بداية المجتهد» لابن رشد .

عبد الله بن بكر السهمي الباهلي

قال ابن قتيبة[1]: هو منسوب إلى بطن من باهلة يقال لهم : بنو سهم ، وهو من أهل البصرة ومات ببغداد سنة ثمان ومئتين .

وفي «الطبقات الكبرى» لابن سَعْدٍ[2] : كان ثقة صدوقاً مات في بغداد في المحرم سنة ثمان ومئتين .

وقال البلاذريُّ في «أنساب الأشراف» : كان عبدالله بن بكر بن حبيب محدثاً ومات في بغداد سنة ٢٠٧ - انتهى .

وترجمة الحافظ بن حجر في «تهذيب التهذيب»[3] فذكر أنَّ الجماعة رووا عنه ، ونقل توثيقه عن أحمد وابن معين وابن سعد وابن حِبَّان وغيرهم .

وقال الخطيب البغدادي[4]: عبدالله بن بكر بن حبيب ، أبو وهب السهمي الباهلي البصري ، سكن بغداد وحدث بها عن حُمَيْدٍ الطويلِ ، وحاتم بن أبي صغيرة ، وسنان بن ربيعة ، وسعيد بن أبي عروبة روى عنه أحمد بن حنبل ، وأبو خيثمة ، وأبو همام السكوني ويعقوب الدورقي ، والحسن بن عرفة ، وعلي ابن الحسن بن أشكاب ، وأحمد بن سعيد الجمال ، والحارث بن أبي أسامة وغيرهم ، وساق بسنده إلى الحسن بن عرفة ، قال حدثني عبدالله بن بكر السهمي حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن عمرو بن دينار أن كُرَيْباً أخبره أنَّ ابنَ عباس أخبره : أن رسول الله ﷺ دعا له أن يزيده (الله) فهماً وعلماً . ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ نام حتى سمعته ينفخ[5]، ثم أتاه بلالٌ فنبهه

(١) «المعارف»: ص ٥١٦ . (٢) ٧/٢٩٥/٣٣٤ .

(٣) ٥/١٦٢ . (٤) «تاريخ بغداد» - ج ٩/٤٢١ .

(٥) كذا ولعل الصواب (يَفُخّ) والفَخَّةُ والْفَخُّ أن ينام الرجل وينفخ في نومه «لسان العرب» - فخ -.

للصلاة فصلى ولم يتوضأْ ـ أو قال : ما أعاد وضوءه ، وساق السند إلى عَمْرٍو الطائي قال : عَرَضَ سَوَّارٌ على عبدالله بن بكر السهمي أَنْ يُوَلِّيَهُ القضاءَ بالأُبُلَّةِ فأبَى ، فقال له سَوَّارُ : ترفَعُ نفسك عن قضاء الأُبُلَّة ؟ قال : لا ، ولكن أرفع علمي عن قضاء الأُبُلَةِ . وإلى أبي بكر الأثرم . قال قلت لأبي عبدالله : أجدْ في حديث سعيد عن قتادة عن أبي المليح عن أبيه أن رجلاً أعتق شقصاً ، قال فيه أحد عن أبيه ؟ فقال : قاله السهمي ، وما أراه محفوظاً . روى عدة منهم إسماعيل وغيره ، ليس فيه عن أبيه ، وأظن هذا من حفظ سعيد ، وأثنى أبو عبدالله على السهمي خيراً ، قيل لأبي عبدالله : أين سماعه عندك من سماع محمد بن بكر عن سعيد ؟ وذكر غير محمد بن بكر فقال أبو عبدالله : هو عندي فوق هاؤلاء كلهم . قلت لأبي عبدالله : السَّهْـمِيُّ فوق هاؤلاء ؟ فقال : نعم ، قال أبو عبدالله : قال السهمـيُّ : سمعت من سعيد سنة اثنتين ـ أو إحدى ـ وأربعين . وإلى حنبل بن إسحاق . قال قال : أبو عبدالله : وعبدالله ابن بكر السهمي ثقة . وإلى عثمان بن سعيد الدارمي يقول : سألت يحيى بن معين عن عبدالله بن بكر السهمي فقال : ثقة . وإلى أحمد بن زهير قال سئل يحيى بن معين عن عبدالله بن بكر السهمي . قال : صالح . وإلى صالح بن أحمد بن عبدالله العجلي حدثني أبي . قال : عبدالله بن بكر أبو وهب السهمي بصريٌّ ثقة . وإلى محمد بن عبدالله الحضرمي . قال : سنة ثمان ومئتين فيها مات عبدالله بن بكر بن حبيب . وإلى محمد بن سعد . قال : عبدالله بن بكر السهمي بطن من باهلة وهو من أهل البصرة ، وكان ثقة صدوقاً نزل بغداد على سعيد بن سَلْمٍ ، وسمع منه البغداديون ، ولم يزل بها حتى مات بها في خلافة المأمون ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمان ومئتين . انتهى ملخصاً بحذف الأسانيد .

عبد الله بن محمد بن حبان الباهلي

قال الخطيب[١]: عبدالله بن محمد بن حبان بن نصر بن أيوب ، أبو محمد الباهلي من أهل سمرقند ، قدم بغداد ، وحدث بها ، وذكر ممن روى عنه الدارقطني ، وروى بسنده عن طريقه حديثاً . ولم أجد اسمه في كتاب «المؤتلف والمختلف» للدارقطني .

عبد الملك بن قُرَيْب (الأصمعي)

هو أبو سعيد[٢] عبدالملك بن قُرَيْبِ بن عبدالملك بن علي بن أصمع بن مُظَهِّر بن رِيَاح الباهلي ، وتقدم ذكر أصمع في فروع باهلة ، وقد استوطنت أسرته البصرة ، وعرف فيها حَـيٌّ باسم حي بني أصمع ، وسيأتي ذكر جده علي ابن أصمع ، وقد كان لجده عبدالملك صِلَةٌ بمسلم بن عمرو الباهلي ، وبابنه قتيبة ، الذي صحبه في فتوحاته في بلاد الترك وكأشغر ، وقُرَيْب ـ بضم القاف وفتح الراء وإسكان المثناة التحتية بعدها باء موحدة ـ لَقَبُ أبي الأصمعي واسمه عاصم[٣]، وسيأتي ذكره وأنه من الرواة ، وله من البنين عبدالملك ، الذي عرف بنسبته الأصمعي ـ وعبدالله أبو عبدالرحمن تلميذ عمه الأصمعي ، وراوية أخباره ، ولِقُرَيْبِ ابنةٌ هي أم أحمد بن حاتم المعروف بأبي نَصْر الباهلي ، تلميذ خاله الأصمعي .

وقد وُلِدَ ٱلأَصْمعيُّ في البصرة سنة اثنتين أو ثلاث وعشرين ومئة ، وتوفي بين سنتي ٢١٤ و ٢١٧ ، وعاش ثمانيا وثمانين سنة ، أو نحوها .

---

(١) «تاريخ بغداد»: ١٠/١١٩ .
(٢) الدكتور سليم النعيمي ـ مقدمة كتاب «الإشتقاق» ـ ٣ ـ .
(٣) «نزهة الألباء»: ١٥٠ .

وصفه ابن قتيبة بقوله[1]: كانتِ الروايةُ والمعاني أَغْلَبَ عليه ، وكان شَدِيدَ التوقِّي لتفسير القرآن ، وحديث النبي ﷺ ولا نعلم أنه كان يرفع إلا أحاديث يسيرة . وكان صدوقاً في غير ذالك من حديثه ، ولد سنة ١٢٣ وعمر نيفا وتسعين سنة وله عقب .

وقد صدَّر الذهبي ترجمته في «سير أعلام النبلاء»[2] بقوله : الإمام العلامة الحافظ حُجَّة الأدب ، لسان العرب ، وساق نسبه إلى عدنان وذكر أنَّ الإمام مالكاً روى عنه ، وأنَّ الإمام أحمد بن حنبل أثنى عليه في السنة ، وأن الإمام الشافعي قال : ماعَبَّرَ أَحَدٌ عن العرب بأحسنَ من عبارة الأصمعي . انتهى .

وقد تلقى العلم عن شيوخ الأدب واللغة في عصره ، ومنهم : -

١ ــ أبو عَمْرِو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ .
٢ ــ عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ .
٣ ــ الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ تقريباً .
٤ ــ يونس بن حبيب النحوي المتوفى سنة ١٨٢ .
٥ ــ خلف الأحمر المتوفى سنة ١٨٢ .
٦ ــ سليمان بن المغيرة المتوفى سنة ١٦٧ .
٧ ــ شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ .
٨ ــ حماد بن سلمة توفي سنة ١٦٧ .
٩ ــ حماد بن زيد توفي سنة ١٩٧ .

وغيرهم . وتلقى قراءة القرآن عن نافع بن عبدالرحمن بن نُعيم في المدينة ، ونافِعُ أَحَدُ القراء السبعة ، وسمع «الموطأ» من مؤلفه الإمام مالك بن أنس ،

---

(١) «المعارف» ٥٤٣ . (٢) ١٠/١٧٥ .

واتصل بالحافظ المحدث سفيان بن عيينة ، وقويت بينهما الصلةُ . وشافَهَ مشاهيرَ الأعراب الوافدين على البصرة ، وارتحل إليهم في وسط الجزيرة لأخذ اللغة عنهم . حتى بلغ من سعة العلم في عصره الذروةَ ، واحتلَّ القمة بين معاصريه ، إلى ما يتصف به من تقوى وورع وصدق ، مما أحله في نفوس كبار الأئمة محل التقدير والإجلال ، وبين أهل مصره وعصره أرفعَ المنازل ، حتى اتصل بالخليفة هارون الرشيد ، بعد أن بلغ الخمسين من عمره ، فحظي لديه بمكانة رفيعة ، وكان ذالك من الأسباب التي أوغرتْ صدور بعض معاصريه ، مما كان سبباً في عودته إلى مسقط رأسه البصرة سنة ١٨٨ ، ويطول الحديث عما حدث للأصمعي من مناوئيه ، وتكالبهم للنيل منه لما بلغ من منزلة في العلم ومقام رفيع في المجتمع ، وسيأتي طرف من ذالك في موضع آخر .

وللأصمعي تلاميذ كثيرون تلقوا عنه الأدب واللغة ، أكتفي بذكر بعض مشاهيرهم :

١ ـ أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي ابن أخت الأصمعي .
٢ ـ الأثرم وهو أبو الحسن علي بن المغيرة .
٣ ـ أحمد بن محمد اليزيدي .
٤ ـ إسحاق بن إبراهيم الموصلي .
٥ ـ التوزي عبدالله بن محمد بن هارون .
٦ ـ الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب العالم المشهور .
٧ ـ الجرمي أبو عمر صالح بن إسحاق .
٨ ـ أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد .
٩ ـ الرياشي أبو الفضل العباس بن فرج .
١٠ ـ الزيادي إبراهيم بن سفيان .

١١ ـ ابن السكيت يعقوب بن إسحاق .

١٢ ـ شمر بن حمدويه الهروي .

١٣ ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن أخي الأصمعي .

١٤ ـ أبو عبيد القاسم بن سلام .

١٥ ـ عمر بن شبة .

١٦ ـ المازني بكر بن محمد بن بقية أبو عثمان .

١٧ ـ يحيى بن معين المحدث المشهور .

إلى آخرين لا داعي للإطالة بذكرهم .

لقد تصدَّى لِعِدَاءِ الأصمعيِّ - من بين من تصدَّى له عالِمانِ كان لهما من سعة المعرفة وعُلُوِّ المنزلة في مجتمعهما مع مايتصفان به من نفوذ لدى أهلِ الْـحَلِّ والعقد في الدولة من الخليفة فمن دونه ، أحدهما : أبو عبيدة معمر بن الـمُثَنَّى ، الذي كانت منزلته في العلم تسامي منزلة الأصمعي ، ويكاد يبزه بين العامة بارتفاع الصيت ، وانتشار الشهرة ، بل كان الاثنان مع أبي زيد الأنصاريِّ هم أئمة اللغة والأدب في ذالك العصر .

والثاني : إسحاق بن إبراهيم الموصلي وهو مع تبريزه في جوانب من العلم والأدب والغناء ، وتمكنه في الشعر ، كان ذَا صلة قويَّةٍ برجال الدولة من الخليفة فَمَنْ دُونه ، وكان مقرباً منهم ، مسموع الكلمة .

وماكان الاثنان - أبو عبيدة والموصلي - وهما الخصمان اللدودان للأصمعي على درجة من التقوى والورع كالأصمعي ، وكما قال الشاعر :

بَـلاَءٌ لَـيْسَ يُـشْبِـهُـهُ بَـلاَءٌ ... عَدَاوَةُ غَيْرِ ذِيْ حَسَبٍ ودِيْـنِ
يُنِيْلُكَ مِنْـهُ عِرْضـاً لَـمْ يَصُنْهُ ... وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِـيْ عِرْضٍ مَصُونِ

ولن يَعْدِمَ الباحثُ المتعمق في دراسة مؤلفات ذالك العصر وما بقربه من الزمن أن يجد في أثنائها مغامزَ في الأصمعي من علماء أجلة يستشف من ورائها دوافع من الحقد والضغينة ، وماتلك إلا من آثار مالذَيْنِك العدوَّيْنِ اللدُودين من قوة ونفوذ ، وتغلغل في الوسط الثقافي في ذالك العصر ، فهذا أبو العباس المبرد أحد أئمة اللغة والأدب في ذالك العهد ، وهو يعترف للأصمعي بالعلم والفضل وسمو الأخلاق ، إذ يورد في كتابه «الكامل»[1]: حدثني الزياديُّ أَنَّ الأصمعيَّ كان لا ينشد ولا يفسر ماكان فيه ذكر الأنواء ، لقول رسول الله ﷺ : « إذا ذُكِرَتِ النجومُ فأَمْسِكوا» . لأن الخبر في هذا بعينه : « مطرنا بنوء كذا وكذا» ، وكان لا يفسر ولا ينشد شعراً فيه هجاء ، وكان لا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن ، هكذا يقول أصحابه ، وسئل عن قول الشماخ :

طوى ظِمْأَهَا في بَيْضَةِ القيظِ بعدما   جَرَى في عِنَانِ الشِّعْرَيَيْنِ الْأَماعِزُ

فأبى أن يفسر في عنان الشعريين ، ويحشو المبرِّدُ الكتاب بالنقول عن الأصمعي ، مستفيداً ومستزيداً من علمه ، ولكنه مع ذالك لا يتورع من أن يورد كثيراً مما نقل بصيغة (وزعم)[2] بل قد يغلطه كأن يقول[3] فأما ما وضعه الأصمعي في كتاب «الاختيار» فعلى غَلَطٍ وَضَع .

أما الشعر الذي أورده في هجو باهلة[4]، فمع أنه لم يذكر مصدره ـ كعادته في كثير مما يورد في كتابه ـ إلَّا أنه بِدُوْنِ شَكٍّ مما كان لتأثير أبي عُبَيْدَة ـ من كتابه «مثالب باهلة» أو أحد تلاميذه من الشعراء الشعوبيين ـ.

---

(١) ٣٦/٣ .
(٢) «الكامل» ج١/ ١٣٩/ ١٦٧/ ٣٣٠/ ٣٨٩ ـ ج ٢/ ١١/ ١٦١ ج ٣/ ٣٠٨ ـ ج ٤/ ١٦ .
(٣) «الكامل»: ٣/ ١٩١ . (٤) «الكامل» ٣/ ١٠/ ١١ .

وللأصمعي مؤلفات كثيرة لا تخرج عن اللغة والأدب ، وجلها رسائلُ تختص بأبواب من اللغة ، ترتبط من حيث المعاني والدلالات ، ولكن كثيراً من تلك المؤلفات ليس معروفاً الآن ، وقد علل ذالك الدكتور عبدالجبار الجومرد[1] فقال : ـ بعد أن ذكر بعض مانشر منها ـ: نلاحظ في هذه الكتبِ المطبوعة أن بعضها أُخِذَ عن تلميذِه أبي حاتم ، وأُخِذَ بَعْضُهَا عن عبدالرحمن بن أخيه ، مما يدل على أن بعض تصانِيفه فُقِدَ بعد موته بقليل ، وقد أخبرنا صاحب «معجم الأدباء» قال : انتقلت مؤلفات الأصمعي بعد وفاته إلى ابن أخته أبي نصر أحمد ابن حاتم الباهلي ، فكان ينقلها معه ويتكسَّبُ بها . وأضاف الدكتور عبدالجبار : يبدُوْ لنا من هذه الرواية ومما نعرفه عن بُخْلِ الأَصمعي ومَنْ حوله من أُسرته ، بأن عوامل كثيرة تظافَرَتْ على إِضَاعَةِ آثاره وتآليفه ، منها أنه كان يَضِنُّ بكتبه على الناس ، فلم يكن ممن يسمح للورَّاقين بِنَسخها ، وإن كان يسمح لطلابه بتدوين مايلقيه من محاضراته ، ومنها انتقال مؤلفاته بعد موته إلى رجل محتاج إلى التكسب بها ، فكان من جَرَّاءِ ذالك أن بَقِيَتْ هذه المؤلفات نادرة ، فلما تمادت السنون ، ونشبت الفتن ، وحدث ماحدث من الحروب والتخريب على أيدي المغول ، ضاع أكثر تراث الحضارة الفكرية عند المسلمين ، ومن بينها آثار الأصمعي . غير أن الذي عوض لنا بَعْضَ الشيء عن هذه الخسارة هو أن ذالك العدد الكبير من الطلاب الذين لازموا الأصمعيَّ أعواماً طويلة نقلوا عنه الشيء الكثير . وأضاف : بأن أبا عُبَيْدٍ القاسم بن سلام اعتمد في كتابه «الغريب المصنف» على كتاب عمله رجل من بني هاشم ، أَخَذَ كُتُبَ الأصمعي فَبَوَّبَ مافِيها ، وأضاف إليها شيئاً من علم أبي زيد ، وروايات الكوفيين ، والقاسم هذا ممن أخذ عن الأصمعي[2] .

(١) «الأصمعي حياته وآثاره» ص ٢٥٢ .
(٢) «المزهر» ج ٢ ص ٢٥٧ .

وهاهي أسماء مؤلفات الأصمعي على ما ذكر مترجموه من المتقدمين والمتأخرين ، وأوفى من تحدث عنها الأستاذان الدكتور رمضان عبدالتواب والدكتور صلاح الدين الهادي في مقدمة كتاب «اشتقاق الأسماء» .

١ ــ الإبــــل :

ذكر في «فهرسة ابن خير» ٣٧٤ و«هدية العارفين» ١/٦٢٣ وسماه أبو الفداء «خلق الإبل» نشره (أوغست هفنر) في الكنز اللغوي في اللسان العربي ، بيروت ـ ١٩٠٣م .

٢ ــ الأبــــواب :

كذا ورد الاسم في «أمالي» القالي[١] و«إنباه الرواة» ٢/٢٠٢ ، و«هدية العارفين» ١/٦٢٣ . و«تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان[٢]، ويظن أن منه نسخة في مكتبة جوتا رقم ٤٢٣ (وانظر الأثواب) .

٣ ــ أبيــات الشعــر :

ورد ذكره في كتاب «المكاثرة عند المذاكرة» للطيالسي[٣].

٤ ــ أبيــات المعانـــي :

ذكره بروكلمان ١/١٦٥ .

٥ ــ الأثـــواب :

وفي «إنباه الرواة» «الأبواب» .

٦ ــ الأجنـــاس :

قال ابن رشيق في «العمدة»[٤]: قال ابن المعتز المجانسة أن تشبه اللَّفْظَةُ

---

(١) ١/٢٤٦ ط : دار الكتب المصرية .
(٢) ١/٢٤٦ . (٣) ـ ٤ ـ.
(٤) «العمدة»: ٥٦٣ ط : دار المعرفة بيروت .

اللفظةَ في تأليف حروفها على السبيل التي أَلَّف الأصمعيُّ كتاب «الأجناس» عليها ، قال : والْـجِنْسُ أصْلٌ لكل شيْء تتفرَّع منه أنواعه ، وتعود كلها إليه كالأنسان هو جنْسٌ ، وأنواعه : عربي ورومي وزنجي وأشباه ذالك .

ورد في «إنباه الرواة» ٢/٢٠٢ وفي «كشف الظنون» - سماه الأجناس في أصول الفقه ، ولكن مما نقل عنه السيوطي في «المزهر» يتضح أنه في اللغة «هدية العارفين» ١/٦٢٣ ، بروكلمان ١/١٠٥ «الذيل» ٢/١٦٥ .

٧ ــ الأخبيــة والبيــوت :

ذكر في «إنباه الرواة» ٢/٢٣٠ ، و«الفهرست» و«بغية الوعاة» وغيرها .

٨ ــ الاختيـــــار :

منه منتخب بعنوان «الاختيارين» : اختيار المفضل الضبي وعبدالملك بن قريب الأصمعي نشره د. سيد معظم حسين . الدكن ١٩٣٨ ، وهو بصنعة الأخفش ، ثم نشره د. فخر الدين قباوة ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ - .

انظر بروكلمان ١/١١٦ ، الذيل ١/١٦٥ .

٩ ــ الأراجيـــــز :

ورد في «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، و«هدية العارفين» ١/٦٢٣ ، وكتاب بروكلمان الذيل ١/١٦٤ .

١٠ ــ أسمـاء الخمـر :

ذكر في «الفهرست» و«هدية العارفين» ١/٦٢٣ .

١١ ــ الاشتقاق (اشتقاق الأسماء) :

«بغية الوعاة» ٢/١١٣ ـ نشر مراراً :

١ ــ في ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المجلد ٢٨/١٩٥٣م و٢٩/١٩٥٤م ، بعناية الأستاذ سليمان ظاهر .

٢ ــ في مجلة ـ المجمع العلمي العراقي ببغداد ـ المجلد السادس عشر ، بغداد ١٩٦٨م بعناية الشيخ محمد حسن آل ياسين .

٣ ــ نشر في بغداد بتحقيق د. سليم النعيمي سنة ١٩٦٨م .

٤ ــ نشر محققاً وتولى نشره الدكتوران : رمضان عبدالتواب ، وصلاح الدين الهادي بالقاهرة سنة ١٩٨٠م .

١٢ ــ الأصمعيـــات :

ذكر في «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ .

وقد نشرها (أهلورت): ألورد ـ في الجزء الأول من مجموع «أشعار العرب» في ليبسك ١٩٠٢م .

ثم نشرت محققة بعناية أحمد محمد شاكر ، وعبدالسلام هارون بالقاهرة ، دار المعارف ١٩٥٥م ثم في ديوان العرب مجموعات من عيون الشعر ٢ ـ عام ١٩٦٤م .

١٣ ــ الأصـــوات :

ذكر في «هدية العارفين» ١/٦٢٣ ، و«إيضاح المكنون» ٢/٢٦٨ .

١٤ ــ أصول الكلام :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة» و«بغية الوعاة» وغيرها .

١٥ ـ الأضـــداد :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة» و«بغية الوعاة» وغيرها . وذكر الدكتور رمضان عبدالتواب أن هذا الكتاب مفقود ، وليس الذي نشره صالحاني و(هفنر) في مجموعة ثلاثة كتب في الأضداد بيروت ١٩١٣م ، فالمنشور نسخة أخرى من أضداد ابن السكيت : انظر مقدمة كتاب «اشتقاق الأسماء» ـ ص ٢٨ ـ.

١٦ ـ الألفـــاظ :

ورد ذكره في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» و«كشف الظنون» وغيرها .

١٧ ـ الأمثـــال :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة» و«بغية الوعاة» وغيرها ، وقد اطلع عليه الميداني والقالي وغيرهما .

١٨ ـ الأنـــواء :

ذكر في «الفهرست» و«بغية الوعاة» و«كشف الظنون» وغيرها .

١٩ ـ الأوقـــاف :

ذكر في «هدية العارفين» ١/٦٢٣ و«إيضاح المكنون» ٢/٢٧٦ ، وورد اسمه في مقدمة «الإشتقاق» تحقيق الدكتور سليم النعيمي «الأوقات» وكذا في الفهرست .

٢٠ ـ تاريخ ملوك العرب الأولين من بني هود وغيرهم:

نشر في بغداد عام ١٩٥٩م باسم : «تاريخ العرب قبل الإسلام» بتحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين ، عن نسخة زُعِمَ أَنَّهَا كتبت سنة ٢٤٣هـ بخط ابن السكيت في مكتبة باريس رقم ٦٧٢٦ ، اسم الكتاب في هذه المخطوطة «تاريخ العرب الأولية» .

وقد سبق أن اطلعت على أصل هذه المخطوطة حين نشر الدكتور صلاح المنجد كتاب «الكتاب العربي المخطوط» متوقعاً أن أقدم مخطوطة من كتاب عربي هي كتاب «تاريخ العرب الأولية» وأنه بخط ابن السكيت ، ونشر أنموذجاً منه مما دفعني إلى السعي للحصول على مصورة كاملة من هذا الكتاب ، وبعد قراءته ثبت لديَّ أنه ليس للأصمعي ، ففيه نصوص متأخرة عن عهد الأصمعي ، منها نقل عن أبي علي الهجري وهذا عاش في آخر القرن الثالث وأول القرن الرابع ، يضاف إلى هذا أنَّ الأصمعيَّ لا يعبر بكلمة (العرب الأولية) وأنَّ ابنَ السكيت الذي نسب إليه نسخ الكتاب بخطه لا يعبر بكلمة (اقطعه أمير المؤمنين أراضي أميرية) فكلمة (أميرية) لم تحدث إلا في عهد المماليك حكام مصر المتأخرين ، وقد كتبت عن هذا بتفصيل في جريدة «اليمامة» حين صدور كتاب المنجد[1] .

٢١ ـ جزيرة العرب :

«إنباه الرواة» ٢٠٣/٢ ، «معجم البلدان» ـ المقدمة ـ «بغية الوعاة» ١١٣/٢ ، «هدية العارفين» ٦٢٣/١ . هذا الكتاب سماه ياقوت في مقدمة «معجم البلدان» : «جزيرة العرب» وسماه في موضع آخر من «المعجم» «مياه العرب» ونقل عنه كثيراً من النصوص ، وتلك النصوص التي نقلها كلها وصلت إلينا في كتاب منسوب للأصفهاني ، وقد ظنه بعض الباحثين كتاب

(١) حين صدور الكتاب وفي مجلة «العرب» س ١ ص ٨٤ .

الأصمعي ، وأوضحت في مقدمة ذالك الكتاب الذي نشرته باسم «بلاد العرب» بأنه ليس كتاب الأصمعي ، وإنما عمد الأصفهاني إلى نصوص الأصمعي ، فنقلها وأضاف إليها إضافاتٍ كثيرة ، عن رواة متأخرين كعمارة بن عقيل وغيره ، وفيه مالا يرتضيه الأصمعي كهجو قبيلة باهلة ، في الرجز الذي أوله :

بَاهِلَ زِيْـحي عن نُمَيْرٍ واخْنَسي

وقد استنتجتُ أَنَّ أبا نَصْرٍ أتى بكتاب أستاذه إلى أصفهان فتلقَّفَهُ الأصفهاني منه وزاد عليه . وانظر لتفصيل هذا مقدمة كتاب «بلاد العرب» للغدة الأصفهاني .

٢٢ ــ الخــراج :

ورد ذكره في «الفهرست» «هدية العارفين» ٦٢٣/١ وفي «إيضاح المكنون» ٢٩٢/٢ .

٢٣ ــ خلق الإنسان :

ذكر في «إنباه الرواة» ٢٠٢/٢ ، «بغية الوعاة» ١١٣/٢ .

ونشره (واغست هفنر) ضمن «الكنز اللغوي في اللسان العربي» - ليبزغ ١٩٠٥م - وفي بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٥٣م .

٢٤ ــ خلـق الفـرس :

ذكره في «الفهرست» و«إنباه الرواة» ٢٠٢/٢ ، «بغية الوعاة» ١١٣/٢ ، وغيرها .

٢٥ ــ **الخيــــل** :

في «إنباه الرواة» ٢/٢٠٢ و«بغية الوعاة» و«الفهرست» وغيرها .

ونشره (أوغست هفنر) في مجلة (SBWA) ١٨٩٥م ، ونشره الدكتور نوري حمودي القيسي في مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد) العدد ١٢ ، سنة ١٩٧٠م .

٢٦ ــ **الـــدارات** :

نشره (أوغست هفنر) في كتاب «البلغة في شذور اللغة» - ص ٣ - ٦ - بيروت ١٨٩٨م ، ثم في ليبسك ١٩٠٥م .

٢٧ ــ **الدلـــو** :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، «هدية العارفين» ١/٦٢٣ .

٢٨ ــ **الرحــــل** :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، «هدية العارفين» ١/٦٢٣ و «إيضاح المكنون»: ٢/٢٩٨ .

٢٩ ــ **السرج واللجام والشوى والنعال والترس والنبال** :

ذكر في «الفهرست» و «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، «هدية العارفين» ١/٦٢٣ ، وفي إيضاح المكنون : السرج .

٣٠ ــ **الســـــلاح** :

في «الفهرست» و«إنباه الرواة» و«بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، وغيرها .

٣١ ــ **الشـــــاء** :

في «إنباه الرواة» و«الفهرست» و«بغية الوعاة» ٢/١١٣ وغيرها .

وقد نشره (أوغست هفنر) في مجلة (SBWA) سنة ١٨٩٦م . كما نشره الدكتور صبيح التميمي في بيروت[1].

٣٢ ــ شرح ديوان رؤبة بن العجاج :

ذكره جرجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية»[2].

٣٣ ــ شرح ديوان ذي الرمة :

ذكره الدكتور الجومرد[3]. وقد وصل إلينا شرح أبي نصر الباهلي تلميذ الأصمعي لهذا الديوان ولعله رجع فيه إلى كتاب أستاذه وخاله الأصمعي .

٣٤ ــ الصفـــات :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة» ٢٠٢/٢ ، و«كشف الظنون» ١٤٣٢ ، «هدية العارفين» ٦٢٣/١ .

٣٥ ــ العرب من أبناء هود :

(انظر تاريخ ملوك العرب) .

٣٦ ــ غريـــب الحديـــث :

قال عنه صاحب «الفهرست» : أنه في نحو مئتي ورقة ، وقال : رأيته بخط السكري وذكر في «إنباه الرواة» ٢٠٣/٢ ، و«إيضاح المكنون» ١٤٦/٢ ، وكتاب بروكلمان ١٠٥/١ ، وذكر الجومرد أن له مخطوطة في مكتبة «الأسكوريال) في أسبانيا ، نقلاً عن كتاب جرجي زيدان[4].

---

(١) انظر «نشرة أخبار التراث» ع ٣١ ص ٢٣ وع ٤٠ و ٤١ ص ٢٣ التي يصدرها (معهد المخطوطات) في الكويت .

(٢) ١٠٢/٢ ونقل صاحب «خزانة الأدب» عن رجز العجاج رواية الأصمعي .

(٣) «الأصمعي»: ٢٤٦ . (٤) ٢١٩/٢ .

٣٧ ـ غريب القرآن :

«بغية الوعاة» ٢/١١٣ و«طبقات المفسِّرين» للداودي .

٣٨ ـ الفتوح :

«كشف الظنون» ١٢٤٠ ، وسماه فتوح عبدالملك بن قريب و«هدية العارفين» ١/٦٢٣ .

٣٩ ـ فحولة الشعراء :

نشره (توري (CH TORREY) في مجلة (ZDMG) ٦٥/٤٨٧ ـ ٥١٦ ، ثم نشره الدكتور صلاح الدين المنجد في بيروت ١٩٧١ ، ثم نشره محمد عبدالمنعم خفاجي ، وطه محمد الزيني بالقاهرة سنة ١٩٥٣م .

٤٠ ـ الْفَرْقُ في اللغة ـ ماخالف الإنسان فيه البهائم :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة»: ٢/٢٠٢ و«بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، وغيرها ونشره (مولر D.H. MULLER) في مجلة (SBWA) سنة ١٨٧٦م في فيينا . ونشره الدكتور صبيح التميمي في بيروت[١].

٤١ ـ فعل وأفعل :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، «بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، وغيرها وانظر مقدمة كتاب «اشتقاق الأسماء» ص ٣٤ .

٤٢ ـ القصائد الست :

ذكر في «الفهرست» وفي «إيضاح المكنون» ٢/٢٢٧ .

---

(١) انظر «نشرة أخبار التراث العربي» ع ٤٠ و٤١ ص ٢٣ ـ التي يصدرها (معهد المخطوطات) في الكويت .

٤٣ ــ القلب والإبدال :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، «بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، «كشف الظنون» ١٣٥٥ ، ونشره (أوغست هفنر) في بيروت سنةن ١٩٠٨م ، في (الكنز اللغوي) المطبعة الكاثوليكية .

٤٤ ــ الكلام الوحشي :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ .

٤٥ ــ لحن العامة :

ذكر في «فهرست» ابن خير ٣٧٥ ، بروكلمان ١/١٦٥ ، ونقل عنه ابن يعيش في «شرح المفصَّل» ٨/١٧ قائلاً : (هكذا ذكره الأصمعي فيما يلحن فيه العامة) .

٤٦ ــ اللغات :

ذكر في «الفهرست» و«إنباه الرواة» و«بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، و«كشف الظنون» ١٤٥٤ ، وغيرها .

٤٧ ــ ماتفق لفظه واختلف معناه :

ذكر في «الفهرست» و«بغية الوعاة» و«وفيات الأعيان» ٢/٣٤٩ و«الوافي بالوفيات» ٢/٣٥٨ ـ وغيرها .

٤٨ ــ مااختلف لفظه واتفق معناه :

«إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ و«بغية الوعاة» ٢/١١٣ وغيرها ، وقد نشره الأستاذ مظفر سلطان بدمشق ١٩٥١م بعنوان «مااختلفت ألفاظه واتفقت معانيه» وقام

الأستاذ ماجد الذهبي بتحقيقه عن نسخة في المكتبة الظاهرية ، وطبع سنة ١٩٨٦م .

٤٩ ــ ماتكلم به العرب فكثر في أفواه الناس :

ذكر في «الفهرست» و«هدية العارفين» ١/٦٢٣ ، و«إيضاح المكنون» ٢/٤١٩ .

٥٠ ــ المذكر والمؤنث :

في «الفهرست» و«إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ و«إيضاح المكنون» ٢/٣٣٠ و«هدية العارفين»: ١/٦٢٣ .

٥١ ــ المصـــادر :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٤ و«بغية الوعاة» ٢/١١٣ و«الوافي بالوفيات» وغيرها ، وسماه في «كشف الظنون»: «مصادر القرآن» .

٥٢ ــ معانـي الشعـر :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، و«بغية الوعاة» و«الوافي بالوفيات» وغيرها .

٥٣ ــ المقصور والممدود :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٢ ، «بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، «كشف الظنون» ١٤٦١ وغيرها .

٥٤ ــ مياه العرب :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، و«معجم البلدان» في ـ

المقدمة ـ «كشف الظنون» ١٩١٦م ، وغيرها ، وانظر «جزيرة العرب» .

٥٥ ــ الميسر والقداح :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٢ ، «بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، «هدية العارفين» ١/٦٢٤ ومنه نسخة مخطوطة في خزانة السيد عبيد الله أفندي ببغداد ـ على ماذكر (هفنر HAFFNER) في «دائرة المعارف الإسلامية» ١/٥٠٩ الطبعة الألمانية وفي مقدمة «الكنز اللغوي» ـ ص ٥ ـ.

٥٦ ــ النبات والشجر :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، وذكره السيوطي في «البغية» ٢/١١٣ وسماه : «النبات» وقد نشره (هفنر) في بيروت سنة ١٨٩٨م بالمطبعة الكاثوليكية ، ثم نشره (هفنر) ولويس شيخو في كتاب «البلغة في شذور اللغة» في بيروت ، ثم نشره الدكتور عبدالله يوسف الغنيم بالقاهرة سنة ١٩٧٢م .

٥٧ ــ النحلة :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ و«بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، وفي «كشف الظنون»: النحل والعسل . وفي «الوافي بالوفيات» ٢/٢/٣٥٨ ـ (النخلة) تصحيف على ماورد في مقدمة «اشتقاق الأسماء» ـ ٣٧ ـ.

٥٨ ــ النخل والكرم :

«إيضاح المكنون» ٢/٢٤٣ ، «هدية العارفين» ١/٦٢٤ .

نشره (أوغست هفنر) في بيروت ١٨٩٨م .

وجاء في مقدمة كتاب «اشتقاق الأسماء» ـ ٣٩ مانصه : ينسب هذا الكتاب

للأصمعي خطأ وهو في الحقيقة كتابان الأول في النخل وهو مختصر من كتاب «الغريب المصنف» لأبي عُبَيد . والثاني في الكَرْم لأبي حاتم السجستاني .

٥٩ ـ النســـب :

ذكر في «الفهرست» و«إيضاح المكنون» ٢/٣٤٣ و«هدية العارفين»: ٦٢٤/١ .

٦٠ ـ نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب :

مخطوطة في المتحف البريطاني ١٢٧٣/٩٠٤ ، ومنه قطعة في مساحة الأرض والخراج في مكتبة جوتا ٤/٣٩ (انظر بروكلمان ١٦٤/١) . ورد ذكره في مقدمة «اشتقاق الأسماء» وكون الاسم مَسْجُوعاً مما يحمل على الشكِّ في نسبته للأصمعي .

٦١ ـ النـــوادر :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، «بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، وفي «تهذيب اللغة» للأزهري : ١/١٥ ، وفي «كشف الظنون» ١٩٨١ ، وهذا الكتاب في اللغة قال الجومرد[١]: ويجب أن لا نخلط بين هذا وكتاب «نوادر الاعراب» ، لِأَنَّ الأول في اللغة ، والثاني مجموعة قصص قصيرة ذات معان اجتماعية ، رواها الأصمعي عن الأعراب ، ونقل عن «نزهة الألباء» أن أبا محمد اليزيدي ألف كتابا باسم «النوادر في اللغة» على مثال نوادر الأصمعي الذي عمله لجعفر البرمكي .

---

(١) «الأصمعي حياته وآثاره» : ٢٤٨ .

٦٢ ـ نوادر الأعراب :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ ، «بغية الوعاة» ٢/١١٣ ، «كشف الظنون» ١٩٧٩ وغيرها .

٦٣ ـ الهمـــز :

ذكر في «الفهرست» وفي «إنباه الرواة» ٢/٢٠٢ و«بغية الوعاة» ٢/١١٣ و«كشف الظنون» ١٤٧٢ ، ولكنه سماه «الهمزة وتخفيفها» ـ وذكر في غير هذه الكتب .

٦٤ ـ الوجـــوه :

ذكره إسحاق بن محمد الآسي في كتابه «الوجوه» انظر مقدمة كتاب «اشتقاق الأسماء» ٣٨ ـ ففيها تفصيل عن نقل الآسي من كتاب «الوجوه» للأصمعي .

٦٥ ـ الوحـــوش :

ذكره في «إنباه الرواة» ٢/٢٠٣ وفي «الفهرست» و«بغية الوعاة» ٢/١١٣ و«هدية العارفين» ١/٦٢٤ وغيرها ونشره (غيير R. GEVER) في مجلة (SBWA) سنة ١٨٨٨م .

ولا يتسع المجال للحديث عن الأصمعي ، فقد كتب عنه الكثير ، وأُلِّفتْ عنه مؤلفات منها : «الأصمعي اللغوي» للدكتور عبدالحميد الشلقاني ، و«الأصمعي» للدكتور أحمد كمال زكي ، و«الأصمعي حياته وآثاره» للدكتور عبدالجبار الجومرد ، ولعله من أحفل تلك المؤلفات بدراسة أحوال الأصمعي ،

وقلَّ أن يخلو مؤلف في التاريخ من المؤلفات القديمة من ترجمته[1].

وأكتفي بإيراد ملخص ماذكر الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»[2] فقد رجع إلى أشهر مؤلفات من سَبَقَه قال : الإمام العلامة الحافظ ، حجة الأدب ، لسان العرب ، أبو سعيد عبدالملك بن قُريب البصري ، اللغوي الأخباري ، أحد الأعلام. ولد سنة بضع وعشرين ومئة .

وحَدَّث عن : ابن عون ، وسليمان التَّيمي ، وأبي عمرِو بْنِ العلاء ، وقرة ابن خالد ، ومِسْعَرِ بن كدام ، وعمر بن أبي زائدة ، وشُعْبة ، ونافع بن أبي نُعَيم ، وبكَّار بن عبدالعزيز بن أبي بكرة ، وسلمة بن بلال ، وشبيب بن شيبة ، وعدد كثير لكنه قليل الرواية للمسندات .

حدث عنه : أبو عبيد ، ويحيى بن مَعِين ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وسلمة بن عاصم ، وزكريا بن يحيى المنقريُّ ، وعمر بن شَبَّةَ ، وأبو الفضل الرِّيَاشي ، وأبو حاتِـمٍ السِّجِسْتَاني ، ونصر بن علي ، وابن أخيه عبدالرحمن بن عبدالله الأصمعي ، وأبو حاتم الرازي ، وأحمد بن عبيد أبو عصيدة ، وبشر بن

---

(1) ترجم في كثير من المؤلفات ، ومنها: «تاريخ ابن معين»: ٣٧٤ ، «التاريخ الكبير» : ٤٢٨/٥ ، «المعارف» لابن قتيبة : ٥٤٣ ، ٥٤٤ - «الجرح والتعديل»: ٣٦٣/٥ «مراتب النحويين»: ٤٦ - ٦٥ ، «طبقات النحويين» للزبيدي : ١٦٧ - ١٧٤ ، «أخبار النحويين البصريين»: ٥٨ - ٦٧ ، «تاريخ اصبهان»: ١٣٠/٢ - «الفهرست»: ٦٠ ، ٦١ - «تاريخ بغداد»: ٤١٠/١٠ ، ٤٢٠ - «الأنساب» للسمعاني»: ٢٩٣/١ «تاريخ ابن عساكر» ١٠/ورقم ١/٢٣٩ - ١/٢٤٧ ، «نزهة الألبا»: ١١٢ - ١٢٤ ، «إنباه الرواة»: ١٩٧/٢ - ٢٠٥ ، «تهذيب الأسماء واللغات»: ٢٧٣/٢ - «وفيات الأعيان»: ١٧٠/٣ - ١٧٦ ، «تاريخ أبي الفداء»: ٣٠/٢ ، «تهذيب الكمال» لوحة ٨٦١ ، «تهذيب التهذيب» ٢/٦/٣ ، «العبر»: ٣٧٠/١ ، «ميزان الاعتدال» ٦٦٢/٢ ، «عيون التواريخ» ٧/لوحة ٣٠٨ ، «مرآة الجنان»: ٦٤/٢ ، «طبقات القراء» لابن الجزري : ٤٧٠/١ ، «تهذيب التهذيب»: ٤١٥/٦ . وغيرها .

(2) ج ١٠ ص ١٧٥ - ومابعدها ملخصاً -.

موسى ، والكديمي ، وأبو العيناء ، وأبو مسلم الكَجِّـي ، وخلق كثير .

وقد أثنى أحمد بن حنبل على الأصمعي في السُّنَّة .

قال الأصمعي : قال لي شعبة : لو تفرغت لجئتك .

قال إسحاق الموصلي : دخلتُ على الأصمعي أعوده ، فإذَا قِمَطْرٌ ، فقلت : هذا علمك كله ؟ فقال : إنَّ هذا من حقٍّ لكثير .

وقال ثعلب : قيل للأصمعي : كيف حفظْت ونَسُوْا ؟ قال : درسْتُ وتركوا .

قال عمر بن شبة : سمعت الأصمعي يقول : أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة .

وقال محمد بن الأعرابي : شهدتُّ الأصمعي ، وقد أنشد نحواً من مئتي بيت ، مافيها بيت عرفناه .

قال الربيع : سمعت الشافعيَّ يقول : ماعَبَّرَ أَحَدٌ عن العرب بِأَحْسَنَ من عبارة الأصمعي .

وعن ابن معين قال : كان الأصمعي من أعلم الناس في فنه .

وقال أبو داود : صدوق .

قال أبو داود السَّنْجِي : سمعت الأصمعيَّ يقول : إن أخوفَ ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله عليه السلام : «من كَذَبَ علي فليتبوأْ مقعده من النار» .

وقال نصر الجهضمي : كان الأصمعيُّ يتَّقِـي أن يفسر الحديث ، كما يتقي أن يفسر القرآن .

قال المبرد : كان الأصمعيُّ بَحْراً في اللغة ، لا نعرف مثله فيها ، وكان أبو زيد أَنْحَى منه .

قيل لأبي نواس : قد أُشْخِصَ الأصمعي وأبو عبيدة إلى الرشيد ، فقال : أما أبو عبيدة : فإنْ مَكَّنُوه من سفره قرأ عليهم علم أخبار الأولين والآخرين ، وأما الأصمعي : فبلبل يطربهم بنغماته .

قال أبو العَيناءِ : قال الأَصْمعيُّ : دخلتُ أنا وأبو عُبيدة على الفضلِ بن الرَّبيع ، فقال : يا أصمعيُّ كم كتابُكَ في الخيل ؟ قلْتُ : جِلْدٌ ، فسأل أبا عبيدة عن ذالك فقال : خَمْسُونَ جِلْداً ، فأَمَرَ بإحضار الكتابَيْنِ ، وأَحْضَرَ فرساً ، فقال لأبي عبيدة : اقرأْ كتابك حَرْفاً حَرْفاً ، وضَعْ يدك على موضعٍ موضعٍ ، قال : لست ببَيْطارٍ ، إنما هذا شيء أخذته من العرب ، فقال لي : قُـمْ فضع يدك ، فقمت ، فحسرت عن ذراعي وساقي ، ثم وثَبْتُ ، فَأَخَذْتُ بأُذُنِ الفَرَسِ ، ثم وضعت يدي على ناصِيَتِه ، فجعلت أقبض[1] منه بشيْ شيْ ، وأقول : هذا اسمه كذا ، وأُنْشِدُ فيه ، حتى بلغتُ حافِرَهُ ، فأمر لي بالفرس ، فكنتُ إذا أردتُ أَنْ أُغيظَ أبا عبيدة ركبت الفرسَ وأتيته .

وعن ابن دُريد : أن الأصمعيَّ كان بخيلاً ، ويجمعُ أَحاديثَ البُخلاء .

وقال محمدُ بنُ سَلَّام : كنا مع أبي عُبيدة بقرب دارِ الأَصمعي ، فسمعنا منها ضجةً فبادر الناسُ لِيَعْرِفُوْا ذالك ، فقال أبو عُبيدة : إنما يفعلونَ هذا عند الـخُبْزِ ، كذا يفعلون إذَا فَقَدُوا رغيفاً .

---

(١) في «بغية الوعاة» و«وفيات الأعيان» و«طبقات المفسرين» : وجعلت أذكر عضواً عضواً وأضع يدي عليه . وفي «إنباه الرواة» : وشرعت أذكر عضواً عضواً ، ويدي على ذالك العضو .

وعن الأصمعي قال : نلت مانلت بِالْـمُلَح[١].

قلت : كتبَ شيئاً لا يُحْصَى عن العربِ ، وكان ذَا حِفْظٍ وذكاءٍ ولُطْفِ عبارةٍ ، فسادَ .

وروى ثعلبُ ، عن أحمد بن عمر النحوي قال[٢]: قدم الحسن بن سهل ، فجمع أهل الأدب ، وحضرتُ ، ووقع الحسن على خمسين رقعة ، وجرى ذكرُ الْـحُفَّاظ ، فذكرنا الزهريَّ وقتادة ، فقال الأصمعي : فأنا أُعيد ماوقع به الأمير على التوالي ، فأحضرت الرقاع ، فقال : صاحب الرقعة الأولى كذا وكذا ، واسمه كذا وكذا ، ووقع له بكذا وكذا ، والرُّقْعةُ الثانيةُ كذا ، والثالثةُ . . . حتى مرَّ على نَيِّفٍ وأربعين رُقعةً ، فقال نصرُ بنُ الـجَهْضميُّ : أيُّها المرءُ أبْقِ على نَفْسِكَ من العين .

وقال رُوي نَحْوُها من وجهٍ آخر ، وقال : حَسْبُكَ لا تُقْتَلْ بالعين ، وقال : ياغلامُ احملْ معه خمسين ألفاً .

قال عمرو بن مرزوق : رأيتُ الأصمعيَّ وسيبويهِ يتناظران ، فقال يونس : الحقُّ مع سيبويه ، وهذا يغلبه بلسانه .

وروى عن الأصمعي أن الرشيد أجازه مرة بمئة ألف[٣].

وتصانيفُ الأصمعي ونوادِرُه كثيرةٌ ، وأكثرُ تواليفه مُختصراتٌ ، وقد فُقِدَ

---

(٢) «تهذيب الكمال» لوحة ٨٦٢ ، وتتمته فيه : قال : وقال مصعب الزبيري : قال أبي الملح يابني لا يفهمها إلا عقلاء الرجال .

(٣) هو أحمد بن عمر بن بكير النحوي ، ذكره القفطي في «إنباه الرواة» ١ : ٩٠ وقال : نحوي مذكور متصدر للاقراء ، عاصر أبا عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، والأصمعي ، ونصر بن علي الجهضمي ، ووطيء بساط الأمراء والكبراء والوزراء ، وروى عنه أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب وطبقته .

(١) الخبر مطولاً في «تاريخ بغداد»: ٤١٣/١٠ .

أكثرها . قال خليفة وأبو العَيناء[1]: ماتَ الأصمعيُّ سنةَ خمس عشرة ومئتين .

وقال محمدُ بنُ الـمُثَنَّى والبخاريُّ : سنةَ ست عشرة[2].

ويقال : عاش ثمانياً وثمانين سنة ، رحمه الله . انتهى .

عبيد الله بن المظفّر الباهلي

عبيد الله بن المظفر بن عبدالله الباهلي ، أبو الـحَكَم ، عرف بالحكيم المغربي ، أديبٌ ، عالم بالطب والهندسة والحكمة . له ديوان شعر يغلب عليه المجون ، سماه « نهج الوضاعة لأُولى الخلاعة » وذكر فيه جملة من شعراء كانوا في دمشق كطالب الصُّوْرِيِّ ، ونصر الهيتي ، وعرقلة ، ورثى فيه أنواعاً من الدواب والأثاث ، وخلقا من المغنيين ، وهو أندلسي الأصل ، من أهل المرية ، ولد سنة ٤٨٦ ، واشتهر ببغداد ، وكان طَبِيبَ المارستان في معسكر السلطان السلجوقي ، حيث حلَّ وخَيَّم ، وتوفي في دمشق سنة ٥٤٩ - وسيأتي ذكره في الشعراء بأبسط مما هنا .

عثمان بن عبدالعزيز بن رُكْبَان الباهلي

هو من العلماء المعاصرين ، ترجمه صاحب كتاب «روضة الناظرين»[3]، فذكر أنه من أسرة آلِ ركبان القبيلة الباهلية المعروفة ، وأنه ولد في مدينة المجمعة ، قاعدة بلاد سُدَيْرٍ سنة ١٢٩٧ ، وأَنَّ من مشائخه الذين تلقى عنهم

---

(١) هو ابن خياط في «تاريخه» - ص ٤٧٥ -.

(٢) ونُقِل عن ابن أخيه عبدالرحمن أنه توفي في صفر من هذه السنة ، ورجح هذا القول محققاً «اشتقاق الأسماء» - ٩ - المقدمة .

(٣) ٢/ ٨٥ .

العلم الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى المؤرخ ، والشيخ علي بن عبدالله بن عيسى قاضي شقراء ، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري ، قاضي بلاد سُدَيْرٍ ، والشيخ عبدالله بن زاحم حينما كان مع شيخه العنقري ، وذكر أنه كان حسنَ الصوت بتلاوة القرآن ، من سمعه لا يودُّ أن يَسْكُتَ ، وأنه من دعاة الخير والصلاح ، وتولى إمامة جامع قرية تُمَيْرٍ من إقليم سدير ، ووصفه بالكرم والسخاءِ والسماحة وبالشجاعة ، وأنه غزا مع الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ مراراً ، وبعثه رئيسُ القضاة في الحجاز الشيخُ عبدالله بن حسن مع غيره من طلبة العلم للإرشاد والوعظ في ضواحي الحجاز ، ثم عين قاضياً في بلدة النماص ، بمنطقة عسير حتى توفي رحمه الله سنة ١٣٦١هـ .

وقد وهم صاحب «روضة الناظرين» فسمَّى أبا الشيخ محمداً وصوابه (عبدالعزيز) كما أرّخ سنة وفاته (١٣٦٥هـ) ولَعَلَّ الصواب (١٣٦١هـ) على ماذكر الدكتور عبدالله الركبان . إذْ هو أدرى بأحوال قريبه .

عَجْلان بن سُهَيل الباهلي

قال عنه ابن عساكر[1] : عجلان بن سهيل ـ ويقال ابن سَهْل ـ بن العجلان ابن سهيل بن كعب بن عامر بن عمير بن رياح بن عبدالله بن عبيدة بن فراس ابن باهلة الباهلي من أهل قِنَّسْرِيْنَ ، روى عن أبي أمامة ، وروى عنه سليمان ابن موسى ورجاء بن أبي سلمة .

وخرج مع قُرَّة بن شَرِيْكٍ أمير مصر من دمشق إلى مصر ، ثم أورد بسنده إلى العجلان بن سهيل عن أبي أمامة قال : نزلت الآية في أصحاب الخيل :

---

(١) «تاريخ دمشق» ١١/٤٥٦ .

﴿ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ في من لم يربطها لخيلاءَ ولا لِضِمَارٍ .

ونقل عن الإمام البخاري قوله : عجلان بن سهل الباهلي سمع أبا أمامة . وروى عنه سمعت أبا أمامة يقول : من ارتبط فرساً في سبيل الله لم يرتبطه رياءًا ولا سُمْعَةً كان من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار . انتهى . وعجلان هذا من الأوْفياءِ كما يدل على ذالك خبر أورده ابن جرير في تاريخه[1] قال : كان المنصور يسأل مالكَ بن أدهم كثيراً عن حديث عجلان بن سهيل أخي حوثرة ابن سهيل ، قال : كنا جلوساً مع عجلان إذ مَرَّ بنا هشام بن عبدالملك فقال رجل من القوم : قدم الأحول . قال : مَنْ تَعْنِـي ؟ قال : هشاماً . قال : تسمِّي أمِيرَ المؤمنين بالنبز ! والله لولا رحِمك لضربت عنقك . فقال المنصور : هذا والله ينفع مع مثله الْـمَحْيَا والممات .

عُقْبَةُ بن أبي الصهباء الباهلي

عقبة هذا ذكره صاحب « النجوم الزاهرة»[2] ممن توفي في سنة ٦٦ وَهُوَ لا يذكر إلَّا وفيات الأعيان ، وذكر أنه بصري ، ومع ذالك لم أر له ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال .

العلاءُ بن موسى بن عَطِيّة الباهلي

قال الخطيب البغداديُّ[3] : العلاء بن موسى بن عطية أبو الجهم الباهلي سمع الليثَ بن سعد وعبدالقدوس بن حبيب ، وصوار بن مصعب ، والهيثم

---

(١) ٨/٩٩ . (٢) ٢/٥٢ . (٣) «تاريخ بغداد»: ١٢/٢٤٠ .

ابن عدي ، روى عنه إسحاق بن إبراهيم وأحمد بن علي الأبار ، وعبدالله بن محمد البغوي ، وكان صدوقاً ، وساق بسنده بواسطته عن ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله أن رسول الله - ﷺ - قال لأعرابي جاءه فقال : إنِّي حَلَمْت أن رأسي قُطِع وأني أتبعه ، فزجره النبي - ﷺ - وقال : « لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام » وذكر أن العلاء توفي في أول سنة ثمان وعشرين ومئتين . وترجمه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» فقال[1]: الشيخ المحدث الثقة صاحب ذالك الجزء العالي ، وإنَّما ذكرته بشهرته كغيره من المعمرين ولم أستوعبهم ، وكان من أبناء الثمانين لما توفي سمعنا نسخته من نيف وستين نفساً . ثم ساق بسنده إليه حديثاً رواه مسلم . هذا ملخص ماذكره الذهبي .

علي بن أصمع الباهلي

قال ابن الوزير المغربي[2]: علي بن أصمع بن مُظَهِّرٍ بن رِيَاح ، كان خطيباً ، لما ورد كتاب عثمان على عبدالله بن عامر يخبر بمسير الناس إليه أمر علي بن أصمع أن يقرأ الكتاب على الناس ويحضهم على نصرة عثمان ، فذكره الفرزدق عرضاً فقال :

وَإلاَّ رُسُوم الدَّارِ قَفْـراً كَأَنَّها ... كِتَابٌ تَلاَهُ الْبَاهِلِـيُّ ابنُ أَصْمَعَا

وذكره آخرُ من العرب فقال :

فَإِنْ شِئْتَ حَكَّمْنَا الْـمُغِيْرَةَ بَيْنَنَا ... وَإِنْ شِئْتَ حَكَّمْنَا عليَّ بْنَ أَصْمَعَا

ومن ولده : الأصمعي الراوية عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع ، وشهرته تغني عن وصفه . انتهى .

---

(١) ١٠/٥٢٥ .

(٢) «الإيناس» - ص ٢١٦ - .

ويظهر أن علياً هذا كان في آخر ولاية مصعب بن الزبير للبصرة سنة إحدى وسبعين ، لم يكن حَظِياً عنده فقد قال مصعب فيه في كلام طويل نال به من جميع زعماء أهل البصرة قال ابن جرير في سياق ذالك الكلام : ثم أتي بعلي بن أصمع فقال : اعَبْدٌ لبني تَمِيمٍ مَرَّةً ؟ وعَزِيٌّ من باهلة[1]؟ انتهى . ومع ذالك فهو يدل على أنه من أَعْيَانِ أهل البصرة . وكلمات الْغَضَبِ لا يُبْنَى عليها حُكْمٌ .

علي بن مَسْعَدَة الباهلي

هو أبو حبيب البصريُّ ، ترجمه الحافظ المزيُّ في كتاب « تهذيب الكمال » وابنُ حجر في « تهذيب التهذيب » فذكرا أنه يكنى بأبي حبيب وأنه بصري روى عن قتادة ورباح بن عبيدة الباهلي ، وعاصم الجحدري وروى عنه ابنُ المبارك ويحيى القطان وابن مهدي ، وأبو داود الطيالسي ووثقه ، وكذا أبو حاتِم ، وله عند الترمذي وابن ماجة حديث « كُلُّ بَنِي آدم خَطَّاء . . » وقال الدوري عن ابن معين : ليس به بأس .

علي بن مسلم الباهلي

هذا ممن يروي عنه الأصمعي إن صَحَّ ماورد في كتاب « أخبار القضاة » ونصه : حدثنا زكريا بن يحيى بن خلاد المنقري قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا علي بن مسلم الباهلي قال : حدثنا قتادة : أنَّ بلال بن أبي بردة لما ولي البصرة بلغ ذالك خالد بن صفوان فقال : سحابةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ . فدعا بلالٌ بخالدٍ فقال : أنت القائل : سحابة صيف عن قليل تقشع ؟ أما

(١) «تاريخ ابن جرير»: ١٥٤/٦ .

والله لا تقشع حتى يُصِيبك منها شؤبوب بَرَدٍ ، فضربه مئة سوط[1].

ويظهر أن هذا هو علي بن مسلم بن سعيد الطوسي ترجمه ابن حجر في « تهذيب التهذيب »[2] وذكر أنه ممن روى عنه البخاريُّ وأبو داود والنسائي ، ونقل عن عبدالله بن أحمد عنه : ولد سنة ستين ومئة . وقال السراج : توفي سنة ثلاث وخمسين ومئتين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة على ماذكر الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد »[3] وترجمه الحافظ الْـمَزِّيُّ في كتاب « تهذيب الكمال » ولكن مترجميه لم يذكروا أنه باهلي .

عمرو بن علي الباهلي (الْفَلاّسُ)

أحد الأئمة المحدِّثين ، هو الحافظ الإمام الثبت أبو حفص عمرو بن علي بن بعر بن كنيز الباهلي البصري الصيرفي الفلاس[4]. أحد الأعلام . سمع يزيد ابن زريع وعبدالعزيز بن عبدالصمد وسفيان بن عيينة ومعتمر بن سفيان ، ثم كان أتقن وأَجْود وأحسن من حدث . قدمه النقاد في الضبط على ابن المديني حدث عنه الستة[5] ذكر هذا الذهبي ، وتوفي سنة ٢٤٩ بِسَامَرًّا .

عمرو بن مرزوق الباهلي

هو أبو عثمان مولى باهلة ، وقد ذكرته لكونه من كبار المحدثين ، فقد وصفه الذهبي[6] بأنه الشيخ الإمام مسند البصرة ، ولد سنة بضع وثلاثين ومئة ،

---

(١) ٢/ ٢٥ . (٢) ٧/ ١٦٢ . (٣) ١٢/ ١٠٨ .

(٤) «تذكرة الحفاظ»: ٢/ ٤٨٧ .

(٥) «تهذيب التهذيب»: ٨/ ٨٠ .

(٦) «سير أعلام النبلاء»: ١٠/ ٤١٧ ومابعدها .

وحدث عنه البخاري في « صحيحه » مقروناً بآخر وروى عن عِكْرمة بن عمار ، وشعبة بن حجاج وحماد بن زيد وغيرهم ، ونقل عن أبي زرعة ، سمعت سليمان بن حرب ذكر عَمْرَو بنَ مرزوق فقال : جاءَ بما ليس عندهم فحسدوه ، ونقل عن مسلم بن إبراهيم : كانت الكتب التي عند أبِـي داود الطيالسي لِعَمْرِو بن مرزوق ، وكان عمرو رجلاً غَزَّاءً ، يغزو في البحر فلما مات أبو داود حول عمرو كتبه . وأطال الذهبي النقل عن حالته ، ومما نقل عن يحيى بن معين : ثقة مأمون ، صاحب غَزْوٍ وقرآنٍ وفضلٍ ، كما نقل عن أحمد بن محمد ابن خالد : لم يكن بالبصرة مجلس أكبر من مجلس عَمْرِو بن مرزوق ، كان فيه عشرة آلاف نفس ، ونقل عن النسائي بسنده إلى بندار سمِعت عمرو بن مرزوق : أتزوجت ألف امرأة ، فقال أو زيادة عن أَلْفِ امرأة . وقال : مات بالبصرة سنة ٢٢٤هـ . وذكره ابن أبي حاتم في كتاب «الجرح والتعديل»[١] أن أبا زُرعة يقول : سمعت أحمد بن حنبل وقلت له : إن علي بن المديني تكلّم في عمرو بن مرزوق . فقال : عمرو بن مرزوق رجل صالح ، ما أدري ما يقول عليٌّ !!

عمرو بن ميمون الباهلي

قال البُلْبَيْسي في « الأنساب »[٢]: وفي باهلة أود بن معن وأم أود باهلة ، قال ابن الكلبي : منهم الحارث بن حبيب الذي عُمِّرَ فقال :

أَلَا هَلْ شَبَابٌ يُشْتَرَى بِرَغِيْبِ   يُدَلُّ عَلَيْهِ الْـحَارِثُ بْنُ حَبِيْبِ

ومنهم كذالك أبو عبدالله عمرو بن ميمون ، أسلم في عهد النبي ﷺ

(١) ٢٦٣/٦ .
(٢) مخطوط رسم (الأودي) .

وصدَّق إليه ، معدود في كبار التابعين ، كوفيٌّ ، صحب معاذاً وابنَ مسعود ، وهو الذي رأى الرجم من القِرَدةِ في الجاهلية ، وأنكره ابن عبدالبر ، وقال : إنْ صَحَّ هذا قلنا : كانوا من الجن ، فإنهم مكلفون بخلاف البهائم . وروى أنه حَجَّ ستِّيْنَ مابين حجة وعمرة ، ومات سنة سبع وخمسين . انتهى كلام البلبيسي ، وترجمه الحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » فذكر أنه أدرك الجاهلية ، ولم يَلْقَ النبي ﷺ ، وذكر من رَوَى عنهم من الصحابة ، ومن روى عنه ، ونقل عن ابنِ معين والعجليِّ وابن حِبَّان توثيقه ، وأن ابن عبد البر في « الاستيعاب » قال : أدرك النبي ﷺ وصَدَّقَ إليه ، وكان مسلماً في حياته ، وذكر ابنُ حجر خلافاً في سنة وفاته ، فنقل عن أبي نُعَيْمٍ وغيرِ واحدٍ : مات سنة أربع وسبعين ، ويقال سنة خمس وسبعين . فلعل ماورد في كتاب البلبيسي خطأ .

أبُو عَمْرو الباهلي : (قعنَبُ بن مُحْرِز)

أبُو عَوَانَة : (محمد بن حسن)

عيسى بن حاضر الباهلي

ذكر القاضي وكيعٌ في « أخبار القضاة »[1] خبرَ عزل القاضي خالد بن طُلَيْقٍ عن قضاء البصرة أنَّ محمد بن سليمان أميرها وَجَّهَ إليه عدداً من الرجال سماهم ، وفيهم عيسى بن حاضر الباهلي مما يدل على أن عيسى كان من وُجَهاء ذالك العصر ، وكان من المقربين لدى أمير البصرة .

---

(١) «أخبار القضاة»: ج ٢ ص ١٢٨ .

الفضل بن خالد الباهلي

الفضل بن خالد الباهلي ترجمه ياقوت في « معجم الأدباء »[1] فقال : أبو معاذ النحويُّ المرزي ، مولى باهلة ، روى عن عبدالله بن المبارك وعُبيد بن سليم ، وروى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده ، مات سنة إحدى عشرة ومئتين ، ذكر ذالك الحاكم بن الْـبَيِّع في « تاريخ نيسابور » . قال الأزهري : ولأبي معاذٍ كتاب في القرآن حسن . قلت : وقد روى عنه الأزهري في كتاب «التهذيب» فأكثر ، وذكره محمد بن حِبَّان في «تاريخ الثقات» في الطبقة الرابعة بمثل ذالك سواء ، ولعل الحاكم عنه نقل .

وترجمه السيوطي أيضاً في «بغية الوعاة»[2].

الفلاس : (عمرو بن علي)

قتيبة بن حمان الباهلي

قتيبة بن حِمَّان[3] يروي عن مؤرج بن عمرو السدوسي ، ويروي عنه أبو عمرو العنزي ، مما يدل على أنه من الأدباء .

قريب بن أصمع الباهلي

ذكره البخاري في «التاريخ الكبير»[4] قال : قُرَيْبُ والد الأصمعي . وهو إنما يترجم للرواة ، والظاهر أنه ثقة عنده لأنه لم يذكر فيه جَرْحاً ، وترجمه

---

(١) ٢١٤/١٦ . (٢) ٣٧٣ .

(٣) «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري : ٥٧٦ .

(٤) ٢٠٥/١/٤ .

الذهبي في «الميزان»[1] ونقل عن الأزديِّ أنه قال : منكر الحديث ، وأبو الفتح الأزديُّ يغلو في التضعيف فلا يحتج بقوله وحده ، كذا قال الشيخ أحمد محمد شاكر[2].

وقال الدارقطني[3]: قريب بن عبدالملك ، والد عبدالملك بن قريب الأصمعي ، يروي عن غالب بن أبي أمامة ، روى عنه عاصم بن عمرو الكلابي . انتهى .

وتقدم في ترجمة ابنه عبدالملك الأصمعي أن قريباً لَقَبٌ وأن اسمه عاصم .

قَزَعَةُ بنُ سُوَيْد الباهلي

هو قزعة ـ بفتحات ثلاث ـ بن سويد بن حُجَيْرٍ ـ بضم الحاء المهملة وفتح الجيم ـ بن بيَّان الباهلي ، أبو محمد البصري ، ترجمه الحافظ بن حجر[4] وذكر أنه روى عن أبيه وحُمَيْدٍ الأعرج ، ومُحمد بن المنكدر ، وغيرهم ، وروى عنه مُسَدَّدٌ ومُسلم بن إبراهيم ، وعبدالواحد بن غِيَاث ، وقتيبة بن سعيد وآخرون ، ونقل عن ابن معين أنه ثقة ، وعن آخرون بأنه ليس بذاك القوي ، وعن ابن عديٍّ ، أحاديثه مستقيمة وأرجو أنه لا بأس به .

وذكر أن ممن روى عنه الترمذيُّ وابن ماجة . وقال الذهبي[5]: شيخ عالم بصري صالح الحال ، توفي سنة بضع وسبعين ومئة .

---

(١) ٢/٣٤٧ .
(٢) في حاشية الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٠٥ .
(٣) «المؤتلف والمختلف» ـ ١٩٣١ ـ وانظر «لسان الميزان» ٤/٤٧٣ ـ و«تبصير المنتبه» ٣/١١٢٨ .
(٤) «تهذيب التهذيب» ٨/٣٧٦ .
(٥) «سير أعلام النبلاء» ٨/١٧٣ .

قعنب بن محرز الباهلي

هو أبو عمرو يظهر أنه من رواة الأخبار فقد نقل ابن جرير(١) عنه خبراً وشعراً لحفص بن أبي جمعة الشاعر .

كما نقل عنه أنَّ الأصمعي حدثه بخبر لحكم الوادي المغني ويروي عنه عمر ابن شبة ، ونقل عنه صاحب «تاريخ الموصل»(٢) خبراً وشعراً يتعلق بوفاة جعفر ابن أبي جعفر المنصور .

ونجد في كتاب «سير أعلام النبلاء»(٣) للذهبي تاريخ وفيات أعلام منقولة عن قعنبٍ هذا كوفاة سعد بن أبي وقاص سنة ثمان وخمسين ، ووفاة أبي موسى الأشعري سنة أربع وأربعين ، ووفاة عكرمة سنة سبع ومئة ، ووفاة إسرائيل سنة ستين ومئة ، وهذا يدل على أن له مؤلفاً في التاريخ .

ولا أستبعد أن يكون هو الباهلي الذي ورد في كتاب «أشعار النساء»(٤) يروي عنه الحكم بن موسى السلولي : أخبرني الباهلي العلامة : ثم خرم في النسخة به ينقطع الخبر .

كُرَيْز بن مَعْقِل الباهلي

كريز هذا من رجال الحديث ، ذكره الدارقطني في « المؤتلف والمختلف»(٥) وقال سمع من هشام بن عقبة ، وسمع منه عبدالصمد ذكره البخاريُّ في «التاريخ الكبير»(٦) وعَدَّهُ ابنُ حِبَّانَ في الثقات(٧) .

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك»: ٨/١٠٠ ، ١٨٤ .
(٢) ٢١٢ .
(٣) الأجزاء : ١/١٢٤ و٢/٣٩٧ و٥/٣٤ و٧/٣٦٠ .
(٤) ٢٥ .
(٥) ١٩٥٨ . (٦) ٤/١/٢٤٥ . (٧) ٧/٣٦٠ .

مالك بن أدهم الباهلي

قال ابن الكلبي في «جمهرة النسب»[1] أثناء كلامه على أدهم بن مُـحْرِزٍ - وسيأتي ذكره في الشعراء ، قال : وابنه مالك بن أدهم بن محرز ، كان في صحابة أبي جعفر وكان عالماً ، وقد بلغ مئة سنة .

وله ذكر في «تاريخ ابن جرير» سيأتي في ترجمته في الأمراء .

مُجيبَـةُ الباهليـة

ومجيبة هذه من رواة الحديث ، وهي تَرْوي عن أبيها أو عمها عن النبي ﷺ ، ويروي عنها معاوية بن قُرَّة بن كَهْمس .

وقد أورد الحافظ ابن حجر الاسم في باب النساء (من اسْمُهَا مجيبة) مجيبة الباهلية ويقال الباهلي ، وقيل : أبو مجيبة الباهلي . وذكر الاسم في حرف الميم باعتباره اسم رجل مجيبة الباهلي عن عمه . ثم أورد الاختلاف بين أبي مجيبة ومجيبة مما يدل على أنه لم يترجح له الصواب وقال : والرواية التي فيها عن مجيبة عجوز من عجائز المسلمين ، هي من رواية سعيد بن منصور[2]. إلى آخر ماذكر . وذكر خليفة بن خياط[3] أبو مجيبة أو عم مجيبة الذي روى الجريري عنه في الصوم .

مُحْـرِزُ بنُ قَعْنَب الباهلي

يَرْوِي عن رياح بن عبيدة وغيره ، روى عنه عبدالرحمن بن مهدي ، وعبدالصمد ابن عبدالوارث وبدل بن المحبر وأبو عمرو الحوضي[4].

(١) في الكلام على نسب باهلة .

(٢) «تهذيب التهذيب» ١٠/٤٩ .

(٣) «طبقات خليفة» ٢٨٩ ط دار الافتاء سنة ١٤٠٢هـ .

(٤) «المؤتلف والمختلف» ٢٠٦٢ - وانظر «التاريخ الكبير» ٢٢/٢١٤ - و«التبصير» ١٢٦٢/٤ .

محمد بن الحسن أبو عوانة الباهلي

ترجمه الخطيب[1] فذكر : محمد بن الحسن بن نافع أبو عوانة الباهلي البصري ، قدم بغداد وحدث بها ، وذكر مشائخه ، ومن روى عنه ، وأضاف أحاديثه مستقيمة ، وروى بطريقه إلى أبي سعيد حديث: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» .

محمد بن حفص الباهلي

محمد بن حفص هذا من مشائخ المدائني الذين يروي عنهم ، وهو يروي عن هلال بن أحوز على ما يفهم من خبر أورده البلاذري في «أنساب الأشراف»[2] .

محمد بن أبي زُرْعة الباهلي

عدَّهُ الزبيديُّ[1] من أهل الطبقة الثامنة من نحاة البصرة . وقال : هو أبو العلاء محمد بن أبي زرعة من أصحاب المازني ، وقُتِلَ ابنُ أبي زرعة يوم دخول الدَّاعي صاحب الزنْج البصرة ، وذالك في سنة سبع وخمسين ومئتين . وقال السيوطي في «بغية الوعاة»: محمد بن زرعة الباهلي النحوي ، أبو يعلى ، أحد أصحاب المازني ، صنف نكتاً على سيبويه . . . كان أبو زرعة أَحْذَقَ من الْـمُبَرِّد ، وإنما قلَّ الأَخْذَ عنه لأنه عُوجل . انتهى .

---

(١) «تاريخ بغداد»: ٢/١٨٤ .

(٢) القسم الرابع الجزء الأول ص ٤١٦ ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس .

(١) «طبقات النحويين واللغويين» ـ ١٢٠ ـ .

(٢) مخطوطة مكتبة الحرم المكي .

محمد بن سعيد الباهلي

من مشايخ خليفة بن خياط من باهلة ممن صرح بالسماع منه ، وخليفة توفي سنة ٢٤٠ تقريباً[١].

محمد بن سنان الباهلي

قال الحافظ الذهبي[٢]: الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن سنان الباهلي البصري العوقي ، والعوقة بطن من الأزد ، نزل فيهم ، ثم ذكر أن البخاريَّ وأبا داود والترمذيَّ وابنَ ماجة ممن روى عنه ، وأنَّ يحيى بن معين وأبا حاتمٍ وثَّقَاه ، وأنه مات في عشر التسعين سنة ٢٢٣هـ .

محمد بن عبداللطيف الباهلي

هو محمد بن عبداللطيف بن محمد بن علي بن معيوف الباهلي ، كان إمام جامع مدينة شَقْراء ، وكان معروفاً بالزهد والورع ، توفي سنة اثنين وثمانين ومئتين وألف ، في مدينة شقراء على ماذكر ابن بسام[٣].

محمد بن عمر الباهلي

هو محمد بن عمر بن سعيد أبو عمر الباهلي ، وصفه الأستاذ الزركلي[٤] بأنه كان رقيقَ العبارة ، مُقَدَّماً في علم الكلام ، والعلم بأيام الناس والأخبار

---

(١) «تاريخ خليفة»: ٢٧٩/١٥٨ .
(٢) «سير أعلام النبلاء» ٢٨٥/١٠ .
(٣) «علماء نجد خلال ستة قرون» ١٣١/١ .
(٤) «الأعلام» .

والأشعار ، وذكر من كتبه «إعجاز القرآن» و «التوحيد» و «الأصول في التوحيد» وأنه كان يحفظ شعرَ بِشْرِ بن الـمُعْتَمِرِ كله ، ويستعين به في قصصه ، وعَدَّهُ من كبار المعتزلة ووعاظهم ، ومن مصادر ترجمته كتاب « فضل الاعتزال» وذكر أن وفاته كانت سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) .

محمد بن عمر الباهلي

ترجمه الخطيب البغدادي(١) فقال : محمد بن عمر بن العباس أبو بكر الباهلي البصري ، قدم بغداد ، وذكر من شيوخه سفيانَ بن عيينة ، وقال : إنه توفي سنة تسع وأربعين ومئتين بالبصرة .

محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي

قال الخطيب البغدادي(٢) : أبو عبدالله الباهلي البصري قدم بغداد ، وحدث بها ، وذكر ممن روى عنه محمد بن جرير الطبريَّ ، قال : وكان ثقة ، وروى بواسطته أحاديث .

محمد بن محمد بن النفاخ الباهلي

سماه الخطيب(٣) محمد بن محمد بن عبدالله بن النفاخ بن بدر أبو الحسن الباهلي ساميُّ الأصل ، وسافر إلى الشام فكتب عن شيوخها ، ودخل مصر واستوطنها ، وحدث بها فحديثه عند أهلها ، وأنه كان فيها في نحو خمسين

---

(١) «تاريخ بغداد»: ٣/١٢٧ .
(٢) «تاريخ بغداد»: ٣/١٩٩ .
(٣) «تاريخ بغداد»: ٣/٢١٤ .

ومئتين قال : وكان صاحب حديث ثقة ثبتا متقللا ، وأنه من أهل الصيانة ، وتوفي بمصر يوم الثلاثاء لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثلاث مئة .

وترجمه ابن عساكر[1] فقال : محمد بن محمد بن عبدالله بن النفاخ بن بدر ، ويقال محمد بن محمد بن بدر بن سليمان بن النفاخ أبو الحسن ، ويقال أبو العباس الباهلي من أهل سَامَرَّاء ، ويعرف بالبغدادي سمع بدمشق محمود بن خالد ، وبالعراق إسحاق بن أبي إسرائيل وذكر غيرهم كما ذكر من روى عنهم . وساق بسنده من طريقة حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن بدر بن النفاخ الباهلي حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبيدالله بن موسى ، حدثنا شيبان عن الأعمش عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى عليه مئة من المسلمين غفر له » . ثم نقل عن الخطيب طرفاً مما تقدم في ترجمته .

محمد بن محمد بن يحيى الباهلي

قال صاحب «دُرَّة الحجال»[2] : الشيخ الإمام العالم المحقق المدرس المفتي الصالح الشهير قاضي الجماعة بجيان أبو عبدالله . لقى أبا الحسن الصغير المغربي الذي ينسب إليه شرح «المدونة» وتحدث معه في الفقه ورد عليه كلمة ملحونةً ، فلما فارقه أبو الحسن قال لأصحابه : بِـمَ يُدْرَكُ هذا ؟ فقالوا : بمعرفة كتاب « الفصيح » لثعلب ، قالوا : فحفظه في ليلة واحدة . أخذ عن أبي علي ناصر الدين المشدالي . له إملاء عجيب عن بعض «مختصر ابن

(١) «تاريخ دمشق» : ١٥/٩٠٥ .
(٢) «درة الحجال في أسماء الرجال» لابن القاضي - ج ٢ ص ١٨٧ .

الحاجب» في الفقه ، وله قصيدة سماها : « نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر» مطلعها :

تَبَدَّتْ فَغَابَتْ وَاخْتَفَتْ فَتَجَلَّتِ فَشَاهَدتُّهَا حالِي حُضُورِي وغَيْبَتِي

وله شرح على أسماء الله الحسنى ، وله كلام عجيب في التصوف ، وله تقاييد في أنواع فنون العلم ، وله شعر فائق . وكان فصيحاً كثير التواضع ، حسن المقالات ، وهو في الجملة من أهل الفخر غاية ، توفي سنة ٧٤٤ .

وقد ذكره صاحب «نفح الطيب» ولكنه قال عنه : يعرف بابن المسفر . أما صاحب «درة الحجال» فقد نعته بـ (المفسر) .

ومما ذكر صاحب «نفح الطيب»[١]: أَنَّ ابن المسفر هذا قدم رسولاً عن صاحب بجاية ، فزاره الطلبة ، فحدثهم باستشكالٍ وقع في سورة الفاتحة من كتاب « التفسير » لفخر الدين الرازي وأورد ذالك الاستشكال.

وذكر في موضع آخر ، قال[٢]: ولما دخلت تلمسان على بني الْوَادِ ، تهيأ لي السفر منها ، فرحلت إلى بجاية ، فلقيت بها أعلاماً درجوا فأمست بعدهم خلاءً بلقعاً ، فمنهم الفقيه أبو عبدالله محمد بن يحيى الباهلي ، عرف بابن المسفر ، باحثته واستفدت منه ، وسألني عن اسم كتاب الجوهري ، فقلت له : من الناس من يقول « الصِّحاح » بالكسر ومنهم من يفتح ، فقال : إنما هو بالفتح بمعنى الصحيح ، كما ذكره في باب صح ، قلت : ويحتمل أن يكون مصدر صح كَحَنَان .

---

(١) ٢٤٤/٧ .
(٢) «نفح الطيب» ٢٤٧/٧ .

وكتب إلى بعضِ أصحابه بجواب رسالة صَدَّرَهُ بهذين البيتين :

وَصَلَتْ صَحِيْفَتُكُمْ فَهَزَّتْ مِعْطَفِـي   فَكَـأَنَّمَا أَهْـدَتْ كُؤُوْسَ الْقَرْقَفِ
وَكَـأَنَّهَا لَيْـلُ ٱلْأَمَـانِ لِـخَـائِفٍ   أَوْ وَصْلُ مَـحْبُوْبٍ لِصَبٍّ مُذْنِفِ

ولما ذكر بَجَايَةَ وعدَّ علماءها قال[1]: والشيخ الفقيه أبو عبدالله الخطيب المسفر .

مخلد بن يحيى بن حاضر

هو مخلد بن يحيى بن حاضر بن المهاجر الباهلي ، من الرواة ، يروى عنه عمر بن شبة بالإشتراك مع المدائني[2]، ويروى عنه ابن جرير[3].

أبو مروان الباهلي

من مشايخ[4] خليفة بن خياط من باهلة ، ممن صرح بالسماع عنه ـ وخليفة توفي سنة ٢٤٠ تقريباً ـ .

معقل بن مالك الباهلي

ترجمه ابن حجر في «تهذيب التهذيب»[5] فقال : أبو شَرِيك البصري ، روى عن عقبة بن عبدالله الأصم ، وأبي عوانة ، وذكر غيرهم ، روى عنه البخاري في جزء (القراءة خلف الإمام) وروى الترمذي عن البخاري عنه ، وذكره ابن حبان في «الثقات» .

---

(١) ٧/٣٨٨ .
(٢) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/١٦٠ .
(٣) المصدر السابق ٧/٥٩٤ .
(٤) «تاريخ خليفة»: ٣٠٧/٤٢٢ .
(٥) ١٠/٢٣٤ .

منصور بن مصبح الباهلي

عده ابن بشر[1] في سوابق تاريخه في الكلام على سنة ٩٤٨ ، في ترجمة ابن ذهلان من القضاة في عهد أجود بن زامل الجبري ، وقضاة ذالك العهد مغمورون غير معروفين .

منصور بن يحيى الباهلي

من علماء القرن العاشر ، هو أحد القضاة الذين ذكرهم ابن بشر في سوابق سنة ٩٤٨ من تاريخه وقال[2]: انه ممن أيَّدَ الشيخ عبدالله بن ذهلان في إحدى فتاويه التي عارضه فيها أحد قضاة عهده .

نصر بن عثمان بن سعيد بن سمعان الباهلي

قال السمعاني في «الأنساب»[3]: وأبو علي نصر بن عثمان بن سعيد بن سمعان بن مسعود بن سعد بن عمر بن حجاج بن قتيبة بن مسلم الباهلي السمرقندي المعروف بالسمعاني كان فاضلاً ثقة من أصحاب الرأي ، حسن العشرة ، محباً لأهل الفضل ، مائلاً إليهم ، يروي عن أبي منصور محمد بن نعيم بن ناعم الفرائضي السمرقندي ، ومحمد بن هارون بن عيسى وغيرهما ، مات بسمرقند لعشر بقين من ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة ، وعده البلبيسي من فقهاء الحنفية[4] .

---

(١) «عنوان المجد»: سوابق سنة ٩٤٨ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) رسم (السمعاني) .
(٤) كتاب «الأنساب» رسم (السمعاني) مخطوط .

الوليد بن عبد الخالق الباهلي

هو الوليد بن عبدالخالق بن عبدالجبار بن قيس بن عبدالله بن عبدالرحمن بن قتيبة بن مسلم ، من قضاة مدينة جيان ، على ماذكر الإمام ابن حزم في كتاب «جمهرة أنساب العرب»[1] .

هشام بن عبد الملك الباهلي

هو أبو الوليد الطيالسي مولى باهلة ، وصفه الذهبي[2] بأنه الإمام الحافظ الناقد ، شيخ الإسلام ، أبو الوليد الباهلي مولاهم ، البصريّ الطيالِسِـيُّ ، ولد سنة ثلاث وثلاثين ومئة وروى عنه الجماعة ، وحدث عن عكرمة بن عمار ، وشعبة ومالك والليث ، وخلقٍ كثير ، وروى عنه البخاري وأبو داود وإسحاق بن رَاهَوَيْه وغيرهم ، ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل : أبو الوليد متقن ، أبو الوليد اليوم شيخ الإسلام ، ما أُقَدِّمُ عليه اليوم أحداً من المحدثين . وأطال الذهبي في الثناء عليه ونقل عن البخاري وغيره أنه مات في ربيع الآخر سنة ٢٢٧ .

هلال بن العلاء الباهلي

ترجمه ابن حجر في «تهذيب التهذيب»[3] فقال : هلال بن العلاء بن هلال ابن عمرو بن هلال بن أبي عطية الباهلي مولاهم ، أبو عمرو الرقِّي روى عن أبيه ، وحجاج بن محمد . وآخرين سماهم ، وروى عنه النسائي وإبراهيم الحربي ، وأبو حاتم وأبو علي محمد بن سعيد بن عبدالرحمن مؤرخ الرقة

---

(١) ٢٤٦ تحقيق عبدالسلام هارون .
(٢) «سير أعلام النبلاء»: ٣٤١/١٠ ومابعدها .
(٣) ٨٣/١١ .

وآخرون سماهم . قال أبو حاتم : صدوق ، وذكره ابن حِبَّان في الثقات وقال : مات بالرقة سنة ثمانين ومئتين في ذي الحجة ، وولد في رجب سنة أربع وثمانين ومئة . ووصفه الذهبي[1] بالحافظ الإمام الصدوق ، عالم الرقة ، أبي عمرو الباهلي ، مولى قتيبة بن مسلم ، وذكر أنه توفي سنة ٢٨٠ وهو من أبناء التسعين ، وأورد له شعراً يأتي في ذكر الشعراء .

هلال بن النجم الباهلي

قال الخطيب[2]: هلال بن النجم بن هلال بن عصام أبو النجم الباهلي ، حدث عن أبي قِلَابَةَ الرَّقَاشِيِّ ، وروى عنه الدارقطني ، وساق الخطيب بسنده بواسطته إلى أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « الحرب خدعة » .

يحيى بن المتوكل الباهلي

يحيى بن المتوكل أبو بكر الباهلي البصري ، قال الخطيب البغداديُّ[3]: قَدِمَ بغداد وحدث بها ، وذكر مشائخه ، ونقل عن يحيى بن معين أنه سُئِلَ عنه فقال : كان قدم بغداد فحدثهم عن هشام بن حسان وغيره ، ثم خرج إلى المِصِّيْصَةِ فمات بها قال : ولا أعرفه .

يزيد الباهلي

من مشائخ ابن شَبَّة ، فقد أورد ابن جرير في «تاريخه» في ذكر عزل عبدالله ابن زياد عن ولاية البصرة سنة ٤٤ ما نصه : فحدثني عمر بن شبة قال : أخبرنا يزيد الباهلي قال : شكا ابنُ عامر إلى زياد فسادَ الناس وظهورَ الخبث ، فقال : جرد فيهم السيفَ . فقال : إني أكره أن أُصْلِحَهُمْ بفساد نفسي[4] .

(١) «سير أعلام النبلاء»: ١٣/٣٠٩ .
(٢) «تاريخ بغداد»: ١٤/٧٥ .
(٣) «تاريخ بغداد» - ١٤/١٤٨ -.
(٤) ٥/٢١٢ .

٢ ـ الأمراء والقادة والولاة والشجعان

إبراهيم بن زيد الباهلي

ذكر ابن بشر في حوادث سنة ١١٦٣ أن إبراهيم هذا وجماعة معه ممن قتلوا عثمان بن معمر بعد الفراغ من الصلاة يوم الجمعة في مسجد بلدة العُيَيْنَة[١]. ولا أُعَلِّقُ على هذا بأكثر من أنه يستدل به على أن إبراهيم كان ذا مكانة مرموقة في ذالك العهد ، وإلاَّ لما جَرُؤَ على قتل الأمير ابن مُعَمَّرٍ الذي كان ذا نفوذ واسع ، وكلمة مسموعة في زمنه ، والله يتغمد الجميع بواسع رحمته .

ابراهيم بن سَلْم بن قُتيبة الباهلي

ذكر ابن جرير وابن حَزْم أن ابراهيم وَلِـيَ اليمنَ للهادي[٢]، وقد ورد اسمه في كتاب « بغية المستفيد في أخبار مدينة زَبِيد»: ابراهيم بن سليمان بن عقبة بن مسلم ، ولاشك أن (سليمان) و(عقبة) تصحيف (سلم) و(قتيبة)، وذكر ابن الدَّيْبَعِ ـ مؤلف الكتاب ـ أنه تولى اليمن في عهد موسى الهادي سنة ١٦٩ ـ أربعة أشهر .

وذكر ابن جرير والأزدي[٣] أنَّ إبراهيم بن سَلْـمٍ مات له ابنٌ ، فأتاه موسى الهادي يُعَزِّيْهِ ، على حمار أشهب ، لا يمنع مُقْبِلاً ، ولا يُرَدُّ عنه مُسَلِّـمٌ ، حتى نزل في رُواقه فقال له : سَرَّكَ يا إبراهيم وهو عَدُوٌّ وفتنة ، وأحزنك وهو صلاة

---

(١) «عنوان المجد»: ١/٦٠ ط دارة الملك عبدالعزيز .

(٢) «تاريخ الأمم والملوك» ٨/٢٠٤ و«جمهرة أنساب العرب» ٢٤٦ تحقيق عبدالسلام هارون .

(٣) «تاريخ الأمم والملوك» ٨/٢١٩ و«تاريخ الموصل»: ٢٧٠ .

ورحمة ؟! فقال : يا أمير المؤمنين ما بقي مني جزء كان فيه حُزْنٌ إلا وقد امتلأ عِزًّا ، وركب ، وقد عدّه ابن جرير في حوادث سنة ١٧٠ من جلساء موسى الهادي ، وقال : كانت المرتبةُ لإبراهيم بن سلم بن قتيبة عند الهادي ، فلما مات صارت المرتبة لسعيد بن سلم بعده[(١)].

أحدب بن عمرو الباهلي

قال صاحب كتاب «عمود النسب»[(٢)] وهو يذكر مشاهِيْرَ باهلة :

قُتَيْبَــةُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَحْــدَبُهَــا الـمُشْتَـوي عَفَـاقَ فِيْــهِ سَبُّهَـا

وقال شارح الكتاب : أَحْدَبُ باهلة : يعني أَحْدَبَ بن عَمْرٍو بن عَمَّارة بن عَبْد الْعُزَّى ، جده عَمَّارةُ هو الذي قتل عبدَ الدار بن قُصَيٍّ ، لكنه أكل رجلاً من بني عامر بن صعصعة ، فَسُبَّتْ به باهلةُ ، أكله من أجل الجوع . انتهى ، وأَكْلُ الأَحْدَبِ بن عمرو بن جابر الباهلي عفَاقَ بْنَ مُرَيٍّ بن سلمة بن قُشير ذكره ابن الكلبي في « جمهرة النسب»[(٣)] وفيه قال الشاعر :

إِنَّ عَفَاقاً أَكَلَتْهُ بَاهِلَهْ
تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وَكَاهِلَهْ
وَتَرَكُوا أُمَّ عَفَاقٍ ثَاكِلَهْ

وأضاف ابن الكلبي : وناسٌ من بني فَرَيْر من طيِّءٍ جاورتهم امرأةٌ من بني تميم فأصابتهم سنةٌ فأكلوها ، وقوم من هُذَيل أكلوا جاراً لهم ، وأكل بنو عُذْرَة أَمَةً لهم . انتهى ، إِذَنْ ليس فعلُ الأَحْدَب من الأمور التي ابتدعها بل هو فِعْلُ

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٨/٢١٩ .
(٢) «تحفة الألباب شرح الأنساب» ٢٨٩ .
(٣) ٤٥٩ ـ تحقيق د. ناجي حسن .

أَلْجأَتْ إليه الضرورة ، ومن الجنف والجور أن تُنْسَب سُبَّةُ فِعْلِ امْرِئٍ إلى قبيلته والله تعالى يقول : ﴿ ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

أما القول بأَنَّ عَمَّارةَ بن عبدالعزى جَدَّ الأَحْدَبِ قتل عبد الدار بن قصي فالذي في «جمهرة النسب» هو عَمَّارة بن عبدالعزى بن عامر بن عمرو بن ثعلبة ابن غنم بن قتيبة الذي قتل عبد الدار رجلاً من باهلة ، كذا في كتاب «الجمهرة» ولكن في كتاب «جمهرة أنساب العرب»[1] لابن حزم : عبدالدار بن قُصَيٍ ، ونَسَبُ الأَحْدَب على مافي «جمهرة النسب» : الأَحْدَبُ بن عمرو بن جابر ابن عَمَّارة ، وقد أوردت ترجمة هذا الرجل في مشاهير هذه القبيلة الكريمة لأُوَضِّحَ أَنَّ فعله ليس سُبَّةً لها كما توهمه صاحب كتاب «عمود النسب» فالضَّرورات تُلْجِـيُ إلى ارتكاب المحذورات ، كما تقدم . وأرى صواب مافي «جمهرة النسب» : قتل عبد الدار بِرَجُلٍ من باهلة .

أحمد بن سعيد بن سَلْم

هو أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة ـ وستأتي بقية نسبه في ترجمة جدة قتيبة .

قال أبو العباس[2] : صار أبو مُـحَـلِّـمٍ يوماً إلى أحمد بن سعيد بن سلم ، وقد ولي أحمدُ اليمامةَ والبحرين ، وطريقَ مكة ، ومعه أعرابي ، فاستأذن فقيل له : هو نائم ، فَعُدْ إلينا ، وكنت مع جماعة بالقرب من بابه ، فقال لي : يا أبا العباس يحجبني صديقُك ؟! قلت : لا والله ما خرجت حتى نام ، فقال : لا والله لكنه كما قال الشاعر :

---

(١) ٢٥٤ .

(٢) أبو العباس لعله ثعلب ، فقد ورد عنه : صحب أحمد بن سعيد بن سلم وكان ظريفاً يشبه (؟) الناس في سنة ٢٢٣ وفارقته في سنة ٢٢٥ «طبقات النحويين» ١٦٣ .

شَـاهَ الوجُـوهُ لبغثان عـلى أمر شيب المفارق وأعلى نشئها بال ِ؟
لَا يصبرون عَلَى خَطْبٍ أَلَّـمَ بِهِـمْ ولا يُفَـارِقُهُـمْ إلَّا أَخُ قَـال ِ

قال : ثم أقبل عليَّ الأعرابي فقال : وكذا الكذاب ـ يعني الأصمعي ـ يقول : الديلم الأعداء ، لا والله ما الديلم إلا ماء ، وقد وردته غير مرة . وهذا الحرف في شعر عنترة :

[شَرِبَتْ بِمَاء الدُّحْرُضين] فأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَـم ِ

قال الأصمعي : هم الأعداء ، وهو اسم ماء ، فغلط الأصمعي[1] .

وقد ذكر ابن جرير[2] : أن الواثق عقد لأحمد بن سعيد بن سلم على الثغور والعواصم ، وأمره بحضور الفداء ، وأشار إلى أنه عمل ذالك ، وكان ذالك سنة إحدى وثلاثين ومئتين[3] . كما ذكر أَنَّ أحمد بن سعيد في هذه السنة غزا في بلاد الروم ، فأصاب الناسَ الثلجُ والمطر ، فمات منهم قدر مئتي إنسان ، وغرق منهم في (البدندون) قوم كثير ، وأُسِر منهم نحو من مئتين ، فوجد أمير المؤمنين الواثقُ عليه لذالك ، وحصل جميع من مات وغرق خمس مئة إنسان ، وكان أقبل إلى أحمد بن سعيد ـ وهو في سبعة آلاف ـ بِطْرِيْقٌ من عظائهم فجبُنَ عنه ، فقال له وجوه الناس : إن عسكرا فيه سبعة آلاف لا يُتَخَوَّفُ عليه ، فإن كنت لا تواجه القومَ فتطرق بلادهم . فأخذ نحواً من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة ، وخرج فعزله الواثق ، وعقد لنصر بن حمزة الخزاعي يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة . انتهى .

---

(١) «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي ١٩٠ .

(٢) «تاريخ ابن جرير» ١٤١/٩ .

(٣) ولأحمد بن سعيد هذا ابن اسمه محمد ، نقل عنه ابن جرير أن كتاب أبيه أتاه : ان من فُودي به من المسلمين ومن كان معهم من أهل ذمتهم أربعة آلاف وست مئة إنسان . «تاريخ ابن جرير» ١٤٣/٩ .

الأَخْطل بن عَمْرو بن قُرط الباهلي

وهو خَالُ الأَحْنف بن قيس ، وأُمُّ الأحنف هي حَبَّى بنتُ عمرو بن ثعلبة ، من بني أَوْدٍ ، من باهلة ، ويقال : حُبَّى بنت قرط ، وأخوها الأخطل بن قرط من الشُّجعان ، وقال الأحنف يوم الـجُفْرَةِ : ومَنْ له خال مثل خالي[1]؟! ، وفي «الطبقات»[2] لابن سعد أنَّ أُمَّ الأحنف من بني فَرَّاصٍ ، من باهلة ، وكانت ترقصه فتقول :

وَالله لَـوْلَا حَنَـفٌ في رِجْـلِهِ ... مَـاكَانَ في الْـحَيِّ غُـلَامٌ مِثْلُه

وقال أبو بحر (احنف بن قيس)[3]:

أَنَـا ابْنُ الْبَـاهِلِيَّـةِ أَرْضَعَتْنِي ... بِثَـدْيٍ لَا أَجَـدَّ وَلَا وَخِيْمِ

أَتَمَّتْنِي فَـلَمْ تَنْـقُصْ عِـظَامِـي ... وَلَا صَوْتِـي إِذَا اصْطَكَّتْ خُصُوْمِـي

أَغُضُّ عَلَى الْقَذَى أَجْفَانَ عَيْنِـي ... إِذَا طَاشَ السَّفِيْهُ إِلَى الْـحَلِيْـمِ

أدهم بن مُحْـرِزِ الباهلي

ساق البلاذري وابن حزم نسبه[4]: أدهم بن مُـحْرِزِ بن أَسيد بن أَخْشَن بن رِيَاح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل - وبقية النسب معروف - وذكر أنه من قواد الحجاج ، وكان أَثيراً عنده وأقطعه دار عبيد الله بن عبدالرحمن بن زياد لخروجه مع ابن الأشعث ، وهو ممن أَمَدَّ به عبدُ الله بن زياد حُصَيْنَ بنَ نمير لمحاربة التَّوابين ، ودخل على الحجاج وهو أَشيب ، فأمره بالـخِضَاب ، فاختضب وقال :

(١) «المعارف» لابن قتيبة ٤٢٣ . (٢) ٩٣/٧ .
(٣) مخطوطة «زاد الرفاق» الورقة ١٠١/ب ـ دار الكتب المصرية .
(٤) «أنساب الأشراف» و«جمهرة أنساب العرب»: ٢٤٦ .

لَـمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ شَانَ أَهْلَهُ   تَفَتَّيْتُ وَابْتَعْتُ الشَّبَابَ بِدِرْهَـمِ

وأنَّ مُـحْرِزاً أَحَدُ المهاجرين إلى الشام في أول فَتْحها ، حِمْصِـيُّ الدار .

وروى ابن جرير في «تاريخه»(١) عن أبي مِـخْنَفٍ عن فروة بن لقيط قال : سمعت أدهم بن محرز الباهلي في إمارة الحجاج وهو يحدث ناساً من أهل الشام ، قال : دُفِعْتُ إلى أَحَدِ أُمراءِ العراق ، رجل منهم يقولون له عبدالله بن وال ، وهو يقول : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِـي سَبِيْلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِـمْ يُرْزَقُونَ ﴾(٢) الآيات الثلاث ، قال : فغاظني ، فقلت في نفسي : هاؤلاء يعدُّوْنَنَا بمنزلة أهل الشرك ، يرون أَنَّ من قتلنا منهم كان شهيداً ، فحملتُ عليه أضربُ يده اليسرى فأَطْنَنْتُهَا ، وتنحَّيْتُ قريباً فقلت له : أما إنني أراكَ وَدِدْتَّ أنك في أهلك . فقال : بِئْسَمَا رأيْتَ ، أَمَا وَالله ما أُحِبُّ أَنَّها يَدُكَ الآن ، إلا أن يكون لي فيها الأجر مثل مافي يدي . قال : فقلت له : لِمَ ؟ قال : لكيما يجعل الله عليك وِزْرَهَا ويُعْظِـمُ لي أُجْرَهَا . قال : فغاظني فجمعت خيلي ورجالي ثم حملنا عليه وعلى أصحابه ، فدفعت إليه فطعنته فقتلته ، وإنَّه لَـمُقْبِلٌ إليَّ مايزول ، فزعموا بعد أنه من فقهاء أهل العراق الذين يكثرون الصوم والصلاة ، ويفتون الناس .

وعبدالله بن وَالٍ الذي جرى بينه وبين أدهم ما تقدم ذكره ـ كان من قُوَّادِ جَيْش سليمان بن صُرَدٍ وقتل سنة خمس وستين ، وذكر ابنُ جرير أَنَّ أدهم بن محرز الباهلي هو الذي أتى عبدالملك بن مروان ببشارة الفتح ـ أي بخبر هَزِيْمَةِ ابن صُرَدٍ والثائرين معه ـ قال : فصعد عبدالملك المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بَعْدُ فإن الله قد أهلك من رؤوس أَهل العراق مُلْقِـحَ

---

(١) ٦٠٢/٥ . (٢) الآية الـ(١٦٩) من (سورة آل عمران) .

فِتْنَةٍ ، ورَأْسَ ضلالة سليمان بن صرد ، أَلَا وإنَّ السيوفَ تركتْ رأْسَ المسيب ابن نُجْبَةَ خَذَارِيْفَ ، ألا وقد قتل الله من رؤوسهم رأْسَيْنِ عظيمين ضالَّيْنِ مُضِلَّيْنِ عبدالله بن سعد أَخَا الأزد ، وعبدالله بن وال ، أخا بكر بن وائل ، فلم يبقَ بعد هاؤلاء أحدٌ عنده دفاع ولا امتناع[1]. انتهى .

وأدهم بن محرز هو الذي تولى قَتْلَ كُمَيْلِ بنِ زياد ـ أحد الخارجين على عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥ ـ فقد أتى الحجاج ، فقال له : أَنْتَ الذي أَرَدتَّ ثم لم يكشفك أمير المؤمنين ، ولم ترض ، حتَّى أَقْعَدتَّهُ للقصَاصِ إذْ دفعك عن نفسه ؟ فقال : علي أي ذالك تقتلني ، تقتلني على عفوه أو على عافيتي ؟ قال : يا أدهم بن المحرز ، اقتله ، قال : والأَجر بيني وبينك ؟ قال : نعم . قال أدهم : بل الأجر لك ، وماكان من إثْـمٍ فعليَّ[2].

وروى ابن جرير في «تاريخه»[3] في حوادث سنة ٣٧ ـ عن أبي مِخْنَفٍ بسنده عن مسلم بن عبدالله الضِّبَابِيِّ قال : شهدتُ صِفِّينَ مع الحي (؟) ومعنا شِمْرُ ابْنُ ذِي الْـجَوْشَنِ الضِّبَابي ، فبارزه أدهم بن محرز الباهلي ، فضرب أدهمُ وَجْهَ شِمْرٍ بالسيف ، وضربه شِمْرُ ضَرْبَةً لم تَضُرُّهُ فرجع شِمْرُ إلى رحله فشرب شربة ـ وكان قد ظمِـئَ ـ ثم أخذ الرمح وأقبل وهو يقول :

إنِّـي زَعِـيـمٌ لأَخِـي بَـاهِـلَهْ   بِـطَعْنَةٍ إنْ لَـمْ أُصَبْ عـاجِلَهْ
أَوْ ضَـرْبَةٍ تَحْتَ الْقَنَـا وَالْوَغَـا   شَبِيْهَــةٍ بِـالْقَـتْـلِ أَوْ قَـاتِلَهْ

ثم حمل على أدهم فصرعه ، ثم قال : هذه بتلك ، والخبر في كتاب

---

(١) «تاريخ ابن جرير» ٥/٦٠٥ .
(٢) «المصدر» ٤/٤٠٤ حوادث سنة ٣٥ .
(٣) ٥/٢٨ .

« صِفِّينَ » لنصر بن مُزَاحم[1] أوفى من هذا حيث ذكر بسنده إلى يونس بن أبي إسحاق قال : قال لنا أدهم بن محرز الباهلي ونحن معه بِأَذْرُحَ : هلْ رأى أحدٌ منكم شِمْرَ بْنَ ذِي الْـجَوْشَن ؟ فقال عبدالله بن كبارة النَّهْدي وسعيد بن خازم السلولي : نحن رأيناه . قال : فهل رأيتما ضربةً بوجهه ؟ قالا : نعم . قال : أنا والله ضربته تلك الضربة بِصِفِّيْنَ . وساق نصر بسنده قال : خرج أدهم بن محرز من أصحاب معاوية بصفين إلى شِمْرِ بن ذِي الجيوشن فاختلفا ضربتين ، فضربه أدهم على جبينه فأسرع فيه السيف حتى خالط العظم ، وضربه شمر فلم يصنع سيفه شيئاً ، فرجع إلى عسكره فشرب من الماء وأخذ رمحا ثم أقبل وهو يقول :

إنِّي زَعِـيْـمٌ لأَخِـي بَـاهِـلَهْ ... بِـطَعْنَـةٍ إنْ لَـمْ أُمُتْ عَـاجِلَهْ

[أَوْ] ضَرْبَةٍ تَحْتَ الْوَغَا فَاصِلَهْ ... شَبِيْهَـةٍ بِـالْقَـتْـلِ أَوْ قَـاتِلَهْ

ثم حمل على أدهم وهو يُصَرِّفُ وجهه ، وأدهم ثابت له لم ينصرف ، فطعنه فوقع عن رأسه وحال أصحابه دونه فانصرف ، فقال شمر : هذه بتلك .

ويظهر أن أدهم لم يقتل في تلك الحادثة فقد كان في جيش الـحُصين بن نُمَيْرٍ الذي هزم سليمان بن صُرَد ومن معه سنة ٦٥[2].

أَعْصُرُ بن النعمان الباهلي

ذكر ابن جرير[3] : في خبر وقعة الجمل سنة ٣٦ ـ كان على هوازن وبني سُلَيْـمٍ والأعجاز ، مجاشع بن مسعود السلمي ، وعلى عامر زفر بن الحارث ، وعلى غَطفَان أَعْصُرُ بن النعمان الباهلي ، وعلى بكر بن وائل مالك بن مسمع .

(١) ٣٠٣ . (٢) «تاريخ ابن جرير» : ٥٠٥/٤ . (٣) «تاريخه» : ٥٩٩/٥ .

أبو أمامة : (صُدَيّ بن عجلان)

إياس بن بَيْهَس الباهلي

هو إياس بن بَيْهَسِ بن عمرو - وبقية نسبه مذكور في نسب قُتَيْبة بن مسلم - فهو ابن عَمِّه دُنْيَا ، كان ممن اجتمع إلى قتيبة من خواصِّ أصحابه وثقاته ، حين ثارت الفتنة ضده ، وقد ضُرِبَ إيَاسُ على تُرْقُوتِهِ أثناء قَتْل آل قتيبة ، فعاش بعد ذالك .

ويظهر أنه كان من أعيان أصحاب قتيبة ، فإنه لما فتح (بيكند) أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة مالا يُحْصى ، فولى الغنائم والقسم عبدالله بن والان العدويَّ ، وكان قتيبة يُسميه الأمين بن الأمين ، وإياس بن بيهس الباهلي ، فأذابا الآنيةَ والأصنامَ فرفعاه إلى قتيبة . إلى آخر ماذكر ابن جرير ، وكان ذالك سنة سبع وثمانين[1] .

بَشّار بن مسلم الباهلي

هو أخو قتيبة بن مسلم ، وهو أكبر منه سنًّا ، قال ابن قتيبة[2] : فأما بشار فكان أكبرهم كان صاحب نَهْرِ بشَّار ، وكان سَيِّدَ ولد مسلم ، حتى سبق عليه قتيبة .

وذكر ابن جرير أن قتيبة غزا (نومشكث) في سنة ثمان وثمانين واستخلف على (مَرْوَ) بشار بن مسلم[3] .

وذكر ابن جرير أيضاً[4] : أن بشَّاراً قتل مع قتيبة سنة ست وتسعين مع أحد

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٤٣١/٥١٤/٥١٦ .

(٢) «المعارف» : ٤٠٦ . (٣) «تاريخ الأمم والملوك» : ٦/٤٣٦ .

(٤) «تاريخ الأمم والملوك» : ٦/٥١٦ .

عشر رجلاً من بني مسلم ، صلبهم وكيع سبعة منهم لِصُلْبِ مُسْلِمٍ ، وأربعة من بني أبنائهم .

أما نسبة النهر إليه فقد ذكر سبب ذالك ياقوت في « معجم البلدان » فقال[1]: نَهْر بَشَّارٍ بالبصرة ينزع من الأُبُلَّة ، وله ذكر في الأخبار منسوباً إلى بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي أخي قتيبة ، وكان أهدى إلى الحجاج فرساً فسبق عليه الخيلَ ، فأقطعه سبع مئة جَرِيب ، وقيل أربع مئة جريب فَحَوَّلَها نَهْراً نُسِبَ إليه .

بَكْرُ بن حبيب السهمي الباهلي

قال البلاذريُّ ـ عند ذكر بني سهم في نسب باهلة[2] ـ: ومنهم بكرُ بن حبيب ويكنى أبا سهل ، ولي السُّوْسَ لابن هبيرة ومات بالبصرة . انتهى .

وبكر هذا ممن يروي عنهم المدائنيُّ روى عنه إحدَى خطب الحجاج أوردها البلاذري في « أنساب الأشراف »[3] في ترجمة الحجاج من نسب ثقيف ، وله خبر مع قتيبة بن مسلم سنة ٩١ ، إذ كان ممن شهد وقعة قتيبة مع نَيْزك ترخان . فَقَد قُدِّمَ إليه بعضُ الأَسْرى ليقتلهم بعد أَنْ سُئِلَ : هل بك قوة ؟ قال : نعم ، وأزيد ، وكان في بكرٍ أَعْرابيةٌ وكان إذا أُتِـيَ بِرَجُلٍ ضَرَب عنقه ، وقال : أَوْرِدُوا ولا تصدروا[4]. وروى محمد بن خلف في كتاب « أخبار

---

(١) رسم نهر .
(٢) «أنساب الأشراف» نسب باهلة مخطوط .
(٣) «أنساب الأشراف» مخطوط .
(٤) «تاريخ الأمم والملوك» ج ٦ ص ٤٥٨ .

القضاة »[1] بسنده إلى بكر بن حبيب الباهلي قال : خاصمتُ إلى بلال[2]، وكلمته في حاجة ، فغاضه ما رآى من قضاءِ حاجتي . قال : وأَنْتَ والله على فصاحتك لا تنفلت بحاجتك اليوم . فقلت : لو عَلِمْتُ أنَّ اللحن ينفعني لكنت أَلْـحَنَ من ابْن الغرِق[3] - لرجل من بني فُقَيْم - كان لَـحَّانَةً فلقيني الفُقَيْمي بعد ذالك فقال : ما أَرَدْتَّ إلى ابن عمك ؟ فاعتذرت إليه . انتهى .

بكر بن معاوية الباهلي

ذكر ابن قتيبة[4] أنه كان من قواد أبي جعفر وأنه كان صاحب ديوان الجند . ومثل هذا ورد في كتاب « جمهرة النسب »[5]، لابن الكلبي ، وهو بكر ابن معاوية بن مُظَهّر بن معاوية بن نُبيشة بن جندب بن كُلَيب بن عُليم[6] بن عدي بن عمرو بن معن . وبقية النسب معروف . وسيأتي في ترجمة القعقاع بن فضالة أنه ممن هرب مع عبدالله وعبيدالله ابنا مروان ليلة بُيِّتَ مروانُ - إلى أرض الحبشة وهذا يدل على أنه عاش إلى قيام الدولة العباسية .

جارية بن النعمان الباهلي

استخلفه الأحنفُ بن قيس على (مرو الشاهجان) في خراسان حين افتتحها سنة اثنتين وعشرين[7]، وقد ورد اسمه في مطبوعة «الكامل» لابن الأثير[8]، مصحفاً (حارثة بن النعمان) .

---

(١) ج ٢ ص ٣٧ . (٢) بلال بن أبي بردة .
(٣) آل الغرق أخوال بلال بن أبي بردة من الرضاع «أخبار القضاة» ٢/٢٦ .
(٤) « المعارف » ٨١ .
(٥) ٨٦٢ تحقيق الدكتور ناجي حسن .
(٦) أنساب البلبيسي رسم (العُلَيْمي) مخطوط .
(٧) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني ٤٣٧ - وانظر «الاكمال» ٢/٢ و«تبصير المنتبه» ١/٢٣٢ .
(٨) الطبعة الأولى ج ٣ ص ١٧ .

جَحْل بن نضلة الباهلي

تقدم الاختلاف في ضبط اسم جَحْلٍ وأن ابن ماكولا في « الإكمال» نصَّ على أنه بفتح الجيم وسكون الحاء وسيأتي ذكر نسبه في الكلام على الشعراء ، وجَحْل هذا يُعَدُّ من أبرز فرسان باهلة في الجاهلية ، فهو الذي أَسَرَ النَّوَار بنْتَ عمرو بن كلثوم كما تقدم ذكر ذالك في الكلام على ما وقع بين باهلة وتغلب في الجاهلية قال البلاذري[1]: جَحْل بن نضلة كان شاعراً رئيساً .

أبو جَزْءِ الباهلي

قال ابن دريد[2] : أخبرنا أبو عثمان قال : كان الجماز منقطعاً إلى أبي جَزْءٍ الباهلي فتنسك أبو جزء فقال للجماز : لَا أُحِبُّ أن تخالطني إلاَّ أَنْ تَنَسَّك فأظْهَرَ النُّسُكَ ، ثم أنشأ يقول :

قَدْ جَفَاني الْأَمِيْرُ كَي أَتَقَرَّا ... فَتَقَرَّيْتُ مُكْرَهاً لِجَفَائِهْ
والَّذِي أَنْطَوِيْ عَلَيْهِ الْمَعَاصِي ... عَلِمَ الله نِيَّتِي مِنْ سمائِهْ
مَا قِرَاةٌ لِمُكْرَهٍ بقِرَاةٍ[3] ... قَدْ رَواهُ الْأَمِيْرُ عَنْ فُقَهَائِه

انتهى مافي «أمالي ابن دريد» ولا أعرف شيئاً عن أبي جزء هذا ، ويظهر أنه كنية لأمير مشهور يقصده الشعراء في ذالك العهد ، والجماز هذا توفي سنة ٢٥٠ واسمه محمد بن عمرو بن حماد .

حاتم بن حمران الباهلي

قال البلاذري[4]: ومن بني قتيبة من باهلة حاتم بن حمران ، ولي بعض أَمْرِ

---

(١) نسب باهلة من «أنساب الأشراف». مخطوط .
(٢) أمالي ابن دريد - ص ٧٧ - .
(٣) كذا ولعل المراد (ماقراءة لمكره بقراءة) وحذف الهمز للوزن .
(٤) «أنساب الأشراف» نسب باهلة .

البصرة فمنع إبلا للفرزدق من الرعي فقال :

وَتَمْنَعُ إِبْلِي أَنْ تَجُوْزَ إِلَى الْـحِمَى ... وَأَنْتَ تُجِيْزُ الْـحُمْرَ يَاعَبْد حَاتِـم
قَرَابتهُ شُـرْطُ ابنِ حمران دُوْنَهَا ... إِذَا نَفَذَتْ قَامَتْ عَلَيْهَا الْـمأْتَـمُ

انتهى كلام البلاذري ولم أرَ البيتين في شعر الفرزدق الذي جمعه الصاوي .

حاتِم بن النعمان الباهلي

قال ابن الكلبي في «جمهرة النسب»[1] : منهم حاتِم بن النعمان بن عمرو بن جابر بن عَمَّارة بن عبدالعزى بن عامر بن عمرو بن ثعلبة بن غَنم بن قتيبة ، كان سَيِّدَ أَهل الجزيرة ، وابنه عبدالعزيز كان سَيِّداً . انتهى ، ومثل هذا في كتاب « أنساب الأشراف»[2] للبلاذري ، وزاد : وولى معاوية حاتم بن النعمان (أرمينية) ثم عبدالله ابنه ، فمات بها في أول أيام يزيد ، وروى أبو اليقظان أنَّ حاتِماً فتح (هراة) أيام ولاية عبدالله بن عامر بن كُريز . انتهى ، وأورد في نسب غَنِـيٍّ في ترجمة مَرْثَدِ بن أَبي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ الذي قتل يوم الرَّجِيْعِ سنة أربع ، قول الشاعر :

أَبُو مَرْثَدٍ مِنَّا الْـمُطَيَّبُ وَابْنُهُ الـ ... ـشَّهِيْـدُ وسَلْمانُ الأَمِـيْرُ وَحَاتِمُ

سلمان بن ربيعة الباهلي ، وحاتِم بن النعمان الباهلي . انتهى ، وقال ابن دريد[3] : ومن رجالهم حاتِم بن النعمان ، وكان سيدَ أَعْصُر بالجزيرة ، وهو ناقلةٌ من البصرة إلى الجزيرة . انتهى .

(١) نسب باهلة .
(٢) ٢٠٤ مخطوطة دار الكتب المصرية .
(٣) «الاشتقاق»: ٢٧٢ .

وعَمَّارةُ بن عبدالعزى أحدُ أجداد حاتِـمٍ هو قاتل عبدالدار بن قصي[1]، وأبوه النعمان بن عمرو كان من فرسان الجاهلية فهو صاحب غُطَيْف[2]. وفي «تاج العروس»[3]: غطيف كزبير ـ فرس عبدالعزيز بن حاتِـمٍ الباهلي من نسل الْـحَرُوْنِ، والْـحَرُوْنَ فرسُ مسلمٍ بن عَمْرٍو الباهلي. انتهى.

وذكر ابنُ جرير في[4] حوادث سنة اثنتين وعشرين أنَّ الأحنف بن قيس خرج من (مرو الشاهجان) واستخلف عليها حاتِـمَ بْنَ النعمان الباهلي، وأن يَزْدَجُرْدَ بْنَ شَهْرَيَار خرج إلى (مرو الشاهجان) فتحصَّن منه حاتِـمٌ ومن معه، فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها، إلا أَنَّ أهلَ فارس فيما بعد أقبلوا على الأحنف فصالحوه، ودفعوا إليه الخزائن والأموالَ، وتراجعوا إلى بلادهم، وأموالهم على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسرة، فكانوا كأنَّما في ملكهم، إلا أن المسلمين أَوْفَى لهم وأعدل، فاغتبطوا وغبطوا.

وذكر أيضاً في حوادث سنة إحدى وثلاثين أن عبدَالله بنَ عامر وَجَّهَ حاتِـم ابن النعمان إلى (مَرْو).

وذكر البلاذريُّ في كتاب «فتوح البلدان» مانصه[5]: وقد قيل إنَّ ابن عامر جعل خراسان بين ثلاثة: الأحنف بن قيس، وحاتِـم بن النعمان الباهلي، وقيس بن الهيثم، والقول بأنه استخلف قيس بن الهيثم أثبت. ونقل عن الواقديِّ: بنَى عبدالملك مدينة (بَرْذَعَة) على يد حاتم بن النعمان أو ابنه.

---

(١) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: ٢٤٥ تحقيق عبدالسلام هارون.
(٢) «أسماء خيل العرب» للأسود الغندجاني: ١٨٨.
(٣) رسم (غطف). (٤) «تاريخ الأمم والملوك» ٤/ ١٧٠.
(٥) ٣٩٩ المطبعة المصرية سنة ١٣٥٠ وص٢٤٢ ط المنجد.

وذكر ابن الأثير[1] أنَّ حاتِـمَ بن النعمان كان رسولَ عبدالله بن عامر إلى مَرْزُبَان (مَرْوٍ) ، حين طلب المصالحة ، فصالح على أَلْفَـيْ أَلْفٍ ومئتي ألف درهم ، وكان ذالك سنة إحدى وثلاثين .

وكان حاتم رئيس قَيْسٍ في صِفِّيْنَ من قواد معاوية[2] .

ولما عَدَّ ابنُ جرير الرجالَ الذين استعملهم زياد على جباية الخراج سنة خمس وأربعين ذكر منهم حاتم بن النعمان .

وفي سنة سبع وستين ذكر أنه كان والياً على حَرَّان على ما ذكر ابن الأثير[3] .

وفي سنة تسع وتسعين وجه عمر بن عبدالعزيز حاتِـمَ بن النعمان إلى (أَذْرَبِيجان) حين أغارتِ الترك عليه ، فقتلوا من المسلمين جماعةً ، فسار حاتِـمٌ بجيش فقتل أؤلئك الترك ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وقدم على عمر وهو بخُنَاصِرَة بخمسين أسيراً منهم[4]. انتهى .

ولحاتِم بن النعمان هذا ذكر في الحرب بين قَيْسٍ وتغلب ، ولهذا تردد اسمه في شعر الأخطل ، ومن ذالك قوله[5]:

وَسَـوَّدَ حَاتِـمـاً أَنْ لَيسَ فِيْهَـا ... إِذَا مَـا تُـوْقَـدُ النِّيْرَانُ نَـارُ

أي : أنه ليس في قيس نار توقد لمكرمة ولا ضيفان غير ناره . انتهى .

---

(١) «الكامل» لابن الأثير : ٣/٦٢ الطبعة الأولى .

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر نقلاً عن كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم وورد الاسم في كتاب نصر - ٢٣٣ - مصحفاً (حاتم بن المعتمد) .

(٣) «الكامل»: ٣/٣٨١ .

(٤) «تاريخ الأمم والملوك» لابن جرير ٦/٥٥٣ . ووقع في مطبوعة ابن جرير : عمر بن عبدالعزيز بن حاتم ، وكلمة (ابن) مقحمة .

(٥) «شعر الأخطل» ٢/٤٧٤ .

وقال أيضاً في خبر يوم الثَّرْثَار[1]:

وأَفْـلَتَ حَـاتِـمٌ بِفُـلُوْلِ قَيْسٍ   إلَى الْقَـاطُـوْرِ وانْتَهَـكَ الْفِـرَارَا

وكان حاتِـم بن النعمان الباهلي فلَّ يوم الثرثار ، وهو يوم قَتْلِ عُمَيْرِ بْنِ الْـحُباب .

وقال الأخطل[2]:

وَكَانَ يَرَى أَنَّ الْـجَزِيْرَةَ أَصْبَحَتْ   مَوارِيْثَ لِابْنَيْ حَاتِـمٍ وَأَبِي صَخْرِ

يقصد ابني حاتم بن النعمان ، وأبا صخر جميعاً من باهلة .

وما أصاب بهذا القول ، فقد سود حَاتمًا ما كان يقوم به من أعمال جليلة وكان من بيت شرف وسؤدد ، وتعاقب بنوه وراثة هذا الشرف بما كانوا يَتَوَلَّوْنَهُ عن جدارةٍ من أعمال في الدولة الأموية مما سترد الإشارة إليه في تراجم من ترجم منهم .

حَبيب بن عبد الله بن عمرو الباهلي

هو حبيب بن عبدالله بن عمرو بن حصين بن ربيعة ـ وبقية نسبه سيرد عند ذكر نسب قتيبة بن مسلم ـ فهما أبناءُ عَـمٍّ جدُّهما عَمْرو ، قال ابن جرير في حوادث سنة ٩١[3]: طلب قتيبة ملك (الجوزجان) وكان هرب من بلاده ، فأرسل يطلب الأمان ، فأمَّنه على أن يأتيَه فيصالحه فطلب رهناً يكون بين يده ويعطي رهائن ، فأعطى قتيبةُ حبيبَ بن عبدالله بن عمرو بن حصين الباهلي ،

---

(١) «شعر الأخطل»: ٢/٧٢٣ .

(٢) المصدر السابق : ٢/٤٥٧ ـ وكان يرى . . . يعني عمير بن الحباب السلمي الذي قتل تلك الأيام .

(٣) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٤٦٠ .

وأعطى ملك (الجوزجان) رهائن من أهل بيته ، فخلف ملك الجوزجان حبيباً في بعض حصونه ، وقدم على قتيبة فصالحه ، ثم رجع فمات بـ (الطالقان) فقال أهل (الجوزجان) : سَمُّوهُ ، فَقَتَلُوْا حبيباً ، وقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عنده . انتهى .

ويظهر أن ملك (الجوزجان) طلب أن يكون الرهينة من أقرباء قتيبة ، لأن الرهن الذي قدمه من أهل بيته و (الجوزجان) ناحية في إقليم خراسان ، هي الناحية الغربية من ربع بلخ ، يقع بين خطي الطول ٦٤°,٦٦° ، وخطي العرض : ٣٥/٣٠° و٣٦° .

والطالقان : مدينة كانت غرب الجوزجان بقرب خط الطول : ٦٤° وخط العرض : ٣٥/٣٠° ، على ما يفهم مما في كتاب «بلدان الخلافة الشرقية»[١].

الحجاج بن قتيبة بن مسلم

هو ابن القائد الشهير ، ويظهر أنه سَلم من القتل ، فقد أورد ابن جرير في « تاريخه»[٢] في حوادث سنة إحدى وعشرين ومئة أَنَّ أُمَّ ملك فرغانة سليمان بن صول لما عقد الصلح بينه وبين المسلمين ، كانت حاضرةً في المجلس ، حين دخلت رسل المسلمين في الصلح ، وكان من بينهم الحجاج بن قتيبة فقالت : من هذا ؟ فقالوا : الحجاج بن قتيبة . قال : فحيته وسألت عنه ، وقالت : يا معشر العرب مالكم وفاءٌ ، لا يصلح بعضُكم لبعض ، قتيبة الذي وطن لكم ما أرى ، وهذا ابنه تُقْعِدُهُ دونك ، فحقه أن تجلسه هذا المجلس ، وتجلس أنت مجلسه !! ـ تعني تميم بن نصر رئيس الوفد ـ .

وأورد ابن جرير للحجاج هذا قصة مع المنصور سنة ١٤٥ تدلُّ على علو منزلته عنده[٣].

(١) ٣٧٢/٤٦٢/٤٦٥ . (٢) ٧/١٧٧/١٧٨ .
(٣) المصدر السابق : ٧/٦٤٠ .

حَرِّيُّ بنُ حَرِّيٍّ الباهلي

لم أجد ضبطاً لهذا الاسم ، هل هو بالحاء المهملة أم بالجيم ، مع شهرته أيام الفتوح فقد ذكر البلاذري في كلامه على فتوح السند[1] : أن زياداً ولَّى المنذرَ بن الْـجارود ثغر الهند ، فغزا البُوْقان والقَيْقان ، فظفر المسلمون وغنموا ، ثم ولى عبيد الله بن زياد حَرِّيَّ بن حَرِّيٍّ الباهليَّ ففتح الله تلك البلاد على يده ، وقاتلَ بها قتالاً شديداً ، فظفر وغنم وقال قوم : إن عبيدالله بن زياد ولَّى سنان بن سلمة وكان حَرِّيٌّ على سراياه وفي حَرِّيِّ بن حَرِّيٍّ يقول الشاعر :

لولا طِعَانِـيَ بِالْبُوْقَانِ مَارَجَعَتْ   مِنْهُ سَرَايَا ابْنُ حَرِّيٍّ بِأَسْلَابِ

وأضاف البلاذُرِيُّ : وأَهل البوقان اليوم مسلمون ، وقد بنى عمران بن موسى بن يحيى البرمكيُّ بها مدينة سماها البيضاء .

وعد ياقوت في «معجم البلدان» البوقان من نواحي سجستان .

حوثرة بن سهيل الباهلي

تقدم ذكر نسبه في ترجمة أخيه عجلان بن سهيل مع العلماء وذكر الأزدي في «تاريخ الموصل»[2]: أن مروان بن محمد ولى سنة ١١١ حوثرة بن سهيل[3] الباهلي مصر فانثالت إليها قَيس ، فهلك مروان وفيها نحو من ثلاثة آلاف ثم توالدوا ، وقدم عليهم بعد ذالك من قدم ، قال الهيثم : فحدثنا أبو عبدالعزيز قال : أحصيناهم في ولاية محمد بن سعيد فوجدناهم صغيرهم وكبيرهم ممن تضمه الدار منهم أربعة آلاف وثمان مئة رجل أو خمسة آلاف ومئتي رجل .

(١) «فتوح البلدان» ص ٤٢٣ ط المطبعة المصرية ١٣٥٠هـ .
(٢) ٣١ .
(٣) ورد الاسم (سهل) في «تاج العروس» - حثر - .

وفي سنة ١٣١[١] وجه مروانُ حوثرةَ بن سُهيل الباهلي في عشرة آلاف من قيس خاصة ، ثم اجتمع إليه ثلاثة وخمسون ألفاً ، وذكر البلاذري[٢] أن حوثرة حين هاجم الخراسانيون ـ دعاة بني العباس ـ الكوفةَ سنة ١٣١ إحدى وثلاثين ومئة مع ابن يزيد بن هبيرة ، فقتل معه ، قتله عثمان بن نهيك أخذ منه سيفه فقتله به ، قال ابن نَهِيك : أُدخلتُ السيف بين ضلعين من أضلاعه وقلت : يا عدو الله أنت الكاتب إلى مروان : إن الله مخزيهم !! ثم لم يرضك إلا شتمنا . انتهى .

تَسِيْلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوْسُنَا   وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيْلُ

على أن ابن جرير ذكر أن حوثرة كان في جيش ابن هبيرة سنة ١٣٢[٣]، كما ذكر أن جيش ابن هبيرة انهزم في المحرم سنة ١٣٢ ، وأن حوثرة مضى حتى نزل قصر ابن هبيرة ، وأنه لما بلغه خبر هزيمة ابن هبيرة خرج بمن معه ، حتى لحق بواسط وقال : إن ابن هبيرة لما انهزمم تفرق الناس عنه ، وخلف على الأثقال قوماً فذهبوا بتلك الأموال ، فقال له حوثرة : أين تذهب وقد قتل صاحبهم ، امْضِ إلى الكوفة ومعك جند كثير فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر . فلم يقبل قوله . ووصف ابن جرير مقتلَ حوثرة وأنه بُعِثَ به مع وجوه من القَيْسيةِ والمضرية إلى أبي جعفر المنصور فقتله موسى بن عقيل .

ولحوثرة أخ يدعى عجلان تقدم ذكره .

---

(١) «تاريخ الموصل» للأزدي : ١١٦ وانظر «تاريخ الأمم والملوك» ٧/٤١٠ .
(٢) «أنساب الأشراف» ١٣٧ و١٤٦ و١٤٨ القسم الثالث تحقيق د. عبدالعزيز الدوري .
(٣) «تاريخ الأمم والملوك» ٧/٤١٣ و٤١٤ و٤١٦ و٤١٧ و٤٥١ و٤٥٥ و٤٥٦ وانظر «الكامل» لابن الأثير : ٥/١٦٦ و«الولاة والقضاة» للكندي ـ ٨٨ ـ.

حيان بن يزيد الباهلي

قال البلاذريُّ[١]: ومن بني سَهْـمٍ حَيَّانُ بنُ يزيد الذي قال له أبو موسى الأشعري: إن باهلة كانت كراعاً فجعلناها ذراعاً، قـال: ألَا أدُلُّكَ على الأُم من باهلة؟ عَكٌّ وأخلاطُها من الأَشْعرِيِّيْنَ، فغضب أبو موسى رضي الله تعالى عنه، ثم قال: يا سَابَّ أميره. انتهى كلام البلاذري.

زيـاد الباهلـي

والد الهِرْمَاسِ - تقدم نسبه عند ذكر أبيه في الصحابة - قال ابن حَجَرٍ[٢]: روى الدارقطني من طريق عمرو بن بلبل بن القعقاع حدثني أبي عن جدي عن أبيه الهرماس بن زياد قال أتيت النبي ﷺ مع أبي فولاه على عَشيرته من باهلة الحديث وروى ابن مَنْدَه من طريق عكرمَةُ بن عمار عن الهرماس بن زياد قال: أبصرتُ النبي ﷺ يخطب الناس، وأبي مُرْدِفِـيْ على جملٍ، وأنا صَبِـيٌّ صغير، إسناده صحيح. انتهى.

السَّرِيُّ بن الحصين الباهلي

من القادة في عهد المنصور. تقدم ذكر البلاذري[٣] أن في أيام ولاية سَوَّارِ ابن عبدالله القضاءَ في البصرة في عهد المنصور، خرج عبيدٌ سودانٌ يقال إنهم كانوا أربعين أو أكثر، فوجه إليهم السَّرِيَّ بنَ الحصين الباهلي، وعبدالله بن حيـي الرقاشي، وقتل منهم أربعة عشر عبداً، وبعث برؤوسهم إلى المنصور،

---

(١) «أنساب الأشراف» نسب باهلة. مخطوط.

(٢) «الإصابة» - القسم الأول - ص ٥٥٩ -.

(٣) «أنساب الأشراف» ص ٢٥٨ - القسم الثالث تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري.

ويقال : إنه كان يتصدق في كل سنة من ماله بمثل أثمانهم ، وقال له السَّرِيُّ بن الحصين : ما بالك أعظمتَ قتل هاؤلاء ـ والله لو لم تقتلهم لقتلوك ، قالوا : وتفرق من بقي من أؤلئك السودان ، فلم يعرض لهم .

سعيد بن أحمد الباهلي

قال ابن حزمٍ في الكلام على باهلة(١): ومنهم أبو الأحوص سعيد بن أحمد ابن سعيد بن سلم بن قتيبة ، ثار بالبطائح أيام المعتمد ، فَقُتِلَ وصلب .

قال ابن جرير في حوادث سنة ٢٥٧(٢): وفيها أخذ محمد المولد سعيدَ بن أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي وكان قد تغلب على البطائح هو وأصحابه من باهلة وأفْسدُوْا الطريق . ثم ذكر في سنة ٢٥٨ فمن ذالك ماكان من الموافاة بسعيد بن أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي باب السلطان وأمر السلطان بضربه بالسياط ، فضرب سبع مئة سوط فيما قيل في شهر ربيع الآخر منها فمات وصُلِب .

سعيد بن سَلْمٍ الباهلي

قال الخطيب(٣) : سعيد بن سلم بن قُتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن قُضَاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل ـ وساق نسبه إلى عدنان ، وأضاف : أبو محمد الباهلي ، بصريُّ الأصل ، سمع عبدالله بن عون وطبقته ، وكان قد سكن خراسان ، وولاه السلطان

---

(١) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم تحقيق عبدالسلام هارون ص ٢٤٦ .
(٢) «تاريخ الأمم والملوك» ٩/٤٨٩ و ٤٩٠ .
(٣) «تاريخ بغداد» ج ٩/٧٤ .

بعضَ الأعمال بـ (مَـرْو) ، وقدم بغداد ، وحدث بها فروى عنه محمد بن زياد ابن الأعرابي صاحب اللغة ، وساق سنده إليه . قال : حدثني سعيد بن سـ م ابن قتيبة القائد عن ابن عون . قال : كان القاسم بن محمد يقول في سجوده : اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان . قال العباس بن مصعب : قدم (مَرْوَ) زمان المأمون سعيدُ بن سلم بن قتيبة بن مسلم ، وكان عالماً بالحديث والعربية ، إلا أنه كان لا يبذل نفسه للناس . أخبرني الأزهري حدثنا علي بن عمر الحربي حدثنا حاتِـمُ بن الحسن الشاشي حدثنا علي بن خشرم حدثني سعيد بن سلم بن قتيبة . قال : خرجت حاجًّا ومعي قباب وكنائس ، فدخلت البادية فتقدمت القباب والكنائس على حميرٍ لي فمررت بأعرابي مُـحْـتَـبٍ على باب خيمة له ، وإذا هو يرمق القباب والكنائس ، فسلمت عليه فقال : لمن هذه القباب والكنائس ؟ ، قال : قلت لرجل من باهلة قال : تالله ما أظن الله يعطي الباهلي كل هذا ، قال : فلما رأيتُ إِزْرَاءَهُ بالباهلية دنوت منه فقلت : يا أَعرابيُّ أتُـحِب أن تكون لك القباب والكنائس وأنت رجل من باهلة ؟ فقال : لا ها الله ، قال : فقلت : أتحب أَنْ تكون أميرَ المؤمنين وأنت رجل من باهلة ؟ قال : لا ها الله ، قال : قلت : أتحب أن تكون من أهل الجنة وأنت رجل من باهلة ؟ قال : بشرط ، قال قلت : وماذاك الشرط ؟ قال لا يعلم أهلُ الجنة أَني باهلي ، قال ومعي صرة دراهم ، قال فرميت بها إليه ، فأخذها وقال : لقد وافقَتْ مني حاجة ، قال : قلت له ـ لما أن ضمها إليه ـ: أنا رجل من باهلة ، قال فرمَى بها إليَّ وقال : لا حاجة لي فيها ، قال فقلت : خُذْهَا إليك يا مسكين ، فقد ذكرتَ من نفسك الحاجة ، فقال : لا أُحِبُّ أن ألقى الله وللباهلي عندي يَدٌ ، قال : فقدِمْت فدخلت على المأْمون فحدثته بحديث الأعرابي ، فضحك حتى استلقى على قفاه وقال لي : يا أبا محمد ما أصبرك ،

وأجازني بمئة ألف . انتهى كلام الخطيب . ولو صَحَّتْ هذه الحكاية لكانت دليلاً على ما يتّصفُ به سعيد من رحابة الصدر ، ولكنني أراها مما وُضِعَ لانتقاصِ قبيلة سعيد ، وأُلْصِقَتْ بِهِ مُبالغةً بِقَصْدِ إثباتها ، وإنَّمَا سُقْتُها لأنني أخذت على نفسي أن أَذْكُرَ ما لهذه القبيلة وما عليها .

وأورد ابن جرير أخبار سَعِيْد في «تاريخه» مفرقة منها : كان مع موسى الهادي لما أتاه نَعْـيُ المهديِّ وهو بجرجان[1] سنة ١٧٠ ، وذكر ابن جرير أن وَفْدَ الرُّوْمِ دخل على الهادي وسعيد بن سلم عنده وعليه قلنسوة ، وكان سعيد قد صلع وهو حَدَثٌ ، فقال له موسى : ضع قلنسوتك حتى نَتَشايخ بصلعتك[2]، وعند الأزدي : حتى نُفَاخِـر بِصَلْعَتِك وقال أيضاً : كانت المرتبة لإبراهيم بن سلم ابن قتيبة عند الهادي ، فلما مات إبراهيم صارت المرتبة لسعيد بن سلم بعده[3].

وأورد قصة تدل على أن سعيدَ بن سلم كان يحضر مجالس الهادي التي يتبذل فيها[4]، وأنه استشاره في قتل الرَّبيع فقال له : تأمر رجلاً باتِّخاذ سكين مسموم وتأمره بقتله ، ثم تأمر بقتل ذالك الرجل . قال هذا الرأي ، ولكن عمله لم يتم[5]، وذكر في حوادث سنة ١٨٠ أنَّ الرشيد ولي سعيد بن سلم الجزيرة[6].

وذكر في حوادث سنة ١٨٢ ، أن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي كان على (أرمينية)[7] وذكر في حوادث سنة ١٩١ أن الرشيد مضى إلى درب الْـحَدَثِ فرتب هناك عبدالله بن مالك ، ورتب سعيد بن سلم بن قتيبة ، بِـ (مَرْعَش)

---

(١) ٢١٤/٨ . (٢) ٢١٨/٨ و«تاريخ الموصل»: ٢٦١ .
(٣) ٤١٩/٨ . (٤) ٢٢٧/٨ . (٥) ٢٢٨/٨ . (٦) ٢٢٦/٨ .
(٧) ٢٦٩/٨ .

فأغارت الروم عليها ، وأصابوا من المسلمين ، وانصرفوا وسعيد بن سلم مقيم بها[1] .

وأورد ابن جرير[2] خبراً عن سعيد بن سلم الباهلي أنه دخل على الرشيد ، فسلم عليه فأومأ إليه الرشيد فجلس فقال : يا أمير المؤمنين ، أعرابي من باهلة واقفٌ على باب أمير المؤمنين ، ما رأيت قطُّ أشْعَرَ منه ، قال : أَمَا إنك استبحت هذين - يعني العُمَانِـيَّ ومنصور النمري ، وكانا حاضِرِيْه - نهبى لهما أحجارك ، قال : هما يا أمير المؤمنين يَهَبَاني لك فيؤذن للأعرابي ؟ فأذن له ، فإذا أعرابيٌّ في جبة خـزٍّ ، ورداءٍ يمانٍ ، قد شدَّ وسطه ثم ثناه على عاتقه ، وعمامة قد عصبها على خَدَّيْهِ ، وأرخى لها عَذَبَةً ، فَمَثُلَ بين يدي أمير المؤمنين ، وألقيت الكراسي ، فجلس الكسائي والمفضل وابن سلم والفضل بن الربيع فقال ابن سلم للأعرابي : خُذْ في شرف أمير المؤمنين ، فاندفع الأعرابي في شعره ، فقال أمير المؤمنين : أسمعُك مستحسناً ، وأُنْكرك متهماً عليك ، فإن يكن هذا الشعر لك وأنت قلتَه من نفسك ، فقل لنا في هذين بيتين - يعني محمداً والمأمون - وهما حفافَاهُ فقال : يا أمير المؤمنين حملتني على القدر في غير الحذر ، روعةُ الخلافة ، وبَهَرُ البديهة ، ونفور القوافي عن الرويَّةِ ، فيمهلني أمير المؤمنين تَتَأَلَّفُ إلـيَّ نافِرَاتُها ، ويسكن روعي . قال : قد أمهلتك يا أعرابي ، وجعلت اعتذارك بدلاً من امتحانك ، فقال : يا أمير المؤمنين نَفَّسْتَ الْـخِنَاق ، وسهلت ميدان النفاق ، ثم أنشأ يقول :

هُـمَا طُنُبَـاهَا بَـارَكَ الله فِيْهِـمَا ... وأَنْتَ أَمِـيْرَ الْـمُؤْمِنِيْنَ عَمُـودُهَا
بَنَيْتَ بِعَبْـدِ الله بَعْدَ مُـحَمَّـدٍ ... ذُرَى قُبَّةِ الإِسْلامِ فَاهْتَزَّ عُودُهَا

(1) «تاريخ الأمم والملوك» ٨/٣٢٤ . (2) المصدر : ٨/٣٦٢ .

فقال : وأنت يا أعرابِـيُّ بارك الله فيك ، فَسَلْنا ، ولا تكن مسألتك دون إحسانك قال : الهُنَيْدَةَ يا أمير المؤمنين ، قال : فتبسم أمير المؤمنين وأمر له بمئة ألف درهم وسبع خلع .

وقال المبرد[1] : وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشمي ، قال حدثني رجل من أهل مكة قال : رأيت في منامي سعيدَ بن سلم ، في حياته وفي نعمته ، وكثرةِ عَدَدِ ولده ، وحُسْنِ مذهبه ، وكمال مروءته ، فقلت في نفسي : مَا أَجَلَّ ما أُعْطِيَهُ سعيدُ بنُ سلْـمٍ ، فقال لي قائل : وما ذَخَرَهُ الله له في ٱلآخِرة أَكْثَرُ .

وكان سعيدُ إذا استقبل السَّنَةَ التي يستقبل فيها عدد سنيه أعتقَ نسمة ، وتصدق بعشرة آلاف درهم ، فقيل لمديني : إن سعيد بن سلم اشترى نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم ، فقال إذَنْ لا يبيعه[2]، وقال : عبدالصمد بن المعذل يرثي سعيدَ بن سلم[3]:

كَمْ يَتِيم جَبَـرْتَـهُ بعْـدَ يُتْـمٍ وفَقِـيرٍ نَعَشْتَـهُ بَـعْـدَ عُـدْمِ
كُلَّما عَضَّتِ الْـحَـوَادِثُ نَـادَى رَضِـيَ الله عَنْ سَعِيْدِ بْنِ سَلْـمِ

وقال سعيد بن سلم : عرض لي أعرابي فمدحني فبلغ ، فقال[4]:

أَلَا قُلْ لِسَارِي اللَّيْلِ لَا تَخْشَ ضَلَّةً سَعِيدُ بنُ سَلْمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلادِ
لنا سَيِّدٌ أَرْبَى عَلَى كُلِّ سَيِّـدٍ جَوَادٌ حَثَا في وَجْهِ كُلِّ جَوَادِ

قال : فتأخرتُ عن بِرِّهِ قليلاً ، فهجاني فبلغ ، فقال :

---

(١) «الكامل» ج ٣ ص ٩ . (٢) «الكامل» ج ٣ ص ١٠ .
(٣) «الكامل» ج ٣ ص ٧ . (٤) «الكامل» ج ٣ ص ٧ .

لِكُلِّ أخِـي مَدْحٍ ثَوَابٌ يُعِدُّهُ ‏ وَلَيْسَ لِـمَـدْحِ الْبَاهِـلِيِّ ثَـوَابُ
مَدَحْتُ ابنَ سَلْـمٍ والْـمَدِيْحُ مِهزَّةٌ ‏ فَكَـانَ كَصَفْـوَانٍ عَلَيْـهِ تُـرَابُ

وقال أبو الشمقمق[1]:

قالَ لِي النَّاسُ زُرْ سَعِيدَ بْنَ سَلْمٍ ‏ قُلْتُ لِلنَّاسِ : لَا أَزُورُ سَعِيدَا
وأَمِيْـرِيْ فَتَى خُـزَاعَـةَ بـالبَصْـ ‏ ـرَةِ قَـدْ عَمَّهَا سَـمَاحاً وجُـوْدَا
وَلَـنِعْـمَ الْفَـتَى سَعِيْـدٌ ولَكِـنْ ‏ مَـالِكٌ أَكْـرَمُ الْبَرِيَّـةِ عُـودَا

فقال سعيد : لوددت أنه لم يكن ذكرني مع مالك ، و(أنه) أخذ مني أُمْنِيَّته .

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ أيضاً[2]:

هَيْهاتَ تَضْرِبُ في حَدِيْدٍ بَارِدٍ ‏ إنْ كُنْتَ تَطْمَعُ في نَوَالِ سَعِيدِ
وَاللهِ لَوْ مَلَكَ الْبِحَارَ بِـأَسْرِهَـا ‏ وأَتَـاهُ سَلْمُ في زَمَـانٍ مُـدُوْدِ
يَبْغِيـهِ مِنْهَـا شَـرْبَـةً لِـطَهُـورِهِ ‏ لأَبَـى وَقَـالَ : تَيَمَّمْنْ بِصَعِيْـدِ

وقال مُسْلِمُ بن الوليد[3]:

دُيُونُكَ لاَ يَقْضِي الزَّمانَ غَرِيْمُهَا ‏ وبُخْلُكَ بُخْـلُ الْبَاهِلِيِّ سَعِيْـدِ
سَعِيْدِ بْنُ سَلْمٍ أَلأَمِ النَّاسِ كُلِّهِمْ ‏ وَمَـا قَـوْمُـهُ مِنْ لُؤْمِـهِ بِبَعِيْـدِ
يَـزِيدُ لـهُ فَضْلٌ ولٰكِنَّ مَـزْيَداً ‏ تَـدَارَكَ مِنَّـا مَجْـدَهُ بِيَـزِيْـدِ
خُـزَيْمَـةُ لاَبَـأْسَ بِـهِ غَـيْرَ أَنَّـهُ ‏ لِـمَـطْبخِهِ قُفْـلٌ وَبَابُ حَـدِيـدِ

وقال أمير المؤمنين الرشيد يوماً لسعيد بن سلم : ياسعيد من بَيْتُ قيسٍ في

---

(١) «الكامل» ج ٣ ص ٧ .
(٢) «الكامل» ج ٣ ص ٨ . (٣) «الكامل» ج ٣ ص ٨ .

الجاهلية ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، بنو فَزارة ، قال : فمن بيتهم في الإسلام ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، الشريف من شرفتموه قال : صدقت أَنْتَ وقومك[1].

وأورد المبرِّدُ[2] لأبي الشَّمَقْمَقِ ـ وهو مروان بن محمد ـ من أهل خراسان ، من بُخَارِيَّةِ عبيدالله بن زياد ـ أورد له مديحاً في مالك بن علي الخزاعي ، وهجاء وذَمًّا لِسَعِيدِ بْنِ سلم الباهلي ، يمدح ذاك بالكرم ، ويذم هذا بالبخل ، وما كان مُـحِقًّا ، فكرم سعيد وجُودُه من أبرز ما عرف عنه من حميد صفاته ـ كما سيأتي عن المبرد نفسه من كتابه «التعازي والمراثي».

وذكر الأزديُّ في « تاريخ الموصل »[3] أن هارون الرشيد عزل إسحاق بن محمد عن صلاة الموصل ، وولاها سعيد بن سلم الباهلي سنة ١٧٢ .

وسار عبدالله بن مالك الخزاعي بين يدي الهادي وكان على شرطته ، ومعه سعيدُ بن سلم يحادثه ، فجعلت دابةُ عبدالله تثير الغبارَ في وجه الهادي ، والهادي يَـحِيْدُ عن سننه ، فإذا زال عن طريقه حاذاه ليكون بين يديه ، فلما كثر عليه قال لسعيد : أما ترى إلى هذا ؟ قال سعيد : أَما إنه لم يُخْطِئْ موضع الثواب يا أمير المؤمنين ولكنه حُرِمَ حَظَّ التوفيق .

وذكر أن سعيد بن سلم ركب في حاجةٍ مُنْقَطع له فقال له ابنه : يا أَبة قد أَخلَقْتَ جاهك قال : يابني أَفَأَصُونُ جَاهِـي للتراب ؟ إنَّهُ مَنْ لَـمْ يُخْلِقْ جاهَهُ ويبذِلُ ماله لم يحمَدْهُ الإخوان .

وفي سنة ١٨١ لقي سعيد بن سلم خراشةَ الخارجيَّ بالجزيرة ، فهزمه سعيد[4].

---

(١) «الكامل» ج ٣ ص ٩ . (٢) «الكامل» ج ٣ ص ٦ .
(٣) ٢٦٩ . (٤) «تاريخ الموصل» ـ ٢٩١ .

وفي سنة ١٨٢ كان سعيد والياً على (أرمينية) .

وفي سنة ١٨٣ خرج الخزر من باب الأبواب فأوقعوا بالمسلمين في (أرمينية) و(أذربيجان)، وكان سعيد بن سلم الباهلي والِيهَا ، فانهزم وقتلوا خلقاً كثيراً وأَسَروا[١].

وقال ابن حزم[٢] : سعيد بن سلم ولي الولايات للمنصور والمهدي .

وقال ابن خلكان[٣] : وكان سعيدُ المذكور سيداً كبيراً مُمَدَّحاً ، وفيه يقول عبدالصمد بن الـمُعَذَّل يرثيه :

كَمْ يَتِيمٍ نعشْتَهُ بَعْدَ يُتْمٍ ... وفَقِيرٍ أَغْنَيْتَهُ بَعْدَ عُدْمٍ[٢]
كُلَّما عَضَّتِ النَّوائِبُ نَادَى ... رَضِيَ الله عَنْ سَعِيْدِ بْنِ سَلْمِ

وتولى سعيد أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة ، وتوفي سنة سبع عشرة ومئتين .

ومن أخباره أنه قال : لما كنت والياً بأرمينية أتاني أبو دَهْمَان الغلاَّبيُّ فقعد على بابي أياما ، فلما وصل إليَّ جلس قُدَّامي بين السِّمَاطَيْنِ وقال : والله إني لأعرفُ أقواماً لو علموا أَنَّ سَفَّ التراب يقيم أَوَدَ أَصْلاَبِهم لجعلوه مُسْكَةً لأَرْمَاقِهِم ، إيثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إني لبعيد الوثبة ، بَطِيْءُ الْعَطْفَة ، إنَّهُ والله ما يثنيني عليك إلا مثل ما يصرفك عني ، ولأَنْ أَكُونَ مُقِلاًّ مُقَرَّباً أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أكونَ مُكْثِراً مُبْعَداً ، والله ما نَسْأَلُ عملاً لا نضبطه ،

---

(١) «تاريخ الموصل» - ٢٩٤ .
(٢) «جمهرة أنساب العرب»: ٢٤٦ .
(٣) «وفيات الأعيان» ٤/٨٨ .
(٤) في «الجوهرة»: كـم يتيـم جبرتـه ... فقيــــر نَعَشْتَـــه ...

ولا مَالاً إلا ونحن أكثر منه ، إنَّ هذا الأمر الذي صار في يديك قد كان في يَدِ غيرك ، فأَمْسَوْا والله حَدِيْثاً إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ وإنْ شَرًّا فَشَرٌّ ، فَتَحبَّبْ إلى عبادِ الله بِحُسْنِ الْبِشْرِ ولِينِ الْـحِجَاب ، فإنَّ حُبَّ عبادِ الله مَوْصُولٌ بِحُبِّ الله ، وهم شهداؤُهُ على خلقه ، ورقباؤُهُ على من اعوجَّ عن سبيله والسلام . انتهى .

وقال المبرد(١) : وحدثني رجل من بني هاشم عن سعيد بن سلم الباهلي . قال : كنت مع أمير المؤمنين (هارون) الرشيد في سفر ، فسأل عما حُمِلَ معه من الثلج ، فاستقلَّ ما ذُكِرَ له فَاغْتَاظ واحتدَّ ، فتركته حتى سكن غَرْبُهُ ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إني أقول كلاماً والله ما أريد به ملقاً ولا تنبيهاً على نفسي لأني فطنت إلى ما لم يفطن إليه مَنْ سِوايَ ، وما أقوله إلا بالنصيحة المحضة فقال : هات . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك قسمت الدهرَ شَطْرَيْنِ شطراً للحج ، وشطراً للغزو ، والمسافر يَرِدُ على شروب من المياه ، وسفرك أكثر من حضرك ، فلو أن أمير المؤمنين عَوَّدَ نفسه الخشونَةَ شيئاً فمتى احتاج إليها لم تنكرها النفسُ لتلك العادة . قال : فأطرق ثم قال : يا سعيد ، بِنُصْحٍ قلتَ ، ولكنا نلبس العافية ما لبستنا ، فان اضْطُرِرْنَا رجعنا إلى أصلٍ غير خَوَّارٍ .

وقال المبرد أيضاً(٢) : قال عبد الصمد بن المعذل يرثي سعيد بن سلم وشهرةُ أفعال سعيد ، وبُعْدُ صِيته في عقله وأدبه ، وجاهه وقدره ، وكثرة معروفه ، وتمكنه من الخلفاء تُغني عن ذكر شيء من أفعاله :

مَـا لِلسَّـمَاءِ عَلَيْـهِ لَيْسَ تَنْفَـطِرُ ... وَلِـلْكَـوَاكِبِ لا تَهْـوِيْ فَتَنْـتَـثِرُ؟
وَلِـلْبِـلادِ أَلَا تَـسْـمُـو زَلَازِلُهَـا ... وَالـرَّاسِيَـاتِ أَلَا تَـرْدَى فَتَنْقَـعِـرُ

(١) «التعازي والمراثي» - ٩٤ -.
(٢) «التعازي والمراثي» - ١٧٠ -.

إنَّ النَّـدَى وَأَبَـا عَمْـرٍو تَضَمَّنَـهُ   قَـبْرٌ بِبَغْـدَادَ يُسْتَسْقَى بِـهِ الْـمَطَرُ
لله حَـزْمٌ وَجُـوْدٌ ضَمَّـهُ جَـدَثٌ   وَمَكْـرُمَاتٌ طَـوَاهَا التُّرْبُ والْـمَدَرُ
يَـا طَالِباً وَزَراً مِنْ رَيْبِ حَـادِثَـةٍ   أَوْدَى سَعِيْـدُ فَـلاَ كَهْفٌ وَلاَ وَزَرُ
تَبْكِي عَلَيْكَ عُيُونُ الْحَيِّ مِنْ يَمَنٍ   ومن رَبِيْعَـةَ مَـا تَبْكِي لَـهُ مُضَرُ
كُـلُّ الْقَبَـائِـلِ قَـدْ رَدَّيْتَ أَرْدِيَـةً   مِنْ فَضْلِ نُعْمَاكَ لاَ يُجْزِي بِهَا شُكُرُ
ما خَصَّ رُزْؤُكَ لاَ قَيْسًا وَلاَ مُضَراً   إِنَّ الـرَّزِيَّـةَ مَعْمُـوْمٌ بِهَـا الْبَشَرُ
لَوْ كَانَ يَبْكِي كِتَابُ الله مِنْ أَحَدٍ   لِـطُولِ إِلْفِ بَكَتْـكَ الْآيُ وَالسُّـوَرُ
أَبُـو الْأَرَامِـلِ وَالْأَيْتَـامِ لَيْسَ لَـهُ   إِلَّا مُـرَاعَـاتُهُـمْ هَـمٌّ وَلاَ وَطَـرُ
لِلْهَـارِبِـيْنَ مَصَـادٌ غَـيْرُ مُـطَّلَعٍ   وَلِـلْعُفَـاةِ جَـنَـابٌ مُمْرِعٌ خَضِرُ
مِنْ كُـلِّ أُفْقٍ إِلَيْـهِ الْعِيْسُ مُعْمَلَةٌ   وَكُـلُّ حَيٍّ عَـلَى أَبْـوَابِـهِ زُمَـرُ

المصاد : رأس الجبل يَتَحَصَّنُ فيه الخائفون ، كما قال أوس بن حَجَرٍ :

إذا أَبـرَزَ الْـخَوْفُ الْكَعابَ فـإِنَّهُمْ   مَصَـادٌ لِمَنْ يَـأْوِي إِلَيْهِمْ وَمَعْقِـلُ
مُشَيَّعٌ لاَ يَفُوْتُ الـذَّحْـلُ صَـوْلَتَـهُ   وأَكْـرَمُ النَّاسِ عَفْـواً حِيْنَ يَقْتَـدِرُ
لاَ يَـزْدَهِيْـهِ لِغَـيْرِ الْـحَقِّ مَنْـطَقَـةٌ   وَلاَ تُنَـاجِيْـهِ إِلَّا بِـالتُّقَى الْفِكَـرُ
ثَبْتٌ عَـلَى زَلَـلِ الْأَيَّـامِ مُضْـطَلِعٌ   بِـالنَّائِبَـاتِ لِصَعْبِ الـدَّهْـرِ مُقْتَسِرُ
سَامِي الْـجُفُونِ يَرُوْقُ الطَّرْفَ مَنْظَرُهُ   وَأَطْهَـرُ النَّـاسِ غَيْباً حِيْنَ يُخْتَـبَرُ
الْـحِلْمُ يُصْمِتُـهُ وَالْـعِلْمُ يُنْـطِقُـهُ   وَفِي تُقَى الله مَـا يَـأْتِي وَمَـا يَـذَرُ
لَـمْ تَسْمُ هِمَّتُـهُ يَـوْماً إِلَى شَـرَفٍ   إِلَّا حَبَـاهُ بِمَـا يَسْمُـو لَـهُ الـظَّفَـرُ
يُعْطِيْكَ فَوْقَ الْـمُنَى مِنْ فَضْلِ نَائِلِهِ   وَلَيْس يُعْـطِيْـكَ إِلَّا وَهْـوَ مُعْتَـذِرُ
يَـزِيْـدُ مَعْـرُوْفُـه كِـبْراً وَيَـرْفَعُـهُ   أَنَّ الْـجَسِيْمَ لَـدَيْـهِ مِنْـهُ مُحْتَقَـرُ
وَلَيْسَ يَسْعَى لِغَيْرِ الْحَمْـدِ يَكْسِبُـهُ   وَلَيْس إِلَّا مِنَ الْـمَعْـرُوْفِ يَـدَّخِـرُ

عَفُّ الضَّمِيرِ رَحِيبُ الْبَاعِ مُضْطَلِعٌ ... لِحُرْمَةِ اللهِ وَالْإِسْلَامِ مُنْتَصِرُ
ما انْفَكَّ فِي كُلِّ فَجٍّ مِنْ نَدَى يَدِهِ ... لِلنَّاسِ جُوْدَانِ: مَحْوِيٌّ وَمُنْتَظَرُ
لَوَهَابَ عَنْ عِزَّةٍ أَوْ نَجْدَةٍ قَدَرٌ ... مِنَ الْبَرِيَّةِ خَلْقاً هَابَكَ الْقَدَرُ
لِيَبْكِ فَقْدَكَ أَطْرَافُ الْبِلَادِ كَمَا ... لَمْ يَخْلُ مِنْ نِعْمَةٍ أَسْدَيْتَهَا قُطُرُ
وَلْيَبْكِكَ الْمُرْمِلُونَ الشُّعْثُ ضَمَّهُمُ ... مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَى أَبْيَاتِكَ السَّفَرُ
وَذَاتُ هِدْمَيْنِ تُزْجِي دَرْدَقاً قَزِماً ... مِثْلَ الرِّئَالِ حَبَاهَا الْبُؤْسُ وَالْكِبَرُ
وَلْيَبْكِكَ الدِّيْنُ وَالدُّنْيَا لِرَعْيِهِمَا ... وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْأَعْسَارُ وَالْيُسُرُ
كَفَلْتَ عِتْرَةَ أَقْوَامٍ مُهَاجِرَةً ... عُثْمَانُ جَدُّهُمُ أَوْ جَدُّهُمْ عُمَرُ
وَقَدْ نَصَرْتَ وَقَدْ آوَيْتَ مُحْتَسِباً ... أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوْا
يَارُبَّ أَرْمَلَةٍ مِنْهُمْ وَمُكْتَهِلٍ ... أَيْتَمْتَهُ وَهْوَ مُبْيَضٌّ لَهُ الشَّعَرُ
للهِ شَمْلُ جَمِيعٍ كَانَ مُلْتَئِماً ... أَضْحَى لِيَوْمِ سَعِيدٍ وَهْوَ مُنْتَشِرُ
أَمْسَى لِفَقْدِكَ ظَهْرُ الْأَرْضِ مُخْتَشِعاً ... بَادِي الْكَآبَةِ وَاخْتَالَتْ بِكَ الْحُفَرُ
أَحْيَاكَ عَمْرُو وَلَوْلَاهُ وَإِخْوَتُهُ ... عَفَا النَّوَالُ فَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ خَبَرُ
أَلْهَمْتَهُمْ طَوْعَةً فَانْقَادَ رُشْدُهُمُ ... كُلٌّ يَرَاهُ بِحَيْثُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
كَأَنَّهُمْ كَنَفَاهُ وَهْوَ بَيْنَهُمُ ... بَدْرُ السَّمَاءِ حَوَتْهُ الْأَنْجُمُ والزُّهُرُ
بَنُو قُتَيْبَةَ نُوْرُ الْأَرْضِ نُورُهُمُ ... إِذَا خَبَا قَمَرٌ مِنْهُمْ بَدَا قَمَرُ
إِذَا تَشَاكَهَتِ الْأَيَّامُ وَاشْتَبَهَتْ ... أَبَانَ أَيَّامَكَ التَّحْجِيْلُ وَالْغُرَرُ
إِمَّا ثَوَيْتَ فَمَا أَبْقَيْتَ مَكْرُمَةً ... إِلَّا بِكَفَّيْكَ مِنْهَا الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ
إِنَّ اللَّيَالِيَ وَالْأَيَّامَ لَوْ نَطَقَتْ ... أَثْنَتْ بِآلَائِكَ الْآصَالُ وَالْبُكَرُ
كَانَ النَّدَى فِي شُهُوْرِ الْحَوْلِ مُقْتَسَماً ... بَيْنَ الْبَرِيَّةِ فَاغْتَالَ النَّدَى صَفَرُ

قال : وكان سعيد عامراً لطرق الخير ، عَوَّاداً على الأيتام والأرامل ، وعلى أبناء المهاجرين والأنصار ، وكان حسن العزاء ، وكان يُقَدِّمُ من بنيه عَمْراً

وسلّماً فأتاه موتُ ابنٍ له يقال له العباس ، في يوم مات سَلْـمُ بحضرته ، وكانت مِيتةُ العباس بكرمان ، قتله بها الخوارج ، فذكر الحسن بن رجاء أنهم دخلوا عليه مع رجاء بن أبي الضحاك ليعزُّوه عنهما ، فرأوا عنده من الْعَزَّاءِ مالَوْ شهِدَهُ من لم يعرف القصةَ لظنَّ أنه الْـمُعَزِّي .

وحدثني ابنٌ لموسى بن سعيد بن سلم أن سعيداً كان عنده قوم على الطعام في عقب موت سلم ، فحدثهم حديثاً ثم قال لهم واللقمة في يده : حدثني بهذا ابني سلم رحمه الله . ثم وضع اللقمة في فيه .

وقال عبد الصمد يرثي عمرو بن سعيد بن سلم :

هَرِيقا دَماً إنْ أُنْفِدَت عَبْرَةٌ تَجْري ... أبى الصَّبْرَ أنَّ الرُّزْءَ جَلَّ عَنِ الصَّبْرِ
وَلَا تَجْمُـدا عَيْنَيَّ قَدْ حَسَّنَ البُكـا ... وَفَرْطَ الأَسى فَقْدُ الـمُغَيَّبِ في القَبْرِ
لِيُغْـرِكـما بِـالبَثِّ أنْ لَسْتُ وَاقِفـاً ... مِنَ الصَّبْرِ يوماً بَعْدَ عَمْرٍو عَلى عُذْرِ
سَــلامٌ وَسُقْيـا مِنْ يَـدِ الله ثَـرَّةٌ ... عَـلَى جَسَـدٍ بـالٍ بِلَمَّـاعَـةٍ قَفْـرِ
جَـرَتْ فَوْقَـهُ الأَرْواحُ أَمْنـاً لِجَـرْيِـهِ ... وَقَدْ كُنَّ حَسْرى حينَ يَجْري كَما تَجْري
تَوَلَّى النَّدى وَالْبَأْسَ وَالحِلْمُ والتُّقى ... فَلَمْ يَبْقَ مِنْها بَعْدَ عَمْرٍو سِوى الذِّكْرِ
فَـإِنْ تَـطْوِهِ الأَيَّـامُ لَا تَـطْوِ بَعْـدَهُ ... صَنـائِعَ مِنْـهُ لا تَبيـدُ عـلى النَّشْرِ
مَـتى تَـلْقَـهُ لا تَـلْقَ إلاَّ مُمَنَّـعـا ... حِماهُ مَصُونَ العِـرْضِ مُبْتَذَلَ الـوَفْرِ
وَأَيُّ مَحَـلٍّ لا لِـكَـفَّـيْـهِ نِـعْـمَـةٌ ... عَلَى أَهْلِهِ مِنْ أَرْضِ بَرٍّ ولا بَحْرِ
وَمـا اخْتَلَفَـتْ حـالانِ إلاَّ رَأَيْتَـهُ ... رَكوبَ الَّتي تَسْبي هَيوبَ الَّتي تُزري
وَمَنْ تَكُـنَ الأَوْراقُ وَالتِّـبْرِ ذُخْـرَهُ ... فَما كانَ غَيْرَ الـحَمْدِ يَرْغَبُ في ذُخْرِ
كِـلا حـالَتَيْـهِ الجُـودُ أَنَّى تَصَـرَّفَتْ ... بِـهِ دُوَلُ الأَيَّـامِ في العُسْرِ وَاليُسْرِ
وَمـا عُـدِمَتْ يَـوْمـاً لِكَفَّيْـهِ أَنْعُمٌ ... تُضـافُ لَـهُ مِنْهـا عَـوانٌ إلى بِكْـرِ

وَمـا انْتَسَبَتْ إلاَّ إلَيْـهِ صَنِيعَـةٌ وَما نَطقَتْ إلاَّ بِهِ أَلْسُنُ الفَخْرِ
يَـرى غَبْنـاً يَـوْمـاً يَمُـرُّ وَلَـيْلَةً عَلَيْهِ وَلَمْ يَكْسِبْ طَرِيفاً مِنَ الشُّكْرِ
تُغَضُّ لـه الأَبصارُ عِنْدَ اجْتِلائِـهِ وَلَيْسَ بِـهِ إلاَّ الجَلالَـةُ مِنْ كِبْرِ
يَـرى جَـهْـرَهُ الـتَّـقِـيَّ وَسِـرَّهُ إذا ما اخْتَبَرْتَ السِّرَّ أَتْقى مِنَ الجَهْرِ
وَلَمْ يَصْحُ مِنْ يوم وَلَمْ يُمْسِ لَيْلَةً بِغَيْرِ اكْتِساب الحَمْدِ مُشْتَغِلَ الفِكْرِ
وَكـانَتْ تَعُمُّ النّاسَ نَعْـماءُ كَفِّـهِ فَعَمُّـوا عَلَيْـهِ بـالمُصيبَـةِ والأَجْـرِ
تَنـاعـاهُ أَقْـطارُ البِـلادِ تَـفَجُّـعـاً لِمَصْرَعِـهِ تَبْكِيـهِ قُطْراً إلى قُـطْرِ
تَباشَرَ بَطْنُ الأَرْضِ أُنْساً بِقُرْبِـهِ وَأَضْحَتْ عَلَيْهِ وَهْيَ خاشِعَةُ الظَّهْرِ
وَلَمْ تَـكُ تُسْقى الأَرْضُ إلاَّ بِسَيْبِهِ إذا ما جَفا أَقْـطارَها سُبُـلُ القَطْرِ
إذا نَشَـأَتْ يَـوْمـاً لِكَفَّيْـهِ مُـزْنَـةٌ أُديلَ الغِنى في كلِّ فَجٍّ مِنَ القَفْرِ
هَوى جَبَلُ الله الَّذي كانَ مَعْقِلاً وَعِـزًّا لِـدينِ الله ذُلًّا عَـلَى الكُفْـرِ
عَجِبْتُ لأَيْدي الحَتْفِ كَيْفَ تَغَلْغَلَتْ إلَيْـكَ وَبَيْنَ النَّسْرِ بَيْتُـكَ والنَّسْرِ
وَمَا كُنْتُ بُالْـمُغْضي لِدَهْرٍ على القَذى وَلا لَـيِّنٍ لِلْحادِثـاتِ عَلى القَسْرِ
وَلَوْ دَفَعَ العِـزُّ الحِمامَ عَنِ امْرِئٍ لَما نالَ عَمْـراً لِلْحِـمام شَبا ظُفْـرِ
أَلَمْ تَكُ أَسْبابُ الـرَّدى طَوْعَ كَفِّـهِ تُبِـينُ لِصَرْفَي مايَـرِيشُ وَما يَـبْرِي
إذا صاحَ داعي الرَّوْعِ سَارَ أَمامَهُ لِـواءَانِ مَعْقـودانِ بِـالفَتْـحِ وَالنَّصْرِ
يُقَسِّمُ آجـالَ العِـدى عَـزْمُ بَـأْسِـهِ بِهِنْـدِيَّـةٍ بيضٍ وَخَـطِّيَّـةٍ سُـمْـرِ
وَمَا ذَبَّ إلاَّ عن حِمى الدِّين سَيْفُهُ وَلا قَـادَ خَـيْـلَ الله إلاَّ ثَـغْـرِ
وَقَدْ كانَ يَقْري الحَتْفَ أَعْداءَ سِلْمِهِ فَأَضْحى قِرى ماكانَ أَعْـدَاءَهُ يَقْري
تَـوَلَّى أبو عَمْـرٍو فَقُلْنَا لَنـا عَمْـرٌو كَفـانا طُلوعُ البَـدْرِ غَيْبُـوبَـةَ البَـدْرِ
وَكـانَ أَبُـو عَمْـرٍو مُعاداً حَيـاتُـهُ بِعَمْرٍو فَلَمَّا مَاتَ مَـاتَ أَبو عَمْـرٍو
وَكُنّـا عَلَيْـهِ نَحْـذَرُ الـدَّهْـرَ وَحْـدَهُ فَلَم يَبْقَ مايُخْشى عَلَيْهِ مِنَ الـدَّهْرِ

وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّ مَنْ عاشَ بَعْدَهُ ... يُلاقي الَّذي لاقى وإنْ مُدَّ في العُمْرِ
وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّني لا أَرَى امْـرَءاً ... مِنَ النَّاس إلَّا وَهْوَ مُغْضٍ عَلى وَتْرِ
رَمَتْنَا اللَّيالي فيكَ يا عَمْرُو بَعْدَمـا ... حَمِدْنَا بِـكَ الدُّنْيـا بِقاصِمَـةِ الظَّهْـرِ
سَأَجْزِيكَ شُكْرِي ما حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ ... أَبَقَّ ثَنـاءً فيـكَ يَبْقى إلى الحَشْرِ
وأُوثِـرُ حُـزني فِيـكَ دُونَ تَجَلُّدي ... وَإِسْبالَ دَمْعٍ لا بَكيءٍ وَلا نَـزْرِ

انتهى ما أورد المبرد[1].

سلم بن قتيبة

قال البلاذري[2]: كان سلم بن قتيبة عاقلاً ، وقد ذكرنا خبره بالبصرة في كتابنا هذا . المدايني قال : قال سلم بن قتيبة ويكنى أبا قتيبة ، لا تستعينَنَّ على من تطلب إليه حاجة بمن له عنده طُعْمَةٌ ، فإنه لا يؤثرك على نفسه ، ولا بكذَّابٍ فإنه يُبَاعِدُ لك القريبَ، ويقرب البعيد ، ولا بأَحمقَ فإنه يستفرغ مجهودَه ولا يبلغ لك ما تريد . المدايني عن أبي إسحاق المالكي أن سلم بن قتيبة قال : ثلاثة استقلُّ لهم عَظِيمَ ما بذلته من مكافأتهم ، رجل قام عن مجلسه فأوسع لي ، والمجلس غاصٌّ بأهله ، ورجل تَصَفَّحَ ثِقاته فاختارني عليهم لحاجته ، ورجل أسلفني مَالَهُ عند حاجتي إليه فصانني به وقالوا : قال سلم بن قتيبة أو أبوه قتيبة : مامن رجل إلَّا وأنا أَقْدِرُ على مكافأته إلا رجل خرج من بيته يخوض أقطارَ البصرة حتى أتاني في منزلي فآنسني بحديثه ، قال المدايني : وأَتَى سَلْـمًا قومٌ من أهل الكوفة فقالوا له : يا أبا قتيبة أَتيناك في حاجة ليست عليك فيها مؤونة ولا مَرْزَأَة ، ولا تعلو لك ظهراً ، فقال : هذه من أبغض الحوائج

(١) «التعازي والمراثي» - ١٧٥ -.
(٢) «أنساب الأشراف» نسب باهلة .

إليَّ ، ما أُحِبُّ أَنْ أُسْأَل إلا مايَثْقُلُ مَحْمَلُهُ ، وتعظم مرزأتُهُ ، ثم سألوه حاجتهم فقضاها ، وقال : لكم الفَضْلُ فيها إذْ قصدتُّمْ إليَّ بها ، وتكلم رجل كلاماً حسناً فحسده بعضُ من حضر ، فقال : هذا كلام تعلمه ، فقال سَلْمٌ : قد أحسن من سمع كلاماً حسناً فحفظه ثم أَدَّاهُ في موضعه . وقال سلم : ما أتاني رجل ثَلاثَ مراتٍ مُسَلِّماً لا يسألني حاجة فَدَرَيْتُ ما مكافأته ، وقال سَلْمٌ : لا أَعدُّ الرجلَ عاقلاً ما لم يكن رفيقاً . وكان سلم يقول : ربما طويْتُ سِرِّيْ عن صديقي وثقتي ، مخافةَ أَن ينتقل عن مودتي فيذيعه عني ، وحدثني الأثرم قال : قال سلم بن قتيبة : بلغني أنَّ غرابَ بن ظالم بن فزارة قال لولده : لا تَأْمَنَنَّ صَدْرَ امرأةٍ ولو كانت أُمَّكَ ولا تأمَنَنَّ على سرك غيرك ، وأنا أقول : لا تأمنن عليه أباك فربما أَفْشَى الشَّفِيْقُ سِرَّكَ مسقطاً ؟، وحدثني محمد بن الأعرابي عن سعيد بن سلم قال : كان سَلْمُ ينشد هذا البيت كثيراً ، فلا أدري أهو له أم لغيره :

ومن أَسْوَءِ الظُّلْمِ قَرْفُ الْبرِيْ وَحَمْلُكَ ذَنْباً عَلَى مُعْذِرِ

وكان سلم يقول : من أنِفَ من قول (لا أَدْرِي) تكلف الكِذبَ وتعرَّضَ للهُزْءِ والاسْتِخفاف وكان سلم يقول : زَيِّنْ ما علمت بتركك ادِّعَاءَ مالم تعلم ، وحدثني ابنُ الأعرابي عن سعيد بن سلم قال : لبس أبي ثوب خَزٍّ مُوَجَّهٍ أُنْفِقَ عليه مال ، فجعل وجوه أهل البصرة ينظرون إليه ، ويتعجبون منه ، ويقولون : هذا إسراف فقال : إني أخبرت عن أبي رجاءٍ العُطَارِدِيّ أنه قال : خرج علينا عِمْرانُ بنُ حُصين وعليه مِطْرَفُ خَزٍّ لم يُـرَ مثْلُهُ فقال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذَا أنعم على عَبْدٍ نعمةً أَحَبَّ أَنْ يُرَى عليه أَثَرُهَا » وقال سَلْمُ : إذا أقبلَ الأمرُ أَعْيَتِ الحيلةُ في إدباره ، وإذَا أَدْبَرَ أَعْيَتِ الحيلةُ في إقباله ، وروى عن سلم بن قتيبة وعن ابن ضُبارة أيضاً أنه رآى رجلاً يُسَارُّ

رجلاً في المجلس فَيُكْثِرُ ، فقال : إني لأَعُدُّهُ مَأْفُوناً لكثْرَة سِرارِهِ في المجلس ، وقال سلم : من مَطَلَ معروفهُ حتى يَكِدَّ صاحِبُه في طلبه فقد أَخذ ثَمَنَهُ ، وقال سعيد بن سلم : قال لي أبي : لا تَستَحِي من المسألة عَمَّا جَهِلْتَ فإنَّ مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِلْمُه ، قال سلمٌ : أَوْلُ دناءة الْـحِرْصِ تَأْمِيلُ البخيل ، وقال سلم أو قتيبة : الصبر على كتمان السرِّ أَيْسَرُ من الندامة على إفْشائه ، وروي عن سَلْمٍ أنه قال : وجدتُ اللَّجَاجةَ أَقَلَّ الأَشْيَاء منفعةً وأَضَرَّهَا في العاقبة ، ووجدت أَنْكَدَ الْعَيْشِ عَيْشَ الحسود ، وقال سلم ـ ويقال أَبوه : لا تَكْمُلُ مروءةٌ مع اتِّباع الهوى ، فَإِنَّ الهوَى كَمِينٌ غير مأمون ، وقال سلم : مِنَ المروءة الصبر على مناجاة الرجال ، وكانت أُمُّ سلم بن قتيبة أم ولد . انتهى كلام البلاذري .

وقال ابن عساكر في ترجمته[1] : هو سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمر بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قضاعي بن هلال بن عمر بن سلامة بن ثعلبة بن وايل بن معن بن مالك بن أعصر ، وقال هكذا ذكر نسبه أبو بكر الخطيب ، وذكر من روى عنه .

ونقل عن خليفة بن خياط قال : قدم سَلْـمُ بن قتيبة والياً على البصرة من قِبَل ابن هُبيرة ، فَسَوَّدَ سفيانُ بن معاوية ، وحارب سَلْماً ، فظهر سلم عليه ، ثم خرج سلم من البصرة حين سلم ابن هبيرة ، واستخلف على البصرة وقال : وفيها يعني سنة ست وأربعين ومئة وَلَّى أبو جعفر المنصورُ سَلْـمَ بن قتيبة البصرة يسيراً ثم عزله ، وساق بسنده إلى الزبير بن بكار : حدثني إبراهيم بن المنذر عن أبي عمر المديني قال : عرضتْ لي إلى سلم بن قتيبة حاجةٌ وهو والي

(١) «تاريخ دمشق» ٧/٥٢٣ .

البصرة ، فلقيت بعض أصحابه فسألته القيام بها فضمنها ، ومكثت أختلفُ إلى باب سَلْـمٍ أَيَّاماً والرجل يمطلني ، ويذكر أن الكلام في الحاجة لا يمكن ، فبينا أنا بالباب ذات يوم إِذْ خرجَ سَلْـمُ راكباً فوقعت عينه علي ، وقد كانت بيني وبينه مودة متقدمة ، فدعاني فقال : أتطالب قِبَلَنا شيئاً يا أبا عمرو ؟ فقلت : حاجتي حَمَّلْتُهَا فلانا منذ أيام . فقال : إنْ كُنْتُ لأَظنُّ أَنَّك أَحْزَمُ مِمَّا أرى !! إِذَا كانَتْ لك إلى رجل حاجةٌ فلا تُحَمِّلَنَّها من له قبله طُعْمَةٌ فإنه لن يؤثِرَكَ على طُعمته ، ولا تحملنها كذاباً ، فإنَّ الكذاب يقرب لك البعيد ، ويباعد لك القريب ، ولا تحملنها أحمقَ ، فإنه يجهد لك نفسه ثم لا يَصْنَعُ شيئاً قال : ثم أمر بقضاء حاجتي ، وأورد الخبر عن ابن أبي الدنيا : لا تُنْزِلُ حاجتك بكذاب فإنه يبعدها وهي قريبة ، ويقربها وهي بعيدة ، ولا برجل له عند قوم أكل فإنه يجعل حاجتك وِقَاءًا لحاجته ، ولا إلى أَحْمَقَ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وساق عنه أخباراً كثيرة وأقوالاً حسنة منها : إنما الدنيا العافية ، والشباب الصحة ، والمروءة الصبر على الرجال ، ولا خَيْرَ في المعروف إذا أُحْصِـي ، ومن المروءة أَن تَصُوْنَ ثَوْبَـي جمعتك ، وتكثر تعاهد ضيفك ، وتعرف في المسجد مَجْلِسَك ، وسُئل : ما الصبر على الرجال ؟ فوصف المداراة : وذكر أنه توفي سنة تسع وأربعين ومئة بالرَّيِّ - وصلى عليه المهدي لعظم شأنه - انتهى .

وقال ابن الأثير[1]: كان سلم بن قتيبة مشهوراً عظيم القدر ، وتوفي سنة ١٤٩ ، ولي البصرة فى أيام المنصور .

وقال العبدي في كتاب «العفو والاعتذار»[2]: لما توفي السفاح ، وأَخذ عيسى ابن علي للبيعة على الناس لأبي جعفر ، وكان لا يمرُّ به أحد ممن يأخذ عليه البيعة

---

(١) «الكامل ١/١٦٨ .

(٢) ١/١٦٧ و ٢٥١ تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح .

إلا مسح يده على يده وقبلها حتى مر سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، وكان سلم مدة أيام أبي العباس يجول في البادية خوفاً من أبي العباس ، لأنَّ سلما كان مَرْوَانِـيَّ الرَّأْيِ ، وكان من أشدِّ قواد الدولة ، فقدم الأَنْبَارَ قبل موت السفاح بأيام ، بأمانٍ بعث إليه أبو العباس ، فلما بايع سلم بن قتيبة ومسح يده على يد عيسى انصرف عنه ولم يقبلها ، وكان الناس في تلك الأيام لا يعرفون تقبيل اليد ، إنما هو شيء جاء به أَهْل خراسان ، فاستنكر ذالك عيسى بن علي ، وأخذ بثوبه وقال له : من أنت ؟ قال : أنا سلم بن قتيبة بن مسلم . فقال عيسى بن علي : المبغضُ لدولتنا المروانِـيُّ الرأْيِ والْهَوَى ، الغاشُّ لأمير المؤمنين ولدولته . فقال سلم : ألا أَدُلُّكَ على من هو أغشُّ لأمير المؤمنين ولدولته مني ؟ من يزعم أنه مع أمير المؤمنين وفي حَيِّزه وهو ثَانِـي عُنُقِهِ إلى أخيه ، ويقدم رِجْلاً ويؤخر أخرى ، ويقول : أيهما ظَفِرَ كُنْتُ معه ، قال : وانتزع ثوبه من يده وانصرف .

ونقل عن الأصمعي قال : بينا سلم بن قتيبة يسايرُ أبا عَمْرِو بن العلاء في طريق مكة في ليلة قمراء قال سلم : يا أَبَا عَمْرٍو أَنْشِدْنَا ، فأَنشده للفرزدق :

تَـحِـنُّ بِزَوْرَاءِ الْـمَدِيْنَـةِ نَاقَتِـي حَنِينَ عَجُوْلٍ تَبْتَغِـي الْبَوَّ، رَائِمِ

فَمَرَّ في إنشادها وهو ساه عما فيها من هِجاء قتيبة حتى إذا بلغ إلى قوله :

أَتغْضَبُ أَنْ أُذْنَـا قُتَيْبَـةَ حُـزَّتَـا جِهَاراً وَلَـمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ
ومـا مِنْهُـمَا إلَّا بَعَثْنَـا بِـرَأْسِـهِ إِلَى الشَّامِ فَوْقَ الشَّاحِجَاتِ الرَّوَاجِمِ

عرف أبو عَمْرٍو ماعليه في ذالك ، فسكت ، فقال سلم : إِيْهاً أَبَا عَمْرٍو اضْرِب بِها وجوهَنا في سواد الليل ! . ولم يتنكر له .

وتجد أخبار سلم هذا في «تاريخ ابن جرير»[١] مفرقة .

وفي كتاب «الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة»[٢] للبري : وولدُ قتيبةَ كَثيرٌ ، منهم سلم بن قتيبة ، ولي البصرة مرتين ، مرةً لابن هُبَيرة ، ومرةً لأبي جعفرٍ ، وكان سيدَ قومه ، ومات بالرَّي ، وكنيته أبو قتيبة . وولد سلم جماعة منهم سعيد بن سلم ، ولي أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة ، وولده كثير ، وكان من الأَجواد ، ومُدِحَ وهُجِيَ ، ولم يكن أَهْلاً للهِجاء لكرم سجيته ، وطهارة طويَّتِه ، والشاعر ربما مَدَحَ على ٱلْأَدْنَى من الأعراض ، وهجا على اليسير من الأغراض ، فيبقى ذكرهما في الأعقاب مدى الأحقاب ، والعاقل من وَقَى عرضَه من شاعرٍ ذي لَسَنٍ ، بصلة وقول حسن ، وقد أَوْصى بوقاية العِرْضِ خاتمُ الأَنْبياء ، المختص بالمقام المحمود ، واللواء ، الذي رفع الله ذكره ومكانه ، وأولاه حبه ، وحشا بعد الشق والتطهير حكماً وعلماً قلبه ، قال أمير المؤمنين الرشيد يوماً لسعيد بن سلم : يا سعيد ، من بيت قيس في الجاهلية ؟ قال : يا أمير المؤمنين بنو فَزارة . قال : فمن بيتهم في الإسلام ؟ قال : يا أمير المؤمنين الشريف من شرفتموه . قال : صدقت أنت وقومك . انتهى .

وأورد الأزدي في كتاب «تاريخ الموصل» : حُدِّثْنا عن عبدالله بن بكر عن محمد بن مرزوق قال : حدثنا مسلم بن قتيبة الباهلي[٣]، فقال : حدثنا يونس ابن الحارث عن إسماعيل بن عبدالله عن خالد بن عبدالله عن جده أسد بن كُرْزٍ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إن المريض تَحَاتُّ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ ورقُ الشجر » .

---

(١) ٣٣٣/٥ و٤٧٦/٦ و١٥٤/٧ ، ١٥٦ ، ١٩٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٥٦٥ ، ٦٣٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤٩ ، ٦٥٥ و٢٤/٨ .

(٢) ٣٤٩/١ .

(٣) ٢١٥ كذا ورد في مطبوعة الكتاب (مسلم) وأرى الصواب (سلما) .

سلمان بن ربيعة الباهلي

تقدم نسبه في ترجمته في الصحابة وقال الخطيب[1]: سلمان بن ربيعة الباهلي ، تابعي . حدث عن عمر بن الخطاب - روى عن أبو عثمان النهديِّ ، وأبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي . وشهد سلمانُ يوم القادسية ، وولاهُ عمر ابن الخطاب قضاء المدائن ، وهو أول من قضى بالعراق ، ثم عزله فخرج غازياً للترك ، ثم انصرف فاستشهد ببلنجر[2]، ثم روى بسنده إلى أبي وائل شقيق ابن سلمة قال : رأيت سلمان بن ربيعة جالساً بالمدائن على قضائها واستقضاه عمر بـن الخطاب أربعين يوماً ، فما رأيت بين يديه رجلين يختصمان لا بالقليل ولا بالكثير ، فقلنا لأبي وائل : فَمِـمَّ ذاك ؟ قال من انتصاف الناس فيما بينهم ، وإلى وكيع بن الجراح قال : أولُ من ولي قضاء الكوفة سلمان بن ربيعة فمكث أربعين يوماً لا يأتيه خصم . وإلى أبي مسلم صالح بن أحمد بن عبدالله العجلي حدثني أبي قال : سلمان بن ربيعة الباهلي كُوْفِـيٌّ ثقة ، تابعي ، وكان من كبراء التابعين . وروى عن الهيثم بن عدي قال : سلمان بن ربيعة الباهلي قتل في ولاية سعيد بن العاص استشهد ببلنجر في خلافة عثمان . وروى بسنده عن عبيدالله بن يحيى بن عبدالله بن بكير قالا : سلمان بن ربيعة قتل ببلنجر من بلاد أرمينية ، سنة تسع وعشرين ويقولون سنة ثلاثين ويقال مات سنة إحدى وثلاثين . انتهى كلام البغدادي ملخصاً وتقدم ذكر سلمان في الصحابة وفي العلماء . وقال ياقوت الحمويُّ في الكلام على باب الأبواب[3]: وأما حديثها أيام الفتوح فإن سلمان بن ربيعة الباهلي غزاها في أيام عمر بن الخطاب رضي

---

(١) «تاريخ بغداد» ٩/٢٠٦ .

(٢) مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب «معجم البلدان» .

(٣) «معجم البلدان» ١/٣٠٥ - رسم (باب الأبواب) و (بلنجر) .

الله عنه ، وتجاوز الحصنين وبلَنْجر ، ولقيه خاقان ملك الخزر في جيشه خلف نهر بلنجر ، فاستشهد سلمان بن ربيعة وأصحابه ، وكانوا أربعة آلاف ، فقال عبدالرحمن بن جمانة الباهلي يذكر سلمان بن ربيعة وقتيبة بن مسلم الباهليين يفتخر بهما :

وإنا لَنَا قَبْرَيْنِ: قَبرٍ بَلَنْجَرٍ وقَبْرٍ بِصِينْ اسْتَانَ يَالَكَ مِنْ قَبْرِ!!
فهذا الذي بالصين عَمَّتْ فتوحه وهذا الذي يُسْقَى بِهِ سَبَلُ الْقَطْرِ

يريد أَنَّ الترك أو الخزر لما قتلوا سلمان بن ربيعة وأصحابه كانوا يبصرون في كل ليلة نوراً عظيماً على موضع مصارعهم ، فيقال : إنهم دفنوهم وأخذوا سلمان بن ربيعة وجعلوه في تابوت ، وسيروه إلى بيت عبادتهم ، فإذا أجدبوا أو أقحطوا أخرجوا التابوت وكشفوا عنه فيسقون . انتهى .

وانظر أخباره في تاريخ ابن جرير مفرقة(٤) ومنها موقفه المشرف البارز أثناء وقعة القادسية ، وقد سبق ذكره في موضع آخر .

سليمان بن موسى الباهلي

كان ممن شارك في وقعة البطحاء في الرياض سنة ١١٦٣ بين الإمام محمد بن سعود ومعه أهل الدرعية ، وبين أمير الرياض دِهَام بن دَوَّاس ، قال ابن بشر(٢) : سار محمد بن سعود بجنوده ، ومعه رجال مشهورون بالشجاعة . وعد منهم سليمان بن موسى الباهلي . كذا ذكر ابن بشر ، مع أنه ذكر في سوابقه في حوادث سنة ١١٢٦ وفاة سليمان بن موسى بن سليمان الباهلي ، ولا شكَّ أن هذا من الأعيان ، لأنه لا يذكر إلا وفيات الأعيان .

---

(٤) «تاريخ الأمم والملوك» ٣/٤٨٩/٥٦٩/٥٧٠/ و٤/٢٠/٢٢/٢٩/٥٢/١٣٩/ ١٥٦ إلى ١٥٩/٢٤٦ إلى ٢٤٨/٣٠٤ إلى ٣٠٦/٣٣٠ و٥/٢١٦/٢١٧/٣٩٦ و٦/٢٨٢ .

(٢) «عنوان المجد» ١/٦١ ط دارة الملك عبدالعزيز .

سُمَيْر بن ربيعة الباهلي

هذا الذي يضرب بن المثل في الجرأة فيقال : (أجرأ من فارس خصاف) ، وقد ورد اسمه في مطبوعة كتاب « نسب الخيل » لابن الكلبي (سفيان) وما أرى هذا إلا تَصْحِيْفاً ، إذ المتقدمون يسقطون الألف عند كتابة اسم سفيان ، وتقويس النون يشتبه مع تقويس الراء ، وكذا عقدتا العين والميم ، ولكن ورد اسم (سمير) في مصادر أخرى منها « أسماء خيل العرب » لأبي محمد الأعرابي الغندجاني ، وفي كتاب « الخيل » لابن الأعرابي .

قال ابن الكلبي[1] في خيل قيس عيلان ومنها : خَصَافِ : فرسُ سُفيان بن ربيعة الباهِليِّ . وهي التي يَضْرِبُ بها الناسُ مَثَلاً : (لَأَنْتَ أَجْرَأُ من فارِسِ خَصَافِ) وعليها قَتَلَ قُولا الـمَرْزُبانَ ، وكانَ كِسْرَى وجَّه جُنْداً عظيماً من الـمَرازِبة ، وهي الأحرار ، فهابَتْها مُضَرُ هَيْبَةً شديدةً لِـمَا رَأَوْا من سلاحِهم ونُشَّابِهم ، وقالوا : لا يموتُ هاؤلاءِ أبداً . وأنَّ سُفيانَ بن ربيعة واقِفٌ على فَرَسِهِ خَصَافِ إِذْ جاءَتْ نُشَّابَةٌ فوَقَعَتْ عند حافِرِ الفرسِ ، فقال : إنْ كادَتْ هذه النُّشَّابَةُ لَتُصِيبُني . ثم نظرَ إليها تهتزُّ في الأَرضِ ساعةً ، فنزلَ فحَفَرَ عنها فإذا هي وَقَعَتْ في رأس يَرْبُوعٍ فَقَتَلَتْهُ فقالَ : مَا الْـمَرْءُ في شيْءٍ وَلَا الْيَرْبُوعُ في شَيْءٍ مع القضاءِ ، فذهبت مثلاً . وحملَ على قُولا ، ويُزْعَمُ أَنَّ سِنانَ رُمْحِهِ يومئذٍ قَرْنُ ثَوْرٍ ، من بَقَر الوحشِ ، فطعنَهُ بين ثَدْيَيْهِ حتى أَخرجَ سِنانَهُ من بين كَتِفَيْهِ ثـمّ قالَ : يَا لَقَيْسٍ إِنَّهُم يَموتونَ فقالتِ العربُ : (لَأَنْتَ أَجْرَأُ من فارس خَصافِ) .

---

(١) «نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها» ـ ص ٥٠/٥١ ـ.

شَبِيبُ بن جَحْل بن نضلة الباهلي

قال ابن حجر في «الإصابة»[1]: له قصة مع أبي موسى الأشعري في الفتوح ، تدل على أنه أدرك الجاهلية وعمر حتى شاخ ، ذكره الزبير بن بكار في «الموفقيات» بغير إسنادٍ أن أبا موسى الأشعريَّ عرض الخيل ، فمر به شبيب بن جحل بن نَضلة الباهليُّ على فرس أعجف فقال : بَالٍ على بَالٍ ، فبلغه ذالك فأنشد :

رَآنِـي الأَشْعَـرِيُّ فَقَـالَ: بَـالٍ عَلَى بَالٍ، ولَـمْ يَعْلَـمْ بَلاَئِـي
وَمِثْلُكَ قَدْ قَضَيْتُ الرُّمْحَ فِيهِ فَبَـاءَ بِـدَائِـهِ وَشَفَـيْتُ دَائِـي

شدّاد بن خالد الباهلي

ذكر ابن جرير أنَّ الجنيد بن عبدالرحمن الْـمُرِّي استعملَ على خراج سمرقند سنة إحدى عشرة ومئة شداد بن خالد الباهلي[2] وكان شداد قد شخص إلى هشام بن عبدالملك ، فشكى أمِيْرَ خراسان أشرسَ بن عبدالله الـسُّلَمِـيَّ ، فعزله هشام ، واستعمل الجنيد بن عبدالرحمن على خراسان سنة إحدى عشرة ومئة[3] .

وكان سعيد بن عبدالعزيز بن الحارث بن الحكم بن العاص والي خراسان سنة ١٠٢ قد أمر شداد بن خالد (خليد) الباهلي بمحاسبة معاوية بن الحجاج الطائي ، وكان ولي ولاية قبل سعيد ، فضيق عليه شدادٌ ، فقال : يا مَعْشَرَ قَيْسٍ ! سِرْتُ إلى قصر الباهلي وأنا شديدُ البطش ، حديدُ البصر ، فَعُوِّرْتُ

---

(١) حرف الشين القسم الثالث رقم الترجمة (٣٩٥٩).
(٢) «تاريخ ابن جرير» ٧/ ٦٩ .
(٣) ٧/ ٦٧ .

وشُلَّتْ يَدِي ، وقاتلت مع من قاتل حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا على القتل والأسروالسبي ، وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع ؟ فَكُفُّوهُ عني فخلاه[1].

شريك بن الصامت الباهلي

هو أحد بني وائل ، وكان على شرطة قتيبة ، فأرسله ومعه رجل من غَنِيٍّ إلى وكيع بن أبي سَوْدٍ التميمي ، الذي ثار عليه فقتله ، ووجه معهما خيلاً ليأتياه به ، ولكنهما لم يستطيعا ، ويقال كان على شرطه بخراسان ورقاء بن نصر[2].

ولشريك هذا ابنٌ ذكره ابن جرير في حوادث سنة ١١٧[3] في خبر أَخْذِ أَسَد ابن عبدالله جماعةً من دعاة بني العباس لخراسان ، وكان أحدهم قال : إنَّ هذه الـمُضَرِيَّة إنَّما رفعوا إليك هذا لأنا كنا أشدُّ الناس على قتيبة بن مسلم ، وإنما طلبوا بثأرهم . فتكلم ابنُ شريك بن الصامت الباهلي وقال : إن هاؤلاء القوم قد أُخذوا مرة بعد المرة ، فقال مالك بن الهيثم : أصلح الله الأمير ! ينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره ، فقالوا : كأنك يا أخا باهلة تطلبنا بثأْرِ قُتَيبة ! نَحْنُ والله كُنَّا أَشَدَّ الناس عليه . فبعث بهم أسد إلى الحبس . انتهى .

شريك بن عمرو الباهلي

تولى شريك هذا ـ على ماذكر البلاذري[4] ـ شرطة البصرة .

شَقيق بن جَزْءِ الباهلي

هو شقيق بن جزء بن رياح بن عمرو بن عبشمس ـ وانظر بقية النسب في

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» لابن جرير ٦/٦١١ .
(٢) المصدر السابق : ٦/٥١٣ .
(٣) المصدر السابق : ٧/١٠٨ .
(٤) «أنساب الأشراف»: ٥/١٨٢ .

الكلام على هذا الفرع ـ قال ابن جرير في «الإصابة»: ويقال[1]: اسم أبيه حريز، له إدراك، واستشهد باليرموك، ذكره ابن عساكر.

وقال ابن حجر أيضاً: في ترجمة حكيم بن قبيصة بن ضرار الضبي ـ فيما نقل عن ابن قتيبة بسنده[2]: لما كان يوم سُلَّى وسَاجِرٍ طردَ شقيقُ بن جزء بن رياح الباهلي حكيمَ بن قَبيصة ـ فذكر قصة لم يوردها ابن حجر ـ وقال: فحدثني غير واحد من أصحابنا أن شقيقاً أدرك الإسلام، فاستشهد باليرموك قال: وقال غيره: وأدرك حكيم الإسلام فأسْلم، وعاش إلى زمن معاوية فقال له: أيُّ يومٍ من الزمن مَرَّ بك أَشَدُّ؟ قال: يوم طردني شقيق. قال: فأيُّ يوم مَرَّ بِك أَحَبُّ؟ قال: يوم هداني الله للإسلام. انتهى. ومناسبة إيراد ترجمته أنه من شجعان بَاهِلة، وممن لهم ذِكْر في أحد أيامها في الجاهلية وعَدَّه أبو عبيدة: فارس باهلة[3].

شَمّاس بن هوذة الباهلي

قال البلاذري: المدائني عن أبي سليمان العنبري قال: قال: معاوية لأبي هوذة بن شماس الباهلي: لقد هممتُ أن أَحْمِلَ جمعاً من باهلة في سفينة ثم أغرقهم، فقال: إذِنْ لا نرضى بعدَّتهم من بني أمية!! فقال: اسكت أيها الغراب الأبقع، قال: إن الغراب ربما درج إلى الرَّخَمَةِ حتى يَنْقُرَ دِمَاغَهَا ويقتلع عينيها، فقال يزيد: اقتله يا أمير المؤمنين، قال: مَهْ؟، ثم إنَّ معاويةَ وجَّهَهُ بَعْدُ في سرية فقتل فقال معاوية ليزيد: يابني هذا أخفى[4]. انتهى. كذا ذكر البلاذري الرجل بكنيته، ولم يذكر اسمه، ولكن يظهر مما أورده الجاحظ أن اسمه شماس بن هوذة بن شماس.

---

(١) «الإصابة» ٣/٣٨٦ ط: دار نهضة مصر. (٢) المصدر: ٢/١٧٨.

(٣) «الممتع في صنعة الشعر» ص ٦٦.

(٤) «أنساب الأشراف» ـ القسم الرابع ـ ص ٢٣/٢٤ ـ.

وقال الجاحظ(١): قال : ومن البُرْصان أبو هوذة بن شماس الباهلي أحد بني قتيبة قال أبو الحسن قال معاوية يوماً : والله لهممت أنْ أَمْلأ سفينةً من باهلة فأبعثَ بها إلى الْيَـمِّ فإذا توسطوا غرقتهم قال : فقال له أبو هَوْذَة بنُ شَمَّاس : إِذَنْ ما رضينا بعددهم من بني أمية قال : اسكت أيها الغراب الأبقع ، فقال هوذة : إنَّ الغرابَ ربما مشى إلى الرَّخَمَةِ حتى ينقرَ عَيْنَها ، فلما كان بعد ذاك قال له ابنه يزيد : هَلَّا قتلته ؟ ثم إنَّ معاوية أرسله في بعض البعوث فقتل فقال معاوية ليزيد : هذا أَخْفَى وأَعفى(٢) قال أصم باهلة(٣) في شماس بن هوذة بن شماس :

أَشَمَّاسُ لَوْ كَانَتْ صِحَاحاً جُلُودُكُمْ عـذَرْتُ ولٰكِنَّ الشـآمِـيَّ أَرْقَطُ

فهذا البيت حمل بعض الناس كل من قيل في الشعر أنه أرقط أنه أبرص . وليس ذالك بالواجب .

وأورد الخبر في كتاب «الحيوان»(٤) ـ فيما نقل عن أبي الحسن المدائني : أن معاوية قال لأبي هوذة بن شماس : لَقَدْ هممتُ أن أَحْمِلَ جمعاً من باهلة في سفينة ثم أغرقهم ، فقال أبو هوذة : إِذَنْ لا ترضى باهلةُ بِعِدَّتهم من بني أمية ، قال : اسكت أيها الغراب الأبقع وكان به برص ، فقال أبو هوذة : إن الغراب الأبقع

---

(١) «البرصان والعرجان والعميان والحولان» ص ٩٩/١٠٠ ـ.

(٢) وانظر الخبر في «أنساب الأشراف» القسم الأول من الجزء الرابع ـ ص ١٩ ـ طبعة الجامعة العبرية ـ.

(٣) الأصم لقب له واسمه عبدالله بن الحجاج بن عبدالله بن كلثوم من بني ذبيان بن جِثاوة بن معن بن مالك بن أعصر كما في «المؤتلف» ٤٤ . وورد نسبه في «النقائض» ١٠٢٧ محرفاً ، وانظر «جمهرة ابن حزم» ٢٤٥ . وهو شاعر خبيث إسلامي له قصائد يهجو فيها الفرزدق كما أن للفرزدق هجاء فيه وفيه يقول :

أخال الباهلي يظن أني سأقعد لايجاوزه سبابي

من هامش «البرصان والعرجان» .

(٤) ج ٣ ص ٤٢٨ .

ربما درج إلى الرَّخَمَةِ حتى يَنْقُرَ دِمَاغها ويقلع عَيْنَيْها . فقال يزيدُ بنُ مُعاوية : ألا تقتله يا أمير المؤمنين ؟! فقال : مَهْ . ونَهَضَ معاوية ، ثُمَّ وَجَّهَهُ بَعْدُ في سَرِيَّةٍ فَقُتِلَ ، فقال معاويةُ لِيَزِيْدَ : هذَا أَخْفَى وأَصْوَبُ .

صالح بن مسلم الباهلي

صالح هذا أخو قُتيبة بن مسلم القائد المشهور تقدم نسبه ، واستنتج اللواء الركن محمود شيث خطاب أنه أكبر أولاد مسلم الذي كان يُكْنَى بأَبِـي صالح ، ووصفه بأنه كان الساعِدَ الأيمنَ لأخيه قُتيبة ، وشهد معه معاركه التي خاضها كافَّةً ، والقضاءَ على فتنة الخوارج ، ومعارك الفتوح[1]. إلَّا أنَّ ابن قُتَيْبَةَ في «المعارف» كما سيأتي في ترجمة قتيبة ذكر أَنَّ بشاراً كان أَكْبَرَ أبناءِ مسلم ، وليس صالحاً كما استنتج اللواء محمود ، وورد ذكر صالح بن مسلم في «تاريخ ابن جرير» في مواضع منها في حوادث سنة ٨٦ : وأن قتيبة استخلفه فتقدم إلى (مَرْوَ) ، وفتح بعد رجوع قتيبة (باسارا) وأن قتيبة استعمله أيضاً على (الترمذ)[2] كما ذكر أن قتيبة لما حاصر (سَمَرْقَنْد) استعان السُّغْدُ بملك (الشاش) وملكِ (فَرْغَانَةَ) ، فانتخبا فرساناً من أبناء المرازبة والأساورة والأشداءِ الأبطال ، فوجهوهم ، وأمروهم أن يُبَيِّتُوا عسكرهم ، وجاءت عيون المسلمين فأخبروهم فانتخب قتيبة ثلاث مئة أو ست مئة من أهل النجدة ، واستعمل عليهم صالحَ بن مسلم ، فَصَيَّرَهُم في الطريق الذي يخافُ أَنْ يُؤْتَى منه . وبعث صالحٌ عيوناً يأتونه بخبر القوم ، ونزل على فرسخين من عسكر القوم ، فرجعت إليه عيونُهُ فأخبروه أنهم يصلون إليه من ليلتهم ، ففرق صالح خيله ثلاث فرق ، فجعل كميناً في موضعين ، وأقام على قارعة الطريق ،

---

(١) «مجلة المجمع العلمي العراقي»: المجلد الـ (٢٦) - ص ١٧٠ -.
(٢) «تاريخ ابن جرير»: ٥١٦/٦ .

وطوقهم المشركون ليلاً ، ولا يعلمون بمكان صالح ، وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحدٌ دون العسكر ، فلم يعلموا بصالح حتى غشوه . قال : فَشَدُّوا عليه حتى إذا اختلفت الرماحُ بينهم خرج الكمينان فاقتتلوا . قال : وقال رجل من البراجم : حَضَرْتُهُم فما رأيتُ قط قوماً كانوا أشدَّ قتالاً من أبناء أؤلئك الملوك ولا أصبر ، فقتلناهم فلم يفلتْ منهم إلاَّ نَفَرٌ يسير . وحوينا سلاحهم ، واحتززنا رؤوسهم ، وأسرنا منهم أسرى ، فسألناهم عمن قتلنا فقالوا : ما قتلتم إلا ابنَ ملك ، أو عظيماً من العظماء ، أو بطلاً من الأبطال ، ولقد قتلتم رجالاً إنْ كان الرجل ليعدل بمئة رجل ، فكتبنا على آذانهم ، ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا ومامِنّا رجل إلا مُعَلِّقٌ رأساً معروفاً باسمه ، وسلبنا من جيد السلاح وكرم المتاع ومناطق الذهب ، ودوابِ فَرِهَةٍ ، فَنَفَلَنَا قتيبةُ ذالك كله ، وكسرت ذالك أهل (السغد) . انتهى .

وعد اللواء الركن محمود من فتوحات صالح هذا (كاشان) وهي مدينة بما وراء النهر ، و(أورشت) وهي في فرغانة ، و (إخسيكث) وهي قصية ناحية فرغانة على نهر الشاش وراء نهر جيحون[١] . وفي سنة ٨٦ : انصرف قتيبة إلى (مَرْوَ) فاستخلفه على الجند ، ففتح مساحاتٍ شاسعة من منطقة فرغانة .

وكان صالحُ مع قتيبة حين تَألَّبَتْ عليه الجنود ، فبعثه لِيُهَدِّئَ ثورتهم ، فرماه رجل من بني ضَبَّة فأصاب هامته ، فَحُمِلَ إلى قتيبة ، ورأسه مائل ، فوضع في مُصَلاَّهُ ، فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة حتى توفي[٢] .

وكان مقتله في فرغانة سنة ست وتسعين من الهجرة .

---

(١) «مجلة المجمع العلمي العراقي» المجلد الـ (٢٦) ـ ص ١٧٠ ـ.
(٢) «تاريخ ابن جرير»: ٦/٥١٦ .

ويصفه اللواء محمود خطاب بأنه كان ماهراً في إعداد الخطط الدقيقة البارعة ، وأنه من أولئك القادة الذين يَسْتَأْثِرُون بالخطرِ ، ويؤثِرون رجالهم بالأمن ، ومن القادة الذين يقودون رجالهم من الأمام يقول لهم : اتبعوني ولا يقود رجاله من الخلف فيقول : تقدموا ويبقى في موضع أمين .

وقال عنه بأنه كان الرجُلَ الأولَ بعد قتيبة في فتح بلادِ ماوراء النهر ، وأنه نشر الإسلام بين حشود ضخمة من مختلف القوميات في بلاد خراسان وماوراء النهر ، وأنه وطد أركان الدولة الإسلامية في ربوعها[1].

صُدَيّ بنُ عَجْلَان الباهلي

هو أبو أُمامة الصحابي الجليل ، تقدمت ترجمته في الصحابة ، وحَسُنَ الحديث عنه هنا إذْ هو من الأمراء فهو رَسُولُ رسولِ الله ﷺ إلى قومه ، فصدَّقوه ، واتبعوه . قال الذهبي[2]: صاحب رسول الله ﷺ ، ونزيل حمص ، روى علماً كثيراً وروى عنه الجماعة . . قال سليم بن عامر : سمعت أَبَا أُمامة : يقول : سمعت النبي ﷺ يقول في حجة الوداع . قلت : لأبي أمامة : مثل من أنت يومئذ ؟ قال : أنا يومئذ ابن ثلاثين سنة .

وروى أنه بايع تحت الشجرة . رجاء بن حيوة عن أبي أمامة قلت : يارسول الله أدع الله لي بالشهادة فقال : « اللهم سَلِّمْهُمْ وغَنِّمْهُمْ » فغزونا فسلمنا وغنمنا . وقلت : يارسول الله مُرْنِـي بعمل . قال : « عليكَ بالصوم فإنه لامِثْلَ له » فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يُلْفَوْنَ إلَّا صِيَاماً . الحسين بن وافد وصدقة بن هرمز بمعناه عن أبي غالب عن أبي أُمامة : أرسلني النبي ﷺ

---

(١) «مجلة المجمع العلمي العراقي» المجلد الـ (٢٦) - ١٧٥ .
(٢) «سير أعلام النبلاء»: ٣ : ٣٥٩ .

إلى باهلة فأتيتهم فرحبوا بي فقلت : جئت لأنهاكم عن هذا الطعام[1]، وأنا رسولُ رسولِ الله لتؤمنوا به فكذبوني وردُّوني ، فانطلقت وأنا جائع ظمآنُ فَنُمْتُ فَأُتِيْتُ في منامي بشربة من لبن فشربت فشبعت ، فعظم بطني فقال القوم : (أتاكم) رجلٌ من أشرافكم وخياركم فَرَدَدْتُمُوه ؟ فقال : فأتوني بطعام وشراب فقلت : لا حاجة لي فيه . إن الله قد اطعمني وسقاني فنظروا إلى حالي فآمنوا . مسعر : عن أبي العنبس عن أبي الْعَدَبَّسِ عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وهو متوكِّيءٌ على عصا فقمنا إليه فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً » . قال المدائني وجماعة : توفي أبو أمامة سنة ست وثمانين وقال إسماعيل بن عياش : مات سنة إحدى وثمانين .

ضرار بن مسلم الباهلي

هو أخو قتيبة بن مسلم البطل المشهور ، وأحد من نجا من القتل حين قُتِل قتيبة[2] واخوته وأهل بيته ، فقد استنقذَهُ أَخواله آلُ زرارة التَّمِيْمِيُّونَ ، إذ أمه غَرَّاءُ بنت ضرار بن القعقاع بن مَعْبَدِ بن زُرارة ، وفي ذالك يقول الفرزدق :

عَشِيَّـةَ مَا وَدَّ ابن غـراء أَنَّـهُ لَهُ مِنْ سِوَانَا إِذْ دُعِـي أَبوانا

طريف بن نافع الباهلي

قال المبرد[3]: قال عبدالله بن قائد : كان طَرِيف بن نافع الباهلي عالماً بالنسب ، فلما ثقل قال لقومه وهو في الموت : بلُّوا فمي بماءٍ ، فعصروا في فيه

---

(١) هو (الدَّم) كما جاء مصرحاً به في رواية أخرى .
(٢) «تاريخ ابن جرير» ٥١٦/٦ .
(٣) «التعازي والمراثي» - ٢٤٧ -.

ماءً بِقطنةٍ ، ثم قال : أجلسوني ! فأجلسوه فقال : فلان ليس لأبيه الذي يُدْعَى له . فقيل له : أتقول هذا وأنت على هذه الحال ؟! فقال : خِفْتُ أن أموت وأنتم في شك منه ، ثم أضجعوه فمات . انتهى .

ويظهر أن طريفاً هذا من أهل القرن الثاني الهجري لأن المحدِّث عنه ممن روى عنهم أبو الحسن علي بن محمد المدائني (١٣٥/٢٢٥هـ) . وعبدالله بن قائد ـ أو فائد ـ يظهر من خبر آخر أورده المدائني[١] عنه أنه يُعْنَى برواية الأخبار المستطرفة والنوادر ، ولا يعني القارئَ إلا أنَّ طريفاً عالم بالنسب ، بصرف النظر عما قد يُسْتَشَفُّ من الخبر من التعرض لأمرٍ كان الأولى تركَهُ ، لاسيما ممن هو في مثل حالة طريف ، هذا إن لم يكن الخبر بِرُمَّتِهِ مصنوعاً .

عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي

تقدم ذكره في الصحابة ـ وقال الدارقطني[٢]: وأما ذو النُّور فهو عبدالرحمن ابن ربيعة الباهلي استعمله عمر على الباب ، والأبواب ، وقتال الترك وقتل ببلنجر ، في خلافة عثمان في سنة تسع من إمارة عثمان ، وكان أمير الجيش ، والأتراك يستسقون بجسده إلى اليوم ، وجعلوه في سَفَطٍ ، وهو أخو سلمان بن ربيعة الباهلي ، الذي يروي عن عمر بن الخطاب حديثاً رواه عنه أبو وائل ، وكان سلمان قاضي الكوفة وكان له في وقعة القادسية موقف مشهود في هزيمة الجيش الفارسي كما تقدمت الإشارة إلى ذالك .

وقال ابن حجر[٣]: عبدالرحمن بن أبي ربيعة الباهلي أخو سلمان. . تقدم نسبه عند ذكر أخيه وكان عبدالرحمن أَسَنَّ من أخيه ، قاله أبو عمر ، وذكر

---

(١) ـ كما في كتاب : «التعازي» ص ٢٣٣/٢٣٤ ـ.
(٢) «المؤتلف والمختلف» ٢/١٠٠٠ .
(٣) كذا (ابن أبي) يظهر أن (أبي) غير صحيحة .

سيفٌ في «الفتوح» عن مجالد عن الشعبي قال : لما وجه عمر سعداً على القادسية جعل على قضاء الناس عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي ، وكان يلقب ذا النور ، وجعل إليه قسم الفيء والأقباض ، ثم استعمله عمر على الباب والأبواب ، وقتال الترك ، واستشهد بعد ذالك في بَلَنْجَر ، بعد مضي ثمان سنين من خلافة عثمان ، قال أبو عمر : ليس له عن النبي ﷺ سماع ولا رواية ، ويقال : إن عمر استخلفه مكان سراقة بن عمرو لما مات وأنه أراد غزو الترك فمنعه شهريار وقال : إنا لنرضى أن تدعُونا فقال عبدالرحمن : لكنَّا لا نرضى بذالك حتى نأتيهم ، وإنَّ معي لأَقْوَاماً لَوْ أذن لهم أميرهم في الإمعان لبلغوا الروم ، فلما هجم عليهم قالوا : ما اجترأ علينا هؤلاء إلا ومعهم الملائكة . قالوا : ودفن عبدالرحمن في بلاد الترك فهم يستسقون به إلى الآن (قلت) وقد ذكرنا غير مرة أنهم ما كانوا يؤمِّرون في الفتوح إلا الصحابة . انتهى كلام ابن حجر[١].

وجاء في «دائرة المعارف الإسلامية»[٢]: عبدالرحمن بن ربيعة من قبيلة باهلة قائد عربي عرف بذي النور[٣] ـ أو ذي النون ـ نسبة إلى سيفه كما قال ابن الأثير في «الكامل»: وقد قاد عبدالرحمن طليعة جيش سراقة بن عمرو الذي وجهه عمر إلى دَرْبَنْد (باب الأبواب) سنة ٢٢ (٦٤٢) ـ وأهم حادثة رويت عما فعله المسلمون الذين كانوا حينئذاك أصحاب السلطان في القوقاز للمرة الأولى هو اللقاء الذي تَـمَّ بين عبدالرحمن بن ربيعة والقائد الفارسي بِدَرْبَنْدَ ، وتقديمه خضوعه للقائد العربي[٤] وقد ذكر الطبري العهد الذي منحه هو لأِهْلِ أرمينية

(١) «الإصابة» ـ الثاني ـ ص ٣٩٨ ـ.

(٢) ١٥٦/٦ وكاتب المادة (دنلوب D.M. DUNLOPE).

(٣) «تاريخ الطبري» ٢٦٦٣/١ . طبعة أوربة .

(٤) «تاريخ الطبري» ٢٦٦٣/١ إلى ٢٦٧١ طبعة أوربة .

والأرمن ، وشهد به عبدالرحمن وأخوه سلمان بن ربيعة الباهلي . وتوفي سراقة في السنة نفسها فخلفه في القيادة العليا عبدالرحمن ، وتلقى أوامر من عمر بالمضي في زحفه قُدُماً إلى الخزر ، فسار مخترقاً الممرات في الطريق الشرقي لجبال القوقاز ، حتى بلنجر ، ويظهر أن هذه المدينة قد أُغِيْرَ عليها مراراً في السنوات القليلة التالية[١] وعاد عبدالرحمن سنة ٣٢ (٦٥٢م) إلى بلاد الخزر وحاصر بلنجر ووقعت بين الطرفين المتقاتلين اشتباكاتٌ عنيفة استطاع الخزر أثناءها أن يخترقوا صفوف المسلمين ، وانضمت إليهم قواتهم الأخرى ، وقُتِلَ عَبْدُ الرحمن ، وهو يحاوِلُ لَـمَّ شَعَث رجاله ، وحمل أخوه سلمان الْعَلَمَ ، وحاول أن يخرج ببقية جيشه من باب الأبواب ويقال : إن الخزر قد احتفظوا بجثمان عبدالرحمن وتوسلوا به في صلاتهم للاستسقاء[٢] . وهزيمة عبدالرحمن وموته علامة النهاية للحروب الأولى بين العرب والخزر ، وتقول بعض المصادر[٣] : إن سلمان بن ربيعة الباهلي القائد العربي هو الذي قُتِلَ في بلنجر . انتهى مافي «دائرة المعارف»[٤] .

عبد الرحمن بن مسلم الباهلي

عبدالرحمن بن مسلم بن عمرو الباهلي من القادة الشجعان ، وهو أخو قتيبة ابن مسلم الفاتح المشهور ، كان معه أثناء ولايته وشارك في غزواته ، وقتل مع

---

(١) «تاريخ الطبري» ٢٦٦٧/١ إلى ٢٨٩٠ . ط أوربة .

(٢) «تاريخ الطبري» ٢٦٦٩/١ .

(٣) «فتوح البلدان» و «المعارف» .

(٤) وتجد أخبار عبدالرحمن في طبعة دار المعارف في «تاريخ ابن جرير» في الأجزاء ٥٧٠/٥٦٩/٤٨٩/٣ و٣٠٧/٣٠٥/٣٠٤/٢٨١/٢٧٤/١٦٠/١٥٥/١٣٩/٤ .

أخيه بفرغانة سنة ٩٦هـ (٧١٥م)[١]، وقد فصل ابن جرير في «تاريخه» بعض أخباره رأينا اقتطاف بعضها : ـ

١ ــ كان عبدالرحمن بن مسلم على الساقة حين غزا قتيبة (نومشكث) سنة ثمان وثمانين وقد انتصر قتيبة ومن معه في هذه الواقعة[٢].

٢ ــ وقد شهد عبدالرحمن بن مسلم فتح (بخارا)[٣].

٣ ــ أرسله قتيبة في اثني عشر ألفاً إلى (بَلْخ) ، وقال له : أَقِمْ بها ، ولا تُحْدِثْ شيئاً ، فإذا حضر الشتاء فَعَسْكِرْ وَسِرْ نحو (طُخَارَسْتَان)، واعلم أني قريب منك . فسار عبدالرحمن فنزل البروقان ، كان ذالك سنة تسعين[٤].

٤ ــ رافق أخاه قتيبة في قتاله نيزك طرخان ملك الطالقان ، وكانت له مواقف محمودة ، وله استسلم نيزك ومن معه ، فقدم بهم على قتيبة[٥].

٥ ــ وحين سار قتيبة إلى (شومان) و(كس) و(نسف) وبلغ مدينة (بلخ)، قدم أخاه عبدالرحمن فانتصر في تلك الغزوة ، حيث فتح (كس) و(نسف)[٦].

٦ ــ ثم أرسله قتيبة إلى (السُّغْدِ) فصالح صاحبها طرخون، وانصرف إليه بـ (بخارا)[٧].

٧ ــ وفي سنة ثلاث وتسعين بعث قتيبة عبدالرحمن إلى ملكِ (خَامَ جَرْدٍ) فانتصر عليه عبدالرحمن فقتله وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسِيراً[٨].

٨ ــ وفي سنة ثلاث وتسعين أيضاً حين غزا قتيبة (سَمَرْقَنْد) قَدَّمَ أُخاه عبدالرحمن في الفرسان والـمُرَامِيَةِ نحو (السغد) في عشرين ألفاً ، فصالحوا الأعداء[٩].

٩ ــ أشار عبدالرحمن على أخيه قتيبة حين هم بخلع سليمان بن عبدالملك من الخلافة سنة ست وتسعين فقال له[١٠]: اقطع بعثاً فَوَجِّهْ فيه كُلَّ مَنْ تَخَافُهُ ،

---

(١) «الأعلام» ١١٢/٤ والمصدر «الكامل» لابن الأثير : ٥/٥ .

(٢) إلى (١٠) «تاريخ الأمم والملوك» لابن جرير ٤٣٦/٦ و ٤٤٤ و ٤٥٥ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٧٠ و ٤٧٢ و ٥٠٩ على التوالي .

ووجِّهْ قوماً إلى (مَرْوَ) وسِرْ حتى تنزل سَمَرْقَنْد ، ثم قُلْ لِـمَن معك : من أَحبَّ الـمُقَام فله المساواة ، ومن أراد الإنصرافَ غير مستكْرَهٍ ولا متبوع بسوء ، فلا يقيم معك إلا مناصح . ولكن قتيبة لم يقبل هذا الرأيَ السديدَ ، بل أخذ برأي أخيه عبدالله ، فخلع سليمان على ما نقل أكثر المؤرخين ، ودعا الناس إلى خلعه ، وتحدَّثَ بكلام أورده ابن جرير أثار حفيظة من معه من القبائل .

١٠ ـ وفي سنة ست وتسعين قتل عبدالرحمن بن مسلم أثناءَ دفاعه عن أخيه قتيبة فقتل معه إخوته عبدالله وصالح وحصين وعبدالكريم بنو مسلم(١)، قتلوا في فَرْغانة .

قال اللواء الركن محمود شيث خطاب(٢): يذكر التأريخ لعبدالرحمن أنه كان الساعد الأيمن لأخيه قتيبة في حروبه ، وفي واجباته الإدارية ، وأنه فتح منطقة واسعة من بلاد خوارزم ، ونشر الإسلام في ربوعها ، وأنه كان من أبرز العاملين في مجال توطيد أركان الفتح الإسلامي في خراسان وخوارزم ، ومناطق ما وراء النهر .

عبد العزيز بن حاتم الباهلي

هو عبدالعزيز بن حاتم بن النعمان وتقدم بقية نسبه عند ذكر أبيه ، ذكر البلاذري(٣) أنَّ يزيد ولىَّ عَبْدَ العزيز بن حاتم (أرمينية) وحصنها وذكر أيضاً أن عبدالعزيز كان على حرب قيس أيام قاتلوا بني تغلب وكان يقال له : أصم باهلة . انتهى . وذكر في «الفتوح»(٤) أن عبدالله بن حاتم بن النعمان الباهلي

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» لابن جرير ٥١٥/٦ .
(٢) «مجلة المجمع العلمي العراقي» المجلد الـ(٢٦) ص ١٦٨ .
(٣) «أنساب الأشراف» نسب باهلة ـ مخطوط .
(٤) ٢٤٢ ط : المنجد .

ولي (أرمينية) و(أذربيجان) من قبل معاوية، فمات بها، فوليها عبدالعزيز بن حاتم أخوه فبنى مدينة (دَبِيلَ) وحَصَّنَها وكبر مسجدها، وبنى مدينة (النَّشَوَى)، ورَمَّ مدينة (بَرْدَعَة) ويقال: إنه جدد بناءها، وأحكم حَفْرَ (الفارقين) حولها، وجدد بناء مدينة (البَيْلقان) وكانت هذه المدن متشعثة مستهدمة. انتهى وأعماله تلك تدل على ما يتّصفُ بِهِ من نَزْعَةٍ عمرانية، ورغبة في الإصلاح والإنشاء. وترجمه ابن عساكر(١) فقال: إنه ولي الجزيرة لعمر بن عبدالعزيز و (أذربيجان) وغزا الترك، ووفد على عمر بن عبدالعزيز، وكان سيداً في الجزيرة، ونقل عن خليفة أنه قال: في سنة تسع وتسعين أغارت التركُ على (أذربيجان) وأصابوا من الناس فسار إليهم عبدالعزيز بن حاتم فقتل الله الترك فلم يُفْلَتْ منهم إلَّا اليسير فقدم على عمر وهو بِخُناصِرة.

وعَدَّهُ خليفة من عمال عمر بن عبدالعزيز على الجزيرة و(أرمينية) و(أَذَرِبِيْجَان) وذكر أنه توفي سنة ثلاث ومئة(٢).

عبد الكريم بن مسلم الباهلي

ذكر ابن عساكر(٣) أنه أخو قتيبة بن مسلم، وأنه وفد على الوليد، وذكر ابن جرير أنه قتل سنة ٩٦ مع أخيه قتيبة، وأضاف: وقال قوم: قتل عبدالكريم ابن مسلم بـ(قَزْوِيْنَ).

عبد الله بن حاتم بن النعمان الباهلي

تقدم نسبه في ترجمة أبيه، وقد ذكر البلاذري في «فتوح البلدان»(٤) أن

(١) «تاريخ دمشق» ١٠/٣٤٩.
(٢) «الكامل» لابن الأثير حوادث سنة ١٠٣.
(٣) «تاريخ دمشق» ١٠/٤٤٣. (٤) ٢٤٢ ط المنجد.

عبدالله هذا وَلِـي (أرمينية) و(أَذْربيجان) من قبل معاوية ، فمات بها فوليها أخوه عبدالعزيز .

عبد الله بن مسلم الباهلي

أخو قتيبة ، كان ممن أشار بخلع سليمان وقتل مع قتيبة سنة ٩٦ وكان تولى (سمرقند) .

وقال الفرزدق :

سَتَعْلَمُ يَاعَمْرَو بْنَ عَفْرَا مِنَ الَّذِي   يُلَامُ إِذَا مَا ٱلْأَمْرُ غَبَّتْ عَوَاقِبُهْ
نَهَيْتُ ابنَ عَفْرَا أَنْ يُعَفِّرَ أُمَّهُ   بِحَجْرِ السَّلَا إِذْ عَفَّرَتْهُ ثَعَالِبُهْ
فَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيًّا صَفَحْتُ ولَوْ سَرَتْ   عَلَى قَدَمِي حَيَّاتُهُ وَعَقَارِبُهْ

وسبب هذا الشعر أن عمرو بن عفرا قال لعبدالله بن مسلم الباهلي ـ وقد أَعْطَى الفرزدق خلعةً ، وحمله على دابة ، وأمر له بألف درهم فقال له عمرو بن عفرا الضبي : ما يصنع الفرزدق بهذا الذي أعطيته ، إنَّما يكفي الفرزدق ثلاثون درهماً : يزني بعشرة ، ويأكل بعشرة ، ويشرب بعشرة ، فهجاه الفرزدق .

ومما أورد ابن جرير من أخبار عبدالله .

١ ـ أن قتيبة سَبَى امرأةَ بَرْمَكٍ ، أبي خالد بن برمك حين غَزا (بَلْخَ) ، فصارت لعبدالله بن مسلم الذي يقال له : الفقير أخي قتيبة فوقع عليها ، وكان به شيء من الجذام[١] .

٢ ـ وفي سنة ثلاث وتسعين وَلَّى قتيبة أخاه عبدالله بن مسلم بلاد (مَرْوَ)

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٤٢٥ .

وخلف عنده جنداً كثيفاً ، وآلة من آلَةِ الحرب كثيرة ، وقال : لا تدعَنَّ مشركاً يدخل باباً من أبواب (سَمَرْقَند)، إلا مختوم اليد ، وإن جَفَّتِ الطينةُ قبل أن يخرج فاقتله ، وإن وجدتَّ معه سكيناً فما سواه فاقتله ، وإن أُغْلقت الباب ليلاً فوجدت فيه أَحَداً منهم فاقتله[1].

٣ ــ وكان عبدالله ممن أشار على قتيبة بخلع سليمان ، مخالفاً رَأْيَ أَخيه عبدالرحمن ، قائلاً : اخلعه مكانك وادْعُ الناسَ إلى خلعه ، فليس يختلف عليك رجلان ، فأخذ برأيِ عبدالله[2]. وليته لم يفعل ، فالرأيُّ الحازم ما أشار به أخوه عبدالرحمن ، ولكن هل تنفع كلمة (ليت) .

٤ ــ وأورد ابن جرير خبراً لعبدالله هذا يدل على أنه مضعوفُ الرأْي ، فعندما أُخْبِرَ قتيبة بأن الناس يختلفون إلى وكيع وهم يبايعونه ، وكان وكيع يأتي منزل عبدالله فيشرب عنده ، فقال عبدالله [من يقول] هذا يحسد وكيعاً ، وهذا الأمر باطل ، هذا وكيع في بيتي ، وهذا يزعم أنهم يبايعونه[3]، كذا قال ، وماعلم أَن تَرَدُّدَ وكيع إلى منزله من قبيل الاحتيال والمبالغة في إخفاء مايريد من القضاء على قتيبة .

ويدل على أنه كان مضعوفاً ما أورده المبرد . قال الـمُبَرِّدُ[4]: وتزعم الرواة أن قتيبة بن مسلم لما افتتح (سمرقند) أفضى إلى أثاث لم يُرَ مِثْلُهُ ، وإلى آلآتٍ لم يُرَ مِثْلُها فأراد أن يَرى الناس عظيم مافتح الله عليه ، ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم ، فأمر بدار فَفُرِشَتْ وفي صحنها قدور تُرْتَقَى بالسلالم ، فإذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد أقبل ، والناس جلوس على

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٤٢٥/٦ .
(٢) المصدر السابق: ٤٨٠/٦ .
(٣) المصدر السابق : ٥٠٩/٦ .
(٤) «الكامل» ١٣/٣ و«العقد الفريد» ١٢٣/٤ .

مراتبهم ، والحضين شيخ كبير ، فلما رآه عبدالله بن مسلم قال لقتيبة : ائْذَنْ لي في معاتبته[1]. فقال : لا تُرِدْهُ فإنه خبيث الجواب . فأبى عبدُ الله إلا أَنْ يُؤْذَنَ له . وكان عبدُ الله يُضَعَّفُ ، وكان قد تسور حائطاً إلى امرأة قبل ذالك ، فأقبل على الحضين فقال : أَمِنَ الباب دخلتَ يا أبا ساسان ؟ قال : أجل ضَعُفَ عَمُّكَ عن تَسَوُّرِ الْـحِيْطان قال : أَرَأَيْتَ هذه القدور قال : هي أعظمُ من أن لا تُرى قال : ما أَحْسِبُ بَكْرَ بنَ وائلٍ رأى مثلها . قال : أجل ، ولا عَيْلان ، لوكان رآها سمي شبعان ، ولم يُسَمَّ عيلان .

قال له عبدالله : أتعرف الذي يقول :

عَزَلْنَا وأَمَّـرْنَا وبَكْـرُ بْنُ وَائِلٍ   تَجُرُّ خُصَاهَا تَبْتَغِـي مَنْ تُحَالِفُ

قال : أعرفه وأعرف الذي يقول :

وَخَيْبَــةِ مَنْ يَخِيْبُ عَـلَى غنـيٍّ   وبَـاهِلَةِ بْنِ يَعْصُرَ، والـرِّبَــاب

يريد : ياخيبة من يخيب . قال : أتعرف الذي يقول :

كَأَنَّ فِقَاحَ ٱلأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ   إِذَا عَرِقَتْ، أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ

قال : نعم ، وأعرف الذي يقول :

قَـوْمٌ قُـتَيْبَــةُ أُمُّهُـمْ وأَبُــوهُمُ   لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِـيْ مَجْهَلِ

قال : أما الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، أقرأ منه ٱلأَكْثَرَ ٱلأَطْيَبَ ، ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى ٱلإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَـمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾[2]. قال : فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغني أنَّ امرأة الْـحُضَيْنْ

---

(١) كذا وفي «العقد»: (كلامه) ولعل (معاتبته) تصحيف (معابثته) .

(٢) سورة (الإنسان) الآية الأولى .

حُمِلَتْ إليه وهي حُبْلَى من غيره ، قال : فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى ، ثم قال على رِسْلِهِ : وما يكون ؟ تَلِدُ غلاماً على فراشي فيقال فلان بن الحضين ، كما يقال عبدالله بن مسلم ، فأقبلَ قتيبةُ على عبدالله فقال : لا يُبْعِدُ الله غَيْرَكَ . انتهى .

٥ ــ وقد قتل عبدالله مع إخواته عبدالرحمن وصالح وحصين وعبدالكريم وبشار ومحمد بنو مسلم حين قتل قتيبة ، وقتل ابنه كثير بن قتيبة ، وناس من أهل بيته ، ونجا أخوه ضرار استنقذه أخواله من آل زرارة(١).

قال ابن جرير : ولم ينجُ من صُلْبِ مسلم غير عَمْرٍو ، عامل (الجوزجان) وضرار ، وكانت أمهم غراء بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، فجاء أخواله فدفعوه حتى نَجَّـوْهُ .

عبد الملك بن دِثَار الباهلي

عبدالملك بن دِثَارٍ الباهلي من أشراف العرب وشجعانهم ، شهد حربَ أشرس بن عبدالله السُّلَمِـيِّ مع أهل (سمرقند) وغيرهم من سكان ماوراء النهر ، وقتل في إحدى هذه الوقائع سنة ١١٠هـ . وكان أشرسُ أولَ من اتخذ الرابطة بخراسان ، واستعمل على الرابطة عبدالملك بن دثار الباهلي(٢).

وذكر ابن جرير في حوادث سنة ١١٠هـ أنَّ قَطَنَ بْنَ قُتَيْبَةَ بنِ مُسْلـمٍ عبر النهر في عشرة آلاف مقاتل فأقبل أهل (السُّغْد) وأهل (بُخَارَى) معهم خاقان الترك ، فحصروا قَطَناً ثم ذكر خبر مَقتل عبدالملك بن دِثَارٍ أثناء حصار جيش قطن قال : فمر ثابتُ قُطْنَةَ بعبد الملك بن دثار الباهلي ، قال له : ياعبد الملك هل لك في آثار الجهاد ؟ فقال : أَنْظِرني ريثما أَغْتَسِلُ وأَتَحَنَّطُ فوقف له حتى

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٥١٢/٦ . (٢) «تاريخ ابن جرير» ٥٢/٧ .

خرج ، ومضيا فقال ثابت لأصحابه : أنا أعلم بقتال هاؤلاء منكم وحضَّهُمْ ، فحملوا على العدو ، واشتد القتال ، فَقُتِلَ ثابتٌ في عدة من المسلمين ، منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدي ، وعبدالملك بن دثار الباهلي ، والوجيه الخراساني ، والعقار بن عقبة العوذي ، فضمَّ قطنُ بن قتيبة وإسحاق بن محمد ابن حسان خيلاً من بني تميم وقيس ، تبايعوا على الموت فأقدمُوا على العدو فقاتلوهم فكشفوهم ، وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجزهم الليل ، وتفرق العدو . فأتى أشرسُ (بُخَارى) فحصر أهلها .

وترجم الأستاذ الزركلي[1] عبدَ الملك هذا فقال عنه : من أشراف العرب وشجعانهم ، شهد حروب أشرس بن عبدالله مع أهل سمرقند وغيرهم ، من سكان ماوراء النهر ، وقتل في إحدى هذه الوقائع ، وأرخ سنة قتله بـ ١١٠هـ (٧٢٨م) .

عِصَام الباهلي

قال الهمداني في الكلام على سَواد باهلة بعد أن ذكر القويع[2]: ثم أَعْلَى منه حِصْنُ آل عِصَامٍ ، وهم من ولد عصام خادم النعمان ، ومنهم أبو الْـمَنِيع شاعر من أهل عصرنا ، وفي عِصامٍ يقول النابغة :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا

وقوله :

فَخَبِّرْ مَاوَرَاءَكَ يَا عِصَامُ

وجزالاء عن يمين ذالك . كذا ذكر الهمداني مما يدل على نسبة عصام هذا إلى

(١) «الأعلام» ١٥٨/٤ ـ الطبعة الأخيرة .
(٢) «صفة الجزيرة» ص ٣١٠ ـ نشر دار اليمامة .

باهلة ، لأنه كان يتكلم عن بلادهم ونسب الثعالبي في كتاب «ثمار القلوب»[١] وصاحبُ «ربيع الأبرار»[٢] وصاحب «خزانة الأدب»[٣] عصاماً حاجبَ النعمان إلى باهلة أيضاً ، ولكن ابن الكلبي في «جمهرة النسب» وأبا عُبَيْد القاسم بن سلام نسبا عصاماً إلى جَرْمٍ هكذا : عصام بن شَهْبَرِ بن الحارث بن ذبيان بن سعد بن عُذْرَةَ بن عَديٍّ بن بيهس . وأوصلا النسب إلى جرم بن رَبَّان من قضاعة ، وكذا فعل ابن دُريد في «الاشتقاق» حيث قال : ومن رجال جَرْمٍ عِصَامُ بن شَهْبَرَ[٤] الذي يقول فيه القائل :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا

وكان حاجب النعمان وهو الذي عنى النابغة :

فَإِنِّي لا أَلُومُكَ في دُخُولٍ وَلٰكِنْ مَاوَرَاءَكَ يَا عِصَامُ

وكان النعمان إذا أراد أن يبعث بألف فارس بعث بعصام . انتهى . وأورد اللغويون : كُنْ عِصَامِيًّا ولاَ تكن عِظَامِيًّا .

وأورد هذا المثل مؤلفو كتب الأمثال باعتبار القائل رجلاً وأن معنى المثل : آفْخَرْ بشرفِ نفسك ، لا بعظامِ آبائك ، وأنَّ الشرفَ بالاكتساب لا بالانتساب ، لكن الميداني في مجمع «الأمثال» أورد في حرف الميم : مَاوراءكِ ياعصام ، ونقل عن «المفضل» أنَّ أَوَّلَ من قال ذالك الحديث الحارثُ بن عَمْرٍو ، ملكُ كندة ، قاله لِإمرأة من كندة يقال لها عِصَام ، بعثها لتنظر جمالَ ابنةِ عوف بن مُحَلِّمٍ الشيباني ، وأورد قصة طويلة جاء فيها : أَنَّ الملك قال لعصام الكندية : ما وراءكِ ياعصام ، وأضاف الميداني : وقد يقال : إنَّ المتكلم

(١) ١٠٢ . (٢) ج ٣/ ١٧٩ . (٣) ج ٩/ ٣٦٧ .
(٤) ٥٤٤ وقال : رجل شَهْبَر وامرأة شهبرة إذا أَسَنَّ وبه بَقِيَّةُ قُوَّةٍ .

به النابغة الذُّبياني قاله لعصام بن شَهْبَرٍ حاجب النعمان ، وكان النعمان مريضاً وقد أُرْجِفَ بموته ، فَسأله النابغة عن حال النعمان وأضاف الميداني : يجوز أنْ يكون أَصْلُ المثل ماذكرتُ ثم اتفق الاسمان ، فخوطب كل بما استحق من التذكير والتأنيث . انتهى .

وأُضيف : وقد يكون من باهلة من اسمه عصام الباهلي فاتفق مع اسم حاجب النعمان ، مِـمَّا حمل الهمدانيَّ على ذالك القول ، ومهما يكن فعصام الباهلي من المشهورين الذين أصبح ذكرهم معروفاً إلى عهد الهمداني ، وكان له بَقِيَّةٌ .

عصام بْنُ عبد الله الباهلي

صاحب شِعْبِ عصام ، رستاق في (السِّنْد) .

ويفهم من نَصٍّ أورده ابن جرير بأن عصاماً هذاكان من الأمراء الذين عينهم قتيبة بن مسلم في نواحي(فرغانة)، وهاهو نص كلام ابن جرير ، فقد ذكر في حوادث سنة ١٠٣[١] أنَّ السُّغْدَ ارتحلوا من بلادهم فلحقوا بـ (فرغانة)، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين ، فقالت أمه : لا تُدْخِل هاؤلاء الشياطين مدينتك ، ولكن فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه ، ففرغ لهم شعب عصام بن عبدالله الباهلي ، وكان قتيبة خلفه فيهم ، وشعب عصام من رستاق (أسفرة) ، وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بلاذا ، وبيلاذا أبو جور ملكها ـ كذا والعبارة الأخيرة غير واضحة . ولكن لم أر فيما بين يدي من الكتب ذكراً لأِسْفَرَة .

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٦٢١ .

علي بن أصمع الباهلي

هو علي بن أصمع بن مُظَهِّرٍ بن رِياح بن عبد شَمْسٍ بن أَعْيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر الباهلي ، جد العالم اللغوي الأصمعي ، عبدالملك بن قُريب بن عبدالملك بن علي ، وكان عليٌّ من وجهاء أهل البصرة ، فقد ذكر ابنُ دُريد[1] أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولاه على (البارجاه)، ولعلها ناحية من نواحي البصرة ، فظهرت منه خيانة ، فقطع أصابعَ يده ، ثم عاش حتى أدرك الحجاج فاعترضه يوماً فقال : أيها الأمير إنَّ أَهلي عَقُّونِـي . قال : وبِـم ذاك ؟ قال : سَمَّوْني عليًّا . فقال : ما أَحْسَنَ ما لطفت . فولاه ولاية . ثم قال : والله لئن بلغني عنك خيانة لأقطعنَّ ما أبقى علي من يدك . كذا أورد الخبر ابن دريد ، وأورد ابن خلكان[2] الخبر بهذا النص ـ في ترجمة الأصمعي ـ: وكان جده علي بن أصمع سرق بِسَفَوانَ ، فأتوا به علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : جيئوني بمن يشهد أنه أخرجها من الرحل ، قال : فشهد عليه بذالك عنده ، فأمر به فقطع من أَشَاجعه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أَلَا قطعته من زَنْدِهِ ، فقال : يا سبحان الله ، كيف يتوكأ ؟ كيف يصلي ؟ كيف يأكل ؟ فلما قدم الحجاج بن يوسف البصرة أتاه عليٌّ بن أصمع فقال : أيها الأمير ، إنَّ أَبَوَيَّ عقَّانِـي فسمَّيَاني عليًّا ، فسمني أنت ، فقال : ما أحسن ماتوسلت به ، وقد وليتك سمك (البارجاه) وأجريت لك في كل يوم دانقين فلوسا ، ووالله لئن تَعَدَّيْتَهُـمَا لأقطعَنَّ ما أبقاه علي من يدك . انتهى .

وذكر ابن دريد أن جريراً مرَّ بعلي بن أصمع فسلم ، فلم يرد عليه فقال :

---

(١) «الاشتقاق»: ٢٧٢ .

(٢) «وفيات الأعيان» ١٧٤/٣ تحقيق الدكتور إحسان عباس .

أَلا قُلْ لِبَاغِـي ٱلْأم النَّاسِ واحِداً   عليك عَلِـيَّ الْبَاهِلِيَّ ابْنَ أصمعا

ولم أجد البيت في «ديوان جرير» الذي نشره الصاوي ، وتفنن الشعراء في الهجاء مما لا يستغرب منهم .

وقد أورد البلاذري في «أنساب الأشراف»[1] خبراً يدل على ماله من مكانة في بلده وعصره ، قال : قال المدائني وأبو عبيدة : أقبل عبدالملك من الشام يريد العراق ، ومعه خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد فقال له : إن وجهتني إلى العراق ، واتبعتني خيلاً يسيرة كفيتك البصرة ، فوجهه عبدالملك فقدِمها مستخفياً في خاصته ومواليه ، حتى نزل على عليِّ بنِ أصمع الباهلي ، فأرسل إلى عباد بن الحصين وهو على شُرَطِ ابن مَعْمَرٍ : إني قد أَجَرْتُ خالداً وأنا أُحِبُّ أن تعلم ذالك لتكون لي ظهيراً ، فبعث إليه : والله لا أنزل عن فرسي حتى آتيك في الخيل ، فقال ابنُ أصمع لخالد : لا أَغُرُّك إنْ عباداً يأتينا الساعة ، ولا أَقدر على منعك ، ولكن عليك بمالك بن مِسْمَعٍ ، ويقال إن نزوله كان على عمرو بن أصمع ، وأنَّ عبَّاداً أرسل إليه ابتداء : إنه قد بلغني نزول خالد عليك ، وأنا موافيك في الخيل . انتهى ، وأورد ابن جرير الخبر ، إلا أنه ذكر أن خالداً نزل على عمرو بن أصمع وأضاف : ويقال إنه نزل على علي بن أصمع . .

وقال البلاذري أيضاً[2] : وكان علي بن أصمع الباهلي يقرأُ الكتب على منبر البصرة ، ثم أَتى بخبر طريف نصه : وجَّهَ بَنُو عُقَيْلٍ مولًى لهم يقال له زياد ليمتار لهم ، فأتاهم ولم يَمْتَرْ لهم ، فسألوه عن أَخبار أهل البصرة ، فحدثهم أن

---

(١) القسم الرابع ج ١ ص ٤٦٧ .

(٢) «أنساب الأشراف» نسب باهلة ـ مخطوط .

علي بن أصمع تزوج امرأة من بني عامر بن صعصعة ، فقال شاعرهم :

بَعَثْنَا زِيَاداً مَـائِراً لِيَمِيْـرَنَا فَـمَا جَاءَنَا إلاَّ بِصِهْرِ ابْنِ أَصْمَعِ

وقد توفي علي بن أصمع في طاعون عُرِفَ باسم طاعون الفتيات ، لأنه بدأ بالعذارَى والجواري ، ووقع في العراق وفي الشام في آخر ولاية عبدالملك بن مروان سنة ٨٦هـ

وقال في كتاب «الجوهرة»[١]: في الكلام على الأصمعي : وجده علي بن أصمع ، وعاصم الجحدري وناجية بن مخ ، كان الحجاج وكلهم بتتبع المصاحف ، وأمرهم أن يقطعوا كُلَّ مصحف وجدوه مخالفاً لمصحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ ويُعْطُوا صاحبه ستين درهماً ، روى ذالك أبو حاتم ، عن الأصمعي ، قال : وفي ذالك قول الشاعر :

وإلاَّ رُسُـوْمَ الدَّارِ قَفْـراً كَأَنَّهَا كِتَابٌ مَحَاهُ الْبَاهِلِـيُّ بْنُ أَصْمَعَا

عمرو بن أصمع الباهلي

يظهر أنه من أعيان أهل البصرة ، فقد ذكر ابن جرير[٢] في حوادث سنة إحدى وسبعين : أن عبدالملك بن مروان لما أقبل من الشام يريد مصعباً قال له خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد : إن وجهتني إلى البصرة رجوت أن أغلب لك عليها . فوجهه عبدالملك ، فقدمها مستخفياً في مواليه وخاصته ، حتى نزل على عَمْرِو بنِ أصمع الباهلي ، فأجاره ، وأرسل إلى عبَّادِ بن الحصين وهو على شُرْطَةِ ابن مَعْمَرٍ خَلِيْفَةِ مُصْعَبٍ على البصرة ، ورجا عَمْرُو بنُ أصمع أن يبايعه

---

(١) «الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة»: ٣٤٦/١ .

(٢) «تاريخ الأمم والملوك»: ١٥٢/٦ .

عبَّاد بن الحصين ، فقال له : إني قد أجرت خالداً فأحببت أن تعلم ذالك لتكون له ظهراً ، فوافاه رسوله بأن عبَّاداً يقول : والله لا أضع لِبْدَ فرسِي حتى آتيك في الخيل . فقال عَمْرٌو لخالد : إني لا أُغُرُّكَ ، هذا عبَّادُ يأتينا الساعة ، ولا والله ما أقدر على منعك . ويقال : إنه نزل على علي بن أصمع .

عَمْرُو بنُ سعيد بن سلم الباهلي

هو عمرو بن سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم ـ وبقية النسب سيأتي في ترجمة جدة قتيبة ـ كان أبوه سعيدُ سيِّداً كبيراً ممدحاً ـ تقدمت ترجمته ـ وابنه عمرو هذا هو الذي رثاه أشجعُ بن عمرو السُّلَمِيُّ الشاعر المشهور بمرثاته التي تعد من عيون الشعر ، وقد أوردها أبو تمام في «حماسته»، وهذا نصها[1] :

مَضَى ابنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ ... وَلَا مَغْرِبٌ إلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ ... عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
فَأَصْبَحَ في لَحْدٍ مِنَ الأَرْضِ مَيِّتاً ... وَكَانَتْ به حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ
سَأَبْكِيكَ مَافَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغِضْ ... فَحَسْبُكَ مِنِّي مَاتُجِنُّ الجَوَانِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وإِنْ جَلَّ جَازِعٌ ... ولا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
كَأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ ... عَلَى أَحَدٍ إلَّا عَلَيْكَ النَّوَائِحُ
لَئِنْ حَسُنَتْ فِيكَ الـمَرَاثِي وَذِكْرُهَا ... لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الـمَدَائِحُ

ورثاه عبد الصمد بن الـمُعَذَّل ، وكان توفي بُعَيْدَ وفاةِ أبيه سعيد بيسير فقال[1] :

رُزِيْنَا أَبَا عَمْرٍو فَقُلْنَا: لَنَا عَمْرُو ... سَيَكْفِيْكَ ضَوْءُ الْبَدْرِ غَيْبُوبَةَ الْبَدْرِ
وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو مُعَاراً حَيَاتُهُ ... بِعَمْرٍو فَلَـمَّا مَاتَ مَاتَ أَبُو عَمْرِو

(١) «الحماسة» ١/٤١٣ ـ تحقيق الدكتور عبدالله عسيلان ـ.
(٢) «الكامل» للمبرد ٣/٩ .

عمرو بن مسلم الباهلي

عمرو هذا هو أخو البطل المعروف قتيبة بن مسلم ، وكان معه في مغازيه وقد ذكر البلاذري[1] أن لعمرو حماماً في البصرة ، وكان ثالث حمام أنشيء فيها كان هذا الحمام لمسلم بن أبي بكرة ، ثم صار لعمرو هذا .

وذكر أيضاً أن قتيبة بن مسلم في عهد الوليد بن عبدالملك ، ولى عَمْراً سجستان . ولما تحدث عن بلاد السند قال : كان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر بن عبدالعزيز ، على ذالك الثغر فغزا بعض الهند ، فظفر .

وفي سنة إحدى وتسعين استعمله أخوه على (الطالقان)[2]، ثم استعمله على بلخ بعد ذالك[3]. وكان عمرو هذا ممن نجا من الْقَتْلِ من إخْوة مُسْلِمٍ ، وكان عامل (الجوزجان)[4]، وفي سنة ست بعد المائة كان عمرٌو بن مسلم هذا والي (بَلْخ)، وحين حدثت الحرب بين اليمانية والعدنانية منعهم من دخولها ، فأرسلت تَغْلبُ إلى عمرو بن مسلم : إنك مِنَّا . وأنشدوه شعراً قاله رجل عَزَا باهلة إلى تغلب ، وكان بنو قتيبة من باهلة فقالوا : إنا من تغلب ، فكرهت بكر أنْ يكونوا في تغلب ـ قال عمرو بن مسلم : أمَّا القرابة فلا أعرفها وأما المنع فإني سأمنعكم . وحصلت معركة قتل فيها ثمانية عشر رجلًا من أصحاب عمرو ابن مسلم ، وانهزم هو إلى القصر ، وقيل : إنه وُجِدَ في طاحونة ، فَأُتي به إلى نصر بن سيار في عنقه حَبْلٌ ، فضربه نصر مئة ومئة ، وضرب معه البختري أحدَ بني عباد ، وزياد بن طريف الباهلي ، وحلق رؤوسهم ولحاهم ، وألبسهم

---

(١) «فتوح البلدان» ـ ٤٣٤/٤٩٢/٥٤٠ ـ ط : المنجد .

(٢) «تاريخ الأمم والملوك» لابن جرير ٦/٤٥٤ .

(٣) المصدر السابق ٦/٤٦٢ .

(٤) المصدر السابق ٦/٥١٦ .

المسوح ، وفي ذالك يقول بيان الْعَنْبَرِيُّ يذكر حربهم بـ (البروقان) :

أَتَـانِي وَرَحْلِي بِـالْمَـدِينَـةِ وَقْعَـةٌ لِآلِ تَمِيمٍ أَرْجَفَتْ كُـلَّ مُـرْجَفِ
تَـظَلُّ عُيُونُ الْبُـرْشِ بَكْرِ بْنِ وَائِـلٍ إِذَا ذَكَـرَتْ قَتْلَى (الْبُرُوقَانِ) تَـذْرِفُ
هُمُ أَسْلَمُوا لِلْمَوْتِ عَمْرَو بْنَ مُسْلِمٍ وَوَلُّـوْا شِـلَالاً وَالْأَسِـنَّـةُ تَـرْعُـفُ
وَلَـمْ يَصْبِرُوا عِنْدَ الْقَنَا الْمُتَقَصِّفِ وَكَانَتْ مِنَ الْفِتْيَانِ فِـي الْـحَرْبِ عادةً[1]

وذكر ابن جرير أَنَّ عَمْرَو بنَ مسلم أرسل مدداً بعشرة آلاف من أهل البصرة لمحاربة الترك في (كس) و(نسف) و(سمرقند) سنة اثنتي عشرة ومئة[2].

وذكر أيضاً في حوادث سنة عشرين ومئة أنه كان والياً لِـ (مَرْو)[3].

عمرو بن يربوع الباهلي

نقل النهشليُّ عن أبي عبيدة[4] : كان عَمْرُو بنُ يربوع الباهلي أَوَّلَ من رَبَعَ قيسا ، وبلغني أن قيسا لم تجتمع على أَحَدٍ غيره . انتهى ، وقول : من ربع قيسا ، أَيْ أَخَذَ المرباع من الغنائم ، ولا يفعل ذالك إلا الرئيس ، ومعنى هذا أن عمرا الباهلي هذا كان يرأس قبيلة قيس عيلان كلها .

أبو الفوارس الباهلي

قال الجاحظ[5]: ومن العُرْجَان أبو الفوارس الباهلي كان رَسُولَ ابْنَ هُبيرة إلى هشام بن هبيرة في الجيش ، قال : فقدمت غدوة وقدم ابن هبيرة نفسه بالعشيِّ .

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك»: ٣٠/٧ .
(٢) المصدر السابق ٨٤/٧٩/٧ .
(٣) المصدر السابق ١٥٥/٧ .
(٤) «الممتع في صنعة الشعر» ١٦٣ ط بيروت .
(٥) «البرصان والعرجان والعميان» ص ٢٠٥/٢٠٤ .

قُتَيبة بن مسلم الباهلي

هذا البطل العظيم صاحب الفتوحات المظفرة التي امتد بها ظلال الإسلام حتى شمل بلاداً واسعة في شرق المملكة الإسلامية في القرن الأول الهجري ، قد أُوْسِعَتْ ترجمةُ حياته دِراسةً وبحثاً ، وقد ألفت فيها مؤلفات معروفة[1] وسأقتصر هنا على إيراد لُمَعٍ مما ورد في مؤلفات متقدمي العلماء عنه .

قال ابن قتيبة[2]: قتيبة بن مسلم الباهلي ويكنى أبا حفص وهو : قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن أسيد بن زيد بن قضاعي من بني هلال بن عمرو من باهلة ، وكان مُسْلِـمُ بن عمرو عظيمَ القدر عند يزيد بن معاوية . ويكنى أبا صالح وفيه يقول الشاعر :

إِذَا مَـاقُـرَيْشٌ خَـلاَ مُلْكُهَـا فَـإِنَّ الـخِـلاَفَـةَ فِي بَـاهِـلَهْ
لِـرَبِّ الْـحَرُوْنِ أَبِـي صَـالِـحٍ وَمَـاتِلْكَ بِـالسُّـنَّـةِ الْعَـادِلَـهْ

والـحَرُوْنُ فرسه . فولد مسلم : بشَّاراً وزياداً وعبدالكريم وقتيبة وعبدالله وصالحا وعبدالرحمن وحمادا وزريقا وضرارا وعمرا ومعبدا والحصين .

فأما بَشَّارٌ فكان أَكْبَرَهُمْ ، وهو صاحب نَهْرِ بَشَّار ، وكان سَيِّدَ وَلَدِ مُسْلِمٍ ، حتى سبق عليه قتيبة . ولـ (بشار) عقِب .

وأما زياد بن مسلم فقتل مع قتيبة بـ (خراسان) ، وله عقب . ولـ (عبدالكريم) عقب بالبصرة .

وأما قتيبة بن مسلم فكان على خراسان عامة لـ (الحجاج) ومن قبل ذالك

---

(١) منها «قتيبة بن مسلم»: تأليف صالح مهدي عماش من منشورات (وزارة الثقافة) العراقية سنة ١٩٧٨ .

(٢) «المعارف» ٤٠٦/٤٠٨ .

على الرَّيِّ ثم خَلَعَ فَقُتل بفرغانة ، سنة سبع وتسعين وهو ابن خمس وأربعين سنة ، وكان على خراسان ثلاث عشرة سنة فافتتح خوارزم وسمرقند وبُخَارى وقد كانوا كفروا .

فولد قتيبة : مسلم بن قتيبة وقطن بن قتيبة وكثيرا والحجاج وعبدالرحمن وسلما وصالحا وعمرا ويوسف وغيرهم . فأما سلم فولي البصرة مرتين : مرة لابن هبيرة ومرة لأبي جعفر ، وكان سَيِّدَ قَوْمِهِ ، ومات بِالرَّيِّ وكنيته : أبو قتيبة . فولد سلم جماعة منهم سعيد بن سَلْمٍ وَلِـي أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة . وولده كثير .

وأما إبرهيم بن مسلم فولى اليمن لموسى ، وولى عمرو بن سلم الرَّيَّ وبلخ ، وولى كثير بن سلم سجستان وأما قطن بن قتيبة بن مسلم فكان على سمرقند وغيرها من كور خراسان وله هناك عقب . وجميع ولد قتيبة سَرَاةٌ لهم أعقاب .

وأما عبدالله بن مسلم بن عَمْرٍو فقتل مع أخيه قتيبة ومن ولده : المسور بن عبدالله . وله عقب كثير ، وقتل معبد بن مسلم ، أيضاً . وله عقب كثير .

وللحصين بن مسلم عقب بالبصرة ، وأما عمرو بن مسلم فكان شجاعاً يلي الولايات لقتيبة ، وعَدِيِّ بنِ أُرطأة وعقبه كثير . انتهى كلام ابن قتيبة .

وقال الطبري في ذكر حوادث سنة تسع وثمانين[1] : وفي هذه السنة غزا قتيبة بُخَارَى ففتح (راميثنه) ذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذالك ، وأن قتيبة رجع بعدما فتحها في طريق بلخ ، فلما كان بـ (الفارياب) أتاه كتاب

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٤٣٩ .

الحجاج : أَنْ رِدْ (وردان خذاه) فرجع قتيبة سنة تسع وثمانين فأتى (زَم) فقطع النهر فلقيه السُّغْدُ وأهلُ (كسّ) و(نسف) في طريق المفازة ، فقاتلوه فظفر بهم ، ومضى إلى (بخارى) فنزل (خرقانة) السفلى عن يمين (وردان) فلقوه بجمع كثير ، فقاتلوهم يومين وليلتين ، ثم أعطاه الله الظفر عليهم فقال نهار بن توسعة :

وَبَاتَتْ لَهُمْ مِنَّا بِخَرْقَانَ لَيْلَةٌ　　وَلَيْلَتُنا كَانَتْ بِخَرْقَانَ أَطْوَلاَ

وأما الباهليون فيقولون : نادى طرخون حيان النبطي فأتاه ، فسألهم الصلح على فِدْيَةٍ يؤديها إليهم ، فأجابه قتيبة إلى ماطلب ، وصالحه ، وأخذ منه رهناً حتى يبعث إليه بما صالحه عليه ، وانصرف طرخون إلى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك .

ويورد ابن جرير أثناء أخبار قتيبة ـ نقولاً عن الباهليين قوم قتيبة قد يكون في إيرادها مايوضح جوانب قد تخفى على غيرهم من رُواة أخباره إذ قوم المرء غالباً ما يكونون أعلمَ من سواهم بأحواله ومنها .

وأما الباهليون فيقولون : قدم قتيبة خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند فكان جميع ما أحصوا من الدروع في جند خراسان ثلاث مئة وخمسين درعاً ، فغزا (أخرون) و(شومان) ثم قفل فركب السفن فانحدر إلى (آمل) ، وخلف الجند فأخذوا طريق (بلخ) إلى (مرو)، وبلغ الحجاج فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند وكتب إليه : إذَا غزوت فكن في مُقَدَّمِ الناس ، وإذا قفلت فكن في أخرياتهم وساقتهم .

وقال الباهليون : لقى الترکُ المسلمين عليهم كور مغانون التركي بن أخت ملك الصين في مئتي ألف فأظهر الله المسلمين عليهم .

وأما الباهليون فيقولون[1]: لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم ، فلما أراد قتله دعا به ودعا بسيف حنفي فانتضاه وطول كميه ثم ضرب عنقه بيده ، وأمر عبدالرحمن فضرب عنق صول ، وأمر صالحاً فقتل عثمان ـ ويقال ـ شقران ابن أخي نيزك ـ وقال لبكر بن حَبيب السهمي من باهلة : هل بك قوة ؟ قال : نَعَمْ ، وأَزْيَدُ ـ وكانت في بكر أعرابية ـ فقال : دُونك هاؤلاء الدهاقين . قال : وكان إذَا أُتِـيَ برجل ضرب عنقه وقال : أَوْرِدُوا ولا تُصْدِرُوا فكان من قُتِلَ يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهليين ، وصُلب نيزك وابني أخيه في أصل عين تدعى (وخش خاشان) في (اسكيمشت) فقال المغيرةُ بن حَبْناء يذكر ذالك في كلمة له طويلة :

لَعَمْـري لَنِعْمَتْ غَزْوَةُ الْـجُنْدِ غَزْوَةً　　قَضَتْ نَحْبَهَا مِنْ نَيْزَكٍ وَتَعَلَّتِ

أما الباهليون فيقولون[2]: حصر قتيبة ملك شومان ، ووضع على قلعته المجانيق ، ووضع منجنيقاً كان يسميها الفحجاء ، فرمى بأول حَـجَرٍ فأصاب الحائط ، ورمى بآخر فوقع في المدينة ، ثم تتابعت الحجارة في المدينة ، فوقع حجرٌ منها في مجلس الملك فأصاب رجلاً فقتله ، ففتح القلعة عنوة ، ثم رجع إلى (كس) و(نسف) ثم مضى إلى (بخارى) فنزل قرية فيها بيت نار وبيت آلهة وكان فيها طواويس ، فسموه منزل الطواويس ، ثم سار إلى طرخون بالسغد ليقبض منه ماكان صالحه عليه ، فلما أشرف على وادي السغد فرأى حُسْنَهُ تمثل :

وَادٍ خَصِيْبٌ عَشِيْبٌ ظَلَّ يَمْنَعُهُ　　مِنَ الأَنِيْسِ حِذَارُ الْيَوْمِ ذِي الرَّهَجِ
وَردتُّــهُ بِعَنَــاجِيْــجٍ مُسَــوَّمَــةٍ　　يُرْدِيْنَ بِالشُّعْثِ سَفَّاكِيْنَ لِلْـمُهَجِ

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٤٥٨/٦ .
(٢) «تاريخ الأمم والملوك» ٤٦٣/٦ .

قال : فقبض من طرخون صلحه ، ثم رجع إلى (بخارى) فملك (بخارى خذاه) غلاما حدثا ، وقتل من خاف أن يضادَّهُ ، ثم أخذ على (آمل) ثم أتى (مرو) .

قال : وذكر الباهليون عن بشار بن عمرو ، عن رجل من باهلة ، قال : لم يفرغ الناس من ضرب أبنيتهم حتى افتتحت القلعة . فقال كعبُ ٱلأَشْقَرِيُّ - ويقال رجل من جُعْفِيٍّ :

كُلَّ يَوْمٍ يَحْوِي قُتَيْبَةُ نَهْباً ... وَيَزِيْدُ ٱلأَموالَ مَالاً جَدِيْداً
بَاهِلِيٌّ قَدْ أُلْبِسَ التَّاجَ حَتَّى ... شَابَ مِنْهُ مَفَارِقٌ كُنَّ سُوْدَا
دَوَّخَ السُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حتى ... تَرَكَ السُّغْدَ بِالْعَرَاءِ قُعُودَا
فَوَلِيْدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيْهِ ... وأَبٌ مُوْجَعٌ يُبَكِّي الْوَلِيدا
كُلَّمَا حَلَّ بَلْدَةً أَوْ أَتَاهَا ... تَرَكَتْ خَيْلُهُ بِهَا أُخْدُوْدَا

وقال ابن جرير[1]: وبعث الحجاج جيشاً من العراق ، فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين ، فغزا فلما كان بـ (الشاش) أو بـ (كشماهن) أتاه موت الحجاج في شوال فغمه ذالك ، وقفل راجعاً إلى (مَرْوَ) وتمثل :

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الْمَرْءُ مِنْ آل جَعْفَرٍ ... بِحَوْرَانَ أَمْسَى أَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ
فَإِنْ تَحْيَ لَا أَمْلُلْ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ ... فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

قال : فرجع بالناس ففرقهم ، فخلف في (بخارى) قوماً ، ووجه قوماً إلى (كس) و(نسف) ، ثم أتى (مرو) فأقام بها ، وأتاه كتاب الوليد : قد عَرَفَ أميرُ المؤمنين بلاءَكَ وجِدَّكَ في جهادِ أعداء المسلمين ، وأميرُ المؤمنين رافعك ، وصانِعٌ بك كالذي يجب لك ، فالْـمُمْ مغازيك ، وانتظر ثواب ربك ،

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٤٩٢ .

ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك ، حتى كأني أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت به .

وقال ابن جرير[1]: وقال الباهليون : كان قُتَيْبَةُ إذا رجع من غزاته كل سنة اشترَى اثْنَيْ عشر فرساً من جياد الخيل ، واثني عشر هَجِيناً ، لا يجاوز بالفرس أربعة آلاف ، فيقام عليها إلى وَقْتِ الغزو ، فإذا تأهب للغزو وعسكر قُيِّدَتْ وأُضْمِرتْ فلا يقطع نهراً بخيل حتى تخف لحومها فيحمل عليها من يحمله من الطلائع ، وكان يبعث في الطلائعِ الفرسانَ من الأشراف ، ويبعث معهم رجالاً من العجم ممن يستنصح على تلك الهجن ، وكان إذا بعث بطليعةٍ أَمَرَ بلوحٍ فَنُقِشَ ، ثم يشقه فأعطاه شقة واحتبس شقة لئلا يمثل مِثْلَها ، ويأمره أن يَدْفِنَهَا في موضع يصفه له من مخاضَةٍ معروفة ، أو تحت شجرة معلومة ، أو خربة ، ثم يبعث بعده من يَسْتَبْرِئَهَا ليعلم أصادق في طليعته أم لاَ .

وقال ابن جرير[2]: إن قتيبة لما هَمَّ بالخلع استشار إخوته فقال له عبدالرحمن : اقطع بعثا فوجه فيه كل من تخافه ، ووجه قوماً إلى (مَرْوَ) وسِرْ حتى تنزل (سمرقند) ثم قل لمن معك : من أحب المقام فله المواساة ، ومن أراد الانصرافَ فغير مستكره ، ولا متبوع بسوء ، فلا يقيم معك إلا مناصح . وقال له عبدالله : اخلعه مكانك ، وادعُ الناسَ إلى خلعه ، فليس يختلف عليك رجلان . فأخذ برأي عبدالله ، فخلع سليمان ، ودعا الناس إلى خلعه ، فقال للناس : إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضممت الأخ إلى أخيه ، والولدَ إلى أبيه ، وقسمت بينكم فيئكم ، وأجريت عليكم اعطياتكم غير مكدرة ولا مؤخرة ، وقد جربتم الولاةَ قبلي ، أتاكم أمية فكتب إلى أمير

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٥٠٣ .
(٢) المصدر : ٦/٥٠٩ .

المؤمنين: إنَّ خراج (خراسان) لا يقوم بمطبخي ، ثم جاءكم أبو سعيد فدَوَّم بكم ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية ، لم يَجبْ فيئا ولم ينكأْ عدوًّا ، ثم جاءكم بنوه بعده يزيد فَحْلٌ تبارى إليه النساء ، وإنما خليفتكم يزيد ابن ثروان هَبَنَّقَةُ القيسي ، قال : فلم يجبه أحد فغضب فقال : لا أعز الله من نصرتم ، والله لو اجتمعتم على عَنْزٍ ما كسرتُمْ قَرْنَها يا أهل السافلة ـ ولا أقول أهل العالية ـ واسترسل في النيل ممن معه من القبائل ـ .

وقال[1]: ثم نزل فدخل مَنْزِلَهُ فأتاه أهلُ بيته فقالوا : ما رأينا كاليوم قط ، والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك ودِثارك حتى تناولت بكراً وهم أنصارك ، ثم لم ترض بذالك حتى تناولت تميماً وهم إخوتك ، ثم لم ترض بذالك حتى تناولت الأزدَ وهم يَدُك فقال : لما تكلمت فلم يجبني أحدُ غَضِبْتُ فلم أَدْرِ ماقلتُ ، إن أهل العالية كَإِبِلِ الصدقة ، قد جُمِعَتْ من كل أوب ، وأما بكر فإنها أمَةٌ لا تمنع يَدَ لامِسٍ ، وأما تميم فجمل أجرب ، وأما عبدالقيس فما يضرب العير بذنبه ، وأما الأزد فأَعْلاجُ شِرار من خلق الله ، لو ملكت أمرهم لَوَسَمْتُهُمْ ، قال : فغضب الناس ، وكرهوا خلع سليمان ، وغضبت القبائل من قتيبة ، فأجمعوا على خلافه وخلعه . وقال[2]: وقتل معه إخوته عبدالرحمن وعبدالله وصالح وحصين وعبدالكريم بنو مسلم وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ، ونجا أخوه ضرار استنقَذَهُ أخواله ، وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن مَعْبَد بن زُرارة ، وقال قوم : قتل عبدالكريم بن مسلم بـ (قزوين) وقال أبو عبيدة : قال أبو مالك : قتلوا قتيبة سنة ست وتسعين ، وقتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً ، فصلبهم وكيع ، سبعةٌ منهم لِصُلْبِ

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٥١١/٦ .
(٢) المصدر السابق: ٥١٦/٦ .

مسلم ، وأربعة من بني أبنائهم : قتيبة ، وعبدالرحمن وعبدالله الفقير ، وعبيد الله ، وصالح وبشار ومحمد بنو مسلم . وكثير بن قتيبة ، ومُغَلِّس بن عبدالرحمن ، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو ـ وكان عامل الجوزجان ـ وضرار ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن مَعْبَدِ بن زُرارة ، فجاء أخواله فدفعوه حتى نَجَّوْه .

وقال ابن جرير(١) : وأما أبو عبيدة معمر بن المثنَّى فإنه قال في ذالك : حدثني أبو مالك أن وكيع بن أبي سَوْدٍ بعث بطاعته وبِرَأس قتيبة إلى سليمان ، فوقع ذالك من سليمان كُلَّ موقع ، فجعل يزيد بن المهلب لعبدالله بن الأهتم مئة ألف على أَنْ يَنْقُرَ وكيعاً عنده فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، والله ما أحدٌ أوجب شكْراً ولا أعظم عندِي يَدًا من وكيع ، لقد أدرك بثأري وشفاني من عدوي ، ولكن أمير المؤمنين أعظمُ وأوجبُ علي حقًا ، وَإِنَّ النصيحة تلزمني لأمير المؤمنين ، إنَّ وكيعاً لم يجتمع له مئة عنانٍ قط إلا حَدَّثَ نفسَه بِغَدْرٍ ، خامِلٌ في الجماعة ، نَابِهٌ في الفتنة فقال : ماهو إذنْ ممن نستعين به .

وكانت قيس تزعم أَنَّ قتيبة لم يخلع ، فاستعمل سليمان يزيدَ بن المهلب على حرب العراق ، وأمره إن أقامتْ قيس البينةَ أن قتيبةَ لم يَخْلَعْ فينزَعَ يَدًا من طاعةٍ أن يُقِيْدَ وكيعاً به . فغدر يزيد فلم يعط عبدالله بن الأهتم ماكان ضمن له ، ووجه ابنه مخلد بن يزيد إلى وكيع .

ولقتيبة كلماتٌ مأثورة ، وجُمَلٌ من الْقَول صائِبَةٌ ، لعلَّ شُهْرَتَهُ في الناحية الحربيَّة طَغَتْ على دراسة جوانب حياته الأخرى فلم أرَ له ذِكْراً بَيْنَ ذوي الحكمة والْأَقْوَالِ المأثورة ، ولهذا رأيت إيراد ترجمته بِنَصِّها من كتاب «أنساب

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٥٢٦ .

الأشراف» لاحتوائها على أَوْفَى قَدْرٍ من تلك الـحِكَـمِ ، فيما اطلعت عليه من المؤلفات .

قـال البلاذري[1] : قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة بن خالد ابن أسيد الخير بن كعب بن قضاعي بن هلال ، وكان لأسيد الخير أخ يقال له أُسيد الشّر ، وكان مسلم بن عمرو خاصًّا بيزيد بن معاوية ، وقيل أنه كان يُغَنِّيْه فقال الشاعر في قتيبة ويزيد بن المهلب :

شتَّان مَنْ بِالصَّنْجِ أَدْرَكَ وَالَّذِي   بِالسَّيْفِ قَدَّمَ وَالْـحُـرُوْبُ تَسَعَّرُ

وكان قتيبة شريفاً عاقلاً ، ولاه الحجاج (خراسان) ففتح بها فتوحاً كثيرة ، وغزا مغازي مذكورة ، وفتح (بخارى) وغزا (السند) ، وأذعن له أهل (خُوَارَزمْ) ، وكان مائلاً مع الوليد بن عبدالملك على سليمان في الذي أراد الوليد من خلعه ، وتقديم ابنه عليه ، فلما ولي سليمان خلعه قتيبة ، فمالت عليه بنو تميم وغيرها ، فَقُتِلَ ، وقد ذكرنا خبره في كتاب «البلدان» وفي خبر وكيع بن أبي سود التميمي ، وكان قتيبة يقول لولده : يابني الزموا القناعة فإنَّ أوسعَ الناس غِنًى أَقْنَعُهُم بما قُسِـمَ له ، وعليكم بالشكر لله فإن أحقَّ الناس بالزيادة في النعمة أشكَرُهُم لما أُوْتِـيَ منها ، وقال قتيبة للحجاج حين ظفر بأصحاب ابن الأشعث فأراد قتلهم : إنَّ الله قد أعطاك ماتُحِبُّ من الظفر فَأَعْطِهِ مايحب من العفو ، وقال الشعبي : كنتُ بالرَّيِّ مع قتيبة بن مسلم فتغدَّيْتُ معه ، فقلت : أَسْقُونِـي فقال : أَيُّ الشراب أَحبُّ إليك يا أبا عمرو ؟ ، قلت : أَعَزُّ مفقود ، وأَهْوَنُ موجود . فقال : اسقوا أبا عمرو ماء ، وقال قتيبة ويقال سَلْـمُ ابنه : المعاتبةُ رَائِدُ الْعَفْوِ ومُقَدِّمَتُهُ ، وقال قتيبة ـ ويقال سلْـمُ ابنه ـ: اعتذارٌ من

(١) «أنساب الأشراف» نسب باهلة . مخطوطة دار الكتب المصرية .

مَنْعٍ أجملُ من وَعْدٍ ممطول ، ومرَّ قتيبة بكناسة فيها رمادٌ وعظام وأقذار ، فقال : إنَّ الذي يبخل بما يصير آخره إلى هذا لبخيل ، وحدثني عبدالله بن صالح قال : مَرَّ قتيبةُ على عَذِرَةٍ فأمسك أنفه وقال : إنَّ من يبخل بما يصير إلى هذا لبخيلٌ ، وقال قتيبة بن مسلم : أربعةٌ متعرضون للهوان والاستخفاف : طالبُ الفضل من اللئام ، والـمُفْرِطُ في الدَّالَّةِ على السلطان ، والجالس في غير موضعه الذي يُؤَهَّلُ له ، والمقبلُ على قوم بحديث وهم غير مستمعين له ، ويروى ذالك عن حُضين بن المنذر ، وهو عن قتيبة أثبت ، وتزوج قتيبة الرعوم - بنت إياس ، فقال يا حُضَيْنُ بن المنذر : نعم المنكح هذه بخراسان ؟ قال : نعم ، وبين الصفا والمروة ، وحدث قتيبةُ الحجاجَ قبل توليته إياه أنه رآى كأنَّ جملاً قد اغتلم فوثب به صبي منهم فقتله بِشَفْرَةٍ ، فلما ولى قتيبة أرسل عبدالملك رجلاً على خبر قُتَيْبَةَ فَثَقُلَ على الحجاج مكانه ، فكتب إلى قتيبة : أما تذكر الجمل المغتلم ، فَدَسَّ إليه قتيبة من قتله ، وقال قتيبة : من أراد نفسه على أكثر مما عنده من علم أو منطق افتضَحَ ، وكان قتيبة إذا غَزا حَضَّ الناس على الصبر ونهاهم عن الغلول ، وقال : إياكم والْحِرْصَ وطِماحَ الأبصار ، وأطلقوا أنفسكم عن المحارم ، فإنَّ أفلجَ الناس حُجَّةً أغلبهم للحرص والشهوة ، وقال قتيبة بن مسلم : كل مانلتَ بغير الرفق والحزم فلا عاقبة له - وقال قتيبة - ويقال سلم بن قتيبة ، وهو عن قتيبة أثبت -: يابني لاتَدْخُلوا الأسواقَ فترِقَّ أخلاقكم ، ولا تمزحوا فيُستَخَفَّ بكم ، ولا تمشوا في العساكر فتصغروا عند أكفائكم ، وقال قتيبة : الكامل المروءة من أحرز دينه ووصل رحمه ، وتوقَّى ما يُلام عليه ، وقال قتيبة: إن رأْيَكَ لا يتَّسِعُ لكل شيء ففرِّغْه للمهم ، وإن مالك لا يغني الناس كلهم فأخصص به أهل الحق ، وقال قتيبة : الْبَرُّ الوصول من لم يجعل للبعيد حظَّ القريب ، ولم يصل رَحِـماً بقَطيعةِ أُخرى ، وكان

يقول : الدنيا بحذافيرها الْـخَفْضُ والدَعَةُ ، وروي ذالك أيضاً عن معاوية ـ رحمه الله ـ وكان يقول : الْـمِرَاءُ من دَواعي الشَّنأَن .

وكان قتيبة يُكنَى أبا حَفْص وقال أبو اليقظان : ولي قتيبة الرَّيَّ للحجاج ، وولي خراسان ثلاث عشرة سنة ، وفتح خارزم وسمرقند وبخارى ، وكانوا قد كفروا ، وقتل وهو ابن خمس وأربعين سنة . انتهى كلام البلاذري .

وقال أيضاً[1]: وولد قتيبة غير سَلْـمٍ قَطَنَ بن قتيبة لأم ولد ، والحجاجَ وعبدالرحمن ومسلما وكثيرا وصالحا أمهم الرَّعُوم بنتُ إياس بن سعيد بن هاني ابن قبيصة ، وعَمْراً لأم ولدٍ ، ويوسفَ لِأُمِّ وَلَدٍ ، فأما سَلْـمٌ فولي البصرة لابن هبيرة ثم للمنصور أبي جعفر ، ومات بالريّ ، وكان سعيد بن سلم شريفاً ، ولي أرمينية والموصل والسند وطبرستان ، وغير ذالك من قبل بني العباس ، وقد ولي إخوته الولايات أيضاً ، وكان محمد بن الأعرابي الراوية مع سعيد بن سلم مُؤَدِّباً لولده ، وقتل مع قتيبة أخوه صالحُ بن مسلم وأخوه عبدالله بن مسلم وزياد ، وكان له من الإخوة غير هاؤلاء عبدالرحمن بن مسلم وله عقب بخراسان ، وحماد بن مسلم ، وزُريق بن مسلم كان يَخْلُفُه بباب الحجاج ، وعمرو بن مسلم ولي ابنه أو ابن ابنه الْبَحْرَيْنِ لأبي جعفر أمير المؤمنين ، ويزيد ابن مسلم كان على شُرَطِ سلم بن قتيبة ، ومعبد بن مسلم ، يقال : إنه قُتِلَ مع قتيبة ، وحصين بن مسلم وقال أبو اليقظان : كان مسلم بن عَمْرٍو أبو قتيبة بن مسلم أثيراً عند يزيد بن معاوية وكان يكنى أبا صالح وفيه يقول الشاعر :

إِذَا مَـاقُـرَيْشٌ خَـلاَ مُلْكُهَـا ... فَـإِنَّ الْـخِـلاَفَـة فِي بَـاهِـلَهْ
لِـرَبِّ الْـحَرُوْنِ أَبِـي صَـالِـحٍ ... وَمَـاتِلْكَ بِـالسُّـنَّـةِ الْعَـادِلَـهْ

---

(١) «أنساب الأشراف» نسب باهلة مخطوط .

فولد مسلم بشارا وزيادا وعبدالكريم وقتيبة . انتهى كلام البلاذري .

وقال ابن أبي الحديد[١]: ومن أُباة الضيم قتيبة بن مسلم الباهلي ، أمير خراسان وماوراء النهر ، لم يصنع أحدٌ صنيعه في فتح بلاد الترك ، وكان الوليدُ ابن عبدالملك أراد أن ينزع أخاه سليمان بن عبدالملك من العهد بعده ، ويجعله في ابنه عبدالعزيز بن الوليد ، فأجابه إلى ذالك قتيبةُ بن مسلم وجماعة من الأمراء ، فلما مات الوليد قبل إتمام ذالك ، وقام سليمانُ بالأمر بعده ـ وكان قتيبةُ أشَدَّ الناس في أمرِ سليمان وخَلْعِهِ عن العهد ، علم أنه سيعزله عن خراسان ، ويوليها يزيدَ بن المهلب لِوُدٍّ كان بينه وبين سليمان ، فكتب إليه كتاباً يهنئه بالخلافة ، ويذكر بلاءَه وطاعَتَه لعبد الملك وللوليد بعده ، وأنه على مثل ذالك إن لم يعزله عن خراسان ، وكتب إليه كتاباً آخر يذكره فيه بفتوحه وآثاره ونكايته في الترك وعظم قدره عند ملوكهم وهيبة العجم والعرب له ـ ثم أطال الحديث عنه بما لا يخرج عما ذكره غيره من المؤرخين كابن جرير وغيره .

وعلى ذكر هيبة ملوك العجم لقتيبة يحسن أن أُطْرِفَ القارئَ بخبر الوفد الذي أرسله إلى ملك الصين ، كما ساقه ابن جرير قال[٢]: وَغَلَ قتيبةُ حتى قَرُبَ من الصين ، قال : فكتب إليه ملك الصين أنِ ابْعث إلينا رجلاً من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ، ونسائله عن دينكم ، فانتخب قتيبةُ من عسكره اثني عشر رجلاً ـ وقال بعضهم : عشرة ـ من أفناء القبائل ، لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس ، بعد ما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه ، فكلمهم قتيبة وفَاطَنَهُمْ فرأى عقولاً وجمالاً ، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخز والوشي واللين ، من البياض والرقيق ، والنعال والعطر ،

---

(١) «شرح نهج البلاغة» ج ١ ص ٦٨٧ .
(٢) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٥٠١ .

وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم ، ودواب يركبونها . قال : وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مُفَوَّهاً ، بسيط اللسان فقال : يا هبيرة ، كيف أنت صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ، قَدْ كُفِيتَ الأَدَبَ ، وقل ماشئت أَقُلْهُ ، وآخذُ به ، قال : سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق ، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت ألَّا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأُجْبِيَ خراجهم . قال : فساروا وعليهم هبيرة ابن المشمرج، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم ، فدخلوا الحمام ، ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاء تحتها الغلائل ، ثم مَسُّوا الغالية وتدخنوا ، ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه وعنده عظماءُ أهلِ مملكته ، فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا ، فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هاؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوماً ماهم إلا نساء ، ما بقي منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده . قال : فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشـيَ وعمائم الخز والمطارف ، وغدوا عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فقال لأصحابه : كيف رأيتم هذ الهيئة ؟ قالوا : هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى ، وهم أؤلئك ، فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فَشَدُّوا عليه سلاحهم ، ولبسوا الْبَيْضَ والمغافر ، وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح ، وتنكَّبُوا الْقِسِـيَّ ، وركبوا خيولهم ، وغدوا ، فنظر إليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقيل لهم قبل أن يدخلوا : ارجعوا ، لِـمَا دخل قلوبهم من خوفهم . قال : فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ، ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هاؤلاء قط ، فلما مسى أرسل إليهم الملك ، أن ابعثوا إلي زعيمكم

وأفضلكم رجلاً . فبعثوا إليه هبيرة ، فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم عظيم ملكي وأنه ليس أحد يمنعكم عني ، وأنتم في بلادي ، وإنما أنتم بمنزلة البَيْضَة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتكم . قال : سل . قال : لم صنعتم ما صنعتم من الزيِّ في اليوم الأول والثاني والثالث ؟ قال : أما زينا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أُمَرَاءَنا ، وأما اليوم الثالث فَزيُّنا لعدونا ، فإذا هاجنا هَيْجٌ وفَزَع كنا هكذا . قال : ما أحسن مادبرتم دهركم ، فانصرِفوا إلى صاحبكم فقولوا له : ينصرف ، فإني قد عرفت حرصه وقلةَ أصحابه ، وإلاَّ بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه ، قال له : كيف يكون قليل الأصحاب مَنْ أَوَّلُ خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ، وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ، وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه ، قال : فما الذي يرضي صاحبك ؟ قال : إنه قد حلف ألا ينصرفَ حتى يطأ أرضكم ، ويختم ملوككم ، ويُعْطَى الجزية ، قال : فإنا نخرجه من يمينه ، نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤُه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاها . قال : فدعا بصحاف من ذهب فيها تُرَابٌ ، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم ، فساروا فقدموا بما بعث به . فقبل قتيبة الجزية ، وختم الغِلْمَةَ وردهم ووطئَ التراب ، فقال سوادة بن عبدالله السلولي :

لاَعَيْبَ فِي الْوَفْدِ الَّذِيْنَ بَعَثْتَهُمْ ... لِلصِّيْنِ إِنْ سَلَكُوا طَرِيْقَ الْمَنْهَجِ
كَسرُوا الْجُفُوْنَ عَلَى الْقَذَى خَوْفَ الرَّدَى ... حَاشَا الكَرِيمَ هُبَيْرَةَ بْنَ مُشَمْرَجِ
لَمْ يَرْضَ غَيْرُ الْخَتْمِ فِي أَعْنَاقِهِمْ ... وَرَهَائِنُ دُفِعَتْ بِحَمْلِ سَمْرَجِ
أَدَّى رِسَالَتَكَ الَّتِي اسْتَرْعَيْتَهُ ... وَأَتَاكَ مِنْ حِنْثِ الْيَمِيْنِ بِمَخْرَجِ

قال : فأوفد قتيبةُ هبيرةَ إلى الوليد . فمات بقرية من فارس ، فرثاه سوادة ، فقال :

لله قَـبْرُ هُبَيْـرَةَ بْنِ مُشَمْـرَجٍ مَاذَا تَضَمَّنَ مِنْ نَدًى وَجَمَـالِ
وَبَـدِيهَـةٍ يَعْيَـا بِهَـا أَبْنَـاؤُهَـا عِنْدَ احْتِفَالِ مَشَـاهِدِ الْأَقْـوَالِ
كَانَ الرَّبِيْعُ إذَا السِّنُونَ تَتَابَعَتْ وَاللَّيْثَ عِنْدَ تَكَعْكُعِ الْأَبْـطَالِ
فَسَقَتْ لِقَرْبَةَ حَيْثُ أَمْسَى قَبْرُهُ غُـرٌّ يَـرُحْنَ بِمُسْبِـلٍ هَـطَّالِ
بَكَتِ الْـجِيَادُ الصَّافِنَاتُ لِفَقْدِهِ وَبكَـاهُ كُـلُّ مُثَقَّفٍ عَسَّـالِ
وَبَكَتْهُ شُعْثٌ لَمْ يَجِدْنَ مُـوَاسِياً فِي الْعَامِ ذِي السَّنَوَاتِ وَالْإِمْحَالِ

وفي «شرح نهج البلاغة»[1]: وهو في تاريخ ابن جرير أيضاً : قال رؤساء خراسان من العجم لما قتل قتيبة : يا معشرَ العرب ، قتلتم قتيبة ، والله لو كان منا ثم مات لجعلناه في تابوت ، فكنَّا نستفتح به إذا غزَوْنا .

وقال الأصبهبذ: يا معشر العرب ، قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلّب ، لقد جئتم شيئاً إدًّا ! فقيل له : أيُّهما كان أعظمَ عندكم وأهْيَبَ ؟ قال : لو كان قتيبة بأقصى حُجْرةٍ في المغرب مكبّلاً بالحديد والقيود ، ويزيد معنا في بلدنا والٍ علينا ، لكان قتيبة أهيَبَ في صدورنا وأعظم .

وقال عبدالرحمن بن جمانة الباهليّ يرثي قتيبة :

كأنَّ أبَا حفْصٍ قتيبةَ لَـمْ يَسِرْ بِجَيْشٍ إلى جَيشٍ ولَـمْ يَعْلُ مِنْبَرا
ولم تَخْفِق الراياتُ والجيشُ حوله صُفوفاً ولم يشهد له الناسُ عسكرا
دَعَتْـهُ المنايـا فاستجـابَ لـربّـه وراحَ إلى الجنَّات عَفًّا مُـطهَّرا
فـما رُزِئَ الإسلامُ بعـد محمدٍ بمثل أبي حَفْص، فبكِّيْهِ عَبْهَرا

ـ عَبْهر أمّ ولد له ـ .

---

(١) ١ /٦٩٠ تحقيق حسن تميم ـ بيروت .

وقال السمعاني[1]: أبو حفص قتيبة بن مسلم بن عمرو ـ وساق نسبه إلى عدنان ـ الباهلي ، والي خراسان زمن عبدالملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف وكان من شجعان العرب ورجالاتهم ، حزماً ورأياً ونبلاً وفصاحة ، وكان أكثر فتوح بلاد ماوراء النهر بسببه مثل سمرقند ونسف وكس وخوارزم وغيرها من البلاد وقتل بفرغانة .

وقال عبدالجبار الجومرد[2]: شبَّ قتيبة مولعاً بالفروسية والطراد فنبغ في فنون القتال ، وتقرب من الخليفة الوليد بن عبدالملك ومن عامله على العراق الحجاج بن يوسف ، فولاه على الريِّ وخراسان ، مكان المهلب بن أَبي صُفْرة ، وعمره يومئذ خمس وثلاثون سنة ، فبقي في ولايته عشرة أعوام ، قضاها كلها بالجهاد والفتوح دون انقطاع ، وبلغ من الشهرة والمجد والتوفيق حدًّا لم يبلغه قائد عربي من قبل . . ففتح بلاد خوارزم وسمرقند والسند كلها في عام واحد ، واكتسح بُخَارَى وفرغانة وتركستان ، فانصاعت له ملوكها ، ثم احتل كاشغر ووقف على حدود بلاد الصين ، فخافه ملكها وأرسل إليه أموالاً طائلة ، وصينية من الذهب عليها تراب من أرض الصين ليطأه قتيبة بقدميه ومفتاحاً من ذهب كرمز للولاء .

وقال فضالة بن عبدالله الغنويُّ يرثي قتيبة بن مسلم[3]:

كأنَّ أبا حَفْصٍ قُتيبةَ لَـمْ يَسِرْ ... بِزَحْفٍ إِلَى زَحْفٍ وَلَمْ يُلْفَ مُعْلَمَا
ولم يغش أطرافَ الأَسِنَّةِ والْقَنَا ... إِذَا النِّكْسُ عَنْ وِرْدَ الْمَنِيَّةِ أَحْجَمَا
ولم يَصْبِرِ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ في الوغا ... إِذَا كانَ أَصْوَاتُ الْكُماةِ تَغَمْغُمَا

(١) «الأنساب» ٢/٧١ .
(٢) «الأصمعي حياته وشعره» ـ ص ٤٣/٤٤ .
(٣) «معجم الشعراء» ـ ص ٣٠٩ ـ طبعة كرنكو .

لِيُحْمَـدَ إنَّ الصَّبْرَ مِنْـهُ سَجِيَّةٌ إِذَا الرِّيْقُ لَمْ يَبْلُلْ مِنَ الْفُزَعِ الْفَمَا
وَمَازَالَ مُذْ شَـدَّ الإِزَارَ بِحَقْوِهِ يَقُودُ إِلَى ٱلأَعْدَاءِ جَيْشاً عَرَمْرَمَا
وَرُوْداً لِحَـوْمَاتِ ٱلْمَنَـايَـا بِنَفْسِـهِ إِذَا الْجِبْسُ هَابَ ٱلْمَشْرَفِيَّاتِ أَقْدَمَا

وله يرثيه وقد حُمِلَ رأسهُ ورؤوس إخوته وأهله إلى سليمان بن عبدالملك :

إِنَّـا لَتُهْـدَى لِلْمُلُوكِ رُؤُوسُنَـا وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ٱلْمُلُوكَ بِهَا تُغْلِي
فَلَوْ كَانَ سَعْدِيًّا لأُلْقِـي بِرَأْسِهِ بِمَدْرَجَةٍ بَيْنَ ٱلْخَنَافِسِ والـزِّبْلِ
وَلَكِنَّهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ قَـدْ عَلِمْتُمُ عِظَامُ اللُّهَى لَيْسُوا لِسَعْدٍ وَلاَ عُكْلِ

وقال الدكتور اللُّمَيْلِمُ[١] كان أبوه مسلم بن عمرو عظيم القدر عند يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ويقال بأنه ولد بالعراق سنة ٤٩هـ ـ ، واستشهد عام ٩٦هـ ، قائد فذ فاتح من مفاخر العرب ، إداري حازم تمرس بالإدارة منذ نعومة أظفاره ، وقاد الجيش وتولى الولاية وهو في العشرينات من عمره ، حارب وهو ابن سبع عشرة سنة ، ودام جهاده قرابة ثلاثين عاماً ، لم يكن من عشيرة كبيرة ، ولكن الذي قدمه في سلم الدرجات هو رجاحة عقله وشدة بأسه ، وإخلاصه لقضية العرب والإسلام وقابليته البدنية وفروسيته وجرأته على الأعداء ، ودرايته في الحرب والطعان[٢].

وقصارى القول أن هذا الشاب العبقري ـ ولاسيما في الفنون العسكرية والسياسية ـ قد تمكن بعبقريته وشجاعته الخارقة ، وحسن اقتحامه للحصون ، وخفة حركته في المعارك ، ومفاجآته لجيوش الترك الجرارة ، جعلت اسمه لامعاً وبارزاً في سجلات الخلود .

---

(١) «نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية» ـ ج ١ ص ١٨٦/١٨٧ ـ.
(٢) صالح مهدي عماش «قتيبة بن مسلم» ص ١١ .

ومهما يكن من شيء فإن هذا القائد العظيم قد تمكن من عبور النهر ، والإيقاع بالعناصر التركية التي كانت تتوطن قريباً من ضفته الشمالية ، وكانت هذه الفتوح أساساً لتلك الولايات التي مازالت قائمة حتى اليوم ، وأن تغير وضعها السياسي ، وكان في تلك الولايات فيها بعد آل سامان وغيرهم . انتهى كلام الدكتور اللُّمَيْلم .

قُرّةُ بن حيّان الباهلي

قال البلاذريُّ[1] في ذكر نسب بني عَمْرٍو بن عبدٍ من باهلة : ومن بني عمرو ابن عبد قُرَّةُ بنُ حَيَّان ، صاحبُ قنطرة قُرَّةَ بالبصرة ، وكان من وجوه قومه . انتهى . وقال في كتاب «فتوح البلدان»[2] : قَنْطَرةُ قُرَّةَ بالبصرة : نُسِبتْ إلى قرة ابن حيان الباهلي ، وكان عندها نهر قديم ثم اشترته أم عبدالله بن عامر فتصدقتْ به مغيضاً لأهل البصرة ، وابتاع عبدالله بن عامر السوق فتصدق به . انتهى .

قَطَنُ بن قُتيبة بن مسلم الباهلي

قال ابن قتيبة[3] : وأما قطن بن قتيبة بن مسلم ، فكان على (سَمْرَقَنْد) ، وغيرها من كُوَرِ خُرَاسان وله هناك عَقِبٌ . انتهى .

وقال ابن جرير في حوادث سنة عشرين بعد المئة[4] أن قطن بن قتيبة عبر النهر في عشرة آلاف ، فأقبل أهل السغد وأهل بخارا ومعهم خاقان الترك ، فحصروه في خندقه ، وعطش من معه ، فمات منهم سبع مئة ، وعجزوا عن

---

(١) «أنساب الأشراف» ـ نسب باهلة ـ مخطوط .

(٢) ٤٥٧ ـ ط المنجد .

(٣) «المعارف» ٤٠٧ . (٤) «تاريخ الأمم والملوك» ٥٧/٦ .

القتال ، فحض الحارث بن سريج الناسَ فقال : أيها الناس القتلُ بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً . فتقدم الحارث بن سريج وقطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد في فوارس من بني تميم وقيس ، فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماءِ ، فابتدره الناس فشربوا ، وحملوا على الْعَدُوِّ ، واشتد القتال فَقتل ثابتُ قُطْنَة في عدة من المسلمين ، منهم صخر بن مسلم العبدي ، وعبدالملك بن دثار الباهلي ، فضم قطنُ بن قتيبة وإسحاق بن محمد بن حسان خيلاً من بني تميم وقيس ، تبايعوا على الموت ، فأقدموا على العدُوِّ فقاتلوهم وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجزهم الليل وتفرق العدو .

وأشار ابن جرير[١] إلى أن قطن بن قتيبة كان على ساقة الجنيد بن عبدالرحمن عامل خراسان وواصل في أهل بخارا وكان ينزلها فأسر مَلِكَ الشاش ، وأسر الجنيدُ من الترك ابن أخي خاقان في هذه الغزاة ، فبعث به إلى الخليفة .

ثم ذكر أنَّ الجنيد استعمل قطن بن قتيبة على بخارا وذالك سنة ١١١ .

وذكر ابن جرير أيضاً[٢] : أنَّ خاقان الترك انصرف سنة اثنتي عشرة ومئة إلى بخارا وعليها قطن بن قتيبة ، فخاف الناس الترك على قطن ، فسار الجنيدُ من سمرقند وخرج الناس معه ، فحدثت معركة بينه وبين الترك تعرف بوقعة (الشعب) .

وذكر[٣] في حوادث سنة عشرين ومئة أن هشام بن عبدالملك استشار أصحابه في رجل يصلح لخراسان ، فأشاروا عليه بأقوام كتبوا له أسماءهم وعدَّ من بين تلك الأسماءِ قطنَ بنَ قتيبة بن مسلم ، ولكن هشاماً اختار نصر بن سيار لولاية خراسان .

وذكر في الولاة في سنة عشرين ومئة أن قطن بن قتيبة على السغد[٤].

---

(١) إلى (٤) «تاريخ الأمم والملوك» ٦/٦٨ و ٨١ و ١٥٥ و ١٥٧ .

قعقاع بن فضالة الباهلي

ترجمه ابن عساكر وقال[1]: من عشيرة قتيبة بن مسلم أمير خراسان ، كان القعقاعُ بخراسان فتهرب من أبي مسلم ، فصار إلى بني أمية بالشام ، وخرج مع عبدالله وعبيدالله ابني مروان إلى أرض المغرب بعد قتل مروان ، فقتل ببلاد السودان مع عبيدالله بن مروان له ذكر .

وذكر في ترجمة عبيدالله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم قال[2]: وهربَ عبدُ الله وعبيد الله ابنا مروان ليلة بُيِّتَ مروانُ إلى أرض الحبشة ، فلقُوا من الحبشة بلاءًا قاتلتهم الحبشة ، فقتلوا عبيدالله وأفلت عبدالله في عدة ممن معه ، وكان فيهم بكر بن معاوية الباهلي ، حتى كان في خلافة المهدي فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عاملُ فلسطين فبعث به إلى المهدي . انتهى .

ولم أجد ترجمة لعبدالله بن مروان في النسخة المصورة من تاريخ ابن عساكر .

كليب بن عمرو الباهلي

عم قتيبة بن مسلم ، قتل يوم الجمل ، على ماذكر خليفة بن خياط[3].

مالك بن أدهم الباهلي

هو مالك بن أدهم بن مُحرز ـ وتقدم ذكر نسبه في ترجمة أخيه إبراهيم بن محرز ـ كان في جيش الجراح بن عبدالله الحكمي ، الذي لاقَى خاقان الترك فهزمه سنة ١٠٥[4].

وكان مالك في جيش ابن هبيرة عامل مروان الذي لاقى قُحْطُبَة بن شبيب

---

(١) «تاريخ دمشق»: ١٤/٤٣٢ .
(٢) المصدر السابق : ١٠/٧٤٢ .
(٣) «تاريخ خليفة» حوادث سنة ٣٦ ص ١٨٩ .
(٤) «تاريخ الموصل» ٢٢ .

الطائي ـ أحد دعاة بني العباس ونقبائهم ـ سنة ١٣١[١]، وذكر ابن جرير في «تاريخه»[٢] أن مالكاً كان على همذان سنة ١٣١ ، ثم خرج منها سنة ١٣١ لما توجه إليها الحسن بن قحطبة ـ من دعاة بني العباس ـ إلى نهاوند ، وكانَ وَلِيَها لابن هُبَيْرَة ، ولما حاصر ابنُ قحطبة نهاوِنْدَ سنة ١٣١ طلب مالكٌ الأمانَ لنفسه ولأهل الشام ، فأعطاه قحطبة الأمان ووفَى له ، ولم يقتل منهم أحداً ، وأورد ابن جرير أن المنصور كان يسأل مالكاً كثيراً عن حديث عجلان بن سُهيل ـ أخي حوثرة ـ قال : كنا جلوساً مع عجلان إذْ مر بنا هشام بن عبدالملك ، فقال رجل من القوم : قد مَرَّ الأَحْوَلُ ! قال : مَنْ تَعْني ؟ قال : هشاما . قال : تُسَمِّي أمير المؤمنين بالنبز !! والله لولا رحمك لضربت عنقك . فقال المنصور : هذا والله الذي ينفع مع مثله الْـمَحْيَا والممات . انتهى .

وذكر البلاذريُّ أن مالكاً هذا كانَ عامِلَ الرَّيِّ سنة إحدى وثلاثين ومئة[٣]، وقال : مالك بن أدهم بن محرز كان من صحابة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ، وكان عالماً فصيحاً . انتهى .

وذكر في «فتوح البلدان»[٤] أن أَذَنَة بُنيتْ سنة إحدى وأربعين ومئة أو اثنتين وأربعين ومئة ، والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مسلمة بن يحيى البجلي ، ومن أهل الشام مع مالك بن أدهم الباهلي ، وجهها صالح بن علي . انتهى .

وقال ابن حزم[٥]: كان من أصحاب أبي جعفر المنصور ، وبلغ مئة سنة ،

---

(١) «تاريخ الموصل»: ١١٦ .
(٢) ٤٠٣/٦ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، و٩٩/٨ . و«المؤتلف والمختلف» للآمدي ترجمة أدهم بن محرز .
(٣) «أنساب الأشراف» القسم الثالث: ١٣٧ .
(٤) ١٩٩ طبعة المنجد .
(٥) «جمهرة أنساب العرب»: ٢٤٦ .

وأبوه من قواد الحجاج ، وجدُّهُ مُحْرِز أحد المهاجرين إلى الشام في أول فتحها وهو حِمْصِيُّ الدار .

وقال ابن عساكر[1]: مالك بن أدهم بن محرز ـ وساق نسبه وقال ـ: وفد على هشام بن عبدالملك ، ونقل عن مالك أنه قال : غزون الصائفةَ مع معاوية ابن هشام ، فلما قفلنا وقدمنا وفداً إلى هشام أنا فيهم ، فلما قدمنا على هشام قام خطيباً فتكلم فأحسن ، ثم قام خطيب البحر من الموالي قال : وقد كان بَعْثُ البحر نُكِبُوا قبل ذالك ثلاث غزوات فقال خطيبُ البحر في كلامه : يا أمير المؤمنين لكل شيء اسطاماً وإن إسطام الموالي العربُ فإن كان لك بثغرك في البحر حاجة فأَسْطِمِ الموالي بالعرب فإنه أحسن لذات بيننا ، وأسخى لأنفسنا ، وأهيب لنا في صدور عدونا ، قال هشام : صدقت ونصحت . فقطع البعث على الموالي والعرب ، ثم نقل عن أبي بكر البغدادي : مالك بن أدهم . . . الباهلي حدث عنه إسماعيل بن عياش ، وكان أحد قواد مروان بن محمد الجعدي في آخر أمره ، كان في إحدى وثلاثين ومئة بنهاوند ، ونقل عن أبي نصر بن ماكولا قوله : أدهم بن محرز بن أسد بن أخشن أحد بني الأحب ابن زيد . . . شاعر من فرسان أهل الشام ، وابنه مسلم بن أدهم ، وأخوه مالك بن أدهم ولي نهاوند لابن هبيرة ، وبلغني أن مالكاً بلغ سنه ؟ وكان من صحابة المنصور . انتهى .

المُثَلّم بن مسروح الباهلي

ذكره البلاذريُّ وقال : إنه أحد بني وائل أو فراص[2].

ويظهر أنه كان ذا نفوذ في الدولة ، وصلة بعبيد الله بن زياد أيام ولايته على

---

(١) «تاريخ دمشق» ١٦/١٦٠ النسخة المصورة .

(٢) «أنساب الأشراف» القسم الرابع ج ١ ص ٣٨٩ .

البصرة ، وسأورد خبره كاملاً كما أورده المبرد في كتابه «الكامل» لطرافته ولبيان ماكانت تتمتع به قبيلته في مدينة البصرة في ذالك العهد من قوة ونفوذ ، قال المبرد(١) : وذكر لعبيد الله بن زياد رجل من بني سدوس ، يقال له خالد بن عَبَّاد ـ أو ابن عُبَاد ـ وكان من نسَّاكهم ، فوجه إليه فأخذه ، فأتاه رجل وقال : هو صهري وهو في ضمني ، فخلى عنه ، فلم يزل الرجل يتفقده حتى تغيب ، فأتى ابنَ زياد فأخبره ، فبعث إلى خالد بن عباد فأُخِذَ ، فقال ابنُ زياد : أين كنت في غيبتك هذه ؟ قال : كنت عند قوم يذكرون الله ، ويذكرون أئمة الجور فيتبرءون منهم ، قال : أدللني عليهم . قال : إذَنْ يسعدوا وتَشْقَى ، ولم أُكُن لأروعهم . قال : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ قال : خيراً . قال : فما تقول في أمير المؤمنين عثمان ، أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية ؟ قال : إن كانا وَلِيَّيْنِ لله فلستُ أعاديهما ، فأراغه مَرَّاتٍ فلم يرجع . فعزم على قتله ، فأمر بإخراجه إلى رحبة تعرف برحبة الزيني ، فجعل الشُّرَطُ يتفادون من قتله ، ويروغون عنه توقياً ، لأنه كان شاسفاً عليه أثر العبادة ، حتى أتى المثلم بن مسروح الباهلي ، وكان من الشرط ، فتقدم فقتله ، فائتمر به الخوارج ليقتلوه وكان مغرماً باللقاح ، يتتبعها فيشتريها من مظانها ، وهم في تفقده ، فدسوا إليه رجلاً ، فلقيه بالمربد ، وهو يسأل عن لقحة صفي ، فقال له الفتى : إن كنت تبلغ فعندي ما يغنيك عن غيره ، فامض معي ، فمضى المثلم على فرسه ، والفتى أمامه ، حتى أتى به بني سعد فدخل داراً ، وقال له : ادخل على فرسك فلما دخل وتوغل في الدار أغلق الباب ، وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن جحل ، وكهمس بن طلق الصريمي فقتلاه . وجعلا دارهِم كانت معه في بطنه ، ودفناه في ناحية الدار . وحَكَّا آثارَ الدم وخَلَّيَا فرسه في الليل ، فأصيب

---

(١) «الكامل»: ٣/٢٧٣ ومابعدها و«أنساب الأشراف» القسم الرابع ١/٣٨٩ .

من الغد في المربد ، وتجسس عنه الباهليون فلم يروا له أثراً ، فأتهموه به بني سدوس ، فاستعدوا عليهم السلطان ، وجعل السدوسيون يحلفون[1] ، وتحامل ابنُ زياد مع الباهليين ، فأخذ من السدوسيين أربعَ دِياتٍ ، وقال : ما أدري ما أصنع بهاؤلاء الخوارج ، كلما أمرتُ بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله ، فلم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس ، فلما واقفهم ابنُ زرعة الكلابي صاح بهم حريث بن جحل : أهاهنا من باهلة أحد ؟ قالوا : نعم . قال : يا أعداء الله ، أخذتم بالمثلم أرْبَعَ دِياتٍ وأنا قتلته ، وجعلت دارهم كانت معه في بطنه ، وهو في موضع كذا مدفون ، فلما انهزموا صاروا إلى الدار فأصابوا أشلاءه والدراهم ، ففي ذالك يقول أبو الأسود الدؤلي :

آلَيْتُ لَا أَغْدُو إِلَى رَبِّ لَقْحَةٍ أُسَاوِمُهُ حَتَّى يَعُوْدَ الْمُثَلَّمُ
وَقَالَ لَهُ: كَوْمَاءُ حَمْرَاءُ جَلْدَةٌ وقارَبَهُ في السَّوْمِ والفَتْكُ يَكتُم
فَأَصْبَحَ قَدْ عُمِّي عَلَى النَّاسِ أَمْرُهُ وقد بات يَجْرِي فَوقَ أَثْوابِهِ الدمُ

وكان أبو الأسود يقول : ما قتل المُثَلَّمَ إلَّا الطمعُ .

وقد أصبح ماوقع للمثلم مضرب المثل (حَتَّى يؤوب المثلم) ، كما أورد الميداني في «مجمع الأمثال»[2] وعدَّهُ من أمثال أهل البصرة ، وساق الخبر كاملاً الشيبي في «تمثال الأمثال»[3] وأورد المثل نفسه .

المثنى بن الحجاج الباهلي

ذكر ابن جرير[4] في حوادث سنة خمس وسبعين ومئة أن يحيى بن عبدالله ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ظهر بالديلم ، واشتدَّتْ شوكته ،

(١) في «أنساب الأشراف» ٣٩٠ : (وخرج قوم من باهلة إلى معاوية أو يزيد فحكم على بني سدوس بالقسامة فحلفوا بالله ماقتلنا ولا علمنا) .
(٢) ٣٨٣/١ ط عيسى الحلبي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
(٣) ٤١٦/٢ . (٤) «تاريخ الأمم والملوك» ٢٤٢/٨ .

فندب إليه الرشيد الفضلَ بن يحيى وولاه كُوَرَ الجبال والري وجرجان وطبرستان ، ففرق الكور على قواده ، فولى المثنى بن الحجاج بن قتيبة بن مسلم طبرستان . إلى آخر ماذكر ، وهذا يدل على أن المثنى تولى إمارة طبرستان في تلك السنة .

مُحْرِزُ بن أُسَيْدٍ الباهلي

قال ابن عساكر(١) : مُحْرِزُ بن أُسَيْدٍ - ثم ساق نسبه إلى وائل - الباهلي شهد فتح دمشق ثم سكن حمص ، وكان أول من قَتَلَ بها من المشركين ، حكى عنه ابنه أدهم بن محرز عن أبيه قال : فتحنا دمشق سنة أربع عشرة في رجب لخمس عشرة مضت من الشهر يوم الأحد لثلاثة عشر شهراً من إمارة عُمَر إلا سبعة أيام ، قال : وكان أهلُ دمشق بعثوا إلى قيصر وهو بأنطاكية رسولاً : إنَّ العربَ قد حصرتنا وصَعُبَ علينا وليس لنا بهم طاقة ، وقد قَاتَلناهُمْ مِراراً فعجزنا عنهم . - وذكر حديثاً طويلاً في قصة وقعة فحل - ثم نقل عن خليفة أَنَّ في سنة ثمان وسبعين غزوة محرز بن أَبي محرز أرض الروم وفتح أرقلة ، فلما قفل أصابهم . . . من وراء دَرْبِ الْحَدَثِ فأُصِيب فيه ناس كثير . انتهى .

وقال ابن حجر في «الإصابة»(٢) : له إدراك ، ذكره أبو بشر الدولابي في الكُنَى في ترجمة ولده أَدهم منْ روايةِ أَدْهم قال : قال أول رَايَةٍ دخَلَتْ حِمْصَ ورُكِزَتْ حول مدينتها راية ميسرة بن مسروق ، قال : ولقد كانت لأبي أمامة رَايةٌ ، ولأبي محرز بن أُسيد قال : وكان أبي أولَ مسلم قتل مشركاً بحمص وهو القائل في الخضاب :

وَلَـمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ شَيْناً لِأَهْلِهِ تَفَتَّيْتُ وابْتَعْتُ الشَّبَابَ بِدِرْهَـمِ

(١) «تاريخ دمشق» : ١٦/٢٧٥ .
(٢) القسم الثالث : ٣٦٧ .

وكان أَدْهَـمُ مِنَ الأمراء الشاميين في وقعة عين الوردة ، وكان هو البشير بالفتح ، وهو أول مولود بحمص ، وأول مولود فُرِضَ له بها (قلت) : وقد تقدم أنهم ماكانوا يُؤمرون في الفتوح إلا الصحابة ، فيكون محرز على هذا من أهل القسم الأول ، وقد أشرت إليه هنا في القسم الرابع . وقال أيضاً[1] : محرز بن أَسَيد الباهلي . . . له إدراك ، وذكر أبو إسماعيل الأزدي أنه شهد حصار دمشق في خلافة أبي بكر ، ونقل عن عمرو بن مالك عن أدهم بن محرز بن أسيد الباهلي عن أبيه قال : افتتحنا دمشق سنة أربع عشرة في خلافة عمر ، وقال قرة ابن لقيط عن أدهم بن محرز : أول راية دخلت أرض حمص راية مسروق بن ميسرة ، وقال : وكان أبي يقول : أنا أول رجل قتل رجلاً من المشركين بحمص ، قال أدهم : وإنِّـي أول مولود بحمص ، وأول من فُرِضَ له بها ، وبيدي كَتِفٌ ، وأنا اختلف إلى الكُتَّاب ، وأخرج ابن عساكر بسنده إلى أدهم ابن محرز عن أبيه : قال افتتحنا دمشق في رجب سنة أربع عشرة ومن طريق خليفة بن خياط قال : في رجب سنة ثمان وسبعين غزا محرز بن أبي محرز أرض الروم وفتح ارحلة . انتهى وتقدم ذكره في الصحابة .

محمد بن عبد الرحمن الباهلي

ولعراقة أسرة الباهلي في مؤازرة الدعوة السلفية عن صدق وإخلاص ، عرفت الدولة السعودية لهم ذالك ، ولاتزال توليهم من التقدير ماهم جديرون به منذ قيام هذه الدولة الكريمة إلى عهدنا الحاضر .

وممن شملتهم رعاية الدولة وتقديرها الأمير محمد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سليمان بن موسى بن سليمان الباهلي ـ أمير الدرعية ـ الآن .

---

(١) «الإصابة» القسم الرابع : ٤٨٦ .

ولد الأمير محمد ، في بلدة الدرعية سنة ١٣٢٧هـ ، وقَرَأَ القرآن الكريم في صغره تحت رعاية والده ، وكان طالِبَ علم .

ثم أكمل حفظ القرآن الكريم على الشيخ محمد بن عبدالعزيز الهلالي وعمره أربع عشرة سنة وأنهى دراسة «الثلاثة الأصول»، وكتاب «كشف الشبهات» ، و «آداب المشي إلى الصلاة» وكتاب «التوحيد» على الشيخ محمد الهلالي ، إمام جامع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مدينة الدرعية ، وفي شعبان سنة ١٣٤٤هـ اخْتِيْرَ مع عدد من طلبة العلم للسفر إلى الحجاز للوعظ والإرشاد والتبصير في أمور الدين .

وفي سنة ١٣٥٠هـ بُعِث بأمرِ الملك عبدالعزيز ليكون مرشداً وإماماً لقبيلة الظَّفِير لدى شيخها عجمي بن سُوَيْط ، ثم تنقل بعد ذالك في وظائف الوعظ والإرشاد حتى سنة ١٣٨٢هـ حيث عين رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرياض في أحد مراكزها في عام ١٣٨٣هـ إلى عام ١٣٨٥هـ .

وفي ربيع الثاني عام ١٣٨٥هـ عين أميراً لمدينة الدرعية ، ولايزال قائماً بعمله مع إشرافه على أعمال أخرى تتعلق ببعض الشؤون الاجتماعية منها : رئاسة مجلس إدارة مركز التنمية الإجتماعية منذ تأسيسه سنة ١٣٨١هـ حتى استقال من الجمعية بتاريخ ١٣٨٩/٣/٢٦هـ ، لكثرة أعباء الإمارة ورغبته في التفرغ لعمله ، بإخلاء المجال لغيره من المواطنين ليقوموا بواجبهم نحو تلك الجمعية .

ولا يتسع المجال للحديث عما بذله في سبيل تقدم مدينة الدرعية في مختلف مرافقها الحيوية ولا بما عرف عنه من كريم الخلال ، وحميد الصفات ، ومحبة الخير ، والعفة والورع والتقوى والصلاح .

محمد بن المثنى بن الحجاج الباهلي

قال ابن حزم[1]: محمد بن المثنى بن الحجاج بن قتيبة بن مسلم ، كان مغنياً ، وكان من قواد طلحة بن طاهر بن الحسين بخراسان . انتهى . وكان طلحة هذا ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة سبع ومئتين ـ أيام المأمون ـ سبع سنين بعد موت طاهر ، على ماذكر ابن جرير في «تاريخه»[2].

المستورد بن قدامة الباهلي

قال البلاذري[3]: المستورد بن قدامة ، وكان من الذين شهدوا على نسب زياد أيام معاوية ، كذا قال البلاذري ، وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر : مستورد بن قدامة الباهلي من أهل العراق وَفَدَ على معاوية وكان ممن شهد لزياد أنه ابن أبي سفيان ، تقدم ذكر وفوده في ترجمة زياد بن أسامة الحرمازي . وفي ترجمة زياد بن أسامة الحرمازي[4] ذكر أن أبا سفيان أقر أن زياداً ابنه ، وشهد المستورد بن قدامة الباهلي وابن أبي نصير الثقفي في آخرين سماهم ، والمشهودُ بِبُنُوّته لأبي سفيان هو زياد بن أسامة الحرمازي البصري على مافي الترجمة التي ساقها ابن عساكر ، ويظهر أن فيها خلل، وأن المقصود زياد بن أبيه ، ومهما يكن فالمستورد ـ كما يفهم من الخبر ـ من أعيان ذالك العصر .

مسلم بن سعيد الباهلي

عده نصر بن مزاحم في كتاب «صِفِّيْن»[5] ممن أُصِيبَ في المبارزة ، ولم

(١) «جمهرة أنساب العرب» ٢٤٦ .
(٢) ٥٩٥/٨ ـ حوادث سنة ٢٠٧ .
(٣) ٤١٠/١٦ «تاريخ دمشق». (٤) ٤٦٦/٦ .
(٥) ٦٤١ .

يوضح هل هو من أصحاب علي أو من أصحاب معاوية . وهذا يدل على أنه من الأعيان ، إذ عادة المؤرخين ، عدم ذكر من ليس منهم أثناء الحوادث ، ووقعة صِفِّينْ حدثت سنة سبع وثلاثين .

مسلم بن الشّمَرْدَل

قال البلاذري(١) : ومن باهلة مسلم بن الشمردل ، الذي دخل على بلال ابن أبي بردة ، فجلس متربعاً بين يديه ، فقال له : لقد جَلَسْتَ جِلْسَةَ بَغِيٍّ ، قال : إنَّك لعالم بجلوسهنَّ . قال : ياابن اللَّخْنَاء قال : بل أنت . انتهى .

مسلم بن عبدالرحمن بن مسلم الباهلي

١ ــ كان والياً لبلخ سنة إحدى عشرة ومئة(٢) وعشرين ومئة(٣) .

٢ ــ وفي سنة ثلاثة وعشرين بعد المئة ذكر ابن جرير أنه كان عاملاً لطخارستان وفيه قال عثمان بن صدقة بن وثاب :

خَـيَّـرَنِي مُـسْـلِمٌ مَـرَاكِـبَـهُ   فَقُلْتُ: حَسْبِي مِنْ مُسْلِمٍ حَكَمَا
هَـذَا فَتَى عَـامِـرٍ وَسَيِّـدُهَـا   كَفَى بِمَنْ سَادَ عَامِراً كَـرَمَـا

حكم - يعني الحكم بن نميلة وكان عامل الجوزجان(٤) .

٣ ــ وفي سنة ١٢٨ ذكره ابن جرير ممن وفد على نصر من كُوَرِ خُرَاسان(٥) .

٤ ــ وذكر ابن جرير في حوادث سنة ١٢٨ فيما وقع بين اليمانية ومضر أن رجلاً يمانياً أخذ بعنان فرس مسلم بن عبدالرحمن بن مسلم فعرفه وتركه ،

---

(١) «أنساب الأشراف» - نسب باهلة .

(٢) إلى (٨) «تاريخ الأمم والملوك» لابن جرير ٦٩/٧ و١٥٧ و١٩٥ و٣٣٢ و٣٣٦ و٣٣٨ و٣٨٧ و«الكامل» لابن الأثير : ٢٠٦/٤ ، ٢٠٩ ، ٢٣٩ ، ٢٩٣ ، ٣١٢ الطبعة الأولى .

واقتتلوا ثلاثة أيام فَهَزَمَتْ آخر يوم المضريةُ اليمنَ(٦).

٥ ــ وذكر أيضاً أن مسلماً رجع إلى مرو مع نصر(٧).

٦ ــ وفي سنة ثلاثين ومئة ذكر الطبري أن المضرية أقبلتْ من (تِرْمِذَ) عليهم مسلم بن عبدالرحمن الباهلي فالتقوا وأصحاب عثمان بن جديع الكرماني، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب عثمان وغلب المضرية ومسلم بن عبدالرحمن على مدينة بلخ(٨).

مسلم بن عمرو الباهلي

قال البلاذري: وكان مسلم بن عمرٍو الباهلي أبو قتيبة نديماً ليزيد، يشرب معه ويغنيه، فقال الشاعر حين عُزِلَ يزيدُ بْنُ المهلبِ عن خُرَاسان ووليها قُتيبة:

شَتَّان مَنْ بِالصَّنْج أَدْرَكَ وَالَّذِي ... بِالسَّيْفِ أَدْرَكَ وَالْحُرُوْبُ تَسَعَّرُ(١)

كذا قال البلاذري. وقد يكون ماذكر عنه أيام شبابه، فقد أورد ابن جرير من أخباره مايدل على أنه كان ذَا شأنٍ وشهرة، وصيت في الدولة في عهده، ومن ذالك أن يزيد بن معاوية بعثه بعهده إلى عبيدالله بن زياد والياً على البصرة سنة ستين، وأنه رافق ابنَ زياد حين ذهب من البصرة إلى الكوفة، وأورد

---

(١) «أنساب الأشراف» ٢٩٨/٤، ٢٩٩ ـ هذا البيت من أربعة أبيات وردت في «وفيات الأعيان» ٢٩٠/٦ منسوبة لعبدالله بن همام وقيل إنَّها لنهار بن تَوْسعة اليشكري ورجح هذا الدكتور نوري حمودي القيسي الأبيات هي:

أُقُتَيْبَ قَدْ قُلْنَا غَدَاة أَتَيْتَنَا ... بَدَلٌ لِعَمْرُكَ مِنْ يَزِيْدِ أَعْوَرُ
إِنَّ الْمُهَلَّبَ لَمْ يَكُنْ كَأَبِيْكُمُ ... هَيْهَاتَ شَأْنُكُمُ أَرَقُّ وَأَحْقَرُ
شَتَّانَ مَنْ بِالصَّنْجِ أَدْرَكَ وَالَّذي ... بِالسَّيْفِ شَمَّرَ وَالْحُرُوْبُ تَسَعَّرُ
حُوْلَانُ بَاهِلَةَ الأُلَى فِي مُلْكِهِمْ ... مَاتَ النَّدَى فِيْهِمْ وَعَاشَ الْمُنْكَرُ

محاورته هانئ بن عروة المرادي حين التجأ مسلم بن عقيل عنده سنة ستين ، ومحاورته مسلم بن عقيل ، وأنه كان مع مصعب بن الزبير سنة ٦٨ ، وقتل معه سنه إحدى وسبعين وذكره الْبَعِيْثُ اليشكري في شعره في قتل مصعب ومن معه .

وترجمه ابن عساكر فقال(١) : مسلم بن عمرو بن حصين بن أسيد بن قضاعي الباهلي ، والد قتيبة بن مسلم ، كان عظيمَ القدر عند يزيد بن معاوية ، ووجهه يزيدُ إلى عُبيد الله بن زياد بتوليته إياه الكوفَة ، عند توجه الحسين عليه السلام إليها ، وذكر أبو الفرج الأصفهاني : كان مسلم بن عمرو الباهلي على ميسرة إبراهيم بن الأشتر فَارْتُـثَّ ، فلما قُتِلَ مصعبُ أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمان من عبدالملك ، فأرسل إليه : ماتصنع بالأمان وأنت بالموت ؟ قال : لِيَسْلَـمَ لي مالي ويأمنَ ولدي . قال : فَحُمِلَ على سريرٍ فَأُدْخِلَ على عبدالملك ، فقال عبدالملك لأهل الشام : هذا أكفرُ الناس لمعروف ، ويحك أكفرت معروف يزيد بن معاوية عندك ؟ فقال له خالد : تؤمنه يا أمير المؤمنين فأمنه ، ثم حمل فلم يبرح الصحن حتى مات .

وساق بسنده إلى خليفة العصفري : وقتل مع مصعب ابنه عيسى بن مصعب ، ومسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي يعني سنة اثنتين وسبعين .

وقال عبدالجبار الجومرد(٢) : كان مسلم بن عمرو بن الحصين هذا رجلاً جليل القدر ، وفارساً معروفاً من فرسان الميادين ، وهو صاحب الْـحَرُوْن إحدى الجياد العتاق ، التي تتصل بها أنساب عتاق خيول العرب ، وكان مقرباً

---

(١) «تاريخ دمشق» ١٦/٤٨٢ .
(٢) «الأصمعي حياته وشعره» ـ ٤٣ ـ.

عند الخليفة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ، فلما ثار مصعب بن الزبير في العراق وغلب أمره على البصرة والكوفة التحق به مسلم ، وقاتل معه ضدَّ الخليفة عبدالملك بن مروان ولكنه جُرِحَ وأُسِر ، فجيْءَ به إلى عبدالملك فاعتذر له عما حدث منه ثم مات من جرحه . انتهى .

المسور بن عبد الله الباهلي

ذكر ابن جرير في حوادث سنة تسع وخمسين ومئة[1] : أن عمارة بن حمزة ، وقد جعل إليه المهديُّ أَمْرَ الأَحداث ، ولَّى المسور بن عبدالله بن مسلم البصرة .

وهناك راوٍ من رواة الحديث يتفق في الاسم واسم الأب مع هذا المترجم ذكر ابن حجر[2] : أن الحارث بن أسامة روى من طريق المسور بن عبدالله الباهلي عن بعض ولد الجارود أنه أخذ نسخة عنده من نسخة عهد العلاء بن الحضرمي حين بعثه النبي ﷺ إلى البحرين .

أبو الْمَضَاءِ الباهلي

كان من قواد الجيش الذي وجه الحسن بن سهل سنة ١٩٩ ، لمحاربة أبي السَّرَايَا الخارج على الخلافة ، قال الأَزْدِيُّ في «تاريخ الموصل»[3] : ووجه الحسن أيضاً أبا المضاء الباهلي ، فوجه إليه محمد بن محمد الطالبي محمد بن إسماعيل فالتقوا بساباط السواد ، فهزم أبا المضاء ، فلما رآى الحسن بن سهل

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك»: ١٢٣/١٢١/٨ .
(٢) «الإصابة» ترجمة شبيب بن قرة .
(٣) ٣٥٥ .

أن أبا السرايا لا يلقى عسكراً إلا هزمه ، ولا يتوجهون إلى بلدة إلا دخلوها ، وَجَّهَ هَرْثَمَة ـ إلى آخر ما ذكر ـ ولم أر في حوادث سنة ١٩٩ في تاريخ «ابن جرير» ذِكْراً لأبي المضاء الباهلي ، ولم أهتد إلى معرفة اسمه .

مُطَرِّفُ بن سيْدان الباهلي

سيأتي سياق نسبه إلى جآوة ـ عند ذكر أخيه مكْرَم ـ وذكر ابن جرير[1] في حوادث سنة إحدى وسبعين ، والبلاذري في «فتوح البلدان»[2]: أن مصعب ابن الزبير ولى شُرَطَهُ مُطَرِّفَ بن سيْدان الباهلي ، أحد بني جِئَاوة ، فَأُتِـيَ بالنابي ابنِ زياد بن ظبيان من بني عياش بن مالكِ بن تيم الله ، وبرجل من بني نُمَيْرٍ قطعا الطريق فقتل مُطَرِّفُ النابِـيَ بنَ زياد ، وضرب النميري سياطاً وتركه ، وذكر أن مصعباً عزله عن الشرطة وولّاه الأهواز ، فخرج عبيدالله بن زياد بن ظبيان يريده ، وكان قد جمع له جمعاً ، فالتقيا فتوافقا ، وبينهما نَهْرٌ ، فعبر مطرف إليه النهر ، وعاجله ابنُ ظبيان فطعنه ، فقتله ، فبعث مصعب مُكْرَمَ بْنَ مطرف في طلب ابن ظبيان ، فلم يلقه ، وأورد من شعر الْبَعِيْثِ اليشكري بعد قتل مصعب :

وَلَـمَّا رَأَيْنَا ٱلْأَمْرَ نِكْساً صُدُوْرُهُ ... وهَمُّ الْهَـوَادِي أَنْ يَكُنَّ تَوَالِيـا
صَبَـرْنَا لِأَمْـرِ الله حَتَّى يُقِيْمَـهُ ... وَلَـمْ نَرْضَ إِلَّا منْ أُمَيَّةَ وَالِيَا
وَنَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَباً وابْنَ مُصْعَبٍ ... أَخَـا أَسَـدٍ والنَّخَعِـيَّ الْيَمَـانِيَـا
وَمَرَّتْ عِقَابُ الْـمَوْتِ مِنَّا بِمُسْلِمٍ ... فَأَهْوَتْ له نَاباً فَأَصْبَـحَ ثَاوِيَـا
سَقَيْنَا ابْنَ سِيْدَانٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ ... كَفَتْنَا، وَخَيْرُ ٱلْأَمْرِ مَاكَانَ كَافِيَا

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك»: ٦/١٦٠ .
(٢) ٤٧١ ـ ط : المنجد .

معاوية بن بكر الباهلي

هو ابن بكر بن معاوية بن نبيشة بن جندب بن كليب بن عليم بن عدي بن عمرو بن معن بن وائل[١]، ولي أبوه ديوانَ الجند ووليه هو أيضاً ، في أول عهد بني العباس ، فقد كان بكر ـ أبو معاوية ـ من قواد أبي جعفر المنصور ـ على ماتقدم في تفريع نسب باهلة .

وعده صاحب «تاريخ الموصل»[٢] من صحابة المنصور ، وله ابن يدعى أحمد .

مُكْرَمُ بن سِيْدان الباهلي

هو مُكْرم ـ بضم الميم وإسكان الكاف ـ أخُو مُطَرِّف بن سِيدان ، المتقدم ذكره بن عقيلة بن ذكوان بن حيان بن الخرزق بن عيلان بن جِئآوة بن معن ، وساق نسبه ابن خلكان وقال[٣] : هكذا نسبه استخرجته على هذه الصورة من كتاب «الجمهرة» لابن الكلبي . ولكن لم يرد في الجزء المطبوع من «جمهرة» ابن الكلبي ذكر لمكرم ، كما لم يرد تفريع لنسب جِئَاوةَ سوى ذكر أبنائه : عتبان وحميسا وعيلان .

وأضاف ابن خلكان : ومُكْرَمٌ المذكور يعرف بمكرم الباهلي الجآوِيّ والله أعلم . وورد اسم (جاوة) و(الجاوي) بالحاء المهملة خطأً . وقال : وقيل هو مكرم أحد بني جعونة . انتهى وجعونة هذا من نمير كما ورد في «معجم البلدان»[٤]: وعسكر مكرم هذه قرية قديمة في خوزستان ، بناها مكرم ولم يزل

---

(١) «جمهرة النسب» ـ ٤٦٢ ـ تحقيق د. ناجي حسن .

(٢) ١٩٧/١٩٨/٢٢٤ .

(٣) «وفيات الأعيان»: ١/١٥٥ تحقيق الدكتور احسان عباس .

(٤) رسم (عسكر مكرم) .

يزداد عمرانها حتى أصحبت مدينة ، وعرفت باسم عَسْكَر مكرم ، ونسب إليها كثير من أهل العلم منهم : العسكريان أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد ، وأُبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل ، تلميذ الذي قبله .

المنتشر بن وهب الباهلي

المنتشر هذا هو ابن وهب بن سلمة بن كَرَاثَة بن هلال بن عمرو بن سلامة ابن ثعلبة بن وائل الباهلي ، على مانقل صاحب «الخزانة»(١) عن أبي عبيدة ، ونقل عن الأصمعي : المنتشر بن هبيرة بن وهب بن عوف بن حارث بن ورقة ابن مالك .

وهو من فتاك العرب المشهورين ، وكان كَثِيْرَ الإغارة على قبائل اليمن ، وعلى غيرها من القبائل الأخرى ، وفي «أنساب الأشراف» للبلاذري(٢) : المنتشر ابن وهب . . . كان شريفاً ، وكان يغاور أهلَ اليمن ، وقتلته بنو الحارث بن كعب ، وكان يَعْدُوْ على رجليه ، ويفعل كما كان سُلَيْكُ يفعل أَحياناً وَيُغِيْرُ أَحْيَاناً في جموعه ، وقتل مُرَّةَ بْنَ عاهان ، وأسر رجلاً من بني الحارث يقال له : صلاءة ، ثم قال له : افْتَدِ نفسك . فتلكَّأَ ، فقال : والله لاَ يَذُرُّ شارِقٌ إلا قطعت منك مفصلاً . فقطَّعَه أنملةً أنملةً ، وعُضْواً عضواً ، حتى أتى على نفسه ، فسمت بنو الحارث المنتشر مُجَدِّعاً ، فطلبوه ، فلم يقدروا عليه .

ثم إنه حج إلى ذِي الْـخَلَصَةِ وهو بيت بالعبلاء ، كانت خثعم ومن يليهم من قيس وغيرهم يحجونه ، وهو اليوم موضع مسجد العبلاء ، فدلَّ قومٌ من بني

---

(١) ١٨٨/١ .
(٢) نسب باهلة ـ ولايزال الكتاب مخطوطاً .

عمرو بن كلاب اجتعلوا من بني الحارث جُعْلاً ، ودلُّوهُم عليه ، فانتهوا إلى رَبِيئَتِهِ ، وهم نيام ، فجاوزوهم إليه وهو نائم ، فأخذوه سلماً ، فقطعوه كما فعل بصاحبهم . وذكر مرثاة أَعْشَى باهلة له وسترد في ترجمة الأعشى .

وقد ذكر صاحب «الأغاني»[1] نقلاً عن الأصمعي أنه اجتمع ناس من العرب بعكاظ ، منهم قرة بن هُبيرة القشيريُّ ، والمخبل وهو في جوار قرة بن هبيرة القشيري في سنين تتابعت على الناس ، فتواعدُوا وتوافقوا أن لا يتغاوروا حتى يخصب الناس ، ثم قالوا : ابعثوا إلى المنتشر بن وهب الباهلي ثم الوائلي فليشهد أمرنا ، ولندخله معنا ، فأتاهم فأعلموه ماصنعوا ، قال : فما يأكل قومي إلى ذاك ؟ فقال له ابن جارم الضبي : إنك لهناك يا أخا باهلة ، قال : أما أنا فالغسل والنساء علي حرام حتى آكل من قمح إبلك ، فتفرقوا ، ولم يكن إلا ذالك ، وقد قال ابن جارم للمنتشر ـ عند قوله ـ: أُسْتُكَ أَضْيَقُ من ذاك . فأغار المنتشر على ابن جارم ، فلما رآه ابنُ جارم رمى بنفسه في وِجَارِ ضَبُعٍ ، وأَطْرَدَ المنتشرُ إبلَهُ ورُعَاءَها ، فقال سهل في ذالك :

هَاجَ لَكَ الشَّوْقُ مِنْ رَيْحَانَةَ الطَّرَبَا

في قصيدة طويلة له حسنة ، وقال في ذالك أعشى باهلة :

فِدًى لَكَ نَفْسِي إِذْ تَرَكْتَ ابْنَ جَارِمٍ ... أَجَبَّ السَّنَامِ بَعْدَ مَاكَانَ مُصْعَبَا

وقال المخبل في ذالك :

إِنَّ قُشَيْرًا مِنْ لِقَاحِ ابْنِ جَارِمٍ ... كَغَاسِلَةٍ حَيْضاً وَلَيْسَتْ بِطَاهِرِ
وأُنْبِئْتُمَانِي أَنَّ قُرَّةَ آمِنٌ ... قِتَالاً أَبَاهُ مِنْ مُجِيرٍ وَخَافِرِ

---

(1) ١٥/١٨٧ .

فَـلاَ تُـوكِلُوْهَـا الْبَـاهِلِيَّ وَتَقْعُـدُوا لَـدَى غَـرَضٍ أرْمِيْكُـمْ بِـالنَّـوَاقِـرِ
إذَا هِـيَ حَلَّتْ بالذَّهَـابِ وَذِي حُسَا وَرَاحَتْ خِفَافَ الْوَطْءِ حُوْشَ الْـخَوَاطِرِ

وبسبب قتل جعدة سيدان بن المنتشر وانتقامه بقتل ثلاثة منهم حصل التصدع بين بطون باهلة ، كما تقدمت الإشارة إلى ذالك .

وقد كان قَتْلُ الْـمُنْتَشرِ على يدِ هِنْدِ بنِ أسماءَ من بني عبدالمدان ، رؤساء بني الحارث وله يقول أعشى باهلة[1] :

قَتَلْتَ في حَرَمٍ مِنَّا أَخَـا ثِقَةٍ هِنْدَ بْنَ أَسْمَا فَلاَ يَهْنَأْ لَكَ الظَّفَرُ

وقد ساق خبر قتله المبرد في «الكامل» بما نصه : كان المنتشر أحدَ رِجْلَـيِ العرب ـ قال الأخفش: هو منسوب إلى الرِّجْلِ ، وهم السعاة السابقون في سعيهم ـ وذكر صاحب «الخزانة»[2] أنه كان ممن يَعْدُوْ أشَدَّ من عَدْوِ الظبي . قال المبرد[3] : وكان من خبره أنه أسر صلاءة بن العنبر الحارثي ، فقال : افتد نفسك ، فأبى ، فقال : لأُقَطِّعَنَّك أُنْمُلَةً أُنْملةً وعضْواً عضواً مالم تفتد نفسك ، فجعل يفعل ذالك به حتى قتله ، ثم حج من بعد ذالك المنتشر ذَا الْـخَلَصَةِ ـ وهو بيت كانت خثعم تحجه ، زعم أبو عبيدة أنه بالعبلات ، وأنه مسجد جامعها[4] ، فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين ، فقبضوا عليه ، فقالوا : لنفعلَنَّ بك كما فعلت بصلاءة ، ففعلوا ذالك به ، فلقى راكبٌ أعشى باهلة ، فقال له أعشى باهلة : هل من جائبة خبر ؟ قال : نعم ، أَسَرَتْ بنو الحارث المنتشرَ ، وكانت بنو الحارث تسمي المنتشرَ مُجَدِّعاً ، فلما صار في

---

(١) «الأنساب» للصحاري ٣١٧/١ . (٢) ٤٠١/١١ .
(٣) «الكامل» ٦٤/٤ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
(٤) انظر عن ذي الخلصة كتاب «في سراة غامد وزهران» .

أيديهم ، قالوا : لنقطعنك كما فعلت بصلاءة ، فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر .

ـ وأورد القصيدة كاملة ـ .

وقال عن هذه القصيدة : كانت العرب تقدم المراثي وتفضلها ، وترى قائلها بها فوق كل مُؤَبِّنٍ ، وكأنهم يرون بعدها من المراثي منها أُخِذَتْ ، وفي كنفها تصلح ، فمنها قصيدة أعشى باهلة التي يرثي بها المنتشر .

وفي «أمالي» السيد المرتضي[1] : وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة ، وقد رُوِيَ أنها لِلدَّعْجاء أُخْتِ المنتشر ، وقيل : لليلى أخته ، قال : ومن هنا اشتبه الأمر على عبدالملك بن مروان فَظَنَّ أنها لليلى الأخيلية .

وذكر صاحب كتاب «تحفة الألباب شرح الأنساب» عند قول صاحب «عمود النسب» في ذكر باهلة :

مِنْهَا ٱلْأَدِيْبُ الأَصْمَعِيُّ الْـمُنْكِرُ   نَـسَـبَـهُ والـظالم الْـمُـنْـتَشِرُ

يعني المنتشر بن وهب الباهلي ، كان في الجاهلية مُشْتَهِرٌ بالظلم ، روي أن العرب قحطوا فاجتمعوا وتعاضدوا على العاقبة وعدم الظلم ، حتى يُمْطَروا . فقال قائل منهم : هذا أمر لم يقبله المنتشر بن وهب ، فبعثوا إليه بذالك مع رجل من بني ضبة ، فلما سمع قوله قال : ما تأكل قومي إلى ذالك ، فتوارَى عنه الضبيُّ فطلبه ليقتله فلم يجده فركب وأغار ، وهو من سادات العرب . انتهى .

---

(١) ٢/٢٠ ـ ٢٤ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

موسى بن حنتم الباهلي

يظهر أن هذا كان أميراً في بلاد القصيم ، وأن قبيلة بني لأْمٍ نازعوه الأمر ، وليس بين يديَّ من المعلومات عنه سوى ما اطلعت عليه في كتاب «عسير» في مذكرات سليمان الكمالي لأحمد بن حسن النعمي [1] حيث نقل عن القاضي مسعود بن جابر النَّهْدي قاضي تثليث من كتابه الذي دعاه «المروج الحسان في تراجم الأمراء والأعيان» وقد تحدث فيه بإسهاب عن أمراء وادي الدواسر ، وذكر من بينهم مصلح بن مطلق من آل وُعَيْل ، وأن أمير بلاد عسير سالم بن عبدالله بن إبراهيم وجه الحصين بن مصلح ومدلج بن عرفجة شيخ بني زيد بن ليث ، ومعهم بعض قبائل بني إسماعيل ونَهْدٍ إلى نجد ، لقتال بني لأْمٍ في القصيم ، دَعْماً لموسى بن حنتم الباهلي ، واستقرت بنو زيد وآل أبي الحصين في العرض والقصيم وترأَّسَتْ فيها ، وأشار إلى أن ذالك حدث في آخر القرن العاشر الهجري . كذا ذكر ، ولست على ثقة منه ، ولكن من المعروف أن باهلة كان منها في ذالك العهد من كان مستوطناً في المذنب وماحوله من بلاد القصيم كما تقدم ذكر ذالك في الكلام على تفرق باهلة ، ولاتزال لهم بقية هناك في بلدة (الْـمُرَبَّعِ) .

نُعَيْم بن عبد مناف الباهلي

قال ياقوت في «معجم البلدان» في الكلام على تَرْجٍ : وهناك أصيب بِشْرُ بن أبي خازم ، رماه نُعيم بن عبد مناف بن رياح الباهلي ، الذي قيل فيه : أَجْرَأُ من الماشي بِتَرْجٍ . فمات بالرَّدْهِ . ثم أضاف ياقوت : ويحتمل أن يكون المراد بالمثل الأسد لكثرتها في ترج . انتهى .

وبشر قتل في العهد الجاهلي .

---

(١) ٣٢ .

وَرْقَاءُ بن نصر الباهلي

كان على شُرَطِ قتيبة بخراسان ، على ماذكر ابن جرير في «تاريخه»[1] في حوادث سنة ٩٦ وتقدم في الكلام على شَرِيك بن الصامت ، وذكر ابن جرير في حوادث سنة اثنتين بعد المئة مايفهم منه أن ورقاء بن نصر الباهلي كان يتولى أَمْرَ السجن في خراسان ، حيث ذكر أن سعيد بن عبدالعزيز استعمله مسلمة ابن عبدالملك على خراسان ، فرفع إليه أن جهم بن زُحَرٍ الجعفيَّ وسبعة معه عندهم أموال قد اختانوها من فَيْءِ المسلمين ، فأمر سعيد بجهم ومن معه ممن كانوا في السجن فَدُفِعُوا إلى ورقاء بن نصر الباهلي فاستعفاه فأعفاه . هكذا أورد الخبر ابن جرير .

أبو هَوْذَة : (شَمّاس بن هوذة)
يزيد بن سعيد الباهلي

ذكر ابن جرير[2] في حوادث سنة عشر ومئة في ذكر وقعة (كمرجة) - بقرب (بخارى) - قال : وكانت (كمرجة) من أشرف أيام خراسان وأعظمها أيام أشرس بن عبدالله في ولايته ، قال : وأَتَتِ التركُ برئاسة بازغري وكان داهية ، وكان خاقان لا يخالفه فقال : أمنونا حتى ندنوا منكم ، فأمنوه ، وأشرفوا عليه ، ومعه أُسْرى من العرب ، فقال بازغري : يا معشر العرب ، احدروا إليَّ رجلاً منكم أكلمه برسالة خاقان ، فأحدروا حبيباً مولى مهرة من أهل (درقين)، فكلموه فلم يفهم ، فقال : احدروا إليَّ رجلاً يعقل عني ، فاحدروا يزيد بن سعيد الباهلي ، وكان يَشْدُوْا شدوا من التركية ، فقال : هذه خيل

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ٥١٣/٦ و٦٠٦ .
(٢) المصدر : ٦٠/٧ ومابعدها .

الرابطة ووجوه العرب معه اسراء . وقال : إن خاقان أرسلني إليكم ، وهو يقول لكم : إني أجعل من كان عطاؤه منكم ست مئة أَلْفاً ، ومن كان عطاؤه ثلاث مئة ست مئة ، وهو مجمع بعد هذا على الإحسان إليكم ، فقال له يزيد : هذا أمر لا يلتئم كيف يكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاء ! لا يكون بيننا وبينكم صلح . فغضب بازغري ، فقال التركيان اللذان معه : ألا نضرب عنقه ؟ قال : لا ، نزل إلينا بأمان . وفهم ماقالا له يزيد ، فخاف فقال : بلى يابازغري إلاَّ أن تجعلونا نصفين ، فيكون نصف في أثقالنا ويسير النصف معه ، فإن ظفر خاقان فنحن معه ، وإن كان غير ذالك كنا كسائر مدائن أهل السغد . فرضي بازغري والتركيان بما قال ، فقال له : أعرض على القوم ما تراضينا به ، وأقبل فأخذ بطرف الحبل فجذبوه حتى صار على سور المدينة ، فنادى : يا أهل (كمرجة) ، اجتمعوا ، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان ، فما ترون ؟ قالوا : لا نجيب ولا نرضى ، قال : يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين ، قالوا : نموت جميعاً قبل ذالك . قال : فَأَعْلِمُوْهُـمْ .

يزيد بن مالك الباهلي

هو المعروف بالخطيم ، لضربة أصابته على وجهه ، ذكر ابن جرير في حوادث سنة إحدى وأربعين[1] : أنه خرج في ولاية ابن عامر لمعاوية هو وسهم ابن الهجيمي ، فأصبحوا عند الجسر ، فوجدُوا عبادةَ بن قرص الليثي أحدَ بني بجير ، وكانت له صحبة ، يصلي عند الجسر ، فأنكروه فقتلوه . ثم سألوا الأمان بعد ذالك ، فأمنهم ابن عامر ، وكتب إلى معاوية : قد جعلت لهم

(١) «تاريخ الأمم والملوك» ١٧١/٥ .

ذمتك . فكتب إليه معاوية : تلك ذمة لو أخفرتها لاسُئِلْتَ عنها . فلم يزالوا آمنين حتى عزل ابن عامر عن البصرة .

ثم عاد ابن جرير فذكر في حوادث سنة ست وأربعين خروج سهم والخطيم قائلاً[1]: وفيها خرج الخطيم وسهم بن غالب الهجيمي ، فحكما ، وكان من أمرهما ماحدثني به عمر ، قال : حدثنا علي ، قال : لما ولي زياد خافه سهم بن غالب الهجيمي والخطيم ، فأما سهم فخرج إلى الأهواز ، فأحدثَ وحَكَّم ، ثم رجع فاختفى وطلب الأمان ، فلم يؤمنه زياد ، وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه . وأما الخطيم فإنَّ زيادًا سيره إلى البحرين ، ثم أذن له فقدم ، فقال : الزم مصرك ، وقال لمسلم بن عمرو : اضمنه ، فأبى وقال : إن بات عن بيته أُعْلِمتك . ثم أتاه مسلم فقال : لم يبت الخطيم الليلة في بيته ، فأمر به فقتل ، وأُلْقِيَ في باهلة . انتهى .

يوسف بن سليمان الباهلي

استشهد يوسف هذا في حرب الدرعية ، سنة ١٢٣٣هـ ، ويَرْوِي الأمير محمد بن عبدالرحمن الباهلي ـ أميرُ الدرعية ـ عن والده أنَّ العَدُوَّ بينما كان محاصراً مدينة الدِّرْعِيَّة ، رأى يوسف المذكور رؤيا منامية ، أنه يتلو هذه الآية : ﴿ إنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْـمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وأموالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْـجَنَّةَ ﴾[2]، فاستشعر بأنه سوف يقتل في هذه الحرب فقام واغتسل ، ولبس أحسنَ الثيابِ ، وخرج للقاء العدوِ ، فقتل .

---

(١) المصدر السابق ٥/٢٢٨ .
(٢) (سورة التوبة) الآية: ١١١ .

٣ ـ الشعـــــراء

مع أن هذه القبيلة الكريمة فتح عليها الشعرُ أبواباً واسعة في النيل منها ، وفي رميها بما هي منه بريئة من العيوب منذ أن تصدَّى أحد شعرائها وهو الأصم (عبدالله بن الحجاج الباهلي) للشاعر الفحل الفرزدق ، الذي أَصْلَى قبيلة باهلة بشواظ من نار هجائه ، لا يزال شرره متطايراً ، ثم عمد شاعر آخر من شعراء القبيلة هو أبو هاشم الباهلي للتعرض لشاعر برز في الهجاء ، وهو بَشّار بن بُرْدٍ الذي لم يكن له من دينه أو أخلاقه ما يحمله على التعفف وصون لسانه من الإفحاش في الهجاء .

وسار على مِنوالِ هٰذين الشاعرين آخرون ، وجدوا طريق الذم لاحِباً ، فساروا فيه عن هوى وسُوْءِ قصد .

وما كانت هذه القبيلة الكريمة في ميدان الشعر بأقلَّ من غيرها من القبائل العربية ، فقد عُرِفَ منها شعراء مبرزون في مختلف العصور ، وصل إلينا من أشعارهم قدر كبير مع ضياع كثير من تلك الأشعار ، ولو وصلت إلينا كاملة لتغيرت نظرة الباحثين في هذا الأمر ، بالنسبة لما نسبها إليها من الشعر ، ولعل أبرز مثلٍ على ذالك أننا نجد في شعر الأصم (عبدالله بن الحجاج الباهلي) الذي تَصدَّى لمعارضة الفرزدق ، من القوة وحسن السبك مالا ينزله من درجة متقدمي الشعراء ، ومع ذالك لم نجد شيئاً من معارضاته للفرزدق .

ولا نستطيع أن نتقبل قول أبي عبيدة وهو مصنف كتاب «مثالب باهلة» : إن الأصم عجز عن مجاراة الفرزدق ـ ان نتقبل هذا القول تقبل من يرى في شعر الأصم ماليس جديراً بالذكر والرواية ، ولكنني أرى أن أبا عبيدة وأضرابه من الناقمين على هذه القبيلة ، لهم أثر في عدم ذكر شعر هذا الشاعر وغيره من شعراء باهلة .

ولا أستبعد أن يكون أبو عمرو (اسحاق بن مُرَارٍ الشيباني بالولاءِ المتوفى سنة ٢٠٦) الذي تصدى لجمع أشعار العرب ، فجمع منها شعر نيف وثمانين قبيلة[١]، كان قد جمع شعر باهلة ، بل نجد نصاً صريحاً في كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي المتوفى سنة ٣٧٠هـ أي في القرن الرابع الهجري ، قد اطلع على كتاب «باهلة» فنقل عنه بعض تراجم شعرائها كما ذكر في ترجمة بُدَيْلِ ابن الْـمُضَرَّبِ[٢]: وجدت له في كتاب باهلة قصيدة جيدة . ثم ذكر من أولها ثلاثة أبيات .

ونجد الشاعر الباهلي الذي عارضه الفرزدق بقوله[٣]:

أَتـغْضَبُ إنْ أُذْنَـا قُتَيْبَـةَ حُـزَّتَـا جِهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ حَـازِمِ
وَمَـا مِنْهُـمَا إلاَّ بَعَـثْنَـا بِـرَأْسِـهِ إلَى الشَّامِ فَوْقَ الشَّاحِجَاتِ الصَّلاَدِمِ

فقال الباهلي :

وَإِنَّـا لَتُهْـدَى لِلْـمُلُوكِ رُؤُوسُنَـا وَرُوْسُ تَمِيمٍ تَحْتَ تِلْكَ الْـمَنَاسِمِ

يقصدُ رأْسَ قتيبة بن مسلم الذي حُمِلَ إلى سليمان بن عبدالملك ، فقال فضالة بن عبدالله الغنوي ـ وغني إخْوةُ باهلة ـ قال في ذالك[٤]:

وَإِنَّـا لَتُهْـدَى لِلْـمُلُوكِ رُؤُوْسُنَـا وَقَدْ عِلِمُوا أَنَّ الْـمُلُوكَ بِهَا تُغْلِـيْ
فَلَوْ كَانَ سَعْدِيًّا لأُلْقِـي بِرأْسِهِ بِمَدْرَجَةٍ بَيْنَ الْـخَنَافِسِ والزِّبْلِ
وَلَٰكِنَّهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ قَـدْ عَلِمْتُمُ عِظَامُ اللُّهَى لَيْسُوا لِسَعْدٍ وَلاَ عُكْلِ

---

(١) «نزهة الألباء» للأنباري : ١٢١ .
(٢) ٢٨٠ تحقيق الأستاذ عبدالستار فراج .
(٣) «ديوان الفرزدق» ط الصاوي : ٨٠٣ .
(٤) «معجم الشعراء» للمرزباني : ٣٠٩ ط القدسي .

ولمنزلة شعر هذه القبيلة القديم لدى علماء اللغة نجد كثيراً من مؤلفاتهم تحوي شواهد كثيرة من ذالك الشعر .

وحسبك أن صاحب «لسان العرب» استشهد بشعر عمرو بن أحمر الباهلي بما يزيد على مئتين وثمانين مرة ، وقل مثل ذالك في «تاج العروس» الذي ينقل عن «لسان العرب» .

هذا من الناحية اللغوية ، فضلاً عن مختلف العلوم الأخرى . ولعل من الطرائف عن سيرورة شعر باهلة ماذكر صاحب «الأغاني»[1] من أنَّ مروان بن أبي حفصة اجتاز برجل من باهلة ، من أهل اليمامة وهو ينشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وأنه قتل قبل أن يلقاه وينشده إياه ، أوله :

مَرْوَانُ يَابْنَ مُحَمَّـدٍ أَنْتَ الَّذِي زِيْـدَتْ بِهِ شَرَفـاً بَنُـو مَـرْوَانِ

فأعجبته القصيدة فأمهل الباهليَّ حتى قام من مجلسه ثم أتاه في منزله فقال له : إني سمعت قصيدتك وأعجبتني ، ومروان قد مضى ومضى أهله ، وفاتك ماقد رُمْتَهُ عنده ، أَتبِيعني القصيدة حتى أَنْتَحِلَهَا ، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير؟ قال نعم : قال : بكم ؟ قال : بثلاث مئة درهم . قال : قد ابتعتها ، فأعطاه الدراهم ، وحلفه بالطلاق ثلاثا وبالأيمان الـمُحْرِجَة أَلَّا ينتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينشدها ، وانصرف بها إلى منزله فغير منها أبياتاً وزاد فيها وجعلها في معن ، وقال في ذالك البيت :

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيْدَتْ بِهِ شَرَفـاً إِلَى شَرَفٍ بَنُـو شَيْبَـانِ

ووفد بها إلى معن بن زائدة فملأ يديه ، وأَقام عنده مدة حتى أَثْرَى واتسعت

---

(١) ٨٧/١٠ ط الثقافة بيروت .

حاله ، فكان معن أول من رفع ذكره ونوه به . قال : وله فيه مدائح بعد ذالك شريفة ومراث حسنة .

وهاهي إلمامة سريعة بما وقع تحت يدي من كتب الأدب والتاريخ ، فنقلت منها أسماء عدد من شعراء هذه القبيلة ، التي لو تتبع متتبع هذه الناحية لوجد أكثر مما ذكرت ، وقد رأيت من المناسب إيراد بعض عيون الشعر المنسوبة إلى أؤلئك الشعراء ، وأنا في جميع ذالك ما أنا سوى ناقل ، لم أحاول التعمق في البحث ولا التثبت في صحة نسبة الشعر ، وإنما قدمت هذا لمن يعنى من الباحثين بتتبع هذا الموضوع .

وقد اطلعت ـ بعد جمع ما استطعت جمعه من أشعار باهلة ـ على بحث أعده لنيل درجة (الماجستير) راشد بن سعد بن تميم القير ، من طلاب (قسم الدراسات العليا في كلية الآداب) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان «شعر باهلة من الجاهلية إلى العصر الأموي» دراسة فنية وجمع مالم يجمع من شعر القبيلة في العهد الذي حَدَّدَهُ فرأيت راشدا ـ وفقه الله ـ بذل جُهداً مشكوراً استطاع من خلاله أن يتتبع كثيراً من المصادر ، وأن يجمع طائفة من ذالك الشعر ، ويدل عمله على شدّة تقصِّيه وسعة اطلاعه ، وقد استفدت منه في مواضع مما جمعت ، وتركت كثيراً مما جمع لعدم ثقتي بصحة نسبة قائليها إلى باهلة ـ كخلف بن خليفة الأقطع ، الذي أورد له شعراً كثيراً وكذا الزرافة الباهلي .

ادهم بن مُحْرِز الباهلي

قال الآمِدِيُّ في «المؤتلف والمختلف»(١) : أَدْهَمُ بن مُحْرِزٍ الباهلي ، وهو أدهم ابن محرز بن أُسَيْدِ بن أَخْشَنَ ، أَحَدُ بني الْأَحَبِّ بن زَيْد بن عمرِو بن وائل بن

(١) ٣٦ .

معْنِ بن أَعْصُرَ ، وكان فارس أهل الشام ورَجُلَهُمْ ، وابنه مسلمة بن أدهم ، وابنه أيضاً مالك بن أدهم ، ولي نَهَاوَنْدَ لابن هُبَيْرَة ، وكان فارساً من رجال أهل الشام .

وَلِأَدْهَـمَ شِعْرٌ ، وهو القائل ، وقد دخل على الحجاج بن يوسف وهو أَشْيَبُ ، فأمره بالخضاب ، فقال :

وَلَـمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ حَلَّ بَياضُهُ تَفَتَّيْتُ وَابْتَعْتُ الشَّبَابَ بِدِرْهَـمِ

وَوَصل ابنُ الكلبي في «جمهرة النسب» نسب أدهم على هذا النحو : أدهم ابن محرز بن أُسَيد بن أُخشن بن رِياح بن أبي خالد بن ربيعة بن زيد بن عمرو ابن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن عمرو بن غنم بن قتيبة بن معن بن أَعْصُرَ ، وأورد له بيت الشعر وقال : إنه لم يقل شعراً غيره ، وذكر أن عبيدالله ابن زياد أَمدَّ حُصين بن نُمَيْرٍ يوم عَيْنِ وَرْدَةَ بأدهم بن محرز . وترجمه ابن عساكر(١) فوصفه بأنه أحد امراء الجيش الذين وجهوا مع عبيدالله بن زياد لقتال التوَّابين ، الذين قتلوا عند عين وَرْدة ، وكان قد شهد صِفِّيْنَ مع معاوية ، وكان من قواد الحجاج ، وساق بسنده إلى أدهم : إني لأول مولودٍ وُلِدَ بِحِمْصَ ، وأول مولود فُرِضَ له ، وبيدي كَتِفٌ وأنا اختلف إلى الْكُتَّاب ، وذكر أنَّ لأبي محرز راية عند دخول حِمْص ، وأورد بسنده أن أدهم بن محرز دخل على عبدالملك ورأسه كالثَّغامة ، فقال : لو غَيَّرْتَ هذا الشيب ، فذهب فاختضب بسواد ، ثم دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين : قد قلت بيتاً لم أقل بيتاً قبله ، ولا أراني أقول بيتاً بعده ، قال : هات ، فأنشد البيت :

وَلَـمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ شَيْناً لِأَهْلِهِ تَـفَـتَّـيْـتُ... الـخ .

(١) «تاريخ دمشق» ٦٥٨/٢ النسخة المصورة .

الأَزْرَقُ بن طُرْفَةَ بنِ العَمَرّدِ الباهلي

أورد له الخالِدِيَّانِ قوله[1]:

خُذِيْ حَذَراً مِنِّي وَلاَ تَحْسِبِنَّنِيْ ... مُـرَارَةَ أَمْـرَاسٍ بِبَـطْنِ مَسِيْـلِ
وَهْوجَاءَ قَدْ قَوَّمْتُ بعضَ دُرُوْبِهَا ... إِذَا لَـمْ تُوافِقْ رِحْلَتِـي ونُزُولِـي
قَرَنْتُ بِهَا أُخْرَى فَأَغْضَتْ بِعَيْنِهَا ... عَلَى سَهَرٍ بَعْدَ الرُّقَـادِ طَوِيْـلِ

وفي كتاب «شرح أبيات سيبويه»[2] ـ بعد أن أورد البيت الأول منسوباً لابن أحمر ـ مانصه : ووجدت الشعر في الكتاب منسوباً إلى ابن أحمر ، والذي روت الرواة أنه : تنازع ناس من بني باهلة من بني فَرَّاصٍ ، وناس من بني قُرَّة بن هبيرة بن سلمة بن قُشير ، حتى صاروا إلى السلطان ، فقال بعض القشيريين للسلطان : إنَّ الأزرقَ بن طرفة ـ وهو من بني باهلة ـ لِـصٌّ بْنُ لِـصٍّ ، ليغروه به فقال قصيدة فيها : ـ

رَمَانِـي بِأَمْرٍ كُنْتَ مِنْهُ وَوَالِدِي ... بَرِيًّا وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِـي
دَعَانِـيَ لِصاً فِـيْ لُصُوصٍ ، وَمَا دَعَا ... بِهَـا وَالِدِيْ فِيْـما مَضَى رَجُلاَنِ

الأشعث الباهلي

الأَشْعَثُ بن يزيد الباهلي ، ثم الصَّحْبِي ، من بني صَحْب بن قتيبة بن معن[3]، شاعر وهو القائل :

---

(١) «الأشباه والنظائر» ٢/٢٧٤ .
(٢) ١/٢٤٩ و«اللسان» رسم ـ جول ـ.
(٣) صَحْب بن قتيبة ، وقال ابن الكلبي وابن حبيب : صحب بن سعيد بن غنم بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن . وقال ابن حبيب : في بني خثعم صحب بن المخبل ، وفي قضاعة صحب بن ثور ، وفي باهلة صحب بن ربيعة ، هذا وحده ، مفتوح الأول ، والأولان مضمومان . انتهى من كتاب «المؤتلف والمختلف»: ٥٦ .

بِهِنَّ غَـدَاةَ أُرْمَـامٍ هَـزَمْنَـا ... وَيَـوْمِ الكَـوْمِ جَمْـعَ بني زِيَـادِ
بَنِي عَبْدِ الْـمَدانِ وَقَـدْ أَتَوْكُمْ ... بِمُشْـعَـلَةٍ كَـرَيْـعَـانِ الْـجَـرَادِ
ويَـومـاً بِـالْعَقِيْقِ فـرَجْنَ عَنْكُمْ ... إِصَادَ الْـمَوْت وهْـوَ لَهُ إِصَـادُ

ـ الموت إصاد أي غلق ـ.

الأَصَـمّ الباهلي: (عبدالله بن الحجاج)
الأصمعـي: (عبد الملك بن قريب)
أعشـى باهلة: (عامر بن الحارث)
اعْصُرُ جَـدّ القبيلة

ــ بفتح الهمزة وسكون العين وضم الصَّاد بعدها راءٌ ــ جمع عَصْرٍ، قال ابْنُ سَلَّامٍ الْـجُمَحِـيُّ: وقال: أَعْصُرُ بن سَعْد بن قَيْسِ عَيْلَان، وهو مُنَبِّهٌ، أبو بَاهِلة وغَنِـيٍّ والطُّفَاوَةَ:

قَالتْ عُمَيْرةُ: مَالِرأْسِكَ ـ بَعْدَمَا ... نَفِدَ الزَّمانُ ـ أَتَى بِلَوْنٍ مُنْكَرِ
أَعُمَـيْرَ إِنَّ أَبَـاكَ شَيَّبَ رأسَـهُ ... كَرُّ اللَّيَالِـي وَاخْتِـلافُ الأَعْصُرِ

فبهذا البيت سُمِّيَ أَعْصُر، وقد يقول قوم: يَعْصُر وليس بشيء[1] انتهى، ونقل الدارقطني عن ابن الكلبي[2]: إنما سُمِّي مُنَبِّه بن سعد بن قيس عيلان لقوله:

قالتْ عُمَيْرَةُ: مَالِرأْسِكَ بَعْدَمَـا ... نَفِدَ الشَّبَابُ وأَتَى بِلَوْنٍ مُنْكَـرِ
أَعُمَـيْرَ إِنَّ أَبَـاكِ غَـيَّرَ رَأسَـهُ ... مُـرَّ اللَّيَـالِي وَاخْتِـلافُ الأَعْصُرِ

---

(١) «طبقات فحول الشعراء»: ٢٨، ٢٩.
(٢) «المؤتلف والمختلف» ٢١١٦/١٧٠٦. وكذا في «جمهرة النسب» لابن الكلبي تحقيق العظم ١٠٧/٢.

بديل بن الْمُضَرّب الباهلي

قال الآمِدِيُّ[1]: واسمه بُدَيْلُ بن الْمُضَرَّب ، وجدت له في كتاب «باهلة» قصيدة جيدة أولها :

نَـأَتْـكَ عُلَيَّـةُ نَـأْيـاً بَعِيْـدَا وَكَلَّفَكَ الشَّوْقُ وَجْـداً شَدِيـدَا
وَكَـانَتْ تُـرِيْـكَ إِذَا جِئْتَهَـا دَلاَلاً جَمِيـلًا ، وَجِسْماً مَـدِيْـدَا
فَقَـدْ أَنْكَـرَتْنِـي وأَنْكَـرْتُـهَـا وَكَانَ الوِصَـالُ جَدِيْباً جَدِيْـدَا

بكر بن حبيب السهمي

له ترجمة في الأعيان ، ونسبَ إليه من الشعر صاحبُ «ربيع الأبرار»[2]:

سَيْرُ النَّواعِجِ فِـيْ بِلَادِ مَضَلةٍ يَمْشِـي الدَّلِيلُ بِهَا عَلَى بِلْبَـالِ
خَيْرٌ مِنَ الطَّمَعِ الدَّنِيْءِ ومَجْلِسٍ بِـفِنَـاءِ لَاطَـلْقٍ ولا مِفْـضَـال
فاقْصُدْ بِحَـاجَتِكَ المَلِيـكَ فَإِنَّـه يُغْنِيْـكَ عَنْ مُتَـرَفِّـعٍ مُخْتَـالِ

بكر بن حماد الباهلي

جاء في كتاب «العقد الفريد»[3]: قال بكر بن حَمَّاد الباهلي : لما انتهى إليَّ خبر عِنَانٍ ، وأنها ذُكرتْ لهارون وقيل : إنها من أشعر الناس ، خرجت معترضاً لها ، فما راعني إلا الناطفي مولاها قد ضرب على عضدي ، فقال لي : هل لك فيما سنح من طعام وشراب ومجالسة عنان ؟ فقلت : مابعد عنان مَطْلَبٌ ، ومضينا حتى أتينا منزله ، فعقل دابته ثم دخل فقال : هذا بَكْرٌ شاعر باهلة يريد مجالستك اليوم . فقالت : والله إني كسلانة ، فحمل عليها السوط ، ثم قال

(1) «المؤتلف والمختلف»: ٢٨٠/٢٨١ . (٢) ٢/٧٦٦ .
(3) ٧/٦٣ .

لي : فَدَخَلْتُ وَدَمْعُهَا يتحدَّرُ كالجُمَان في خدِّها ، فطمعت بها ، فقلت :

هٰــذِي عِنَــانٌ أسْبَلَتْ دمْعَهَــا كَــالـدُّرِّ إذْ يَنْسَـلُّ مِنْ خَيْـطِهْ

ثم قلت : أجيزي . فقالت :

فَلَيْتَ مَـن يَضْـرِبُهَـا ظَـالِمـاً تَجِـفُّ كَـفَّـاهُ عَـلَى سَـوْطِـهْ

فقلت لها : إن لي حاجة . فقالت : هاتِها ، فمن سَبَبِكَ أُوذِيْنَا ، قلت لها : بَيْتٌ وجدته على ظهر كتابي ، لم أقرضه ولم أقدر على إجازته . قالت : قل : فأنْشدتُّهَا :

فَمَا زَالَ يَشْكُو الْـحُبَّ حَتَّى حَسِبْتُهُ تَنَفَّسَ مِـنْ أَحْشَـائِــهِ فَـتَكَـلَّمَا

قال : فأطرقت ساعة ثم أنشدت :

ويَبْكِي فَـأَبْكِي رَحْمَةً لِبُكَـائِـهِ إِذَا مَابَكَى دَمْعاً بَكَيْتُ لَهُ دَمَا!

قلتُ لها : فما عندكِ في إجازةِ هذا البيت :

بَـدِيـعُ حُسْنٍ بَـدِيْـعُ صَـدٍّ جَـعَـلْتُ خَـدِّيْ لَـه مَـلاَذَا

فأطرقت ساعة ثم قالت :

فَـعَـاتَـبُـوهُ فَـعَـنَّـفُـوهُ فَـأَوْعَـدُوْهُ فَـكَـان مـاذا؟

ثعلبة بن يقظان الباهلي

أورد له البحتري قوله(١): وهو في «محاضرات الأدباء»(٢):

فَـلَا تَعْذِلَانِي فِيْ الْفِـرَارِ فَإِنَّمَـا فِـرَارِي لَـمَّا فَـرَّ قَبْـلِيَ عَـامِـرُ

(١) «الحماسة» للبحتري: ٥١ تحقيق كمال مصطفى مط الرحمانية ط الأولى ١٩٢٩م .
(٢) ١٨٤/٢ .

فَإِنْ لَمْ أُعَوِّدْ نَفْسِيَ الْكَرَّ بَعْدَهَا   فَلاَ وَأَلَتْ نَفْسٌ عَلَيْهَا أُحَـاذِرُ

ولعله يقصد عامر بن الطفيل الذي فَرَّ يوم الرقم .

جحل بن نضلة

وقد اختلف في اسم هذا الشاعر بين (جحل) بتقديم الجيم و(حجل) بتقديم الحاء المهملة ، ولكن ابن ماكولا في «الإكمال» نص على أنه جحل ، فقال في باب جحل[1] : إنما جحل بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة بعده ، فهو جَحْل بن حنظلة أحد بني عمرِو بن عبد بن قتيبة بن معن بن أَعْصُر ، شاعر . كذا قال وسمى أباه : حنظلة ، ولجحل هذا ابنٌ عده ابن حجر في الصحابة ، وتقدم ذكره .

قال الآمدي[2] : فأما جحل فهو من باهلة وهو جحل بن نضلة أحد بني عمرو بن عبد بن قتيبة بن معن بن أعصر ، وهو القائل :

جَـاءَ شَقِيْقٌ عَـارِضـاً رُمْحَـهُ   إِنْ بَنِـي عَمِّـكَ فِيْهِمْ رِمَـاح
هَـلْ أَحْدَثَ الـدَّهْرُ لَنَـا ذِلَّـةً   أَمْ هَلْ رَقَتْ أُمُّ شَقِيْقٍ سلاح؟[3]

يعني شَقيقَ بن جزء بن رياح بن عمرو بن عَبْشمس بن أعيا أحد بني قتيبة ابن معن . انتهى كلام الآمدي ، ووصل نسبه ابن الكلبي في «جمهرة النسب» فقال[4] : ومن بني صحب بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة : جحل بن نضلة ابن صبح بن عبدالله بن عَمْرِو بن عبد ، وكان رئيساً ، وفيهم البيت .

---

(١) ٢/٥٠ وفي «خزانة الأدب» ٤/٢٠١ ـ حجل بفتح المهملة وسكون الجيم .
(٢) «المؤتلف والمختلف» ١١٢ .
(٣) «التذكرة السعدية» ٩٧ وفيها: هل أحدث الدهر بنا نكبة .
(٤) في الكلام على نسب باهلة .

وفي «الشعر والشعراء»[1] ـ بعد أن ذكر أَنَّ ٱلإِقْوَاءَ اختلافُ الإِعراب في القوافي ـ: وبعض الناس يسمي هذا (الإكفاء) ويزعم أَنَّ لـ (الإِقواء) نقصانُ حرفِ فاصلةِ البيت ، كقول حجْلِ بن نَضْلَةَ ، وكان أَسَرَ بِنْتَ عمرو بن كُلْثُومٍ ، وركب بها الْـمَفَاوِزَ ، واسمُها النَّوَارُ :

حَنَّتْ نَـوَارُ وَلَاتَ هَنَّـا حَنَّتِ   وَبَدَا الَّذِيْ كَانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ
لَـمَّا رَأَتْ مَـاءَ السَّلَا مَشْرُوبـاً   والفَرْثَ يُعْصَرُ في الإِنَاءِ أَرَنَّتِ

سُمِّـيَ إقواءً لأَنَّه نَقَصَ من عَرُوضه قُوَّةٌ ، وكان يستوي البيت بِأَن تقول (مُتَشَرَّباً) يقال : أَقْوَى فُلانٌ الـحَبْلَ ، إذا جَعلَ إِحدَى قُوَاهُ أَغْلظَ من الأُخرى ، وهو جبلٌ قَوٍ . انتهى وساق محققا «الأصمعيات»[2] خبراً قالا فيه : كان المنتشر الباهلي قد قُتِل ابْنٌ له يسمى (سيدان)، قتلته بنو جعدة ، وكانت بَاهِلة من أَحْلافهم ، فلما طلب المنتشر بني جعدة بِدَمِهِ ، فزعت باهلة فلحقت فرقة منهم يقال لهم بنو قنينة بيزيد بن عمرو بن الصعق فأجارهم ، وكان حجل ابن نضلة رئيسهم . انتهى .

وقال أبو علي القالي[3] : قال الأصمعي : مَدَحَ وَمَدَهَ وما أَحْسَنَ مَدْحَه وَمَدْهَه ، ومِدْحَتَهُ ومِدْهَتَهُ ، قال : وقال الحارث بن مُصَرِّفٍ : سابَّ جَحْلُ بن نَضْلةَ مُعاويةَ بن شَكَلٍ عند المنذر أو النعمان ـ شكَّ فيه الأصمعيُّ ـ فقال جَحْل : إنه قَتَّالُ ظِبَاءٍ ، تَبَّاعُ إماءٍ ، مَشَّاء بأَقْرَاءٍ ، فَقَوُّ الأَلْيَتَيْنِ ، أَفْحَجُ الفَخِذَيْنِ ، مُفجُّ السَّاقَيْنِ ، فقال : أردتَّ أن تَذُمه فَمَدَهْتَهُ ، ورواية أبي بكر ابن دريد : كيما تَذِيمَهُ .

---

(١) ١/٩٥ ط دار المعارف .
(٢) ١٥٣ وأحالا إلى «المؤتلف» ٨٢ و«الخزانة» ٢/١٥٨ و«الأغاني» ٤/١٣٨ و«معاهد التنصيص»: ١/٢٧ .
(٣) «الأمالي» ٢/٩٧ .

قال أبو علي : الأقراء : واحدُها قَرِيٌّ وهو مَسِيل الماء إلى الرياض . وقَعُوُّ الأَلْيَتَيْنِ : مُمْتَلِـيُّ الأَلْيَتَيْنِ ناتِئُهُمَا ، ليس بمنبسطِهِما ، والْفَحَجُ : التباعدُ . ومُفِجُّ الساقَيْنِ : متباعِدَةٌ هذه عن هذه .

وقال الأصمعي[1]: خبَّرني الحارثُ بن مُطرِّفٍ قال : استَبَّ جحلٌ ومعاويةُ ابن شَكَلٍ عند بعض الملوك ، فقال جحلٌ : هذا مُقَابَلُ النَّعْلَيْنِ ، قَعُوُّ الأَلْيَتَيْنِ ، مُفِـجُّ السَّاقَيْنِ مَشَّاءٌ بِأَقْرَاءٍ ، قَتَّالُ ظِبَاءٍ ، تَبَّاعُ إماءٍ .

مقَابلُ النعلين : يريد أنَّ لنعليه قِبَالَيْنِ . قَعُوُّ الأليتين : شَبَّه أَلْيَتَيْهِ بِالقَعْوِ ، وتلك هُجْنَةٌ . ومُفِجُّ الساقين : . . مَشَّاءٌ بأقراءٍ : يمشِـي بأَقْرَاءِ الوادي يَخْتِلُ الظباءِ . فقال الملكُ : أردتَّ أن تَذُمَّهُ فمدحته ، فقال جَحل :

أَبْلِغْ مُعَـاوِيـةَ الـمُمَـزَّقِ آيـةً   عَنِّيْ فَلَسْتُ كَبَعْضِ مَـايَتَقَـوَّلُ
إنْ تَلْقَنِي لَا تَلْقَ نُهْزَةَ واحِـدٍ   لَاطَائِشٌ رَعِشٌ ولاَ أَنَا أَعْـزَلُ
تَحتِي ٱلْأَغَرُّ وفوقَ جِلْدِي نَثْـرَةٌ   زَغْفٌ تَـرُدُّ السَّيْفَ وَهْوَ مُفَلَّلُ
ومُقَـارَبُ الكَعْبَيْنِ أَسْمَـرُ عَاتِـرٌ   فِيْـهِ سِنَـانٌ كَـالْقُـدَامَى مِنْجَـلُ
ومُهنَّـدٌ في مَتْنِـه خَـرَجِيَّـةٌ   عَضْبٌ إِذَا مَسَّ الضَّرِيْبَةَ مِفْصَلُ
[فهي ٱلْأَلِيْلَةُ إنْ هم لم يقتلوا]   وهي ٱلْأَلِيْلَةُ إن قتلتُ خؤولتي
إِذْ لا أزالُ عَلَى طَرِيْقٍ لَاحِبٍ   وكَـأَنَّ مَتْنَيْـهِ حَصِـيرٌ مُـرْمَـلُ
يَسْقِي قَـلَائِصَـنَـا بِمَـاءٍ آجِنٍ   وإذَا يَقُـومُ بِهِ الْـحَسِـيْرُ يُعَيَّلُ

وفي «فرحة الأديب»[2]: قال جحل بن نضلة يجيب شقيق بن جَزْءٍ الباهلي :

لَقَدْ مَنَّتْكَ نَفسُـكَ يَابْنَ جَـزْءٍ   أَحَـامِيقـاً سَيُسْـرِعْنَ النَّـفَـادا

(١) «الأصمعيات»: ١٥٣ ماعدا البيت السادس ففي «الأمالي» ١/٩٨ وانظر «سمط اللالي» ٣٠٤ .
(٢) ٤٨ .

أَدرْتَ لِكَيْ تُشَتِّتَ أَمْرَ قَوْمٍ وحَاوَلْتَ الْقَطِيْعَةَ والْفَسَادَا
فَمَهْلاً ياشَقِيْقُ فإنَّ حَرْبِي تَكُوْنُ لِمَنْ يُلقِّحُها فَسَادَا
وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ حَارَبُوْنَا عَبَأْتُ لَهُم مُجَلَّحَةً نَآدَا
فَلَمْ يَكُ غَيْر أَنْ شَامُوا سَنَاهَا فكان مُبِيْنُهَا خَيْلاً تَعَادَا
عَلَيْهَا مِنْ بَنِي عَمْرٍو كُهُولٌ وشُبَّانٌ يَهُزُّون الصِّعَادَا
فَظَلُّوا يَخْصِفُونَهُمُ بِسُمْرٍ كَمَا نَظَّمْتَ في الْجُللِ الْجَرَادَا
فَآبُوا بالرِّجَال مُجَنِّبِيْهَا يَسُوْقُوْنَ الطَّرَائِفَ والتِّلاَدَا
وَنَصْرُكَ نازحٌ عَنِّي بَطِيْءٌ كَأَنَّ بِكُمْ إلَى خَذْلِي جُوَادَا

وأورد له الجاحظ(١):

ويْلُ أُمِّ لَذَّاتِ الشَّبَابِ مَعِيْشَةً مع الكُثْرِ يُعْطَاهُ الفَتَى الْمُتلِفُ النَّدِي
وَقَدْ يَقْصُرُ القِلُّ الْفَتَى دَوْن هَمِّهِ وَقَدْ كَانَ لَوْلاَ الْقِلُّ طَلاَّعَ أَنْجدِ

وفي كتاب «مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من كلام العرب»(٢): أن جحل بن نضلة قال هذا الشعر في النعمان بن المنذر، واغتراره بزيد بن عدي بن زيد العِبَادِيّ ومكايدته إياه حتى حرض عليه كسرَى ففعل به مافعل:

اغْتَرَّ أَنْ قَالَ: قَدْ بَاخَتْ شَرَارَتُهُ والحِقْدُ يَكْتَنُّ مِثْلُ النَّارِ في الحَجَرِ
حَتَّى يُوَافِي بِهَا جَزْلاً فَيُضْرِمُه بالاشْتِعَالِ اضْطِراماً ظَاهِرَ الشَّرَرِ
والْحِقْدُ يكْتَنُّ مَالَمْ يَلْقَ فُرْصَتَهُ عَلَى تَطَلُّعِهِ مِنْ خفْيَةِ الْفِكَرِ
فَحِيْنَ يَعْتَرِضُ اللاَّتِيْ يُطالِبُهَا من حَيْثُ يُمكِنُ فِيْ عُسْرٍ وَفِيْ يُسُرِ
جَدَّ اشْتِعَالاً، فَلاَ رِفْقٌ ولا مَلَقٌ يُطفِي تَضَرُّمَهُ ماجَدَّ فِيْ ٱلْأَثَرِ

---
(١) «البيان والتبيين» ٣/٣٤٠. (٢) ٦٨.

جَـزْءُ بن رِياح الباهلي

ستأتي الإشارةُ إليه في الكلام على ابنه شَقيْقِ بن جَزْءٍ[1]، وقد نسب الأصمعي إليه قصيدة مطلعها :

أَنـوراً، سَرْعَ مَـاذَا، يافَـرُوْقُ؟ وَحَبْلُ الْوَصْلِ مُنْتَكِثٌ، حَذِيْقُ

ونَسب الأخفشُ الصغير في كتاب «الأختيارَين»[2] القصيدة لمالك بن زُغْبة الباهلي وستأتي في شعره .

الجمالـي الباهلـي

لم يُسَمِّهِ ابنُ عساكر ، بل اكتفى بالقول[3]: شاعرٌ قدم دمشق حدثنا أبو عبدالله محمد بن الحسن من لفظه قال : الباهليُّ الْـجَمالِـي شيخ قد نسج له الشب قناعاً ومد إليه الكبر باعاً، يعرف بشاعر أمير الجيوش بَدْرٍ الْـجَمَالِـيّ، معه من الخيل العتاق، والغلمان الرشاق، والتجمل بسائر أصنافه (؟) مايفوت الوصف، ويفوق النعت، حضر بين يدي السلطان تاج الدولة، وسمع كلامه ودعاه، وأجرى عليه مايقوم به ويكفيه مدة مقامه بدمشق، وكان شاعراً بدويًّا ليس له في النحو ولا اللغة يَدٌ، بل يشعر طبعاً، ولم يتعرض لمدح صغير ولا كبير، سوى ما يذكر له وهو قوله في جاره الحاجب عمر بن الخضر :

أَعَادَ عُوْدِيْ بَعْـدَ يُبْسٍ خَضِرْ يَهْتَزُّ لِيْنـاً عُمَـرُ بْنُ الْـخَضِرْ
وَامْتَـلأَتْ كَفِّـيَ مِـنْ جُـوْدِهِ فَـمَا تُـرَى مِنْ بَعْـدِهِ تُفْتَقِـرْ
وَاعْتَـذَرَتْ أَيَّـامُ دَهْـرِيْ بِـهِ وَلَـمْ تَكُنْ مِنْ قَبْـلِهِ تَعْـتَـذِرْ
قَـالَ هُوَ الضِّـرْغَامُ فِيْ بَـأْسِـهِ وَمُخْجِـلُ فَيْضُ يَـدَيْـهِ الْـمَطَرْ

---

(1) «لسان العرب» رسم وشق . (2) ١٩٦ .
(3) «تاريخ دمشق» - ج ٢٨٩/١٩ - النسخة المصورة .

وَمَا سَمِعْنَا طِيْبَ أَوْصَافِهِ إلاَّ وَمِنْهَا قَلَّ طِيْبُ الْقَطِرْ
يَصْطَبِرُ الْعَاشِقُ عَنْ حِبِّهِ وَلَيْسَ عَنْ حُبِّ الْعُلَى يَصْطَبِرْ
يُبَادِرُ الْخَيْلَ وَمَدَّاحَهُ بِالْبَيْضِ حَتَّى تنثني والبِدَرْ

هذا ماورد في الأصل المصور من مخطوطة تاريخ ابن عساكر، وقد أعان على قراءة الترجمة أستاذنا الدكتور شاكر الفحام .

ومادام هذا الشاعر معاصِراً لبدر الجمالي المتوفى سنة ٤٨٧ ـ فإنه من أهل القرن الخامس .

ابن جمانة: (عبد الملك بن جمانة الباهلي)
الحارث بن حبيب الباهلي

نسبه ابنُ الكلبي في بني سعد بن أَوْد بن مَعْن بن مالك بن أَعْصُر ، قائلاً(١): إن أَوْدَ ولد عدياً وكعباً وسعداً ، منهم الحارث بن حبيب الذي عُمِّر فقال :

أَلَا هَلْ شَبَابٌ يُشْتَرَى بِرَغِيْبِ يُدَلُّ عَلَيْهِ الْحَارِثُ بْنُ حَبِيبِ

وأورد له أبو تمام في «الحماسة الصغرى»(٢) :

أَلا هَلْ شَبابٌ يُشْتَرَى بِعَجِيْب بِأَلْفِ قَلُوْصٍ أَوْ بِأَلْفِ نَجِيْبِ
وَهَلْ مِنْ شَبَابٍ يُشتَرى بَعْدَ كَبْرَةٍ يُدَلُّ عَلَيْهِ الْحَارِثُ بنُ حَبِيْبِ

وأورد السجستاني في كتاب «المعمرين والوصايا»(٣) له :

فَمَنْ لِاسْوِدَادِ الرأْسَ بَعْدَ ابْيِضَاضِهِ وَمَنْ لِقَوامِ الصُّلْبِ بَعْدَ دَبِيْبِ

---

(١) «جمهرة النسب» ٢/٧٥ تحقيق محمود فردوس العظم .
(٢) ٢٩٢ . (٣) ٩٦ .

كما أَوْرَدَ مِنْ شعره[1]:

كَمْ مِنْ أَسِيرٍ تَائِهٍ فَدَيْتُهُ ... ومِنْ كَمِيٍّ مُعْلَمٍ أَرْدَيْتُهُ

وَمُسْرِعٍ بِسَرْوِهِ جَازَيْتُهُ ... ومُبْطِيءٍ بِرَفْدِهِ كَفَيْتُهُ

ومعلنٍ بضغنه كَويتُهُ ... لو كان يُشْرَى الْمَوْتُ لَاشْتَرَيْتُهُ

وفي كتاب «التعازي والمراثي»[2] للمبرد : كان للحارث بنون سبعة ، شربوا من لبن مَجَّتْ فيه أَفْعَى ، وقيل : كانوا تحت حائط ، فماتوا جميعاً ، فسمع جاراً له يعلن البكاء على شاة هلكت له ، فقال الحارث :

يَاأَيُّهَا الْبَاكِي عَلَى شَاتِهِ ... يَبْكِي بُكَاءًا غَيْرَ إِسْرَارِ

إِنَّ الرَّزِيئَاتِ وأَمْثَالَهَا ... مَالَقِيَ الْحَارِثُ في الدَّارِ

دَعَا بَنِي مَعْنٍ[3] وأَشْيَاعَهُمْ ... فَكُلُّهُمْ يَغْدُوْ بِمِحْفَارِ

وله أيضاً[4]:

فَنَيْتُ وأَفْنَانِي الزَّمَانُ وَأَصْبَحَتْ ... لِدَاتِي بَنُوْ نَعْشٍ وزُهْرُ الفَرَاقِدِ

حُبّى بنت قُرْط الباهلية

هي حُبَّى بِنْتُ قُرْط بن عَمْرو بن ثعلبة من بني أَوْدِ بن معن ، وهي أم الأحنف بن قيس التميمي الذي يضرب به المثل في الحلم ، قالت تُرقِّصُ ابنَها الأحنفَ[5]:

(١) «المعمرين والوصايا»: ٩٦ .
(٢) ٥٣ . (٣) بنو معن: من فروع باهلة .
(٤) «حماسة البحتري» ٣٣١ و«سمط اللآلي»: ١٠١/١ .
(٥) «المخصص»: ٥٨/٢ .

وَاللهِ لَــوْلَا حَـنَـفٌ فِي رِجْـلِهِ
وَدِقَّـةٌ فِي سَـاقِــه مِنْ هَـزْلِــهِ
وَقِـلَّةٌ أَخَــافُـهَــا مِـنْ نَـسْـلِهِ
مـاكَـانَ فِي فِتْيـانِكم مِنْ مِثْلِهِ

الحسن بن عليّ الباهلي

قال الآمدي[1] : الحسنُ بن علي القَتَّالُ الباهليُّ ، أحدُ بني جُنْدب بن إياس ابن عامر بن عوف ثم أحد بني وائل بن معن بن أَعْصُرَ ، وكانت بنو جُنْدَبٍ بن إياس مع بني هلال بن عامر بن صعصعة ، وكان القتَّالُ شاعراً فارساً ، وأحدثَ حدثاً فهرب وصَعد يَذْبُلَ ، فأقام به وأَلِفَهُ النمر ، وكان يَرِدُ معه في الشريعة وخبره في كتاب «بَاهِلة» وله أشعار منها قوله :

تَقُولُ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ لَـمَّا بَدَا لَنَا ... لَـدَى السِّـتْرِ مِنْهَـا لَـمَّـةٌ وبَنَـانُ
أَرَاكَ ظَلَلْتَ اليومَ أَسْوَدَ شَاحِبًا ... طَرِيْدَ دَمٍ يُرْمَى بِكَ الرَّجَوانِ
أَخَا سَفَرٍ يَشْكُو الكَلَالَ رِكَابُهُ ... تَبَـدَّلَ مُـرَّ الْعَيْشِ بَعْـدَ لِيَـانِ

الحسين بن الضحاك الخليع الباهلي

ذكر ابن الجراح أنه باهلي صليبة ، وجاء في كتاب «القرط على الكامل» : هو الحسين بن الضحاك بن ياسر ، من آل سلمان بن ربيعة الباهلي ، ولكن صاحب «الأغاني» صحح أنه مولى، وذكر ابن عساكر في «تاريخه»[2] أنه مولى لسلمان بن ربيعة الباهلي ، وهو ابن خالة محمد بن حازم الباهلي الشاعر ويعرف بحسين الأشقر ، بصريُّ المولد والمنشإ ، من شعراء الدولة العباسية ، مدح غير

---

(١) «المؤتلف والمختلف» : ٢٥٢ .
(٢) «تاريخ دمشق» ٤/٦٧٢ .

واحد من الخلفاء ، قال عنه صاحب «الأغاني»[1]: شاعر أديب ظريف ، مطبوع حسن التصرف في الشعر ، حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صافي ، وكان أبو نواس يأْخُذُ بَعْضَ معاني شعره ، وكان يلقب بالخليع والأشقر ، وله غزل كثير جيد وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف ، وعُمِّرَ عمراً طويلاً حتى قارب المئة ، ومات في خلافة المستعين أو المنتصر ، ومن شعره ما أورده صاحب «الأغاني» يرثي الأمين ويهجو المأمون[2]:

سَـأَلُونَـا أَنْ كَيْفَ نَحْنُ فَقُلْنَـا ... مَنْ هَوَى نَجْمُهُ فَكَيْفَ يَكونُ؟
نَحْنُ قَوْمٌ أَصَابَنَا حَدَثُ الدَّهْـ ... ـرِ فَـظَلْنَـا لِـرَيْبِـهِ نَسْتَكِـينُ
نَـتَـمَـنَّى مِـنَ ٱلأَمِـيْنِ إِيَـابـاً ... لَهْفَ نَفْسي، وأَيْنَ مِنِّي ٱلأَمِينُ؟

وقوله[3]:

أَعَـزِّيْ يَـامُحَمَّـدُ عَنْـكَ نَفْسي ... مَعَـاذَ الله وَٱلأَيْـدِي الْـجِسَـامِ
فَهَـلَّا مَـاتَ قَـوْمٌ لَمْ يَمُـوتُـوْا ... ودُوفع عَنْكَ لِيْ يَوْمُ الْـحمَامِ
كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ صَادَفَ مِنْك غُنْماً ... أَوِ اسْتَشْفَى بِقُرْبِكَ مِنْ سَقَامِ

وقوله[4]:

أَيُّ دِيْـبَـاجَـةِ حُـسْـنِ ... هَـيَّـجَـتْ لَـوْعَـةَ حُـزْنِيْ
إِذْ رَمَـانِي الْـقَـمَـرُ الـزَّا ... هِـرُ عَـنْ فَـتْرَة جَـفْـنِ
بِـأَبِـي شَـمْسُ نَهَارٍ ... بَـرَزَتْ فـي يَـوْمِ دَجْـنِ
قَـرَّبَـتْـنِـي بِـالْـمُـنَى حَـتَّى ... إِذَا مَـا أَخْـلَفَـتْـنِـي
تَـرَكَـتْـنِي بَـيْنَ مِـيْـعَـا ... دِ وخُـلْـفٍ وتَجَـنِّـي

---

(١) ١٤٦/٧ ط دار الكتب .
(٢) «الأغاني» ١٥١/٧ . (٣) «الأغاني» ١٥١/٧ .
(٤) «الأغاني» ١٥٢/٧ ط دار الكتب .

مَــا أرانِـي لِي مِنَ الصَّبْـوَةِ إلَّا حُـسْــنُ ظَـنِّـــي
إنَّمَــا دَامَــتْ عَـلَى الْـغَـدْر لِمَـا تَـعْــرِفُ مِـنِّــي
أَسْـتَـعِـيْـذُ الله مِــنْ إعْـراضِ مَــنْ أَعْــرَضَ عَنِّـي

وقوله[1]:

هــلَّا سـألت تلذُّذَ الـمُشْتـاقِ وَمَنَتْ قَـبْـلَ فِـرَاقِـهِ بِتَـلاَقِ
إنَّ الـرَّقِيْبَ لَيَسْتَـرِيْبُ تَنَفُّسـاً صُعُـداً إلَيْكَ وظَـاهِرَ الإِقْـلاقِ
وَلَئِنْ أَرَبْتُ لَقَـدْ نَظَرْتُ بِمُقْلَةٍ عَـبْرَى عَلَيْـكَ سَخِيْنَـةِ ٱلآمَـاقِ
نَفْسِي الْفِـدَاءُ لِخَائِفٍ مُتَــرَقِّبٍ جَعَــلَ الـوَداعَ إشَــارةً بِعنَـاقِ
إذْ لَا جَــوَابَ لِمُفْحَمٍ مُتَحَـيِّرٍ إلَّا الـدُّموعُ تُصَـانُ بِـالإِطْـرَاقِ

ومنها[2]:

خَـيْرُ الْـوُفُــودِ مُبشِّرٌ بِخِـلافَــةٍ خَصَّتْ بِبَهْجَتِهَـا أبـا إسْحَــاقِ
وَافَتْهُ فِي الشَّهْرِ الْـحَرَامِ سَلِيْمةً مِنْ كُـلِّ مُشْكِلَةٍ وكُلِّ شِقَـاقِ
أَعْطتْهُ صَفْقَتَهَا الضَّمَائِرُ طَاعَـةً قَبْـلَ ٱلأَكُفِّ بِـأَوْكَـدِ الْـمِيْثَـاقِ
سَكَنَ ٱلأَنَامُ إلَى إمَامِ سَـلاَمَةٍ عَفِّ الضَّمِيْرِ مُهَذَّبِ ٱلأَخْـلاَقِ
فَحَمَـى رَعِيَّتَــهُ وَدَافَــعَ دُونَهَا وَأَجَــارَ مُمْلِقَهَــا مِنَ الإِمْــلاَقِ

وقوله[3]:

قُلْ لِلْأُلَى صرَفُوا الْوُجُوْهَ عَنِ الْهُدَى مُـتَعَـسِّفِــيْنَ تَـعَسُّـفَ الْـمُـرَّاقِ
إنِّي أُحَــذِّرُكُمْ بَــوَادِرَ ضَيْـغَمٍ دَرْبٍ بِـحَطْمِ مَوائِـلِ ٱلأَعْنَاقِ
مُتَــأَهِّبٍ لَا يَسْتَـفِـزُّ جَنَــانَــهُ زَجِـلُ الرُّعُـودِ وَلَامِعُ الإِبْـرَاقِ

---

(١) «الأغاني» ٧/١٥٢ .
(٢) «الأغاني» ٧/١٥٢ . (٣) «الأغاني» ٧/١٥٢ ، ١٥٣ .

لَـمْ يَبْقَ مِنْ مُتَعَـرِّمِينَ تَـوَثَّبُوا بِـالشَّـامِ غَـيْرُ جَمَـاجِمٍ أَفْـلَاقِ
مِنْ بَيْنِ مُنجَدِلٍ تَمُـجُّ عُرُوْقُـهُ عَلَقَ الْأَخَادِعِ أَوْ أَسِيْرِ وِثَـاقِ
وثَنَى الْـخُيُوْلَ إِلى مَعَاقِلِ قَيْصَرٍ تَخْتَـالُ بَـيْنَ أَجِـزَّةٍ وَرِقَـاقِ
يَحْمِلْنَ كُـلَّ مُشمِّـرٍ مُـتَغَشِّمٍ لَيْثٍ هِـزَبْـرٍ أَهْـرَتِ الْأَشْـدَاقِ
حَتَّى إِذَا أَمَّ الْـحُصُـوْنَ مُنازِلاً وَالْـمَـوْتُ بَـيْنَ تَـرَائِبٍ وَتَـرَاقِ
هَـرَّتْ بَطَارِقُهَـا هَـرِيـرَ قَسَـاوِرٍ بُـدِهَتْ بِـأَكْرَهِ مَنْـظَرٍ وَمَـذَاقِ
ثُمَّ اسْتَكَـانَتْ لِلْحِصَارِ مُلُوكُهَـا ذُلاًّ ونَـاطَ حُلُوقَهـا بِـخِنَـاقِ
هَرَبَتْ وأَسْلَمَتِ الصَّلِيْبَ عَشِيَّةً لَم يَبْقَ غَـيْرُ حُشَاشَـةِ الْأَرْمَاقِ

وقوله[1]:

أَلَمْ يَرُعِ الْإِسْلامَ مَوْتُ نَصِيْرِهِ بَلى حُقَّ أَنْ يَرْتَاعَ مَنْ مَاتَ نَاصِرُهْ
سَيُسْلِيكَ عَمَّا فَاتَ دَوْلَةُ مُفْضِلٍ أَوائِـلُـهُ مَحْـمُـودَةٌ وأَوَاخِـرُهْ
ثَنَى اللهُ عِطْفَيْهِ وَأَلَّفَ شَخْصَهُ عَلَى الْبِرِّ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ مآزِرُهْ
يَصَبُّ بِبَذْلِ الْـمَالِ حَتَّى كَأَنَّـمَا يَرَى بَذْلَهُ لِلْـمَالِ نَهْبـاً يُبَادِرُهْ
وَمَـا قَدَّمَ الـرَّحْمَنُ إِلاَّ مُقَـدَّمـاً مَـوارِدُهُ مَحْـمُـودَةٌ وَمَـصَـادِرُهْ

وله أشعار وأخبار كثيرة أورد بعضها ابن المعتز في «طبقات الشعراء»[2] وابن عساكر في «تاريخه»، ومنها مالم أستحسن إيراده .

ونقل الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»[3] عن المرزباني قوله: أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الخليع الباهلي البصري ، مولى لولد سليمان بن ربيعة الباهلي ، وهو شاعر ماجن مطبوع ، حسن الافتنان في ضروب الشعر

---

(١) «الأغاني» ١٥٦/٧ .
(٢) ٢٧٠ . (٣) ٥٥/٨ .

وأنواعه ، وبلغ سنًّا عالية ، يقال : إنه ولد في سنة اثنتين وستين ومئة ومات في سنة خمسين ومئتين ، واتصل له من مجالسة الخلفاء مالم يتصل لأحدٍ إلا لإسحاقَ ابن إبراهيم الموصلي ، فإنه قاربه في ذالك أو ساواه . صحِب الحسينُ ٱلْأَمِينَ في سنة ثمان وثمانين ومئة ولم يزل مع الخلفاء بعده إلى أيام المستعين .

حفص بن عمرو الباهلي

مانعرفه عن هذا الشاعر ملخص مما ذكر الأَزديُّ في «تاريخ الموصل»(١) فهو من شعراء العهد العباسي ، مدح محمد بن زيد بن عمران حين غلب على نواح من الموصل ، وقد قتل محمد هذا سنة ١٥٥هـ .

وحفص هذا من موالي سعيد بن سلم الباهلي ، وكان معه لما ولي صلاة الموصل سنة ١٧٢ ، ويلقب حفص هذا (محصنة) ومن شعره في محمد بن زيد :

لَـكَ الْـخَيْرُ بَـرِّدْ غَلَّتـيَّ بِغَلْبَةٍ　　تَـطِيرُ بِهَا بعـد الْعِـرَاق أَنُـوقُ
وَشَمِّـرْ بِـه ازْدِيَّـةً مَـالِكِيَّـةً　　تَرُدُّ سَنَا إِسْحَـاقَ وَهْوَ سَحِيْقُ

وقال يذكر وقائع مما كان بين يحيى وأهل الموصل(٢):

لَيْسَ الْعِيَـانُ كَمُفْتَرِي ٱلْأَخْبَـارِ　　ذَهَبَ الْعِيَـانُ بِمُسْنَـدِ ٱلْأَخْبَـارِ
عَدُّوا فَوارِسَ لَمْ نَجِدْ مِنْ فِعْلِهِمْ　　إِلَّا الَّذِيْ سَطَرُوْهُ فِي الْأَسْفَـارِ
وَلَو انَّهُمْ شَهِدُوْا وَقَائِعَك الَّتِي　　كَانَتْ لَدَى الْهَبَوَاتِ فِي الزَّمَّارِ
وَرأَوْا أُسَـامَةَ بَـلْ أَشَدَّ تَيَقُّـظاً　　وَأَشَـدَّ مِنْـهُ صَبِيْحَـةَ الإِذْعَـارِ

(١) في الصفحات: ٧٤ ، ٨٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ، ٣٢٦ .
(٢) يحيى بن سليمان بن عمران الدوسي الزهراني من أزد السراة ، فصل نسبه وأخباره صاحب «تاريخ الموصل» ص ٧٧ إلى ١٢٩ وكان في عهد المستعين الخليفة العباسي .

لُزِمُوا بِعَنْتَرَ وابْنِ فَضْلٍ مَذْحِجٍ ... ومُلاَعِبِ الأَرْمَاحِ فِي التَّيَّارِ
يَاوَيْحَ مَنْ نَاوَاكَ مَاذَا غَرَّهُ ... مِنْ بَطْشِ مُلْتَئِمِ القُوَى هَصَّارِ
مَاذَا أَرَادَ وَقَدْ رَأَى سُبُلَ الرَّدَى ... فِي رَاحَتَيْكَ يَمِسْنَ بِالأَسْرَارِ
قَدْ كَانَ مَنْزِلُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ ... خِصْبَ الْجَنَابِ بِرَبْوَةٍ وَقَرَارِ
مَنَعِ الْمَسَارِحَ لاَ تُدِرُّ خَلِيْطَةً ... مِنْهُ الرَّبِيعَ بِقِلَّةٍ الأَمْطَارِ
حَتَّى إِذَا نَظَرُوا السَّلاَمَةَ فَاتَهُمْ ... قَدَرُ أُتِيحَ لِذِلَّةٍ وَصَغَارِ
جَنَبُوا الْجِيَادَ إِلَيْكَ فِي مَلْمُومَةٍ ... جَاءُوا تُجَهِّرُ أَعْيُنَ النَّضَّارِ
فَرَأَى رَئِيْسُهُمُ النَّجَاةَ بِنَجْوَةٍ ... طَالَتْ مَطَالِعُ كَوْكَبِ الْعَشَّارِ
فَنَجَا بِرَكْبٍ مُخْبِتٍ أَعْفَاؤُهُ ... كَالْعُفْرِ أَفْلَتَ مِنْ يَدِ الْبَيْطَارِ
فَزِعاً وغَادَرَ فَرْشَهُ وأَثَاثَهُ ... بَيْنَ اللَّفِيْفِ مُنَشَّرَ الأَطْمَارِ
ظَنُّوا بِأَنَّكَ شَحْمَةٌ مَأْدُوْمَةٌ ... بَيْضَاءُ تَنْضَحُ مِنْ لَهِيْبِ النَّارِ
فَتَمَطَّقَتْ أَشْدَاقُهُم عَنْ مَأْزَقٍ ... يَدَعُ الْوُجُوهَ قَبِيْحَةَ الأَبْشَارِ

أبو الحيال الباهلي

نسب له أبو تمام في «الحماسة الصغرى»[١]:

كَأَنَّهم لَيْلٌ إِذَا اسْتُنْفِرُوا ... أَوْ لُجَّةٌ لَيْسَ لَهَا سَاحِلُ
وَفَارِسٍ جَلَّلْتَهُ ضَرْبَةً ... فَبَانَ عَنْ مَنْكِبِهِ الْكَاهِلُ
فَصَارَ مَا بَيْنَهُمَا رَهْوَةً ... يَمْشِي بِهَا الرَّامِحُ وَالنَّابِلُ

وقد يكون الاسم مصحفاً ولكن هكذا ورد ، ومن أسمائهم : أبو الحبال الكلابي ، وأبو حبال مولى سليمان بن علي ، ذكرهما المرزباني[٢].

(١) ٦٤ .
(٢) «معجم الشعراء» ٥٠٨ تحقيق عبد الستار فراج .

أبو الخنثارم الباهلي

في كتاب «الحماسة» للبحتري له[1]:

لَعُمْرُ أَبِيْكَ لَا أَجْزِيْ ابْنَ عَمِّي بِعَثْـرَتِهِ، وأَمْنَـعُ فَضْـلَ مَـالِـي
وَلٰـكِـنِّي أَرُدُّ عَـلَيْـهِ حِـلْـمِـي لِيَوْمِ السُّوْءِ أَوْ غَـدْرِ اللَّيَالِـي

الدعجاء بنت وهب بن سلمة الباهلية

قال الأستاذ الزركلي[2]: شاعرة بليغة من أهل العصر الجاهلي ، اشتهر من شعرها رثاؤها لأخيها المنتشر ، وكان يغير على بني الحارث بن كعب ، ويقتل ويأسر ، فرصدوه حتى أخذوه ، وقطعوه إِرَباً إِرَباً ، بثأر من قتل من منهم . انتهى .

وقد نسب إليها بعض العلماء مرثاة المنتشر التي أوردها صاحب «جمهرة أشعار العرب» وغيره لأعشى باهلة[3]. ونسبها بعضهم إلى ليلى أخت المنتشر ، ونقل صاحب «الأغاني»[4] أن عبدالملك بن مروان قال للشعبي : أي نساء الجاهلية أشعر ؟ قلت : خنساء ، قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وَقَائِلَةٍ وَالنَّعْشُ قَدْ فَاتَ خَطْوَهَا لِتُدْرِكَهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرِ
أَلا ثَكِلَتْ أُمَّ الَّذِيْنَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ

فقال عبدالملك : اشعرُ منها والله التي تقول :

مُهَفْهَفُ الْكَشْحِ وَالسِّرْبَالِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ الْقَمِيْصُ لِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
لَايَـأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَـاهُ ومُصْبَحَهُ فِي كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

وستأتي القصيدة كاملة عند ذكر الأعشى .

---

(١) ١٠٠ . (٢) «الأعلام» .
(٣) «خزانة الأدب» ١/١٨٨ و«سمط اللئالي» ٧٥ و٧٦ .
(٤) ١١/٢٢ و٢٣ ط الثقافة .

دَيْسَم بن رُومي الباهلي

ديسم هذا من فرسان باهلة ، وهو صاحب (الكُميت) ، ويظهر أنه شارك في حرب تغلب في الجزيرة ، فقد ذكر ابن الأعرابي أنه قال البيت الآتي لعمير بن حباب[1]، وهذا قتل سنة ٦٥ في الحرب التي وقعت بين قيس وتغلب في الجزيرة ، والبيت هو :

فَـأَدْرَكَـهُ الْكُمَيتُ بِشَمَّـرِيٍّ مِنَ ٱلأَبْـطَالِ مِغْـوَارٍ نَجِيْـبِ

ربيعة الباهلي

أورد القالي له[2]:

فَإِنَّ الَّذِي عَارَضْتُمْ حَالَ دُوْنَها عَتَـادٌ وَلَيْـلٌ ذُوْ نَهَابِيْرَ مُـظْلِمُ

رُؤْبَةُ بن العجّاج الباهلي

قال الآمدي[3]: ومنهم رُؤْبَةُ بنُ الْعَجَّاج بن شَدْقَـمٍ الباهلي الشاعر ، وهو وأبوه العجَّاج أيضاً أنشدنا له أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وقال : وجد بخط إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، لأبي بَيْهَسٍ رؤبة بن العجَّاج بن شدقم :

عِدِيْنَا وَمَنِّيْنَا نَقُلْ قَـدْ وَعَدْتِنَـا نَرَى مِنْكِ مِثْلَ النَّيْلِ أَنْ تَعِدِيْنَا
وَلَا تَعْزِمِيْ إِنْ شِئْتِ إِنْجَازَ مَوْعِدٍ وَخَـلِّي مُحِبًّـا وَالتَّـعَلُّلَ حِيْنَـا

(١) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي ٥٠ .
(٢) «البارع في اللغة»: ٢١٧ تحقيق هاشم الطعان .
(٣) «المؤتلف والمختلف» ١٧٥ .

وقال رُؤْبة أيضاً وأنشدناه له أبو العباس :

قَـالَتْ لَنَـا وَقَـوْلُهَـا أَحْـزَانُ: ذَرُوهُ وَالْـقَـوْلُ لَـهُ بَـيَـانُ
يَـا أبـتَـا أَرَّقَـنِي الْـقِـذَّانُ فَـالنَّوْمُ لا تَـطْعَمُـهُ الْعَيْنَـانُ[1]
من وَخْـزِ بُرْغُـوثٍ لَهُ أَسْنَـانُ وَلِـلْبَـعُـوْضِ فَـوْقَـهُ دَنْـدَانُ

ـ الدندنة : الكلام الذي لا يفهم ، والقِذَّانُ جمع قُذَذٍ وهو البرغوث .

وذكر أن رؤبة يكنى بأبي بَيْهَسٍ ، والغريب أن يتفق اسم هذين الراجزين باسم راجزين أشهر منهما ، وهما رؤبة بن العجاج من بني تميم .

وورد ذكر رؤبة الباهلي في كتاب «المكاثرة»[2] . وأورد له الرجز المذكور سوى و(للبعوض) .

رِيَاح بن عبيدة الباهلي

ورِياح[3] ـ بالمثناة التحتية ، وهو من موالي باهلة ، قال عنه الجاحظ[4] : وذكر عُمَرَ [بن عبدالعزيز] رياحُ بن عبيدةَ الباهلي ، وكان رياحُ منْ خاصَّةِ عمر ، وكانت الشَّجَّة[5] من جبينه إلى حاجِبه ، في قصيدة له طويلة :

فَلَا تَبْعَدَنْ بينَ الضَّرِيحَيْنِ أَعْظُمٌ بَوالٍ ، وأَثْرٌ في جَبِينٍ وَحَاجِبِ
فَقُومُوا عَلَى قَبْرِ الْأَشَجِّ فَسلِّمُوْا عَلَيْهِ ، وجُودُوْا بِالدُّمُوْعِ السَّوَاكِبِ

(١) ويلاحظ الإقواء في (العينان) .
(٢) ٤٣ .
(٣) لرياح هذا ترجمة في «تهذيب التهذيب» وكتاب «الثقات» لابن حبان و«المشتبه» للذهبي .
(٤) «البرصان والعرجان» ٤٨٢ .
(٥) يقصد الشجة التي في عمر بن عبدالعزيز .

الزرافة الباهلي

قال ابن السيرافي في «شرح شواهد سيبويه»[1]: قال الزَّرَافَة الباهلي:

هَلْ فِي الْقَضِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُمُ ... وأَمِنْتُمُ فَـأَنَـا الْبَعِيْـدُ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا تَكُـونُ كَرِيْهَـةٌ أُدْعَى لَهَـا ... وَإِذَا يُحَاسُ الْـحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
هَـذَا لَعَمْـرَكُمُ الصَّغَـارُ بِعَيْنِـهِ ... لاَ أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلاَ أَبُ
عَجَبٌ لِتِلْكَ قَضِيَّـةً وإِقَـامَتِي ... فِيْكُمْ عَلَى تِلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبُ

قال س[2]: هذا موضع المثل: وأَيْنَ الـمُحَيَّا من بلادِ الـمُسَلِّمِ؟

مابين الصواب وماذكره ابن السيرافي في هذه الأبيات:

أَبْعَدُ مِنْ زَهْوَةَ مِنْ نِسَاحِ

و(نِساح) غير منون ورهوة بنجد ونِساح باليمامة، وذالك أنه زعم أن هذه الأبيات للزرافة الباهلي، ولم يخلق الله في باهلة من اسمه زرافة، بلى في بني أسدٍ شاعر يقال له زرافة، وهو القائل:

وَمَنْ لاَ يَنَلْ حَتَّى يُسَدَّ خَـلاَلُهُ ... يَجِدْ شَهَوَاتِ النَّفْسِ غَيْرَ قَلِيْلِ

زِرْبِـيّ بن سَبّـاق

ذكره الهجري[3] وذكر أنه أَحَدَ بني عثمان الباهلي، وجَرَحَهُ ابن جَرَّارٍ البدري، أحدِ بني ربيعة بن عبدالله بن الحارث بن نُمير - وأورد له:

(١) ٢٣١/١ .
(٢) الأسود الأعرابي صاحب «فرحة الأديب» ٥٤ .
(٣) «النوادر والتعليقات» ١٦٨ مخطوطة دار الكتب المصرية، وهل بين زربي هذا وزربي الباهلي الذي كان يحرس قصر مُسْلم بن عمرو الباهلي الذي بناه في البصرة وسمي القصر (زربي) باسم حارسه؟ هذا ما تساءل عنه مؤلف كتاب «أشعار باهلة» ٤٧٧ .

نَالَتْ يَمِينُ ابْنِ جَرّارٍ بِذِي شُطَبٍ سَاقِـي وَمَا مَسَّنِـي مِنْ ذَاكَ مِنْ عَارِ
قَدْ كَانَ ذَا رَحِمٍ مني فَأَخْلَفَنِي ظَنِّـي، وَرُبَّ قَرِيْبٍ غَيْرُ سَرَّارِ

زغبة الباهلي

رأيتُ هذا الاسم مكرراً في كثير من كتب اللغة في رسم - قصر ، ونور ، وحذق ، وبوق ، من كتابي «لسان العرب» و«تاج العروس» فقد نسبت إليه فيهما أبيات من الشعر يصف فرسه ، وأنها تُصَانُ لكرامتها ، وتبذل إذا نزلت شدة ، ونصها في رسم (قصر):

وذَاتِ مَنَـاسِبٍ جَـرْدَاءَ بِكْـرٍ كَـأَنَّ سَرَاتَهَـا كَـرٌّ مَشِيْـقُ
تُنِيفُ بصُلْهَبٍ لِلْخَيْـلِ عَـالٍ كَـأَنَّ عَمُودَهُ جِـذْعٌ سَحُـوقُ
تَـرَاهَـا عِنْـدَ قُبَّتِنَـا قَصِـيْراً وَنَبْـذُلُهَـا إِذَا بَـاقَـتْ بَـؤُوْقُ

والْبَؤُوْقُ : الداهِيَةُ . ويقالُ للمَحْبُوسةِ من الـخَيْل : قَصِيرٌ .

كما رأيت في رسم - نور - في «لسان العرب» مانصه : قال مالك بن زغبة الباهلي يخاطب امرأةً :

أَنَـوْراً سَـرْعَ مَـاذا يـافَـرُوقُ وحَبْـلُ الوَصْـلِ مُنْتَكِثٌ حَذِيقُ

أراد أَنِفَاراً يافَرُوقُ ، وقوله سَرْعَ ماذا : أَراد سَرُعَ فخفف ، قال ابن بَرِّي في قوله :

أَنَـوْراً سَرْعَ مَاذَا يَافَرُوْقُ

قال : الشعر لأبي شقيق الباهلي وأسمه جَزْءُ بن رِياح ، قال : وقيل هو لزغبة الباهلي قال : وقوله أنورا بمعنى أَنِفَاراً سَرْعَ ذا يافروق أي ما أسرعه ، وذَا

فاعل سرع ، وأسكنه للوزن ، وما زائدة . والبين ههنا : الوصل ومنه قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ أي وصلكم ، قال : ويروى : وحبل البين منتكث ، ومنتكث : منتقض . وحذيق : مقطوع ، وبعده :

أَلا زَعَمَتْ عَلاَقَةُ أَنَّ سَيْفِي يُفَلِّلُ غَرْبَهُ الرَّأْسُ الْحَلِيْقُ

وعلاقة : اسم محبوبته ، يقول : أزعمت أن سيفي ليس بقاطع وأن الرأس الحليق يفلل غربه . وفي رسم ـ (حذق) ـ أنشد ابنُ السكيت لزغبة الباهلي :

أَنَوْراً سَرْعَ مَاذَا يافَرُوقُ وَحَبْلُ الوَصْلِ مُنْتَكِثٌ حَذِيقُ

أي مقطوع . والحاذق : القاطع .

وفي رسم (بوق) أنشد ابن بَرِّي لزغبة الباهلي وكنيته أبو شقيق وقيل : جزء ابن رياح الباهلي :

تَرَاهَا عِنْدَ قُبَّتِنَا قَصِيْراً وَنَبْذُلُهَا إذَا بَاقَتْ بَؤُوْقُ

وأول القصيدة : أَنَوْراً سَرْعَ ماذا يافَرُوقُ .

فالشواهد كما ترى متنازعة بين زغبة وبين مالك بن زغبة وبين جزء بن رياح الباهلي . ولا أستبعد أن تكون لمالك بن زغبة فهو شاعر جاهلي مشهور ، له قصيدة من عيون الشعر أوردها صاحب «منتهى الطلب» وسترد عند ذكره .

زياد بن ربعي الباهلي

ذكره الآمدِيُّ[1] في الشعراء ، ولم يُوْرِدْ له شعراً .

---

(١) «المؤتلف والمختلف» ١٩٣ تحقيق الأستاذ عبدالستار فراج .

سَبّاق الباهلي

لم أر له ذكراً إلا في «النوادر والتعليقات»[1] للهجري ، فقد قال : أنشدني لسبَّاقٍ الباهلي يقولها لابن عمه وجنف عليه :

إلى اللهِ آشْتَكِي رَجُلاً بِجَنْبِي ... عَلَيَّ وَكَيْفَ أَرْفَعُ نَاظِرَيَّهْ
تَهَدَّدُنِي الرِّجَالُ فَلاَ يُبَالِيْ ... وَيَجْعَلُ مَيْلَهُ مَعَهُمْ عَلَيَّهْ
وَيَأْتِيْنِي بِمُصْحَفِهِ يُدَادِي ... وَيَخْبَأُ سَيْفَهُ عِنْدَ الْمُرَيَّهْ
يُرِيْغُ لِيَ الْبَرَاةَ لِقُرْبِ رِحْمِي ... لِيَبْسُطَ فَوقَهُ جَوْراً يَدَيَّهْ
فَقُلْتُ لَهُ بِمَزْرِيَةٍ عَلَيْهِ: ... أَمَالَكَ فِي ابْنِ عَمِّكَ مِنْ رَوِيَّهْ؟
فَنَوْلُكَ أَنْ تَكُونَ مَعِي عَلَيْهِمْ ... وَتَرْمِيَهُمْ بِحُجَّتِكَ الرَّدِيَّهْ
وإِنْ شَغَبوا عَلَيَّ[2] دَنَوْتَ مِنِّي ... وَصُلْتَ كَمَا يصولُ ذَوُوْ الْحَمِيَّهْ
فَإِنْ كَانُوا أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنِّي ... فَلاَ أَدْعُوا لأَهْلِكَ بِالنَّسِيَّهْ
فَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ ولا لِي ... وَسَوَّيْتَ الْقَضِيَّةَ بِالسَّوِيَّهْ
فَرِحْتُ بِهِ وقُلْتُ: بُنَيُّ عَمِّي ... فلَيْتَكَ كُنْتَ دَابِرَةَ الثَّنِيَّهُ
فَإِنْ تَكُ يَابْنَ عَمِّي بَهْوَنِيًّا ... فَبِاللهِ لاَ احْتَشَمْتُ لِبَاهِلِيَّهْ
أَمَا قَدْ قُلْتُ وَيْحَكَ فَارِضُوْنِي ... إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ أو ضَرِيَّهْ

ـ الـمُفارَضَةُ : الـمُفاتاةُ ، والفُراضُ جمعُ فارِضٍ للفقيهِ .

وَإِنْ شِئْتُمْ إِلَى أَهْلِ الْمُهَيَّا ... فَفِيْهِمْ كُلُّ مَكْرُمَةٍ وهَيَّهْ[3]
رِجَالٌ لا يُفَزَّعُ سَرْبُ جَارٍ ... يُجَاوِرُهُم وَلاَ يُرْزَا رَزِيَّهْ

---

(١) ٥٥ مخطوطة دار الكتب المصرية ، والضمير في أنشدني يرجع إلى السلولي ، ومع انه تكرر ذكره إلا أنني لم أر له اسماً فيما اطلعت عليه من الكتاب .

(٢) في الهامش: (شغب بفتح العين أفصح من جرها) .

(٣) من بني عبادة بن عقيل ـ هامش الأصل .

يَقُــودُونَ الْـجِيَــادَ مُسَــوَّمَــاتٍ لِـكُــلِّ قبيلة مِنهُم سَــرِيَّــهْ
سِرَاعــاً مُجْهِـدِيْنَ عَـلَى عُـدَاهُمْ ونَهْضَتُهُمْ عـلى كَعْبٍ وَطِيَّـهْ[1]
تَلُوذُ عُــدَاهُمُ بِــالْبَحْــرِ مِنْهُمْ مَعَ الْـحِيْتَـانِ تَـأْكُلُهَـا طَـرِيَّـهْ
حَمَوْا مـابَــيْنَ دَارِ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى مــارَدَّ فَـيْــدُ إلى طَمِـيَّــهْ
إِلَى دَارِ الْـحَرِيشِ فَبَطْنِ بِرْكٍ بِــلَادٌ لاتُـعَـنِّـفُـهَــا الــرَّعِـيَّــهْ

ـ تَعَنَّفَتِ الماشيةُ البلادَ ، إذا اجتوتها ولم تَسْتَمِرْها ، فإن اسْتَمرَتْها فقد اغتفرتها واعْتَبَتْها واعْتَبَى البعيرُ ببلد كذا ، إذ كان غير بلده ، ووقع إليه فَصَلح به[2] وأنشدني الجُهني من جُهينة الـحَجْرِ بَطْنٌ مِنَ ٱلْأَسْدِ مِنْ أَهْلِ السَّرَاةِ فُصَحَاء :

سِرُّ الْبِلَادِ الَّذِي يُولَى وَيُغْتَفَرُ

بِجُردِ الخيلِ وَٱلْأَسَلِ الْيَمَانِي وَزُرْقٍ لَا تَـطِيشُ عَنِ الرَّمِيَّـهْ
وَأَسْـيَــافٍ بِــأَيْمَــانٍ كِـرَامٍ مَشَاهِدُهَـا وتَفْرِي في الهَـرِيَّه[3]
فَكَمْ مِنْ كُلِّ ذَاتِ شَوًى خِدَالٍ عِــذَابِ الثَّغْـرِ سَيِّــدَةٍ حَيِيَّــه
مُمَنَّعَــةٍ بِــأَطْـرَافِ الْـعَــوَالِي صَـدُوقِ الْقَـوْلِ عـاقِلَةٍ تَقِيَّـه
غَـدَا مِنْ عِنْدِهَـا بَعْلٌ حَـلَالٌ فَلَمْ يَـرْجِـعْ وَعَـاقَتْـهُ الْـمَنِيَّــهْ
وَقَــدْ أَمْسَى بِــدُنْيَــاهُ ضَنِيْنــاً وَرَاحَ عَــلَى مُعَـزَّبَــةٍ حَفِيَّـه[4]
تَسَـالُ ذَوِي الْقَرابَـةِ هَلْ رَأَوْهُ وَتَـنْـدُبُــهُ أَلَا يَــابَــا بَـنِـيَّــهْ
وَعِنْـدَ أَبِـي الـمُقَلَّدِ مِنْهُ عِلْمٌ وَعَــيْنٌ عِنْــدَ مِنْهَــالٍ جَـلِيَّــهْ

(١) في الهامش بخط كاتب الأصل : من ولد كعب بن ربيعة ، لأنهم قومهم ، وإنما أراد أن بأسهم على من بعد منهم . انتهى .
(٢) ص ٥٥/٥٧ المخطوطة المصرية .
(٣) في الهامش: (شدة البرد).
(٤) في الهامش بخط كاتب الأصل : (معزبة ـ بالزاي ـ وهي التي تخدم الرجل) .

أبو الـمُقلّدِ جعفر بن عمرو بن الـمُهيّا سيّدُ كعب اليوم ، ومنهال بن عمرو .

تَـوَفَّـوْا نَفْسَـهُ فِيْمَنْ تَـوَفَّـوْا ... بِـلاَ غَـدْرٍ وَلاَ رِعَـةٍ دَنِيَّـهْ
كَـذَاكَ وَبِالتُّقَى كَـثُرُوا وَطَـابُـوا ... ومَنْ لَـزِمَ التُّـقَى فَـلَهُ وَقِيَّـهْ

سحبان وَائل الباهلي

سبقت ترجمته مع العلماء ، وقد نسب ابن جرير[1]، وغيره من المؤرخين ، لسحبان هذا شِعْراً عن وقعة خُجَنْدَة سنة ٩٤هـ[2] بقيادة قتيبة ، ولكن سحبان قد توفي قبل هذه الوقعة ـ توفي سنة ٥٤هـ ـ كما في حوادث هذه السنة من كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير ، ولعل الشعر لِابنه عجلان ، ونَصُّهُ :

فَسَـلِ الْفَـوَارِسَ فِي خُـجَنْـ ... ـدَةَ تَحْتَ مُـرْهَفَـةِ الْعَـوالِـيْ
هَـلْ كُـنْـتُ أَجْمَـعُـهُـمْ إذَا ... هُـزِمُـوا وَأُقْـدِمُ فِي قِتَـالِـي
أمْ كُنْتُ أَضْـرِبُ هَـامَـةَ الْـ ... ـعَـاتِي وأَصْـبِرُ لِـلنِّـزَالِ
هـذا وأنـتَ قَـرِيْـعُ قَـيْـ ... ـسٍ كُلِّهـا ضَخْـمُ النَّـوَالِ
وفَـضَلْتَ قَـيْسـاً فِي الـنَّـدَى ... وَأَبُوكَ فِي الْحِجَجِ الـخَـوَالِـي
وَلَـقَـدْ تَـبَـيَّنَ عَـدْلُ حُـكْـ ... ـمِـكَ فِيْهُمُ فِي كُـلِّ حَـالِ
تَمَّـتْ مُـرُوءَتُـكُـم وَنَـا ... غَى عِـزُّكُمْ غُلْبَ الـرِّجَـالِ

أبو سحمة الباهلي

أورد الحافظ ابنُ حجر في ترجمة الصحابي هِرْمَاسِ بن زياد الباهلي[3] : كان

(١) «تاريخ ابن جرير» و«الكامل» لابن الأثير حوادث سنة ٩٤ .
(٢) ٧١/٨ .
(٣) «الإصابة» حرف الهاء ـ القسم الثالث : ٦٠١ ـ الطبعة الأولى .

له ابن عم يقال له حبيب بن وائل ، قد وُسِّعَ عليه في المال ، فقال فيه أبو سَحْمَة الباهلي :

إنِّيْ وإنْ كَـانَ حَبِيْبُ أُوْسَعَا
وَلَمْ أزِدْ عَـلَى الْكَفَـاةِ قَـنِعَـا
آكُـلُ مَـا آكُـلُ حَتَّى أشْبَعـا
وأشْـرَبُ الْبَـارِدَ حَتَّى أنْـقَعَـا

وفي «القاموس المحيط»: وَأبو سَحْمَةَ رَاجِزٌ باهلي . انتهى . وهذا يَدُلُّ على شهرته .

شَبيب بن جحل

ومن شعراء باهلة : شبيب بن جَحْل بن نَضْلة قال البلاذري[1] : ومن باهلة ثم من بني عَمْرِو بن عَبْدٍ: جحل بن نضلة كان شريفاً في الجاهلية ، وعرض ابنه شبيب على أبي موسى وهو شيخ فقال : أنت بالٍ على بال . فقال شبيب بن جحل بن نضلة :

رَآنِـيْ ٱلْأَشْعَـرِيُّ فَقَال : بَـالٍ   عَـلَى بَالٍ ، ولَمْ يَعْلَمْ بَـلاَئِـي
وَمِثْلُكَ قَدْ كَسَرْتُ الرُّمْحَ فِيْهِ   فَـآبَ بِـدَائِـهِ وَشَفَيْتُ دَائِـي

وقد أورد ابن حمدون في «تذكرته»[2] خبر هذين البيتين بأوفى مما هنا ، ونسبهما إلى شاعر آخر فقال مانصه : كان أبو موسى الأشعري محاصِراً تُسْتَرَ ، فخرج رجلٌ من العجم فدعا إلى البراز ، فخرج إليه شيخ مسن من باهلة يُدْعَى حليل بن أوس على فرس عجفاء ، فقال أبو موسى ، ممن الرجل ؟ قال : من باهلة ، فقال : ارْجِعْ يا أخا باهلة فإنك بالٍ على بالٍ ، وأحجم

---

(١) «أنساب الأشراف» ـ نسب باهلة ـ لا يزال الكتاب مخطوطاً .
(٢) «التذكرة الحمدونية» ٢/٤٦١ .

النّاسُ عن الرجل فدعا ثانيةً فخرج الباهلِي فردَّهُ أبو موسى ، فأبى أن يرجع ومضى ، فقال أبو موسى : اللهم إنه في حِلٍّ وتطاعنا فقتله الباهلي ، وأقبل يجر رمحه ويقول :

رَآنِـي الْأَشْعَـرِيُّ فَقَـالَ: بَـالٍ ... عَلَى بَالٍ، وَلَـمْ يَعْلَـمْ بَلاَئِـي
وَمِثْلُكَ قَدْ عَرَضْتُ الرُّمْحَ فِيْهِ ... فَبَـانَ بِـدَائِـهِ وَشَفَيْتُ دَائِـيْ
إِذَا اجْتَمَـعَ الْعَشَائِـرُ وَاسْتَكَفُّوا ... فَـجَـامِعَـتِي إِلَى ظِـلِّ اللِّوَاءِ

فقال أبو موسى : إني لم أُرِدْ بأْساً يا أخا باهلة ، فقال الباهلي : وأخو باهلة لم يرد بأْساً يا أخا الأشعريين . فبلغ الخبرُ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان لا يخفى عنه ما يجري بين الناس فكتب إلى أبي موسى يَلُومُهُ ويأمره أن يعرفَ لِأَهْلِ البلاءِ بلاءَهُـمْ ويُنْزِلهم منازِلَهُـمْ . انتهى .

شُتَيم بن عَمْرِو الباهلي

أورد له أبو تمام في «الحماسة الصغرى»(١):

إِنَّ الْعُقُـولَ فَـاعْلَمَنَّ أَسِنَّـةٌ ... حِدَادُ النَّوَاهِـي أَرْهَفَتْهَا الْوَقَائِعُ
وَإِنَّ امْرَأً في النَّاسِ يُعْطِيْ ظُلاَمَةً ... ويَمْنَعُ نَصْفَ الْـحَقِّ مِنْهُ لَوَاضِعُ
أَفَـالْمَوْتُ يَخْشَى أَثْكَـلَ الله أُمَّهُ ... أَمِ الْعَيْشُ يَرْجُو نَفْعَهُ وَهْوَ رَاضِعُ
وَيَأْكُلُ مَـالَمْ يَنْدَفِـعْ في مَرِيْئِـهِ ... ويَمْسَحُ أَعْلَى بَطْنِهِ وَهْوَ جَائِـعُ

شقيق بن جزء الباهلي

هو شَقِيْقُ بن جَزْءِ بن رِياح من فرسان باهلة المشهورين في الجاهلية ، وقد

---

(١) ١٥ والشعر في «البيان والتبيين» تحقيق عبدالسلام هارون بدون عزو .

يكون أدرك الإسلام ، فقد جاء في كتاب «العفو والاعتذار»[١]: قال الأصمعي ، وقد استشهد شقيق يوم اليرموك وهو الذي يقول :

أَرَى أُمَّ بِشْرٍ دَمْعُهَا قَدْ تَحَدَّرا   بُكَاءً عَلَى بِشْرٍ وَمَا كَانَ أَصْبَرَا
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً   وَراءَ الْـجَسَاسِ مِنْ مَدافِعِ قَيْصَرَا

واسم فرس شقيق مَيَّاسٌ ، قال فيه عَمْرُو بن أحمر الباهلي[٢]:

عَرَانِينُ مِنْ عَبْدِ بْنِ غَنْمٍ أَبُوهُمُ   هِجَانٌ، فَسَامَى في الْهِجَانِ وَأَنْجَبَا
فَوَارِسُ سِلَّى يَوْمَ سِلَّى وَسَاجِرٍ   وَفَـارِسُ مَيَّـاسٍ إذا مـاتَلَبَّبَـا

وأنشد الأصمعي للحارثية ترثي من قُتِل من قومها في يوم كان لباهلة على بني الحارث ومراد وخثعم[٣]:

شَقِيْقٌ وَحَـرْمِـيٌّ هَرَاقَـا دِماءَنـا   وَفَارِسُ هَدَّاجٍ أَشَابَ النَّواصِيَا

أرادت شقيقَ بن جَزْءِ بن رياح الباهلي وحَرْمـيَّ بنَ ضمرة النهشلي .

وذكر ابن الكلبي في كتاب «نسب الخيل»[٤] فرس شقيق وقال : وعليها قُتل ابن عاهان يوم أرمام[٥]، وفيه يقول أعشى باهلة :

وَأَعْـرَضَ مَيَّـاسٌ يَمُـرُّ بِفَـارِسٍ   لَيـالِيَ لايَنْفَـكُّ يَـرْأَسُ مِقْنَبَـا

وقد ورد اسم أبيه في «أسماء خيل العرب»[٦] لابن الأعرابي : حرى ، بدل جزء .

---

(١) ٥١٦/٢ وقد نسب البيتان لامرئ القيس في ديوانه .

(٢) شعر عمرو بن أحمر : ٤٠ وفي «أسماء خيل العرب» لأبي محمد الغندجاني الأعرابي ٢٢٨ :

مُنًى لك أن تلقي ابن هند منية   وفـارس ميـاس إذا مـا تلببـا
وجحلا أبا عمرو وقرة ذا الندى   وزهـرا وغـلاقـا ويـالـك مقنبا

(٣) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي ٤٩ و«لسان العرب» رسم (هدج) .

(٤) ٥١ ط المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦ .

(٥) تقدم ذكر هذا اليوم في موضعه .   (٦) ٤٩ ط المجمع العلمي العراقي ١٤٠٥ .

وجاء في كتاب «فرحة الأديب»[1]: قال ابن السيرافي: قال شقيق بن جَزْءٍ الباهلي يرد على جَحْل بن نضلة الباهلي:

أَتُوْعِدُنِي بِقَوْمِكَ يَابْنَ جَحْلٍ أُشَابَاتٍ يُخَالُوْنَ الْعِبَادَا
بِمَا جَمَّعْتَ عن حَضَنٍ وعَمْرٍو وَمَا حَضَنٌ وعَمْرٌو والْجِيَادَا
إِذَا خَطَرَتْ بَنُو سَعْدٍ وَرَائِي وَذَادُوْا بِالْقَنَا عَنِّي ذِيَادَا

قال: يُخالون: يظنون أنهم عبيد. وحضن وعمرو والجياد: قبائل.

قال س[2]: هذا موضع المثل.

كُرِّي إِلَى أَهْلِكِ ياعجوز إِنَّ بِيَاعَ اللَّيْلِ لَا يَجُوْزُ

هذا أفصح ماجاء به ابن السيرافي، وذالك أنه ذكر أن الجياد قبيلة، وهذا يدل على غباوة تامَّة وجهل ظاهر. إنَّ الجياد هاهنا عِتَاقُ الخيل، يقول: ما هؤلاء وعتاق الخيل، أي ليسوا فرسان الخيل العتاق.

وقوله: وعنى العباد هاهنا العبيد خطأٌ أيضاً، فإنما عنى بِالْعِبَادِ قوماً كانوا يجتمعون على باب النعمان خَوَلاً من كل قبيلة، شبه هاؤلاء بأؤلئك، أي إنهم أخلاط.

والبيت الأول فيه خبط أيضاً، وذالك انه قال:

أَتُوعِدُنِي بِقَوْمِكَ يَابْنَ جَحْلٍ

وإنما الخطاب لِجَحْلٍ نفسِهِ لا لابنه، فكيف يقول يابن جحل، والصواب:

أَتُوْعِدُنِي بِرَهْطِكَ يَا جُحَيْلاً

(١) ٤٧ وورد البيتان في «الكتاب» لسيبويه أن الأخفش أَبَا الخطاب سمع بعض العرب الموثوق بعربيتهم ينشد. ثم أوردهما.

(٢) أي الأسود الغندجاني (أبو محمد الأعرابي) مؤلف «فرحة الأديب».

وفي الأبيات التي أوردها تقديم وتأخير ، وخلل كثير ، ثم أورد الشعر كاملاً بهذا النص[1]: فأجابه شقيق بن جَزْءٍ فقال :

سَرَحْتُ عَلَى بِلَادِكُمُ جِيَادِي فَأَدَّتْ مِنْكُمُ كُوماً جِلَادَا
بِمَا لَمْ تَشْكُرُوْا الْمَعْرُوْفَ عِنْدِيْ وَإِنْ شِئْتُمْ تَعَاوَدْنَا عِوَادَا
أَتَأْمَلُ أَنْ تُسَاوِيَ حَيَّ أَعْيَا وَصَحْباً خابَ ماتَرْجُو ، وَزَادَا
بِمَا جَمَّعْتَ مِنْ حَضَنٍ وعَمْرٍو أُشَابَاتٍ يُخَالُوْنَ الْعِبَادَا
إِذَا خَطَرَتْ بَنُو سَعْدٍ وَرَائِي وَذَادُوْا بِالْقَنَا عَنِّيْ ذِيَادَا
رَأَيْتَ الْمَوْتَ دُوْنِي فَانْتَهَيْتُمْ وَلَمْ تَسْطِعْ دَعَائِمَهَا الشِّدَادَا
أَتُوْعِدُنِي بِرَهْطِكَ يَا جُحَيْلاً وَمَا عَمْرُو بْنُ حِضْنٍ وَالْجِيادَا

وقال الوزير المغربي في «الإيناس» في الكلام على عَبْشَمْسِ بن أعيا بن سعد بن عَبْد بن غَنْم بن قُتيبة بن معن بن مالك بن أَعْصُر - وهو منبه بن سعد ابن قيس[2]: ومن بني عبشمس : شقيق بن جَزْءِ بن رِياح بن عَمْرِو بن عَمْرِو ابن عَبشمس بن أعيا ، كان شاعراً ، وهو القائل :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ نَزَالِ تُدْعَى وَطَعْناً مِثْلَ أَفْوَاهِ الْمَزَادِ
تَنَادُوْا يَالَ مَعْنٍ ثُمَّ مَاجَتْ صَفَائِحُ صَقْلُهَا فِيْ عِهْدِ عَادِ
بِكُلِّ غَشَمْشَمٍ مِتْلَافِ قِرْنٍ كَفَحْلِ الشَّوْلِ ، مُنْسَدِلِ النِّجَادِ

وأورد صاحب «لسان العرب»[3]: قاقَ النعام صَوَّتَ ، قال النابغة :

كَأَنَّ غَدِيْرَهُمْ بِجَنُوبِ سِلَّى نَعَامٌ قَاقَ فِيْ بَلَدٍ قِفَارِ

أراد غدير نعام ، فحذف الْمُضَافَ وأقام المضاف إليه مقامه ، ومعناه أي

---

(١) «فرحة الأديب» ٤٩ . (٢) ٢١٦ .
(٣) رسم (قوق) ومثله في «تاج العروس».

كان حالهم في الهزيمة حال نعام تَعْدُوْ مذعورةً ، وهذا البيت نسبه ابن بَرِّي لشقيق بن جَزْء بن رياح الباهلي ، انتهى . وفي رسم (وشق): قال جزءُ بن رباح الباهلي :

تَـرُدُّ العَـيْنَ لا تَنْـدَى عِـذَاراً ... ويَكْـثُرُ عِنْدَ سَـائِسِهَـا الـوَشِيقُ

كذا ورد في «اللسان» فهل البيت لجزءٍ أَمْ لإِبْنِهِ شقيقِ بن جَزْءِ الشاعر الفارس المشهور؟

على أنَّ الأبيات التي منها هذا البيت نُسِبَتْ إلى زغبة الباهلي وإلى ابنه مالك ، وإلى غيرهما .

وقال شقيق بن جزء الباهلي في إفلات عوف بن ضِرَار الضبي عندما أغار شقيق على بني ضبة ومن معهم في روضة سِلَّى وسَاجِرٍ[1]:

أَفْلَتَنَـا لَـدَى الأَسَلاَتِ عَـوْفٌ ... لَدَى الوَرْهَاءِ تَطْعَنُ في اللِّجَامِ
وَكَـانَ هُـوَ الشِّفَـاءَ فَـأَحْـرَزَتْـهُ ... صَنِيـعُ الْـمَتْنِ رَابِيَـةُ الـحِزَامِ
كَـأَنَّ حَمَـامَـةً وَرْقَـاءَ يُـرْمَى ... بِهَا الرَّجَوانِ مِنْ وُرْقِ الْـحَمَامِ
أَهَانَ لَهَا الـطَّعَامَ فَلَـمْ تُضِعْـهُ ... غَـدَاةَ الـرَّوْعِ إِذْ أَزَمَتْ أَزَامِ

وقال شقيق في تلك الإغارة[2]:

لَقَـدْ قَـرَّتْ لَهُمْ عَيْنِـي بِسِـلَّى ... وَرَوْضَـةِ سَـاجِـرٍ ذَاتِ الْعَـرَارِ
جَـزَيْتُ الْـمُلْجِـيْنَ بِمَـا أَزَلَّتْ ... مِنَ البُؤْسَى رِمَـاحُ بني ضِرَارِ
نُـكَسِّرُ في مُتُـونِهِمُ الْـعَـوَالِي ... وَتَمْضِـي السَّمْهَـرِيَّـةُ في انْـتِـطَارِ
وأَفْـلَتَ من أَسِـنَّتِـنَـا حَكِيْـمٌ ... جَرِيْضاً، مِثْلَ إِفْلاَتِ الْـحِمَـارِ
وَعَادَ عَلَيْهِ أَنَّ الْـخَيْـلَ كَانَتْ ... طَـرَائِـقَ بَـيْـنَ مُـنْـقِـيَـةٍ وَرَارِ

(١) «فرحة الأديب» ٧٧ . (٢) المصدر السابق: ٧٨ .

كَـأَنَّ عَـذِيْـرَهُمْ بِجَنُـوبِ سِـلًّى نَـعَـامٌ قَـاقَ فِي بَـلَدٍ قِـفَـارِ
وَلَـمَّا أَنْ رَأَيْتُ أَبَـا حُـدَيْـرٍ صَرِيْعَ الْقَوْمِ حَقَّ بِهِ حِذَارِي
وَلَـمْ أَكُ نَـافسًـا شَيْئـاً عَلَيْـهِ ولم يَـكُ نَـافِعِي إِلَّا اتِّئَـارِي
تَـرَكْتُ الـطَّيْرَ عَـاكِفَـةً عَلَيْهِمْ كَـمَا عَكَفَ النِّسَـاءُ عَـلَى دُوَارِ
وَلَوْلَا اللَّيْلُ عَـادَ لَهُمْ بِنَحْسٍ بِـأَشْـأَمِ طَـائِـرٍ رَاقٍ وَجَـارِ
فَـإِمَّـا تُـقْتَـلَنَّ أَبَـا حُـدَيْـرٍ فَإِنِّي قَدْ شَفَى نَفْسِي انْتِصَارِي
تَـرَكْنَ عُبَيْـدَةَ الضَّبِّيَّ يَـكْبُـو عَـلَى الْكَفَّـيْنِ مُـرْتَمِـلَ الْإِزَارِ

صفيـة الباهليـة

هي صفية بنت عمرو الوائلية الباهلية(١): ذكرها ابن سعيد المغربي فقال(٢): من «واجب الأدب»: شاعرة من شواعر العرب، اشتهر قولها(٣):

كُنَّـا كَغُصْنَيْنِ فِي جُرثُومَةٍ بَسَقَا(٤) حِيناً بِأَكْثَرِ مَا تَسْمُو بِهِ الشَّجَـرُ(٥)
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَـدْ طَالَتْ فُرُوعُهُـمَا وَطَـابَ فَيْئَـاهُمَـا وَاسْتُـنْـظِرَ الثَّمَـرُ
أَنْحَى عَلَى مُؤْنِسِي(٦) رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا يُبْقِـي الـزَّمَـانُ عَـلَى شَيْءٍ وَلَا يَـذَرُ
كُنَّـا كَـأَنْجُمِ لَيْـلٍ بَيْنَهَـا قَـمَـرٌ يَجْلُو الـدُّجَا فَهَـوَى مِنْ بَيْنِهَـا الْقَمَـرُ
فَاذْهَبْ حَمِيْداً عَلَى مَاكَانَ مِنْ مَضَضٍ فَقَـدْ ذَهَبْتَ وَأَنْتَ الْـسَّمْـعُ وَالْـبَصَرُ

---

(١) «الحماسة البصرية» ١/٢٢٦.
(٢) «نشوة الطرب» ٢/٥٨٦ وانظر «الحماسة» ج ١/٤٦٩ تحقيق الدكتور عسيلان ولها ترجمة في كتاب «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» لزينب بنت علي العاملي ـ ٢٦٣ ـ مستقاة من نصوص المتقدمين، ولا جديد فيها.
(٣) «حماسة» أبي تمام ٩٤٨، ٩٤٩ (المروزقي) و٣/٤، ٥ (التبريزي)، و«عيون الأخبار» ٣/٦٦ في رثاء أخيها و«المكاثرة» ١٣ و«العقد الفريد» ٣/٢٧٧، و«الحماسة البصرية» ١/٢٢٦، و«ربات الخدور» ٢٦٣.
(٤) في «حماسة» أبي تمام: سمقا، وفي «العيون»: سموا. (٥) الجرثومة: الأصل.
(٦) في «الحماسة» و«العيون»: أخنى علي واحدي.

الطرماح الباهلي

رأيت ذكره في أحد المؤلفات منسوباً إليه[(١)]:

إِذَا مَا قُرَيْشٌ خَلَا مُلْكُهَا　　فَإِنَّ الْخِلَافَةَ فِي بَاهِلَة

عامر بن الحارث (الأعْشَى)

قال الآمدي[(٢)]: ومنهم أعشى باهلة ، ويكنى أبا قحطان ، جاهلي ، ولم ينسبه أبو عبدالله ، واسمه عامر بن الحارث[(٣)]، أحد بني عامر بن عوف بن وائل بن معن ، ومعن أبو باهلة ، وكنيته أبو قحفان[(٤)].

وقال صاحب «المكاثرة»[(٥)]: اسمه عامر بن الحارث بن رِياح بن أبي خالد ابن ربيعة بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل . . . وقيل : هو من بني عامر بن ثعلبة بن وائل . انتهى .

والأعشى هو الشاعر المشهور ، صاحب القصيدة المرثية في أخيه لأمه المنتشر :

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا　　مِنْ عَلْوَ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ

ونقل صاحب «خزانة الأدب»[(٦)] عن أمالي السيد المرتضى «غرر الفوائد ودرر القلائد» [(٧)] قوله : وهذه القصيدة من المراثي المفضلة ، المشهورة

---

(١) انظر ترجمة قتيبة بن مسلم .

(٢) «المؤتلف والمختلف» ١١ أما ماورد في «الأغاني»: ١٣/١٩٩ ـ ط الثقافة ـ من اجتماع أعشى باهلة ببشار ، فقد يكون إنسانا آخر ، إذا صح النص .

(٣) «القاب الشعراء» لابن حبيب ٣١٠ نوادر المخطوطات .

(٤) «كنى الشعراء» لابن حبيب ٢٩٥ نوادر المخطوطات .

(٥) ١٣ . وفي «الكامل»: ٢/٢٦٩ و«الاقتضاب» ٣٠٤ و«اللألي» ٧٥ ـ أن كنيته أبو قحافة .

(٦) ١/١٨٨ . (٧) ٣/١٠٥ .

بالبراعة والبلاغة قال : وقد رويَتْ أنها للدعجاء أخت المنتشر ، وقيل : لليلى أخته ، قال : ومن هنا اشتبه الأمر على عبدالملك بن مروان فظن أنها لليلى الأخيلية . انتهى . وقد أوردها كاملة مشروحة .

وهاهي القصيدة - كما وردت في كتاب «جمهرة أشعار العرب»(1) .

هَاجَ الْفُؤَادَ عَلَى عِرْفَانِهِ الذِّكَرُ ... وزَوْرُ مَيْتٍ عَلَى ٱلأَيَّامِ يُهْتَصَرُ
قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ، وَالدَّارُ جَامِعَةٌ ... وَالدَّهْرُ فِيْهِ ذَهَابُ النَّاسِ وَالْعِبَرُ
إِذْ نَحْنُ نُنْبَأُ أَخْبَاراً نُكَذِّبُهَا ... وَقَدْ أَتانِي، وَلَوْ كَذَّبْتُهُ الْخَبَرُ
إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بها ... مِنْ عَلْوَ لَا كَذِبٌ فِيْهَا وَلَا سَخَرُ
فَبِتُّ مُكْتَئِباً حَرَّانَ أَنْدُبُهُ ... وَكُنْتُ أَحْذَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
تَأْتِي عَلَى النّاسِ لَا تَلْوِيْ عَلَى أَحَدٍ ... حَتَّى أَتَتْنِي بِهَا ٱلأَنْبَاءُ وَالْخَبَرُ
فَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعَهُمُ ... وراكِبٌ جاءَ مِنْ تَثْلِيْثَ مُعْتَمِرُ
إِنَّ الَّذِي جِئْتَ مِنْ تَثْلِيْثَ تَنْدُبُهُ ... مِنْهُ السَّمَاحُ ومِنْهُ الْجُوْدُ والْغِيَرُ
تَنْعَى امْرَأً لاتَغِبُّ الْحَيَّ جَفْنَتُهُ ... إِذَا الْكَوَاكِبُ خَوَّى نَوْءَهَا الْمَطَرُ
وَرَاحَتِ الشَّوْلُ مُغْبَرًّا مَنَاكِبُهَا ... شُعْثاً تَغَيَّرَ مِنْهَا النَّيُّ والوَبَرُ
وأَحْجَرَ الْكَلْبَ مُبْيَضُّ الصَّقِيْعِ بِهِ ... وضَمَّتِ الْحَيَّ مِنْ صُرَّادِهِ الْحُجَرُ
عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ... ثم الْمَطِيُّ إِذَا ما أَرْمَلُوا جُزُرُ
لاتَأْمَنُ الْبَارِكُ الكَوْماءُ ضَرْبَتَهُ ... بِالْمَشْرَفِيِّ إذا مَا اخْرَوَّطَ السَّفَرُ
قَدْ تَكْظِمُ الْبِرْكُ مِنْهَا حِيْنَ يَفْجَؤُهَا ... حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِهَا الْجِرَرُ
أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيْهَا ويُسْأَلُهَا ... يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ
لم تَرَ أَرْضاً ولَمْ تَسْمَعْ بِسَاكِنِهَا ... إِلَّا بِهَا مِنْ نَوَادِي وَقْعِهِ أَثَرُ
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِه مَنٌّ يُكَدِّرُهُ ... عَلَى الصَّدِيْقِ، وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ

---

(1) ٧١٤ تحقيق : د . محمد علي الهاشمي .

يُمْسِيْ بِبَيْداءَ، لا يُمْسِي بِهَا أَحَدٌ ... وَلَا يُحَسُّ خَلا الْخَافي بِها أَثَرُ
وَلَيْسَ فِيْهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ ... وَلَيْس فِيْهِ إِذَا يَاسَرْتَهُ عُسُرُ
إِمَّا يُصِبْهُ عَدُوٌّ فِيْ مُنَاوَأَةٍ ... يوماً، فَقَدْ كانَ يَسْتَعْلِي وَيَنْتَصِرُ
أَخو شُرُوْبٍ ومِكْسَابٌ إذا عَدِمُوا ... وَفِي الْمَخَافَةِ مِنْهُ الْجِدُّ والحَذَرُ
مِرْدَى حُرُوْبٍ شِهَابٌ يُسْتَضاءُ بِهِ ... كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الظُّلْمَةِ القَمَرُ
ضَخْمُ الدَّسِيْعَةِ مِتْلافٌ أَخُو ثِقَةٍ ... حامِي الْحَقِيْقَةِ مِنْهُ الْجُوْدُ وَالْفَخَرُ
مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ... عَنْهُ الْقَمِيْصُ لِسَيْرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
طَاوِي المَصِيْرِ عَلَى الْعَزَّاءِ مُنْجَرِدٌ ... بِالقومِ لَيْلَةَ لَامَاءٌ ولَا شَجَرُ
لايُصْعِبُ الْأَمْرَ إلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ ... وَكُلَّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشاءِ يَأْتَمِرُ
لايَتَأَرَّى لما في الْقِدْرِ يَرْقُبُهُ ... وَلَا يَعَضُّ عَلَى شُرْسُوْفِهِ الصَّفَرُ
لايَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ ... وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ
يَكْفِيْهِ فِلْذَةُ لَحْمٍ، إِنْ أَلَمَّ بها ... مِنَ الشِّوَاءِ ويَكفِي شُرْبَهُ الغُمَرُ
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ... فِيْ كُلِّ أَوْبٍ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ
الْمُعْجِلُ الْقَوْمَ أَنْ تَغْلِي مَراجِلُهمْ ... قَبْلَ الصَّباحِ وَلَمَّا يَفْسَحِ البَصَرُ
عِشْنَا بِهِ بُرْهَةً صَلْتاً فَوَدَّعَنَا ... كَذَالِكَ الرُّمْحُ ذُوْ النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ
فَنِعْمَ مَاأَنْتَ عِنْدَ الْخَيْرِ تَسْأَلُه ... ونِعْمَ مَا أَنْتَ عِنْدَ الشَّرِّ تَنْتَظِرُ
أَصَبْتَ في حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةٍ ... هِنْدَ بنَ سَلْمَى فَلَا يَهْنَأْ لكَ الظَّفَرُ
فَإِنْ جَزِعْنَا فَمِثْلُ الشَّرِّ أَجْزَعَنَا ... وإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرٌ صُبُرُ
لَوْ لَمْ تَخُنْهُ نُفَيْلٌ لَاسْتَمَرَّ بِهِ ... وِرْدٌ يُلِمُّ بِهَذَا النَّاسِ أو صَدَرُ
إِنْ تَقْتُلُوهُ فَقَدْ يَسْبِي نِساءَكُمْ ... وَقَدْ تَكُوْنُ لَهُ المَعْلاةُ والخَطَرُ
فَإِذْ سَلَكْتَ سبيلاً كنتَ تَسْلُكُها ... فاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مُنْتَشِرُ

وذكر في كتاب «الأغاني»(١) أن المنتشر أغار على ابن جارم الضبي ، وأطرد المنتشر إبله ورِعَاءَها ، وقال في ذالك أعشى باهلة :

فِدًى لَكَ نَفْسِي إِذْ تَرَكْتَ ابْنَ جارِمٍ   أَجَبَّ السَّنَام بَعْدَمَا كَانَ مُصْعَبَا

وفي كتاب «أنساب الخيل»(٢) لابن الكلبي مما نسب للأعشى :

وَأَعْرَضَ ميَّاسٌ يَمُرُّ بِفَارِسٍ   لَيَالِيَ لايَنْفَكُّ يَرْأَسُ مِقْنَبَا

وفي كتاب «الاختيارين»(٣) :

سَمَا لِلَّبُونِ الجارِمِيِّ سَمَيدَعٌ   إِذَا لَمْ يَنَلْ فِيْ أَوَّلِ الغَزْوِ عَقَّبَا

وله(٤) :

قَنابِلُ مِنْ قَحْطَانَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُمْ   إِذَا الصَّدْعُ أَعْيَا رَأْبُهُ كُلَّ شاعِبِ
فَلَمَّا رَأَيْنَاهُمْ دَلَفْنَا لِجَمْعِهِمْ   بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ عَظِيْمِ الْمَنَاكِبِ
وَشُكَّتْ بِأَطْرَاف الرِّمَاحِ جُلُوْدُهُمْ   فَمِنْ بَيْنِ مَقْتُوْلٍ وآخَرَ هَارِبِ

ومن شعر أعشى باهلة(٥) :

لاَ يبْطِرَنْ ذَا مِقَةٍ أَحبَابُه   فربما أَرْدَى الْفَتَى لُعَابُه

وفي «مصارع العشاق»(٦) : استضاف رجل امرأةً باهلية اسمها معاذة ، فأكرمته ، ولما لم يجد عندها أحداً سامها نفسها ، فقتلته بعد أن خدعته ، فقال أعشى باهلة يذكر قصتها :

---

(١) ١٥/٢٤٠ ط دار الكتب . (٢) ١٥ . (٣) ٦ .
(٤) «التذكرة السعدية» ١٣٦ بتحقيق عبدالله الجبوري .
(٥) «المسائل والأجوبة» ١٤٣ تحقيق د. السامرائي ضمن مجموعة رسائل في اللغة .
(٦) ٨١/١ ط دار صادر بيروت .

لَعَمْرِي لَقَدْ حَفَّتْ مُعَاذَةُ ضَيْفَها ... وَسَوَّتْ عَلَيْهِ مَهْدَهُ ثُمَّ بَرَّتِ
فَلَمَّا بَغَاهَا نَفْسَهَا، غَضِبَتْ لَهَا ... عُرُوقٌ نَمَتْ وَسْطَ الثَّرَى فَاسْتَقَرَّتِ
فَأَمَّتْ بِهَا فِي نَحْرِهِ وَهْوَ يَبْتَغِي الـ ... نِكَاحَ، فَمَرَّتْ في حَشَاهُ وَجَرَّتِ
فَشَجَّ، كَأَنَّ اللَّيْلَ في جَوْفِ صَدْرِهِ ... وأَدْرَكَهَا ضَعْفُ النِّسَاءِ فَخَرَّتِ

وله أيضاً[1]:

كَأَنَّ بَقَايَاهُمْ صَبِيْحَةَ عَيْهَمٍ ... بِرَوْضَةِ بُلْبُولٍ نَعَامٌ مُشَرَّدُ

ونسب له في كتاب «مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة بما أشبهها من كلام العرب»[2] هذه المقطوعة:

تَرَدَّى بِثَوْبِ الكِبْرِ نُوْكاً وضِلَّةً ... ويَطْمَعُ فِيْ حُسْنِ الثَّناءِ حَمِيدُ
أَخُو الْخِبِّ يَرْجُو أَنْ أَكُونَ وَدِيْدَهُ ... وَهَلْ لأَخِي خِبٍّ يكونُ وَدِيدُ؟
وَلَمْ يَكُ لِلْمُخْتارِ لِلأَدَبِ الَّذِي ... مِنَ الْشَّرفِ الْمَذْكُورِ حِيْنَ يَبِيدُ
نَفَى الْحِرْصَ عَنْهُ واسْتَقَلَّ وإِنَّهُ ... مِنَ الْحَوبِ عَارِي الْمَنْكِبَيْنِ رَشِيدُ
وَأَيُّ ضَنِيْنٍ يَسْتَحِقُّ مَبَرَّةً ... وأيُّ ضَنِيْنٍ حِيْنَ كَانَ يَسُودُ
وَإِنَّكَ لَلْمُخْتَالُ أَبْدَى تَهَاوُناً ... فَأَخلَقَ مُلْكاً كَانَ وَهْوَ جَدِيدُ

وله أيضاً[3]:

إذا نَزَعُوا عَنْهَا السِّبَارَ تَمَطَّقَتْ ... تَمَطُّقَ أُمِّ السَّكْنِ ضَلَّتْ صَعُودَهَا

وله أيضاً[4]:

بَنُو تَيْم قَرَارَةُ كُلِّ لُؤْمٍ ... لِكُلِّ مَصَبٍّ سَائِلَةٍ قَرَارُ

---

(١) «معجم البلدان» رسم (روضة بلبول). (٢) ٨٨.
(٣) «نقائض جرير والأخطل» المنسوب لأبي تمام: ١٣٧.
(٤) «نقد الشعر» ١٠٦ و«الصناعتين» ١٢١.

وله أيضاً[1]:

فَبِتُّ مُـرْتَفِقـاً والْعَـيْنُ سَـاهِـرَةٌ ... كَأَنَّ نَوْمِي عَلَيَّ اللَّيْلُ مَحْجُـورُ

وله أيضاً[2]:

وَنَـابٌ هِمّـةٌ لاَ خَـيْرَ فِيْهَـا ... مُشَـرَّمَـةُ ٱلأَشَـاعِـرِ بِـالْـمَـدَارِي

وله[3]:

تَحْسَبُنِـي مُحْجَـلاً سَـبِطَ السَّـا ... قَيْنِ، أَبْكِـي أَنْ يَظْلَعَ الجَمَلُ

وفي «الحماسة» للبحتري[4]:

عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله فِـي كُلِّ إمْرَةٍ ... تَجِدْ غِبَّها يَوْمَ الحِسَابِ المُطَوَّلِ
أَلاَ إنَّ تَقْوَى الله خَيْرُ مَغَبَّةٍ ... وَأَفْضَـلُ زَادِ الظَّاعِنِ المُتَحَمِّـلِ
وَلاَ خَيْرَ فِـيْ طُوْلِ الْـحَيَاةِ وَعَيْشِهَا ... إِذَا أَنْتَ منها بِالتُّقَى لَـمْ تَرَحَّلِ

عبد الحميد بن سعد بن نويرة

قال الآمدي[5]: ومنهم ابن نويرة الباهلي وهو عبدالحميد بن سعد بن عتبة ابن نويرة، وبابن نويرة يعرف وهو القائل:

إنَّا إِذَا مَاالْـحَرْبُ أَمْسَتْ لاَقِحَا ... خَـطَّارَةً تَـزْبِنُ زَبْنـاً ضَـارِحَـا
وَجَدْتَ قَيساً خَيْرَ قَوْمٍ مَائِحَا ... وَخَيْـرَهُم إِنْ جَرَّدُوا الصَّفَـائِحَا
وَلَبِسُـوا المَـاذِيَّـةَ الـرَّوائِـحَـا ... تَـزْهَى لِمَنْ أَثْبَتَ طَرْفـاً لاَمِحَـا
زَهْوَ الرياحِ الغدرَ الضَّحَاضِحَا

---

(١) «اللسان» رسم (رفق).
(٢) «الابل» للأصمعي ص١١٣ ط المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٣ بيروت.
(٣) «محاضرات الأدباء» ٢/٦١٩.
(٤) ٢٥٠. (٥) «المؤتلف والمختلف»: ٢٩٨.

عبالة بن عمرو الباهلي

يورد اللغويون هذا البيت :

وَإِذَا أَتَانِي سَائِلٌ لَمْ أَعْتَلِلْ   لِأُلُطَّ مِنْ دُوْنِ السَّوَامِ حَجَابِي

شاهد على أن (لَطَّ) بمعنى : ستر وحجب ـ كما في «لسان العرب» وغيره ـ وقد رأيت في هامش كتاب «تهذيب التهذيب»[1] الأستاذ عبدالسلام هارون نسب هذا البيت لعبالة بن عمرو الباهلي ، وأحال إلى كتاب «التكملة»، ولكنني لم أره في كتاب «التكملة» للصاغاني ، والأستاذ عبدالسلام ـ رحمه الله ـ واسع الإطلاع .

عبد الله بن الحجاج

قال الآمِدِي[2]: ومنهم الأَصَمُّ الباهلي ، وهو عبدالله بن الحجاج بن عبدالله بن كلثوم أحد بني ذبيان بن جِئَاوة بن معن بن مالك بن أعصر ، شاعر خبيث إسلامي ، له قصائد يهجو بها الفرزدق وهو القائل :

قُتَيْبَةُ أَبْطَالٌ مَسَاعِيْرُ بِالقَنَا   خَضَارِمَةٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ بُحُوْرُ
إذا قَمَرٌ مِنْهُمْ مَضَى لِسَبِيلِهِ   بَدَا قَمَرٌ يَجْلُو الظَّلَامَ مُنِيْرُ
إِذَا مَاسَأَلْتَ النَّاسَ عَنْ خَيرِ مَعْشَرٍ   أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِالْبَنَانِ مُشْيِرُ
وَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ أَنَّهُ   إِلَيْهِمْ يَصِيْرُ الْمَجْدُ حَيْثُ يَصِيْرُ

وهو القائل في قصيدة :

يُبْلِي الْمُحِبِّيْنَ طُولُ النأي بَيْنَهُمُ   ويَلْتَقِي طَرَفٌ أُخْرَى فَيَأْتَلِفُ

وفي «النقائض» لأبي عبيدة[3]: أصم باهلة اسمه عبدالله بن الحجاج بن

---

(١) ١٣/٢٩٦ . (٢) «المؤتلف والمختلف» ٥٣ . (٣) ١٠٢٧ .

عبدالله بن كلثوم من بني ذبيان بن جنادة . انتهى . وجنادة تصحيف (جِئَاوَةَ) ومع أن صاحب «المكاثرة» قال عنه[١]: مشهور ، كثير الشعر ، إلا أنه لم يزد على هذا !!

والأصم هو الذي أثار هجاءَ الفرزدق قبيلته باهلة ، ـ كما سيأتي تفصيل هذا ـ ومجمله أن الْفَرَزْدَق تزوج على ابنة عمه النَّوَار امرأةً من شيبان ثم من ربيعة ، هي حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود ، ففضلها على النوار وقال[٢]:

لَعَمْـرِي لأَعْـرَابِيَّـةٌ فِـيْ مِـظَلَّةٍ تَظَلُّ بِرَوْقَيْ بَيْتِهَا الرِّيْحُ تَخْفِقُ
كَـأُمِّ غَزَالٍ أَوْ كَـدُرَّةِ غائِصٍ إِذَا مَابَدَتْ مِثْلَ الْغَمَامَةِ تُشْرِقُ
أَحَبُّ إِلَيْنَـا مِنْ ضِنَاكٍ ضِفِنَّـةٍ إِذَا رُفِعَتْ عَنْهَا الْـمَراوِحُ تَعْرَقُ
كَبِـطِّيْخَةِ الـزَّرَّاعِ يُعْجِبُ لَوْنُهَا صَحِيْحاً وَيَبْدُوْ دَاؤُهَا حِيْنَ تُفْلَقُ

فاستعانت النَّوارُ بجرير ، فاستجاب لها ، وكذا فعل الأَصـمُّ الباهلي ، فكان مما قال الأصم[٣]:

أَعُـوذُ بِالله مِنْ غُـوْلٍ مُغَوِّلَـةٍ كَأَنَّ حَافِـرَهَا في حَـدِّ ظُنْبُوْبِ
ورُكْبَتَـاهَـا سِـلاَحُ مَـايَقُـومُ لَهـا إِلَّا الشَّيَاطِيْنُ في تِلْكَ الأَعَارِيْبِ
تَسْتَرْوِحُ الشَّاةَ مِنْ مِيْلٍ إِذَا ذُبِحَتْ حُبَّ اللِّحامِ كَمَا يَسْتَرْوِحُ الذِّيْبُ

ثم لـجَّ التهاجي بين الفرزدق وبين أصـمِّ باهلة ، ولكن مما يؤسف أن تبريز الفرزدق في الشعر وشهرته ، وتقدمه على جُلِّ شعراء عصره ، سَبَّبَ حفظ

---

(١) ٤٥ .
(٢) «النقائض» ٨٠٦ .
(٣) «النقائض» ٨٠٧ و«الأغاني» ٣٢٦/٩ ط الثقافة بيروت .

أشعاره وجمعها ، بخلاف شعر الأصم الباهلي الذي ذكر أبو عبيدة[1] أنه عجز عن مجاراة الفرزدق ، فاستعان بجرير ، فأعانه ، ويبدو من مناقضات الفرزدق للأصم وما ورد في ديوان شعره في هجائه ، أن له قصائد كثيرة وكذا نص ابن حبيب في «شرح شعر الفرزدق»[2] حيث قال عن الأصم وهو عبدالله بن الحجاج أحد بني ذبيان : شاعر إسلامي خبيث ، له قصائد كثيرة يهجو بها الفرزدق .

ومما أورد من شعر الفرزدق مصرحاً فيه بالرَّدِّ عليه :

١ ــ قصيدته التي أوردها صاحب «النقائض» ومطلعها :

أَكَانَ الْبَاهِلِيُّ يَظُنُّ أَنِّيْ سَأَقْعُدُ لَا يُجَاوِزُهُ سِبَابِيْ

٢ ــ وأخرى أولها :

إِنَّ هِجَاءَ الْبَاهِلِيِّيْنَ دَارِماً لَمِنْ بِدَعِ الْأَيَّامِ ذَاتِ الْعَجَائِبِ

وصرح فيها بذكر (الأصم) :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَالْأَصَمُّ وأُمُّهُ لَفِي مَقْعَدٍ في بَيْتِهَا مُتَقَارِبِ

٣ ــ قصيدة بائية أولها :

غَيًّا لِبَاهِلَةَ الَّتِي شَقِيَتْ بِنَا غَيًّا يَكُوْنُ لَهَا كَغِلٍّ مُجْلِبِ

جاء فيها :

لَوْ غَيْرُ عَبْدِ بَنِيْ جُؤَيَّةَ سَبَّنِي مِمَّنْ يَدِبُّ عَلَى الْعَصَا لَمْ أَغْضَبِ

وجُؤَيَّةُ هنا تصغير (جِأوة) بطن من بطون باهلة ، منه الأصم .

---

(١) ١٠٣١ . (٢) لايزال مخطوطاً وذكر هذا الكلام في موضعَيْن .

٤ ـ قصيدة رائية أولها :

إِذَا خِنْدِفُ بِاللَّيْلِ أَسْدَفَ سَجْرُهَا وَجَاشَتْ مِنَ ٱلآفَاقِ بِالْعَدَدِ الدَّثْرِ

جاء فيها :

أَلَا قَبَّحَ اللهُ ٱلأَصَمَّ وأُمَّهُ وَنَذْرَهُمَا ٱلْمُوفِي الْخَبِيْثَ مِنَ النَّذْرِ

٥ ـ القصيدة الميمية التي أولها :

أَبَاهِلَ هَلْ أَنْتُمْ مُغَيِّرُ لَوْنِكُمْ وَمانِعُكُمْ أَنْ تُجْعَلُوا في الْمَقَاسِمِ

نص جامع الشعر بأنه قالها يرد بها على أصم باهلة وكان هجاه[1].

٦ ـ وقصيدة جاء فيها :

أَلَا كَيْفَ الْبَقَاءُ لِبَاهِلِيٍّ هَوَى بَيْنَ الْفَرَزْدَقِ وَالْجَحِيْمِ[2]

سَوَاءٌ يا أَصَمُّ (..) حَوْلاً عَجُوزَكَ أَوْ هَجَوْتَ بَنِي تَمِيْمِ

٧ ـ وقد رد على قصيدة الفرزدق التي ذكر فيها قتل قتيبة بن مسلم ، والإتيان برأسه إلى سليمان بن عبدالملك ، وقول الفرزدق[3]:

وَمَا مِنْهُما إِلَّا بَعَثْنَا بِرَأْسِهِ إِلَى الشَّأْمِ فَوْقَ الشَّاحِجَاتِ الصَّلَادِمِ

فقال الباهلي :

وَإِنَّا لَتُهْدَى لِلْمُلُوكِ رؤُوسُنَا وَرُوْسُ تَمِيْمٍ تَحْتَ تِلْكَ المَنَاسِمِ

وكان مما قال جرير يقضي بين الأصم الباهلي وبين الفرزدق[4] :

سَأَحْكُمُ بَيْنَ قَيْنِ بَنِي عِقالٍ وَبَيْنَ أَصَمِّ بَاهِلَةَ المُرَادِي

---

(١) ٧٩٩ .
(٢) «الديوان» ٧٧٣ .
(٣) «الديوان» ٨٠٣ جمع الصاوي .
(٤) «النقائض» ١٠٣٩ .

فَأَمَّا القَيْنُ قَيْنُ بَنِي عِقالٍ فَذُو الْكِيْرَيْنِ والبُرَمِ الْجِيَادِ
وأَمَّا البَاهِلِيُّ فسُمُّ أَفْعَى عَلَى أَحْنَاءِ حَيَّةِ كُلِّ وادِي

ويظهر أن الأصمَّ تصدى لشعراء غير الفرزدق بالهجاء ، فقد أورد الجاحظ في كتاب «البرصان والعرجان» مانصه[1] : قال أصمُّ باهلة في شمّاس بن هوذة ابن شماس :

أَشمَّاسُ لَوْ كَانَتْ صِحَاحاً جُلُوْدُكمْ عَذَرْتُ ولَكِنَّ الشَّآمِيَّ أرقَطُ

فبهذا البيت حَمل بعضُ النَّاس كلَّ من قِيلَ في الشِّعر إنَّه أرقَطُ أَنَّه أبرص ، وليس ذالك بالواجب ، يقولون حُمَيْدٌ الأَرْقَطُ وهو حميد بن مالك الراجز ، ولم يزعم أحدٌ أنَّه كان أبرص . انتهى .

ومن شعر الأصم ماجاء في كتاب «النقائض» في شرح قول الفرزدق[2] :

وما عَلِمَ الأَقْوَامُ مِثْلَ أَسِيْرِنَا أَسِيْراً ولا أَجْدَافِنَا بِالكَواظِمِ

أَجْدافِنا : لغة تميم . مِثْلَ أَسِيرنا يعني حاجِب بن زُرارَةَ ، فإنَّهُ لم يُسْمَعْ بمَلِكٍ ولا سُوقَةٍ افتدى بمِثْلِ فداءِ حاجِبٍ ، وذالك أَنَّهُ ادَّعَى أَسْرَهُ ذُوْ الرُّقَيْبَةِ القُشَيْرِي يومَ جَبَلَةَ ، واسمه مالِكٌ ، وادَّعاه الزَّهْدَمانِ من بني عَبْس ، فحَكَّمَتْه عَبْسٌ وعَامِرٌ في نفسه فحكَمَ أنه أسيرُ ذي الرُّقَيْبَةِ ، قال : ولِهَذَيْنِ العَبْسِيَّيْنِ بما نالا من ثِيابي مئةُ ناقةٍ ، وأَعْطَى ذَا الرُّقيبة ألفَ بعيرٍ ، وأَطلَقَ له مِئَةً من أسارَى قَيْسٍ كانوا في تميم ، قال : وإنَّما دِيَاتُ الملوك ألفُ بعير ، فزادَهم حاجِبٌ على فِداءَ الملوك مئةَ ناقةٍ ومِئَة أسيرٍ ، قال : وزَعَمَتْ قيس في أَشْعَارِهَا أنها أخذتْ منه ألف عَبْدٍ وأَلْفَيْ ناقةٍ ، ومعها أولادها ، وقد قال في ذالك أَصَمُّ بَاهِلَةَ :

---

(1) ١٠٠ . (2) ٣٧٩ .

حَتَّى آفْتَدَوْا حَاجِباً مِنَّا وقَدْ جَعَلَتْ سُمْرُ القُيودِ بِرِجْلَيْ حَاجِبٍ أَثَرَا
بِأَلْفِ عَبْدٍ وأَلْفَيْ رَائِـمٍ جَعَلُوْا أَوْلادَهُنَّ لَنَا مِنْ لُؤْمِهِمْ جَزَرا

وأورد له ابن الكلبي(١):

أو كَابْنِ جَعْدة وفَّاداً على مِلِكٍ أو كَالنّهيكي ذي الْبُرْدَيْنِ إذْ فَخَرَا

ومن جيد شعره ما أورده ابن جرير في «تاريخه» في حوادث سنة ٩٦هـ - ونصه(٢): وقال الأصم بن الحجاج يرثي قتيبة:

أَلَـمْ يَـأْنِ لِلأَحْيَـاءِ أَنْ يَعْـرِفُـوا لَنَـا بَلَى نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالْـمَجْدِ وَالْفَخْرِ
نَقُـودُ تَمِيْمـاً والْمَـوَالِي وَمَـذْحِجـاً وأَزْدَ وَعَبْـدَ الْقَيْسِ والحَيَّ مِنْ بَكْـرِ
نُـقَتِّـلُ مَنْ شِئْنَـا بِعِـزَّةِ مُـلْكِنَـا ونَجْبُرُ مَنْ شِئْنَا عَلَى الْـخَسْفِ وَالْقَسْرِ
سُلَيْمانُ كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ قَدْ حَوَتْ لكُمْ أَسِنَّتُنَـا وَالْـمُقْـرَبَـاتُ بِنَـا تَجْـرِي
وَكَمْ مِنْ حُصُـونٍ قَـدْ أَبَحْنَـا مَنِيْعَـةٍ وَمِنْ بَلَدٍ سَهْـلٍ وَمِنْ جَبَـلٍ وَعْـرِ
وَمِنْ بَلْدَةٍ لَمْ يَغْـزُهَـا النَّـاسُ قَبْلَنَـا غَـزَوْنَا نَقُـودُ الْـخَيْلَ شَهْـراً إِلَى شَهْرِ
مـرنَّ عَـلَى الْغَـزْوِ الْـجَـرُوْرِ ووُقِّـرتْ عَـلَى النَّفْـرِ حَتَّى مـاتُهَـالُ مِنَ النَّفْـرِ
وَحَـتَّى لَـوْ النَّـارَ شُبَّـتْ وأُكْـرِهَـتْ عَلَى النَّارِ خَاضَتْ في الْوَغَا لَهَبَ الجمرِ
تُـلاعِبُ أَطْـرافَ الْأَسِنَّـةِ والْـقَـنَـا بِلَبَّـاتِهَـا وَالْـمَـوْتُ في لُجَجٍ خُضْرِ
بِهِـنَّ أَبَحْـنَـا أَهْـلَ كُـلِّ مَـدِيْنَـةٍ مِنَ الشِّرْكِ حَتَّى جَاوَزَتْ مَطْلَعَ الفجرِ
وَلَـوْ لَمْ تُعَجِّلْنَا الْـمَنَـايَـا لَجَـاوَزَتْ بِنَا رَدْمَ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَا الصَّخْرِ والْقِطْرِ
ولَـكِـنَّ آجَـالاً قُـضِـيْنَ ومُـدَّةً تَنَـاهَى إِلَيْهَا الـطَّيِّبُونَ بَنُـو عَمْـرِو

---

(١) «جمهرة النسب» ص ٣٧١ تحقيق الدكتور ناجي حسن. وذو البردين هو ربيعة بن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال العامري.
(٢) ٦/٥٢١ ط دار المعارف بمصر. (٣) ٢٣.

وورد في كتاب «حلية المحاضرة في صناعة الشعر»[1] للحاتمي أبيات منسوبة إلى الأصم الباهلي وسماه عبدالعزيز بن حاتم ، ولكنه قال : وهو الذي كان يهاجي الفرزدق ، ويظهر أن هذا خطأ ، فعبد العزيز بن حاتم يدعى الأصم ، ولكنه ليس الأصَمَّ الذي كان يهاجي الفرزدق ، فهذا عبدالله بن الحجاج ، وهاهي الأبيات :

أَنْفِي قَذَى الشِّعْرِ عَنْهُ حِينَ أَقْرِضُهُ فَـمَا بِشِعْرِيَ مِنْ عَيْبٍ ولا ذَامِ
كَـأَنَّما أَصْـطَفِـي شِعْرِيْ وَأَغْـرِفُـهُ مِنْ مَوْجِ بَحْرٍ غَزِيْرٍ زَاخِرٍ طَامِ
مِنْــهُ غَــرَائِبُ أَمْثَــالٍ مُشَـهَّــرَةٌ مَلْمُومَة زَانَها وَصْفِي وَإِحْكَـامِـي

عبد الله بن حمود بن سبيل

أُسْرة آل سُبَيِّلٍ من الأُسَرِ الباهلية التي انتقلت من مدينة الـمِذْنَبِ هم وأُسْرةُ آلِ عُوَيْوِيْد ، وآل رُشَيْدٍ ، فاستقر آل سُبَيِّلٍ في نَفْـي ، في أواخر القرن الحادي عشر ، وعمروا فيه بلدة ، وحفروا آباراً زراعية ، واستقروا هناك ، ومازال بعضهم مقيماً في تلك البلدة التي ولد فيها عبدالله بن حمود الشاعر ، وفيها نشأ ، وقضى حياته حتى توفي ، وكان يمتهن الزراعة وماكانت في ذالك العهد تفي بكفاف القائم بها .

وفي وقْتٍ كان الملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ في بلدة عنيزة ، وفد عليه المهنئون بانتصاره في وقعات جرت في ذالك الحين ، وكان من بين الوافدين عبدالله هذا ، فأكرمه الملك عبدالعزيز ثم عينه سنة ١٣٢٢هـ أميراً في بلدته نَفْي ، وبقي في إمارتها إلى أن توفي ، ثم بقيت الإمارة في أسرته إلى هذا العهد .

عاش عبدالله أُمِّـيًّا لا يقرأ ولا يكتب ، ولكن ذكاءه وصفاء ذهنه مكناه من الإلمام بجانب كبير من ثقافة عصره ، وقد نبغ في الشعر العامي ، بحيث أصبح

(١) ٢٣

من فحول شعراء عهده في اللغة العامية ، وله شعر جمع الأستاذ خالد بن محمد الفرج مختاراته وقدم لها بترجمة موجزة قال فيها : وهو يُعَدُّ خاتمةَ الشعراء المجيدين ، فقد ذاع شعره في حياته وتناقلته الركبان ، وهو وإنْ كان حَضَرِيَّ الإقامة فهو بَدَوِيُّ الهوى والنزعة ، لكثرة مخالطته للبدو ، ولأَنَّ نَفْياً ـ وهي بلدته ـ أحد المياه التي يقطنون عليها ، وشعره كله من الغزل العذريِّ في البدويات أو مراسلة خِلاَّنِه من البدو ، في موضوع الغزل والتشبيب كفيحان بن زَرِيبان الـمُطيري ، وذُعَار بن رُبيعان العتيبي ، وشعره ديوانٌ لأحوال البادية جمع فأوعى من أوصاف أحوال البدو في السلم والحرب ، والعادات والـحَلِّ والتَّرحال . وشعره في غاية الجودة ، وإحكام السبك ، وصحة الوصف الواقعي ، ومتانة الألفاظ وعذوبتها ، حتى فاق كثيراً من الشعراء المتقدمين والمتأخرين ، وطَبَّقَتْ شهرتُهُ الحاضرةَ والبادية . انتهى .

ثم جمع شعره حفيده محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن سبيل ، ووضع مقدمته الأستاذ سعد بن جنيدل .

وقد توفي سنة ١٣٥٧هـ ، ويحسن الرجوع إلى ديوان شعره لمن أراد التوسع في معرفة مكانته الشعرية ، وجوانب من حياته الاجتماعية ، صورها ذالك الشعر .

عبد الملك بن جُمَانة الباهلي

قال الآمدي(١) : ومنهم عبدالملك بن جُمَانة الباهلي ، قال أبو اليقظان : هو عبدالملك بن جمانة بن أحد بن عليم(٢) بن معن بن أعصر . قال أبو سعيد

---

(١) «المؤتلف والمختلف» ١٠٩ .

(٢) كذا وعلق المحقق الأستاذ عبدالستار فراج في «الاشتقاق» : (وأما معن بن أعصر فولد قتيبة . . . وأبا عليم) ولعل ماهنا: عبدالملك بن جمانة أحد بني أبي عليم بن معن .

السكري : جمانة أمه ، وأنشد له :

فَبِتُّ مُسَهَّداً أَرِقاً كَئِيباً ... أُرَاعِي التَّالِيَاتِ مِنَ النُّجُومِ
تَلأْلأُ فِي السَّمَاءِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ ... كَنَظْمِ الدُّرِّ أَوْ بَقَرِ الصَّرِيْمِ
كَأَنِّي إِذْ نَظَرْتُ إِلَى سُهَيْلٍ ... وَمَجْرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيْمِ
أَسِيرٌ فِي الْحِبَالِ تكَنَّفَتْنِي ... بَنَاتُ اللَّيْلِ مُحْتَضِرُ الْهُمُومِ(١)

انتهى ما أورد الآمديُّ ، ولم يحدد زمنه ، وهناك شاعر إسلامي عاش في العهد الأموي يدعى عبدالرحمن بن جمانة ، أورد له ابن جرير شعراً في رثاء قتيبة بن مسلم الذي قتل سنة ٩٦ وأورد له ياقوت في سلمان بن ربيعة الباهلي ، وقد استشهد في بَلَنْجَر ، من بلاد الخزر ، وقتيبة بن مسلم في الصين سنة ٩٦ - قوله(٢):

وإِنَّ لَنَا قَبْرَيْنِ قَبْرَ بَلَنْجَرٍ ... وَقَبْراً بِصِينْ اسْتَانَ يَالَكَ مِنْ قَبْرِ
فَذَاكَ الَّذِيْ بِالصِّيْنِ عَمَّتْ فُتُوحُهُ ... وَهَذَا الَّذِي يُسْقَى بِهِ سَبَلُ القَطْرِ

ومن رثائه قتيبة - على ماذكر ابن جرير في «تاريخه»(٣) قال : وقال عبدالرحمن ابن جمانة الباهلي :

كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قُتَيْبَةَ لَمْ يَسِرْ ... بِجَيْشٍ إِلَى جَيْشٍ وَلَمْ يَعْلُ مِنْبَرَا
وَلَمْ تَخْفِقِ الرَّايَاتُ وَالْقَوْمُ حَوْلَهُ ... وُقُوفٌ وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عَسْكَرَا
دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ ... وَرَاحَ إِلَى الْجَنَّاتِ عَفًّا مُطَهَّرَا
فَمَا رُزِيَ الإِسْلاَمُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... بِمِثْلِ أَبِي حَفْصٍ ، فَبَكِّيهِ عَبْهَرا

- يعني أمَّ وَلَدَ له - .

---

(١) أورد في كتاب «الفتوح» لابن أعلم: ٢٧٦/٧
عَلَامَ تَلُوم عاذِلتِي سِفَاهاً ... وتَلْحَاني وَمَا أنَا بِالـمُلِيْمِ
ويظهر أن هذا البيت من هذه المقطوعة .
(٢) «معجم البلدان» رسم (بلنجر) . (٣) ٥٢١/٦ ط دار المعارف بمصر .

عبد الملك بن قريب الأصمعي

واسم قريب[١]: عاصم ، والأصمعي العالم اللغوي المشهور ، كان الرشيد يسميه شيطان الشعر وقال الأخفش : ما رأينا أحدًا أعلَمَ بالشعر من الأصمعي ، وقال أبو الطيب اللغوي في «مراتب النحويين» : كان أتقن القوم للغة وأعلمهم بالشعر ، وأحضرهم حفظاً[٢] ـ تقدمت ترجمته ـ ومع آرائه الصائبة في نقد الشعر والتمييز بين جيده ورديئه ، كقوله : لا يصير الشاعر فَحْلاً حتى يروي أشعار العرب ، ويسمع الأخبار ، ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ ، وأول ذالك أن يعلم العروض ، ليكون ميزاناً له على قوله ، والنحو ليصلح به لسانه ، وأيام الناس ليستعين بذالك على معرفة المناقب والمثالب ، وذكرها بمدح أو ذم[٣] ـ إلا أنه كما قال عند الدكتور عبدالجبار الجومرد[٤] : أهمل ذِكْرَ شرط رئيسٍ لا يستطيع الشاعر بدونه أن يجيد الشعر ، هو الإسماح والسهولة وجودة الطبع ، وهو حياة الشعر بل روحه ، وباعث الهَزَّةِ في نفسه ـ وهو من أوسع الناس علماً بما ذكر ـ ولكنه ليس فحلاً في الشعر ، لخلو شعره من الإسماح والسهولة ، كما قال ابن قتيبة[٥] عنه وعن ابن المقفع والخليل ، وأضاف الدكتور عبدالجبار : وكان الأصمعي يعرف تقصيره وضعفه في هذا المجال ، لذالك لم يكثر من نظم الشعر ، وقلما أذاع ماتجود به قريحته منه ، ولما سئل عن سبب ذالك قال[٦] : يمنعني عن نظم الشعر نظري إلى جَيِّدِه . وقيل : إنه جلس يوماً يقلب شعره بين يده فلم يرقه ، وصار يهزُّ رأسه ساخراً ، ويقول :

---

(١) «نزهة الألباء» ١٥٠ .
(٢) «الأعلام» ٢٠٨/٤ .
(٣) «العمدة»: ١٣٣/١ .
(٤) «الأصمعي حياته وآثاره»: ٢٦٣ .
(٥) «الشعر والشعراء»: ٥ .
(٦) «العمدة»: ٥٧/١ .

أَبَى الشِّعْرُ إلَّا أَنْ يَفِيْءَ رَدِيْئُهُ عَلَيَّ ويَأْبَى منْهُ مَاكَانَ مُحْكَمَا
فَيَا لَيْتَنِي إذْ لَمْ أُجِدْ حَوْكَ وَشْيِهِ وَلَمْ أَكُ مِنْ فُرْسَانِهِ كُنْتُ مُعْدَمَا

وفي هذا غاية الصراحة ، فقد اعترف بأنه لا يجيد حوك وشي الشعر ، وأنه ليس من فرسانه كما أشار ابن قتيبة فيما تقدم من أنه لا يقول الشعر طبيعة وإنما ينظمه تكلفا . ويرى الدكتور عبدالجبار الجومرد[1] أن الأصمعي كان ينظم بعض المقطوعات من الشعر ، فيجدها ركيكة لا تستحق النشر باسمه على الناس ، فيصوغ حولها نادرة من نوادره المعروفة عن الأعراب ، ويدسها فيها على لسان بدويٍّ مجهول ، فتظهر جميلةً بفضل الإطار الذي يحيطها به من حياة الأعراب ، فتتناقلها الألسن ، وتدون في المؤلفات .

ولعل الأصمعي يستبيح هذا بما يبرزه في مجالس العظماء من أخبار وحكايات للتندر والفكاهة ، وكما روي عنه[2]: نِلْتُ مانلت بِالْـمُلَحِ ، ولعل مما يدل على ذالك هذه الملحة : قال الأصمعي[3]: بعث إليَّ محمد بن هارون ، فدخلت عليه وفي يده كتاب يديم النظر إليه ، ويتعجب منه ، ثم قال : ياعبد الملك أما تعجب من هذا الشاب ومايجيء به . فقلت : من هو؟ فقال : عباس بن الأحنف ، ثم رمى بالكتاب إلي فإذا فيه شعر قاله عباس :

إِذَا مَاشِئْتَ أَنْ تَصْنَـ ـعَ شَيْئاً يُعْجِبُ النَّاسَا
فَصَوِّرْ هَاهُنَا فَوْزاً وصَوِّرْ ثَمَّ عَبَّاسَا
وَدَعْ بَيْنَهُمَا شِبْراً وَإِنْ زِدْتَ فَلَا بَاسَا
فَإِنْ لَمْ يَدْنُوَا حَتَّى تَرَى رَأْسَيْهِمَا رَاسَا
فَكَذِّبْهَا بِمَا قَاسَتْ وَكَذِّبْهُ بِمَا قَاسَى

(١) «الأصمعي حياته وآثاره»: ٢٦٥ .
(٢) «سير أعلام النبلاء»: ١٧٩/١٠ . (٣) «إنباه الرواة»: ٢٠٤/٢ .

قال الأصمعي : وكان بيني وبين عباس شيءٌ ، فقلت : مُسْتَرقٌ يا أمير المؤمنين . فقال : مِمن ؟ قلت : من العرب والعجم . قال : ماكان من العرب ؟ قلت : رجل يقال له عمر ، هوى جارية يقال لها قمر ، فقال :

إذَا مـاشِئْـتَ أَنْ تَـصْـنَـ ـعَ شَـيْئـاً يُـعْـجِـبُ الـبَشَرَا
فَـصَـوِّرْ هٰـاهُـنَـا قَـمَـراً وَصَـوِّرْ هَـاهُـنَـا عُـمَـرا
فَـإِنْ لَمْ يَـدْنُـوا حَـتَّى تَـرَى بَـشَـرَيْهِـمَا بَشَرَا
فَـكَـذِّبْهَـا بِمَـا ذَكَـرَتْ وكَـذِّبْـهُ بِمَـا ذَكَـرَا

قال : فما كان من العجم ؟ قلت : رجل يقال له (فلقاء) هوى جارية يقال لها (زورق) فقال :

إذَا مـاشِئْـتَ أَنْ تَـصْـنَـ ـعَ شَـيْئـاً يُـعْـجِـبُ الخَـلْقَـا
فَـصَـوِّرْ هٰـاهُـنَـا زَوْرَقَ (؟) وَصَـوِّرْ هَـاهُـنَـا فَـلْقَـا
فَـإِنْ لَمْ يَـدْنُـوا حَـتَّى تَـرَى خَـلْقَـيْـهِـمَا خَـلْقَـا
فَـكَـذِّبْهَـا بِمَـا لاَقَـتْ وَكَـذِّبْـهُ بِمَـا يَـلْقَـى

قال الأصمعي : فبينا نحن كذالك إذ جاء الحاجب فقال : عباس بالباب ، فدخل ، فقال : ياعباس تسرق معاني الشعر وتدعيه ، فقال : ماسبقني إليه أحد . فقال محمد : هذا الأصمعي يحكيه عن العرب والعجم . ثم قال : ياغلام ادفع الجائزة إلى الأصمعي ، فلما خرجا ، قال العباس : كَذَّبْتَني وأبطلت جائزتي ، فقلت له : أتذكر يوم كذا ، وأنشأت أقول :

إذَا وَتَرْتَ امْرَأً فَاحْذَرْ عَدَاوَتَهُ مَنْ يَزْرَعِ الشَّوْكَ لاَيَحْصُدْ بِهِ عِنَبا

وقد ذكر أبو الطيب في «مراتب النحويين» بعد الأبيات السابقة ، قال : فنظر إليَّ الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين قد سُبِقَ إليه ، فقال : هات فانشدته :

لَوْ أَنَّ صُوْرَةَ مَنْ أَهْوَى مُمَثَّلَةٌ وَصُوْرَتِـي لاَجْتَمَعْنَا فِي الجِوَارِ مَعَا
إِذَا تَـأَمَّلْتَنَـا أَلْفَيْتَنَـا عَـجَبـاً إِلْفَانِ مَا افْتَرَقَا يَوْماً وَلاَ اجْتَمَعَا

قال : فأعرض عنه الرشيد ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما سمعت بهذين البيتين ، وجعل يتنصل والرشيد ساكت ، فلما خشيت أن يحرمه قلت : صدق والله يا أمير المؤمنين ، أنا عملت البيتين الساعة . فأمر له بجائزة ولي بضعفها .

ومن شعر الأصمعي[1] :

وَلاَ تَقْطَعْ أَخاً لَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ فَـإِنَّ الـذَّنْبَ يَغْفِـرُهُ الْكَـرِيْمُ
وَلاَ تَعْجَـلْ عَلَى أَحَدٍ بِظُلْمٍ فَـإِنَّ الـظُّلْمَ مَـرْتَعُـهُ وَخِيْمُ
وإِنَّ الـرِّفْقَ فِيـمَا قِيْـلَ يُمْنٌ وَإِنَّ الْخَرْقَ فِي الأَشْيَاءِ شُوْمُ
ولا تَفْحُشْ، وَإِنْ مُلِئْتَ غَيْظًا عَـلَى أَحَدٍ، فَـإِنَّ الْفُحْشَ لُوْمُ
وَخَـيْرُ الْوَصْـلِ مَـادَاوَمْت مِنْهُ وَشَرُّ الْوَصْلِ وَصْـلٌ لاَ يَدُوْمُ
وإِنَّك إِنْ جَهَدتَّ، فَلَنْ تُلاَقِـي أَخَـا ثِقَـةٍ يَصِـحُّ لَـهُ أَدِيْمُ

وقوله[2] :

وَلَـمْ أَرَ عَـقْـلاً تَـمَّ إِلاَّ بِشِيْـمَـةٍ وَلَـمْ أَرَ عِلْمـاً تَمَّ إِلاَّ عَـلَى أَدَبْ
وَلَـمْ أَرَ فِي الْأَشْيَـاءِ حِـيْنَ بَلَوْتُهَـا عَدوًّا لِلُبِّ الْمَرْءِ أَعْدَى مِنَ الْغَضَبْ
وَلَـمْ أَرَ بَـيْنَ الـعُسْرِ وَالْيُسْرِ خِلْطَةً وَلَـمْ أَرَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيْتِ مِنْ نَسَبْ

وله أيضاً[2] :

صَـدِيْقُـكَ حِـيْنَ تَسْتَغْنِي كَثِـيْرٌ وَمَـالَكَ عِنْـدَ فَقْرِكَ مِنْ صَـدِيْقِ
فَـلاَ تَغْضَبْ عَلَى أَحَـدٍ إِذَا مَـا طَـوَى عَنْكَ الـزِّيَارَةَ عِنْـدَ ضِيْقِ

---

(1) «التذكرة السعدية» ٢٤٧ . (2) «التذكرة السعدية» ٢٢١ .

ومن شعره قوله في رثاء عالم الحجاز المحدث الجليل سفيان بن عُيَيْنة (١٠٧/١٩٨هـ) وكان صديقاً له :

فَلْيَبْكِ سُفْيَانَ بَاغِيْ سُنَّةٍ دَرَسَتْ ... ومُسْتَبِيْتُ أَثَارَاتٍ وَآثَارِ[1]

ومُبْتَغِي قُرْبَ إِسْنَادٍ ومَوْعِظَةٍ ... وأَفَقِيُّوْنَ مِنْ طَارٍ ومن طَارِ

أَمْسَتْ مَجَالِسُهُ وَحْشاً مُعَطَّلَةً ... مِنْ قَاطِنِيْنَ وحُجَّاجٍ وعُمَّارِ

مَنْ لِلْحَدِيْثِ عَنِ الزُّهْرِيِّ حِيْنَ ثَوى ... وَلِلْأَحَادِيْثِ عَنْ عَمْرِو بن دِيْنَارِ؟

لَنْ يَسْمَعُوا بَعْدَه مَنْ قالَ: حدَّثنا الـ ... ـزُّهْرِيُّ، مِنْ أَهْلِ بَدْوٍ أَوْ بَإِحْضارِ

لايَهْنَأُ الشَّامِتَ الْمَسْرُوْرَ مَصْرَعُهُ ... مِنْ مَارِقِيْنَ وَمِنْ جُحَّادِ أَقْدَارِ

ومِن زَنَادِقَةٍ، جَهْمٌ يَقُودُهُمُ ... قَوْداً إِلَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ والنَّارِ

ومُلْحِدِيْنَ ومُرْتَابِيْنَ قَدْ خَلَطُوا ... بِسُنَّةِ الله أَهْتَاراً بِأَهْتَارِ

وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلي قد هجا الأصمعي هجاء مقذعاً ـ ستأتي الإشارة إليه في الكلام على المثالب ـ ولكن الأصمعي ردَّ عليه بهذه الأبيات[2]، وكان إسحاق مغنيَ ذالك العصر، وكان مغروراً بنفسه ـ:

أَأَنْ تَغنَّيتَ لِلشَّربِ الْكِرَامِ: ألا ... رَدَّ الْخَلِيْطُ جِمَالَ الْحَيِّ فَٱفْتَرَقُوا

وَقِيْلَ: أَحْسَنْتَ فَٱسْتَدْعَاكَ ذَاكَ إِلَى ... مَا قُلْتُ وَيْحَكَ لا يَذْهَبْ بِكَ الخَرَقُ

وقيل: أنت حُسَانُ النَاس كُلِّهِمُ ... وآبْنُ الحُسَانِ، فَقَدْ قَالُوا وَقَدْ صَدَقُوا

فَمَا بِهَذَا تَقُومُ النَّادِبَاتُ وَلَا ... يُثْنَى عَلَيْكَ إِذَا مَاضَمَّكَ الْخِرَقُ

ومما أورد الدكتور النعيمي في مقدمة كتاب «الاشتقاق»[3] للأصمعي من شعره قوله في مدح جعفر بن يحيى البرمكي :

---

(١) كذا ورد البيت والقصيدة وردت في «عيون الأخبار» م ٢/ ١٣٥ .

(٢) «الأغاني» ٣٥٢/٥ ط الثقافة ـ بيروت . (٣) ١٩ .

إِذَا قِيْـلَ مَنْ لِـلنَّـدَى وَالْعُـلَى مِنَ ـ النَّـاسِ ؟ قِيْـلَ الْفَتَى جَعْفَـرُ
وَمَـا إِنْ مَـدَحْـتُ فَتىً قَـبْلَهُ وَلٰـكِنْ بَـنُـو بَـرْمَـكٍ جَـوْهَـرُ

وقال بعد نكبة البرامكة :

أَيُّهَـا الْـمَـغْـرُوْر هَـلْ لَـكَ عِـبْـرَةٌ فـي آلِ بَـرْمَـكْ؟
غَـرَّهُـمْ عَـنْ قَـدَرِ الله حِـسَـابُ (الهـشـتـمْـرك)[1]
عِـبْـرَةٌ لَـمْ تَـرَ أَنْـتَ وَلَا قَـبْـلَ أَبٍ لَـك

وقال وهو ينتظر دخوله على الرشيد لأول مرة :

وَأَيُّ فَـتىً أُعِـيْرَ ثَبَـاتَ قَـلْبٍ وَسَـاعٍ مَـاتَضِيْقُ بِـهِ الْـمَعَـانِـي
تجَـاذَبُـهُ الْـمَـوَاهِبُ عَنْ إِبَـاءٍ أَلَا لَا بَـلْ تـؤلِّفُـهُ الْأَمَـانِـي
فَـرُبَّ مُعَـرَّسٍ لِلْيَـأْسِ أَمْـلَى عَنِ الدَّرْكِ الْـجَهِيْرِ لَدَى الزَّمَانِ

ولعناية الأصمعي بغريب اللغة يظهر أنه تصدى لنظمٍ ذكر فيه كثيراً من الكلمات الغريبة ، نجد أمثلة من هذا النظم في كتب الغريب فمنه ماذكره الخطابي في «غريب الحديث»[2] قال الأصمعي في أرجوزته :

لَيْسَ بِقَسَّـاسٍ ولا قَـمٍّ نَجِـثْ وَلَا بِـجـوَّاظِ الْعَـشِيَّـاتِ مَـغِثْ

وأورد البيت ابن قتيبة في «غريب الحديث»[3] وزاد :

بالجار يعلقُ حَبْلُهُ ضَبِسٌ شَبِثْ

كما أورد للأصمعي[4]:

كَـأَنَّ آثـارَ الضِّرَابِ تَـنْـتَـكِـثْ
حَوْلَكَ بُقَّـيْرَى الْوَلِيْـدِ الْـمُنْتَجِثْ
تُـرَابُ ماهَـالَ عَلَيْكَ الْـمُجْتَـدِثْ

---

(١) (الهشتمرك): رقعة مخططة تحسب عليها الدراهم الكثيرة «نزهة الألباء» للأنباري ـ ٩٦ ـ.
(٢) ٣١٧/١ : القساس: المتجسس . النجث : الرجل يستخرج الأخبار .
(٣) ٦٢/١ . (٤) ١٣٩/١ «غريب الحديث» .

كما أورد أيضاً[1]: قال الأصمعي في رجز له ، وذكر بعيراً عليه رجل حاج :

يَحْمِلُ بِرَّ الْمُؤْتَلِي مَتَى يلثْ وَلْثاً يؤرب مَحَصاً لا يَنْتَكِثْ

ويظهر أن تلك الشواهد من أرجوزة طويلة .

عبد الواحد بن جدير الباهلي

قال الآمدي[2]: ومنهم : عبدالواحد بن جدير بن كلدة بن هرم بن عتبة بن خالد بن حصن بن معاوية بن أعيا من بني قتيبة بن معن بن أعصر الباهلي ، شاعر ، وهو القائل :

أَعْدَدْتُ لِلْوَحْشِ وَلِاطِّلَّابِهِ أَغْضَفَ مَطْوِيًّا عَلَى أَقْرَابِهِ
مُنْهَرِتَ الْأَشْدَاقِ عَنْ أَنْيَابِهِ مُخَصَّراً قَدْ تَمَّ فِي شَبَابِهِ
أَحْلَسَ كَدَّاراً عَلَى كِلَابِهِ حَتَّى سَمِعْنَا رَسَلاً يُغْلَى بِهِ
جَاءَتْ به النُّجَّاشُ من إِهَابِهِ صُوَيْلِغا قَدْ غَارَ مِنْ هِبَابِهِ
فَهتَّكَ السَّاتِرَ مِنْ حِجَابِهِ

عبيد الله بن المظفر الباهلي

ترجمه ابن عساكر قائلاً[3]: عبيد الله بن المظفر بن عبدالله بن محمد أبو الحكم الباهلي الأندلسي ولد بالمرية سنة ست وثمانين وأربع مئة ، وحج سنة ست عشرة وخمس مئة ، وحج طبيباً مع أمير الجيوش نظر سنة ثماني عشرة وخمس مئة وقدم دمشق سنة ثلاثين وخمس مئة وقرأ بالإسكندرية على ابن الدلال ، وقرأ بالصعيد على ابن الصيقل ، وصحب توفيق بن محمد مدة سنة بدمشق ، ثم مضى إلى العراق ليقرأ فقرأوا عليه لما رواه أهلاً لذالك ، وخدم

---

(١) ٢/٢٧٥ . (٢) «المؤتلف والمختلف» ٢٦٢ .

(٣) «تاريخ دمشق» ١٠/٧٤٢ النسخة المصورة .

السلطان محمود بن مالك بن شاة ، وأنشأ له في معسكره (بيمارستان) يُنْقَلُ على الـجمال سنة إحدى وعشرين وخمس مئة ، ونُهِبَ (البيمارستان) ببغداد بالحلبة مع ثِقَل السلطان عند حربه للخليفة المسترشد بالله أمير المؤمنين ، ذكر ذالك ابنه أبو المجد ، وكان شاعراً مطبوعاً خليعاً وأكثر شعره في المجون ، أنشدنا لنفسه على لسان الأديب نصر الهيتمي يرثي مِقْلًى انكسرتْ له :

لَقَدْ جَارَ هَذَا الدَّهْرُ في الْـحُكْمِ وَاسْتَعْلَى   وَجَـرَّعَنِي كَـأْسـاً أَمَـرَّ مِنَ الـدِّفْـلَى
وَحُمِّلْتُ مِنْ أَهْـوَالِـهِ فَـوْقَ طَـاقَتِي   وَلَكِنَّهَا هَـانَتْ لِحُـزْنِي عَـلَى (الْمِقْـلَى)
أَتَـانَا بِهَـا مِنْ أَرْضِ بَيْرُوْتَ تَـاجِرٌ   وَأَنْـزَلَهَـا قِـبْـلِيَّ دَارِ أَبِي يَـعْـلَى
فَجِئْتُ وَقَـدْ حَـدَّدْتُ أُذْنَيَّ نَحْـوَهَـا   لِأَحْظَى بِهَا شِبْهَ الْـحِمَارِ إِذَا وَلَّى
وَقَـدْ رَاقَـنِي مِنْهَـا صَـفَـاءٌ وَبَهْجَـةٌ   كَـأَنَّ عَلَيْهَا سَنْـدَرُوْساً بِـهِ تُـطْلَى
تُـرَى عـروبـةً(؟) والْـحُرُوْفُ صَحِيْحَةٌ .   فَـلَا حَرْفَ مِنْهَا إِنْ تَـأَمَّلْتَ مُعْتَـلَّا
وَقُلْتُ لَـهُ: أَنْفَقْتُ بَيْعَكَ فَـاقْتَصِـدْ   إِذَا سُمْتَنَـا وَالْـزَم طَـرِيْقَتَـكَ الْمُثْـلَى
فَـإِنِي أَنَـا الْـهَيْتِمِيُّ أَشْعَـرُ مَنْ نَشَـا   وأَفْضَـلُ مَخْلُوقٍ مَشَى واحْتَـذَى نَعْـلَا
أَشَـدُّهُـمُ بَـأْسـاً وَأَنْـدَاهُـمُ يَـداً   وَأَسْمَحُـهُمْ نَـفْسـاً وأَكْـرَمُـهُمْ فِـعْـلَا
فـوزني ثـلاثـين مـن نـفـر جِـلَّقٍ   وَكَانَ عَلَيَّ الْـوَزْنُ مُذْ لَمْ أَزَلْ سَهْلَا
وَجُـزْتُ بِهَـا فِي دَارِ سَـيْـفٍ وإِنَّهَا   لَفِي نَـاظِرِيْ مِنْ كُـلِّ مِقْلَاتِهَا أَحْلَى
وَلَسْتَ تَـرَى يَـوْمـاً أَشَـدَّ اسْتِـدَارَةً   وَأَحْسَنَ مِنْهَـا إِنْ تَـأَمَّلْتَهَـا شَكْـلَا
أَخَـافُ عَلَيْهَا الْعَـيْنَ حِـيْنَ أَزُفُّهَـا   إِلَى مَنْزِلِي شِبْهَ الْعَـرُوْسِ إِذَا تُجْلَى
فَـطورا أُوارِيْهَـا بِـكُـمِّـي وَتَـارَةً   أُجَـرِّدُهَا مِثْـلَ الْـحُسَامِ إِذَا سُـلَّا
فَحِيْنَ حَـوَاهَـا إِثْـرَ ذَالِـكَ مَطْبَخِي   نَقَلْتُ إِلَيْهِ الْفَحْمَ والْـحَطَبَ الْـجَزْلَا
وَأَعْـدَدْتُهَـا ذُخْـراً لِـتَـرْوِيْـحِ هَمِّنَـا   وَلِلشَّحْمِ إِذْ يُسْلَى وَلِلْبَيْضِ إِذْ يُقْلَى
أُحَمِّصُ فِـيْـهَـا كَـفَّ لَـوْزٍ وَحُمُّصٍ   وَطَـوْرَا أُقَـلِّيْ كَفَّ قَمْـحٍ وبـاقِـلَّا

وأُكــرِمُ أَضْيَــافِي بِــذَاكَ إِذَا انْتَشَــوْا وَأَتْــرُكُــهُ مَــابَـيْنَ أَيْــدِيْهِــمُ نُــقْــلَا
فَــمَا أَكْــثَرَ الْحُسَّــادَ فِيْهَــا وَقَــوْلَهُمْ وَرَبَّ شُعَيْبٍ، مَــارَأَيْنَــا لَهَــا مِثْــلَا
وَقَــوْلُهُمُ لَــوْ كُنْــتَ آثَــرْتَنَــا بِهَــا وَقَــدْ عَلِمُــوا أَنِّي بِهَــا مِنْهُمُ أَوْلَى
وكَمْ طَلَبُــوا أَنْ يُوْكِسُــوهَــا بِجُلِّهِمْ وَأَوْهِمُــهُــمْ أَنِّيْ أُفَــاخِــرُهُــمْ هَــزْلَا
فَــمَا وَجَــدُوا فِيْهَــا مَقَــالًا لِعَــائِبٍ وَلَا نَــالَهَا وَصْمٌ فَتُــرْفَضَ إِذْ تَقْــلَى
فَــلَمَّا أَرَادَ اللهُ إِنْــفَــاذَ حُــكْــمِــهِ وَكَــانَ قَضَــاءُ اللهِ فِي خَلْقِــهِ عَــدْلَا
أَتَــاحَ لَهَا خَــطْبــاً مِنَ الــدَّهْــرِ فَــاتِكــاً فَــأَوْدَى بِهَــا هُلْكــاً وَغَــادَرَنِي عُــطْلَا
فَتَبًّا لِهَــذَا الــدَّهْــرِ كَمْ غِبْــطَةً طَــوَى وَكَمْ نَقْــمَــةً أَجرَى ، وَكَمْ جِــدَّةً أَبْلَى
عَــدِمْتُ لَــذِيْــذَ الْعَيْشِ لَمَّــا عَــدِمْتُهَــا وَيَكْثُرُ عِنْدِي أَنْ أَرَى الْــخَــلَّ وَالْبَقْلَا
خليلي إِنَّ الْحُــزْنَ شَــذَّرَ خَــاطِــرِي فَــلَا تَحْسَبَــانِي قُلْتُ مَــاقُلْتُــه جَهْــلَا
فَقَــدْ كُنْتُ أَدْرِيْ مَــاأَقُــولُ فَهَــا أَنَــا كَحَــاطِبِ لَيْلٍ يَجْمَــعُ الــدَّقَّ والْــجَــلَّا
وَصَــارَ مَــقَــالِي فِي الْمَقَــالِي مُحَــيَّراً فَلَا عَجَبٌ أَنْ كَانَ عَقْلِي قَدِ اخْتَــلَّا
ولا تُــنْــكِــرَا مِنِّي بَــلَادَةَ خَــاطِــرِي فَفَقْــدِي لَهَــا وَاللهِ لَمْ يُبْقِ لِي عَقْــلَا

توفي أبو الحكم بدمشق ليلة الاربعاء رابع ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمس مئة ودفن بباب الفراديس .

قال ابن خلكان(١) : كان مولده ببلاد اليمن سنة ست وثمانين وأربع مئة على ماحكاه ابن الدبيثي في ذيله ، وتوفي ليلة الأربعاء سنة تسع وأربعين وخمس مئة سادس ذي القعدة بدمشق ، ونقل العماد الأصفهانيُّ في «الخريدة» أن أبا الحكم المذكور كان طبيب البيمارستان الذي كان يحمله أربعون جَمَلًا صحبة عسكر السلطان محمود السلجوقي حيث خيم ، وأثنى على أبي الحكم ، وذكر فضله ، وأورد له أخباراً

(١) «وفيات الأعيان» : ١٢٤/٣ .

طريفة تدل على خفة روحه ، ولم أر كلام العماد فيما طبع من قسم الشام من «الخريدة» .

كما ترجمه المقري في «نفح الطيب»[1] ووصفه بأنه كان كامل الفضيلة ، جمع بين الأدب والحكمة وله ديوان شعر جيد ، والخلاعة والمجون غالبة عليه ، كما ذكر أنه كان فاضلاً في العلوم الحكمية متقناً للصناعة الطبية ، حسن النادرة ، كثير المداعبة محباً للهو والخلاعة ، وكان يعرف صنعة الموسيقى ، ويلعب بالعود ، ويجلس في دكان بِجَيْرُوْن للطب ، وسكناه باللبَّادين ، وأتى في ديوانه «نهج الوضاعة لأولي الخلاعة» بكل غريب ، يدل على أنه قريب ، وذكر أن بينه وبين رجل يدعى أبا الوحش بدمشق مداعبات ، فسأل منه كتاباً إلى ابن منير بالوصية عليه ، فكتب أبو الحكم :

أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِعْ مَقَالَ فَتًى ... عُوْجِلَ فِيْمَا يَقُولُ فَارْتَجَلَا
هَذَا أَبُو الْوَحْشِ جَاءَ مُمْتَدِحاً ... لِلْقَوْمِ فَاهْنَأْ بِهِ إِذَا وَصَلَا
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ بِحُسْنِ شَرْحِكَ مَا ... أَنْقُلُهُ مِنْ حَدِيْثِهِ جُمَلَا
وَخَبِّرِ الْقَوْمَ أَنَّهُ رَجُلٌ ... مَا أَبْصَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ رَجُلَا
تَنُوْبُ عَنْ وَصْفِهِ شَمَائِلُهُ ... لَا يَبْتَغِي عَاقِلٌ بِهِ بَدَلَا

ومنها[2] :

وَهْوَ عَلَى خِفَّةٍ بِهِ أَبَدًا ... مُعْتَرِفٌ أَنَّهُ مِنَ الثُّقَلَا
يَمُتُّ بِالثَّلْبِ وَالرَّقَاعَةِ وَالسُّخْـ ... ـفِ وأَمَّا بِغَيْرِ ذَاكَ فَلَا
إِنْ أَنْتَ فَاتَحْتَهُ لِتَخْبُرَ مَا ... يَصْدُرُ عَنْهُ فَتَحْتَ مِنْهُ خَلَا
فَهَبْهُ إن حَلَّ خُطَّةَ الْخَسْفِ وَالْهَـ ... ـوْنِ وَرَحِّبْ بِهِ إِذَا رَحَلَا
وَأَسْقِهِ السُّمَّ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ ... وَامْزِجْ لَهُ مِنْ لِسَانِكَ الْعَسَلَا

وذكر أن له مرثية في عماد الدين زنكي ، شاب فيها الجِدَّ بالهزل ، والغالب على شعره الانطباع .

---

(١) ٢/٣٣٧ . (٢) ٢/٣٣٧ .

العجّاج بن شدقم الباهلي

عَدَّ الآمديُّ في «المؤتلف والمختلف»[1] الْعَجَّاجَ بنَ شَدْقمٍ وابنَه رؤبةَ من الشعراء، وقال: وانشد أبو بيهس رؤبة لأبيه العجَّاج بن شَدْقم:

بِتُّ وَبَاتَ الْهَمُّ بِالإِطْرَاقِ مُعانِقِي، وأَيُّمَا اعْتِنَاقِ

مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ بِعَبْدِ الْبَاقِي

وأَنْشَد أَيْضاً لأبيه في سعيد بن سَلْمٍ:

رُدُّوا إِلَى رُؤْبَةَ وَالْقُلَاخِ وصِبْيَةٍ بِالْعَلْوِ كالفِرَاخِ
أَباهُم فَأَنْتَ في بُذَاخِ مِنَ الْمَعَالِي مُشْرِفٍ نُقَاخِ
وَأَنْتَ يَوْمَ الْحَلْبَةِ الْجِلْواخِ مُبَيَّنُ الْغُرَّة كالشُّمْرَاخِ

الجِلواخ: الضخم. يقال: وادٍ جِلْواخٌ أي ضخم النبت.

عجلان بن سحبان الباهلي

قال الجاحظ في «البيان والتبيين»[2]: ومن الخطباء الشعراء عجلان بن سَحْبَانَ الباهلي، وسحبان هذا هو سحبان وائل، وهو خطيب العرب. انتهى. ولكنه لم يورد شيئاً من شعره ولا خطبه سوى بيت في كتاب «البرصان والعرجان»[3] هو:

وَلَا كَأَخِيْ ذُهْلٍ إِذَا قَامَ قَائِلاً وَلَا الْأَسْلَعِ الحَمَّالِ حِينَ يُجِيْبُ

وله في مدح طلحة بن عبدالله الخزاعي:

يا طَلْحُ أَكْرَم مَنْ مَشَى حَسَباً وأَعْطَاهُمْ لِتَالِدِ

(١) ١٧٥ ومابعدها. (٢) ١/٤٨ تحقيق عبدالسلام هارون. (٣) ٨٩.

مِـنْــكَ الْــعَــطَاءُ فَــأَعْــطِنِي   وَعَـلَيَّ حَمْدَكَ فِي الـمَشَـاهِـدِ[1]

وسحبان تقدم ذكره . وقال عنه الحصري القيرواني في «زهر الآداب»[2] : بعد كلامه عن سحبان قال : وكان ابنه عجلان حلوَ اللسان ، جيدَ الكلام ، مليحَ الإشارة ، يجمع مع خطابته شعراً جيداً ويضرب الأمثال إذا خطب ، وينتزع النادر من الشعر ، والسائر من المثل ، فتحلو خطبته وكان يزن كلامه وزناً .

وأورد ابن جرير في «تاريخه»[3] شعراً منسوباً لسحبان وائل في ذكر وقعة خَجَنْدة ، أَوَّلُهَا :

فَسَــلِ الْفَــوَارِسَ فِـيْ خُجَنْـ   ـدَةَ تَحْـتَ مُــرْهَفَــةِ الْـعَــوَالِي

وقد تقدمت في ترجمة سحبان ، وما أرى هذه الأبيات إلا لعجلان بن سحبان .

العلاء بن عمرو الباهلي

وهذا شاعر مجهول ، إلَّا أن اللغويين يستشهدون بشعره ، مما يدل على قدمه ، فقد أورد صاحب «اللسان»[4] قوله :

كَــأَنَّ الْهِبْــرِقِيَّ غَــدَا عَلَيْهَــا   بِمَــاءِ الكَنْـزِ أَلْبَسَــهُ قَـراهَــا.

عمرو بن أحمر الباهلي

عَمْرُو بن أَحْمَرَ أشهرُ شعراء باهلة ـ تقدم ذكره في الصحابة[5] ـ وقال المرزباني في «معجم الشعراء»[6] : عمرو بن أحمر بن العمَرَّد بن تميم بن ربيعة بن حَرام بن فرَّاص بن معن الباهلي .

---

(١) البيت الثاني في «المعارف» ٦١١ و«خزانة الأدب» ١٧/٨ منسوبين ـ لسحبان ـ كما تقدم .
(٢) ج ٤ ص ٩٥٥ ـ ط دار الجيل . (٣) ٢٨٤/٦ .
(٤) رسم (كنز) . (٦) : ٢٤ .

ويقال هو عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عبد شمس بن عبد بن قدام ابن فراص بن معن بن مالك وفي كتاب البلاذري[1]: هو عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عمرو بن عبد بن فراص بن معن بن مالك بن أعصر الشاعر، وكان أعور وسقي بطنه، فقال:

شربت شُكَاعَى والتددت أُلـدة وأقبلت أطراف العروق المكاويا

وكان قدم الجزيرة فاستوبأها وأقام بقرقيسيا أشهراً وبها قال:

ألا قَلَّ خَيْرُ الدهر كيف تغيرا فأصبح يرمي الناس عن قرن اعفرا

وقال الحرمازي: شهد ابن أحمر بعض أمر قيس بالجزيرة، وكان مع زفر بقرقيسيا مدة يسيرة. وعمر يكنى أبا الخطاب. أدرك الإسلام فأسلم، وغزا مغازي الروم، وأصيبتْ إحدى عينيه هناك. ونزل الشام، وتوفي على عهد عثمان رضي الله عنه، بعد أن بلغ سناً عالية، وهو صحيح الكلام كثير الغريب. يقول:

إنَّ الفتَى يُقْتِرُ بَعْدَ الْغِنَى وَيَغْتَنِي بَعْدَمَا يَفْتَقِرْ
وَالْحَيُّ كَالْمَيْتِ وَيَبْقَى التُّقَى وَالْعَيْشُ فَنَّانِ: فَحُلْوٌ ومُرّ
وَلَنْ تَرَى مِثْلِيَ ذَا شَيْبَةٍ أَعْلَمُ مَايَنْفَعُ مِمَّا يَضُرّ

أي أعلم بما ينفع مما يضر، وله:

إذَا أَنْتَ رَاوَدْتَ الْبَخِيْلَ رَدَدْتَهُ إلَى الْبُخْلِ وَاسْتَمْطَرْتَ غَيْرَ مَطِيْرِ
مَتَى تَطْلُبِ الْمَعْرُوْفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ تَجِدْ مَطْلَبَ الْمَعْرُوْف غَيْرَ يَسِيْرِ
إذَا أَنْتَ لَمْ تَجْعَلْ لِعِرْضِكَ جُنَّةً مِنَ الذَّمِّ سَارَ الذَّمُّ كُلَّ مَسِيْرِ

وقال أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني»[2]: كان من شعراء الجاهلية

(١) «أنساب الأشراف» نسب باهلة ـ لايزال الكتاب مخطوطاً.
(٢) ج ٨ ص ٢٣٢ ط الثقافة.

المعدودين ثم أسلم ، وقال في الإسلام شعراً كثيراً ، ومدح الخلفاء الذين أدركهم ، وخالدَ بن الوليد ، وكان في جيشه بالشام ، ولم يلق أبا بكر ، ومدح عُمَر فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان ، كذا قال وهو يخالف قول المرزباني أنه مات في عهد عثمان ، فالله أعلم . وقد أورد الأصفهاني شعراً له في مدح علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ولكنه لم يفصّل ترجمته .

وقال الآمدي[1] : ومنهم عمرو بن أحمر الباهلي ، قال ابن حبيب : هو عمرو بن أحمر . . . الشاعر الفصيح . كان يتقدم شعراء أهلِ زمانه ، وهو القائل :

إِذَا ضَيَّعْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ أَبَتْ أَعْجَازُهُ إِلاَّ الْتِوَاءَ

وقد ذكرت حاله وأشعاره مع الشعراء المشهورين . انتهى . ويلاحظ أن له سميًّا يدعى (عمرو بن الأحمر بن الأخضر العنزي) ترجمه ابن الجراح في كتاب من اسمه «عمرو من الشعراء»[2] وكثيراً ما اختلط شعر المسمين باسم واحد ، كالراعي النميري والراعي الكلبي ، والعُشْي - جَمْعُ أعشى - ولكن عمرو بن أحمر أشهر ، وشعره أَسْيَرُ من شعر عمرو بن الأحمر الْعَنَزِي . وعمرو بن أحمر من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، وقال أبو عمرو ابن العلاء : كان ابنُ أحمر في أفصح بقعة من الأرض أَهْلاً يذْبُل والقعاقع .

ولم يصل من أشعاره في الجاهلية إلا اليسير ، وكان ذا صلة بأوائل خلفاء بني أمية ، حتى وقعت خصومة بينه وبين يزيد فهجاه بقصيدة قال فيها :

أَبا خَالِدٍ هَذِّبْ خَمِيْلَكَ لَنْ تَرَى بِعَيْنَيْكَ وَفْدًا آخِرَ الدَّهْرِ جَائِيَا
وَلَا طاعَةً حَتَّى تُشَاجِرَ بِالْقَنَا قَنًا وَرِجَالاً عَاقِدِيْنَ النَّوَاصِيَا

(١) «المؤتلف والمختلف» - ص ٤٤ - .
(٢) انظر «العرب» س ٧٤٦/٤ .

وذكر جامع ديوانه أن أسباب الخصومة بين يزيد وبين ابن أحمر تعود إلى خلاف سياسي بين قبيلة باهلة وبين يزيد بن معاوية ، الذي يرى جامع الديوان أن باهلة قد وقفت موقفاً معادياً له حين توفي معاوية وبويع يزيد ، وأن تلك الخصومة بلغت أَشُدَّهَا في عهد مروان بن الحكم إلى أن تمكن عبدالملك بن مروان من القضاء على أعدائه من الشيعة والزيديين والقيسيين .

ومن عيون شعره القصيدة التي مدح فيها يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وشكى فيها ظلم عمال الصدقة لِقومه في نجد ، ومنها في وصف ضرب العمال لقومه ، وقد أوردها صاحب «جمهرة أشعار العرب» كاملة ، يقول فيها :

يَكْسُونَهُمْ أَصْبَحِيَّاتٍ مُحَدْرَجَةً ... إِنَّ الشُّيُوخَ إذا ما أُوْجِعُوا ضَجِروا
حَتَّى يَطِيْبُوا لَهُمْ نَفْساً عَلانِيَةً ... عَنِ القِلاَصِ الَّتِي مِنْ دُوْنِهَا مَكَروا
لَسْنَا بِأَجْسَادِ عادٍ في طَبائِعَنَا ... لاَ نَأْلَمُ الشَّرَّ حتَّى يَأْلَمَ الْحَجَرُ
ولا نَصَارَى عَلينا جِزْيَةٌ نُسُكٌ ... ولا يَهُودٌ طَغَاماً دِينُهُمْ هَدَرُ
إِنْ نَحْنُ إِلاَّ أُناسٌ أَهْلُ سَائِمَةٍ ... ما إِنْ لَنَا دُوْنَها حَرْثٌ ولا غُرَرُ
مَلُّوا الْبِلاَدَ وَمَلَّتْهُمْ وأَحْرَقَهُمْ ... ظُلْمُ السُّعَاةِ وَبَادَ الْمَاءُ والشَّجَرُ
إِنْ لاَّتَدَارَكْهُم تُصْبِحْ مَنَازِلُهُمْ ... قَفْراً تَبِيْضُ عَلَى أَرْجَائِهَا الْحُمَرُ

ويظهر أنه في آخر حياته أقام في أرض الجزيرة ونواحيها كـ (سنجار) و(البلخ) و(المدير) و(دوسر) حيث وردت هذه الأسماء في شعره ، وماكان راغباً في الاستقرار في تلك البلاد ، بل أخذ يَحِنُّ إلى بلاده في نجد ، ومما قال في ذالك :

لَقَدْ ظَعَنَتْ قَيْسٌ فَأَلْقَتْ بُيُوتَهَا ... بِسِنْجَارَ فَالْأَجْزَاعِ أَجْزَاعِ دَوْسَرَا
وَكَانَ مِنَ الْأَطْهَارِ أَوْ رَمْلِ فَارِزٍ ... أَوِ الدَّوْمِ لَمَّا أَنْ دَنَا فَتَهَصَّرَا

غِنىً عَنْ مِيـاهٍ بِالْـمُـدَيْبِرِ مُـرَّةٍ ... وَعَنْ خَرِبٍ بُنْيانُـهُ قَدْ تَكَسَّرَا
أَبَعْـدَ حُلُولٍ بِالـرَّكاءِ وَجـامِلٍ ... غَدَا سَارِحاً مِنْ حَوْلِنَا وَتَنَشَّرَا
تبَـدَّلْتَ إِصْـطَبـلاً وَتَـلاً وَجَـرَّةً ... وَدِيْكاً إِذَا مَا آنَسَ الصُّبْحَ فَرْفَرَا
وَبُسْتَانَ ذِي ثَوْرَيْنِ لاَ لِيْنَ عِنْدَهُ ... إِذَا مَا طَغَى نَاطُـورُهُ وتَغَشْمَرَا

وقد أصيب في آخر عمره بالاستسقاءِ ، واعتل علة شديدة ، وعالجه الأطباء حتى ملَّ حياته وسئمها ، ونيف على التسعين كما في قصيدته اليائية وهي من عيون شعره قالها يهجو يزيد بن معاوية وهي :

لَعَمْرِيَ ما خُلِّفْتُ إِلاَّ لِمَا أَرَى ... وَرَاءَ رِجَـالٍ أَسْلَمُونِي لِـمَا بِيَا
أَلاَ لاَ أَرَى هَذا الْـمُسَرَّعَ سَابِقاً ... وَلاَ أَحَـداً يَرْجُـو الْبَقِيَّةَ بَـاقِيَا
رَأَيْتُ الْـمَنَايَا طَبَّقَتْ كُلَّ مَرْصَدٍ ... يُقِـدْنَ قِياداً أَوْ يُجَـرِّدْنَ حَادِيَـا
وما كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي ... ضَرِيْبَ جِلاَدِ الشَّوْلِ خَمْطاً وصَافِيَا
فأَمْسَى جَنَابُ الشَّوْلِ أَغْبَرَ كابِياً ... وأَمْسَى جَنَابُ الْـحَيِّ أَبْلَجَ وَارِيَا
إِليـكَ إِلٰـهَ الحَقِّ أَرْفَـعُ رَغْبَتِي ... عِيَاذاً وخَوْفاً أَنْ تُطِيْلَ ضَمانِيَا
فَإِنْ كَانَ بُرْءًا فَاجْعَلِ البُرْءَ نِعْمَةً ... وإِنْ كانَ فَيْضاً فَاقْضِ ماأَنْتَ قَاضِيا
لِقَـاؤكَ خَيْرٌ مِنْ ضَمَـانٍ وَفِتْنَةٍ ... وقد عِشْتُ أَيَّاماً وعِشْتُ لَيَالِيَا
لَبِسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عُمْـرَهُ ... وبَلَّيْتُ أَعْمَـامِي وَبَلَّيْتُ خَـالِيـا
أُرَجِّـي شَبَاباً مُـطْرَهِمًّا وَصِحَّـةً ... وكَيْفَ رَجَاءُ المَرْءِ مالَيْسَ لاَقِيَا
وَكَيْفَ وَقَدْ جَرَّبْتُ تِسْعِيْنَ حِجَّةً ... وَضَمَّ فُؤادِيْ نَوْطَةً هِـيَ مَاهِيَا
ولا عِلْمَ لِي مَـانَوْطَـةٌ مُسْتَكِنَّةٌ ... ولا أَيُّ مَنْ عَادَيتُ أَسْقِـى سِقَائِيَا
وفي كُـلِّ عامٍ تَـدْعُوَان أَطِبَّـةً ... إِلَيَّ ومـايُجْدُونَ إِلاَّ الهَـواهِيَـا
فإِنْ تَحْسِيا عِرْقاً مِنَ الدَّاءِ تَتْرُكَا ... إِلَى جِنْبِهِ عِرْقاً مِنَ الدَّاءِ سَاقِيَا
فَلاَ تُحْرِقَا جِلْدِي سَوَاءٌ عليكُما ... أَدَاوَيتما الْعَصْرَيْنِ أَمْ لَمْ تُدَاوِيَا

فإنْ تُقْصِرَا عَنِّي تَكُنْ لِيَ حَاجَةٌ وإنْ تَبْسُطَا لاتَمْنَعَانِي قَضَائِيَا
أَلَا فَالْبِثَا شَهْرَيْنِ أَوْ نِصْفَ ثَالثٍ إلَى ذَاكُـمَا مَا غَيَّبَتْنِي غِيَابِيَا
شَرِبْتُ الشُّكَاعَى والْتَدَدْتُ أَلِدَّةً وأَقْبَلْتُ أَفْوَاهَ العُرُوْقِ الْـمَكَاوِيَا
لأَنْسَأَ فِيْ عُمْري قَلِيْلاً وَمَا أَرَى لِدَائِيَ إنْ لَمْ يَشْفِهِ اللهُ شَافِيَا
شَرِبْنَا وَدَاوَيْنَا وَمَاكَانَ ضَرَّنَا إذَا اللهُ حَمَّ الْقَدْرَ أَلَّا تُداوِيَا
وَقَالُوا أَتَتْ أَرْضٌ بِهِ وَتَخَيَّلَتْ فأَمْسَى لِمَا في الصَّدْرِ والرَّأْسِ شَاكِيَا
أَقُولُ لِكَنَّازٍ تَوَقَّلْ فَإِنَّهُ أَبَى لا أَظُنُّ الضَّأْنَ مِنْهُ نَوَاجِيَا
تَتَبَّعُ أَوْضَاحاً بِسُرَّةِ يَذْبُلٍ وتَرْعَى هَشِيْماً مِنْ حُلَيْمَة بَالِيَا
فَمَالَكِ مِنْ أَرْوَى تَعَادَيْتِ بالعَمَى وَلاَقَيْتِ كَلَّاباً مُطِلّاً وَرَامِيَا
فَإِنْ أَخْطَأَتْ نَبْلاً حِدَاداً ظُبَاتُها عَلَى الْقَصْدِ لَا تُخْطِئْ كِلَاباً ضَوارِيَا
وكُنَّا وَهُمْ كَابْنَيْ سُباتٍ تَفَرَّقَا سِوَى ثُمَّ كَانَا مُنْجداً وتِهَامِيَا
فَأَلْقَى التِّهَامِي مِنْهُمَا بِلَطاتِهِ وأَحْلَطَ هَذَا لَا أَرِيْمُ مَكَانِيَا
وَبَاتَ بَنُو أُمِّي بِلَيْلِ ابْنِ مُنْذِرٍ وأَبْنَاءُ أَعْمَامِيْ عُذُوباً صَوادِيَا
إِذَا جَاءَ مِنْهُمْ قَافِلٌ بِصَحِيفَةٍ يُكُونُ عَنَاءً مَايُنَبِّقُ عَانِيَا
وتَعْرِفُ في عُنْوانِهَا بَعْضَ لَحْنِهَا وفي جَوْفِهَا صَمْعَاءُ تَحْكِي الدَّوَاهِيَا
أَبَا خَالِدٍ هَذِّبْ خَمِيْلَكَ لَنْ تَرَى بِعَيْنَيْكَ وَفْداً آخِرَ الدَّهْرِ جَائِيَا
وَلَا طَاعَةً حَتَّى تُشَاجِرَ بالقَنَا قَنًا وَرِجَالاً عَاقِدِيْنَ النَّوَاصِيَا
وَلَمْ أَخْتَلِسْ بَيْنَ الشَّقَائِقِ حُجَّةً وَقَدْ وَقَعَتْ بالقُرِّ إلَّا تَلافِيَا

وقد قام بجمع شعر عمرو وتحقيقه الدكتور حسين عطوان ونشره (مجمع اللغة العربية) في دمشق ونشرت مجلة «مجمع اللغة العربية» بدمشق سنة ١٣٩٢هـ في المجلد الـ (٢٧) ص ٤٢٢ استدراكاً للدكتور عبدالتواب رمضان أورد فيه أشعاراً لعمرو بن أحمر، لم ترد فيما جمعه الدكتور حسين عطوان .

ويظهر أن قسماً من شعره قد ضاع وقسماً فات المحقق ادراكه ، ومنه في (مَيَّاسٍ) فرس شقيق بن جزء الباهلي :

مُنًى لَكَ أَنْ تَلْقَى ابْنَ هِنْدٍ مَنِيَّةٌ ... وَفَارِسَ مَيَّاسٍ إِذَا مَا تَلَبَّبَا
وَجَحْلاً أَبَا عَمْرٍو وَقُرَّةَ ذَا النَّدَى ... وَزَهْراً وَغَلَّاقاً وَيَالَكَ مَقْنَبَا[1]

عمرو بن خلف الباهلي

هذا الشاعر تحدث عنه ابن الجراح في كتاب «من اسمه عمرو من الشعراء» فقال[2] : عَمْرُو بن خلف الباهلي الضرير ، أبو الحسين ، كوفي ، توفي في أيام المعتمد ، أنشدني أبو جعفر محمد بن الأزهر ، قال : أنشدني أبو الحسين عَمْرُو بن خلف لنفسه في قتل الحسين بن إسماعيل المصعبي أبا الحسين يحيى بن عمر الخارج بالكوفة .

يَاعَيْنُ بَكِّي ابْنَ النَّبِيِّ فَقَدْ ... جُرِحَ الفؤاد فَلَيْسَ يَنْدَمِلُ
وَابْكِي لِفَقْدِ أَبِي الْحُسَيْنِ فَقَدْ ... قُتِلَ الْكَمِيُّ الْفَارِسُ الْبَسِلُ
وَلَئِنْ قُتِلْتَ فَلَم تَكُنْ ضَرِعاً ... غُمْراً بَلْ أَنْتَ السَّيِّدُ الْبَطَلُ
قُلْ لِلْحُسَيْنِ قَتَلْتَ خَيْرَ فَتًى ... بَاقٍ وَخَيْرَ النَّاسِ إِنْ رَحَلُوْا
أَفَتَرْتَجِي مِنْ حَوْضِهِمْ بَلَلاً ... لَا وَالَّذِيْ حَجَّتْ لَهُ الْإِبِلُ

عمرو بن عبد الرحمن أبو هشام الباهلي

قال المرزباني[3] : عمرو بن عبدالرحمن بن الخلق ، أبو هشام الباهلي الظالمي . شاعر مكثر كان على عهد المنصور والمهدي والرشيد ، هاجى بَشَّاراً الأعمى فانتصف منه ، وفيه يقول :

---

(١) «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي : ٢٢٨ .

(٢) مخطوط . (٣) «معجم الشعراء» : ٢٨ .

بِـذِلَّـةِ وَالِـدَيْـكَ كَسَبْتَ عِـزًّا وَبِاللُّؤْمِ اجْتَرَأْتَ عَلَى الْـجَوَابِ

وكان هجاؤه هذا من الأسباب التي دفعت بشاراً لهجو قبيلة باهلة ، مما أثار حفيظة الأصمعي ، فقاطع بشاراً وجفاه ، وقد أورد صاحب «الأغاني» طرفاً مما دار بين الشاعرين ، ومن هجاء أبي هشام[1] :

وَعَبْدِي فَقَا عَيْنَيْكَ في الرَّحْمِ [. .] فَجِئْتَ وَلَمْ تَعْلَمْ لِعَيْنَيْك فَاقِيَـا
أَأُمُّـكَ يَابَشَّـارُ كَـانَتْ عَفِيْفَـةً؟ عَلَيَّ إِذَنْ مَشْيٌ إِلَى الْبَيْتِ حَافِيَا

قال : فلم يزل بشَّار منذ قال فيه هذين البيتين مُنْكَسِراً . وقال أبو الفرج[2]: لمَّا مات بشَّار ونُعي إلى أهل البصرة تَباشر عامتهم ، وهَنَّأ بَعْضُهم بعضاً ، وحمِدُوا الله وتصدقوا ، لِـمَا كانوا مُنُوا به من لسانه .

وقال أبو هِشَامٍ الباهليُّ أيضاً في قتل بشار[2]:

يـابُؤْسَ مَيْتٍ لَمْ يَبْكِـهِ أَحـدُ أَجَـلْ وَلَمْ يَـفْتَـقِـدْهُ مُفْـتَـقِـدُ
لَا أُمُّ أَوْلادِهِ بَـكَـتْــهُ وَلَمْ يَـبْـكِ عَلَيْـهِ لِفُـرقَـةٍ وَلَـدُ
ولا آبنُ أُخْتٍ بَكَى ولا آبْنُ أخٍ ولا حَمِيـمٌ رَقَّتْ لَـهُ كَـبِـدُ
بَـلْ زَعَمُـوا أَنَّ أَهلَهُ فَـرِحـاً لَـمَّـا أَتَـاهُمْ نَعِيُّـهُ سَجَـدُوْا

قال : وقال أيضاً في ذالك[2]:

قَـدْ تبِعَ الأَعْمَى قَفَـا عَجْـرَدٍ فَـأَصْبَحَـا جَـارَيْـنِ فـيْ دَارِ
قَالَتْ بِقَاعُ الأرضِ : لَا مَرْحَباً بِـرُوْحِ حَمَّـادٍ وَبَـشَّـارِ
تَجَـاوَرَا بَـعْـدَ تَـنَـائِـيْـهِـمَا مَا أَبْغَضَ الْـجَارَ إِلَى الْـجَـارِ
صَـارَا جَمِيْعاً في يَـدِيْ مَالِـكٍ فِـي النَّـارِ والْكَـافِـرُ فِي النَّـارِ

وذكر المرزباني[3] أنه هجا رَوْح بن حاتم المهلَّبي فأسرف عليه . . . ونقل

---

(١) ٤٩/٣ ط بولاق و١٣٥/٣ ط الثقافة .

(٢) «الأغاني» ٢٤٣/٣ ط الثقافة بيروت . (٣) «معجم الشعراء»: ٢٨ .

عن دعبل بن علي : كان أبو هشام يعبر الجسر على دجلة بمدينة السلام ، فلقيه عليه أُبُو نِيْقَةَ الحسين بن الوراس مولى خزاعة ، وكان شاعراً ، فتكلما وعاتبه أبو نيقة على هجائه آل المهلب ، ثم اتخذا (؟) وتلاطما ، فدفع أبو نيقة أبا هشام فرمى به إلى دجلة ، فبادر إليه قوم من الملاحين وأصحاب الزواريق فأخرجوه ، وتشبث به ، وكان على أحد الجانبين المسيب بن زهير الضبي ، وعلى الآخر نصر بن مالك الخزاعي ، فقال أبو نيقة : ارفعونا إلى نصر ، وقال أبو هشام : ارفعونا إلى المسيب ، ففرق الناس بينهما ، فقال أبو نيقة :

فَمَنْ مُبْلغ عُلْيَا خُزَاعَـةَ أَنَّنِي ... قَذَفْتُ بِعَبْدِ الْبَاهِلِيينَ في الْـجِسْرِ
قَذَفْتُ بِهِ كَيْ يَغْرِقَ الْعَبْدُ عَنْوَةً ... فَجَاشَ بِه منْ لُؤْمِهِ زَبَدُ البَحْرِ

وفي كتاب «المرزباني»[1] : ومن قول أبي هشام في سعيد بن سَلْمٍ بن قتيبة الباهلي يمدحه :

أَلَا قُلْ لِسَارِي اللَّيْلِ لَاتَخْش ضَلَّةً ... سَعِيْدُ بْنُ سَلْمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادِ
لنا سيد أربَى على كلّ سيـدٍ ... جَوَادٌ حَثَا فِـي وَجْهِ كلِّ جَوَادِ
يَطُوْلُ عَلَى الرُّمحِ الرُّدَيْنِـيِّ قَامَةً ... ويَقْصُرُ عَنْـهُ بَـاعُ كُـلِّ نِجَـادِ

ونص الترجمة في كتاب «من اسمه عَمْرُو من الشعراء» .

عمرو بن ميسم الباهلي

تقدم ذكر هذا الشاعر عند الكلام على إغارة تميم على باهلة ، وأنه قال في ذالك[2] :

غَزَتْنَا بَنُو سَعْدٍ فَدُسْنَا مُقَاعِساً ... وَأَشْحَيْتُ بالرُّمْحِ الأَصمِّ مَلادِسَا

---

(١) «معجم الشعراء» ٢٨ . (٢) «جمهرة الأمثال» ٢/١٥٩ .

قَـرَيْنَاهُمُ زُرْقَ الأَسِنَّـةِ وَالـظُّبَـا وَلَمْ نَقْرِهِمْ كُوماً جِلَاداً قَنَاعِسَا
عَـوَى أَهْتُمٌ ثُمَّ أَنْثَنَى فَأَصَـابَهُ دَرِيْرٌ يُثِيْرُ البَطْنَ رَطْباً ويـابِسَا

وهذا اليوم يُسمى (يوم العَرِيض) .

القتال الباهلي: (الحسن بن علي)

قتيبة بن مسلم الباهلي

الأمير القائد الفاتح المشهور ـ تقدمت ترجمته ـ وقد عده المرزباني[1] من الشعراء ، وكان تقلد خراسان من قبل الحجاج في أيام الوليد بن عبدالملك ، فلما مات الحجاج وتولى سليمان بن عبدالملك الخلافة ، قَلَّدَ يزيد بن المهلب خراسان ، فخلع قتيبة وكتب إلى سليمان :

رَمَـانَـا سُلَيْمَـانُ بِـأَمْـرٍ أَظُنُّـهُ سَيَحْمِلُهُ مِنِّـي عَلَى شَرِّ مَرْكَبِ
رَمَـانَا بِجبَّـارِ الْعِرَاقِ وَمَنْ لَـهُ عَلَى كُلِّ حَـيٍّ حَدُّ نَابٍ ومِخْلَبِ
فَأَصْبَحْتُ لِلْعَبْدِ الْـمَزُوْنِـيِّ خَالِعاً وَكَانَ أَبِـي قِدْماً عَلَى دِيْنِ مُصعَبِ

وكان قتيبة ذا شرفٍ في قومه وتقَدُّمٍ في بلده ، وكان أديباً عالماً ، وأهل البصرة يفخرون به وبولده ، وهو القائل من أبيات :

أَبَى لِـيَ آبـاءٌ كِـرَامٌ وأَوَّلٌ أَقامُوا عَلَى مَاءِ النَّدَى فَتَخَوَّضُوا
بِكُلِّ فَتىً فِي مَحْضَهِ الْحَيِّ وَاضِحٍ يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الْيَمَانِـي الْـمُفَضَّضُ

انتهى ماذكره المرزباني .

وزاد صاحب كتاب «الفتوح»[2] على الأبيات البائية :

---

(١) «معجم الشعراء»: ٢١٢ . (٢) ٧/٢٥٤ .

وَلَا الْـمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةِ ذَلِيْلَةٍ وَحَبْلٍ ضَعِيْفٍ قَدْ وَهَى مُتَقَّضبِ
وَلَا التُّرْكُ أَوْفَى فِي الوِدَادَ مَوَدَّةً وأقربُ مِنِّي مِنْ بُنَيِّ الْـمُهَلَّبِ

ومن شعره عندما أقبل الناس إلى وكيع بن أبي سود التميمي للخروج لقتاله :

يَانَفْسُ صَبْراً عَلَى ماكَانَ مِنْ مَضَضٍ إِذْ لَـمْ أَجِدْ لِعُتَاةِ القَوْمِ أَقْرَانَا
لَوْ كَانَ قَوْمِـيَ أَحْرَاراً لَقَدْ مَنَعُوا شِلْوًا تَطَايَرَ عَنْهُ النَّاسُ خُذْلاَنَا

القعقاع بن عطية الباهلي

قال الأستاذ الزركلي[١] : القعقاع بن عطية الباهلي فارس من الشعراء ، كان مقيماً بخراسان ، وأراد الحج ، فمر بجمعين يقتتلان على مقربة من (دار بجرد) بإيران ، وقيل له : هذا عباد بن أخضر يقاتل الشراة ، فخاض المعركة في جيش عباد ، فَأُسِرَ وأُطلق ، فانصرف إلى عباد فرده إلى الحرب ، فحمل ثانية وقال :

أَكُـرُّ عَلَى الْـحَـرُورِيِّيْنَ مُهْـرِي لأَحْمِلَهُمْ عَـلَى وَضَـحِ الصِّرَاطِ

فأطبق عليه بعض فرسانهم فقتلوه ، وأرخ سنة قتله بنحو ٥٨هـ (٦٧٨م) وأحال إلى كتاب «رغبة الأمل»[٢] شرح «الكامل» .

ونص مافي «الكامل»[٣] : وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج ، فلما رأى الجمعين قال : ماهذا ؟ قالوا : الشراة ، فحمل عليهم ، ونشبت الحرب ، فأخذ القعقاع أسيراً ، فَأُتِـي به أبو بلال ، فقال : ما أنت ؟ قال : لست من أعدائك ، وإنما قدمت للحج فجهلت وغررت ، فأطلقه ،

---

(١) «الأعلام» ٤٨/٦ . (٢) ٢٠٥/٢ .
(٣) «الكامل» للمبرد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

فرجع إلى عباد فأصلح من شأنه ، ثم حمل عليهم ثانية ، وهو يقول :

أُقَاتِلُهُمْ وَلَيْسَ عَلَيَّ بَعْثٌ نَشَاطاً لَيْسَ هَذَا بِالنَّشَاطِ
أَكُرُّ عَلَى الْحَرُورِيِّيْنَ مُهْرِي لِأَحْمِلَهُمْ عَلَى وَضَحِ الصِّرَاطِ

فحمل عليه حُريث بن حجل السدوسي ، وكهمس بن طلق الصريمي ، فأسراه ، فقتلاه ، ولم يأتيا به أبا بلال ، فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة ، صلاة يوم الجمعة ، فناداهم أبو بلال : ياقوم ، هذا وقت الصلاة ، فوادعونا حتى نصلي وتصلوا ، قالوا : لك ذاك فرمى القوم أجمعون أسلحتهم ، وعمدوا للصلاة ، فأسرع عباد ومن معه والحرورية مبطئون فهم من بين راكع وقائم وساجد في الصلاة وقاعد ، حتى مال عليهم عباد ومن معه ، فقتلوهم جميعاً ، وأتي برأس أبي بلال . انتهى .

وقال أبو محمد الأعرابي[1] : والعقر أضيق القيود ، وجعل القعقاع بن عطية الباهلي العقر عقالاً فقال :

فَخَرَّ وَظِيْفُ القَوْمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عِقَالٌ لا يُنَشَّطُ عَاقِلُهُ

وأورد أبو تمام في «الحماسة»[2] قصيدة ورد فيها هذا البيت نسبها للنمري ولم يسمه وأضاف : ويقال إنها لرجل من باهلة ، يحسن إيرادها هنا :

وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوِّ كَأَنَّمَا يُقَاتِلُ أَهْوَالَ السُّرَىٰ وَتُقَاتِلُهْ
دَعَا يَائِساً شِبْهِ الْجُنُوْنِ وَمَا بِهِ جُنُونٌ وَلَكِنْ كَيْدُ أَمْرٍ يُحَاوِلُهْ
فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتَ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتٍ كَرِيمِ الْجَدِّ حُلْوٍ شَمَائِلُهْ
فَأَبْرَزْتُ نَارِيْ ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهْوَ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهْ

(١) «إصلاح ماغلط فيه النمري في معاني أبيات الحماسة»: ٨٠ .
(٢) ٢/٣٣٤ ـ تحقيق الدكتور عبدالله عسيلان .

فَلَمَّا رَآنِـي كَـبَّرَ اللهُ وَحْـدَهُ ... وَبَشَّرَ قَلْباً كَـانَ جَمًّـا بَـلاَبِلُهْ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهلاً وَمَرْحَباً ... رَشدتَّ، ولَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ أُسَائِلُهْ
وقُمْتُ إلى بَـرْكٍ هِجَانٍ أُعِـدُّهُ ... لِـوَجْبَةِ حَقٍّ نَـازِلٍ أَنَا فَـاعِلُهْ
بِأَبْيضَ خُطَّتْ نَعلهُ حيثُ أَدْرَكَتْ ... مِنَ الأَرْضِ لَمْ تَخْطَلْ عَلَيَّ حَمَائِلُهْ
فَحَـالَ قَلِيْـلاً وَاتَّقَـانِـيْ بِخَيْـرِهِ ... سَنَاماً وَأَمْـلاهُ مِنَ النَّيِّ كَاهِلُهْ
بِقَرْمٍ هِجَان مُصْعَبٍ كانَ فَحْلُهَا ... طَويلَ القَرَى لم يَعْدُ أَنْ شَقَّ بَازِلُهْ
فَخَرَّ وَظِيفُ القَرْمِ فِـيْ نِصْفِ سَاقِهِ ... وَذَاكَ عِقَـالٌ لا يُنَشَّطُ عَـاقِلُهْ
بِـذَالِـكَ أَوْصَـانِـي أَبِي وَبِمِثْلِهِ ... كَـذَالِـكَ أَوْصَـاهُ قَـدِيْماً أَوَائِلُهْ

مالك بن أنس الباهلي

ذكر ابن أعثم[1] أنه كان مع الحسين بن علي رضي الله عنه عندما التقى مع جنود عبيدالله بن زياد بن أبيه ، فخرج إلى القتال وهو يرتجز ، ويقاتل حتى قتل :

قَـدْ عَـلِمَتْ مَـالِـكٌ وَدَوْدَانْ ... والْـخِنْدِفِيُّونَ وَمِنْ قَيْسٍ عَيْلاَنْ
بِـأَنَّ قَـوْمِـي آفَـةُ الأَقْـرَانْ ... لَـدَى الوَغَـا وَسَـادَةُ الْفُـرْسَـانْ
فَبَـاشِرُوا الْـمَـوْتَ بِـطَعْنٍ آنْ ... لَسْنَا نَرَى الْعَجْزَ عَنِ الطِّعَـانْ
آلُ عَـلِيٍّ شِـيْـعَـةُ الـرَّحْمَـنْ ... آلُ زِيَـادٍ شِـيْعَـةُ الـشَّيْـطَانْ

مالك بن زغبة الباهلي

هذا شاعر جاهلي يستشهد اللغويون بأبيات من شعره ، كما في رسم (نسأ) و(بور) و(بؤق)، وقد يرد اسم الأب (زغبة) وحده ، ولكن صاحب «منتهى الطلب» أورد له قصيدة طويلة ، وقبله أبو محمد الأسود الأعرابي في «فرحة

(١) «الفتوح» ١٢١/٥ .

الأديب» أورد له أبياتاً من قصيدة أخرى ، إلا أن اسم (زغبة) ورد في مخطوطة «منتهى الطلب» : (زرعة) خلافاً لما في أكثر الكتب التي ذكرت اسم الشاعر .

وقد أورد القصيدة الأخفش الصغير في كتاب «الاختيارين»[1] ونشرها الدكتور يحيى الجبوري في كتابه «قصائد جاهلية نادرة»[2] ورجعنا إلى مصورة عن مخطوطة الأصل[3] وإلى كتاب «الاختيارين»، ولم أر - فيما اطلعت عليه من الكتب - ما أضيفه مما يتعلق بهذا الشاعر .

ورد في النص المنقول من كتاب «فرحة الأديب» جملة من كلام ابن الأنباري جديرة بالوقوف عندها وهي قوله : (رأيته في شعر مالك بن زغبة) فهل تعني أن شعره كان مجموعاً حتى اطلع عليه ابن السيرافي يوسف بن أبي سعيد المتوفى سنة ٣٨٥ - ليس هذا ببعيد !!

وها هو نص القصيدة - كما ورت في «منتهى الطلب» مع إضافة ماورد في «الاختيارين» :

قال مالك بن زرعة[4] الباهلي ثم القُتَبِيّ في بني الحارث بن كعب ونهد وجَرْم في يوم كان بينهم :

نَـأَتْكَ سُلَيْمَى دَارُهـا لا تَـزُورُهَـا ... وَشَطَّ بِهَـا عَنْـكَ النَّـوَى وأَمِيـرُهَـا
وَمَا خِفْتُ مِنْهَا الْبَـيْنَ حَتَّى رَأَيْتُها ... مُيَمِّمَـةً نَحْـو القُـرَيَّـةِ[5] عِـيْرُهَـا
عَـلَيْهِـنَّ أُدْمٌ مِن ظِـبَـاءِ تَـبالَـةٍ ... خَـوارِجُ مِنْ تَحْتِ الْخُدُوْرِ نُحُورَهَـا[6]

---

(١) ١٤٧ - تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة . (٢) ١٦٣ ومابعدها .
(٣) مخطوطة (جامعة ييل) ج ٥ ص ١٤٩/١٥٠ . (٤) كذا (زرعة) .
(٥) القرية : اسم لمواضع متعددة وفي «الاختيارين» رِزْنَ القُرَيَّة . . وفي «اللسان» الرِّزْنُ المكان المرتفع الصلب من الأرض .
(٦) تبالة : موضع لايزال معروفاً بمنطقة بيشة واد ذو قرى ، وأسلم أهل تبالة وجرش من غير حَرْب ، وكان فتحها في سنة عشر وهي مما يضرب المثل بخصبها ، قال لبيد :
فـالضيـف والجـار الجنيب كـأنمـا ... هبـطا تبـالـة مخصبـا أهضـامُهـا
- «معجم البلدان» - تبالة - .

وفِيْهِنَّ بَيْضَاءُ العَوَارِضِ طَفْلَةٌ كَهَمِّكَ لَوْ جَادَتْ بِمَا لا يَضِيْرُهَا
وَمَاكَانَ طِبِّي حُبُّهَا غَيْرَ أَنَّهُ يَقُوْمُ لِسَلْمَى في القَوافِي صُدُورُها
فَدَعْ ذَا ولَكِنْ هَلْ أَتَاهَا مُغَارُنَا بِذَاتِ الْعَرَاقِي إِذْ أَتَاهَا نَذِيْرُهَا
بِمَلْمُومَةٍ شَهْبَاءَ لَوْ نَطَحُوا بِهَا عَمايةَ أَوْ دَمْخاً لَزَالَتْ صُخُورُهَا(١)
يَخُضْنَ بَنِي كَعْبٍ وَيَدْعُوْنَ مَذْحِجاً لِتَنْصُرَنَا كَعْبٌ وَكَعْبٌ شُطُورُهَا(٢)
وَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّ كَعْباً عَدُوّنَا وَأَبْدَى دَفِيْنَ الدَّاءِ مِنْهَا ضَمِيْرُهَا
دَعَوْنَا أَبَانَا حَيَّ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَقَدْ آلَتِ الدَّعْوَى إِلَيْهَا كَبِيْرُهَا(٣)
فَثَارَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ قُتَيْبَةَ عُصْبَةٌ وَمِنْ وَائِلٍ في الْحَرْبِ يَحْمِي نَفِيْرُهَا
فَآبَتْ بنو كَعْبٍ خَزَايَا أَذِلَّةً مِلاءً مِنَ اللحم الْخَبيث حُجُورُهَا
إِذَا خَفَضُ مِنَّا مَسَاقَطَ بَيْتُهُ تَوَاثَبَ كعبٌ ما تُوَارِي أُبُورُهَا
فَدَارَتْ رَحَانَا سَاعَةً وَرَحَاهُمُ نُثَلِّمُ مِنْ أَركَانِهَا ونُدِيْرُهَا
بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ أَصَمَّ مُذَرَّبٍ وَبِالْمَشْرَفِيَّاتِ الْبَطِيْءِ حُسُورها
بِضَرْبٍ يُزِيْلَ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَطَعْنٍ كَإِيْزَاغِ الْمَخَاضِ يَثُوْرُهَا
وَشُعْثٍ نَواصِيهِنَّ يُزْجَرْنَ مُقْدَماً يُحَمْحِمُ في صُمِّ الْعَوَالِي ذُكُورُهَا

(١) قال نصر : عمايتان جبلان العليا اختلطت فيها الحريش وقشير والعجلان ، وعماية القصيا هي لنهم شرقيها كله ، ولباهلة جنوبيها ، وللعجلان غربيها ، وقيل : هي جبال حمر وسود سميت به لان الناس يضلون فيها يسيرون مرحلتين ، وعماية جبل معروف بالبحرين ، وجبل بنجد . «معجم البلدان» رسم (عماية) [هُمَا عَمَايَتَانِ يعرفان الآن باسم الحصاتين ـ مثنى حصاة ـ وسكانهما من قحطان الآن ، وهما عمايتان قديماً] .
دمخ : اسم جبل كان لأهل الرس مَصْعَدَهُ في السماء ميل ، وقيل : جبل لبني نفيل بن عمرو بن كلاب فيه أوشال كثيرة لا تكاد تؤتى من أن يكون فيها ماء ، قال الشاعر :

فيا ليت شعري هل أسيرن مصعدا ودمخ لاعضاد المطي جنيب

والدماخ جبال بنجد ، ويقال : أثقل من دمخ الدماخ ، قيل هو جبل من جبال ضخام في حمى ضرية فالدماخ اسم لتلك الجبال ، ودمخ مضاف إليها . «معجم البلدان» ـ دمخ ودماخ ـ [دمخ لايزال معروفاً من أشهر جبال عالية نجد] .
(٢) في «الاختيارين»: وندعوا بني كعب . (٣) وفيه: حي معن بن مالك .

إذا آنْتَسَؤُوا فَـوْتَ الْعَـوَالِي أَتَتْهُـمُ عَـوَابِرُ نَبْـلٍ كَـالْجَـرَادِ تُـطِيْرُهَـا[١]
فَـمَا إنْ تَـرَكْنَـا بَـيْنَ قَـوٍّ وَضَارِجٍ وَلَا صَاحَـةٍ إِلَّا شِبَاعاً نُسُـوْرُهَا[٢]
وجِئْنَـا بِـأَمْثَـالِ الْمَهَـا من نِسَـائِهِمْ صُـدُورُ الْقَنَا والـمَشْـرَفِيُّ مُهُـوْرُهَـا
ونَهْدِيَّـةٍ شَمْـطَاءَ أَوْ حَـارِثِيَّـةٍ تُؤَمِّـلُ سَيْباً مِنْ بَنِيْهَـا يُغِيْرُهَـا
فَتَنْـظُر أَبْنَاءَ الخَمِيْسِ فَـرَاعَهَـا أَوائِلُ خَيْلٍ لَمْ يُذَرِّعْ بَشِيرُهَـا
فَأَبَتْ إلى تَثْلِيْثَ تَذْرِفُ عَيْنُهَـا وَعَـادَ إِلَيْهَا صَمْغُهَـا وَبَرِيْـرُهَـا
وَذُو تبن إنْ أصعَدتْ مِنْ وَرَائِهَا فقد عرفتْ أجزاعَ ذَالِكَ عِيرُها

(١) انتسؤوا : تأخروا وتباعدوا وكذالك الإبل إذا تباعدت في المراعي ، واستشهد صاحب «الصحاح» بهذا البيت ولم ينسبه وفيه :

إذا انتسؤوا فـوت الـرمـاح اتـتهـم عـوائـر نبـل كـالجـراد نـطيرهـا

ونسبه صاحب «اللسان» إلى مالك بن زغبة الباهلي .
والبيت في «الاختيارين»:

فَلَمْ يَبْقَ وَادٍ بَـيْنَ بَـدْرٍ وصـاحـة ولا تَلْعَـة إلا شبـاعـا نسـورهـا

وأراه أصح ، إذ بدر في بلاد باهلة لايزال معروفاً . وهو بقرب صاحة بخلاف قوّ ، فلا صلة له بهذه المواضع .

(٢) قو : هو منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة يرحل من النباج فينزل قوا ، وهو واد يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج ، وعليه قنطرة يعبر القفول عليها ، يقال لها : بطن قو ، وقال الجوهري : قو بين فيد والنباج ـ وانظر «معجم البلدان» ويعرف قوٌّ هذا الآن باسم [قصيبا بمنطقة القصيم ، ويطلق الاسم على مواضع أخرى] .
وضارج : [موضع لايزال معروفاً في شمال بلاد القصيم ، وينطق العامة الاسم (ضاري)] .
صاحة : اسم جبل أحمر بالركاء والدخول ، وقال نصر : صاحة هضاب حمر لباهلة بقرب عقيق المدينة ـ «معجم البلدان» رسم (صاحة) [صاحة يعرف الآن باسم الحصاة] .
نهدية : من نهد نسبة إلى نهد بن زيد بن ليث بن قضاعة ، وحارثية : من بني الحارث بن كعب .
تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة ، ويوم تثليث من أيام العرب بين بني سليم ومراد ، قال الأعشى الباهلي :

وجـاشت النفس لمـا جـاء فلهـم وراكب جـاء من تـثليـث معتمـر

[تثليث من أشهر أودية جنوب الجزيرة بمنطقة عسير لايزال معروفاً فيه قرى وسكانه من قحطان (مذحج) وكان سيله يفضي إلى وادي الدواسر ـ عقيق تمرة ـ فحالت الرمال دونه] .

والأبيات الثلاثة (ونهدية) ومابعد أوردها صاحب «قصيدة ذات الفروع» مع اختلاف في بعض ألفاظها ، وتقدمت في الكلام على حروب باهلة في الجاهلية .

أما الأبيات التي وردت في «فرحة الأديب»[1]: قال ابن السيرافي ، قال سيبويه في باب المصادر ، قال المرار :

لَقَـدْ عَلِمَـتْ أُوْلَى الـمُغِـيْرَاتِ أنَّـنِي كَرَرْتُ فَلَمْ أَنْكِلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعا

قال ابن السيرافي : وجدتُ في هذا الباب البيت منسوباً إلى الـمَرَّار ، ورأيته في شعر مالك بن زغبة ، وكان بنو ضبيعة قد أغارتْ على باهلة فلحقتهم باهلة وهزمتهم .

قال س[2]: هذا موضع المثل :

وَهَلْ يَشْفِيَنَّ النَّفْسَ مِنْ سَقَمٍ بِهَا غِنَـاءٌ إِذَا مَا فَـارَقَتْ ورُكُـوب

لايكاد يشفي المستفيد ماذكره ابن السيرافي ، سيما والقليل الذي ذكره مختل .

والبيت لمالك بن زغبة الباهلي ، يعني مِسْمَعَ بن شيبان أحد بني قيس بن ثعلبة ، وكان خرج هو وابنُ كدراء الذهلي ، يطلبان بدماءِ من قتلته باهلة من بكر بن وائل ، يوم قُتِلَ أبو الأعشى بن جندل ، فبلغ ذالك باهلة ، فلقوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو قيس ومن كان معها من بني ذهل ، وضُرِب مسمع بن شيبان فأُفْلِتَ جريحاً .

والبيت أول أبيات ، نظامها :

---

(١) ٣٢ . (٢) (س) رمز لاسم المؤلف (الأسود الأعرابي) .

لَقَدْ عَلِمَتْ أُوْلَى الـمُغِيْرَةِ أَنَّنِـي - لَحِقْتُ فَلَمْ أَنْكِلْ عَنْ الضَّربِ مِسْمَعَا
ولو أَنَّ سَيْفِي لَمْ يَخُنِّي صَبِيه[1] لَغَـادَرْتُ طَيْراً تَعْتَفِيـهِ وَأَضْبُعَـا
وَفَرَّ ابنُ كَدْرَاءَ السَّدُوْسِـيُّ بَعْدَمَا تَنَـاوَلَ مِنْهُ في المَكَـرَّةِ مِنْـزَعـا
أَجِئْتُمْ لِكَيْـما تَسْتَبِيْحُوا حَـرِيْمَنَـا فَصَادَفْتُمُ ضَرْباً وَطَعْنـاً مُجَدِّعَـا
فَـأُبْتُمْ خَـزَايَـا صَـاغِـرِيْنَ أَذِلَّـةً شَـرِيْجَةَ أَرْمَـامٍ لأَكْتَـافِكُمْ مَعَـا

وأضاف صاحب «خزانة الأدب»[2] بعد البيت الثالث ثلاثة أبيات هي :

[ومَاكُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ لاَقَى ضَرِيْبَةً فَقَـطَّعَهَـا ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَـطَّعَـا
وَإِنِّي لأُعْدِيْ الْـخَيْلَ تَعْثُرُ بِالْقَنَا حِفَاظاً عَلَى الْـمَوْلَى الْـحَرِيْدِ لِيَمْنَعَا
وَنَحْنُ جَنَبْنَا الْـخَيْلَ مِنْ سَرْوِ حِمْيَرٍ إِلَى أَنْ وَطِئْنَا أَرْضَ خَثْعَمَ نُزَّعَا]

وأورد صاحب كتاب «الاختيارين»[3] الأخفش الصغير لمالك بن زُغْبَة ، هذه القصيدة في يوم الكوم ، وهو لباهلة على بني الحارث ومراد وخثعم ، وأورد قول الأصمعي : هي لجزء بن رياح الباهلي :

أَنُـوْرًا سَـرْعَ مَـاذَا، يـافَـرُوقُ؟ وَحَبْـلُ الْوَصْـلِ مُنْتَكِثٌ حَذِيْقُ
أَلَا زَعَمَتْ عِـلَاقَةُ أَنَّ سَيْفِـي يُفَلِّلُ غَـربَهُ الـرأسُ، الْـحَلِيْقُ
فَلَوْ شَهِدَتْ غَدَاةَ الْكَوْمِ قالَتْ: هُوَ الْعَضْبُ، المُهذْرِمَةُ، العَتِيْقُ
وذَاتَ مَنَـاسِبٍ جَـرْدَاءَ بِكْـرٍ كَـأَنَّ سَرَاتَهَـا كَـرٌّ مَشِيْـقُ
تَـرُدُّ الْعَيْرَ، لا تُنْـدِيْ عِـذَاراً وَيَكْثُرُ عِنْدَ سَائِسِهَا، الْـوَشِيْقُ
تَـرَاهَـا عنـد قُبّتنا، قَصِـيْراً ونَبـذِلُهـا إِذَا بَـاقَتْ بُؤُوقُ[4]

---

(١) في «الخزانة»: ولو أن رمحي لم يخني انكساره .
(٢) ١٣٣/٨ . (٣) ١٩٦ .
(٤) قبل هذا البيت في «لسان العرب» ـ قصر :

تُنِيفُ بِصَلْهَبٍ لِلْخَيْـلِ، عَـالٍ كَـأَنَّ عَـمُـودَهُ جِـذْعُ سَـحُـوقُ

يَنْسُوقُهُم أَبُو طَلْق إِلَيْنَا ... وما يَدْري وَرَبِّكَ ما يَسُوقُ
وجَاؤُوا بِالنَّجائِب مُنْعِلِيْهَا ... تَقَاذَفُها السَّخَاوِيُّ الخَرُوْقُ
كَأَنَّ غُبارهنّ، بكُلِّ وَهْدٍ ... نُباغَةُ مَا يَثُورُ بِهِ الدَّقِيْقُ
وكَانُوا مُهْلِكي الأَبْنَاءَ لَوْلاَ ... تَدَارُكُهُمْ بِصَارِخَةٍ شَقِيقُ
مُظاهِرُ نَثْلَةٍ مَعْهُ أَفَلٌّ ... حُسَامُ الْحَدِّ، مَأْثُورٌ رَقِيْقُ
وما ينفكُّ مَيَّاسٌ مُعَاداً ... عَلَيْهِمْ بَعْدَ نَافِذَةٍ خَسِيْقُ
وَشَكُّوا بالأسنَّة منكبيه ... كَشَكِّ الشُّعْبِ، في الصَّحْنِ، الْفَلِيْقُ
فَلاَقَى ما أَرَادَ، أَبُو حُصَيْنٍ ... لَدَى الجَرْعَاءِ يَفْشَغُهُ الشَّهِيْقُ
يُجَرِّرُ ثَرْبَهُ قَدْ قَضَّ فِيْهَا ... كَأَنَّ بياضه سِبٌّ صَفيقُ
وأَفْلَتَنَا ذُنَيْبُ الرِّيح، رَكْضاً ... وَقَدْ كَادَتْ تَعَلَّقُهُ العَلُوْقُ
عَلَى ذِيْ وَابِلٍ، ثرٍ هزيْمٍ ... تُنَتِّجُهُ الرَّوَاعِدُ، وَالْبُرُوقُ
إِذَا مَا قُلْتُ: أَقْلَعَ أَسْعَدَتهُ ... رَوَايَاهُ، وشُؤْبُوبٌ بَعِيْقُ

وفي «تاج العروس» رسم (بوق): ومما يستدرك عليه: داهيةٌ بَؤُوْقٌ: شديدة، وباقتهم بَؤُوْقُ أصابتهم بوقا، وبؤوقا كقعود، وأَنشد ابنُ بَرِّي لابْنِ زغبة الباهلي:

تراها عند قبتنا قَصِيْراً ... ونبذلها إذا باقت بؤوق

ابن محرز: (أدهم بن محرز الباهلي)

محرز بن أسيد الباهلي

تقدم ذكر نسبه في ترجمته مع الصحابة، فقد عَدَّه ابْنُ حَجَرٍ فيهم، وكان من القواد أَثْنَاءِ الفتوحات الإسلامية، إِذْ كَانَ صاحِبَ رَايةٍ عند فتح مدينة حمص.

وهو القائل في الخضاب :

وَلَـمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ شَيْناً لِأَهْلِهِ   تَشَبَّبْتُ وَابْتَعْتُ الشَّبَابَ بِدِرْهَمِ [1]

محمد بن حازم الباهلي

هذا الشاعر من مشاهير شعراء الدولة العباسية ، وقد نص المرزباني في «معجم الشعراء»[2] أنه مولى لباهلة ، وذكر أنه يقول المقطعات فيحسن ، وقد ولد ونشأ في البصرة كما ذكر ذالك صاحب «الأغاني»[3] ولم يزد في نسبه على قول محمد بن حازم بن عمرٍو الباهلي ، ويكنى أبا جعفر وقد سكن بغداد ، ولم أر فيما اطلعت عليه تحديداً لزمن ولادته ولكن أستاذنا خير الدين الزركلي - رحمه الله - ذكر أنه توفي نحو سنة خمس عشرة ومئتين[4] ، ولاشك أنه تجاوز الخمسين من عمره ، إذ من قوله :

بَلَوْتُ النَّاسَ مُذْ خَمْسِينَ عَاماً   وَحَسْبُكَ بِالْـمُجَرِّبِ مِنْ عَلِيْمِ [5]

ويبالغ ابن المعتز فيصفه بأنه أجود الشعراء لفظاً وألطفهم معنى[6] ، ولاشك أنه يقصد شعراء زمنه الذين عرفهم ، أما الأصفهاني فيقول عنه : شاعر مطبوع إلا أنه كثير الهجاء فَاطُّرِحَ ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون ، ووصفه بأنه ساقط الهمة ، متقلل جدًّا ، يرضيه اليسير ولا يتصدى لمدح ولا لطلب[7] .

ويقول الشابشتي في كتاب «الديارات»[8] : كان محمد بن حازم أحد الشعراء المطبوعين يجيد كل فن يركبه ، ويأتي بالمعاني التي تستغلق على غيره ، وكان أكثر شعره في القناعة ، ومدح التصون ، وذم الحرص والطمع .

---

(١) «الإصابة» - القسم الثالث - ٣٦٧ الطبعة الأولى .
(٢) ٣٧١ .   (٣) ١٤/ ٨٧ ط الثقافة بيروت .
(٤) «الأعلام» ٦/ ٧٥ .   (٥) ١٤/ ٩٧ .
(٦) «طبقات الشعراء» لابن الأثير ٣٠٩ .
(٧) «الأغاني» ١٤/ ٨٧ .   (٨) ٢٧٥/ ٢٨٣ .

وقد تصدى لجمع شعره أحد الأدباء من بلاد الشام هو الأستاذ محمد خير البقاعي ، ونشر ماجمع بعنوان «ديوان الباهلي» وطبع في دمشق سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) .

وهذه مقطوعات من شعره ، مما جمعه الأستاذ البقاعي ، وقد ذكر مصادرها :

قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم الباهلي : مانعيب شعرك إلا أنك لا تطيل . فأنشأ يقول :

أبَى لِي أنْ أُطِيلَ الشِّعْرَ قَصْدِي ... إلى الْـمَعْنَى وعِلْمي بِـالصَّوابِ
وَإيجَـازِي بِمُـخْتَصَرٍ قَـرِيْـبٍ ... حَذَفْتُ بِهِ الفُضُولَ مِنَ الـجَوَابِ
فَـأبْعَـثُـهُـنَّ أرْبَـعَـةً وَخَمْـساً ... مُـثَـقَّـفَـةً بِـألْـفَـاظٍ عِـذَابِ
خَـوَالِـدَ مـاحَـدَا لَيْـلٌ نَهاراً ... وَماحُسْنُ الصِّبَا بِأخِي الشَّبَابِ
وَهُنَّ إذَا وَسَمْتُ بِهنَّ قَـوْمـاً ... كَأطْوَاقِ الْـحَمَائِمِ فِي الرِّقَـابِ
وَهُـنَّ إذَا أقَمْـتُ مُسَـافِـرَاتٌ ... تَهَـادَاهَـا الـرُّوَاةُ مَـع الـركَـابِ

قال الجاحظ[1]: وأُنْشِدتُ لابن حازم يعاتب رجلاً في حجابه :

صَحِبْتُـكَ إذْ أنْتَ لَا تُصْحَبُ ... واذْ أنْتَ لا غَيْـرُكَ الـمَـوْكِبُ
وإذْ أنْتَ تَفْـرَحُ بـالـزائِـرِيْن ... وَنَفْسُـكَ نَفْسُـكَ تَسْتَحْجِبُ
وإذْ أنْتَ تُكْـثِرُ ذَمَّ الـزَمَـانِ ... وَمَشْيُـكَ أضْعَـافُ مَـا تَـرْكَبُ
فَـقُـلْتَ: كَـرِيـمٌ لَـه هِمَّـةٌ ... يَـنَـالُ فَـأُدْرِكَ مَـا أطْـلُبُ
فَنِلْتَ فَـأقْصَيْـتَني عَـامِـداً ... كَـأنِّـيَ ذُو عُـرَّةٍ أجْـرَبُ
وَأصْبَحْتَ عَنْـكَ إذَا مَـا أتَيْـ ... ـتُ دُونَ الوَرَى كُلِّهِمْ أحْجَبُ

(١) «رسائل الجاحظ»: ٢/٦١ .

وقال :

وإنَّ من الإخْوَانِ إخوانَ كَشْرَةٍ وَإخْـوَانَ حَيَّاكَ الإلَـهُ ومَـرْحَبَا
وإخْوَانَ كَيْفَ الـحَالُ، والأَهْلُ كُلُّهُ؟ وَذَالِكَ لَا يَسْوَى نَقِـيراً مُتَرَّبـا
جَـوَادٌ إذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ بمَـالِهِ يَقُولُ: إلَيَّ القَرْضُ، والقَرْضَ فاطْلُبَا
فإنْ أَنْتَ حَاوَلْتَ الَّذِي خَلْفَ ظَهْرِهِ وَجَدْتَ الثُّرَيَّا مِنْهُ فِي الْبُعْدِ أَقْرَبا

وقال :

إذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ (نعم) فَأَتِمَّهُ فَإنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْـحُرِّ واجبُ
وَإلَّا فَقُلْ (لَا) تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا لِئَلَّا يَقُول النَّاسُ إنَّكَ كَـاذِبُ

وقال :

لَئِن كُنْتُ مُحْتَاجاً إلى الْـحِلْم إنَّنِيْ إلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَحَايِيْنِ أَحْوَجُ
وَمَاكُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِدْناً وَصَاحِباً وَلَكِنَّنِي أَرْضَى بِهِ حِيْنَ أُحْـرَجُ
فَإنْ قَالَ قَوْم إنَّ فِيْهِ سَمَاجَةً فَقَدْ صَدَقُوا والذُّلُ بِالْـحُرِّ أَسْمَجُ
وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلم بالحِلْم مُلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجُ
فَمَنْ شَـاءَ تَقْوِيْمِي فَـإنِّي مُقَوَّمٌ وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيْجِـي فَإنِّي مُعْوَجُ

وقال :

وَخِـلٍّ كَانَ يَخْفِضُ لِي جَنَـاحَا أَفَـادَ غِنًى فَنَـابَـذَنِي جِمَـاحَـا
فَقُلْتُ لَـهُ وَلِي نَفْسٌ عَـزُوفٌ إذَا حَمِيَتْ تَقَحَّمَتِ الـرِمَـاحَـا
سَأُبْدِلُ بِالْـمَطَامِـعِ فِيْكَ يَـأْسًا وبالْيَأْسِ اسْتَرَاحَ مَنِ اسْتَرَاحَـا

وقال :

أَشَـدُّ مِـنْ فَـاقَـةٍ وَجُـوْعِ إغْضَـاءُ حُـرٍّ عَـلَى خُضُـوعِ

فَارْضَ مِنَ الدَّهْرِ قُوتَ يَوْمٍ وَأَنْتَ بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ
وَارْحَلْ إِذَا أَجْدَبَتْ بِلَادٌ مِنْهَا إِلَى الْخِصْبِ وَالرَّبِيعِ
لَعَلَّ دَهْراً أَتَى بِنَحْسٍ يَكِرُّ بِالسَّعْدِ فِي الرُّجُوعِ

وقال :

خُذْ مِنَ العَيْشِ مَاكَفَى وَمِنَ الدَّهْرِ مَاصَفَا
حَسُنَ الْغَدْرُ فِي الأَنَا م كَمَا اسْتُقْبِحَ الوَفَا
صِلْ أَخَا الوَصْلِ إِنَّهُ لَيْسَ بِالْهَجْرِ مَنْ جَفَا
خَلِّ عَنْكَ الْعِتَابَ إِنْ خَانَ ذُوْ الوُدِّ أَوْ هَفَا
عَيْنُ مَنْ لا يُرِيْدُ وَصْـ ـلَكَ تُبْدِي لَكَ الجَفَا

وقال :

اضْرَعْ إِلى اللهِ لَا تَضْرَعْ إِلَى النَّاسِ وَاقْنَعْ بِيَأْسٍ فَإِنَّ الْعِزَّ فِي الْيَاسِ
وَاسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِيْ قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنَّ الْغَنِيَّ مَنِ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ
فَالرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ فِي كَفِّ لا غَافِلٍ عَنِّي وَلا نَاسِي
فَكَيْفَ أَبْتَاعُ فَقْراً حَاضِراً بِغِنًى وَكَيْفَ أَطْلُبُ حَاجَاتِي مِنَ النَّاسِ

وقال :

إِنْ كُنْتَ لا تَرْهَبُ ذَمِّي لِمَا تَعْلَمُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ
فَاخْشَ سُكُوتِيْ إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ فِيْكَ لِمَسْمُوعِ خَنَا القَائِلِ
فَسَامِعُ الشَّرِّ شَرِيْكٌ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَأْكُولِ كَالْآكِلِ
مَقَالَةُ السُّوْءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرٍ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
فَلا تَهِجْ إِنْ كُنْتَ ذَا إِرْبَةٍ حَرْبَ أَخِي التَّجْرِبَةِ الْغَافِلِ

فَـإِنَّ ذَا الْـعَـقْـلِ إِذَا هِـجْـتَـهُ   هِـجْـتَ بِـهِ ذَا خَـبَـلٍ خَـابِـلِ
تُـبْصِرُ فِي الْـعَـاجِـلِ شَـدَّاتِـهِ   عَـلَيْـكَ غِـبَّ الـضَّـرَرِ الْآجِـلِ

وقال :

وَإِنِّي لَـذُوْ وُدٍّ لِمَـنْ دَامَ وُدُّهُ   وَجَـافٍ لِمَـنْ رَامَ الْجَـفَـاءَ مَـلُوْلُ
وَإِنَّ امْـرَءًا يَـأْوِي إِلَى دَارِ ذِلَّـةٍ   تَـعَـبَّـدُه فِـيْـهَـا الـرِجَـاءُ ذَلِـيْـلُ
وَفِي الْيَـأْسِ مِنْ ذُلِّ المَطَامِعِ رَاحَـةٌ   وَفِي الـنَّـاسِ مِمَّـنْ لَايُحِـبُّ بَـدِيـلُ

قال ابن الأعرابي : أحسن ماقاله المحدثون من شعراء هذا الزمان في مديح الشباب وذم الشيب :

لَاحِيْنَ صَبْرٍ فَخَلِّ الدَمْعَ يَنْهَمِلُ   فَقْدُ الشَبَابِ بِفَقْدِ الرُّوحِ مُتَّصِلُ
سَقياً وَرَعْياً لأَيَّام الشَّبَابِ وَإِنْ   لَمْ يَبْقَ مِنْهَ لَهُ رَسْمٌ وَلَا طَلَلُ
جَـرَّ الزَّمَـانُ ذُيُولاً فِي مَفَـارِقِهِ   وَلِلزَّمَـانِ عَـلَى إِحْسَـانِـهِ عِلَلُ
وَرُبَّما جَرَّ أَذْيَـالَ الصِّبَا مَـرِحاً   وَبَيْنَ بُرْدَيه غُصْنٌ نَاعِمٌ خَضِلُ
يُصْبِي الْغَـوَانِي وَيَزْهَـاهُ بِشِرَّتِـهِ   شَرْخُ الشَّبَابِ وَثَوْبُ حَالِكٌ رَجِلُ
لاتكْـذِبَنَّ فَمَا الـدُّنْيَـا بِـأَجْمَعِهـا   مِنَ الشَّبَابِ بِيَوْمٍ وَاحِـدٍ بَدَلُ
كَفَاكَ بِالشَّيْبِ عَيْباً عِنْدَ غَانِيَةٍ   وَبِـالشَّبَابِ شَفِيْعـاً أَيُّهَا الـرَّجُلُ
بَانَ الشَّبَابُ وَوَلَّى عَنْكَ بَاطِلُهُ   فَلَيْسَ يَحْسُنُ مِنْكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ
أَمَّا الغَوَانِي فَقَدْ أَعْرَضْنَ عَنْكَ قِلًى   وَكَانَ إِعْرَاضَهُنَّ الدَّلُّ والـخَجَلُ
أَعَرْنَكَ الهَجْرَ مَانَـاحَتْ مُطوَّقَـةٌ   فَلَا وِصَالٌ وَلَا عَهْدٌ وَلَا رُسُلُ
لَيْتَ الْمَنَـايَا أَصَـابتْنِي بِأَسْهُمِهَـا   فَكُنَّ يَبْكِينَ عَهْدِيْ قَبْلَ أَكْتَهِلُ
عَهْدَ الشَّبَابِ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِيْ حَزَناً   مَاجَدَّ ذِكْرُكَ إِلَّا جَدَّ لِيْ ثَكَلُ
إِنَّ الشَبَابَ إِذَا مَا حَلَّ رَائِدُهُ   فِي مَنْهلٍ رَادَ يَقْفُو إِثْرَهُ أَجَلُ

وقال :

لا تُرهِقَنَّكَ ضَجْرةٌ مِنْ سَائلٍ فَلَخيْرُ دَهْرِكَ أَنْ تُرَى مَسْؤُوْلاَ
لا تَجْبَهَنْ بِالْمَنْعِ وَجْهَ مُؤَمِّلٍ فَبَقَاءُ عِزِّكَ أَنْ تُرَى مَأْمُولاَ
واعْلَمْ بأَنَّكَ عَنْ قَلِيْلٍ صَائِرٌ خَبَرًا فَكُنْ خَبَرًا يَرُوْقُ جَمِيْلاَ
يُلْقَى الْكَرِيمُ فَيُسْتَدَلُّ بِبِشْرِهِ وَتَرَى الْعُبُوْسَ عَلَى الْلئِيْمِ دَلِيلا

وقال :

لَلْمَوْتُ أَيْسَرُ عِنْدِيْ بَيْنَ الْقَنَا وَالْأَسِنَّهْ
وَالْخَيْلُ تَجْرِي سِرَاعاً مُقَرِّطَاتِ الْأَعِنَّهْ
مِنْ أَنْ يَكُوْنَ لِنَذْلٍ عَلَيَّ فَضْلٌ وَمِنَّهْ

وهو القائل(١):

إِنَّ الأُمورَ إِذَا سُدَّتْ مَسَالكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتِقُ مِنْهَا كُلَّ مَاارْتَتَجا
لا تيأَسَنَّ وإنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
اطْلُبْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلاَ زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا

محمد بن محمد أبو أمامة الباهلي

قال المرزباني(٢): محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن سَلْمِ بن قُتيبة ابن مسلم ، أبو أمامة الباهلي البصري ، وأُمُّه سُعْدَى بنت عمرو بن سعيد بن سلم بن قتيبة ، وأهله مشهورون بالبصرة ، لهم بها رياسة ، وهو شاعر مُقِلٌّ وكان أزرقَ العين ، وكان يعاشر أبا شُراعة العبسي وله معه أخبار . وله يقول أبو أمامة :

---

(١) «طبقات الشعراء» لابن المعتز : ٣٠٩ . (٢) «معجم الشعراء» ٤٠٧ .

(. . . . . .) لإِخْوَانِي مُعَدٌّ ومَنْزِلِي   لَهُمْ مَأْلَفٌ مَا وَحَّدَ اللهَ مُسْلِمُ
أَرَى ذَاكَ حَتْماً مَاحَيِيْتُ وإِنَّهُ   عَلَى مِسْعَرٍ حَتَّى الْـمَمَاتِ مُـحَرَّمُ

ـ مِسعر : اسم كان أبو شراعة يسمَّى به .

فَلاَ تُطْمِعَنْ فِي (. . .) نَفْسَك إِنَّمَا   نَصِيْبُكَ مِنْهَا النَّصْبُ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ
وَعَوِّلْ عَلَى ٱلإِخْوَانِ وابْتَغِ عَفْوَهُمْ   بِمَا كَانَ، وَاسْتَرْحِمْ لَعَلَّكَ تُرْحَمُ

ولأبي شراعة جواب عنها ، ولأبي أمامة :

وَقَالَتْ وَحَقِّ اللهِ لَوْ أَنَّ نَفْسَهُ   عَلَى الْكَفِّ مِنْ وَجْدٍ عَلَيَّ تَسِيْلُ
لأَرْفِدَهُ شُلَّتْ يَدِي إِنْ رَفَدْتُهُ   بِشَيْءٍ وقد خبّرت حَيْثُ يَمِيْلُ

مسلم بن ربيعة الباهلي

تقدمت ترجمته بين الأمراء ، قال أبو محمد الأعرابي الغندجاني[1] : وقف مسلم بن ربيعة الباهلي بدمشق على مَنْدُوب[2] مُجَلَّلاً مُبْرقَعاً فقال : سابِقٌ ، فابتاعه ، وصنعه ، فأجراه ، فلم يصنع شيئاً ، فباعه ووقف عليه مرة أخرى ، فقال : سابق ، فابتاعه ، ثم صنعه ، فأجراه ، فلم يَصْنع شيئاً ، فباعه ، واشتراه الثالثة ، فصنعه ، فسبق عليه أهلَ دمشق فقال :

نَـظَرْتُ وَمَنْدُوْبٌ عَلَيْـهِ جِلاَلُـهُ   أَمَامَ رِعَالِ الْـخَيْلِ مُسْتَتَلاً يَعْدُو
فَقُلْتُ: جَوَادٌ أَوْ صَبُوْرٌ مُلاَزِمٌ   عَلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى إِذَا بَلَغَ الْـجَهْدُ
فَمَا خَانَنِي لُبِّـي لَدُنْ أَنْ وَزَنْتُهُ   وَبِالْبَابِ أَقْوَامٌ وَلَا بَصَرِيْ بَعْدُ

---

(١) «أسماء خيل العرب وأنسابها» ٢٢٦ .
(٢) (مندوب) اسم فرس مشهور .

ابن المضرب الباهلي: (بديل بن المضرب)

مطرف بن خالد الباهلي

تقدم ذكره في الصحابة ، ونص الكتاب الذي كتبه له رسول الله ﷺ ، بعد فتح مكة ، وأنه وقومه بني قريض كانوا يسكنون بيشة ، وذكر ابن حجر[1] أنه مدح النبي ﷺ بأبيات منها :

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً   عَلَى كُلِّ حَرْفٍ مِنْ سَدِيْسٍ وَبَازِلِ

أبو معدان الباهلي

قال الأزهريُّ في كتاب «تهذيب اللغة»[2]: فقال أبو معدان الباهلي :

جَاءَ الحَزَائِمُ والزَّبائِنُ دُلْدَلاً   لاَ سَابِقِينَ وَلاَ مَعَ القُطَّانِ

فَعَجِبْتُ مِنْ عَمْرٍو وَمَاذَا كُلِّفَتْ   وَتَجِيْءُ عَوْفُ آخِرَ الرُّكْبَانِ

قال : والحزيمتان والزبينتان من باهلة ، وهما حزيمة وزبينة ، فجمعهما ، وتدلدل الشيء وتَدَرْدَرَ إِذَا تحرك . انتهى .

أخت المقصص الباهلية : (ميسون)

أبو المنيع الشاعر

لا أعرف عن هذا الشاعر سوى ماورد في كتاب «صفة جزيرة العرب»[3] من قول الهمداني عندما ذكر آل عصام من باهلة في الكلام على حصنهم في سواد باهلة (عرض القويعية) قال : ومنهم أَبو المنيع ، شاعرٌ من أَهْل عصرنا . ومعروف أَنَّ الهمداني ألف كتابه في أول القرن الرابع الهجري .

---

(١) «الاصابة» القسم الثالث ٤٢٣ .

(٢) ١٤/٦٧ . (٣) ٣١٠ ط دار اليمامة .

ميسون أخت المقصص الباهلية

جاء في «شرح الحماسة» للتبريزي[1] أنَّ مَيْسُونَ قالت الأبيات التالية في أخيها الْـمُقَصَّصِ أخي بني الصموت من عبدالله بن كلاب ، وكان قد خرج أيام فتنة ابن الزبير ، يُصَدِّق مَنْ مَرَّ به من الناس حتى أتى بني قنفذ ، من بني سليم ، فصدقهم ، ثم بعث إلى هلال أخي بني سَمَّالِ بن عوف أن أبعث إلي بابنتك لتمشط رؤوسنا ، وتحدث معنا ، فضرب هلال الرسول ، فركب المقصص في ثلاثة فرسان حتى هجم على الحي ، فثاروا إليه ، وكان معهم فتيان من بني قنفذ، وفي أثناء ذالك حمل المقصص على هلال ، ولم يكن معه سلاح ، فحمل أُثْفِيَّةً ورماه بها فمات ، وانهزم أصحابه ، وفي طريقهم قتلوا رجلاً من بني غيظ ، وحين هدأت الفتنة ركب أولياء المقصص إلى الحجاج وذكروا أمر صاحبهم وأمر الغيظي ، فأهدر دم المقصص وأقادهم بالغيظي ، فقالت أخت المقصص هذه الأبيات :

يَاطُوْلَ لَيْلِي بِالْقَلَيْبِ فَلَمْ تَكَدْ ... شَمْسُ الظَّهِيرَةِ تُتَّقَى بِحِجَابِ
وَمُـرَجِّم عَنْكَ الـظُّنُونَ رَأَيْتَـهُ ... وَرَآكَ قَبْـلَ تَـأَمُّـلِ الْـمُـرْتَـابِ
فَأَفَأْتَ أُدْماً كَالْهِضَـابِ وَجَامِـلاً ... قَدْ عَدْنَ مِثْلَ عَلاَئِفِ المِقْضَابِ
لَكُمْ الـمُقَصَّصُ لاَ لَنَا إِنْ أَنْتُمُ ... لَمْ يَـأْتِكُمْ قَـوْمٌ ذَوُوْ أَحْسَـابِ
فَكِهٌ إِلَى جَنْبِ الْخِوَانِ إِذَا غَدَتْ ... نَكْبَـاءُ تَقْلَعُ ثَـابِتَ الْأَطْنَـابِ
وَأَبُـو الْيَتَـامَى يَنْبُتُـوْنَ بِبَـابِـهِ ... نَبْتَ الْفِرَاخِ بِكَالِيءٍ مِعْشَـابِ

نمير بن قنفذ الباهلي

ترجمه ابن عساكر وقال[2]: شاعرٌ كان في أيام مروان بن محمد ، قال في حرب مروان بعين الْـجَرِّ وغيرها فيما ذكره المدائني وحكاه عنه عبدالله بن سعيد

(١) «شرح الحماسة» للتبريزي ١١٣/٣ و١١٤ . (٢) «تاريخ دمشق» ٦٤٦/١٧ .

القُطْرُبُلِّيُّ ونقلته من خطه :

أَقْـرأً بِعَيْنِيْ قتـل جـبران بعـدمـا رَأى كَفُّـهُ قَـدْ بَـانَ مِنْهَـا بَنَـانُهَا
وَعَـمْـراً سَقَيْنَـاهُ بِـكَـأْسٍ رَوِيَّـةٍ قَنَـاةً مِنَ الْخَـطِّيِّ ذَلْـقٌ سِنَـانُهَا
تَـركْنَـا سِبَـاعَ الْجَـوِّ تَنْهَبُ لَحْمَـهُ مَـهَـازِيـلُهَـا تَـنْـتَـابُـهُ وَسِـمَـانُهَا
وَلَمْ يُنْـجِ مِنْهَا الْكسكـرِيَّ انْهِزَامُـهُ تَـعَـدَّى بِـهِ قَـوْدَاءُ عَـوْجُ لَبَـانُهَا
فَهَلَّا بِعَيْنِ الْجَرِّ ماميت التقى(؟) تـقـصـف في سَـادَاتِ كَلْبٍ بَنَـانُهَا
شَفَى النَّفْسُ يَوْمَ الْعَيْنِ مِنَّا وَسَرَّهَا مَـصَـارِعُـهَـا مَـهْـزُوْمَـةً وَاقْـتِرَانُهَا
تُصَادِفُ مِنْ قَيْسٍ إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَتْ لُيُـوثًـا طَـوِيْـلًا بِـالسُّيُـوفِ قِـرَانُهَا
فَـإِنْ تَـكُ قَيْسٌ قَتَّلَتْ سَـرَوَاتِكُمْ فَـلَيْسَ عَـلَى أَبْنَـاءِ قَيْسٍ ضَـمَـانُهَا
أَبَـاحَتْ حِمَى كَلْبٍ فَـأَصْبَحَ بَهْرَجـاً وَقَـيْسٌ حُمَـاةٌ ذَادَ عَـنْهَـا طِـعَـانُهَا
هُمُ ضَـرَبُوا مَنْ خَـالَفَ الدِّيْنَ عَنْـوَةً بِـأَسْيَـافِهِمْ تُـرْوِيْ نَجِيْعـاً طِـعَـانُهَا

في أبيات غير هذه .

الهرماس بن زياد الباهلي

من بني سَهْم رهط أبي أمامة ، وتقدم ذكره في الصحابة[١]، كان له ابن عم يقال له حبيب بن وائل ، قد وُسِّعَ عليه في المالِ ، فقال فيه أبو سحمة رجزاً ، فأجابه الهرماس :

كُنْ كَحَبِيْبٍ ثُمَّ عِبْـهُ أَوْدَعَـا وَارْق عَـلَى ظَلْعِكَ أن تُلَعْلَعَـا
إِنَّـكَ لَنْ تَعْـدِمَ مِنْـهُ أَرْبَعَـا وَأَرْبَعـاً مِنْ ذَاكَ أَمْـراً سَفَّعَـا

أورد الرجزَ المرزبانيُّ في «معجم الشعراء»[٢].

---

(١) «الاصابة» القسم الثالث: ٦٠٠ . (٢) ٤٧٥ .

أبو هشام الباهلي: (عمرو بن عبد الرحمن)

هلال بن العلاء الباهلي

تقدمت ترجمته مع العلماء ، وقال الذهبي[(١)]: وله شعر رائق ، لائق بكل ذائق ، فمنه :

سَيَبْلَى لِسَانٌ كَانَ يُعْرِبُ لَفْظَهُ فَيَا لَيْتَهُ مِنْ وَقْفَةِ الْعَرْضِ يَسْلَمُ
وَمَا تَنْفَعُ الْآدَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تُقًى وَمَا ضَرَّ ذَا تَقْوَى لِسَانٌ مُعَجَّمُ

وله مما رواه عنه خَيْثَمة بن سليمان :

اقْبَلْ مَعَاذِيْرَ من يَأْتِيكَ مُعْتَذِراً إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيْمَا قَالَ أَوْ فَجَرَا
فَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ وَقَد أَجَلَّك مَنْ يَعْصِيْكَ مُسْتَتِرَا

من أشعار باهلة

طرائف وأشعار مرت بي أثناء مطالعتي ، ذات صلة بهذه القبيلة ، ومن الممكن للمتتبع أن يعثر على غيرها ، وهي مما لم أطلع على نسبته لقائل .

أعرابي باهلي يهجو

قال سعيد بن سَلْمٍ الباهلي[(٢)]: مدحني أعرابي ، فاستبطأ الثواب ، فقال :

لِكُلِّ أَخِي مَدْحٍ ثَوَابٌ يَعُدُّهُ وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابُ
مدحت سعيداً والمديح مهزة فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابُ

وقال شاعر باهلي[(٣)]:

فَما صَحْفَةٌ مأْدُوْمَةٌ بِإِهَالَةٍ بِأَطْيَبَ مِنْ فِيْهَا وَلَا أَقِطٌ رَطْبُ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ١٣/٣١٠ .
(٢) «العقد الفريد» ٤/٤٣ . (٣) «أمالي المرتضي» ١/٣٦٢ و«الموشح» ٤٥٥ .

الباهلــي

تكرر ذكر الباهلي مُعَرَّفاً ولم يَرِدْ ذكر اسمه في كتاب «تهذيب اللغة» للأزهري ولا في غيره مما اطلعت عليه من المؤلفات ، ومما أورد الأزهري[1] : وقال أبو عدنان : قال الباهلي : الْعَرِيَّةُ من النخل : الفاردة التي لا تُمْسِكُ حَملها ، يتناثر عنها ، قال وأنشدني لنفسه :

فَلَمَّا بَدَتْ تُكْنَى تُضِيْعُ مُـوَدَّتِي ... وتَخْلِطُ بِي قَوْماً لِئَاماً جُـدُوْدُهَا
رَدَدْتُ عَلَى تُكْنَى بقيَّةَ وَصْلِهَـا ... ذَمِيْماً فَأَمْسَتْ وَهْيَ رَثٌّ جَدِيْدُهَا
كَـمَا اعْتَكَرَتْ لِـلاَّقِطِيْنَ عَـرِيَّـةٌ ... مِنَ النَّخْلِ يُوْطَى كُلَّ يَوْمٍ جَرِيْدُهَا

قال : اعتكارُها : كَثْرَة حَتِّها ، فلا تأتي أصلَها دابةٌ إلا وُجِدَت تحتها لُقَاطاً من حملها ، ولا يأتي أحد خوافِيَهَا إلَّا وَجَدَ سِقَاطا من أَيٍّ ماشاء . انتهى .

شاعرة باهلية يمامية

قال الأصمعي[2] : قال لي سعيد بن سلم : قدمتْ عليَّ امرأةٌ من باهلة من اليمامة ، فمدحتني بأبيات ماتَمَّ سروري بها حتى نَغَّصَنيها مسلم بن الوليد بهجاءٍ بلغني أنه هجاني به ، فقلت : ما الأبْيَاتُ التي مُدِحْتَ بِها ؟ فأَنْشدني :

قُتَيْبَةُ قَيسٍ سَادَ قَيْساً وَسَلْمُهَا ... فَلَمَّا تَوَلَّى سَادَ قَيْسـاً سَعِيْدُهَـا
وَسَيِّدُ قَيسٍ سَيِّدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... وَإِنْ مَاتَ مِنْ رَغْمٍ وذَلَّ حَسُودُهَا
هُمُ رَفَعُوْا كَفَّيْكَ بِالْمَجْدِ وَالْعُلاَ ... وَمَنْ يَرْفعُ الأَبْنَاءَ إِلَّا جُدُوْدُهَا
إِذَا مَـدَّ لِلْعَلْيَـا سَعِيْـدٌ يَمِيْنَـهُ ... ثَنَتْ كَفُّـهُ عَنْهَا أَكُفًّـا تُرِيْـدُهَا

---

(١) «تهذيب اللغة»: ١٥٧/٣ .
(٢) «الأغاني» ٣٣٢/١٨ .

قال الأصمعيُّ : فقلت له : بأي شيء نغصها مُسْلم ؟ فضحك وقال : كلفتني شطَطاً ثم أنشد :

وَأَحْبَبْتُ مِنْ أَجْلِهَـا الْبَـاخِلِينَ حَتَّى وَمَقْتُ ابْنَ سَلْمٍ سَعِيْدَا
إِذَا سِيْلَ عُرْفـاً كَسَـا وَجْهَـهُ ثِيَاباً مِنَ النَّقْعِ صُفْراً وَسُـوْدَا
أَغَارَ عَلَى الْمَـالِ فِعْلَ الْـجَـوَا دِ وَتَـأْبَى خَـلاَئِقُـهُ أَنْ يَجُوْدَا

شاعر من باهلة ينال إعجاب الخليفة(1)

اسْتُؤْذِنَ لسعيد بن سَلْم على الرشيد ، فقال : يدخل . فسلم عليه وأشار إليه بالجلوس ، فقال : يا أمير المؤمنين غلام أعرابي من باهلة وفد على أمير المؤمنين ما سمعت بمديح لشاعر مثله ، فقال : إنك قد استنبحت هذين الشيخين فَهَيِّئْ لهما أحجارك . فقال : هما يهباني لك يا أمير المؤمنين . والتفت إلى الفضل ، فقال : يدخل الشاعر ، فدخل أعرابي في جبة خَزٍّ ورِدَاءٍ يمانٍ ، قد شدَّهُ على وسطه ، ثم رَدَّ طرفَهُ إلى منكبَيْهِ ، وعَليه عمامة خَزٍّ سوداءُ ، فلما نظر إليه الرشيد تبسم ، ثم أُدْني فسلم ، فرد عليه فقال له سعيد : خذ في شرف أمير المؤمنين ، فأَسْمعه شعراً حسناً ، واستوى الرشيد جالساً ثم قال له : اسمعك مستحسناً ، وأنكرك متهماً ، فإن كنت صاحب هذا الشعر فقل في هٰذين بيتين ، وأشار إلى عبدالله ومحمد وهما عن حِفَافَيْهِ . فقال : يا أمير المؤمنين ، حملتني على الوعْرِ الْقَرْدَدِ ، ورجعتني عن السهل الْـجَدَدِ ، روعةُ الخلافة ، وبَهَرُ الدرجة ، ونفور القوافي على البديهة ، فليمهلني أمير المؤمنين قليلاً ، تتألَّفُ لي نوافر القوافي ، ويسكن روعي . قال : أمهلك وأجعل لك حسن اعتذارك بَدَلاً من امتحانك . قال : يا أمير المؤمنين نَفَّسْتَ الـخِنَاقَ ، وسهلت ميدان السباق ، ثم قال :

---

(1) «مجالس العلماء» للزجاج: ٣٣ و«العقد الفريد» ١/٢٦١ .

بَنَيْتَ بِعَبْـدِ اللهِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ ذُرَى قُبَّةِ الإِسْلاَمِ فَاخْضرَّ عُوْدُها
هُمَـا طُنُبَـاهَـا بَـارَكَ اللهُ فِيْهِـمَا وَأَنْتَ أَمِـيْرَ الْـمُؤْمِنِيْنَ عَمُـودُهَا

فقال : أحسنت بارك الله فيك ، فلا تكن مسألتك دون إحسانك ، فقال : الْهُنَيْدَة[1] ياأمير المؤمنين ، فأمر له بها ، وخلع عليه ثلاث خلع .

ما كُلّ عامٍ روضة وغدير

وقال رجل من باهلة[2]:

رَأَيْتُ رِجَالاً يُكْتَفُوْنَ عَنِ النّدَى كِتَـافَ ٱلأَسَارَى وَالسَّـوامُ كَثِيرُ
يقولون: إن الْعَام أَخْلَفَ نَوْءُهُ وَمَـا كُلّ عَـامٍ رَوْضَةٍ وغَـدِيْرُ

كَأنّ به عن كل فاحشة وَقْرَا

وأورد الجاحظ لِامرأة من باهلة[3]، ونسبها غيره لسالم بن وابصة[4]:

أُحِبُّ الفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَـأَنَّ عَنْ كُلِّ فَـاحِشَـةٍ وَقْـرَا
سَلِيمُ دَوَاعِي الصَّدرِ، لاَبَاسِطاً أَذَى وَلَا مَانِعاً خَيْراً، ولا قَائِلاً هُجْرَا
كَمِثْلِ الفَتَى الذُّهْلِيِّ تَحْسَبُ وَجهَهُ إِذَا مابَدَا في ظُلْمَةٍ طَالِعاً بَدْرَا

حَلّقُوا نواصيكم

وقال المبرد[5]: قال الباهلي يجيب عيينة بن حصْنٍ الفزاريَّ لما هجا بني يعصر :

(١) الهنيدة : مئة من الإبل . (٢) «الوحشيات»: ٢٣١ .
(٣) «الحيوان» ١٦٣/٧ . (٤) «الحماسة» لأبي تمام: ٥٧١/١ .
(٥) «الكامل» للمبرد : ٢٠٦/٢ ، وأبيات عيينة ستأتي في القسم الثاني من هذا الكتاب .

وَكَيْفَ تُحِبُّ الدَّهر قَوْماً هُمَ الأُلَى نَوَاصِيْكُمُ في سَالفِ الدَّهرِ حَلَّقُوا
ألستَ فَزَارِياً عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وإنْ كُنْتَ كِنْدِياً فإنَّكَ مُلْصَقُ

لَسْتُ أمنع سائلا

ولرجل من باهلة(١):

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي فَقُلْتُ: ذَرِيْنِي لَيْسَ شَكْلُكِ مِنْ شَكْلِي
ذَرِيْنِي فَإنِّي لَسْتُ أَمْنَعُ سَائِلاً مَدَى الدَّهْرِ مَعْرُوفِي فَلَا تُكْثِرِي عَذْلِي
بِذَالِكَ أَوْصَانِي أَبِي فَحَفِظْتُهُ وَمَا الْفَرْعُ إلَّا بِالْدعَائِمِ وَالْأَصْلِ
أَأَمْنَعُ مَعْرُوْفِي أَخاً جَاءَ سَائِلاً وَذَا حَاجَةٍ قَدْ مَسَّهُ أَلَمُ الْأَزلِ

أعرابي شاعر يهرب من دائنه

قال الأصمعي(٢) : كان لرجل من يَحْصُبَ على رجل من باهلة دين ، فلما حل دينه هرب الأعرابي وأنشأ يقول :

إِذَا حَلَّ دَيْنُ الْيَحْصُبِيِّ فَقُلْ لَهُ: تَزَوَّدْ بِزَادٍ وَاسْتَعِنْ بِدَلِيْلِ
سَيُصْبِحُ فَوْقِي أَقْتَمُ الرِّيْشِ وَاقِعاً بِـ(قالي قلا) أَوْ مِنْ وَرَاءِ (دَبِيْلِ)(٣)

شاعر باهلي يصف رحيل أحبابه

وقال أبو علي الهجري في كتابه «النوادر والتعليقات»(٤): وأنشدني لبعض باهلة :

---

(١) «الحماسة» لابن الشجري : ١٣٧ ـ ط الهند .
(٢) «عيون الأخبار» ١/٣٦٦ و«العقد الفريد» ٤/٦٦ .
(٣) (قاليقلا) و(دبيل) بلدان . (٤) ٢٥٧ مخطوطة دار الكتب المصرية .

مَــازِلْتُ مِنْ نِيَّـةِ الـحَيَّـيْنِ في أَمَـلٍ حَتَّى رَأَيْتُ غُـرَابَ البَيْنِ قَـدْ حَجَـلَا
وَالبُـزْلُ تَـنْهَضُ بِـالأَحْمَـالِ مُـثْقَلَةً كَـأَنَّمَـا تَـتَّـقِـي جِـلَاتُهَـا وَحَـلَا
أَتْبَعْـتُهُـمْ وَسَرَاةُ (الْـحَـزْنِ) دُونَهُمْ عَيْنًـا تَـرَقْـرقُ فِيهَـا الـدَّمْـعُ أو هَمَـلَا
مَبْلُوَةً بِـالْـقَـذَى لَمْ تُجْـلَ غَـرْبَتَـهَـا قَـدْ ذُرَّ إِنْسَـانُهَا بِـالشَّـوْقِ واكْتَحَـلَا
كَـأَنَّ أَظْـعَـانَهُم وَالآلُ يَـرْفَـعُـهَـا طَـوْراً ويَخْفِضُهَـا طَـوْرًا إِذَا عَسَـلَا
أَثْـلُ تَـنَـاعَمَ فَـالْـتَفَّتْ حَـزَائِـقُـهُ فَـلَا تَـرَى الْعَـيْنُ فِيمَا بَيْنَـهُ خَلَلَا
أَوْ نَـخْـلُ سَـائِـلَةٍ يَعْـلُو رَطَـائِـبَـهُ مَيْـلُ الشَّمَارِيْخِ واللَّوْنَانِ قَـدْ فَصَـلَا

باهلي يصف عزة قومه

قال قتيبة بن مسلم لأعرابي[1] من غنيٍّ قدم عليه من خُراسان: أيُّ بيتٍ قالته العرب أَعَفُّ؟ قال: قول طفيل الغنوي:

وَلَا أَكُـونُ وِكَاءَ الـزَّادِ أَحْبِسُهُ لَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ الزَّادَ مَأْكُـولُ

قال: فأي بيت قالته العرب في الحرب أجود؟ قال: قول طفيل:

يَجِيْءُ إِذَا قِيْلَ ارْكَبُوا لَمْ يَقُلْ لَهُمْ عَوَاوِيُرَ يَخْشَوْنَ الرَّدَى: أَيْنَ نَرْكَبُ

قال: فأي بيت قالته العرب في الصبر أجود؟ قال: قول نافع بن خليفة الغنوي:

وَمِنْ خَيْرِ مَافِيْنَا مِنَ الْأَمْرِ أَنَّنَا مَتَى مَانُوَافِـي مَوْطِنَ الصَّبْرِ نَصْبِرُ

قال: فقال له قتيبة: فما تركت لإخوانك باهلة؟ قال: قول صاحبهم:

وَإِنَّـا أُنَـاسٌ مَـاتَـزَالُ سَـوَامُنَـا تَنَوَّرُ نِـيْرَانَ الْعَـدُوِّ مَنَاسِمُـهْ
وَلَيْسَ لنَـا حَـيٌّ نُضَافُ إِلَيْهِمُ وَلَكِنْ لَنَا عَوْدٌ شَدِيْدٌ شَكَائِمُه
حَـرَامٌ وإِنْ صَلَّيْتَـهُ ووَهَـنْتَـهُ تَأَوَّدَهُ مَاكَانَ فِي السَّيْفِ قَائِمُـه

---

(١) «الأغاني» ١٥/٢٨١ ط دار الثقافة.

الموت خير من حياة الذل

وأنشد أعرابيٌّ من باهلة(١):

[إلى الله أشكو بالمدينة حَاجَةً وأُخْـرَى بِنَجْـدٍ كَيْفَ تَلْتَقِيـانِ]
سأُعْمِلُ نَصَّ الْعِيْسِ حَتَّى يَكُفَّنِي غِنَى المالِ يَوْماً أوْ غِنَى الْـحَدَثَانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْـحُرِّ بِالْإِقْلَالِ وَسْمُ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّـمْ يُلْغَ حُسْنُ حَدِيْثِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا: عَدِيْمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ، بُوْرِكَ الْغِنَى بِغَـيْرِ لِسَـانٍ نَـاطِقٌ بِلِسَـانِ

غيّرَها البلى

وأورد ابن سيده في «المخصص»(٢) لرجل من باهلة :

حَـالَتْ وَحَالَ بِهَـا وَغَـيَّر آيَهـا صَرْفُ الْبِلَى تَجْرِيْ بِهِ الرِّيْحَانِ
رِيْحُ الْـجَنُوبِ مَعَ الشَّمَالِ وَتَارَةً رِهَمُ الـرَّبِيْعِ وَصَـائِبُ التَّهْتَانِ

اللّؤْمُ أكرم منهم ....!!

وقال شاعر من باهلة(٣):

نُبِّئْتُ عُكْـلاً وَحُمَّانـاً تُفَاخِـرُنِـي واللُّؤْم أَكْرَمُ مِنْ عُكْلٍ وَحُمَّانِ
مَا ذَاقَتِ الْـمَجْدَ حُمَّانٌ ولا قَرَعَتْ عُكْلٌ وتَيْمُ عَدِيٍّ بَابَ سُلْطَانِ
وَمَا البَرَاجِمُ إلَّا حَيْضُ عَاهِرَةٍ وَلَا طُـهَيَّـةُ إلا قِـنُّ أَقْـنَـانِ

---

(١) «البيان والتبيين» ١/ ٢٣٤ و«عيون الأخبار»: ١/ ٢٣٩ و«الكامل» ١/ ٣١٥ مع اختلاف في بعض الكلمات . والبيت الأول ورد في كتاب «القرط على الكامل» - ٣٦٦ - وقبله: أول شعر الباهلي عن غير أبي العباس .
(٢) ١٦/ ١٥١ - وفي «اللسان» رسم - دبر - وفيه (ريح الدبور) .
(٣) «الممتع في صنعة الشعر» ١٦٦ ط بيروت .

أبيات شعر متفرقة:

قال رجل من باهلة(١):

أَوْ مُعَبرَ الظَّهْرِ يُنْبِي عَنْ وَلِيَّتِهِ   ماحَجَّ ربُّهُ فِي الدُّنيا وَلا اعْتَمَرا

ولباهلي ونسب إلى غيره(٢):

بَكَيتُ وَمَـا بُكَا رَجُلٍ حَلِيم   عَـلَى رَبْعَـيْنِ مَسْلُوبٍ وَبَـالِ

وأورد سيبويه في «الكتاب» قال: رجل من باهلة(٣):

وَلَقَـدْ أَرَى تَغْنَى بِـهِ سَيْفَـانَـةٌ   تُصْبِي الْـحَلِيمَ وَمِثْلُهَـا أَصْبَـاهُ

يصف منزلاً خلى من أهله ، تغنى به : تقيم . السيفانة : الممشوقة الشبيهة بالسيف . تصبي الحليم : تدعوه إلى الصبى .

---

(١) «الكتاب لسيبويه» ١/٣٠ و«الانصاف» لابن الأنباري ٢/٢٦٩ و«المقتضب» للمبرد ١/٣٨ .

(٢) «الكتاب» لسيبويه وشرحه للشنتمري ١/٢١٤ ط بولاق و«شرح السيرافي» لكتاب سيبويه ٢/١٨ لابن ميادة .

(٣) كتاب «سيبويه» ١/٧٧ تحقيق عبدالسلام هارون .

ومـاذا عـن المثالـب ؟

ومازالت الأشراف تُهْجَى وتمدح !

قل أن توجد قبيلةٌ من قبائل العرب سالمةً من الذم ، لأنَّ الحياة بين تلك القبائل في بلادها على مختلف العصور حياةُ كَرٍّ وفَرٍّ ، وضِرَابٍ وجِلاد ، وحروب متصلة ، قد تحدث لأتفه الأسباب ، وقد تثيرها نخوة لأخذ ثأر ، أو حِمَايَة جار ، أو صيانة ذِمَار ، ومن هنا قل أن تسلم قبيلة من أن تنال من أختها إما بمُصَاوَلَتِهَا بالسيف والسنان ، أو بمطاولتها بالهجو باللسان ، بالصاق المعايب واختلاق مختلف المثالب ، إن حقًّا وإن باطلاً .

وفي هذا الخبر الطريف الذي أورده السمعاني في كتاب «الأنساب»[1] عن الهيثم بن عدي ما يوضح مدى تغلغل الهجاء بين قبائل العرب ، وهو يصور هذا الجانب على حقيقته بصرف النظر عن صحة الخبر أو عدم صحته ، بل أَخْلِقْ به أن يكون من تلفيق الهيثم بن عدي ووضعه ، فقد عرف باختلاق أمثاله من الأخبار ، كما عرف بأنه (شعوبي) مغموز الدين ، على أنَّ الخبر قد أورده المسعودي[2] قبل السمعاني ، منسوباً إلى الهيثم بن عدي الطائي عن يزيد الرقاشي ، وأن يزيد كان يسامر الخليفة السفاح ، فقال له : يا يزيد أخبرني بأظرف ما سمعتَ من الأحاديث . فقال يزيد: يا أمير المؤمنين وإن كان في بني هاشم ! قال : ذالك أعجبُ إليَّ . قال يزيد . ثم أورد القصة مع اختلاف في بعض العبارات ، وجاء في آخر الخبر ما يدل على شكِّ الخليفة السفَّاح فيه ، فقد قال ليزيد : لئن كنت قلت هذا الخبر ونظمت فيها ذكرت هذه الأشعار فلقد أحسنت وأنت سيد الكاذبين ، وإن كان الخبر صِدْقاً وكنت فيها ذكرته محقًّا فإنَّ هذه الجارية العامرية لَـمِنْ أحضرِ الناس جواباً ، وأبصرهم

---

(١) ج ١ ص ٥٤ ومابعدها .

(٢) «مروج الذهب» ٢/٢٢٣ ومابعدها طبعة المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦هـ .

بمثالب الناس . انتهى . وهذا لا يمنع من أن يكون الخبر من اختلاق الهيثم .

ولم أورده إلا لطرافته ، ولاحتوائه على أُهَاجِي قيلت حقيقة ، تدل على أنه قل أن تسلم أية قبيلة من قبائل العرب من الهجو ، إذْ لا يسلم منه إلاَّ من لا عَدُوَّ له ، ومن لاعدو له فهو من الضعف والمهانة بحيث لا يعبأ به .

قال الزيادي والهيثم بن عدي : نزل بامرأة رجل من العرب والمرأة من بني عامر ، فأكرمته وأحسنت قِرَاه ، فلما أراد الرحيل تمثل ببيت يهجوها فيه :

لَعَمْرُك ماتَبْلَى سَرَابِيلُ عامرٍ   منَ اللُّؤْمِ مادامتْ عليها جلودُها

فلما أنشد قالت لجاريتها : قولي له : ألم نحسن إليك ونفعل ونَفْعل ؟ قال : جرى على لساني ، فأبداه وأعاده مراراً ، فخرجت إليه جارية من بعض الأخبية فحدثته حتى أنس واطمأن ، ثم قالت : ممن أنت ياابن عم ؟ قال : رجل من بني تميم ، قالت : أتعرف الذي يقول :

تَميمٌ بِطرقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى من القطا   ولو سَلَكَتْ سبلَ المكارم ضَلَّتِ
أرى الليلَ يجلوه النهارُ ولا أُرى   خلالَ المخازِي عن تميمٍ تجلَّتِ
تميم كجَحْشِ السُّوْءِ يرضع أمه   ويتبعها يَنْزُو إذَا هيَ ولَّتِ
ولو أنَّ برغوثاً على ظهر قملة   يكرُّ على صفَّيْ تميم لولَّتِ
ذبحنا فسمينا فتَمَّ ذبيحُنَا   وماذبحتْ يوما تميم فَسَمَّتِ

قال : لا والله ما أنا من تميم ، قالت : ما أقبح الكذب بأهله ، فَمِمَّنْ أنت ؟ قال : رجل من بني ضَبَّة . قالت : أتعرف الذي يقول :

لقد زرقتْ عيناك ياابنَ مُكَعْبَرٍ   كما كُلُّ ضَبِّيٍّ من اللُّؤْمِ أَزْرَقُ

قال : لا والله ما أنا من بني ضبة ، فقالت : فَمِمَّنْ أنت ؟ قال : رجل من

بني عِجْل ، قالت : أتعرف الذي يقول :

أَرَى الناسَ يُعْطُوْنَ الْـجَزِيْلَ وإِنَّما عطاءُ بني عِجْلٍ ثلاثٌ وأَرْبَعُ
إذا مَاتَ عِجْلِيٌّ بِـأَرْضٍ فَإِنَّمـا يُخَطُّ لـه فيهـا ذِرَاعٌ وأَصْبُـعُ

قال : لا والله ما أنا من بني عجل ، قالت : فممن أنت ؟ قال : من الأزد ، قالت : أتعرف الذي يقول :

فـما جَزِعَتْ أَزْدِيَّةٌ من خِتَانها ولا أَكَلَتْ لَحْمَ القنيص الْـمُعَقَّبِ
ولا جاءها القَنَّاصُ بالصَّيْدِ في الْـخِبَا ولا شَرِبَتْ في جِلْدِ خُوْرٍ مُعَلَّب

قال : لا والله ما أنا من الأزد ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بني عبس ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا عَبْسِيَّـةٌ وَلَـدَتْ غـلامـاً فَبَشِّـرْهَـا بِلُؤْمٍ مسـتفـاد

قال : لا والله ما أنا من بني عبس ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بني فزارة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

لاتَـأْمَنَنَّ فـزارِيًّـا خَلَوْتَ بـه عَلَى قَلُوْصِكَ واكْتُبهَا بِأَسْيَار

قال : لا والله ما أنا من بني فزارة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بَجِيْلَة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

سأَلْنَا عَنْ بَجِيْلَة حِـيْنَ جَاءَتْ لِنُخْـبَرَ أَيْنَ قَـرَّ بِهَـا الْقَـرَارُ
فـما تَـدْرِي بَجِيلةُ إِذْ سَـأَلْنَـا أَقَـحْـطَانٌ أَبُـوهَـا أَمْ نِـزَارُ
فقـدْ وقَعَتْ بجليـةُ بَـيْنَ بَـيْنٍ وَقَـدْ خُلِعَتْ كَما خُلِعَ الْعِـذَارُ

قال : لا والله ما أنا من بَجِيلة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بني نُمَيْر ، قالت : أتعرف الذي يقول :

فَغُضَّ الطَرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلاَبَا
فَلَوْ وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى خَبَثِ الْحَدِيْدِ إِذَنْ لَذَابَا

قال : لا والله ما أنا من نُمَيْر ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من باهلة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا نُصَّ الكِرَامُ إِلَى المعالِي تَنَحَّى الباهِليُّ عن الزِّحَامِ
إِذَا وَلَدَتْ حَلِيلَةُ بَاهِلِيٍّ غُلاَماً زِيْدَ في عَدَدِ اللِّئَامِ
وَلَوْ كَانَ الْخَلِيْفَةُ باهِلِيًّا لَقصَّرَ عَنْ مُسَامَاةِ الكِرامِ
وعِرْضُ البَاهِلِيِّ وإِنْ تَوَقَّى عَلَيْهِ مِثْلُ مِنْدِيْلِ الطَّعَام

قال : لا والله ما أنا من باهلة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من ثَقِيفٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

أَضَلَّ النَّاسِبُونَ أَبَا ثَقِيف فَمَا لَهُمُ أبٌ إلاَّ الضَّلاَلُ
فَإِنْ نُسِبَتْ أَوِ انْتَسَبَتْ ثَقِيْفُ إِلَى أَحَدٍ فَذَاكَ هُوَ الْمَحَالُ
(. . . . .) فَإِنَّ دِمَاءَهُمْ لَكُمُ حَلاَلُ

فقال : لا والله ما أنا من ثَقِيف ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من سَلِيح ، قالت : أتعرف الذي يقول :

فَإِنَّ سَلِيْحاً شَتَّتَ الله شَمْلَهَا (. . .) بِأَيْدِيْهَا وتُعْفِي (. . .)

قال : لا والله ما أَنا من سَلِيح ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من خزاعة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا فَخَرَتْ خُزَاعَةُ في نَدِيٍّ وَجَدْنَا فَخْرَهَا شُرْبَ الْخُمُورِ
وباعَتْ كَعْبَةَ الرحمن جَهْلاً بِزِقٍّ بِئْسَ مُفْتَخَرُ الْفَخُورِ

قال : لا والله ما أنا من خزاعة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بني يَشْكُر ، قالت : أتعرف الذي يقول :

ويشكرُ لا تستطيع الوفاء وَلَوْ رَامَتِ الْغَدْرَ لَمْ تَقْدِرِ
قُبَيِّلَةٌ عَيْشُهَا في الْكِراء لِئَامُ الْمَنَاخِرِ والعُنْصُرِ

قال : لا والله ما أنا من يشكر ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بني أُمَيَّةَ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

وَهَى بِأُمَيَّةَ بُنْيَانُهَا فهانَ على الناسِ فُقْدَانُها
وكانت أُمَيَّةُ فيما مضى جَرِيئًا عَلَى الله سُلْطانُها
فلا آلُ حَرْبٍ أطاعُوا الإلٰهْ ولم يَتَّقِ الله مَرْوَانُهَا

قال : لا والله ما أنا من بني أمية ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من عَنَزَةَ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

مَاكُنْتُ أَخْشَى وَإِنْ كانَ الزَّمانُ لَنَا زَمَانَ سُوْءٍ بِأَنْ تَغْتَابُني عَنَزَهْ
فَلَسْتُ من وَائِلٍ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ مِمَّنْ يَضِلُّ كَمَا قَدْ ضَلَّتِ الْخَرَزَهْ

قال : لا والله ما أنا من عَنَزَة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من كِنْدَة ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا ما افْتَخَرَ الْكِنْدِيّ ذُو الْبَهْجَةِ بِالطُّرَّهْ
وَبِالنَّيْزَكِ والْخُفِّ وبِالأَشْبَاحِ والْحُفْرَهْ
فَدَعْ كِنْدَةَ لِلشَّيْخِ فَأَعْلَى فَخْرِهَا عُرَّهْ

قال : لا والله ما أنا من كِنْدَة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بني أَسَدٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا أَسَـدِيَّـةٌ بَـلَغَـتْ ذِراعـاً فَزَوِّجْـهَا، ولا تَأْمَـنْ (. . . .)
وإنْ أَسَـدِيَّـةٌ خَضَبَتْ يَـدَيْهَـا وَلَّـا (. . .) أَشْـرَكَ وَالِـدَاهَـا

قال : لا والله ما أنا من بني أَسَدٍ ، قالت : فممن أنت ، قال : رجل من هَمْدَانَ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا همـدَانُ دارَتْ يَوْمَ حَـرْبٍ رَحَاهَا فَـوْقَ هَامَـات الرِّجَـالِ
رَأَيْتَـهُـمْ يَحُـثُّـوْنَ الـمَـطَايَـا سِرَاعـاً هـارِبِـيْنَ منَ القِتَـالِ

قال : لا والله ما أنا من هَمْدَان ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من نَهْدٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

نَهْدٌ لِئَامٌ إِذَا مـاحَـلَّ ضَيْفُهُمْ سُوْدٌ وُجُوهُهُم كَـالزِّفْتِ والْقَـارِ
والـمُسْتَغِيْثُ بِنَهْـدٍ عِنْدَ كُـرْبَتِـهِ كَالْمُسْتَغِيْثِ مِنَ الرَّمْضَـاءِ بالنَّـارِ

قال : لا والله ما أنا من نَهْدٍ ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من قُضَاعَةَ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

لا يَفْخَـرَنَّ قُضَاعِـيٌّ بـأُسْـرَتِـهِ فَلَيْسَ مِنْ يَمَنٍ مَحْضاً وَلَا مُضَرِ
مُذَبْذَبِـيْنَ فلا قَحْـطَان وَالِدُهُمْ ولا نِـزَارَ فَسَيِّبْهُمْ إِلَى سَقَـرِ

قال : لا والله ما أنا من قُضاعة ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بني شَيْبَانَ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

شَـيْبَـانُ رَهْطٌ لَهُـمْ عَـدِيْـدٌ وكُـلُّهُـمْ مُـعْـرِقٌ لَئِـيْـمُ
شُـرْبُهُـمْ مـن فُضُـولِ مَـاءٍ يـفْضـل عـن أسره الصَّـمِيْـمُ

قال : لا والله ما أنا من شَيْبان ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من تَنُوخ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا تَنُوخُ قَطَعَتْ مَنْهَلاً فِي طَلَبِ الْغَارَاتِ والثَّارِ
أَتَتْ بِخِزْيٍ من إِلهِ الْعُلَى وشُهْرَةٍ في الْأَهْلِ والجَارِ

قال : لا والله ما أنا من تَنُوخ ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من ذُهْلٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِنَّ ذُهْلاً لا يُسْعِدُ الله ذُهْلاً شَرُّ خَيْلٍ تَظَلُّ تَحْتَ السَّماءِ
طِيبُهُم في الشِّتَاءِ ماتَبْعَرُ الإِبْـ ـلُ وفي صَيْفِهِم عَجَاجُ الفُسَاءِ

قال : لا والله ما أنا من ذهل ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من مُزَيْنَةَ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

وَهَلْ مُزَيْنَةَ إِلَّا مِنْ قُبَيِّلَةٍ لَا يُرْتَجَى كَرَمٌ فِيهَا وَلَا دِيْنُ

فقال : لا والله ما أنا من مُزَيْنَةَ ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من النَّخعِ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا النَّخَعُ اللِّئَامُ غَدَوْا جَمِيْعاً تَدَكْدَكَتِ الْجِبَالُ مِنَ الزِّحَامِ
وَمَاتُغْنِي إِذَا صَدَقَتْ فَتِيْلاً وَلَا هِيْ في الصَّمِيْمِ مِنَ الكِرَامِ

قال : لا والله ما أنا من النَّخعِ ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من طَيِّءٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

وَمَا طَيِّءٌ إِلَّا نَبِيْطٌ تَجَمَّعَتْ فَقَالُوا: (طَيَانا) كِلْمَةً فَاسْتَمَرَّتْ
وَلَوْ أَنَّ عُصْفُوراً يَمُدُّ جَنَاحَهُ عَلى دُوْرِ طَيْءٍ كُلِّها لَاسْتَظَلَّتِ

قال : لا والله ما أنا من طَيِّءٍ ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من عَكّ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

عَكٌّ لِئَامٌ كُلُّهُم أَنَكُّ لَيْسَ لهم مِنَ الْمَلَامِ فَكُّ

قال : لا والله ما أنا من عَكّ . قالت: فممن أنت؟ قال : رجل من لَخْم ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا مَا اجْتُبِيْ قومٌ لفضل قديمهم تباعد فَخْرُ الجود عن لَخْمَ أجمعا

قال : لا والله ما أنا من لخم ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من جُذَام ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا كَأْسُ الْـمُدَامِ أُدِيْـرَ يَوْمـاً لِـمَكْـرُمَـةٍ تَنَحَّى عَنْ جُـذَامِ

قال : لا والله ما أنا من جُذَام ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من كَلْبٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

فَلَا يَقْرَبَنْ كَلْباً ولَا بَابَ دَارِها ولا يَطْمَعَنْ سَارٍ يَرَى ضَوْءَ نَارِهَا

قال : لا والله ما أنا من كَلْب ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بَلْقَيْنٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا ما سَأَلْتَ اللُّؤْمَ أَيْنَ مَحَلُّهُ يُصَبْ عِنْدَ بَلْقَيْنٍ لَـهُ طَرَفَـانِ

قال : لا والله ما أنا من بَلْقَيْنْ ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بني الحارثِ بْنِ كَعْبٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

حـارِ بْنَ كَعْبٍ أَلَا أَحْـلَامَ تَحْجِزُكُمْ عَنَّـا وأَنْتُمْ من الْـجُـوفِ الْـجَمَـاخِيْرِ
لَا عَيْبَ فِي القَوْمِ مِنْ طُولٍ ومن عِظَمٍ جِسْمُ البِغَـالِ وأَحْـلَامُ العصـافِـيْرِ

قال : لا والله ما أنا من بني الحارث بن كعب ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من بني سُلَيْمٍ قالت : أتعرف الذي يقول :

إِذَا مـاسُلَيْمٌ جِئْتَهَـا فِي مُلِمَّـةٍ رَجَعْتَ كَمَا قَدْ جِئْتَ خَزْيَانَ نَادِمَا

قال : لا والله ما أنا من سُلَيْمٍ ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من أهل فارِس ، قالت : أتعرف الذي يقول :

أَلَا قُـلْ لِمُعْتَرٍ وَطَـالِبِ حَاجَـةٍ يُـرِيْدُ لِنُجْـحٍ نَفْعَهَا وَقَضَـاءَهَا
فَلَا يَقْرَبِ الْفُرْسَ اللِّئَامَ فَإِنَّهُمْ يَرُدُّوْنَ مَوْلَاهُمْ بِخُبْثٍ جَـزَاءَهَا

قال : لا والله ما أنا من أهل فارس ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من

الموالي ، قالت : أتعرف الذي يقول :

أَلَا مَنْ أَرَادَ اللُّؤْمَ وَالفُحْشَ والْخَنَا فَعِنْـدَ الْمَوالِي الْـجِيْـدُ والْكَتَفَانِ

قال : لا والله ما أنا من الموالي ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من ولد حام بن نوح ، قالت : أتعرف الذي يقول :

وَلَا تَنْكِحُوا أَوْلَادَ حَامٍ فَإِنَّهُمْ مَشَاوِيْهُ خَلْقِ الله حَاشَى ابْنَ أَكْوَعِ

قال : لا والله ما أنا من ولد حام ، قالت : فممن أنت ؟ قال : رجل من ولد الشيطان الرجيم ، قالت : فعليك لعنة الله ، وعلى الشيطان الرجيم ، أتعرف الذي يقول :

أَلَا يـاعِبَادَ الله هـذا عَـدُوَّكُمْ وَذَا ابْنُ عَدُوِّ الله ابْلِيْسَ خَاسِئَا

قال : الله الله ! أقيليني العثرة ، وانعشيني من الصرعة ! فوالله ما ابتليت بمثلك قطُّ ، قالت : انطلق إلى بعيرك لا صحبك الله ! فإذا نزلت بعدها بقومٍ فلا تعجل بإنشاد الشعر حتى تعلم من هم ، اذهب لافي حفظ الله ولا في كنفه ، قال أبو بكر : قال أبي : قال أحمد بن عبيد : وزادني غير الزيادي والهيثم بن عدي ، قال : أنا رجل من بني هاشم ، قالت : أتعرف الذي يقول :

بَنِي هاشِمٍ عُودُوا إلى نَخَلاَتِكم فقد قَامَ سِعْرُ التَّمْرِ صاعاً بِدِرْهَمِ
فَإِنْ قُلْتُمُ : رَهْطُ النَّبِيِّ صَدَقْتُمُ كَذَاكَ النَّصارى رَهْطُ عِيْسى بْنِ مَرْيَم

قال : أنا من جَرْم ، قالت : أتعرف الذي يقول :

إذا ماتَّقَى الله الْفَتَى وأَطاعَـهُ فلَيْسَ به بَأْسٌ وإنْ كَانَ مِنْ جَرْمِ

قال : أنا من تَيْمٍ ، قالت : أتعرف الذي يقول :

تَرَى التَّيْمِـيَّ يَزْحَفُ كـالْقِرَنْبَى إلَى تَيْمِيَّـةٍ كَعَصَـا الْـمَلِيْـلِ

ولماذا كان لقبيلة (باهلة) نصيبها الأوفر من ذالك ؟!

١ ـ حاكم حقود اشتد حقده ، فأثار عداوة دولته بجميع وسائل إعلامه ، وكان الشعر أبلغها أثراً .

٢ ـ وشارع غوى ، فعوى ، فاستغوى فئاما من الجهال ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ ﴾ .

٣ ـ وقوم موترون كانوا يتربصون الدوائر بواتريهم فسنحت لهم الفرصة .

خَلَّفَ كل ذالك ركاما من الأوهام الباطلة ، ألصقت بقبيلة (باهلة) تخيلها الجهال ـ ومقلدوهم على مر العصور ـ حقائق ، وماهي عند تحرِّي الحقائق سوى خيالات وأكاذيب ، لا ظل لها من الحقيقة .

إن التعمق في البحث عن الأسباب التي أبرزت هذه القبيلة دون غيرها من قبائل العرب بهذا المظهر المزري في نظر كثير ممن يتناولها بالحديث ، ومن بين هاؤلاء علماء أجلاء ، ذوو فضل وقدر وعقل وإنصاف ، وإن محاولة معرفة انطباق أية صفة ذم ـ من دناءة أو حقارة أو استرذال أو ضعة ـ على تلك القبيلة محاولة غايتها الوصول إلى الحقيقة ـ ذالك التعمق وهذه المحاولة يوضحان بمنتهى الصدق والصراحة بُعْدَ هذه القبيلة عن كل ماوصمت به من صفات الذم ، وأنها في جميع أحوالها وأخلاقها في مختلف العصور لا تختلف عن غيرها من القبائل العربية الأخرى ، وأن أوضح الأسباب التي ألصقت بها ما ألصق ، هو الجهل ، بل ليس من المغالاة القول بأن كل الأسباب تنحصر بالجهل وحده .

الجهل أولا بمنزلة تلك القبيلة في العهد الجاهلي بين قبائل العرب ، وكيف كانت حالتها في ذالك العهد .

ثم الجهل ثانياً بما كانت عليه حين شرفت بالإسلام ، وفاز بصحبة المصطفى ﷺ ، ومناصرته من كتب الله له السعادة بصحبته ، من رجالها ، ثم شارك في الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من شارك من قادتها وأبطالها ومجاهديها .

ثم الجهل ـ ثالثاً ـ بالبواعث التي جعلت سهام الذم والاحتقار توجه إليها ـ منذ بدأ توجيه تلك السهام حين سقط بطلها المغوار في عهد سليمان بن عبدالملك بسيوف الغدر والخيانة ، ثم إبراز تلك الجريمة من قبل الدولة بأسرها بالمظهر الذي وجه وسائل إعلام تلك الدولة ، ومنها أبرز شعراء ذالك العصر ، ولعلهم أقوى تلك الوسائل لإيجاد منافذ للنيل من تلك القبيلة ، تَزَلُّفاً إلى القوة الحاكمة بمختلف أنواع التزلف ، وحسبك بشاعر كالفرزدق في سيرورة شعره ، طيلة القرون الماضية .

ثم الجهل ـ رابعاً ـ بموقف (الشعوبيين) إبَّان صولتهم ، واستعار أوار مكرهم ، لا من موقفهم من قبيلة باهلة أو أية قبيلة عربية أخرى ، بل من الأمة العربية كلها ، وبموقف إمامهم أبي عبيدة لا بالنسبة لعالم باهلة (الأصمعي) ، ولا من قبيلته ، بل من جميع العرب .

ويأتي بعد ذالك الجهل المطبق ، أو هو الجهل المركب وهو جهل التقليد ، وهو أسوأ ضروب الجهل .

وسأحاول إيضاح بعض ذالك مما لم يسبق إيضاحه من أحوال تلك القبيلة ، في جاهليتها وإسلامها .

وماهو موقف الدولة ؟

١ ـ وللعصبية القبلية آثارها...

استعر أوار العصبية القبلية في عهد الدولة الأموية ، إذ كان بعض خلفائها يتخذ من إثارة الشقاق بين بعض القبائل ما يروم من ورائه إضعاف بعضها ممن لا يُحِسُّ منه ولاءً صافياً ، وقد يحاول بعضهم إيجاد منافذ لضعضعة الكيان القبلي حين يبدو له من قوته وتماسكه ما يحاذره من عدم الانقياد لحكمه ، كما فعل أحدهم حين حاول ضم قبيلة قضاعة إلى الجذم العدناني ، فأوقع البلبلة والاختلاف بين فروع هذه القبيلة ، وما المعارك الطاحنة التي وقعت في الجزيرة الفراتية ـ في عهد عبد الملك بن مروان ـ بين قيس وتغلب سوى أثر من آثار تلك السياسة التي رسختها الإدارة الأموية ، بكثير من تصرفات قاصري النظر من خلفائها ، فقد يُوَلِّي أحدهم رئيسَ قبيلة عملاً من الأعمال العامة ثم لا يلبث أن يعزله ويولي ذالك العمل رئيساً آخر من قبيلة بينها وبين قبيلة المعزول من الإحن والعداوة ما أوغر الصدور ، فينشأ عن هذا استغلال المنصب للنكاية بتلك القبيلة ، كما حدث من الوليد بن عبدالملك حين عزل يزيد بن المهلَّب وولى مكانه قتيبة بن مسلم ، ولم يكتف بهذا بل وكل إلى قتيبة ـ وبين الرجلين ما بينهما ـ أن يسجنه ، وسواء طغت على قتيبة سورة الرغبة في السيطرة والقهر ، أو تغلب عليه وازع الحكمة في معاملة الرجل ، ولكن الأمر الذي لا مراء فيه أن الشعراء المشايعين ليزيد ، ولقومه الأزد ، اتخذوا من هذا منفذاً واسعاً للوقيعة في قبيلة قتيبة ، كقول أحدهم[1] :

أَقُتَيْبَ قَدْ قُلْنَا غَـدَاةَ أَتَيْتَنَـا ... بَدَلٌ لَعَمْرُكَ مِنْ يَزِيدٍ أَعْوَرُ[2]

(١) «وفيات الأعيان» : ٦ / ٢٩٠ ونسبت فيه لعبدالله بن همام السلولي وأضاف مؤلفه ابن خلكان : ويقال انها ليست لعبدالله وانها لنهار بن توسعة اليشكري .

(٢) (بدل أعور) مثل يقال للمذموم يتولى بعد الرجل المحمود (ابن خلكان) .

إِنَّ الْـمُهَلَّبَ لَـمْ يَكُنْ كَأَبِيْكُمُ   هَيْهَـاتَ شَـأْنُكُمُ أَدَقُّ وأَحْقَـرُ
شَتَّانَ مَنْ بالصَّنْجِ أَدْرَكَ وَالَّذِيْ   بِالسَّيْفِ شَمَّرَ وَالْـحُرُوْبُ تَسَعَّرُ(١)
حُوْلَانُ (بَاهِلَةَ) الْأُلَى في مُلْكِهِمْ   مَاتَ النَّدَى فِيْهِمْ وعَاشَ الْـمُنْكَرُ(٢)

ثم كان أن ولّى سليمانُ بن عبدِ الملك يزيدَ من المهلَّب أعمال قتيبة حين قتل ، فأعاد الكرة بالنكاية في الباهليين ، وسنحت له الفرصة فاستغل انحرافَ الخليفة عن قتيبة وقومه ـ بل الدولة كلها ـ عنهم ، فسامهم سوء العذاب سجناً وتعذيباً وتشريداً ، فما بالك بموقف المرتزقة من الشعراء ومروجي الأكاذِيب والتُّرَّهَاتِ في حقٍّ قبيلة بلغ بها القهر مبلغه ، وتكالبت عليها قوى الشر من كل جانب .

يقول الأستاذ الدكتور عبدالحميد الشلقاني في كتابه «الأصمعي اللغوي»(٣) مشيراً إلى أثر ما وقع بين آل المهلب وآل قتيبة : ومن المرجَّحِ أنَّ ما أصاب باهلة يعود في بعضه إلى الخصومة بين آل المهلب وآل قتيبة بن مسلم الباهلي ، وأنَّ هذه الخصومة مهدت للراغبين في إرضاء آل المهلب أن يطلقوا ألسنتهم في الباهليين ، كما نُرَجِّحُ أن خصوم الأصمعيِّ ـ وقد نَفَسُوا عليه عِلْمَهُ وفَضْلَهُ ـ قد تعمَّدُوا النيلَ منه ، وكَأَنَّ هذا الهجاء رَدُّ فِعْلٍ لما وصل إليه الباهليون من مجد ، وأضاف الدكتور الشلقاني : ونحن نقدم لك لفيفاً من الأعلام والشوامخ ، ينسب جميعهم إلى باهلة . انتهى .

ويمثل هذا علل الدكتور عبدالجبار الجومرد ما قيل في باهلة من أنه تبدو(٤) عليه الصنعة والتعمد في الإهانة مما يدل على أن خصومها أكثروا من هجائها في أواخر العهد الأموي والعصر العباسي الأول لأسباب : أهمها الصراع الدامي بين أسرتي القائدين المهلب بن أبي صفوة الأزدي وقتيبة بن مسلم الباهلي ، والتنافس بينهما . ثم ذكر أثر الشعوبية في ذالك .

(١) يقال : إن قتيبة كان في أول أمره يضرب بالصنج ـ كذا قال ابن خلكان ، وتقدم البيت في ترجمة أبيه مسلم بن عمرو . (٢) يزعم ابن خلكان أن قتيبة كان أحول .
(٣) ١٨ ـ طبع (دار المعارف ، بمصر ١٩٨٢م) . (٤) «الأصمعي ، حياته وشعره» : ٤١ .

٢ ـ الدولة تعادي باهلة ...!!

ليس المقام مقامَ دفاعٍ عن قتيبة بن مسلم الباهلي القائد العظيم الذي ذهب ضحية الغدر والخيانة ، وإيضاح أسباب استشراء العصبية القبلية المقيتة في العهد الأموي ، وماعرف عن الخليفة سليمان بن عبدالملك من حسد وحقد ، وإهانة واستخفاف بكل من برز في أي عمل من أعمال البطولة ، وعلا صيته في مقام المجد والشرف ، وماموقفه مع فاتح الأندلس موسى بن نصير سوى منفذ إلى الجانب المظلم من جوانبه النفسية ، لمن يحاول التغلغل لدراسة تلك الجوانب مما لا محل للاسترسال في التوسع فيه .

ومع أن مؤرخي تلك الحقبة التي عاشها قتيبة في عهدي الخليفتين الوليد وسليمان ابني عبدالملك ، ماكان لكثير منهم أن ينحرفوا عن النهج الذي رسمته الدولة لسياستها انحرافاً قد يوضح بعض الحوادث توضيحاً يجلو جوانب الحق فيها ، إلا أن الممعن في تفهم كثير من النصوص الواردة في مؤلفات بعضهم يبدو له ما يدعو للحيرة والشك في أسباب قتل ذالك القائد ، بل قد تلوح له من خلال العبارات إشارات واضحة بأن الأمر كانَ مُدَبَّراً ، وأن قتيبة لم يخلع سليمان ، فابن جرير ـ إمام المؤرخين من أهل عصره وأوثقهم ـ يقول بالحرف[1] : (وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع) . أي إن قبائل قيس عيلان تنكر كون قتيبة خلع الخليفة ، فاستحق أن يقتل !! وهو ـ حين يورد أخبار قتيبة سائراً في ذالك على ما يتماشى مع الاتجاه العام لأهل ذالك العصر ـ يأتي بأخبار أخرى مغايرة ، وهي ألصق بقتيبة ، وإليه أقرب ـ برواية أناس من عشيرته باهلة (وقال الباهليون . . . وأما الباهليون فيقولون . . .) فَهَل هناك جانب آخر ، لَهُ رأي ؟!

(١) «تاريخ الأمم والملوك»: ٥٢٧/٦ ط : دار المعارف بمصر حوادث سنة ٩٧هـ .

هما سببان لاشك فيهما أديا إلى مصرع قتيبة .

أولهما : عدم رضا الخليفة عنه منذ عهد الخليفة الذي قبله الوليد بن عبدالملك ، وهذا ماحاول كثير من المؤرخين أن يعده من أهم الأسباب التي أودتْ بحياة ذالك البطل ، لقد أصبح سليمان في عهد خلافته يحوك له الدسائس ، ويدبر مختلف الوسائل لزحزحة قتيبة من مركزه القوي ، فكان أن وجد في جند قتيبة وأكثرهم من القبائل التي يتولى رئاستها رجال يطمحون إلى الرئاسة والتقرب من الخليفة ، ووجد فيهم من الاستجابة ما استطاع معه أن يدبر أمر مصرع ذالك الرجل على يد أحد الحاقدين عليه ، وهو رئيس بني تميم وكيع بن حسان بن قيس اليربوعي ، المعروف بابن أبي سَوْدٍ ، وهو كما يصفه أحد قدماء المؤرخين أعرابي جافٍ ، ترفعه الفتنة ، وتضعه الجماعة ، وفيه جفاء وأعرابية ، بحيث كان يدعو بطشت فيبول والناس ينظرون إليه ، وكان رئيس بني تميم في خراسان فعزله قُتيبةُ واستعمل عليهم رجلاً من بني ضَبَّة ، وكان قتيبة قتل تسعة من آل الأهتم التميميين ، فقال وكيع حين قتلهم قتيبة : قتلني الله إن أنا لم أقتلهم[1] .

ووكيع هذا هو الذي سأل الحسن البصري قائلاً : يا أبا سعيد : ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب : أَيُصَلَّى فيه ؟ فقال : ياعجبا ممن يَلَغُ في دماء المسلمين كأنه كلب ، ثم يسأل عن دم البراغيث !! فقام وكيع يتخلج في مشيته كتخلج المجنون ، فقال الحسن : إن الله في كل عضو منه نعمة فيستعين بها على المعصية ، اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك[2]!! .

إذن لم يكن قتل قتيبة لكونه خلع الخليفة فعصاه ، ولكنه كان انتقاماً بسبب

---

(١) «فتوح البلدان» - ص ٥٢٠ - ٥٢٣ - طبعة المنجد .
(٢) «الحيوان» ١/ ٢٢٥ .

عزل رئيس بني تميم ، وقتل أناس منهم ، مما أوغر صدور الجند من هذه القبيلة ، فثاروا عليه . وهذا هو السبب الثاني . يضاف إلى هذا أن قتيبة بغته الأمر بانفلات طاعة القبائل منه ، فأحدث ذالك له من الانفعال مالم يستطع معه كبح غضبه ، بحيث لم يحسن سياسة ذالك الجند الذي كان يتولى قيادته شيوخ من البادية يشرئبون إلى القربى من الخليفة ، وهاهم وقد عرفوا اتجاهه نحو قتيبة وهم يطمعون بأن ينالوا لدى الخليفة الجديد من الحظوة ماحرموا منه في عهد من قبله ، فلم لا يكونون إلْباً على هذا القائد الذي بدا لهم من أسباب جفائه ماأوغر صدور كثير منهم ؟!

وهكذا تم مصرع هذا البطل .

لقد قُضي الأمر فكان ماكان ، إلَّا أن عبرة التاريخ لا تقف عند حد ، ولا ينتهي أمرها ، وبمستطاع كل مؤرخ يحاول الإنصاف والوقوف على الحقائق ، أن لا يكون (إِمَّعَةً) فيعطل فكره وعقله ، ويظهر أمام نصوص المتقدمين من المؤرخين بمظهر المستسلم المنقاد ، أو الحائر المتبلد الذهن ، أو الرافض المنكر ، لا في قضية قتيبة وحدها ، بل في جميع قضايا التاريخ ، منذ عرف تاريخ حتى عهدنا الحاضر .

وتحسن العودة إلى محاولة إبراز بعض آثار سقوط ذالك البطل في ميدان البطولة والشرف .

لقد أصبحت الدولة كلها ـ بعد أن وُصِـمَ بطل تلك القبيلة بالخيانة والغدر ـ تنظر إلى قومه نظرة عداءٍ واحتقار وإهانة :

وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالَتْهُ دَوْلَتُهُ ... وَهُمْ عَلَيْـهِ إِذَا عَادَتْـهُ أَعْـوَانُ

ففتح الشعراء أفواههم ، يتعاوون بهجاء باهلة ، تزلفاً وتقرباً إلى الخليفة ،

والخلافة ، والدولة كلها ، وهذا أبرزهم في ذالك العهد الفرزدق يتباهى ويُفَاخِرُ بما كان جديراً به وبأمثاله استنكاره من التمثيل بقتيبة بعد قتله ، ونقل رأسه من أقصى المشرق إلى دمشق :

وَمَـا مِنْهُـمَا إِلَّا بَعَـثْنَـا بِـرَأْسِـهِ   إِلَى الشَّامِ فَوْقَ الشَّاحِجَات الصَّلَادِمِ

وهاؤلاء أرذال الناس وسُقَّاطُهُمْ يتكالبون على النيل من تلك القبيلة بمختلف الوسائل ، بالسلب والنهب ، والعزل من الأعمال ، والإِلْقاءِ في غياهب السجون مع التعذيب ، قال ابن أعثم الكوفي ـ بعد ذكر قتل قتيبة[1] ـ: وجعل الناس يسلبون من قَدروا عليه من قبائل باهلة ، فأقبل قوم من قيس عيلان إلى عبدالرحمن بن عبدالله القسري . . فذهب إلى وكيع ـ هو ابن أبي سود التميمي قائد الجند الذين قضوا على قتيبة ـ فقال : يا أبا المطرف إنكم قضيتم شأنكم من قتيبة ، فعلى ماذا يُسْلَبُ الناس ؟! قال : فأرسل وكيع مناديه فنادَى في العسكر : ألا مَنْ أَخَذَ شيئًا من سَلَب باهلة فلم يَرُدَّهُ فقد حَلَّ دَمُه . فردَّ الناس ماكان في أيديهم من السلب . انتهى ، ولكن ماهو أثر هذا النداء في نفوس أولئك الذين بيدهم الحلّ والعقد من رجال الدولة الممثلين لاتجاهها ، وما منهم إلا من يرى في قتيبة وأعوانه ـ ومنهم قومه الأدنون ـ خارجين عن طاعة الخليفة . .

لقد قام يزيد بن المهلب ـ وكان موتوراً من قتيبة ، وحاسداً له ، وقد عينه سليمان بن عبدالملك وَالياً لخراسان ، ذالك القطر الواسع الذي كان لقتيبة اليد الطولى في استقرار الحكم الإسلامي فيه ، وانضواءِ أهله تحت ألوية الجهاد لنشر العلم والدين ، وقد كان قتيبة قد وكل إدارة شؤون هذا القطرِ إلى رجال رآهم أهلاً للإدارة ، ولإصلاح أحوال تلك البلاد ، وجُلُّهُم ممن عرفهم قتيبة وممن

(١) «الفتوح» ٧/٢٠٥ .

أُبْلِـيَ أحسنَ البلاء في المعارك التي خاضها ، فماذا فعل ابن المهلب بهاؤلاء الرجال ؟

جعل لا يسمع برجل عمل لقتيبة عملاً إلا بعث إليه وأخذه وقيَّده ، وحبسه ، فأرسل إليه أَبُو الجرباء الغنويُّ من السجن بهذه الأبيات[1]:

بَابْنَ الْـمُهَلَّبِ لاَ تَسُمْنَا خُطَّةً   قد كُنْتَ تَكْرَهُهَـا وأَنْتَ أسِيْرُ
إنَّ الْفَضِيْلَةَ كَـاسْمِهَا أُكْـرُوْمَـةٌ   وَلَهَـا حُبُـور، بَـيِنٌّ، وسُـرُوْرُ
واصْفَحْ بَعَفْوِكَ عن ذُنُوْبِ سَرَاتِنا   إنَّ الـمُسَـامِحَ ذَنْبُـه مَغْفُـوْرُ
وافْعَلْ كَمَا فَعَلَ الْـمُهَلَّبُ قَبْلَكُمْ   فِيْمَنْ وَلاَهُ وَسَيْـفُـهُ مَشْـهُـورُ

أتراه أَصاخ لهذا التَّضَرُّع ؟ وهَلْ من أخلاق الجبابرة الطغاة الإصاخة لغير القوة ؟!

٣ - وعداوة الشعراء بئس المقتنى !

لعل أعنف تلك الوسائل ، وأعمقها تغلغلا في النيل من هذه القبيلة الكريمة هو الشعر ، لأسباب: منها سيرورته ، وسهولة انتقاله في كل زمان ومكان ، ومنها كونه أداة لا يستغني عنها أي معني بجانب من جوانب الثقافة ، من العلماء واللغويين والفقهاء ، بَلْهَ الأدباء والشعراء الذين لا تجهل مكانتهم في المجتمعات على اختلاف أنواعها ، ولهذا كان الباب الواسع الذي سهل الدخول منه لثلب تلك القبيلة بما ليس فيها لِكُلِّ من رام ذالك ، يضاف إلى هذا أن الشاعر قد يلبس شعره حللا من الزيف والخداع تجعل له موقعاً مستحسناً في السمع ، ولوطة وانجذاباً ورغبة في النفس ، فيسير مسير المثل الذي يكرر إيراده غير مقصود منه ما يُعْنَى به ، وما وضع له أو مَنْ وضع فيه .

(١) «الفتوح» ٢١١/٧ .

ولا ينبغي للباحث أن يتجاهل منزلة الشعر عند العرب في العهود الماضية حين كانوا يتخذون منه الأداة القوية في حماية أعراضهم ، وفي النيل من أعدائهم ، وحين كانت منزلة الشاعر فيهم تسامي منازل فرسان الهيجاء ، ومغاوير الحرب ، وأبطال اللقاء ، بحيث كان تأثيره في تلك العهود لا يقل عما لوسائل الإعلام في هذا العهد ، كالإْذاعتين المرئية والمسموعة والصحافة ـ من أثر ، بل لقد كان في غابر الأزمان أقوى من تلك الوسائل ، وأوسع سيرورة ، حين كانت أسواق العرب ومحافلهم العامة منتشرة في بلادهم ، يتخذ منها الشعراء منتدياتٍ لنشر أشعارهم ، فتتناقلها الرواة بين القبائل ، في شمال الجزيرة وجنوبها ، وبين شرقها وغربها ، بل تتجاوز تلك الأنحاء لتبلغ جميع الناطقين بالضاد خارج الجزيرة .

لهذا فليس من المستغرب القول بأنَّ بالشعر ومنه وجدت المنافذ المتعددة لوصمة هذه القبيلة بما ليس فيها ، فالشعر ـ في أصله ـ أثر من آثار الخيال ، وأكذبه أعجبه ـ كما قالوا قديماً ـ والشعراء أنفسهم كانوا أضعفَ الناس أخلاقاً ، وأقلهم اكتراثاً في مقام الهجاء بمعايير الكرامة كالصدق والعفة ، وطهارة القول ، وهم حينما يريدون الدفاع عن حوزة من يدافعون عنه يسعون جاهدين على الإتيان بأبشع ما يؤثر في السامع ـ إنْ صِدْقاً وإنْ كَذِباً ـ وما قصة لبيد بن ربيعة العامري الشاعر الصحابي في التنفير من الأكل من نِدِّهِ الشاعر :

مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تأْكُلْ مَعَهْ
إِنَّ اسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ
وإنه يُدْخِلُ فِيْهَا أُصْبُعَهْ
يُدْخِلُهُ حتَّى يُوارِيْ أَشْجَعَهْ
كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئاً أَوْدَعَهْ

ولعل المتتبع لجميع ما أُثر عن الشعراء المتقدمين في باب الهجاء ، في العهد الجاهلي وفي صدر الإسلام لا يجد فيه ما يبرز ذمًّا أو عيباً صحيحاً في المهجو ، فرداً كان أو قبيلة ، وإنما أكثر ذالك النوع من الشعر يعتمد على تزويق الكلام ، والتلاعب بالألفاظ ، وإنْ أردت الحقيقة واضحة فقل : والرَّمي بالزور والبهتان ، ولكن العجب كل العجب أن يكون له ذالك الفعل القوي في التأثير في المجتمعات العربية بتلك الصورة التي أبرزتها كتب الأدب .

قال الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين»(١) : وما علمتُ في العرب قبيلة لقيتْ من جميع ماهُجِيتْ به مالقيتْ نميرٌ من بيت جرير ، ويزعمون أنَّ امرأةً مرت بمجلسٍ من مجالس بني نُمير ، فتأمَّلها ناسٌ منهم ، فقالت : يابني نمير لاقولَ الله سمعتم ، ولا قولَ الشاعر أطعتهم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِم ﴾(٢) وقال الشاعر :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُمَـيْرٍ فَـلاَ كَعْبـاً بَلَغْتْ وَلاَ كِـلابَـا

وأَخْلِقْ بهذا الحديث أن يكون مُوَلَّداً ، ولقد أحسنَ من وَلَّده ـ ثم يضيف الجاحظ ـ: وفي نُمير شرف كبير ، وهل أهلك عَنَزَة وجَرْماً وعُكْلاً وسَلُولَ وباهِلَةَ وَغنِيًّا إلاَّ الهجاء !! وهذه قبائلُ فيها فضلٌ كبير ، وبعضُ النقص ، فَمَحَقَ ذالك الفضلَ كله هجاءُ الشعراء ، واسترسل في الكلام في هذا الموضوع .

إذَنْ كان الهجاء بالشعر هو الذي محق مالتلك القبائل من فضل ، فطغى بزوره وبهتانه وقوله المبهرج وما ذالك إلا لسيروته ، وخفته على الألسن ، واتخاذه في المجالس والمحافل العامة مَدَارَ سَمَرِ القوم ، وموضوع تنادمهم وأنيسهم في اجتماعاتهم .

---

(١) ج ٤ ص ٣٦ .
(٢) سورة « قد أفلح المؤمنون » الآية الـ (٣٠) .

ولسائل أن يتساءل : ولماذا اختصت باهلة بتأثير الهجاء إلى عصرنا دون تلك القبائل الأخرى الكثيرة التي هُجِيت بأَمَضَّ مِمَّا هجيت به باهلة ؟ بل لماذا أصبحت باهلة كأنها المعنية بكل هجو دون خمس القبائل التي عَدَّهَا الجاحظُ معها فقد عدَّ : عَنَزة وجَرْماً وعُكْلاً وسلولَ وغَنِيًّا ؟

إن ذالك - فيما أرى - يرجع إلى أن هذه القبائل لم يَتَنَامَ ذكرُها ويعلو صيتها ، ويبرز من رجالها من يبرز في عمل من أعماله ليرتفع ذكر قبيلته كما حدث لقبيلة باهلة ، ولعل إشارة الجاحظ توضح ذالك حين قال(١) : ونحن إذَا قلنا ليس في قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم ، قال قائل : فزارة أشرف من باهلة ، قلنا : ليس هذه معارضة ، فإنما المعارضة أن تذكر أسماء بن خارجة ثم تقول ونقول ، فنذكر فتوح قتيبة العظام ، والشهامة ، والنفس الأبية والشجاعة والحزم والرأي والوفاء وشرف الولاية ، ونذكر سؤدد أسماء وجوده ونواله ، فأما أن تتخطى أنفسها إلى قبائلهما كما تخطيت بدن المهلب وبدن مِخْنَف إلى أزد عمان ، وأَزْد السَّرَاة فهذا ليس من معارضة العلماء انتهى . فكأن معنى قوله هذا أن مجد قبيلة باهلة امتد بما لقتيبة من مآثر هي لا تقاس بجود أسماء بن خارجة الفزاري وكرمه ، بل تفوق ذالك ، ولهذا كان من آثار مالمشاهير الباهليين كقتيبة في القيادة والأصمعي في العلم - ما ظلَّ يتنامى مُحْيِيًا للقبيلة نفسها ، ومسبباً لها من الحقد والحسد ما ألصق بها أسوأ الأوصاف - مما سيأتي تفصيله - بخلاف تلك القبائل التي أصيبت بخمول في العهود الماضية ، وقد تنفضه عنها يوماً من الأيام ، كما حدث لقبيلة (عنزة) التي عدها الجاحظ بين تلك القبائل التي (أهلكها) الهجاء وفيها فضل كبير ، فقد هبت من غفوتها حين برز منها من كان سبباً ، لافي إيقاظها وحدها من سباتها بل بإحياء مجد الأمة العربية - بل

(١) «رسائل الجاحظ» ج ٢ ص ١١٨ .

المسلمين كلهم ـ إنه الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ـ وكفى ! .

ولا أتهم الجاحظ في علمه فأزعم أن عده (عنزة) بين القبائل التي (أهلكها) الهجاء بحاجة إلى تعمق بحث ، إذْ لم أر في شيء من مؤلفاته ولا من مؤلفات غيره من العلماء مما اطلعت عليه هجواً لقبيلة (عَنَزَة) .

والعجيب أن مؤلف كتاب «الممتع في علم الشعر وعمله»[1] أورد نحو هذا وكأنه يترسم خطا الجاحظ حين تعرض لهذا الموضوع ، ولكنه لم يذكر قبيلة عنزة بين تلك القبائل ، بل أضاف قبائل أخرى فقال : فأما من وضعه الشعر من القبائل وقصر به ، حتى صار مثلاً ، وإن كان فيهم خير كثير ، وشرف وفرسان فباهلة وغنيٌّ وعُكْلٌ وسَلُول ومحارب وجَسْر وتَيْم ، والْـحَبَطَات بن عمرو بن تميم ، انتهى . ثم استرسل صاحب «الممتع» في الكلام قائلاً : هذا على أَنَّ لباهلة في الإسلام شرفاً باذخاً ، ومنهم رجال لهم صِيْت ، وفيهم كرم ومروءة ودين ورئاسة ، ومنهم أبو أُمامة الباهلي، ثم استمر في ذكر بعض من تقدم ذكرهم من مشاهير القبيلة .

وقد نقل الوزير المغربي رأْياً حول مادعاه استرذال العرب غنيًّا وباهلة ، ورد في ترجمته من كتاب «بغية الطلب» لِابْنِ الْعَديم الحلبي ، وأورده ابنُ خلكان في «وفيات الأعيان» ونصه ـ عند ابن العديم[2] ـ: قال الوزير المغربي: وحدثني أبي قال : سألت الحسين بن بكر الكلابي النسابة قال : وكان أحفظ خلق الله

---

(١) «الممتع» تأليف عبدالكريم بن إبراهيم النهشلي القيرواني المتوفى سنة ٤٠٣ تحقيق الدكتور منجي الكعبي ، نشر الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) وقد أُثِيْرَ خلاف حول هذا الكتاب : مؤلفه واسمه . فألف الدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة كتاباً اسمه «المقنع في أن هَدْي كامل المبرد ليس «الممتع» طبع سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) في الرياض .

(٢) ج ٤ ص ٩١ ـ وانظر مقدمة «أدب الخواص».

لأنساب العرب وأخبارها ، ومثالبها ومناقبها عن السبب في استرذال العرب غنياً وباهلة فقال : إن فيهما ـ والله لفضْلاً غزيراً ، وفخراً كثيراً ، غير أنه غمره فضلُ أخويهما فزارة وذبيان من غطفان بن سعد بن قيس عيلان . أما ابن خلكان فأورد الخبر منسوباً إلى «أدب الخواص» وليس في الجزء الذي وصل إلينا من هذا الكتاب قال : سئل حسين بن بكر الكلابي عن اتضاع غني وباهلة عند العرب فقال : لقد كان فيهما غناء وشرف ، ولم يضعهما إلا إشراف أُخويهما فزارة وذبيان عليهما بالمآثر ، فَدَنُؤُوْا بالإضافة إليهما ، وللقارئ المنصف أن يتساءل عن ذالك الاسترذال أو الدناءة متى وصفت بهما القبيلتان ؟ ومن الذي وصفهما بهما ، بل ماهو نوع الاسترذال وماهي الدناءة ؟ ليس كل ذالك سوى أصداء لتلك الحملات الشرسة على هذه القبيلة منذ أن نظرت إليها الخلافة الأموية في عهد سليمان بن عبدالملك نظرة كراهية وبغض ، فتعاورتها سهام الذم والهجاء من شعراء ذالك العهد ، ثم استعرت نار العداء لما تكالب عليها الشعوبيون في عهد هارون الرشيد ، حين وقع الخلاف بين العالم اللغوي الأصمعي الباهلي ونِدِّهِ أبي عبيدة مَعْمَرِ بن المثنى الشعوبي ، والدولة في ذالك العهد يصرف شؤونها الشعوبيون ـ كالبرامكة وغيرهم ـ ممن لَفَّ لفهم من أعداء العرب الموتورين منهم ، والحاقدين عليهم ممن وجدت فيهم أفكار ذالك الشعوبي تربة خصبة لتنمية بذور الكراهية والبغضاء في تلك التربة التي لم يمض على غرس بذور الكذب ووصم تلك القبيلة بما هي منه بريئة سوى زمن يسير ، لم يكن ذا أثر في طمس آثار تلك الهجمة الشرسة ، التي تمثلت وبرزت بعداء الدولة ، وتَصَدِّي شعراء ذلك العصر لتجسيم أسباب ذالك العداء بالزور والبهتان ، وللشعر خلوده مدى الأجيال وهو ـ وإن تمثلتْ فيه الحكمة ، وعُدَّ ديواناً لمناقب العرب ومفاخرهم ، إلا أنه غالباً ما يقوم على أساس زخرفة القول

وبَهْرَجَتِهِ ، محاولة للتأثير في السامع بحق أو بباطل ، وكثيراً ماكان وسيلة إغواء وتضليل ﴿ وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ • أَلَـمْ تَرَ أَنَّهُـمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ • إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا الله كَثِيراً ، وَٱنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَاظُلِمُوْا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوْا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[1] وأين الإيمان والصلاح لمن يقول[2]:

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانِ عُمْـرِيْ وَلَسْتُ بِـآكِلٍ لَحْمَ ٱلْأَضَـاحِي
وَلَسْتُ بِقَـائِمٍ كَـالْعَبْـدِ يَـدْعُـو قُبَيْلَ الْفَجْرِ: (حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ)

وأين التقوى والعفاف ممن يقول في مقام الافتخار بالفسق والدعارة[3]:

هُمَا دَلَّتَانِـي مِنْ ثَمَـانِينَ قَـامَةً كَمَا انْقَضَّ بَازٍ أَقْتَمُ الرِّيْشِ كاسِرُهْ

وعلى أساس أهاجي هذين الشاعرين وأضرابهما من الشعراء ، ومن أصداء ماتردد في شعرهما مما ألصقاه بهذه القبيلة من المعايب زوراً وبهتاناً ، نُظِرَ إليها بتلك النظرة التي لم تنشأ عن عمق إدراك أو ثبت ، ولكنها ـ مع ذالك ولحاجة في نفوس الأعداء ـ وجدت في استعار أوار الشعوبية بعد قيام الدولة العباسية مازادها سوءًا وعمقاً واستمراراً ، وكان لأبي عبيدة وتلامذته ومريديه من شعراء عهده ومن لَفَّ لفهم من أعداءِ العرب أقوى الأثر في تعميق تلك النظرة السيئة ، لا لإدراك الحقيقة ولكن لتجسيمها لقد أثارها أبو عبيدة شعواء ضد نده الأصمعي في أول الأمر ، فاستطاع بنفوذ مريديه في تصريف شؤون الدولة أن يبعد النِّدَّ عن دار الخلافة ، ومن ثَمَّ بدا غرضاً للسهام ، تتعاوره من كل جانب ، ولم يكتف بذالك بل اتجه إلى قبيلته (باهلة) فألف في مثالبها كتاباً

---

(١) سورة الشعراء ـ الآيات (٢٢٤/٢٢٥/٢٢٦/٢٢٧) .
(٢) «شعر الأخطل»: ١٥٤ .
(٣) للفرزدق وقد رد عليه جرير بقوله :
تَـدَلَّيْتَ تَـزْنِي مِنْ ثَـمَانِينَ قَـامَـةً وقَصَّرْتَ عَنْ بَاعِ العُلَى وَالـمَكَارِمِ
«النقائض»: ٣٩٨ .

ترددت أصداء ماحشر فيه من الأوهام والأباطيل فيما نظمه شعراء ذالك العصر ، وجلهم من الشعوبيين الذين وُتِرُوا بما حل بأسلافهم إبان انسياح الجيوش الإسلامية التي قادها العرب لفتح بلادهم ، فامتلأت نفوسهم حِقْداً وكراهية للعرب ، فلا بِدْعَ أَنْ لا يقف شيخهم عند حدِّ النيل من قبيلة واحدة بل تصدَّى فألف في مثالب العرب كلهم ، وبلغ به الأمر أن نالَ من جناب المصطفى - عليه الصلاة والسلام - كما ذكر صاحب «الفهرست» في ترجمته وملأ مؤلفاته الأخرى بكل ما ينضح بما امتلأ به قلبه من بغض العرب من الأخبار ، وسار على شاكلته في ثلب باهلة بعض من ألف في اللغة والأدب ، بقصد أو بدونه - كالمبرد في كتابه «الكامل» الذي لانكران أنه من أصول كتاب الأدب ، إلا أنه يحوى أشعاراً وأخباراً من ذالك القبيل ، ماكان أجدر هذا الكتاب أن يخلو منها وصدق الله العظيم : ﴿ وَلَوَ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوْا فِيْهِ اخْتِلَافاً كَثِيْراً ﴾(١) .

٤- من أقدم ما هجيت به (باهلة)

ولقد حاولت أن أدرس جميع ما اطلعت عليه في أمهات كتب الأدب والتاريخ وغيرهما من المعايب التي وصمت بها هذه القبيلة والمثالب التي عيرت بها ، ووقفت من ذالك موقف من يحاول الوصول إلى الحقيقة مجردة من كل غاية أو هدف ، إلا ليكون موقفي من جميع ذالك موقف المنصف ، فلا أنفي عنها صفة ذم عُرِفَتْ بها وثبتت عنها ، ولا أضيف إليها منقبة ليست لها .

وحاولت ما استطعت أَلَّا أهمل شيئاً مما اطلعت عليه مما ورد في تلك المؤلفات عن تلك القبيلة منذ أن عرفت من أقدم عصورها إلى عصرنا الحاضر ، وأقولها كلمة حق : إنني لم أجد فيما اطلعت عليه وصمة سوءٍ ملصقة بهذه القبيلة ولها

(١) سورة «النساء» الآية ٨٢ .

أصل ، بل لم يزد كل ما وصفتْ به أو أُضيف إليها من مثالب ، على ما ألصق بغيرها من القبائل ، إلا أن هناك من الأسباب ما أبرز هذه القبيلة بين غيرها من القبائل بذالك المظهر المزري ، وقد عرف هذا منذ آخر القرن الأول الهجري ، ثم استشرى وزاد ضراوة في آخر القرن الثاني ، وأول القرن الثالث حيث وجد من علمائها من بَرَّزَ بين معاصريه ، فناله حسد كثير منهم ، وكراهية آخرين كانوا حاقدين على العرب بصفة عامة وهم الشعوبيون .

ولم أجد فيما اطلعت عليه من مؤلفات ما يتعلق بذم قبيلة باهلة في العصر الجاهلي سوى بيت تكرر ذكره كثيراً في مؤلفات متأخرة ، وقد نسب إلى بشر بن أبي خازم الأسدي وذالك البيت هو[1]:

وَمَا يَنْفَعُ ٱلأَصْـلُ مِنْ هَاشِمٍ ... إِذَا كَـانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَـاهِلَة

ولقد تتبعت ديوان بشر فلم أجد فيه هذا البيت ، وإنما وجدت أبياتاً منسوبة إليه تدل على أنه كان يرى قبيلة باهلة نِدًّا لقبيلته بني أسد ، فقد جاء في ديوانه مانصه[2] :

إِنَّـا وَبَـاهِلَةَ بْنَ يَعْصُرَ بَيْنَنَـا ... دَاءُ ٱلضَّرَائِـرِ بِغْضَـةٌ وتَقَـافِـي
مَنْ يَثْقَفُـوا مِنَّـا فَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... أبداً وَقَتْلُ بَنِـي قُتَيْبَـةَ شَافِـي
بَلَّتْ قُتَيْبَـةُ في النِّواءِ بِفَـارِسٍ ... لَا طَائِـشٍ رَعِشٍ وَلَا وَقَّـافِ

إنه يقول بأن بين القبيلتين مابين الضرائر من البغض والتحدث بـ (القفو) وهو الذم والرمي بالقبيح ، وفي البيت الثاني ما يدل على اعتراف الشاعر بشجاعة باهلة ، وأن من يظفروا به من بني أسد فليس بمفلت منهم ، كما أن

---

(١) انظر هذا البيت غير منسوب في «الأنساب» للسمعاني ٢ /٧٠ و«وفيات الأعيان» ٣/٢٥٣ .
(٢) ديوان بشر : ١٦٠ .

من يظفر به بنو أسد من بني قتيبة بنَ معن بن مالك بن أعصر ـ وهم بطن من باهلة ـ فإنهم يشتفون بقتله .

وعلل ذالك في البيت الثالث بأن بني قتيبة قتلوا من بني أَسَدٍ فارساً ليس وَقَّافاً وهو المحجم عن القتال ، ولا طائشاً رعشاً وهو الجبان ، وفي هذا مدح لباهلة بقتل ذالك الشجاع المشهور من بني أسد .

على أن الأبيات المذكورة نسبت لغير بشر ـ في كثير من كتب الأدب ـ وقد تقدم الكلام عليها في أيام باهلة في العهد الجاهلي .

ومما ينسب لِعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ الفزاري يَهْجُو وَلَدَ يَعْصُرَ وَهُمْ غَنِيٌّ وبَاهِلَةُ والطَّفَاوَةُ قوله[1] :

أَبَاهِلَ مَا أَدْرِي أَمِنْ لُؤْم مَنْصِبي أُحِبُّكُمُ أَمْ بِي جُنُونٌ وأَوْلَقُ

أُسَيِّدُ أَخْوَالِي وَيَعْصُرُ إِخْوَتِي فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنِّي مَعَ اللُّؤْمِ أَحْمَقُ

فقال الْبَاهِلِيُّ يُجِيبُهُ :

وَكَيْفَ تُحِبُّ الدَّهْرَ قوماً هُمُ الأُولَى نَوَاصِيَكُمْ في سَالِفِ الدَّهْرِ حَلَّقُوْا

أَلَسْتَ فَزَارِيًّا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَإِنْ كُنْتَ كِنْدِيًّا فَإِنَّكَ مُلْصَقُ

كذا عبر المبرد في كتاب «الكامل» لكلمة (يَهْجُو وَلَد يَعْصُرَ) ولكن ظاهر الأبيات لا يفهم منه الهجو ، وكيف يهجو قومه ، فغني وباهلة ابنا يعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وغطفان ـ الذين منهم فزارة قوم حذيفة ـ بنو سعد بن قيس عيلان ، فهم إخوةٌ على ماهو معروف في كتب النسب ، إلا أن غنياً وباهلة اعتزلا ، فانفردَا في منازل خاصة ، قال الجاحظ[2] : فلذالك القبيلة

(١) «الكامل» ٢/٢٠٦ و«لسان العرب» رسم (الق) .
(٢) «رسائل الجاحظ» ٣/١٤٩ .

تنزل معاً وترحل معاً ، وتحارب من ناوأها معاً ، إلا الشاذ النادر ، كخروج غني وباهلة من غطفان ، وكنزول عبس في بني عامر ، وما أشبه ذالك . انتهى .

ولهذا ففي أول القصة التي أوردها المبرد ما يؤيد هذا ، حيث ذكر أن حذيفة ابن بدرٍ الفزاري ممن كان يفتخر ببني أعصر ، وتقدمت القصة كاملة في الكلام على حسب القبيلة .

وكان في باهلة كاهن يتحاكم إليه العرب في العهد الجاهلي فوقعت بين مالك ابن نويرة اليربوعي التميمي - ومالك هذا ممن أدرك الإسلام وقتله خالد بن الوليد في وقعة البطاح أثناء حروب الردة في السنة الحادية عشرة من الهجرة - وقعت بين مالك هذا وبين شاعر من بني ميثاء ثم من بني طُهَيَّةَ من تميم مفاخرة ، فتحاكما إلى الكاهن الباهلي ، ويظهر أنه فضل مالكاً على الطَهَوِيِّ - ويدعى العدل بن عمرو - فقال يهجو باهلة[1]:

إِذَا البَاهِلِيُّ عِنْـدَهُ حَنْظَلِيَّـةٌ لَـهُ وَلَـدٌ مِنْهَـا فـذا الـمُـذَرَّعُ

يقصد بالمذرَّع من أمه أشرف من أبيه ، شبهه بالبغل لأن في ذراعيه رقمتين كرقمتي ذراع الحمار ، أتاه من ناحية الحمار ، وأمه الفرس أكرم من أبيه ، وقد ورد هذا البيت في شعر الفرزدق ومعه بيتان آخران[2] وقال العدل أيضاً :

يَـارَبَّنَـا فَـقَـبِّـحَـنَّ بَـاهِـلَهْ أكـثر حيٍّ جاهـلاً وجاهلَهْ
سَـوْدَاء كالسِّيْـدِ سُرُوْقـاً بَاخِلهْ تَشُـدُّ أعيـاراً بجنب السـاحِلَهْ

---

(١) «معجم الشعراء» - ٣٠٥ - تحقيق كرنكو - ١٧٦ - تحقيق عبدالستار فراج .
(٢) «ديوان الفرزدق» - ٥١٤ - البيتان هما :
ذِرَاعٌ بهـا لَـؤْمٌ، وأُخْـرَى كَـرِيمَـةٌ وَمَـا يَصْنَعُ ٱلأَقْـوام فـالله أَصْنَـعُ
غُـلَامٌ أَتَـاهُ اللُّؤْمُ مِنْ شَـطْرِ عَمِّـهِ لَـهُ مِـسْمَـعٌ وافٍ وَآخَـرُ أَجْـدَعُ

لا يلام هذا الشاعر مادام الكاهن الباهلي غَلَّبَ خَصْمَهُ عليه بأن يَهْجُوَ ـ ما وسعه الهجاء ـ باهلة ، ولكن ما أيسر أن تصف عدوك بكل سوءٍ ، وما أصعب أن تثبت ما تصمه به من المعايب ، على أن هذا الشاعر قد أثبت ـ من حيث لا يشعر ـ أن باهلة نِدًّا لقومه في البيت الأول ، حيث ذكر مصاهرة الباهليين لبني حنظلة ، فطهية الأم التي ينسب إليها الشاعر هي أم بني مالك بن حنظلة ابن مالك بن تميم(1). وقد تقدم ذكر أبيات زيد الخيل الطائي ـ التي منها ـ:

وَخَيْبَةُ مَنْ يُغِيْرُ عَلَى غَنِيٍّ ... وباهِلَة بْنِ أَعْصُرَ وَالضِّبَابِ(2)

وأن زيداً ـ رحمه الله ـ كان موتوراً من هذه القبائل فهجاها للمجاولات التي جرت بينها وبين قبيلته فلا يلام حين يهجوها ، فما بينه وبينها من العداوة أبلغ من الهجو ، وقد يكون هناك من هجا باهلة من شعراء القبائل التي كان بينها وبين باهلة تِرَات غير من تقدم ذكره .

وفي كتاب «بلاد العرب»(3) في الكلا على سود باهلة : وأنشد لرجل من بني عُقَيْلٍ يقول لباهلة :

بَاهِلَ زِيحِي عَنْ نُمَيْرٍ واخْنَسي ... إنَّ نُمَيْرا لَكِ إنْ تُكَبَّسي
يَطَاكِ وَاطِيهَا بِخُفٍّ مُلْطس ... وَتُنْحَسي وَتَنْخَسي وَتُنْخَسي
وتُفْرَسي بِالسَّوْدِ كُلَّ مَفْرس ... وَقَبْلَ وِرْدِ الْعَرَكِ المُعْلَنْطِسِ(4)

---

(1) «تاج العروس» ـ رسم ـ طها ـ .

(2) الغريب أن صاحب كتاب «الممتع» نسب هذا البيت للطفيل الغنوي ونص روايته ـ 165 ـ:

وخيبةِ من يخيبُ على غنيٍّ ... وباهلة بن أعصر والركاب

وليس معقولاً أن يهجو الطفيل اخوته في النسب وجاء في شرحه : المعنى أن من غزا فخاب . . . على غني وباهلة فَغَنِم لأنهم لا يمتنعون ممن أرادهم وجعلهم كالركاب لا امتناع بها ، وقال آخر : من كان بيده أسير من غني أو باهلة ، فقد خاب ، وإنما الغانم من أسر من قشير وكلاب . انتهى .

(3) 239 .

(4) باهل : ترخيم باهلة . زيحي : تنحي . ملطس : مكسر . تنخسي : تطعني . المعلنطس : المجتمع المتراد ـ من هامش مخطوطة الكتاب .

والمنشد هو أبو الأزهر الـجَعْدِيُّ الذي وردت له نصوص في هذا الكتاب[1]، ومعروف مابين قبيلتي جعدة وباهلة من العداء بعد قتل ابن المنتشر ، وتقدم خبر ذالك، وبنو نُمَيْرٍ كانوا يجاورون قبيلة باهلة في المنازل ، فيحدث احتكاك وعراك ، ونزاع من جراء تنازع ملك بعض المياه أو المواضع ، وهذا يجر إلى التهاجي ، بل إلى ماهو أشد من التهاجي ، كما هو معروف بين القبائل العربية . ويظهر أن شاعر بَنِـي نمير المشهور عُبَيْداً الراعي كانت له يد في إثارة التهاجي ، فقد تعرض لهجاء ابني يعصر غني وباهلة ، فرد عليه شاعر من غني هو نافع بن خليفة الغنوي بقصيدة سترد بعد قليل ، ولا شك أن النزاع بين القبيلتين حدث بعد انفصال قبيلة باهلة عن بني كعب ـ جعدة وقشير وغيرهما ـ بل قد يكون حدث في صدر الإسلام .

قال نافع بن خليفة الغنوي مجيباً للراعي في قصيدة له[2]:

فَـوَاعَجَبـاً حَتَّى نُمَـيْرٌ تَسُبُّنَـا ... وَكَـانَتْ نُمَيْرٌ مَـدْرَجاً لِلشَّتَـائِمِ

تُـوَارِي نُمَـيْرٌ بـالْعَمَـائِم لُؤْمَهَـا ... وَلَيْسَ يُوَارِيْ اللُّؤْمَ طَيُّ الْعَمَائِمِ

فَـإِنْ تَقْتُلُوا مِنَّا كِـرَامـاً فَـإِنَّنَـا ... تَرَكْنَا عَلَى (أَهْوَى) نَسِيْبَ بْنَ سَالِمِ

تَهَـادَى ضِبَاعُ الْـجَلْهَتَـيْنِ شُلُوَّهُ ... وَبَاتَ بِلَيْلٍ عِرْسُهُ غَيْرُ نَائِـمِ

يُنَادِيْ صَدَاهُ الْهَامَ في كُلِّ مَرْقَبٍ ... بِذَمِّ نُمَيْرٍ فِي ٱلْأُمُـوْرِ الْعَظَائِـمِ

وَيَوْماً على (أَهْوَى) وَطِئْنَا وُجُوْهَهُمْ ... فَبَاؤُوْا عَلَى رَغْـمٍ لَنَا بِالْـمَظَالِمِ

فَكَكْنَا أَخَانَا بِالْـمِئِيْنِ وَأَسْلَمُوا ... أَخَاهُمْ بِمُعْتَسِّ السِّبَاعِ الضَّيَاغِـمِ

---

(١) في الصفحات ـ ٢٢١/٢٣٧/٢٣٨/٢٣٩ ـ .

(٢) «أنساب الأشراف» للبلاذري ـ نسب غني ـ ص ٢٤٥ مخطوطة دار الكتب المصرية المنسوخة عن المخطوطة التركية ـ.

فَـأَنْتُمْ ذُنَـابَى عَـامِـرٍ وَشِرَارُهَـا وَلَيْسَ ذُنَابَى الرِّيْشِ مِثْلَ الْقَوَادِمِ
وَيَوْمَا نُمَـيْرٍ يَوْمُ طُـوْلٍ عَلَيْهِمُ وَيَوْمٌ تَرَى نِسْوَانَهُمْ في الْـمَقَاسِمِ

وفي هذه القصيدة إشارة إلى حرب وقعت بين غني ـ ولا شك أن أختها باهلة معها ـ وبين بني نمير الذين هُزِموا في يوم (أُهْوَى) وأُهْوى من مياه الْـمَرُّوْتِ ، وصحراء الْـمَرُّوْتِ كانت متنازعة بين النميريين والباهليين (انظر سوفة) والقشيريين والجعديين ، وبطون من بني تميم بني حِمَّان وغيرهم ، وأهوى تضاف إليها سوفة التي لايزال اسمها يطلق على قويرة في الْـمَرُّوْتِ ، وكان الاسم يشمل معها ماحولها ، وكانت أُهْوَى معدودة من مياه بني قُتَيْبَةَ الباهليين في وقت من الأوقات كما تقدم ذكر هذا في الكلام على بلاد باهلة .

٥ ـ الْهَجّـاءُ الأكبـر .. !!

وكما اتضح أن الشعر هو أقوىْ الأسباب التي ألصقت بهذه القبيلة الكريمة من المعايب ماليس فيها ، ومنه اتخذ أعداؤُها المدخلَ إلى النيل منها . فلعل أنكى سهام مافي جعبة هاؤلاء الأعداء من تلك المعايب ماورد في شعر الفرزدق عن هذه القبيلة ، بل لعله هو الذي فتح باب الهجاء ، ثم انضم إليه صاحبه الأخطل ، والشاعران المذكوران من فحول الشعراء ، وشعرهما له من السيرورة والانتشار ماليس لكثير من الشعراء غيرهما ، ولهذا اقتصر المتحدث عن (باهلة) في «دائرة المعارف الإسلامية»[١] التي ألفها المستشرقون على الإشارة إلى ماورد في شعر الفرزدق في معرض ذمها .

والفرزدق لَـمْ يَقِفْ هجوه على قبيلة باهلة ، بل شمل كثيراً من قبائل العرب فهو كما قال جرير[٢]:

(١) الترجمة العربية ج ٦ ص ١٥٥ رسم (باهلة ، وأحال على ١٣٢/١٣٦/٢٦٥/٢٧٢/٤٧٦/٣٦٢) نشر بوشير وهل . (٢) «ديوان جرير»: ٤٥ .

لا تَهْجُ قَيْساً وَلَكِنْ لَوْ شَكَرْتَهُمْ   إِنَّ اللَّئِيمَ لِأَهْلِ السَّرْوِ عَيَّابُ

حقاً إنه لعيَّاب لأهل الشرف والفضل ، فقلَّ أن سلمت من قبائل العرب من هجوه[1]، لقد هجا الأزدَ ومنهم أصحاب الرسول ﷺ الأوس والخزرج ، وهجا بَجِيلة وجَرْماً وراسِباً ، وهجا قبيلة طيء بقصائد كثيرة ، وهجا قَيْسَ عيلان كلها فهجا فَزارة ، وهجا بني عبدالله بن غطفان ، وهجا عامر بن صعصعة ، وهجا بني جعفر بن كلاب ، وهجا كعبَ بن ربيعة ، كما هجا بني هاجر من ضَبَّة ، بل لم تسلم قبيلته بنو تميم من هجائه فقد تناول بهجائه بطوناً منها مثل أُسَيِّدٍ وبني الحرماز ، وبني سعد ، وبني فُقَيم وبني مازنٍ ، وبني مِنْقَرٍ وبني نهشل فَضْلاً عن بني كُلَيْبٍ قوم نِدِّهِ الشاعر جرير .

ولا يتسع المجال لإيراد أهاجيه التي لم يُعْفِ أحدًا منها حتى نفسه فقد وصفها بصفات هي غاية في الهجاء كقوله مفتخراً[2]:

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً   كَمَا ٱنْقَضَّ بَازٍ أَقْتَمُ الرِّيْشِ كَاسِرُهْ

حتى قال فيه جرير[3]:

هُوَ الرِّجْسُ يَا أَهلَ الْـمَدِيْنَةِ فَاحْذَرُوا   مُدَاخِلَ رِجْسٍ بِالْـخَبِيثَاتِ عَالِـمِ

وقال :

تَدَلَّيْتَ تَزْنِـي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً   وَقَصَّرْتَ عَنْ بَاعِ الْعُلَى وَالْـمَكَارِمِ

فلا غرو أن تنال هذه القبيلة الكريمة سجْلاً من هجائه .

---

(١) انظر هجاء الفرزدق لهذه القبائل ديوانه الصفحات الآتية على التوالي: ٩٦/ ١٣٥/ ٣٤٣/ ٦٢٥/ ٦٨/ ٨٥١/ ٢٨٤/ ٣٦٢/ ٤٧٥/ ٨١٥/ ٤٧١/ ٦١٦/ ٣٦٤/ ٦٥٤/ ٣٥٩/ ٥٦/ ٥٦٣/ ١٨٤/ ٣٨٤/ ٦٠١/ ١٢٠/ ١٦٤/ ٤٤٠/ ٣٩٥/ ٥٧١/ ٥٣/ ١٧٨/ ٦٢٥/ ٦٤٠ .

(٢) «النقائض» ٣٩٨ . (٣) «ديوان جرير»: ٥٦٠ .

ويرى أبو عبيدة أنَّ الباعث لذالك تعرض الأصم الباهلي له في الدفاع عن زوجه النوار المجاشعية ، غير أن هذا وإن كان من البواعث إلا أنني أرى الأمر أعمقَ من هذا ، وأنه عند استعار أوار العصبية القبلية الذي نشأ عنه قتل قتيبة ابن مسلم الباهلي ، وموقف الخليفة سليمان بن عبدالملك من ذالك الحادث ، ونظرة الدولة كلها في ذالك العهد إلى الباهليين ، نظرة مؤيدة لموقف صاحب السلطة ، كان أنْ وجد الفرزدق وغيره من أبواق تلك الدولة أوسع المنافذ الذي منه ولج فخب في الأمر وَوَضَع . قال صاحب «النقائض» : وكان سبب هجاء الفرزدق قبيلة باهلة أنه كان متزوجاً النوار بنت أعين المجاشعية فتزوج عليها حدراء بنتَ زيد بن بسطام بن مسعود بن قيس الشيباني ، فقالت له النوار : ويلك ، تزوجت أعرابية دقيقة الساقين بَوَّالَةً على عَقِبَيهَا على مئة بعير؟! فقال الفرزدق يفضلها عليها ويعيرها بأنها كانت تُرَبِّيْهَا أَمَة[1] :

لَجَارِيَةٌ بَيْنَ السَّلِيلِ عُروقُها ... وَبَيْنَ أَبِيْ الصَّهْبَاءِ مِنْ آلِ خَالِدِ
أَحَقُّ بِإِغْلَاءِ الْـمُهورِ مِنَ الَّتِي ... رَبَتْ وَهْيَ تَنْزُو في حُجُوْرِ الوَلَائِدِ

وقال أيضاً[2] :

لَعَمْـرِي لَأَعْرَابِيَّـةٌ في مِظَلَّةٍ ... تَظَلُّ بِرَوْقَيْ بَيْتِهَا الرِّيْحُ تَخْفِقُ
كَـأُمِّ غزالٍ أَوْ كَـدُرَّةِ غَائِصٍ ... إِذَا مَابَدَتْ مِثْلَ الغَمامَةِ تُشْرِقُ
أَحَبُّ إِلَيْنَـا مِنْ ضِنَاكٍ ضِفِنَّـةٍ ... إِذَا رُفِعَتْ عَنْهَا الـمَراوِحُ تَعْرَقُ
كَبِطِّيْخَةِ الـزَّرَّاعِ يُعْجِبُ لَوْنُهَا ... صَحِيْحاً ويَبْدُو دَاؤُهَا حِينَ تُفْلَقُ

فأجابه الباهلي وهو الأصم :

أَعـوذُ بِالله مِنْ غُـوْلٍ مُغَوَّلَـةٍ ... كَأَنَّ حَافِـرَهَا في حَـدِّ ظُنْبوبِ

(١) ديوانه: ١٨١ . (٢) «النقائض»: ٨٠٦/٨٠٧ .

وَرُكْبَتاهَا سِلَاحٌ مايَقومُ لَها إلَّا الشَّياطِينُ في تِلْكَ الأعاريبِ
تَسْتَرْوِحُ الشَّاةَ مِنْ مِيْلٍ إذَا ذُبِحَتْ حُبَّ اللِّحَامِ كَما يَسْتَرْوِحُ الذِّيْبُ

قال : فلما سمعت النوار ذالك بعثت إلى جرير وقالت للفرزدق : أما والله لأُخْزِينك يافاسق ، فجاءها جرير ، فقالت له : ألا ترى ماقال لي الفاسق ؟! وشكت إليه ماقال لها ، فقال لها جرير : أنا أَكْفيكِهِ ، فقال جرير :

أَلَسْت بِمُعْطِي الحُكْمِ عَنْ شِفِّ مَنْصِبِ ولا عَنْ بَنـاتِ الحَنْظَلِيـينَ رَاغِبُ

ويروى : ولا أنا مُعْطِي الحُكْمِ عَنْ شِفِّ مَنْصِب ، قال ، والشِّفُّ هاهنا النُّقْصَان ، وقد يكون الشِّفُّ الفضل أيضاً ، قال : هذا أَشَفُّ مِنْ هذا وهذا يَشِفُّ على هذا أي يَزيدُ عليه .

ومما قاله في هجو الأصم ـ أصم باهلة ـ واسمه عبدالله بن الحجاج بن عبدالله بن كلثوم من بني ذبيان بن جئاوة[1] :

أَكَـانَ الْبَـاهِلِيُّ يَـظُنُّ أَنِّي سَـأَقْعُـدُ لَا يُجَـاوِزُهُ سِبَـابِي
فَـإِنِّي مِثْلُهُ إنْ لَـمْ أُجَـاوِزْ[2] إلَى كَـعْـبٍ وَرَابِـيَـتَيْ كِـلَابِ
أَأَجْعَـلُ دَارِماً كَـابْنَيْ دُخَـانٍ وَكَـانَـا فِيْ الْغَنِيمَـةِ كَـالرِّكَـابِ

ولجَّ الهِجاءُ بين الشاعرين ، وهما غير متكافئين فعجز الأصم الباهلي عن مناقضة الفرزدق في هذه القصيدة ، ويظهر أنه استعان بجرير الذي ناقضها بقصيدة من بحرها وعلى رويها .

لقد استرسل الفرزدق في هجو هذه القبيلة بعد أن رماها الدَّهْرُ بكلكله ، وأثخنها بجراحه حين أصبحت الدولةُ كلها تنظر إليها تلك النظرة السيئة ،

(١) ديوانه: ٣٤ ـ وفيه (بن جنادة) تصحيف .
(٢) وفي «النقائض»: فأمي أمه إن لم يجاوز .

ولماذا لا يجاري التيار ؟ بل لماذا لا يبرز من كوامن حقده على القيسيين ما أججته نار العصبية التي استعرت تلك الأيام في المجتمع القبلي؟! ولماذا يقتصر في ذالك على هذه القبيلة التي أضحت فريسة لأقوى سلطة في ذالك العهد ؟!

لقد أصبح شعر الفرزدق سجِلاً حافلاً بما وقع بين القبائل العربية من جرَّاء العصبية المقيتة ، بل لعله أبلغ شعر مثير للأحقاد والتِّرَاتِ بينها لافي ذالك العصر ، بل فيما وقع قبله .

ولا يتسع المجال للاسترسال بإيراد نماذج منه ، بل ليس المقام سوى مقام البحث فيها يتعلق منه بموضوع هجائه لباهلة .

كما لا يتسع هذا البحث لإيراد النصوص الشعرية المتضمنة لذالك الهجاء ، وهي من اليسر بحيث في استطاعة من أراد الاطلاع عليها أن يجدها في ديوان هذا الشاعر ، ولهذا سأكتفي بمحاولة عرض ماتضمنه ذالك الشعر ، مما قصد به النيل من تلك القبيلة ، وما اختلق لها من المعايب فهو كما قلت : أنكى سهام الهجاء التي وجهت إلى هذه القبيلة ، وما أرى ما أُلْصِق بها بعد ذالك في مختلف العصور ، إلا أصداء رددتها الأجيال لذالك الشعر ، دون تعمق في تفهمه أو بحث عن دوافعه ، أو تحليل لما حواه من أفكار تبدو عند التحليل جُوْفاً خالية من أي معنى لا يتعدَّى ولا يتجاوز ما هجا به غيرها من أية قبيلة تعرض لهجوها ، وما أكثر من هجا من القبائل ـ وماذالك الهجاء سوى سباب وشتائم بأقذع الكلمات ، وقذف بأسوإ الأفعال ، ليكون أبلغ تأثيراً في أسماع الغوغاء والرعاع الذين يرتاحون لسماع السيِّءِ من القول .

وهاهو أبرز مافي ديوان الشاعر من ذالك .

يبدو أن الأصم الباهلي الشاعر كان يعارض الفرزدق في أهاجيه ـ كما يتضح

من شعر الفرزدق ولكن شهرة هذا طغت ، فَرُوي شعره ، وتنوسي شعر خصمه ، ومن يدري فقد يكون فيه من إيضاح ماخفي من مناقب قبيلته ، ونفي لما ألصق بها من مثالب مايبرز للباحثين جوانب من زيف الفرزدق وتجنيه على هذه القبيلة ، بل يزيد تلك الجوانب إيضاحاً ، مع أنها ليست من الخفاء والغموض بحاجة إلى مايبرزها .

وللفرزدق في الديوان الذي جمعه الأستاذ محمد عبدالله الصاوي ـ مطولات ومقطوعات تناول في بعضها قبيلة باهلة منفردة ، وأضاف إليها أختها (غَنِيًّا) في أخرى فعمم (ابني دُخَان) وشمل بأهاجيه في بقيتها بني عامر وتناول قبائل قيس عيلان[1] كلها وهاهو بيَان تلك القصائد والمقطوعات :

١ ــ قصيدة بائية مطلعها في ديوانه[2] :

أَكَانَ البَاهِلِيُّ يَظُنُّ أَنِّي   سَأَقْعُدُ لاَ يُجَاوِزُهُ سِبَابِي

وهي في ديوانه ١٨ بيتاً وأوردها أبو عبيدة في «النقائض» (في ١٩ بيتاً) وزعم أن الباهلي عجز عن نقيضها ، فأجابه جرير فقال[3] :

أَلاَ حَيِّ الْمَنَازِلَ بِالجِنَابِ   فَقَدْ ذَكَّرْنَ عَهْدَكَ بِالشَّبَابِ

وأوردها كاملة ولم يخص بالهجاء باهلة ، بل شمل ابني دخان .

٢ ــ قصيدة بائية أخرى مطلعها :

إِنَّ هِجَاءَ الْبَاهِلِيِّينَ دَارِماً   لَمِنْ بِدَعِ ٱلْأَيَّامِ ذَاتِ الْعَجَائِبِ

(١) كانت باهلة قد انضمت إلى قبائل كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة للجوار في المنازل فكانت تشترك معها في حروبها ضد القبائل الأخرى ومنها بنو تميم قوم الفرزدق كما في يوم جبلة ولهذا تعرض للصلة بين باهلة وبني عامر ومن ثم شمل قيس عيلان بأهاجيه ، إذْ هم الفرع الثاني من فروع مضر والآخر (خندف) ومن هاؤلاء تميم ـ وقيس عيلان أصل قبيلة باهلة كما هو معروف .

(٢) ٣٤ ومابعدها في طبعة الصاوي .   (٣) «النقائض» ـ ١٠٣١ ـ ومابعدها .

وردت في «ديوانه»[1] في ستة عشر بيتاً ، صرح فيها بأن (الأصم) فضح ابني دخان .

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى غَابَ عَنْهُ فُضُوحُهُ فَلَيْسَ فُضُوحُ ابْنَيْ دُخَانٍ بِغَائِبِ
لَعَمْـرُكَ إِنِّي وَ(الأَصَمّ) وَأُمَّــهُ لَفِـي مَقْعَدٍ فِي بَيْتِها مُتَقَـارِبِ

٣ ــ قصيدة بائية أولها :

غَيًّـا لِبَـاهِلَةَ الَّتِي شَقِيَتْ بِنَـا غَيًّـا يَكُـونُ لَهَـا كَغُـلٍّ مُجْلِبِ
تقع في تسعة عشر بيتاً في «ديوانه»[2] ـ خص بالهجاء فيها باهلة .

٤ ــ قصيدة رائية أولها :

إِذَا خِنْدِفٌ بِاللَّيْلِ أَسْدَفَ سَجْرُهَا وَجَاشَتْ مِنَ ٱلآفَاقِ بِالْعَدَدِ الدَّثْرِ
في اثنين وعشرين بيتاً[3]، ذكر فيها (الأصم) وخص باهلة بالهجو .

٥ ــ مقطوعة في أبيات ثلاثة عينية ، أولها[4]:

إِذَا بَـاهِـلِيٌّ تَحْتَـهُ حَنْـظَلِيَّـةٌ لَـهُ وَلَدٌ مِنْهَـا فَذَاكَ الـمُـذَرَّعُ
وقد تقدم هذا البيت منسوباً إلى العذْلِ بن عَمْرٍو الطَّهَوِيِّ .

٦ ــ بيت نصه[5]:

مَا الْبَاهِلِـيُّ بِصَادِقٍ لَكَ وَعْدُهُ وَمَتَى تَعِـدْكَ الْبَـاهِلِيَّـةُ تَصْـدُقِ

٧ ــ قصيدة ميمية نَصَّ جامع الديوان بأن أصم باهلة هجا الفرزدق ـ فقال يرد عليه[6]:

أَباهِلَ هَـلْ أَنْتُمْ مُغَيِّرُ لَـوْنِكُمْ وَمَانِعُكُمْ أَنْ تُجْعَلُوا فِي الْـمَقاسِمِ

---

(١) ٧٢ ومابعدها . (٢) ٣٧ . (٣) ٤٠٧ .
(٤) ٥١٤ . (٥) ٥٩٢ . (٦) ٧٩٩ .

وعَمَّ بالهجاء بني عامر ، بل قيس عيلان ، في ستة وثلاثين بيتاً .

٨ ــ أربعة أبيات ميمية[1]، أولها :

أَبَاهِلَ لَوْ أَنَّ الْأَنَامَ تَنَافَرُوا عَلَى أَيِّهِمْ شَرٌّ قَدِيماً وَأَلأَمُ

عَمَّ فيها بالهجاء ابني دخان .

٩ ــ قصيدة ميمية أولها[2]:

أَلَا كَيْفَ الْبَقَاءُ لِبَاهِلِيٍّ هَوَى بَيْنَ الْفَرَزْدَقِ وَالْجَحِيْمِ

هجاء الأصمَّ وقومه ابني دخان .

١٠ ــ قصيدة ميمية أولها[3]:

سَتَبْلُغُ عَنِّي غُدْوَةَ الرِّيحِ أَنَّها مَسِيْرَةُ شَهْر للرِّيَاحِ الْهَوَاجِمِ

هجا باهلة ، وبني عامر بن صعصعة وجريراً ، في ثمانية وثلاثين بيتاً .

١١ ــ وله قصيدة ميمية قالها حين قُتل قتيبة بن مسلم يمدح فيها سليمان بن عبدالملك، ويهجو قيساً كلها وجريراً[4]: مطلعها :

تَحِنُّ بِزَوْرَاءِ الْمَدِيْنَةِ نَاقَتِي حَنِيْنَ عَجُوْلٍ تَبْتَغِي الْبَوَّ رَائِمِ

ومنها :

فَإِنْ تَكُ قَيْسٌ فِي قُتَيْبَةَ أُغْضِبَتْ فَلَا عَطَسَتْ إِلَّا بِأَجْدَعَ رَاغِمِ
وَمَاكَانَ إِلَّا بَاهِلِيًّا مُجَدَّعاً طَغَى فَسَقَيْنَاهُ بِكَأْسِ ابْنِ خَازِمِ
فَانْ تَقْعُدُوْا تَقْعُدْ لِئَامٌ أَذِلَّةٌ وَإِنْ عُدْتُمُ عُدْنَا بِبِيْضٍ صَوارِمِ
أَتَغْضَبُ أَنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا جِهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لِيَوْمِ ابْنِ خَازِمِ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَعَثْنَا بِرَأْسِهِ إلى الشَّامِ فَوْقَ الشَّاحِجاتِ الرَّواسِمِ

(١) ٧٧٣ . (٢) ٧٧٣ . (٣) ٧٩٥ . (٤) ٨٥١ .

وقد نالت قبيلة باهلة كغيرها من قبائل قيس نصيبها موفوراً من الهجاء ، وتقع القصيدة في نحو (١٦٩) بيتاً من الشعر ، ولا يخرج الهجاء فيها عما هو معروف عن الفرزدق من لغو القول وزوره ، كأكثر شعره الذي يحسن بالقارئ لكي تتضح له منافذ مافيه من زيف وباطل أن يقرأ شعر نِدِّهِ جرير .

فقد كشف كثيراً مما مَوَّهَ به الفرزدق ونسبه زوراً وبهتاناً لا إلى قبائل قيس وحدِها بل إلى كل قبيلة تعرض لهجائها ، وأية قبيلة سلمت من ذالك ؟!

تحليل معاني مافي هذا الشعر من هجو باهلة

وقفت ـ بعد دراسة هذا الشعر ـ يتنازعني عاملانِ أحدهما الإضراب صفحاً عن التعرض له ، لأنني لم أجد فيه من معايب قبيلة باهلة ما يرتكز على أساس من الواقع والمنطق ، ومافيه من هجو لايعدو مايعتاد السفهاء والأراذل ترديده بينهم من ألفاظ البذاءة والفحش ، بل تجاوز ذالك إلى التفوه بكلمات لا تصدر ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وذالك بقذف نساء تلك القبيلة التي أعزها الله وصانها بالتمسك بتعاليم الدين الحنيف ، وحسبك بإنسان يفاخر بفعل الخنا والفجور ، وهو لا شك كاذب بالنسبة لما وصف فيما بينه وبين تلك النساء العفيفات الطاهرات .

لقد فكرت في الترفع عن البحث في معاني ذالك الشعر الساقط لئلا يكون في بحثه إحياءً له ، فالخبث من حقه أن يمحق ، إلا أنني ـ وقد أخذت على نفسي في الدفاع عن هذه القبيلة الكريمة ـ أن أذكر كل ما يتعلق بها ، مدحاً أو قدحاً ـ اضطررت لإيضاح فحواه .

وقد رأيت بعض من تعرض لذكر باهلة يتخد من شعر الفرزدق تكأة

للحديث عنها[1]، بل قرأت لعالم من علماء هذا العصر ، له مكانة سامية في نفوس مثقفي الأمة وأدبائها ومفكريها لما يتصف به من علم غزير ، وخلق رفيع ، وعقل راجح ، قرأت لهذا العالم الجليل الذي أُكِنَّ له من التقدير والإجلال ما حملني على ماتمنيت أن لا ينسب إليه ماقرأت ـ بالنسبة لتلك القبيلة الكريمة ـ التي أوقعها سُوءُ الطالع فريسة لشاعر بلغ بسيرورة شعره ، وعلو صيته ، وارتفاع ذكره ماجعل صدى شعره يتردد ما امتدت الدهور ، وتعاقبت الأجيال ، فكان له من اهتمام ذالك الأستاذ النصيب الأوفر دراسة ونشراً وتأليفاً ، إذ تناول كل جوانب ذلك الشعر الجديرة بالدراسة ، ولكنه فيما يتصل بتلك القبيلة كبا جواده ، ونبا صارمه ، إذ سار في نهج كثر سالكوه مع مافيه من جنف وانحراف عن جادة الصواب ، بحيث يفضي إلى ظلم وتجن يجدر بالأستاذ لما يتصف به من غزارة علم وحصافة رأْي ، أن يأتي بما ينفيهما ، فضلاً عن تسويغهما واقرارهما .

ولهذا انصعت متأثراً بالعامل الثاني ، وهو إبراز خبيء ذالك الشعر ـ مترفعاً عن نبش كثير من ألفاظه الخبيثة ـ ليدرك بعض من توهم أنه يضيف بالنسبة لقبيلة باهلة مالا يوجد في غيره ، مما زخرت به دواوين الشعراء من أفانين الهجاء ، والقدح والذم ، وهو لا يعدُوْ أن يكون بهتاناً من القول وزورا ، من عدو متجرد من كل الصفات الحميدة التي تردعه عن انتهاك أعراض الأبرياء ، وقذف المحصنات ، والانغماس في حمأة الرذيلة .

١ ـ يتساءل في القصيدة الأولى تساؤل النافي المنكر هل الباهلي ظن أن سبابه لا يبلغه ؟ انه إذا لم يجاوزه السباب بحيث يبلغ بني كعب بن ربيعة وبني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ـ فهو كالباهلي ـ فبنو دارم قومه ليسوا

(١) انظر «دائرة المعارف الإسلامية» رسم (باهلة) .

كابني دخان اللذين بلغ من ذلهما أنهما كالغنيمة في الركاب ، ومافي الركاب يسهل تناوله بدون جهد ، ويصف آثار شعره وقد مَثَّل أظفاره ونابه بأنها أشد من آثار السيوف ، ويفتخر بكثرة قومه بني سعد ، ثم بقبيلته تميم ، وأن الأرض تعجز عنهم فقد فضلوا الأقوام وأَذَلُّوْهُمْ .

وحين يخونه إدراك ما يتطلبه من معايب المهجوين يلجأ إلى الفحش في القول ، فيرمي خصمه بارتكاب الفاحشة مع أقرب محارمه ، ويستعمل كلمات البذاءة التي يستحيا من ذكرها ، وهذا ديدنه دائماً ، وتلك عادته ، فهو يتلذذ بذكر السوءات . وكأنه يستعدي الخليفة حين يعدد من مناقب قومه أن منهم الملوك وذوي القباب المضروبة في تهامة والأباطح ، ويعني بهذا ملوك بني أمية في ذالك العهد ، فهم من خِنْدِفَ كبني تميم .

٢ ــ وفي القصيدة الثانية يزعم أن تعرض الباهليين لهجو بني دارم قومه من بِدَع الأيام العجيبة ، فوسائل باهلة لنيل المجد قصيرة ، ليست كأرشية ابني عقال الطوال . ثم يزعم أن الأصم بتعرضه لهجاء الفرزدق فضح قومه (ابني دخان) ولا بُدَّ من لجوئه كعادته حين يُفْحَمُ ـ إلى البذاءة والخنا ، فلا يتورع عن قذف الأصم وأمه ـ ولا يفوته إشراكه معهما في هذا القذف ، ويصرح ولا يُكَنِّي فيذكر السوءتين من المرأة باسميهما ـ ويتصور وبئس مايصور ـ نفسه وهو على تلك الحالة من الفحش ، مُتَّخِذاً من ذالك منفذاً لوصفه هو وقومه بطيب الرائحة ، ووصم الأ خرين العبيد الأشايب بخبث الريح ، وأن أَمام بيت كل باهلي حماراً وعِدْلَيْنِ من سمن وحليب رائب لتأدية الخراج ، وأن ابن دخان لا يَرِدُوْنَ المياهَ إلا بعد صدور الناس فيشربون سؤر المشارب لضعفهم .

٣ ــ ويستفهم في القصيدة الثالثة ـ استفهام إنكار ـ هل الباهليون مثل قومه عند التقاء الأركب في مِنَى ؟ ، وكيف ذالك وهم يعطون أموالهم ربيعة عامر ،

بدون ارتكاب جرم ، بل ذِلَّة كالأرانب التي تصاد بحذف العصا ، وبالصقور ـ وهو يعني محالفتهم لبني كعب بن ربيعة بن عامر ـ ويكرر هذا المعنى فيصفهم بأنهم عبيد لحيي عامر[1] ـ بني كعب وبني كلاب ـ وأنهم من ألأم الناس أصلاً ، لماذا ؟ ثم ينحرف كما اعتاد إلى قذفهم ورمي نسائهم بالسوءِ ، ويزعم أن الباهليين كانوا يدفعون إتاوة لتغلب ، وأنهم لم يعتقوا بَعْدُ ، فهم لايزالون عبيدَ إتاوة ـ ثم يفتخر بالرسول وبمن بعده حتى الخليفة في موكبه . ويعود لهجاء الأصم ، وأنه لو كان من غيره لم يغضب ويدعوه (عبد بني جؤية) مصغراً اسم فصيلته (جِئَاوة) يُمَثِّلُ موقفَ هذا الشاعر من هجائه بموقف ثعلبٍ أَقْعَى ليحبس بِاسْتِهِ تِيَّارَ البحر ، فهوَى فيه ، ويفتخر بكثرة من في قومه من الملوك والكرماء والسوقة ، وبنجابة أمه وأبيه ، أما قوم الأصم فلم يَحْمُوا حياضهم ، ولم يَرِدُوا المياه وهي صافية ، بل كل أرض يحلونها يكونون فيها عبيداً يقرُّون على الهوان ، ولن ينسى ما اعتاد من الإقذاع في الفحش ، فلا يتورع عن رمي الباهليين بعدم الغيرة على محارمهم ، ويقسم ـ وما أكذبه ! ـ يوصف نسائهم بالكسل وعدم العمل ، وأن طعامهن ما يبقى في القدور من فضلات الطعام .

٤ ــ ويستهل الرابعة بالافتخار بكثرة عدد خندف ، وتفوقها بعقولها على جميع أولاد آدم ـ فكيف وقومه بهذه الصفة ، وحسبه وقد علا الكواكب بقدره وشعره ، أن يساميه حسبُ عبدٍ باهلي ، ثم يتناول الأصم وأُمَّهُ بما اعتاد تناولها من هُجْرِ القول وفاحشه ، مصرحاً بذكر السوءات ، ويقذفها غير متورع قذفاً

(١) وكلمة (عبيد) يقصد بها أن تلك القبيلة كانت تستذلهم لكونهم حلفاءها ، ولكن المعروف أن الحليف لا يستذل حليفه ، وقد كال له جرير الصاع صاعين حين قال :

تُخَضِّضُ بـاابن القـين قيسـا ليجعلوا ... لقـومـك يـومـاً مثـل يـوم الأراقم
فيــوم الصفـا كنتم عَبِيــداً لعـامــر ... وبــالحنــو أصبحتم عبيــد اللهــازم

أي أن بني عامر هزمتكم يوم الصفا وهو يوم شعب جبلة ، كما أنَّ اللهازم وهم بطون من بني قيس بن ثعلبة من ربيعة هزموكم في يوم الحنو .

صريحاً ، بل يشمل النساء الباهليات بذالك القذف ، ويصفهن بأسوإ الأوصاف ، بكلمات لا تصدر إلا عن نفس أَلفت القبح ، فأصبحت لا تستنكره ولا تنفر منه .

ويستمر بوصف مهوجيه باللؤم ، وأنهم لاحظ لهم من المعالي وذالك من لوازم هجائه دائماً .

٥ ـ والخامسة المقطوعة التي قال فيها إن ابن الباهلي من الحنظلية يأتيه اللؤم من قبل أبيه وعمه ، ومافيه من كرم فمن أمه ـ وسماه مذرعاً تشبيهاً له بالبغل الذي هو نتاج الحمار والفرس ، ويخونه ذكاؤه هنا فلا يدرك أن الباهلي وقد تحلل إحدى نساء قومه من الحنظليات التميميات فإنه يساميه حسباً ونسباً ، وإلا لما استطاع أن يتخذها حليلة .

هي ثلاثة أبيات عن زواج باهلي بتميمية من بني حنظلة ، وأن ولدهما يتصف بطبيعتين مُتَضَادَّتَيْنِ ، وبخُلُقَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ ، إحدى ذراعيه كريمة والأخرى لئيمة ، فالكرم أتاه من جانب الأُمُومة ، واللؤم من جانب الأُبوَّة . وماهذا سوى تلاعب بالألفاظ ـ بل هذيان لا يقوم على منطق سليم ، فلو لم يكن الباهلي كريماً لما تحلَّلَ كريمة . أو لم تكن التميمية لئيمة لما تزوجت باهلياً . .

٦ ـ ونفي الصدق عن أحد الجنسين وإثباته للآخر وهما من أصل واحد كما في بيت الفرزدق ماهو إلاَّ هذيان من الكلام فمادام الأصل واحد فما هو سبب التمايز والاختلاف ؟!

٧ ـ وفي القصيدة السابعة يخاطب باهلة بأنهم لن يمنعهم من اقتسامهم ولن يغير ألوانهم تعرضهم لهجو بني مجاشع ـ قومه ـ وهو ذو مآثر بيض ومكارم ،

ويزعم ـ فيما يزعم ـ أن بغيضاً كانت تبيعهم ، وتدفع أموالهم وفاء بما عليها من مغارم ، ثم يقذف نساءهم ويصفهن بما هن بريئات منه ، من مقارفة الفسق الخنا ، ويخاطب بني عامر طالباً أن ينهوا (عبيدهم) فهم لا يزالون صحاحاً من الكلوم قبل أن يندموا حين يتناولهم بشعره هاجياً ، وزاعماً أنه لم يبق من قيس عيلان غير الشراذم من آثار الهندوانيات ، وإغارات الدهم الصريحة من الخيل فوقها (الأراقم) وهم ستة بطون من (تغلب): جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل ، وهذا يوضح مازعمه في القصيدة الثالثة من أن باهلة تدفع الإتاوة لتغلب . ويوغل في النيل من بني عامر بوصف بني كلاب باللؤم ، ويخوفهم بأن هجاءه لن يقتصر على (ابني دخان) ويتحدث عما لشعره من أثر في رفع من كان لئيماً وزيادته ضعفاً ورقة وخزيا .

ويأبَى لؤم طبعه إلا الانحدار إلى الحضيض الذي اعتاد الاستقرار فيه من حمأة الرذيلة ، فيقذف الباهلي بأمه . وكأنه ـ قبحه الله ـ يتلذذ بذكر السوءات ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ، ويبالغ في ذالك فيصفهن بأنهم يرتكبن الفواحش مع الأقرباء والعبيد ، ويسترسل في وصف الباهليين بالضعف بأنهم لن يجدوا من يدافع عنهم لَوْ رُدُّوا عبيداً إلى أربابهم ، فهم يعيشون داخل أخبية من اللؤم بحماية ابني ربيعة ـ كعب وكلاب ـ ويتوعد هذين اللَّذَيْن ارتقيا مرتقى صعباً بمحاماتهما ، فقاما إلى هوة لا ترتقى بالسلالم بأنه ـ بهجوه ـ سيدفعهما إلى قعرها أما هجاء الباهليين دارما فإنه إحدى المنكرات العظائم ، إذ لا يطاولهم مجد أحد من بني مَعَدٍّ سوى بيتي عبد شمس وهاشم ، ويستمر في مدح قومه ، وأنه لو بعث بعد سبعين حجة لكان كعذاب النار لمن عاداه .

وينجذب ـ كما اعتاد ـ للإقذاع في شتم نِدِّهِ ، وأنه لا يغار على محارمه ،

ويتوعد ابني ربيعة - كعبا وكلابا - وأنهما لا يزالاَنِ أَمْلَسَيْنِ صحيحين لم يحرقهما هجاؤه ، كما فعل بابني دخان . ويعود لِيَدَّعِـيَ أن المهجوين كانوا عبيداً للذهليين ذهلي ربيعة (وهما ذهل بن ثعلبة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل - من ربيعة - وذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عُكَابَة) وأنهم كانوا أَعْبُداً للهازم وهم كما في شرح ابن حبيب[1] : عجل وتيم اللات وقيس وتيم اللات بن ثعلبة وعجل وعنزة - وأنهم كانوا عبيداً في تغلب يدفعون الخراج .

٨ ـ وفي الأبيات الأربعة الميمية يصف (ابني دخان) بتقدمهما في الاتصاف باللؤم على كل الأنام .

٩ ـ ويظهر أن هجاء الأصَـمِّ الباهلي آلم الفرزدق وأمضه فهو في القصيدة التاسعة يتساءل كيف يستطيع الباهلي البقاءَ وقد هوى بينه وبين النار ، وكأنه يحاول تخفيف مابه فيلجأ إلى ماعتاد دائماً ، إلى الإفحاش في القول ، فيوازن بين فعل الباهلي الفاحشة مع أقرب الناس إليه وبين هجائه بني تميم ، فهو أصم أبكم لئيم الحسب ، لئيم الأم والأب .

أن ابن (نخبة) لن ينجو من شره - ويقصد الأصم وكلمة (نخبة) تعني جلدة الدبر كما فسرها ابن حبيب - ولو تناول سلاحاً من النجوم ، لأن بني تميم تركوا هوازن مثل الهشيم .

ثم يسترسل في الإشادة بمفاخر قومه ، وبموقفه في الدفاع عنهم ، ويعطف على تناول هوازن بالهجاء وأنها بتعرضها لهجائه حملت نفسها على حدباء يابسة .

ويعود إلى وصف (ابني دخان) باللؤم متلذذاً - كعادته بذكر السوءات من النساء .

---

(١) كذا في «تهذيب اللغة» للأزهري ج ص

وأن الأبكم الباهلي لا يستطيع مزاحمة سابقات القروم ، وأن قومه لا يأتون المساجد للعبادة ، لأنهم ليسوا طاهرين ، مصرحاً بذكر ما يستحيا من ذكره من عوراتهم .

١٠ ــ وعنوان هذه القصيدة في الديوان : (وقال يهجو باهلة ، وبني عامر ابن صعصعة وجريراً) ومعروف ارتباط هاؤلاء الثلاثة ، فباهلة كانت انضمت إلى كعب بن ربيعة بن عامر ، وشاركت عامر في حروبها ، وجرير كان دافع عن باهلة عندما وقعت المهاجاة بين شاعرها الأصم عبدالله بن الحجاج وبين الفرزدق . وقد استهل الفرزدق هذه القصيدة كعادته بالافتخار بكثرة تميم الذين تسير الرياح في ديارهم شهراً ، وأنه شَأَى جريراً حين جاراه بكرم الآباءِ فعجز عن اللحاق به ، وأن أكفاء قومه ابنا عبد مناف عبد شمس وهاشم ، وليس لجرير أخوال كبني سعد بن ضبة أخواله ، ثم يعدد من يفتخر بهم من الآباء والأفخاذ والقبائل ممن لا يستطيع جرير أن يأتي بمثلهم حتى يخلص إلى ذكر موقفه في الدفاع عن قومه ، وأنه جدع أُنوف قَيْسٍ ، وأطار لها أشأم الطيور . ولا يتورع عن الوقوع في حمأة الخنا والفحش ، وأنَّى له أن يتورع عما انغمس فيه إلى أذنيه إذ يصف قيساً بأنها أمصت (. . .) جريراً ، وأعطته زيوف الدراهم ليدافع عنها ، ثم تتدافع كلمات البذاءة والفحش من فمه بدون حياءٍ أو خجل ، وبدون وازع من دين أو خلق ، وهو حين يسلك هذا المنحى الذي أَلِفَ السير فيه يستمر سادراً في غيه ، كأنما يتلذذ بما يستفرغه مما يستقذر ذكره ، كما يبدو في هذه القصيدة التي طفحت أكثر أبياتها بعفونة ماجاشت به نفسه من بذاءة وخسة ، بحيث يتنزه عن الاستمرار بتحليل بقية أبياتها لما تجيش به من قذارة وخبث .

وخلاصة القول أنَّ هجو الفرزدق لهذه القبيلة الكريمة يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ سباب وشتائم لاتَعْدُوْ مايجري بين المتخاصِمَيْنْ من لَغْوِ الكلامِ ، ورَمْيِ أحدِهما الآخر بما هو بريءٌ منه ، وإلصاق العيوب به كذباً وزوراً ، وهذا النوع هو أبرز أنواع هجاء الفرزدق لباهلة .

٢ ــ قذف النساء ورمي الأعراض بفعل الفواحش ، بصورة عامة بحيث يدرك كل من قرأ هذا النوع من الهجاء أنه لا يصدر إلا من إنسان مجرد من جميع صفات الدين والخلق ، والفرزدق بهذا النوع من الهجاء يتطاول على أنداده ، إذ لا رادع له من حياء أو خلق أو دين ، ومثل هذا لا داعي للاسترسال في الحديث عنه ، فهو من أبرز السمات التي يتصف بها شعر الفرزدق بالنسبة لهجوه أيَّة قبيلة من القبائل باهلة أو غيرها .

٣ ــ مغامز نسبها إلى باهلة ، قد يتوهم من قرأ هجاء الفرزدق أنَّ لها أصلاً ، ومن ذالك :

١ ــ ماجاء في القصيدة البائية :

أَلَا كُـلُّ بَيْتٍ بـاهِلِـيٍّ أَمَـامَـهُ ... حِمَارٌ وعِدْلَا نِحْـيِ سَمْنٍ ورَائِبِ
يُؤَدَّى بِهَـا عَنْهُمْ خَـرَاجٌ وأَنَّهُمْ ... لِجِـرْوَةَ كَانُـوا جُنَّحـاً لِلضَّـرَائبِ

جاء في «شرح ديوان الفرزدق» لابن حبيب مانصه[1]: جِرْوَةُ بْنُ أُسَيِّد بن عَمْرِو بن تميم ، وكانت هوازن وعامة قيس تؤدي إليه الإتاوةَ ، فأتته امرأة من بني عامر بِنِـحْيٍ لها فيه سمن ، فنظر إليه فرآه مُرْتَجِناً ـ والـمُرْتَجِنُ الْـكَدِرُ الذي لم تُنَقِّهِ النار ـ فضربها به حتى بدت عروتها ، وبِحضرته رِيَاح بن الأَشَلِّ الغنويُّ ، فوثب عليه فقتله ، ومَنَعَتْ قيسٌ الإتاوة ، وهو قول سهم بن حنظلة الغنوي :

(١) «شرح ديوان الفرزدق» مخطوط .

بَنِي عَامِرٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَذْكُرُوْهُ في الْـمَعَاشِرِ تُكْذَبُوا
فَنَحْنُ مَنَعْنَـاكُمْ تَمِيمـاً وأَنْتُـمُ سَوَالِيَ إِلَّا تُحْسِنُوا السَّلْيَ تُضْرَبُوا

انتهى .

وعلى مانقل ابن حَبِيب فموقف هذه القبيلة وأخوتها من غني موقف مُشَرِّفٌ ، فقد تخلصت من هذا الظالم بقتله من قبل أحد شجعان (ابني دخان) مع أنني استبعد أن يكون لهذا التميمي من القوة والنفوذ مايمكنه من أخذ الإتاوة من عامة قيس ، ولو حدث هذا لَامْتَلأَتْ به كتب الأدب وتاريخ العرب القديم .

٢ ـ وجاء في القصيدة البائية الأخرى :

تُعْطِي رَبِيْعَةَ عَامِرٍ أَمْـوَالَهَا فِيْ غَيْرِ مَا اجْتَرَمُوا وَهُم كَالْأَرْنَبِ

قال ابن حبيب في شرح هذا البيت[1] : أراد بني كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، وكانت غني وباهلة حُلفاءَ في بني عامر ، يقول : فبنو عامر يعطون أموال غني وباهلة في النوائب ، وهم أَذِلَّاءُ كالأرنب ، وقال مُعَوِّدُ الْـحُكماءِ بن مالك بن جعفر :

سَـأَعْـقِلُهَـا وتَحْمِـلُهَـا غَـنِـيٌّ وَأُوْرِثُ مَجْدَهَا أَبَـداً كِـلَابَـا
أُعَـوِّدُ مِثْلَهَـا الْـحُكَـمَاءَ بَعْـدِي إِذَا أَمْـرٌ مِنَ الْـحَدَثَـانِ نَـابَـا

انتهى كلام ابن حبيب ، ومن المعروف أنَّ تَكَوُّنَ القبائل العربية منذ أَنْ عُرِفَتْ يقوم على أساس التقارب والتحالف ، ولهذا كانت غني وباهلة حلفاءَ في بني عامر ، ومعروف مايكون بين الحليفين من التعاون ، فلا بدع أن تدفع القبيلتان باهلة وغني لبني عامر شيئاً من الأموال في النوائب .

أما القول بأنهم يدفعون ذالك وهم أَذِلَّةٌ فما هو إلَّا من مبالغة الفرزدق في

(١) «شرح ديوان الفرزدق» لازال مخطوطاً .

الهجاء ، فالعربي لايُقِرُّ الذُّلَّ من أقرب قريب ، وما خبر جروة التميمي على صحته ببعيد . لقد كانت باهلة مخالطة لبطون من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة للتجاور ، وكانت محالفةً لبني عامر عامة ، والحلف عند العرب يقوم على أساس المناصرة ، وليس وسيلة من وسائل القهر أو الإهانة أو الإذلال ، لأنَّ القبيلة المحالفة ماحالفت غيرها إلا طلباً للقوة والعزة والنصر ، فكيف ترضى من بني عامر أن تُهِيْنَهَا أو أن تقهرها ، لقد كانت حينما يقع بينها وبين أحد العامريين ملاحاة أو شجار أو تحكك يتجاوز ذالك تأخذ حقها وافياً .

ومن أوضح الأدلة على ذالك أن بني جعدة وهم من بني عامر لما قتلوا ابنَ المنتشر لم يرض حتى قتل ثلاثة منهم ، كما تقدمت الإشارة إلى هذا .

وكما حدث للعمرَّد بن عامر بن عبد شمس جدِّ عمرو بن أحمر الشاعر مع يزيد بن الصعق وهو من مشاهير بني كلاب من بني عامر ، وكان العمرد قد جرى بينه وبين ابن الصعق ماكان سبباً لأن يُحْدِثَ له عاهة مستديمة ، ولم يمنعه ما بينهما من تحالف ، جاء في شعر ابن أحمر(1):

أبِي الَّذِي اخْنَبَ رِجْلَ ابْنِ الصَّعِقْ
إذْ كَانَتِ الْـخَيْلُ كعِلْبَاءِ العُنُقْ
وَلَـمْ يَكُنْ يَرُدُّهُ الْـجِبْسُ الْـحَمِقْ

قال اليزيدي في «أماليه»(2): كان العَمَرَّدُ جدُّ عمرو بن أحمر طعن يزيد بن الصعِق فعرجت رجله في وقعة كانت بينهم .

إن تحالف قبيلة باهلة لبني عامر كان قائماً على أساس التناصر والتآزر ، قال صاحب كتاب «الممتع»(3): وكانت غني وباهلة توالي عامر بن صعصعة في

(1) «شعر عمرو بن أحمر»: ١٨٤ و(خنب) في «لسان العرب» و«تاج العروس».
(2) ص ١٣٩ ط حيدر آباد بالهند سنة ١٣٦٧هـ .
(3) ص ١٥٤ ـ ط دار الكتب العلمية .

الجاهلية بالحاجة إليهم في الاعتصار والانتصار بهم ، وكانت بنو عامر تحمل عنهم النوائب والديات . كذا قال وما أرى هذا الأمر يجري دائماً على هذه الصفة بل إن الحليف يستعين بحليفه أيضاً .

٣ ـ وفي هذه القصيدة :

أَظَنَنْتُمُ أَنْ قَـدْ عَتَقْتُم بعْـدَمَـا كُنْتُمْ عَبِيـدَ إِتَـاوَةٍ في تَغْلِبِ

قال ابن حبيب[١] : الإتاوة الخراج ، قال سعدان : كان بنو قتيبة بن معن ابن مالك بن أَعْصُرَ في بني تغلب ، حتى كانوا قد جعلوا لهم فيهم شيئاً تدعيه بنو تغلب اليوم ، فَلَـحِقُوا بإخوتهم بني وائل بن معن رهط قتيبة بن مسلم ورهط المنتشر بن وهب ، وقال بعض شعراء تغلب :

زَعَمَتْ قُتَيْبَـةُ أَنَّها مِنْ وائِـلٍ نَسَبٌ بَعِيْـدٌ ياقُتَيْبَـةَ فَاصْعَـدِي

كذا ذكر ابن حبيب في الشرح ، وعلى فرض صحته فإن بني قُتيبة فرع من باهلة ولا يشمل ٱلأَصْلَ ما يوصم به الفرع على صحة ماقيل .

قد تُلْجِـئُ الظروف بعض أحياء القبائل إلى النزوح عن قومهم والالتجاء بقبيلة قوية ، فقد يكون حدث لبني قتيبة ما ألجأهم إلى بني تغلب برهة من الزمن ، ولكنني أستبعد هذا لأسباب أولها : أن بلاد بني تغلب بعيدة عن بلاد باهلة .

وثانيها : أن بين باهلة وتغلب عداءً كان من أثره إغارة باهلة على تغلب وأسر النوار ابنة عمرو بن كلثوم .

وثالثها : أنَّ الادعاء بأن بني قتيبة من تغلب حدث من قبيلة تغلب نفسها ، كما جاء في نص أورده ابن جرير في «تاريخه»[٢]، حيث ذكر أنَّ بني تغلب أَتوا

---

(١) المصدر السابق «شرح ديوان الفرزدق» مخطوط . (٢) ٧/٣٠ .

إلى عَمْرَو بن مسلم الباهلي أمير بلخ ، حين أراد مسلم بن سعيد الغزو ، وكأنهم كرهوا الخروج معه ، فقالوا لعمرو بن مسلم الباهلي : إنك منا ، وأنشدوه شعراً قاله رجل عَزَا باهلة إلى تغلب ، وكان بنو قتيبة من باهلة ، فقالوا : إنا من تغلب ، فكرهت بَكْرٌ أَنْ يكونُوا في تغلب فتكثر تغلب ، فقال رجل منهم :

زعمت قتيبة . . . البيت .

وقال عمرو بن مسلم الباهلي حين عزاه التغلبي إلى بني تغلب : أما القرابة فلا أعرفها ، وأما المنع فإني سأمنعكم ـ وحصلت معركة بسبب ذالك ـ.

إذَنْ فانتهاء بني قتيبة إلى تغلب ، إما أن يكون بدافع التحالف ـ وهذا أمر مألوف عند العرب وليس محلاً لِأَنْ يُتَّخَذَ أساساً للسبِّ والتعيير ، وإما أن يكون الادِّعَاء غير صحيح .

٣ ـ وفي القصيدة الميمية:

أَلَمْ تَذْكُرُوا أَيَّـامَكُمْ إِذْ تَبِيْعُكُمْ بَغيْضُ وتُعْطِيْ مَالَكُم في الْـمَغَارِمِ

أورد ابن حبيب في شرح هذا البيت مانصه(١): كانت باهلة جيراناً لابني بغيض عَبْسٍ وذبيان فزعموا أنهم فعلوا بهم مافعل معاوية بن مالك بن جعفر ابن كلاب معود الحكماء يعني حين يقول :

سَـأَحْمِـلُهَـا وَتَـعْـقِـلُهَـا غَـنِـيٌّ وَأُوْرِثُ مَجْدَهَا أَبَـداً كِـلاَبَـا

وذالك أن رجلين أتيا بني أم البنين إخوة معاوية ، وهم عامر وطفيل وربيعة وسُلْمِـيَ جاءا فوافقاهم بعكاظ ، فقل لهما معاوية : أفلا ترضون أن أحكم

(١) «شرح ديوان الفرزدق» لازال مخطوطاً .

بينكما ، فرضيا بحكمه ، فوجه الحكم وجهه ثم حمله من ماله مئتي بعير عن المحكوم عليه ، فأخذها من أموال غني ، وكانوا جيرانهم .

وقد تقدم الكلام على مثل هذا .

أما ماورد في أهاجي الفرزدق التي عَمَّ بها قيس عيلان ، وأشار إلى صلتها بقبائل أخرى ، فمعروف مابين القبائل في الجاهلية من مناوشات وحروب ، تتجاوز التنابز بالسباب والشتائم ، واختلاق المعايب إلى إزهاق الأرواح ونهب الأموال ، وليس من المستغرب من شاعر كالفرزدق أَنْ يملأ أهاجِيَهُ بما لا أصل له من ذالك .

لا يتطلب الموضوع الإسهاب والتطويل ، فمعروف موقع الأهاجي في الشعر العربي ، ومعروف أن كل من عادَى أحداً وتعرض لهجائه لا يتورع عن رميه بمختلف المساوئ والعيوب ، ولٰكن الغريب حقاً أن نقف من مثل هذه الأهاجي موقفَ المصدِّق بما فيها ، دون أن ننظر إليها نظرة تعمق وتدبر ، تمكننا من إدراك الغايات منها والدوافع إليها ، ومن ثَمَّ نُبْدِي رأينا حيالها .

مما تقدم يتضح أن ترجيح أستاذنا الدكتور شاكر الفحام[1] بأن التفحش في هجاء الفرزدق المبالغ فيه كان ثمرةَ ما يُحِسُّه من حِطَّةِ هذه القبيلة ، وتعاليه عليها ، وغضبه أَنْ يَتَصَدَّى له شاعر كَالْأَصَمِّ ينال من أعراض مجاشع ودارم ، فأراد أن يرميها بقوارع من الإقذاع والتفحش ، تُقِضُّ عليم مضاجعهم - إلى آخر ماذكر .

ولم يقتنع الأستاذ الدكتور الفحام برأي أحد النقاد الذي أراد أن يتخذ من غرابة صور ذالك الهجاء وخبثها حجة للتدليل على عقدة نفسية ، وصفة خفية -

(١) كتاب «الفرزدق» ٣٤٠ .

أي إنه أثر مايحس به من مركب النقص .

وما أرى ذالك الناقد الذي أشار إليه الدكتور إلا على حق حين وصف الفرزدق بأنه كان حصوراً ، وأن من المعروف عمن بهم مرض الفرزدق أنهم يجاهرون بالفسوق ، ويعنيهم أن يذاع ذالك عنهم ، وتراهم يفاخرون به بغير احتشام ، وأشار الناقد وهو الدكتور محمد كامل حسين إلى إحدى قصائده التي هجا فيها الفرزدق قبيلة باهلة ومنها(1):

وَإِنَّ هِجَـاءَ الْبَـاهِلِيِّـينَ دَارِمـاً   لَمِنْ عَجَبِ ٱلْأَيَّامِ ذَاتِ الْعَجَائِبِ

إِذَنْ فهجاء الفرزدق لقبيلة باهلة وإقذاعه في ذالك ما هوى سوى محاولة لستر عيبه الذي يحس به ، وهو في ذالك يجري في سنن واحد سار عليه في هجو كُلِّ قبيلة من القبائل التي تعرض لهجائها ، وأية قبيلة لم تسلم من هجائه حتى بني عمه الأدنين من فروع تميم ؟! - وليس كما يرى أُستاذنا الجليل الدكتور شاكر عن سعة معارفه بمثالب باهلة ، أو بما يحس به من حطتها .

٦ - ولِمُجَّانِ الشُّعراءِ وفُسَّاقِهِم دَوْرُهم...

ولايزال الحديثُ متصلاً بالشعر والشعراءِ ، فقد مُنِيَتْ هذه القبيلة الكريمة بعدد ممن يصدق عليهم قول الشاعر :

بَـلاَءٌ لَـيْسَ يُـشْـبِـهُـهُ بَـلاَءٌ   عَـدَاوَةُ غَيْرِ ذِيْ حَسَبٍ وَدِيْنِ
يُنِيلُكَ مِنْـهُ عِرْضـاً لَـمْ يَصُنْهُ   وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِي عِرْضٍ مَصُونِ

وكما قيل : (الْـحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الْـخَنَا) .

وهاؤلاء الذين أَعْنِـي فئةٌ من الشعراء ، غلب عليهم الفسق والـمُجُون ،

---

(1) مجلة مجمع اللغة العربية: ١/٣٣ ومابعدها .

وتظاهروا بعدم التقيُّدِ بأية صفة خُلُقِيَّةٍ من الصِّفات التي تردعهم عن الوقوع في الأعراض بالثلب والنقيصة ، وإذا عدم المرءُ الوازِعَ الـخُلُقيَّ والعقليَّ تمادَى في الغي والضلال .

١ ـ الأخطـــل :

من هاؤلاء الشعراء الأخطلُ ، ومعروفٌ أنَّ الأَخطلَ ذو صِلَةٍ بالفرزدق ، ولهذا فليس من المستغرب أَنْ يُجارِيَهُ في النيل من تلك القبيلة ، التي امتدَّ نفوذها في عهده إلى الجزيرة الفراتية ، التي تنتشر فيها قبائل ربيعة ، قوم الأَخطل ، وقد حدثت معارك في عهد الأخطل في هذه البلاد ، أُبْليتْ فيها قبيلةُ باهلة بلاءً حسناً ، من هنا ليس من المستغرب أن يتجه الأخطل لهجاء هذه القبيلة ومؤازريها من القبائل القيسية ، كقوله[١] :

تَعُــوْذُ هَــوَازِنُ بِــابْنَيْ دُخَــانٍ　　لَعَمْــرُكَ إِنَّ ذَا لَهُــوَ الشَّنَــارُ
وَسَوَّدَ حَاتِـمـاً أَنْ لَيْسَ فِيهِـمْ　　إِذَا مَــا شُبَّتِ الـنِّـيْرَانُ نَــارُ

يقصد بابنيْ دُخَانٍ غَنِيًّا وباهلة ابنَيْ أَعْصُرَ ، وحاتِـمٌ المذكور هو حاتِم بن النعمان الباهلي ـ تقدمت ترجمته في الأعيان والأمراء ـ.

وكقوله[٢] :

وَمَا تَرَكَتْ أَسْيَافُنَا حِينَ جُرِّدَتْ　　بِأَعْدَائِنَا مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ مِنْ عُذْرِ
وَقَدْ عَرَكَتْ بِابْنَيْ دُخَانٍ فَأَصْبَحَا　　إِذَا مَا احْزَأَلَّا مِثْلَ بَاقِيَةِ الْبَظْرِ

وقوله :

هَجَانِـي الْأَلْأَمَانِ ابْنَـا دُخَـانٍ　　وَأَيُّ النَّــاسِ يَقْتُلُهُ الْهِجَــاءُ

(١) «النقائض»: ١٠٢٨ . (٢) «شعر الأخطل»: ١٣٢ .

وُلِدْتُّمْ بَعْدِ إِخْوَتِكُمْ . . . . . . (1) فَهَلَّا جِئْتُمُ مِنْ حَيْثُ جَاؤُوا

ومع ذالك فالأخطلُ في الوقت نفسه يحاول أن يضم فرعاً من أشهر فروع قبيلة باهلة وهو معن إلى قومه مفتخراً به ، فيقول(2) :

أَلَمْ تَرَ قَيْساً فِي الْحَوَادِثِ أُوْثِرَتْ عَلَيَّ بِمَعْنٍ وَالسَّعِيْدُ سَعِيْدُ
لَقَدْ عَلِمُوا مَا أَعْصُرٌ بِأَبِيْهِمُ وَلٰكِنَّهُ جَارٌ لَهُمْ وَعَبِيْدُ
هُمُ إِخْوَتِي آخَوْا غَنِيًّا وَأَعْصُراً فَكَيْفَ يُعَزَّى عِنْدَ ذَاكَ جَلِيْدُ

وغاية ما يقال في هجاء الأخطل لباهلة :

١ ــ ليس الأخطلُ بِمُرْتَضًى بأخلاقه لكي يكون له منها ما يردعه عن هجاء هذه القبيلة ، فهو يعادِيْها دِيْناً ، وكيف يَعِفُّ عن هجائها وهو يتبجح بالنيل من الدين الإسلامي وبكل معتنقيه ، إذْ يقول(3) :

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعاً وَلَسْتُ بِآكِلٍ لَحْمَ الْأَضَاحِيْ
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ أَبَداً أُنَادِيْ كَمِثْلِ الْعَيْرِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ
وَلٰكِنِّي سَأَشْرَبُهَا شَمُوْلاً وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلِجِ الصَّبَاحِ

٢ ــ لقد وُتِرَ الأخطل بما حدث لقومه من جَرَّاء المعارك العنيفة التي حدثتْ في عهده من قيس وفيهم باهلة ، ولهذا فليس من المستغرب أن يهجو أعداءه .

٣ ــ لم يكن الشعراء ممن على شاكلته ممن يتورع عن وصف أعدائه بما ليس فيهم .

---

(1) هنا كلمتان ممحوتان في الأصل لكنهما مثبتتان في «الأغاني» ٢٨١/٨ ط الثقافة .
(2) «شعر الأخطل» : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، قال : كان بنو قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر مجاورين لبني تغلب في الجاهلية ثم رجعوا إلى قومهم فادَّعاهم الأخطل أنهم منهم .
(3) «شعر الأخطل» : ١٥٤ .

٢ ـ بَشّار بن بـرد :

ومثل هذا يقال عن شاعر يُعَدُّ من فحول الشعراء في عهده ، وهو بشَّار بن بُرْدٍ ، مولى بني عُقَيْلٍ ، فقد نال من هذه القبيلة ، إلاَّ أنَّ الباعثَ بالنسبة له يختلف عنه بالنسبة للأخطل ؛ فلقد هجاه شاعرٌ باهليٌّ هو أبو هشام عَمْرُو بن عبدالرحمن الباهليُّ فأقذع في هجائه بحيث يروي صاحب «الأغاني»(١) أنَّ الباهليَّ منذ قال ذالك الهجاء في بشار لم يزل مُنْكَسِراً . ونرى هذا الشاعر الباهليَّ لم يتورع عن هجاءِ بَشَّارٍ بعد موته ـ وتقدم هجاؤه في ترجمته مع الشعراء ـ لهذا فليس من المستغرب أَنْ يُرْوَى عن بشار من الهِجاء لهذه القبيلة مثل قوله(٢):

إِذَا أَعْيَتْـكَ نِـسْبَـةُ بَـاهِـلِـيٍّ فَكَشِّفْ عَنْـهُ حَـاشِيَـةَ الإِزَارِ
عَـلَى أَسْتَـاهِ سَـادَتِهِمْ كِتَـابٌ: (مَـوالِـيَ عـامِـرٍ) وَسْمـاً بِنَـارِ

وكقوله(٣):

وَدَعَـانِـيْ مَـعْشَرٌ كُـلُّهُـمُ حُمُـقٌ دَامَ لَهُمْ ذَاكَ الـحَـمُـقْ
لَيْسَ مِنْ جُرْمٍ ولٰكِنْ غَاظَهُمْ شَرَفِـي الْعَارِضُ قَدْ سَدَّ الأُفُقْ

إنه لم يزد ـ في البيتين الأولين ـ على ماسبق أن اتخذ منه الفرزدق وسيلة للنيل من الباهليين ، وهو محالفتهم بني عامر . وقد تقدم الكلام عن هذا ، وأنه قَلَّ أن توجد قبيلة من قبائل العرب لم تحالفْ قبيلةً أُخرى عندما تبلغ مرتبة من القدم فَتَتفرق فروعها ، وتتباعد منازلها ، فتحتاج إلى المؤازرة والمناصرة .

ثم أيُّ شرف لمولى ساقِط الـخُلُق ، مغموز في دينه لكي يُعْتَدَّ بهجائه ، لقد

(١) ٣/١٣٥ ط . الثقافة . (٢) «الممتع في صنعة الشعر» للنهشلي ١٧٨ .
(٣) «الأغاني» ٣/١٩٥ ط الثقافة .

كان ـ كما يصفه الجاحظ[1]: يَدِيْنُ بالرجعة ، ويُكَفِّرُ جميعَ الأمة ويُصَوِّبُ رأْيَ إبليس في تقديم النار على الطين ، إذْ قال :

ٱلأَرْضُ مُـظْلِمَةٌ والنَّـارُ مُشْرِقَـةٌ   وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّـارِ

وكان الأصمعيُّ من المعجبين بشعر بشّار ، وكان يقدمه على كثير من شعراء عصره إلا أنه بعد أن هجا قبيلته تأثر من هجائه فقاطعه وجفاه ، وقال : وَيْلِـيْ على هذا العبد الْقِنِّ بن الْقِنّ !! . ولم يجتمع به حتى قُتل متهماً بالزندقة[2].

والاسترسال في الحديث عن موقف شعراء الموالي من النيل من باهلة وغيرها من القبائل يَطْول ، وستمر بالقاريُ أمثلةٌ فيما سيأتي .

---

(١) «البيان والتبيين»: ١/١٦/٢٤ و«الأغاني» ٣/١٣٩ ط الثقافة .
(٢) «الأغاني» ٣/٤٩ ط بولاق .

جذور الأفكار الشعوبية

كان لما وقع بين قبائل العرب التي يتكوَّنُ منها جيْشُ قُتيبةَ من الاختلاف عليه حتى انتهى ذالك بمصرعه ، ثم اسْتِعَارُ أُوَارِ العصبية بين تلك القبائل ، كان ذالك مِـمَّا هَيَّأَ تربةً خصبة نجمتْ فيها جذورُ الحقدِ الشعوبي التي غذَّاها أَثَرُ تغلغل الفتوحات الإسلامية في الأقطار الأعجمية ، ولئن كان أكثرُ تلك الشعوب قَبِلَ الإسلام عن طواعية واختيار ، فراراً مما كان يكبلها من قيود الرق والاستعباد والحكم الجائر ، إلَّا أَنَّ ذالك لا يعني أن كلَّ من اعتنق الإسلامَ كان قبوله له عن قناعة وحب وإدراك ، إنما كان خضوعاً واستسلاماً وترقُّباً للفرص التي يجد فيها أمثال هاؤلاء الفجوات التي تمكنهم من تحقيق مأربهم للانتقام ، والكيد للإسلام والمسلمين .

أجل ليس من المستغرب أن يوجد بين تلك الشعوب من ملأ الحقدُ قلبَه لما وقع في بلاده ، وماحَلَّ بقومه من آثار الفتوحات وهذا من الأمور الطبيعية التي تحدث في كل زمان ومكان ، فالمغلوب دائماً ينظر إلى الغالب بعين الحقد والكراهية .

ثم كان أن قامت الدولة العباسية على أساس فكرة أن آل الرسول ﷺ هم أحق بالخلافة ، فكان أكثر المشايعين لهذه الفكرةِ ، والمؤيدين لقيام تلك الدولة من الشعوب المغلوبة التي تحرص على أن تجد أيَّ متنفس لما ملأ قلوبها من أحقاد وأضغان .

ولقد كان كَثير من أؤلئك ممن وترهم الجيش الإسلامي بفتوحاته تحت قيادة قتيبة بن مسلم الباهلي ، ومادام الطعن في قبيلة هذا القائد ـ الذي كان من أعظم من وَتَرَ أؤلئك بتغلغله في بلادهم ـ قد استشرى وانتشر وكثر ، فلماذا

لا يكون لقبيلته منهم نصيبها من آثار هذه الأفكار الشعوبية .

ومادامت الدولة قامت على أساس محبة آل الرسول - ﷺ - والسعي لاستخلاص حقهم ، فلماذا لا يتخذ أولئك الحاقدون من ذالك وسيلة للنيل من تلك القبيلة ، التي أَفْرَى قائدها أثناء فتوحاته لبلاد أولئك فَرِيَّهُ بين أهلها ، وفعل أفاعيله العظيمة التي اقتلعت جذور ماكان لهم من ملك ومجد ورياسة .

من هنا فلن يعدم المتتبع الباحث في بعض المؤلفات القديمة بعض النصوص التي يفهم منها أن بين قبيلة باهلة وبين الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وَجْهَهُ ـ جفوة ، ومع أنني لا أستبعد أن تلك النصوص من اختلاق الشعوبيين ووضعهم ، أو قد يكون لتلك الجفوة ـ إن صحت ـ من الأسباب ما يبررها ، إلا أَنَّ مما لاشك فيه أنها كانت من الأمور التي عَمَّقت الأثر للنيل من تلك القبيلة .

يروي نَصْرُ بن مُزَاحم في كتاب «وقعة صِفِّيْنَ»[١] أَنَّ الإمام عليًّا حين دعا أهل البصرة للخروج معه لملاقاة جيش معاوية في صِفِّيْنَ ، دَعَا باهلةَ ، فقال : يامعشر باهلةَ أُشْهِدُ الله أنكم تبغضوني وأُبْغِضُكُمْ ، فخذُوا عطاءكم ، واخرجوا إلى الدَّيْلم ، وكانوا قد كَرِهُوا أن يخرجوا معه إلى صِفِّيْنَ . انتهى ، فلو صَحَّ هذا القول عن الإمام لما احتاج الأمر إلى تَرَدُّدٍ بالنسبة لوضوح موقف باهلة من مؤازرة الإمام علي ، ولكن نصر بن مُزَاحم (توفي سنة ٢١٢هـ) من غلاة الشيعة ، ليس موثوقاً بما يرويه عند علماء الحديث[٢] ولهذا لا يمكن الاعتماد على ما انفرد به من أخبار ، وماذكره هنا فيما بين علي وباهلة ، لم أره في كتب محققي العلماء المتقدمين . بَلْ نَجِدُ لَدَى عُلَماء أَوْثَق من نَصْرٍ مَا يَدُلُّ على

(١) - ١٣١ - . (٢) انظر «لسان الميزان» ج ٦ ص ١٥٧ .

اشتراكِ بَاهِلَةَ في وَقْعَةِ صِفِّيْنَ مَعَ الإِمَام عليٍّ بن أبي طَالِبَ كرَّم الله وَجْهَهُ ـ فقَدْ نَقَل الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ في «الإصابة» في ترجَمَة صُدَيٍّ بن عَجْلان أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ عن الحافظ ابن حِبَّانَ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ بِصِفِّيْنَ ، وأبو أُمَامَةَ كانَ رسُولَ رَسُول الله ﷺ إلى قومه باهلة ، وَدَاعِيَتَهُمْ إلى الإسلام ، وأحَدَ سادَتِهم ، وليس منَ المعقول أَنْ يُخالِفُوهُ ، وقد يُعَارِضُ هذا ماذكر ابن عساكر في ترجمة حَاتِم بن النعمان من «تاريخ دمشق» من أن حاتماً كان رئيس قيس في صفين مع معاوية[1] ، فهل كان قسم منهم مع علي والآخَرُ مع معاوية ؟! ليس هذا ببعيد كغيرهم من قبائل ذالك العهد .

ونَجِدُ في مخطوطة تتعلق بحرب صفين ، وصفها أحد الباحثين الغربيين (مارتن هنز MARTIN HINS) في مجلة «الأبحاث»[2] التي كانت تصدرها (الجامعة الأمريكية) في بيروت ، نجد نصوصاً منقولة عن هذه المخطوطة في وصف تَعْبِئَة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الكتائب وعقد الألوية لحرب صفين ماهذا نصه : وجعل على رايةِ غَنِيٍّ وباهلة عمرو بن النعمان الباهلي ، وكانت رايتهم بيضاءَ فيها صورةُ أَسَدٍ على هذه الصفة [وقد رسمت في المجلة] وشعار باهلة ابن أعصر (فرباض) انتهى ، وكلمة (فرياض) مهملة من الإعجام ، وقد تكن (فَرَّاص) وهو أحد مشاهير متقدميهم ، واسم فرع مشهور من فروع باهلة وهذا نص صريح عن مشاركة غني وباهلة في حرب صِفِّيْنَ بجانب الإمام علي .

وَقال ابْنُ دُرَيْدٍ في «الاشتقاق»[3] : وكان علي بن أصمع عَلَى البارجاه[4] ، ولاه علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ فظهرت له منه خيانة فقطع أصابع يده، ثم عاش حتى أدرك الحجاج، فاعترضه يوماً فقال: أيها الأمير، إنَّ أهلي

---

(١) وانظر «وقعة صفين» ـ ٢٣٣ ـ .
(٢) جزء ديسمبر سنة ١٩٧١م .
(٣) ٢٧٢ ـ تحقيق عبدالسلام هارون .
(٤) ناحية من نواحي البصرة .

عَقُّونـي . قال : وَبِـمَ ذاك ؟ قال : سَمَّوْنـي عَلِيًّا ، قال : ما أحسن مالطفت !! فولاه ولاية ، ثم قال : والله لئن بلغتني عنك خيانةٌ لأقطعنَّ ما أبقى عليٌّ من يدك . انتهى .

وما أرى هذا الخبر صحيحاً ، فاسم علي من الأسماء المحبوبة عند العرب ، وازداد محبة بكونه اسم الخليفة الراشد الذي يتولاه ويحبه ويعرف منزلته ومقامه في الإسلام كل مسلم ، وقد يكون هذا الخبر لو صح من قبيل التَّزَلُّفِ والتقرب إلى الولاة ببعض ما يحبون ، ولا يصح اعتماده أساساً لما تعتقده قبيلة باهلة ، وتدين الله به بالنسبة لعلي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقد يكون هفوة من علي بن أصمع تكلم بها غير مدرك لما لها من آثار (وكم كلمة قالت لصاحبها : دَعْنِـي) .

ولو ثبت مانسب إلى علي بن أصمع من خيانة ، أو تَفَوُّهٍ بتلك الكلمة ، لاَتَّخَذَ أَعْدَاءُ الأصمعي من ذالك أوسعَ باب لهجائه ، والتشهير به .

وما أرى الدكتور عبدالجبار الجومرد تجاوز الحقيقة في قوله[1]: إنه من وشاية بعض أعداء علي بن أصمع ، للنيل منه عند الإمام علي . .

وأورد الجاحظ في «البيان والتبيين»[2] لخلف بن خليفة ، قوله :

لـو تَصَفَّحْت أَوْلِيَـاءَ عَلِيٍّ لَـمْ تَجِـدْ في جَمِيْعِهِـمْ بَـاهِلِيًّا

وقد كذب خَلَفٌ بقوله هذا ، فعلي ـ كرم الله وجهه ـ من الخلفاء الراشدين ، الواجب لَـهُـمُ الإجلال والتقدير من جميع المسلمين ، وقبيلة باهلة التي لا ينكر أحد مواقفها ومآثرها في الإسلام كغيرها من القبائل العربية

(١) «الأصمعي حياته وآثاره» ٦ . (٢) ٣٥٨/٣ .

الأخرى ، فهي توالي عليًّا وتعرف له سابقته ومنزلته في الإسلام ، وأنه رابع الخلفاء الراشدين ، الذين ورد ذكرهم في الحديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» .

ثم بعد ذالك قويت تلك الأفكار الشعوبية ، واشتعل أوار نارها ، وليس بعجيب ولا غريب أن يكون لوزراء الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد أكبر الأثر في ذالك ، فقد تولى الوزارة لذالك الخليفة أفراد من الأسرة البرمكية ، وأولئك على درجة من العلم والمعرفة ، وإدراكٍ تامٍّ لخفايا التاريخ ، وهم لا ينسون ماجرى لجدهم برمك من قبل قتيبة بن مسلم ، لقد ذكر ابن جرير الطبري في «تاريخه»(١) أنَّ قتيبةَ أقام قبل أن يقطعَ النهر في هذه السنة ـ سنة ٨٦هـ ـ على بلخ ، لأن بعضها كان منتقضاً عليه وقد ناصب المسلمين ، فحارب أهلها ، فكان مِمَّنْ سَبَى امْرَأَةَ بَرْمَكٍ ، أبي خالد بن برمك ، الذي كان وزيراً للرشيد ، ومات في سجنه سنة ١٩٠ حين غضب على البرامكة وكان بَرْمَكُ على (النوبهار) فصارت امرأته في السَّبْيِ لعبد الله بن مُسْلم الذي يقال له الفقير ، أخي قتيبة بن مسلم ، فوقع عليها ، وكان به شيءٌ من الجذام ، ثم إنَّ أهل بَلْخَ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة ، فأمر قتيبة بِرَدِّ السَّبي ، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم : ياتازي إنِّي قَدْ عَلِقْتُ مِنْك . وحَضَرَتْ عبد الله بن مسلم الوفاةُ ، فأوصى أن يُلحق به مافي بطنها ، ورُدَّتْ إلى برمك ، فذكر أن ولد عبدالله بن مسلم ، جاءوا أيام المهدي حين قدم الريَّ إلى خالد فادَّعوه ، فقال لهم مسلم بن قتيبة : إنه لابُدَّ لكم إن استلحقتموه ففعل مِنْ أَنْ تُزَوِّجُوه ، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم . انتهى .

ومعروف أن برمك رجل من مجوس بَلْخ ، تلك المدينة التي اكتسحتها

---

(١) ٦/٤٢٥ .

جيوش القائد الباهلي قتيبة بن مسلم ، وحدث لزوجة برمك ماحدث من سبي وإذلال ، وكان برمك هذا يخدم معبد المجوس (النوبهار)[1] الذي توقد فيه النيران .

لهذا فليس من المستغرب أن يسعى هاؤلاء ومناصِرُوْهُمْ بعدهم لتقريب أنطق لسان للشعوبية في ذالك العهد ، وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى ، إلى بلاط الخليفة وحمله على مضايقة الأصمعي عبدالملك بن قريب الباهلي حتى خلا لهم الجو .

لقد تصدى لزحزحة الأصمعي عن مكانته في دار الخلافة رجل ذو مكانة سامية لدى الخليفة فمن دونه من الوزراء ورجال الدولة ، لا لكونه يجهل قدر الأصمعي ومكانته العلمية ، فقد كان يعده من عجائب الدنيا[2]، وقد استفاد من علمه وعرفه حق المعرفة ، وصاحبه وصادقه ، ولكنه بعد فترة من الزمن قلب له ظهر المجن ، إنَّهُ إسْحَاقُ بن إبراهيم الْـمَوْصِليُّ - مُغَنِّي الْـخَلِيفة ، والْـمُقَرَّبُ لَدَيه ، قال الأصفهاني[3]: كان إسحاق يأخذ عن الأصمعي ، ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد مابينهما ، فهجاه إسحاق ، وثلبه ، وكشف للرشيد معايبه ، ووصف له أبا عبيدة بالثقة والصدق والسماحة والعلم ، وفعل مثل ذالك للفضل بن الربيع ، واستعان به ، ولم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعي وأسقطه عندهم وأنفذوا إلى أبي عبيدة من أقدمه . انتهى .

ويحاول بعضهم أن يعلل هذا الأبعاد بما يلصق أعداء الأصمعي فيه من

---

(١) «الأعلام» ١٤٤/٨ - الطبعة الأخيرة .
(٢) «المزهر في علوم اللغة» ١٢٧/٢ و٢٥١ .
(٣) «الأغاني» ٣٥٢/٥ ط دار الثقافة .

نقائص[1]، ولكنني أرى الأمر أبلغ من ذالك ، فإسحاق بن إبراهيم الموصلي كان ذا صلة قوية بأبي عبيدة مُذْكِي أُوار الشعوبية ، ومثير نعرتها في ذالك العهد ، وإسحاق فارسي الأصل من الموالي ، والدولة بيد الفرس وصنائعهم ، وليس القضاء على البرامكة تلك الأيام كان قضاء على كل ما يجيش في أفكار أؤلئك الموتورين من العرب من مواليهم من الأعاجم ويزيل من نفوسهم تلك الرغبات الجامحة والمآرب ، وليس هاؤلاء الأعاجم الذين تمكنوا من التغلغل في شؤون الخلافة حتى تسنموا فيها أعلى المراتب بحذقهم وسياستهم وأحكام تصرفهم وإخفاء مآربهم البعيدة ـ ليسوا على درجة من السذاجة والبساطة تحملهم على تغيير وجهتهم من جراء ما نكب به بعضهم .

ومن هنا كان للموصلي في السعي لترسيخ الفكرة الشعوبية ما برزت أثاره تبدو بمقاطعته الأصمعي ، ثم بهجائه إياه ، ثم بالسعي لابعاده وإحلال عدوه اللدود أبي عبيدة مكانَهُ ، لكي ينمي تلك الفكرة التي يتولى أبو عبيدة رفع رايتها ، وكانت ذات آثار عميقة في كثير من نفوس رجال الدولة ومشايعيه ، وعلى رأسهم الموصلي الذي أصبح الآن الرأس المدبر لتحقيق مآرب أؤلئك ، وهو لما يتصف به من الدهاء والعلم والقرب من رجال الدولة تتجه إليه أنظار أؤلئك ، انه مطرب الخليفة ، ونديمه ، ومستشاره في شؤونه الخاصة ، ثم هو مع ذالك من أبرز علماء وقته في اللغة وأخبار الشعراء وأيام الناس ، حتى أن بعض الخلفاء وصفه بأنه أولى وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من قضاة ذالك العهد ، ولكنه اشتهر بالغناء وغلب على جميع علومه[2].

قد يكون من بواعث هذا الوصف أن ما يسعى إليه ويروم تحقيقه من الأفكار

(١) انظر كتاب «الأصمعي حياته وشعره» للدكتور الجومرد: ٢١٢ .
(٢) «وفيات الأعيان» ١/٢٠٢ تحقيق الدكتور إحسان عباس .

الشعوبية لم تتضح في ذالك العصر ، إلا أن أوضح ما يبرزها هو تقريبه لرأس الشعوبية وسعيه في إبعاد الأصمعي الذي هجاه هجاءً مقذعاً قال فيه[1]:

أليس من العجائب أن قردا أصيمع باهلياً يستطيل

في أبيات أخرى أوردها صاحب «الأغاني».

ومما قال مخاطباً به الفضل بن الربيع وزير الخليفة الرشيد[2]:

عَلَيْكَ أَبَا عُبَيْدَةَ فَاصْطَنِعْهُ فَإِنَّ الْعِلْمَ عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَهْ
وآثِرْهُ وَقَدِّمْهُ عَلَيْهِ وَدَعْ عَنْكَ الْقُرَيْدَ ابْنَ الْقُرَيْدَهْ

٣ ـ أبُو نُوَاسٍ :

أمَّا إمام الشعراء المُجَّان أبُو نواسٍ الحسن بن هانئ (١٤٦/١٩٨هـ) فليس بغريب أن يقف من الأصمعي ومن قبيلة باهلة بل من العرب أجمعين موقف المعادي ، فالبيئة التي نشأ فيها بيئة ملوثة بأوظار العداء للعرب ، وقد حاول أن يلصق نفسه بالولاء بهم ، ولكنه لم يستطع ، فقد انتسب إلى حكم من سعد العشيرة من مَذْحِجَ ، وادعى أنه مولى لهم ، إذْ كان في البصرة منهم أُناس معروفون ، ثم بعد ذالك هجا اليمنيين[3] ومَذْحِجُ منهم ، مع أن الذين يتعصبون له يحاولون إلحاق نسبه بأن جده الصباح مولى للجراح بن عبدالله الحكمي ، ولكن الأصمعي أثبت أن أباه كان فارِسِيًّا[4]، وبعد أن تدافعته القبائل لعدم ثبوت ولائه ـ فضلاً عن نسبه إلى قبيلة منها ـ عمد إلى هجائها فقال :

---

(١) «الأغاني» ٣٥٢/٥ ط دار الثقافة .
(٢) «وفيات الأعيان» ٢٣٨/٥ تحقيق الدكتور إحسان عباس .
(٣) «أخبار أبي نواس» لابن منظور ص ٢٣ الملحق بكتاب «الأغاني» ط دار الكتب العالمية بلبنان .
(٤) المصدر السابق ص ٢٢ .

واهْجُ نِـزَاراً وَافْـرِ جِلْدَتَهَـا وَهَتِّـكِ السِّـتْرَ مِنْ مَثَـالِبِهَـا

وقال :

عَاجَ الشَّقِـيُّ عَلَى رَسْمٍ يُسَائِلُهُ وَعُجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَّارَةِ الْبَلَدِ
لَا يُرْقِـيءِ اللهُ عَيْنَيْ مَنْ بَكَى حَجَراً وَلَا شَفَى وَجْدَ مَنْ يَصْبُو إِلَى وَتَدِ
قَالُوا ذَكَرْتَ دِيَارَ الْحَيِّ مِنْ أَسَدٍ لَا دَرَّ دَرُّكَ قُلْ لِـيْ مَنْ بَنُو أَسَدِ؟
وَمَنْ تَمِيْمٌ وَمَنْ قَيْسٌ وإِخْوَتُهُمْ؟ لَيْسَ ٱلْأَعَارِيْبُ عِنْدَ اللهِ مِنَ أَحَدِ!!

والغريب من أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي حين عَدَّ هذا الشعر من الدعوة إلى التجديد ونبذ القديم ، وقال : وليس لنا أن نحمل تلك الأبيات على شعوبية أبي نواس ، وأين هو من الذهاب مذهب الموالي ، وهو يفخر بأبيات معروفة بنسبه القحطاني ، وانصرافه إليها وإنكاره البداوة ولوازمها[1] . كذا يقول الأستاذ الدكتور السامرائي ، وأَيُّ نسب لأبي نواس في قحطان ؟! لقد ادَّعَى الولاءَ ولكن ادعاءه ليس مبنياً على أساس صحيح ، كما سبقت الإشارة إلى هذا .

وَهَبْ أنه كان مولًى لإحدى القبائل اليمنية ، فقد أَبَان عن بغضه للعرب في كثير من شعره ، بحيث لا يُعَدُّ كل ما وجهه من سباب إلى العرب اتجاهاً إلى التجديد ، وإنكاراً للبداوة ، وانصرافاً إلى الحضارة ، وهذا مما لا يجهله الدكتور السامرائي .

ومن المعروف أن أبا نواس كان من تلاميذ أبي عبيدة[2]، وأبو عبيدة كان في ذالك العهد أكبر دعاة الشعوبية ، وهذا مما لا يماري فيه أحد .

---

(١) مجلة «اليمن الجديد» ص ٩ من العدد السادس س ١٨ ذي القعدة ١٤٠٩هـ (يونيو ١٩٨٩م) .
(٢) «أخبار أبي نواس» ١١٠ .

أما موقف أبي نواس من الأصمعي ومن قبيلته باهلة فما كان بالمستغرب منه ، لقد كان شيخه أبو عبيدة نِدَّ الأصمعي وخصمه الأكبر ، كما أن أبا نواس كان ذا صلة بقطرب لاتفاقهما في بعض الآراء ، وكان قطرب يعادي الأصمعي(١). من هنا فليس غريباً أن يهجو أبو نواس الأصمعي ، ومن ذالك قوله :

رَأَيْتُ دَعِيَّ بَنِي أَصْمَعٍ مِنَ اللُّؤْمِ أَزْهَى مِنَ ٱلْأَعْرَجِ(٢)

فلما قيل : لِـمَ هجوته في بيت واحد ؟ قال : أوليس بيت واحد لباهلي كثيراً ؟!

ثم قال :

وَبَيْتٍ هَجَوْنَا بِهِ ٱلْأَصْمَعِي . وَلَا بُدَّ لِلْبَيْتِ مِنْ مَخْرَجِ

لم يكن هجاء أبي نواس مقصوراً على الأصمعي أو على قبيلة باهلة ، بل كان عاماً لقبائل العرب ، ولذالك أسباب :

أولها : أن القبائل العربية تدافعت انتسابه إليهم حتى بالولاء ، ولاشك أنه قد عرف ضَعَةَ نسبه ، ولهذا فقد حاول أن يشفي غليله بانتقاص الأصل العربي بصفة عامة .

الثاني : أنه نشأ إبَّان اشتعال نار الشعوبية ، وقويت صلته بأقوى دعاتها وهو أبو عبيدة فاندفع في التيار الشعوبي ، لأنه عاش في مجتمع كان النفوذ فيه والسيطرة لغير العرب ، فالدولة يصرف شؤونها الموالي من الأعاجم وغيرهم ، وحياة هاؤلاء أَبْعَدُ ما تكون عن الحياة العربية الصافية ، مما يكدرها عن

(١) «أخبار أبي نواس» ٢٨٦ . (٢) يقصد بـ(الأعرج) الغساني الملك .

العادات والأخلاق الغريبة ، وهي حياة تتلاءم مع ما يحياه هذا الشاعر الماجن ، ثم هو في الوقت نفسه بحاجة إلى أن ينال من أؤلئك الذين يصرفون شؤون الدولة من الحظوة والتقدير ماهو بحاجة إليه .

لهذا ليس من الغريب أن يكون أبو نواس مع ماله من منزلة لدى الخليفة من أقوى دعاة الشعوبية ، ومن هذه صفته ليس بغريب أن لا يقتصر هجاؤه على قبيلة باهلة بل يعم العرب أجمعين .

٤ ــ اليَزِيْـــدِيّ :

وممن ناصب الأَصْمَعيَّ العِداءَ إبَّان اشتعال أوار الشعوبية ، اليزيديُّ يحيى ابن المبارك (. . /٢٠٢هـ)، عرف باليزيدي لأنه أدب أولاد يزيد بن منصور الْـحِمْيَرِيِّ ، خالِ المهدي ، وهو[١] مولى لبني عديٍّ بن عبد مناة ، كان جده المغيرة مَوْلًى لا مرأة منهم ، فنسب إليهم ، وهو من القراء الفصحاء ، العالمين بلغات العرب والنحو ، وكان صدوقاً ثقة ، وقد اتصل بالخليفة الرشيد فوكل إليه تأديب ابنه المأمون ، ومن هنا كانت صلته ببلاط الخليفة قوية ، في الوقت الذي اشتد عداء الشعوبيين للأصمعي ، ويظهر أن اليزيدي وقد رأى شمس الأصمعي تميل إلى الغروب انضمَّ إلى أعدائه الشعوبيين ، كغيره من كثير من الموالي ، يضاف إلى هذا ماحدث بينه وبين الأصمعي من عِدَاءٍ ، فقد كان يحيى هذا من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء مع الأصمعي ، فبلغ في اللغة والأدب والعلم ما هيأه ليكون أستاذَ حَلْقَةٍ في مسجد البصرة ، وكان خلفُ الأحمر يكرهه ، وينظم فيه الأشعار هاجياً ، وكان الأصمعيُّ صديقاً لخلف ، فكان يروي أشعاره في يحيى ، ومن هنا نشبت بينه وبين يحيي العداوة فهجا الأصمعي بقصيدته التي أوردها السيرافي[٢] وابن المعتز[٣] .

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان: ٦/١٩٠ (٣) «طبقات الشعراء» ـ ٢٧٤ ـ.

(٢) «أخبار النحويين» ط الحلبي سنة ١٣٨٤ ص ٤٦ .

ولبعض العلماء مواقف غريبة !!

١ - إنهم علماء ..... ولكن لكل عالم هفوة

«كلُّ بني آدمَ خَطَّاءٌ» كما في الحديث ، والكمال لله وحده ، والعصمة لِمن عصم من رسله ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المصطفى - عليه الصلاة والسلام - ولهذا فليس بِدْعاً أن نجد بين علمائنا من تناول قبيلة باهلة بما هي بريئة منه في كثير من المؤلفات في مختلف العلوم ، ولكن الغريب حقًّا أن نجد شيئاً من ذالك في مؤلفات علماء أَجلة ، لهم في أنفسنا من التقدير والإجلال ماهم جديرون به لما اتضح من اتصافهم بالحرص على أن تخلو مؤلفاتهم مع جميع الآراء والأفكار والأقوال التي لا تقوم على أسس صحيحة من المعرفة والحقيقة الثابتة شرعاً وعقلاً ، ومن هاؤلاء :

ابن خَلِّكَانَ : أحمد بن محمد بن إبراهيم (٦٠٨/٦٨١هـ) :

فكتابه «وفيات الأعيان» من أجلِّ ما أُلف في موضوعه من كتب التراجم ، من حيث الشمول والاستقصاء ، إلا أن المؤلف لم يلتزم بذكر الصحيح في جميع ما يورده من أخبار وآثار ، ولا رَيْبَ أنه - لسعة اطلاعه وغزارة علمه - قد تأثر في نقل كثير مما أتى به في كتابه بما اشتملت عليه كتب الأدب ودواوين الشعراء ، فحفل هذا الكتاب بكثير من ذالك ، بدون تثبت أو إعمال رويَّةٍ أو فكر ، فكتب التراجم أشبه بكتب المحاضرات التي قد تُعْنَى باستيفاء ما يتصل بالموضوع - كَمًّا لا كَيْفاً - فهي لم تُؤَلَّفْ ليرجع إليها لتلقي الأحكام الشرعية ، وإنما لإيضاح جوانب عُرِفَتْ عن المترجمين ، أو نُسِبَتْ إليهم ، ومعرفة هذه الجوانب يلامس العواطف أقوى من اتصاله بالفكر ، فلا غرابة أن تحويَ تلك

(١) ٢٧٣ .

الكتب ـ فيما تحوي ـ الغثَّ والسمين ، ومن الغث في هذا الكتاب مما له صلة بقبيلة باهلة .

١ ـ قيل لأبي عبيدة : يقال إنَّ الأَصمعيَّ دعِـيٌّ في نسبه إلى باهلة ، فقال : هذا ما يمكن .

فقيل : ولم ؟ فقال : لأن الناس إذا كانوا من باهلة تبرأوا منها فكيف يجيء مَنْ ليس منها وينتسب إليها[1] .

لا يستكثر صدور مثل هذا عن أَبي عبيدة العدو اللدود للأصمعي ، المتصدِّي لقبيلته بالتنقص والثلب ، إذْ لا وازع يمنعه ولا رادع يردعه عن الافتراء والكذب ، وهو المعروف بتتبع نقائص العرب جميعهم ، بل باختلاق كثير من تلك النقائص و«إذا لم تستحي فاصنع ماشئت» ولكن كيف ساغ لعالم جليل عارف بحالِ أَبي عبيدة ، ومطلع على مابينه وبين الأصمعي أن ينطليَ عليه قبول هذا القول فيفسح في كتابه المجال لذكره ؟! أتراه يجهل ما يتصف به أبو عبيدة من الخبث والافتراء ؟ فمتى وأين وممن حدث التبرؤ من باهلة ؟، وهي القبيلة التي كان أبناؤها والمنتسبون إليها من مواليها منذ أقدم العصور إلى عهدنا الحاضر ـ يعتزون بالانتساب إليها ، بدون جمجمة أو تردد ، وَهَبْ أن الأصمعيَّ نفى ـ في معرض إيضاح إطلاق اسم باهلة على القبيلة ـ أن يكون من أبناء (باهلة) الأم ، فإنه لم ينف أن الاسم شمل أَبناءها من معن ، مع من كفلتهم من غيرهم ، وأنه أوضح ذالك نافياً نسبته لـ (باهلة) من حيث الأمومة وهو صادق ، لا من حيث مسمى القبيلة ، ولا كما زعم صاحب «الخزانة»[2]

---

(١) «وفيات الأعيان» ٩٠/٤ ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ ط دار صادر في بيروت .

(٢) ج ٤٠١/١١ وفيه : وكان الأصمعي يقول : لست من باهلة لأن أم قتيبة بن معن ـ أحد أجداد الأصمعي ـ تميمية ، ولكن باهلة حضنته فغلبت عليه .

تبرأ منها لأنها قبيلة مذمومة في العرب ، فما كانت مذمومة يوماً إلا بعد تكالب أعدا باهلة على العرب كلهم ـ بعد قتل قتيبة .

٢ ـ أما الداهية الدهياء ففي قول ابن خلكان(١) : رأيتُ في بعض المجاميع أن الأشعث بن قيس الكندي قال للنبي ﷺ : أتتكافأُ دماؤُنا يارسول الله ؟ . قال النبي ﷺ : « نعم ، ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك به ».

كيف خفي على ناسب هذا القول للمصطفى عليه الصلاة والسلام ـ ما ينطوي عليه من احتقار وازدراءٍ لعدد من الباهليين ، الذين شرفوا بصحبته ﷺ وجاهدوا معه ، ومنهم من حضر بيعة الرضوان ؟! وكيف نسي ما كان يتصف به المصطفى ـ وقد وصفه الله بأنه على خُلُقٍ عظيم ، ومن أبرز أَخلاقه أنه لا يزدري بل لا يرضى بأن يتنقص عنده أحد من المسلمين ، وكان يساوي بينهم في المنزلة .

ثم إن باهلة ـ من حيث الأصل ـ من الأرومة الـمُضَرِية التي شرفت بانتساب المصطفى إليها ـ فهل مسلم يرضى أن ينظر إلى هذه الأرومة نظرة احتقار واستهانة ؟

أَلَـمْ يبلغ ابنَ خَلِّكَانَ الوعيدُ الشديد لمن نسب إلى المصطفى ما لم يقله ، وما لم يفعله ؟ ، وهل المرجع في ذالك إلى (بعض المجاميع) المجهولة ؟ إنها لهفوة عظيمة من عالم جليل ، ما أَحَقَّهُ بأن يُطْلَبَ من المولى جل وعلا أن يغفرها له .

٣ ـ قال قتيبة بن مسلم لهبيرة بن مسروح : أَيُّ رجلٍ أَنْت لو كان أخوالُكَ من غَيْرَ سَلُول ، فَبَادِلْ بهم ، قال : أصلح الله الأمير : بَادِلْ بهم مَنْ شئْتَ ، وجنبني باهلة .

---

(١) «وفيات الأعيان» ٤/٩٠ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ طبع دار صادر في بيروت.

هذا مما أورد ابن خلكان في كتابه ، بقصد النيل من تلك القبيلة ، وهو مما تكرر ذكره في كتب الأدب ككتاب «العقد الفريد»[1] وغيره ، مثل هذه الحكاية مما يجري كثيراً بين المتصافيين في مجالس التندر والفكاهة ، وقد مرَّ بقبيلة باهلة ـ في آخر العهد الجاهلي ـ من الضعف حين تفرقت فروعها ، ووقع الخلاف بينها وبين حلفائها من فروع بني عامر بسبب قتل ابن المنتشر الباهلي ـ ما أثر في نظرة بعض القبائل إليها كغيرها حين تضعف ، ولكنها ما لبثت أن استردت مكانتها بين قبائل العرب في العهد الإسلامي ، بما لرجالها من مآثر إبَّانَ الفتوحات في مختلف الأقطار ، ولعلمائها من جليل الآثار في خدمة اللغة والأدب .

وما أرى هذا القول الذي جرى بين الرجلين ـ على فرض وقوعه ـ سوى منقبة لقتيبة ، لرحابة صدره ، وإدراكه لحقوق الصحبة والصداقة ، وهو يُذَكِّر بما جرى بين معاوية وبين الأحنف بن قيس حين سأله معاوية عن (الشيءِ الْـمُلَفَّفِ في البِجَاد) فَأَجَابَهُ : (السَّخِيْنَةُ) يا أمير المؤمنين[2] . . .

٤ ــ أما الخرافة التي صدرها ابن خلكان بكلمة (يحكى) ونصها[3]: يحكى أن أعرابياً لَقِـي شخصاً في الطريق فسأله : ممن أنت ؟ فقال : من باهلة ، فرثَى له الأعرابي ، فقال ذالك الشخص : وأزيدك أني لست من صميمهم ، ولكن من مواليهم !!! فأقبل الأعرابيُّ عليه يقبل يديه ورجليه ، فقال له : ولِمَ

---

(١) ٤/١٣٩ .

(٢) أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات ميت بنى تميم ... فسرك أنْ يقوم فجِيْءْ بزاد

بخبز أو بتمر أو بإقْطٍ ... أو الشيْءِ الملفف بالبجادِ

وأراد الأحنف أن قريشاً كانت تُعيَّر بكلمة (سخينة) كما في شعر حسان يهجوها :

زعمت (سخينة) أن تغالبَ ربها ... ولَيُغْلَبَنَّ مغالِبُ الغلاب

والسخينة الطعام الساخن ، وقد يلف بالبجاد ليبقى ساخناً .

(٣) «وفيات الأعيان» ٤/٩٠ .

ذالك ؟ فقال : لأن الله تبارك وتعالى ما ابتلاكَ بهذه الرزية في الدنيا إلاَّ يعوضك الجنة في الآخرة .

هذه الخرافة تدل على أن شيخنا ابن خلكان ـ والله يعفو عنه ـ قد يضطر لإيراد الخرافات التي يختلقها الـمُجَّانُ إذا أحس بضعف ما يستدل به على تأييد ما يبديه من بعض الآراء الشاذة مثل : وكانت العرب تستكنف من الانتساب إلى هذه القبيلة ، ثم الاستدلال على هذا ببيتين مصنوعين أحدهما :

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلهْ

والثاني :

ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم هذا النسب

وكأنه ـ سامحه الله ـ تخيل أن الموضوع بعد أن بلغ عُوَاءَ الكلاب ـ أصبح بحاجة إلى ما يضفي عليه روحاً من الهزل والمرح بهذه النُّكْتَـةَ الباردة : قيل لبعضهم : أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي ؟ فقال : نعم بشرط ألا يعلم أهل الجنة أني باهلي !!

عجيب ـ وأيم الحق ـ حال بعض علمائنا ، يطلقونها آراء فَجَّةً باطلة ، ذات أثر سيِّءٍ في أفكار من يتقبلها عنهم ـ عن ثقة وحسن ظن بهم ـ كالقول بأن العرب تستنكف من الانتساب إلى باهلة ، وحينما تعوزهم الأدلة القاطعة لتأييدها يبلغ بهم الإسفاف إلى الاعتماد على حكايات الجهلة والسفهاء ، وأقوال فساق الشعراء !!

إن هذه الفرية التي حاول ابْنُ خَلِّكانَ إلصاقَها بهذه القبيلة الكريمة فلم يكن موفقاً رغم ماحشد من أباطيل لإثباتها ، قد سُبِقَ إلى وَصْمِ قبيلة باهلة بها ، وليس بمستنكر من مثل ابن خلكان الانجراف في تيار التقليد والمحاكاة ، وتَقَبُّلِ

بعض الآراءِ دونَ التثبت من صحتها ، ولكن المستنكر حقاً ما أُصيب به وهو ومَنْ سَبَقَهُ أو مَنْ أَتَى بعده من الجهل المطبق بما اشتمل عليه التاريخ العربي منذ أقدمِ عصوره من صلة قبيلة باهلة بغيرها من القبائل العربية ـ كَقُرَيْشٍ وتَمِيم وبني عامر وغيرهم بالمصاهرة ، ثم اعتزاز ذوي الصلة منهم بذالك .

وما أَكْثَرَ مَن ترسَّمَ خُطَا ابْنِ خلكان من المؤرخين في النَّيْل من هذه القبيلة الكريمة ، ممن نقل عن كتابه ما حواه عَنْها ، بدافع حسن الثقة به ، دون الأخذ بأية وسيلة من وسائل التثبت والتمحيص ، والتأكد من صحة ما تحويه تلك النصوص ، من الطعن في قبيلة بأسرها طيلة عصورها المتعاقبة ، وفيها الصلحاء والعلماء ، والقادةُ الذين أُبْلُو أَحْسَنَ بلاءٍ في خدمة الإسلام والمسلمين . ولا يتسع المجال لعرض أمثلة من كتب التاريخ لهذا الانحراف عن جادة العدل والانصاف ، وعدم استعمال مقاييس العقل والمنطق لإدراك وجه الصواب في ذالك ، ولكنني أَقِفُ موقف المستغرب المتعجب من مُؤَرِّخَيْنِ جليلينِ وعالمين محققين ، كيف انجرفا في ذالك التيار ، فتقبَّلا ما أورده ابن خلكانَ على علاته و(عِلَلِهِ) وهما ممن عرف بمحاربة التقليد الأعمى ، وباتِّباع وسائل نقد الأخبار على طريقة علماء الحديث ، ولكتابيهما «تاريخ الإسلام» و«البداية والنهاية» في نُفُوس علماء العصر مكانة رفيعة ، هما جديران بها .

الذهبي ـ محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣/٧٤٨هـ) :

والإمام الذَّهَبِيُّ يُعَدُّ في قِمَّة أولي التحقيق من العلماء ، ومن كبار نُقَّاد الأَخبار التي لها صلة بالحديث الشريف ، ومن أئمة الجرح والتعديل ، الذين عَنُوا عناية فائقة ببيان ما يتصف به نقلة الأخبار من الصفات التي بها تتضح منزلة ما يروونه إنْ صدقاً ، وإنْ كذباً ، ولكنه ـ والله يسبغ عليه وابل العفو والغفران ـ فيما عدا الأخبار التي لها صلة بحديث المصطفى ـ عليه الصلاة

والسلام ـ لا يسير على ذالك النهج الحميد من شدة التحري ، والتثبت من صحة ما يورده في مؤلفاته ، ومن ذالك ماجاء في ترجمة قتيبة بن مسلم الباهلي من كتابه «سير أعلام النبلاء»[1] من قوله : وباهلة قبيلة منحطة بين العرب ، ثم الاستدلال على ذالك ببيتين ساقطين من الشعر ، مجهولي القائل ـ تقدم الكلام عليهما ـ ثم إيراد أخبار وحكايات هي بما يجري بين الـمُجَّانِ وَذَوِي الرقاعة في مجالس لهوهم وأُنْسهم أجدر من أن تكون من النصوص التي تحويها كتب أهل التحقيق من العلماء .

لقد أُتِـي شيخنا الذهبيُّ ـ رحمه الله ـ في إيراد هذه الأخبار الواهية من باب طالما حاول إِيْصَادَهُ ، ومن نهج سعى جهده للتحذير من السير فيه ، أَلَا إنه (التقليد) فقد عوَّل على ابن خلكان في كثير من تراجم الأعلام ، فاسترسل في ذالك ، مدفوعاً بثقته به ، حتى نقل عنه ما كان لا يرتضيه ، لو أعمل فكره ، واستعمل المقاييس العلمية التي اعتاد أن يفحص بها ما يعترضه من أخبار ليميز بها بين الصحيح والسقيم ـ بالنسبة للأحاديث النبوية ، ولماذا لا نتخذ منها وسيلة لتنقية تاريخنا مما ألصق به من أكاذيب وخرافات ، وأخبار قصد منها إيقاع الفرقة بيننا ، والقضاء على وحدتنا ، وتمزيق شملنا ، ووصم إخواننا بما هم براءُ منه من المعايب وسيء الصفات . .

إنه لحقٌّ ما قال من أَنَّ قُتيبة لم يَنَلْ أعلى الرتب بالنسب ، بل بكمال الحزم والعزم ، والإقدام والسعد ، وكثرة الفتوحات ، ولكن ما هي منزلة تلك الأخبار التي أدخلها في ترجمته في مقاييس علماء الجرح والتعديل ، وهو العلم الذي بَرَّزَ فيه الذهبي ، وبه استطاع هو وأمثاله حماية السنة النبوية من أن يمسها ما يدنسها من زور وبهتان ، فَهَلَّا حَمَى حِـمَى أولئك النبلاء الذين تحدث

(١) ٤/٤١٠ .

عنهم في كتابه حديث الْـمُجِلِّ المقدِّر العارف بما اتصفوا به من خلال حميدة ، فَنَزَّهَ تراجمهم من أن تنسلَّ إليها وتندسَّ بينها أفكار (الشعوبِيِّيْنْ) ودعاة التفرقة ، وفسقة الشعراء ؟

ابن كثير : اسماعيل بن عمر (٧٠١/٧٧٤هـ) :

هو أحد تلاميذ الإمام الجليل أحمد بن تيمية ـ المعروف بجهاده ومحاربته للبدع والخرافات ، وممن سار على نهجه القويم في ذالك ، وفي مناصرة السنة ، وفي الدفاع عن نهج السلف الصالح عَمَلاً واعتقاداً ، والشيخ ابن كثير هو مؤلف ، «تفسير القرآن» الذي ترسم فيه منهج السلف في إيضاح المعاني والآيات بما أُثِر من آرائهم وأخبارهم ، وهو صاحب كتاب «البداية والنهاية» في التاريخ ، وهو ذو المواقف التي لا تجهل في الدفاع عن سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ سائراً في ذالك على نهج المحدِّثين ، من علماء الجرح والتعديل ، وما أقومه من نهج ، لو استمر في السير عليه في كتابة تاريخه ، فاتبع فيما أورده من أخبار ـ وخاصة ما له صلة بالحديث النبوي ـ، ولكنه انجذب خَلْفَ ابن خلكان ، وشايعه في كتابة كثير من تراجم الأعيان ، فوقع في مزلات اقدام ، وهفوات أقلام ، من حيث لا يشعر ، فلقد وصف باهلة بما هي بريْئة منه ، إذ قال بأنها قبيلة مرذولة عند العرب . وقد يعذر بالجهل بتاريخها ، وبما كان لها من منزلة بين تلك القبائل ـ وإن لم يكن ممن يظن به الجهل بهذا ، ولعل هذا الانجراف بالانسياق وراء التقليد جَرَّهُ إلى هذا القول المزري .

ولكن الأمر الذي لا يجد المعتذر عنه ما يلجأ إليه لدفع عواره عنه هو إيراده قول ابن خلكان : ورأيت في بعض المجاميع ، ثم سياق الخبر المنسوب إلى المصطفى كذباً وزوراً ـ دون أن ينبه على عدم جواز نسبته إليه عليه الصلاة والسلام ـ وإذا كان علماء الحديث وابن كثير من أعلامهم ، وهم حراس السنة

النبوية ، والقائمون على حمايتها ، لا تحملهم غيرتهم عليها لصيانتها من أَنْ يُدَنِّسَ حِمَاهَا أعداؤها ممن يحاول أن يدس فيها ما ليس منها فمن يغار عليها ؟! ومن يُرْجى منه أن يَحْمِيَها ؟!

أما ما ساقه ـ عفا الله عنه ـ من خرافات حول انتقاص تلك القبيلة الكريمة فهو مما اعتاد المؤرخون أن يحشوا به مؤلفاتهم من الخرافات ، وما أكثرها ! وليس بِدْعاً أن يحوي كتاب «البداية والنهاية» منها نصيبه كاملاً غير منقوص ، فما اشترط مؤلفو كتب التاريخ خلوها من التخريف ، لأنهم توقعوا من قرائها أن يكونوا ذوي إدراك وعقل وبصيرة ، وتمييز بين الحق والباطل ، فهي كتب أدب وثقافة عامة ، وليست كتب تبصير وهداية في كل ماحوته من نصوص .

٢ ـ المقلدون من الفقهاء

ولم يقتصر التجنِّي على هذه القبيلة على أهاجي الغواة من الشعراء ، وأكاذيب الحاقدين من الشعوبيين ، وأوهام السُّذَّجِ من مشايعيهم ، عن جهل بغاياتهم ، وانخداع بعض محققي المؤرخين من القدماء ببعض عبارات منمقة ظنوها حقائق ، وماهي سوى أباطيل مزيفة ، من صنع من سبقهم ، لم يقف الأمر للنيل من قدر تلك القبيلة عند ذالك الحد ، بل زعم بعضُ المشرِّعين المضيفين إلى أحكام الشرع المطهر ماليس منها ـ وبئس مازعموا ـ أنَّ قبيلة باهلة لا تكافِئُ غيرها من القبائل العربية ، وأدخلوا هذا الزعم الباطل في مؤلفاتهم عن الأحكام الشرعية ، وأسندوه بما نسبوه إلى المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ جهلاً وتقليداً أعمى ، فحفلت بعض كتب فقهاء الأحناف ـ أتباع الإمام أبي حنيفة ـ بالكثير من الطعن في هذه القبيلة وانتقاصها ، ووصفها بما هي منه بريئة ، بل إن بعض المؤرخين ـ من غير هاؤلاء ـ لم يتورعوا في مقام النيل من

هذه القبيلة حين رأوا بروز أعلام منها في الأعمال الجليلة التي تُحِلُّهُمْ أرفعَ منازل المجد والشرف ، وتضفي على قبيلتهم أرديةَ الفخار ـ لم يتورعوا من أن يَدُسُّوا في مؤلفاتهم مما يحط من قدر هذه القبيلة أخباراً ينسبونها إلى المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مما يتنافى مع ما أتى به من مساواة بين المسلمين ، وعدم تفاضل بين قبيلة وأخرى إلا بالأعمال الصالحة ، فيزعم ابنُ خلكان أنه رآى في أحد المجاميع[1] أن الأشعث بن قيس الكنديَّ قال لرسول الله ﷺ : أتتكافأ دماؤنا ؟ قال : نعم ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك به . ثم يأتي صاحب كتاب «تحفة الألباب»[2] شرح أرجوزة «عمود النسب» فيورد الخبر : قيل : إن في الحديث «تتكافأ دماؤكم ولو قتلتم رجلاً من باهلة» يورده بهذه الصيغة (قيل) كلمة التمريض المعروفة ، ثم يتبعها بكلمة (إنَّ) المؤكدة ، وهو في مقام ثلب تلك القبيلة . أما كان الأجدر بهذين العالمين المؤلفين أن يطهرا مؤلفيهما عن هذا الخبر المكذوب ، وأن يتوقَّيا الوعيد الشديد الوارد في حديث «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار» ؟!

أما موقف بعض فقهاء الأحناف فأعظم وأَطَمّ ، اعتمدوا على حديث مكذوب على المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ثم بنوا عليه أحكاماً باطلة ، وهاهي نماذج من أقوالهم التي حشوها بتنقص هذه القبيلة ظلماً وعدواناً .

قال شيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني المتوفى سنة ٥٩٣هـ في كتاب «الهداية ، شرح البداية» على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان[3] : (ثم الكفاءة تعتبر في النسب ، لأنه يقع به

(١) «وفيات الأعيان» ٣/٢٥٣ ـ ط : السعادة تحقيق محيي الدين عبدالحميد و ٤/٩٠ ط دار الثقافة تحقيق د. إحسان عباس .
(٢) ٢٨٧ ـ وقد نشر الكتاب في (قطر) سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) .
(٣) ج ١ ص ٢٠١ ـ طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ، وج ١ ص ١٥٨ ـ الطبعة الأولى بمطبعة الخشاب بمصر .

التفاخر ، فَقُرَيْشٌ بعضهم أكفاء لبعض ، والعرب بعضهم أكفاء لبعض ، والأصل فيه قوله عليه الصلاة والسلام : « قريش بعضهم أكفاء لبعض ، بطنٌ لِبَطْنٍ ، والعرب بعضهم أكفاء لبعض ، قبيلةٌ بقبيلة ، والموالي بعضهم أكفاء لبعض رجل برجل» . . . وبنو باهلة ليسوا بأكفاء لعامة العرب لأنهم معروفون بالخساسة) وقال صاحب كتاب «مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر[١]» : (وبنو باهلة ليسوا كُفْوَ غيرهم من العرب ، وفي «شرح الجامع الصغير» وغيره : والعرب بعضهم أكفاء بعض إلا بنو باهلة لخساستهم ، لا يكونون كفواً لعامة العرب ، لأنهم كانوا يأكلون بقية الطعام مرة ثانية ، وكانوا يأخذون عظام الميتة يطبخون بها ، ويأخذون دسومَاتِها - كما قيل - لكن في «الفتح »[٢] : وهذا لا يخلو من نظر ، فإنَّ النص لم يُفَصِّلْ ، مع أن النبي ﷺ أَعلَمُ بقبائل العرب وأخلاقِهم ، وقد أطلق ، وليس كلُّ باهلي كذالك بل فيهم الأجواد ، وكون فصيلةٍ منهم أو بطن صعاليك فعلوا ذالك لا يَسْرِي في حق الكل ، وقال في «البحر» بعد نقله : والحق الإطلاق) .

وقال كمال الدين محمد بن عبدالواحد المعروف بابن الـهُمام المتوفى سنة ٨٦١هـ في كتابه «فتح القدير»[٣] -: قوله : وبنو باهلة . استثناء من قوله : العرب بعضهم أكفاء لبعض ، وباهلة في الأصل اسم امرأة من همدان ، كانت تحت مَعْنِ بن أَعْصُرَ[٤] بن سعد بن قيس بن عيلان ، فنسب ولده إليها ، وهم معروفون بالخساسة ، قيل : كانوا يأكلون بقية الطعام مرة ثانية ، وكانوا يأخذون عظام الميتة يطبخونها ويأخذون دسومتها ، فلذا قيل :

(١) ج ١ ص ٣٤٠ - (المطبعة العامرة) في اصطنبول .
(٢) يقصد كتاب فتح «القدير» لابن الهمام الحنفي وسيأتي نص كلامه .
(٣) ج ٢ ص ٤٢١ طبعة بولاق بمصر سنة ١٣١٥هـ .
(٤) الصواب (معن بن مالك بن أعصر) .

وَلَا يَنْفَعُ ٱلْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ   إِذَا كَـانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَـاهِلَهْ

وقيل :

إِذَا قِيْـلَ لِلْكَـلْبِ يَـابَـاهِـلِيْ   عَوَى الْكَلْبُ مِنْ لُؤْمِ هذَا النَّسَبْ

ولا يخلو من نظرٍ ، فإنَّ النصَّ لم يُفَصِّلْ مع أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أعلم بقبائل العرب وأخلاقهم ، وقد أطلق ، وليس كل باهلي كذالك بل فيهم الأجواد ، وكون فصيلة منهم أو بطن صعاليك فعلوا ذالك لا يسرِيْ حق الكل . انتهى .

وقال زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجيم المشهور بأبي حنيفة الثاني ، المتوفى سنة ٩٧٠ في كتابه «البحر الرائق ، شرح كنز الدقائق»(١) : وأطلق المصنف في العرب فأفاد أن بني باهلة كُفْءُ لبقية العرب غير قريش ، وفي «الهداية» : وبنو باهلة ليسوا بِأَكْفَاءَ لعامة العرب ، لأنهم معروفون بالخساسة . اهـ . قالوا : لأنهم كانوا يستخرجون النِّقْيَ من عظام الموتى ، ويطبخون العظام ، ويأخذون الدسومات منها ، ويأكلون الطعام مرة ثانية ، ورده في «فتح القدير» بأنه لا يخلو عن نظر ، ثم أورد كلام صاحب «فتح القدير» المتقدم وأضاف : فالحق الإطلاق) .

وقال الشيخ محمد أمين الشهير بابن عابِدِيْنَ المتوفى سنة ١٢٥٢هـ في حاشيته المسماة «رد المحتار ، على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار»(٢) : (وبقية العرب أكفاء : العرب صنفانِ عربٌ عاربة وهم أولاد قحطان ، ومُتَعَرِّبَةٌ وهم أولاد إسماعيل ، والعجم أولاد فروخ أخي إسماعيل ، وهم الموالي والعُتَقَاءُ ، والمراد

(١) ج ٣ ص ١٤١ ط دار المعرفة في بيروت .
(٢) ج ٢ ص ٤٣٨ طبع دار السعادة سنة ١٣٢٤هـ .

بهم غيرُ العرب وإن لَـمْ يَمَسَّهُـمْ رِقٌّ . سُمُّوا بذالك إمَّا لأن العرب لما فتحت بلادهم ، تركتهم أحْرَاراً بعد أن كان لهاؤلاء الاسترقاق فكأَنَّهم أعتقوهم ، أو لإنهم نصروا العرب على قتل الكفار ، والناصر يسمى مولى «نهر» قوله : بني باهلة قال في «الفتح»: ثم أورد مافي «فتح القدير» وتقدم بنصه .

وكلام ابن عابدين شرح لما نصه : (وبقية العرب بعضهم أكفاءُ بعض واستثنى في «الملتقى»[1] تبعاً لـ «الهداية» بني باهلة لخستهم ، والحق الإطلاق ، قاله المصنف كـ «البحر» و«النهر» ويعضده إطلاق المصنفين كـ «الكنز» و«الدرر» وهذا في العرب . انتهى .

ولَنْ أُطيلَ بإيراد نصوص هذه الكتب المسماة من كتب الحنفية ، ولن أتجنَّى على أؤلئك الأجلة من علمائهم فأزعم أن لهم دوافع سيئة كالشعوبيين ، أو الحاقدين من الشعراء ، ولكن القوْم أُتُوا فيما قرروا وقالوا من قبيل التقليد الأعمى ، سوى من عصم الله منهم ، ممن قال بتكافؤ جميع قبائل العرب ، وأطلَقَ في ذالك بدون استثناء ، ولكن عامتهم بقي متأثِّراً بَسُوْءِ النظرة إلى تلك القبيلة الكريمة .

لقد بنوا أحكامهم المتعلقة بالنيل منها على غير أساس ، بل على شفا جرف منهار ، وإن شئت فقل : على أوهام وأباطيل ، وهاهو إيضاح هذا بإبطال ما اتخذوه أصلاً ، وأقاموا عليه بنيانهم :

الأول : حديث «العرب بعضهم أكفاء بعض ، قبيلة لقبيلة ، وحي لحي » حديث لا يصح الاعتماد عليه ، ولا اتخاذه دليلاً في الأحكام الشرعية ، يُحَلُّ

---

(١) «الملتقى» هو «ملتقى الأبحر» في الفقه الحنفي لإبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٥٦ و«الهداية شرح بداية المبتدي» للمرغيناني و«البحر الرائق شرح كنز الدقائق» لابن نجيم المتوفى سنة ٩٧٠هـ والنهر هو «النهر الفائق» في شرح كنز الدقائق» لعمر بن نجيم ١٠٦٥ والكنز «كنز الدقائق» في الفقه الحنفي لعبدالله بن أحمد المتوفى سنة ٧١٠هـ .

ويُحَرِّمُ بمدلوله ، وهاهو نص ماقاله علماء الحديث ، وهم أهل هذا الشأن ، وأعلم الناس به ، قال الحافظ أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ في كتاب «تلخيص الحبير ، وفي تخريج أحاديث الرافعي الكبير»[١] :

١٥١٦ قوله : روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : «العرب أكفاء بعضهم لبعض قبيلة لقبيلة ، وحي لحي ، ورجل لرجل ، إلا حائك أو حجام» . . الحاكم من حديث ابن جريج عن ابن أبي مُلَيْكة عن ابن عمر ، والراوي عن ابن جريج لم يُسَـمَّ ، وقد سأل ابنُ أبي حاتِـمٍ عنه أباه فقال : هذا كَذِبٌ لا أصل له ، وقال في موضع آخر : باطل . وروى ابن عبدالبر في «التمهيد» قال الدارقطني في «العلل» : لا يصح ، وقال ابنُ حِبَّان : عمران بن أبي الفضل يروي الموضوعات عن الثقات[٢]، إلى آخر ماذكر الحافظ ابن حجر، وإِذَنْ فكيف يصح الاعتماد على هذا الخبر الباطل المكذوب الذي لا يصح ، ولا أصل له ثم يتخذ أساساً في الأحكام الشرعية ، وفي أمر يخرج قبيلة عربية لها مقامها في الإسلام ، ومنها من شَرُفَ بصحبة المصطفى وشارك إخوانه المسلمين في نشر الدين ، بل تولى القيادة والرئاسة عن جدارة وكفاءة ، فتفصل عن أخواتها من القبائل الأخرى ، وتُوْصَـمَ بما هي منه بريئة ـ استدلالاً بهذا الخبر المنسوب إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ زورا وبهتاناً ، بل كيف يسوغ لأولئك المؤلفين أن يتناقلوه في كتبهم دون أن يتحروا منزلته من الصحة ، وهم يعلمون ماورد في رواية مالم يثبت عنه ﷺ ، من الوعيد الشديد ، ممن لا تكون غايته من الرواية التنبيه على بطلانه ، وَنَفْـيِ نسبته إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

وعلى فرض ـ جواز الاستدلال بهذا الخبر الباطل ـ وهو فرض باطِلٌ أيضاً ـ فكيف ساغ لأولئك الفقهاء استثناءَ قبيلة باهلة من مسمى العرب ، ومن بين

(١) ج ٣ ص ١٦٤ . (٢) وهو من رواة هذا الحديث كما في «التمهيد» لابن عبدالبر .

جميع قبائلهم ، ولم ينص ذالك الخبر على استثنائها بل أطلق وعمم ؟!

الثاني : إنهم لم يكتفوا بالاستدلال بخبر باطلٍ في حكم شرعيٍّ لا يصح بناؤه إلا على نص صحيحٍ صريح ، بل أضافوا إلى تحميله مالم يحتمل بالاستثناء - وَصْمَةً قبيلة عظيمة هي كغيرها من قبائل العرب في التمايز والتباين في الأخلاق والصفات ، فشملوها بوصف (الخساسة) وزعموا - وبئس مازعموا - أنها معروفة بذالك ، والخساسةُ صفة جامعة لكل معاني القبح من دناءة وحقارة ، ورذالة ، وتفاهة ، ووساخة ، فمتى عرفت هذه القبيلة بأية صفة من هذه الصفات السيئة ؟ أفي جاهليتها وكانت في الْقِمَّةِ من المجد والرفعة بين غيرها من القبائل ؟ أم في الإسلام ، وقد أكرمها الله بأن انضوى منها إلى صحبة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - عشرات الرجال ، وشارك في نشر الدين الحنيف - فيمن شارك من المسلمين - منها المئات ، وفيهم الأبطال والقادة الشجعان !! لقد أُتِـيَ أؤلئك الذين وَصَمُوا باهلةَ بما هي منه بريئةٌ من جَرَّاءِ جهلهم تاريخ الأمة الإسلامية ، كما أُتُوْا - قبل ذالك - بقصورهم عن التعمق في البحث عن مقاصد الشرع المطهر حيث تصوروا - وبئس ماتصوروا - أنَّ لمنزلة القبيلة الاجتماعية من الأثر في نفس المشرع ماليس للعمل ، فعلَّقُوا أحكامَ الكفاءة على منازل القبائل الاجتماعية حينما كانت ذات اعتزاز بمكانتها وعصبيتها .

الثالث : عللوا - ما ألصقوه بباهلة من صفة الخسة بأنهم كانوا يأكلون بقية الطعام مرة ثانية ! فعلى أيِّ أساس حكموا باختصاص باهلة بهذه الخصلة دون غيرها من الناس ؟

وعلى فرض اختصاص هذه القبيلة بهذا الفعل ، أَيَّةُ خِسَّةٍ تنشأ عن هذا ؟ وأيُّ عَيْبٍ فيه ؟ وسواء احتفظت ببقية الطعام وقد أُعِدَّ للأكل ، أو فعلت ذالك قبل إعداده ، ومن ذا الذي لا يُعِدُّ ما سيأكله لوجبات مرة واحدة ، ثم يحتفظ

بطعامه لوقته بعد ذالك ؟!

الرابع : وقالوا عن باهلة ـ رجماً بالغيب ـ: وكانوا يأخذون عظام الميتة يطبخونها ويأخذون دسومتها ـ وإذن فقد كانوا جديرين بوصف الخسة ـ: ما أسهل أن تنسب إلى إنسان أو إلى جماعة أيَّ فعل تريد نسبته في مقام الذم أو المدح ، ولكن هل الأمر يتوقف على مجرد النسبة والادعاء ؟!

يَالله ! أبكلمة من هازيٍ أو مَاجِنٍ أَوْ عَدُوٍّ تُوْصَـمُ قبيلةٌ بأسرها ، ويصبح لتلك الكلمة الساقطة محلُّها في كتب تؤلَّفُ وتُعَدُّ لتكون سجلَّاتِ صدق وحقٍّ للأحكام الشرعية ، ويتداولها رجال أمضوا أعمارهم في البحث والتحصيل ، ومثافنة العلماء لتلقي العلوم النافعة ! (فياضيعة الأعمار تمضي سبهللاً !!) وتَتَأَتَّى فكرة أحد هاؤلاء الجهابذة ـ حين ـ لايرى في جملة (طبخ عظام الميتة لاستخراج دسمها) ما يُجَسِّمُ تلك الوصمة ، ويعمق أثرها ، بعبارة أَسْوَإِ وقعاً في النفس وأبشع : (كانوا يستخرجون النقي من عظام الموتى) ! أيُّ موقٍ ـ أرادَ سِوَى الإيهامِ حين رآى أن كلمة (الميتة) قد يُقصد بها ميتة بهيمة الأنعام ، وقد تلجئُ الضرورة التي قد تبيح المحضور إلى الانتفاع بشيء منها ، فأتى بهذه الكلمة التي هي جمع (ميت) كأموات ، وميتين ، فكأَنَّ هذه القبيلة اتخذت استخراج المخ ـ وهو النِّقْيُ ـ من عظام الأموات مهنة وحرفة ، فاستحقت بذالك أن توصف بالخسة !! ما أبرعك أيها الماجن ، ولكن ما أضعف عقول من يتخذ من هذه الأوهام وسائلَ لإصدار أحكام ينسبها إلى الشرع المطهر ، والشرع أرفع وأجل من أن تنسب إليه . وهَبْ أننا أَهْدَرْنَا عقولَنا بقبول أمثال هذه الخرافات أما كان الأجدر بالعلماء ـ الذين هم ورثة الأَنبياء ـ أن يصونوا هذه المؤلفات التي أرادوا بها أن تكون وسائل (إرشاد) و(هداية) وصلاح للأمة بإيضاح أحكام دينها الحنيف ، وبيان أحكامه الشرعية ، أَنْ يَصُوْنُوْهَا نَقِيَّةً مِمَّا يدنسها من الشوائب، كما جاء بها المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ «بيضاء نقية» .

بعض الأدباء ومؤلفاتهم..

لعل من أبرز حوافز أكثر مؤلفي الكتب الأدبية ـ على اختلاف أنواعها ـ إثارة العواطف بما يُنَمِّيْهَا ، ويقوي فيها روح الحركة والنشاط ، أيًّا كان ذالك الحافز ، بصرف النظر عما له من عواقب في المستقبل ، أو تأثير اجتماعي ، لا يقوم على أساس من العقل السليم ، والفكر القويم ، فتلك المؤلفات مثلها مثل ما تنبته الأرض الممرعة الخصبة ، حين يجودها الغيثُ في إبَّانِهِ ، فتزدان بصنوف منوعة من النبات ، مما تبهج أزاهيره ، ويطيب أُريجه ، وقد يَلَذُّ طعمه ، ويكون بين تلك الأنواع مالا يستساغ مذَاقاً ، ولا يقبل لمساً ولا شَمًّا ، وهكذا كثير من كتب الأدب ، تحوي المفيد الممتع ، مما يُحدث في نفوس القراء ارتياحاً واسترخاء ذِهْنِيًّا ، ولكنه مع ذالك لا يخلو ـ من ذالك ـ مما يفسد الذوق ، وقد يُغْشِي الفكر بتفاهة مضمونه ، وركاكة أسلوبه ، وسوء غايته .

أبو عبيدة ومؤلفاته :

لا شك أن أبا عبيدة ـ مَعْمَرَ بن الْـمُثَنَّى التيمي بالولاء (١١٠/٢٠٩هـ) كما وصفه الذهبي[١] ـ من بحور العلم ، فمؤلفاته في الأدب والتاريخ واللغة تقارب مئتي كتاب ، طبع منها «مجاز القرآن» و«نقائض جرير والفرزدق» و«الخيل» ولكنه مع غزارة علمه ، وكثرة مؤلفاته ، كان أبرز ما يتصف به بغضه للعرب ، وألف في مثالبها كتباً[٢]، ولما قيل له : قد ذكرت الناس وطعنت في أنسابهم فمن كان أبوك وما أصله ؟ قال : حدثني أبي أن أباه كان يهوديًّا بـ (بَاجَرْوَان) .

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٩/٤٤٧ .

(٢) «المعارف» لابن قتيبة ـ ٥٤٣ و«طبقات النحويين» للزبيدي ـ ١٩٣ ـ ط : الخانجي بمصر ١٣٧٣هـ .

ولما مات لم يحضر جنازته أحدٌ ، لأنه لم يسلم منه شريف ولا غيره ، وعمل كتاب «المثالب» الذي يطعن فيه على بعض أسباب النبي ﷺ[1]. قال ابن قتيبة : وكان أبو عبيدة أَغْرَى الناس بمشاتم الناس ، وألهجَهُمْ بمثالب العرب ، وحاله في نسبه وأبيه حالٌ نَكْرَهُ أَنْ نذكرها . . . وهي مشهورة ، ولكن كَرِهْنَا أَنْ تُدَوَّنَ في الكتب ، وتَخْلُدَ على الدهر ، ولاسيما وهو رجل يحمل عنه العلم[2].

كذا قال ابنُ قتيبة ، وليته لم يبلغ به التحرج من إبراز حال الرجل على حقيقتها هذا المبلغ ، ليحذر من قبول آرائه ، والانخداع بما في ظاهر مؤلفاته ، وماهو سوى طلاء وستر لغاياته السيئة .

ولأبي عُبيدة عن باهلة مؤلف ورد ذكره في «الفهرست» باسم «مناقب باهلة» وفي «معجم الأدباء»[3] وفي «إنْباه الرواة»[4] «بيان باهلة» ولكنني أرى الاسمين مُحَرَّفَيْنِ ، وأن الصواب «مثالب باهلة» كما في «كشف الظنون» إذ لا يعقل أن يَخُصَّ أبو عبيدة باهلة بكتاب في مناقبها ، وهو الشعوبي الطاعن في جميع أنساب الناس ، وعداؤه للأصمعي وإشعاله نار ذالك العداء بين مريديه وتلاميذه من الشعوبيين مما لا داعي لإعادة الحديث عنه ، وكان ذالك العداء قائماً على أساس بغض العرب ، فكيف يؤلف أبو عبيدة مؤلفاً في مناقب قبيلة الأصْمعي ؟!

إن أبا عبيدة ـ وإن جمع في مؤلفاته كثيراً من أخبار العرب في الجاهلية وكثيراً من أشعارها ـ فما كان حسنَ القصد فيما جمع ، ولا سليم النية ، إنه في تلك المؤلفات كما قال الأستاذ عبدالسلام هارون عنه[5]: كان يبغض العربَ ويطعن في أنسابها ، فهو حين يضع كتاباً في فضائل الفرس يؤلف آخر في مثالب

---

(١) «الفهرست» لابن النديم ـ ٧٩ ـ ط : المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨هـ .

(٢) «الرد على الشعوبية» ـ ٣٤٦ . (٣) ١٦٢/١٩ .

(٤) ٢٨٦/٣ مقدمة «العققة والبررة» . (٣) «نوادر المخطوطات» ٣٣١/٢ .

العرب ، وفي لُصُوصِ العرب ، وكتابنا هذا «العققة والبررة» لعل مما دفع أبا عبيدة إلى تأليفه ما فيه من رائحة هجو العرب ، الذين عُرِفُوا قديماً بالبر والوفاء انتهى كلام الأستاذ عبدالسلام ، وأضيف : ومثل تلك الرائحة تشم في جميع مؤلفاته . حتى تفسيره للقرآن الكريم «مجاز القرآن» لا يخلو من مآخذ فقد سمعت عالماً جليلاً من علماء عصرنا هو الأستاذ الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد يُبْدِي امتعاضه لكون بعض متقدمي العلماء من المحدِّثين يُعوِّلُ على ذالك الكتاب ، وفيه مالا يُرْتَضَى مما نسب إلى العرب ، وليس بصحيح ، ومَثَّلَ لذالك بما قاله عن النعجة في تفسير الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُوْنَ نَعْجَةً ﴾ الآية .

ولن يعدم الباحث أَنْ يجد من آثار أبي عبيدة مما نسبه إلى باهلة أخباراً وأشعاراً مفرقة في أمهات كتب الأدب ، ومن أمثلة ذالك ما أورده صاحب «الأغاني» في ترجمة الأقيشر[1]، وتناقله مؤلفو كتب الأمثال بعده كالزمخْشَريِّ في «الـمُسْتَقْصَى» والشيبي في «تمثال الأمثال» في شرح المثل : (هٰذِهِ بتلك والبادِئُ أَظلم) .

قال صاحب «الأغاني»[2]: أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أبي عُبَيْدَةَ قال : قدم رجل من بني سَلُولٍ على قُتيبة بن مسلم بكتابِ عامِلِه على الرَّيِّ ، وهو الْـمُعَلَّى بن عَمْرٍو المحاربي ، فرآه على الباب قدامةُ بن جعدةَ بن هُبَيْرَةَ المخزوميُّ ، وكَان صديقاً لقتيبة ، فدخل عليه وقال له : ببابك أَلأَمُ العرب : سلوليٌّ رسولُ مُحَارِبيٍّ ، إلى باهليٍّ . فتبسم قتيبةُ تبسُّماً فيه غيظ ، وكان قدامةُ ابنُ جعدة يتهم بشرب الخمر ، وكان الأُقَيْشِرُ يُنادمه ، فقال قتيبة : ادْعُوا لِـي

(١) ٢٦٨/١١ ـ طبعة دار الكتب المصرية .
(٢) ٢٦٨/١١ ـ طبعة دار الكتب المصرية .

مِرْدَاسَ بنَ جُذَامٍ الأَسَدِيَّ ، فَدُعِـي له فقال : أَنْشدْنِـي ما قال الأُقَيْشِرُ في قُدَامة بنِ جعدة بن هُبَيْرَةَ ، وهما بِالـحِيرة فأنشده : أبياتاً من الشعر وصف فيها ما اعتراه من التخليط إِثْرَ حالةٍ سيئة اعترته ، لا يتسع المجال لذكرها ـ .

قال صاحب «الأغاني» فيما روى عن أبي عبيدة ـ: فتغير وجهُ القرشيِّ ، وخَجِلَ . فقال له قتيبة : (هٰذه بتلك والبادِيُ أظلم) . انتهى .

وليس من المستبعد أَنْ يكون هذا الخبر من وضع أبي عبيدة ، ومع ذالك فهو بباب المناقب أَلْصَق ، وإن أرادَهُ واضعه مثلبةً ، إذ فيه أوضح الدلالة على ما يتصف به قتيبة من سعة الحلم ، ورحابة الصَّدر ، وتحمل ما يصدر من الصديق من هفوات .

وما وضعه أبو عبيدة من المثالب ما كان عامًّا منها وماكان خاصاً لا يعوز الباحثَ أَنْ يَتَبَيَّنَ جذورَه وأُصولَه في مؤلفات الرجل الباقية ، ككتاب «نقائض جرير والفرزدق» وفيما لتلاميذه من مؤلفات ، وفيما لمريديه وللسائرين على نهجه من الشعوبيين من الشعراء من أشعار وآثار على مختلف العصور . ولا مِراء في أَنَّ الرجل من أوسع متقدمي العلماء اطلاعاً على أحوال العرب قبل الإسلام وبعده ، ومن أَغْزَرِهِمْ علماً بما جرى بينهم من حوادث ، وحروب ومناوشات ومجاولات ، وما حدث بين شعرائهم من تفاخر وتهاجٍ وتنابز بالألقاب ، وإبراز للمثالب والمعايب ، وبالإجمال فكان عارفاً بجل ما أُثِر من أخبارهم ، وعُرِف من أحوالهم ، وهو مع كل ذالك يدرك بدون شَكٍّ ما لإثارة النعرات القبلية من الآثار السيئة ، في تمزيق شمل العرب ، وضعضعة كيانهم ، وإشاعة بواعث التفرقة والتقاطع بين قبائلهم . كما كان يدرك أَنَّ من غايات الإسلام الأساسية تقوية الروابط بين جميع المسلمين بمختلف الوسائل ، والقضاء على كل ما من

شأنه إثارة الأحقاد والإِحَن ، أو التذكير بالتِّراتِ القديمة ، وحزازات النفوس الناشئة إبَّانَ الفتن والحروب القبلية .

فهل كَان ينحو بِمُؤَلَّفاته إبرازَ جوانب تلك الغايات الإسلامية السامية ؟

إنَّ أَبَا عُبَيْدَة ليس من السذاجة بالدرجة التي تَدْفَعُهُ إلى المجابهة بآرائه السيئة ، بل كان على قدر كبير من الذكاءِ ، بحيث لا يُعْجِزُهُ عَرْضُ تلك الآراء بصورة من الغموض والخديعة والتغرير ، تخفِـي ما تبطن من خبث وسوء قصد ، وتبرزها بالمظهر المغري المقبول ، وهكذا فعل ، فأنت إذَا طالعت كتابه «نقائض جرير والفرزدق» أُخِذْتَ بما يحويه من علم غَزِير ، وبَهَرَتْكَ سعةُ اطلاع الرجل ، وتنوعُ معرفته بأحوال العرب ، وأخبارها وأشعارها وأنسابها ، وأيامها ولغتها ، ولكنك حين تُعَمِّقُ النظرة فيما يعرضه من ذالك يبدو لك ما يحاول إخفاءه في ثنايا كتابه واضحاً جليًّا ، مما لا يتفق مع أخلاق الإسلام وآدابه ، ومجافاة البعد عن كل ما يثير حزازات النفوس مما جرى بين القبائل ، من منافرات ومفاخرات أشعلت نيران الفتن والحروب ، وأعقبت من المصائب والشرور والويلات ما مزق شمل العرب ، وأضعفهم ، وكاد يقضي عليهم . لولا أن الله أكرمهم بقبول دينه الحنيف ، بل شرفهم وفضلهم على غيرهم من الأمم بالقيام به وبنشره في العالم ، فأعزهم به ، وألف بينهم بالتمسك بتعاليمه ، ووحدهم ﴿ واذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إخْوَاناً ﴾ .

أفترى أبا عبيدة بهذا الكتاب سار على النهج الحميد الذي سنه القرآن الكريم ، للحفاظ على تلك النعمة ـ نعمة التآخي والتآلف ، ونَبْذِ أسباب الفرقة والعداء ؟! أم حشد في كتابه هذا ما استطاع حشده من الأخبار والأشعار المثيرة لكوامن الحقد والعداوة ، المتضمنة لأبشع كلماتِ الهُجْرِ والفُحْشِ

والبذاءة ، من الشتائم ، والتنابز بِسَـيِّءِ الألقاب ، والتهاجي بأقذع الألفاظ وأشنع الصفات ؟! ، وماهي الغاية من أن يحوي هذا الكتاب من كل ذالك مما يتعلق بالعرب خاصة ـ إن لم تكن إثارة ما لتلك الأيام التي جرت فيها تلك الحوادث من آثار بغيضة في النفوس ، سعى الإسلام لطمسها وإزالة كل آثارها ؟!

إنَّ كتاب «النقائض» من أحفل المؤلفات في موضوعه ، ومن أَجَلِّ ماخلفه أبو عبيدة من مؤلفاته ، وليس المقام مقامَ عَرْضٍ وتفصيل لما يحويه هذا الكتاب ، ولكن الأمر يتطلب إيضاح ذالك الجانب السيء الذي عرف عن مؤلفه أبي عبيدة ، من تَصَدِّيْهِ لثلب العرب ، وانتقاصهم في مؤلفات لا تزال مجهولةً ، إلا أن كتابه هذا أوضح أسوأ غايةٍ تختفي وراء نصوصه وأخباره ، إنَّها محاولة النيل من وحدة المسلمين ـ بصفة عامة ـ مُجَمْجِماً بذالك غير مفصح ، وما أراه في مؤلفاته عن «المثالب» أتى بأسوأ من هذا ، وما أحسبه أتى في كتابه عن «مثالب باهلة» بِأَقْذَرَ وأفحش مما تفوه به ذالك الشاعر الفاسق الماجِن من ألفاظ الخنا والفحش ، فيما ساق في هذا الكتاب من نقائضه ـ مما تقدم الحديث عنه في موضع آخر ـ .

ومادام الحديث عن آثار ما لعلماء الأدب ولمؤلفاتهم في إشاعة ما تُلِبَتْ به (باهلة) وفي ترويج ما وُصِمَتْ به زوراً وبهتاناً من المعايب ، فإنَّ من المدرك بداهة أنَّ كتاب «النقائض» لأبي عبيدة يأتي في المقدمة بين تلك المؤلفات ، لَا لَكَوْنِ مؤلفه يُعَدُّ الدِّعامةَ التي قام عليها بناء صرح المثالب ، وقطب انتشار الدعوة (الشعوبية) ولكن لما له من مكانة بارزة بين قدماء علماء اللغة والأدب ، وهي مكانة أَحَلَّتْ مؤلفاته وآرائه بين المعنيين بالدراسات اللغوية والأدبية مكان الصدارة ، بحيث أن من أَبرز علماء الحديث النبوي من كان يُعَوِّلُ في تفسير

القرآن الكريم على أقواله في كتابه «مجاز القرآن» ، ولا شك أن جميع أؤلئك كانوا يحسنون به الظن ، إذْ لم يطلعوا من أحواله ، ولم يتضح لهم من آرائه ما يكون سبباً لإساءة الظن به ، بل كان بعضهم وقد استشف من مؤلفاته ما تُخْفِي من خُبْث ومكروه ، مَنَعَهُ ورعُهُ من كشف ذالك ، واعتذر بكونه (يُحْمَلُ عنه العِلْمُ) ـ كما تقدم النقل عن ابن قتيبة ـ وفاته ـ رحمه الله ـ أن مجرد حمل العلم عنه لا يحول دون إبراز ما يضعضع الثقة به من أخلاقه ، بل هو مما يستلزم ذالك لِئلاَّ يُقْتَدَى به في ضلالة ، والعلم وحده لا يكفي لصيانة الأعراض ما لم يصاحبه العمل الصالح :

وَعَـالِـمٌ بِعِلْمِـهِ لَـمْ يَـعْمَـلَنْ مُعَـذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الْوَثَنْ

المبرد في كتابه «الكامل» :

ليس قَدْرُ الـمُبَرِّدِ ـ محمد بن يزيد (٢١٠/٢٨٦) بين علماء اللغة والأدب بمغموط ، ولا منزلته في العلم بمجهولة ، ولكنني كثيراً ما يخطر في ذهني قول المتنبي : (لهوى النفوس سَرِيْرَة لا تعلم) حين أطالع ما حشده في كتاب «الكامل» من أشعار ساقطة ، وأخبار واهية ، تتعلق بقبيلة باهلة ، وقد يقال : وكيف ساغ لك وصفها بما وصفتها به من سقوط وضعف ومن هم أعلم منك ، وأوسع اطلاعاً ، وأطول باعاً ، وأرسخ قدماً في جميع العلوم لم ينظروا إليها كنظرتك ؟ ولن أزيد في الجواب على طلب قراءتها بروح من التجرد ، ثم التفكير بما تضيفه في ذهن القارئ أو في فكره من استفادة أو استزادة معرفة ، وسيشاركني الرأْيَ في التفكير في دوافع إيرادها ، دون أن تدعو لعرضها مناسبة، ثم التفكير مرة أخرى: لِـمَ خَصَّ هذه القبيلة وحدها بين قبائل العرب، ومنها من تعرض للهجاء بأقذع مما هجيت له به باهلة ؟

لقد أدركَ المبردُ العهدَ الذِي تألَّبت فيه قوى الشر من (الشعوبيين) فثارت ثائرتهم ضِدَّ الأصمعيِّ أبرزِ علماء تلك القبيلة ـ بل علماء العرب في عهده في لغتهم وأدبهم ، مع أصالة وصدق لهجة ـ ولا شك أنَّ ما وقع له من أؤلئك ومن بينهم من قد يكون ذَا صِلَةٍ قوية بالمبرد ـ كان له من الصَّدَى في نفس المبرد وفي نفوس كثيرين من غيره من مثقفي ذالك العهد ، ما بقي عالقاً تبرز آثاره فيما رووه من أخبار ، وما ألفوه من كتب .

وكتاب «الكامل» له من المنزلة والشهرة ، وسيرورة الذكر بين العلماء في مختلف العصور المتعاقبة أكثر من عشرة قرون ما كان ذا أثر بالغ يتردد صداه ، بالإزراء بتلك القبيلة ، وبِثَلْبِهَا إنْ حقًّا وإنْ باطلاً ، فلقد كان هذا الكتاب يعدُّ في الْقِمَّةِ بين مصادر كتب الأدب التي يعول عليها ، ويرجع إليها ـ كما قال ابن خلدون عنه[1]: وسمعت شيوخنا في مجلس التعليم : إن أصول هذا الفن ـ يعني الأدب ـ وأركانه أربعة دواوين ، وهي «أدب الكاتب» لابن قتيبة ، وكتاب «الكامل» للمبرد[2] وكتاب «البيان والتبيين» للجاحظ ، وكتاب «النوادر» لأبي علي القالي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها . انتهى .

وكتاب بهذه الصفة يكون لِـما يحويه من أفكار وآراء من الرسوخ والاستقرار والانتشار ما يكون كفيلاً بتقبلها ، وترديدها ونقلها والتأثر بها ، ولو بين من يتخذون منها مجالاً للتندر والمفاكهة ـ كأمثالها من الحكايات الخرافية ، والأشعار الساقطة ؟

إن المبرد ـ عفا الله عنه ـ قد استفاد من الأصمعيِّ علماً جمًّا ، فأكثر النقل عنه في كتابه هذا ، وعول على كثير من آرائه في مواضع منه ، ولكن مما يلفت

(١) «مقدمة ابن خلدون» ١٣٨٧ ـ تحقيق الدكتور علي عبدالواحد وافي .
(٢) «الكامل»: ١٩١/٣ .

النظر ورود عبارات ضمن ما يسوقه ناقلاً عنه يُحِسُّ القارئُ فيها نُبُوًّا يستدعي التفكير - بل الحيرة في أسباب دوافعها . كيف يسوغ له استعمالها مع ما تنطوي عليه من الإزراء بقدر ذالك العالم الجليل ؟ ، ثم لا يلبث الذِّهْنُ من الالتفات إلى ما ورد في الكتاب من النيل من قبيلة ذالك العالم ، لمحاولة الربط بين هذا وبين أسلوب المبرد عند ذكر شيخه الأصمعي ، إنه لا يتردد بأن يصفه بالغلط حين يبدو له ذالك ، دون محاولة الاعتذار عما قد يحدث منه من هفوة ، ولن يعترضَ أحد على تبيان الخطإ متى اتضح من أي قائل ، ولكنَّ صاحبنا يترك القارئَ في متاهة حين يقول ويقال[1]: مرق السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ إذا نفذَ منها ، وأكثر ما يكون ذالك ألا يَعْلُقَ به من دمها شيء ، وأَقْطَعُ ما يكون السيفُ إذا سبق الدمَ ، وقال امرؤ القيس بن عابِسٍ الكندي :

وقـد أَخْتَلِـسُ الضَّـرْ بَةَ لَا يَـدْمَى لَهَا نَصْلِـي

فأما ما وضعه الأصمعيُّ في كتاب «الاختيار» فعلى غَلَطٍ وضع . انتهى فما الذي وضع الأصمعي ؟ وماهو وجه الخطإ فيه ؟

ثم يضيف المبرد : وذكَر الأصمعيُّ أنَّ الشعر لإسحاق بن سُوَيْدٍ الفقيه ، وهو لأعرابي لا يعرف المقالات التي يميل إليها أهل الأهواء ، وأنشد الأصمعيُّ :

بَرِئْتُ مِنَ الْـخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ مِنَ (الْغَزَّالِ) مِنْهُمُ وَ(ابنِ بَابِ)
وَمِنْ قَـوْمٍ إِذَا ذَكَـرُوْا عَلِيًّـا يـردُّون السَّلَامَ عَـلَى السَّحَـابِ
وَلـكـنِّي أُحِـبُّ بِـكُـلِّ قَـلْبِـي وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّـوَابِ
رَسَـولَ الله والصِّـدِّيْقَ حُـبًّـا بِـهِ أَرْجُوْ غَـداً حُسْنَ الثَّوَابِ

(١) «الكامل» ٣/١٩١ .

ما أيسر أن تقول : أخطأ فلان ، أو هذا ليس من كلام فلان ، ولكن ما أصعب إيضاح قولك بما يسنده من حجة مقنعة إذَا لم يكن مبنياً على منطق قويم من العلم . إنَّ الأصمعي في نسبة الشعر لإسحاق بن سُوَيْدٍ أورد سنده في ذالك ، والمبرد يعلم هذا ، فهذا الشعر مما نقله من كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ ونَصُّهُ فيه : قال أبو عثمان : من ذالك ما أخبرنا به الأصمعي قال : أنشدني المعتمر بن سليمان لإسحاق بن سويد العدوي ـ وأورد الأبيات . فلو صَحَّ قول المبرد لكانَت تبعته تقع على المعتمر بن سليمان ثم إنَّ من حفظ حجة على من لم يحفظ ، فمن هو هذا الأعرابي الذي زعم المبرد أنه قائل ذالك الشعر ؟ والأعجب من كل هذا أن المبرد وقَدْ أنكر نسبته إلى إسحاق ، عاد أثناء تفسيره فأثبته له كما أشار إلى هذا الشيخ المرصفي في شرحه فقد قال بعد أن أوضح المراد من الغزال وابن باب : فهذان معتزليان ، وليسا من الخوارج ، ولكن قصد إسحاق بن سويد إلى أهل البدع والأهواء ، ألا تراه ذكر الرافضة بعدهما .

لقد امْتَدَّتْ آثار العِداءِ الذي وقع بين الأصمعي وبين أبي عبيدة فلم تقتصر على معاصريهما ومشايعيهما بل امتدت إلى من بعد عصرهما من الأدباء والعلماء ، وكان للنزعة (الشعوبية) أثرها في إحداث ذالك العداء ، ثم في ترسيخ آثاره لتبقى قويةً مؤثرة في كل زمان ومكان ، ما استطاعت إلى ذالك سبيلاً .

ولماذا لا يكون المبرد ضالعاً مع أحد العالِمَيْنِ ضلوعاً أثَّرَ في نظرته إلى العالم الثاني ؟ لو ساغ الاستدلال ببعض الصيغ التي يعبر بها المبرد حين يورد كلام الأصمعي لكانت لي وقفة عند كلمة (زَعَم) التي تقال ـ أكثر ما تقال ـ فيما يُشَكُّ فيه ، لقد استعملها المبرد في نحو خُمُسِ ما نقل عن الأصمعي ، وقد نقل عنه

(١) ج ١ ص ٢٣ .

فيما يقرب من خمسين موضعاً استعمل كلمة (زعم) عشر مرات[1]، ولكنه قد يعبر بهذه الكلمة عند إيراد قول الأصمعي وغيره فيقول[2]: زعم الأصمعي وغيره من أهل العلم أَنَّ الدِّيْمَةَ المطرُ الدائم برفقٍ ، ثم إنه يستعملها أيضاً ـ ولكن بقلة ـ عند إيراد كلام أبي عُبَيْدَةَ ، فقد نقل عنه في نحو خمسة وثلاثين موضعاً ، لم ترد كلمة (زعم) إلا في أربعة مواضع[3]، ولم أَرَهُ أَخَذَ على أَبِي عُبيدة في شيء مما أورد من كلامه كما فعل مع الأصمعي .

وهاهي نماذج مما ورد في «الكامل» من هجو باهلة ، والغاية من إيراد هذه النماذج وليست كُلَّ ما في الكتاب ـ إدراك تفاهة مدلولها ، وأنها لا تعدو ما يحدث ـ غالباً ـ بين المتخاصمين من ساقط الكلام ، ومالم أورده لا يخرج في معناه وفي أسلوبه عما أوردته ، قال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد[4]:

أَبَنِي سَعِيْدٍ إِنَّكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ لَا يَعْرِفُوْنَ كَرَامَةَ ٱلْأَضْيَافِ
قَوْمٌ لِبَاهِلَةَ بنِ يَعْصُرَ إِنْ هُمُ نُسِبُوا حَسِبْتَهُمُ لِعَبْدِ مَنَافِ
قَرَنُوا الْغَدَاءَ إِلَى الْعَشَاءِ وَقَرَّبُوْا زَاداً ـ لَعَمْرُ أبيكَ ـ لَيْسَ بِكَافِ
وَكَأَنَّنِي لَمَّا حَطَطْتُ إِلَيْهِمُ رَحْلِي نَزَلْتُ بِـ(أَبْرَقِ الْعَزَّافِ)
بَيْنَا كَذَاكَ أَتَاهُمُ كُبَرَاؤُهُمْ يَلْحَوْنَ في التَّبْذِيْرِ والإِسْرَافِ

بواعث هذا الهجاء ليست واضحة ، والمهجوون بنو سَرِيٍّ كريم ، سعيد بن سلم ، عرف بالنبل والشهامة ، وقد يكون أبناؤه على شاكلته ـ فحسدهم هذا الشاعر وظلمهم :

مُحَسَّدُوْنَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ لَا يَنْزَعُ اللهُ عَنْهُمْ مَا بِهِ حُسِدُوا

(١) «الكامل» الأول: ١٣٩/١٦٧/٣٨٩ الثاني: ١١/٦١ الثالث: ٢٦/٥٨/٢٠٨ الرابع: ١٦/٧٥ .
(٢) «الكامل» ٤/٧٥ .
(٣) «الكامل» الأول: ٨٢/٢٢٦ الثاني: ٧٦/٢٠٣ . (٤) «الكامل» ٣/١٠ .

وقد يكون استضافهم فقدموا ميسورهم فكان مما لم يُشْبِعْ هذا النَّهِمَ الشَّرِهَ (قربوا زاداً ليس بكافٍ) وكان الأجدر به والأمثل لمثله أن يقابل إحسانهم بإحسان ، وإفضالهم بالشكر ، فمن جاد لك بما قدر عليه لم يبخل ، ولكن هذا دَيْدَنُ لئام الشعراء ، وماذا يضير قبيلة بأسرها إن وجد بينها من لم يسلم من الهجاء ؟ وأيَّةُ قبيلة سلمت منه ؟

ومع ركاكة هذا النظم وغثاثة معانيه وما فيه من تناقض بين تقديم طعام غير كاف على زعم قائله ، وزعمه بأنه حطَّ رحله بـ(أبرق العزاف)[1] المكان الخالي الموحش الذي يتحاشى الناس النزول به لما يسمع فيه من عزيف الجن على زعمهم - إلا أنه لم يعدم من متقدمي المؤلفين من يشوه به وبأمثاله ترجمة ذالك السري النبيل سعيد بن سلم الباهلي[2].

على أنني أستريب من نسبة هذه الأبيات لأحمد بن يوسف الكاتب (٠٠٠/٢١٣هـ) فالرجل كان رَبِيبَ نعمة ، وما كان بحاجة إلى أن يستضيف من لا يعرف قدره ، لقد كان ذا منزلة رفيعة بين أهل عصره ، وقبله أبوه ، وقد تولى أحمد الوزارة للمأمون وكان معاصراً للأمير سعيدِ بن سَلم بن قتيبة والي أرْمِينية والموصل والسند وسجِسْتَان ، المتوفى في زمن المأمون سنة ٢١٧ ، وهو من مشاهير الكتاب والشعراء ، وما كان يبلغ بالإسفاف بشعره إلى الدرجة التي يتساوى فيها هو وصعاليك الشعراء ، الذين يتأكلون بشعرهم ، وله أشعار جيدة أورد نماذج منها ياقوت في «معجم الأدباء» وغيره ممن ترجم له ، وهو صاحب البيت المشهور :

---

(١) يطلق الاسم على رمال حين تحركها الرياح فتتساقط تحدث أصواتاً تشبه العزف ، فيتخيلها الجهال عزيف الجن ، والمشهور من تلك الرمال موضعان : احدهما يقع في الطريق من الربذة إلى المدينة المنورة ، والثاني في الدهناء .

(٢) كتاب «الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة»: ٣٥١/١ .

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْـمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِيْ يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

٢ ـ وقال المبرد : وأنشدني المازِنِيُّ(١) :

سَلِ اللهَ ذَا الْـمَنِّ مِنْ فَضْله وَلَا تَسْـأَلَـنَّ (أَبَـا وَائِـلَهْ)

فَـمَا سَـأَلَ اللهَ عَـبْـدٌ لَـهُ فَخَـابَ وَلَوْ كَـانَ مِنْ (باهِلَهْ)

قال أبو الحسن : وزادني بعض أصحابنا :

تَـرَى الْبَـاهِلِيَّ عَـلَى خُبْـزِهِ إِذَا رَامَـهُ آكِـلٌ آكِـلَهْ

هنا يُبْرِزُ المبردُ شيخًا من شيوخه عُرِف بمجافاته للأصمعي ، وبانحرافه عنه ، بعد أن كان ممن يَتَلَقَّى عنه العلم ، هو المازني بكر بن محمد (٠٠٠/٢٤٩هـ) وقد أوضح هو نفسه سبب ذالك الانحراف ، وأنه يرجع إلى الخلاف في العقيدة . قيل له : لِـمَ قَلَّتْ رِوَايَتُكَ عن الأصمعي ؟ قال : رُمِيْتُ عنده بالْقَدْرِ والميلِ إلى مذهب أهل الاعتزال(٢) . وسواءً كان ما رُمِـيَ به صحيحاً أو غير صحيح إلاَّ أَنَّ التجافي بين الاثنين قد وقع ، ومن طبيعة هذا أن ينشأ عنه الكره ، وما يعقبه من أمور من أيسرها ترويج ما يكره ، والمازني هذا ممن أخذَ عن أبي عُبَيْدَةَ ـ على ما ذكر ياقوت في «معجم الأدباء» . فَلِـمَ لا يتأثر بأفكار أستاذه إن لم يكن بُوْقاً لإشاعة تلك الأفكار ؟

وليس من المستبعد أن تكون الأبيات الثلاثة من شعر اليزيدي ، فقد ورد البيت الأخير منسوباً إليه في مقطوعة أوردها السيرافي في «أخبار النحويين»(٣) وتقدمت الإشارة إلى انضمام اليزيدي إلى أعداء الأصمعي أبي عبيدة وأتباعه من الشعوبيين ، ومن هنا فليس بعجيب من هاؤلاء أن يلصقوا كل مثلبة بقبيلة

---

(١) «الكامل» ٣٥١/١ . (٢) «معجم الأدباء» ١٠٨/٧ .

(٣) ٤٦ ـ طبعة الحلبي بمصر ١٣٨٤هـ .

باهلة ، ولكن العجيب الغريب موقف المبرد إزاء ما يورد دون تثبت من صحة مصدره ، أتراه يحاول الإيهام ؟!

٣ ـ وأضاف المبرد : وأنشدني رجل من عبد القيس :

أَبَاهِلَ يَنْبَحُنِي كَلْبُكُمْ وأُسْدُكُمُ كَكِلَابِ الْعَرَبْ
وَلَوْ قِيلَ لِلْكَلْبِ: يَابَاهِلِيْ عَوَى الْكَلْبُ مِنْ لُؤْمِ هَذَا النَّسَبْ[١]

كَأَنَّ الـمُبَرِّدَ ـ والله يعفو عنه ـ كَانَ يستلذُّ بالنيل من باهلة ، ولهذا فهو يستنشد ويستزيد ، فيسود صفحاتِ كتابه بما يروق له من هذا النظم الساقط معنى ومبنى ، وإن صحت نسبة هذا لعبقسيٍّ فهو يردُّ به على شاعر باهلي ، أَمَضَّهُ وآلمه هجاءً فلجأ إلى تكرار كلمة (كلب) لتخفف من ألم ما أَحَسَّ به وآلمه ، ثم ماذا يعني القبيلة بأسرها أن يُهْجَى أحدُ شعرائها بما هو أشبه بهذيان المحموم ؟!

جمجم المبرد ولم يفصح باسم ذالك العبقسي ـ إن صح أنه من عبد القيس ـ ولكن الثعالبي نسب الأبيات[٢] لأبي هَفَّان ، وأبو هفَّان هذا هو عبدالله بن أحمد ابن حرب المهزمي (٠٠٠/٢٥٧) أحد تلاميذ الأصمعي العققة ، حدث بينه وبين أستاذه ما يحدث عادةً بين المتعاصرين ، فكان أن جافاه بعد أن كان يستمد من علمه وأدبه ، وليس أول إنسان كفر النعمة وجحد الفضل ، وعامل بالعقوق ، وليس الأصمعي بِأَوَّلِ من كفرتْ نعمته ، وغمط قدره ، فهجي ، فالرياح إذَا اشتدَّتْ عواصفها لا ترمي سوى العالي من الشجر ، وأَهْوِنْ بهجاءٍ كهذا الهراء الذي لا يقوم على أساس من المنطق القويم .

ويظهر أن أبا هفَّانَ هذا كان شديدَ الامتعاض من مقاطعة أستاذه الأصمعيِّ

(١) «الكامل» ٣/١١ . (٢) «ثمار القلوب» ٩٢ .
(٣) «نزهة الألباء» لابن الأنباري ـ الطبعة الأولى الحجرية .

له ، ولهذا اندفع في النيل من قبيلته باهلة ، فقد هجا رجلا من قريش بقوله[1] :

فَخَرْتَ بِأَصْلِكَ أَصْلٌ شَرِيْفٌ ضَرَرْتَ بِهِ نَفْسَكَ الْخَامِلَهْ
وَمَا يَنْفَعُ ٱلْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ (بَاهِلَهْ)

بل قد أُخِذَ على أبي هفَّانَ هذا أنه أتى عن شيخه الأصمعي وهو الثقة الثبت بخبر باطل فقال : حدثنا الأصمعي حدثنا ابنُ عَوْنٍ عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه - فرفعه -: امرؤ القيس قائِدُ الشعراءِ إلى النار[2] - فما ظنك بإنسان تبلغ به الجرأة على مقام المصطفى فينسب إليه مالم يقل ، أيعف عن وصف أعدائه بكل منقصة ، دون حياء ولا خجل ! وبعد أن يورد الدكتور عبدالجبار الجومرد هذا البيت وغيره يضيف[3] : غير أن الذي يدرس مجموعة ما قيل في باهلة من هذا اللون الأدبي يجد على معظمها طابع الحداثة ، والصنعة ، والتعمد في الإهانة ، وقلّما يعثر على قول قديم في ذالك ، رغم كثرة ما قيل عند العرب من الشعر في هجاء بعضهم البعض ، مما يدل على أن خصوم باهلة قد أكثروا من هجائها وذمِّها في أواخر العهد الأموي والعصر العباسي لأسباب : أهمها ذالك الصراع الدامي بين أسرتي القائدين المعروفين المهلب بن أبي صفرة الأزدي وقتيبة بن مسلم الباهلي والتنافس بينهما . . . وثانيهما ذالك الخلاف الشديد بين الشعوبية والعربية ، والحملة القاسية التي شنها الشعوبيون من علماء الفرس على المناصرين للعنصر العربي من شعراء باهلة وأدبائها وعلمائها الذين كثر عددهم في البصرة في العهد الأول العباسي ، وعلى رأسهم صاحبنا الأصمعي .

(١) «ثمار القلوب» ٩٢ و«تاريخ ابن خلكان» ٣/٩٠ و«شرح أبيات مغني اللبيت» ٢/٢١٧ .
(٢) «لسان الميزان» لابن حَجر ٣/٢٥٠ .
(٣) «الأصمعي ، حياته وشعره» ٤١ .

٤ ــ ويلج المبرد باباً آخر غير باب الشعر ، في تتبع هفوات الألسن بالنيل من هذه القبيلة ، ولكنه لم يكن بأكثر توفيقاً في سيره ، لقد أورد خبرين : أحدهما افتتحه بجملة (ويزعم الرواة) ـ وبئس مطية الرجل زعموا !! ـ كما قيل ـ وذالك الزعم يتعلق بمحاورةٍ جرت بين عبدالله بن مسلم ـ أخي قتيبة ـ وبين الحضين بن المنذر الرقاشيِّ ، وشتَّان بين الرجلين عقلاً وسَمْتاً وأخلاقاً ، إذ عبدالله ممن عرف بالخفة وضعف العقل ، ولا تصح مؤاخذة قبيلة ببوادر ضعاف العقول منها ، يستثير ابنُ مسلم الرقاشيَّ البكريَّ بِسؤاله عن قائل هذا البيت ـ بغية استثارة حفيظته ـ:

كَأَنَّ فِقَاحَ الأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ ... إِذَا عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ

فيكون جوابه هادئاً مُتَأَنِّياً : نعم !! وأعرف الذي يقول :

قــومٌ قُـتَيْـبَــة أُمُّهُـمْ وأَبُـوهُمْ ... لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا في مَجْهَلٍ [(١)]

وفي هذا البيت بعض الحق وإن لم يكن كله ، وباهلةُ لا تنكر ما لقتيبة من أفعال حميدة تعتز بها ، مضافة إلى ما للقبيلة من مآثر خالدة ، وأفعالٍ جليلة ، وما قتيبة سوى رجل واحد من رجالها الأماجد ، تَشْرُفَ بما يناله من عز وشرف ، كما تشرف بأفعال غيره من أولئك الرجال ، وما كانت لتضل سبيلها في حياتها لو لم يوجد قتيبة ، وهذا مما يدرك بداهةً ، ولعل أحدهم رأى ضعف وقع هذا البيت فأضاف إليه بيتاً آخر ، أورده قبله أبو حيان في كتاب «الإمتاع والمؤانسة»[(٢)] وهو ـ:

إِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تَنَالَ غَنِيْمَةً ... فِي دُوْرِ بَاهِلَةَ بْنِ يَعْصُرَ فَارْحَلِ

وليكن البيتان صحيحين قيلا في هجاء باهلة ، أفلا يمكن أن يكون قائلهما

---

(١) «الكامل» ١٤/٣ ـ وورد الخبر في تاريخ ابن جرير . (٢) «الكامل» ١٧٢/٣ .

مُسْتَجِدِياً نال الحرمان من إنسان باهلي ، فعم القبيلة بالهجاء ؟ أو يكون جديراً بأَنْ يُحْرَمَ ، فكان أَنْ قال ما قال ؟ أو أنهما مما لفق بشأن انتقاص هذه القبيلة من الشعوبيين أو مُجَّانِ الشعراء ؟

أما الخبر الثاني ـ الذي أورده المبرد في «الكامل»[1] فقد صدره بما اعتاد الثقات من الرواة تصدير ما يَرْوُوْنَ من أَخبار ثابتة بِهِ ، ليكون أوقعَ في النفس ، فقال : حدثني علي بن القاسم ، حدثني أبو قلابة الجرمي ـ ثم يسوق خبراً طويلاً يتعلق بأحد رجال تلك القبيلة وهو أَبُو جَزْءٍ بن عَمْرِو بن سعيد بن سَلْمِ ابن قُتَيْبة ، وأنه اجتمع في المسجد الحرام بقوم من بني الحارث بن كعب ، بلغ بهم النيل من قبيلة باهلة حتى طلبوا من أَبِي جَزْءٍ حين عرفوا أنه باهلي أَنْ يقوم عنهم .

ولا شكَّ أن ذالك الخبر منْ وضع أبي قِلابة ـ حُبَيْش بن عبدالرحمن الجرمي[2] ـ فقد كان من أشدِّ الناس عداوةً للأصمعي ، مع أنه كان يلجأ إليه في استيضاح معاني غريب اللغة ـ كما نقل ياقوت في «معجم الأدباء»[3] وأوضح سبب ذالك العداء بقوله : كان بينه وبين الأصمعي مُماطَّةٌ لأجل المذهب ، لِأَنَّ الأصمعي ـ رحمه الله ـ كان سُنِّياً حَسَنَ الاعتقاد ، وكان أبو قِلابة شيعيًّا رافضيًّا ، ولما بلغته وفاة الأصمعيِّ شَمَتَ به ، وكان هجاه في حياته ، وقال فيه بعد وفاته شعراً سيئاً أُورده المرزباني في «معجم الشعراء» ونقله ابن خلكان[4] ، كما أورد ياقوت بيتين آخرين من ذالك الهجاء[5].

(١) ٣/١١ .
(٢) وقد توهمه الشيخ سيد بن علي المرصفي التابعيّ ، عبدالله بن زيد بن عمر المتوفى سنة أربع أو ست أو سبع ومئة «رغبة الأمل ، شرح الكامل» ٨/١١٥ ولم ينتبه إلى كون الوارد في الخبر وهو أبو جزء بن عمرو بن سعيد بن سلم وهذا من أهل القرن الثالث .
(٣) ٧/٢٢١ .
(٤) «وفيات الأعيان» ٣/١٧٦ . (٥) «معجم الأدباء» ٧/٢٢٠ .

وهل أَلأَمُ من إنسان يغمره رجل كريم بالإحسان إليه فيحج في كنفه: (حججنا مرة مع أبِي جزء . . . وكُنَّا في ذَرَاهُ) ثم يدفعه لؤمه لتلفيق هذا الخبر الذي يراد منه الانتقاص من قدر قبيلة ذالك الرجل الشهم المحسن ؟ ولكن أيُّ انْتِقَاصٍ ينشأُ عن خبر مكذوب ، بحيث يجرؤ أحد النَّكِرَات المجهولة على النيل من قدر رجل أمير ، عريق في الإمارة إلى الأب الخامس فيقول له : قُـمْ عَنَّا ؟!! بل كيف يقول هذا وهو في المسجد الحرام ، وليس في مجلس خاص بتلك النكرة ، أو ببني الحارث بن كعب ؟! وأين خدم هذا الأمير وحشمه ، وما له من مظهر يحول دون التمادي في احتقاره ؟

لقد كان أبو قِلابة ـ مختلق هذا الخبر ـ على جانب من الذكاء ، فنسبه إلى بني الحارث بن كعب ، القبيلة التي أَفْرَى فيها المنتشرُ الباهليُّ فارس باهلة في العصر الجاهلي ـ فَرِيَّهُ ، وكان لباهلة في ذالك العصر بها من الفتكات ، ولها عليها من الغارات ما أقضَّ مضجعها ، ولا شكَّ أنَّ صدى صوت نائحة بني الحارث بـن كعب وهي تردد قولها :

شَقِيْقٌ وَحَـرْمِـيٌّ أراقَـا دِمَـاءَنَـا وَفَارِسُ هَدَّاجٍ أَشَابَ النواصيا[1]

صدى صوت تلك النائحة يتردد في أذن أبي قِلابة ، وهو يلفق ذالك الخبر ، ولو وضع السباب والشتم أحداً من الناس لنال أبا قِلابة هذا منه نصيبه كاملاً غير منقوص ، فَجَـرْمٌ القبيلة الكريمة التي ينتسب إليها لم تسلم ممن يقول فيها[2] :

إنِّـيْ لأُكْرِمُ نَفْسِـي أَنْ أُكَلِّفَها هِجَاءَ جَرْمٍ وَمَا يَهْجُوهُمُ أَحَدُ
مَاذَا يَقُولُ لَهُمْ مَنْ كَانَ هَاجِيَهُمْ لَا يَبْلُغُ النَّاسُ مَا فِيْهِمْ وَإِنْ جَهِدُوا

(١) «تاج العروس» ـ هدج ـ ترثي من قتل من قومها في يوم كان لباهلة على بني الحارث ومراد وخثعم ـ.
(٢) «محاضرات الأدباء» ١/٤٩٠ .

الثعالِبيُّ : عبدالملك بن محمد (٣٥٠/٤٢٩) :

إنه لَذُوْ بَاعٍ واسع في اللغة والأدب ، مما برز أثره في مؤلفاته الكثيرة ، المتنوعة ، كـ «يتيمة الدهر» و«فقه اللغة» و«ثمار القلوب» وغيرها ، وتطغى في أكثر هذه المؤلفات الروح الأدبية ، من حيث الاهتمام بما يحرك العاطفة والوجدان ، دون أن يعني بالحقائق العلمية الصحيحة .

وقد ولد الثعالبي وعاش في بيئة أعجمية ، جُلَّ أهلها ممن لا يرى للعرب فضلاً ، فهو نيسابوري الأصل ، ولا شَكَّ أن جذور الأفكار (الشعوبية) قد امتدت إلى تلك البلاد في عهود مبكرة ، مع انتشار فروع كثيرة من القبائل العربية هناك أثناء الفتوحات الإسلامية ، واستيطان أُسَرٍ كثيرة عربية المحتد ، برز منها من العلماء من كان إسهامهم في نشر الثقافة العربية عميقَ الأثر في السكان الأصليين ، الذين ليس من الإنصاف تجاهلُ ما أَمَدُّوا به هذه الثقافة من روافد فكرية منوعة المنابع ، متعددة الاتجاهات .

ونحاول شططاً حين نروم مما يقدمه لنا كثير من العلماء الذين عاشوا في مجتمعات بعيدة عن مهد العروبة والإسلام ، أن يكون كله صافياً من كل الشوائب ، متفقاً مع ما أَلِفْناه وعرفناه ، ووثقنا بمصادره الأولى مما يتعلق بتاريخ أمتنا وأدبها وشعرها ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن ننظر إلى ذالك نظرة الفاحص اليقظ ، ليعرف الحق منه فيقبله ، ويتضح له الباطل فلا يكتفي برفضه بل يعمل جاهداً لِبيان زيفه ، وهذه النظرة ينبغي أن تكون عامة شاملة .

ويعد كتاب «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» للثعالبي من أحفل كتب الأدب الموجزة بأخباره وأشعاره ، مع تنوع موضوعاته ، وحسن أسلوبه ، وخُلُوِّهِ من المباحث اللغوية التي قد تصرف ذهن القارئ صرفاً يسبب له الملل

والسأم من الاستمرار في القراءة ، كما في غيره من الكتب الأدبية المعروفة ، ولكن الثعالبيَّ لا يُعْنَى بما يورد في هذا الكتاب بفكر القاريً أكثر من محاولة إمتاع وجدانه بما يحركه ، فهو لا يعدو أن يكون كغيره من كتب الأدب التي قُصد بها أن تكون مسلاة للمتحدث والسامع ، ومادَّةَ منادمة ومسامرة ومُفَاكهة في مجالس الأنس والاسترخاء ، وليس من الكتب الموثوق بما تحويه من نصوص ، وليس مؤلفه ـ مع سعة اطلاعه ، وتنوع مؤلفاته الأدبية كما يبدو من كثير من هذه المؤلفات ـ على جانب من التوقِّي والحذر من الوقوع بما لا يرتضى عقلاً أو ديناً ، إنه كغيره من علماء الأدب الذين جمعوا في مؤلفاتهم بين الغث والسمين ، بل مزجوا في بعضها بين الحق والباطل .

ولا أدري كيف غاب عن كثير من المؤرخين والكتاب الأدباء هذا ، وكيف خفيت عنهم حالة الثعالبي الواضحة في مؤلفاته التي بين أيديهم ، فأصبحوا يتخذون من بعض ما ورد فيها مقياساً للتفاضل بين العرب ، بل أساساً لحكم ظالم في حق طائفة منهم ، أكرمها الله بالإسلام ، فصان به أعراضها ، ونفى عنها كل سوء ، ويأبى هاؤلاء إلا وصمها بأسوإ ما وُصِمَتْ به قبيلة عربية .

لقد ورد في كتاب «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» للثعالبي مانصه[1] : **لُؤْمُ باهلة** ، وكان ذالك مشهوراً ، مضروباً به المثل ، ولم تزل العرب تصف باهلة باللؤم في الجاهلية والإسلام ، تم خفيتْ منهم تلك السِّمَةُ ، وشَرُفَتْ بِقُتَيْبَةَ وبنيه ، حتى قال القائل :

إِذَا مَا قُرَيْشٌ خَلاَ مُلْكُهَا فَإِنَّ الْخِلاَفَةَ فِي (بَاهِلَهْ)

كذا ورد في كتاب الثعالبي ، ويدفعني إحسانُ الظن به ألَّا اتهمه بالاختلاق

(1) ١١٩ .

والكذب في زعمه ضرب المثل بِاللؤم بتلك القبيلة ، بل أَكِلُ ذالك إلى جهله بتاريخ العرب في جاهليتهم ، وفي صدر الإسلام .

أيُّ مثلٍ هذا الذي أتى به الثعالبيُّ ؟ ومن أين أتى به ؟ إنَّ جُلَّ الأمثال المأثورة عن العرب قديماً وحديثاً ، أُلِّفَتِ المؤلفات لجمعها وحصرها ، وبين يدي القارئ هذه المؤلفات فهل يجد من بين ما تحوي هذا المثل ؟! وإذا لم يَجِدْهُ أَلَيْسَ له الحق بأن ينظر إلى علم الثعالبيِّ نظرة استرابة .

ثم إن قبيلة باهلة ـ في جاهليتها لم تكن بأقلّ حظاً أو أضعف نصيباً من مثيلاتها من قبائل العرب ، مجداً وشرفاً ، وعُلُوَّ منزلةٍ ـ كما سبق إيضاح هذا مفصلاً في أول الكتاب ـ .

وعندما دعا داعي الفلاح للانضواء تحت لواء التوحيد سَمَا شَرَفُ تلك القبيلة بالمسارعة للانخراط في صفوف المستجيبين له طواعية ورغبة ، فقدَّمَتْ صفوةً من أبنائها سعدوا بصحبة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وشاركوا في قيادة الجيوش لنشر العدل والعلم والإصلاح ، في مختلف الأقطار التي أظلتها راية الإسلام ، وشَرُفَ أهلُها بالانقياد والخضوع لأحكامه .

ثم يأتي الثعالبيُّ ومشايعوه ومقلدوه ـ وهم كُثْرٌ ـ لمحاولة هدم أمجاد هذه القبيلة ومآثرها في الجاهلية وصدر الإسلام ، بمجرد زَعْمٍ باطل ، وادِّعَاءٍ لا يسنده برهان ، وأنَّى لأولئك ضعضعة ما شيدته الأعمال الخالدة .

إن ما تتصف به الأمم والشعوب والقبائل من مفاخر وأمجاد ، وما يمتاز به بعضها على بعض من مآثر وأعمال جليلة ، لا يقوم على أساس ما يُسْبَغُ عليها من مدح وثناء ، ولكن بما يصدر منها من تلك الأعمال الخالدة ، وهي ـ بهذه الأعمال ـ لا تتأثر بما يوجه إليها من محاولة نفي مآثرها تلك . وهكذا قبيلة باهلة

لا يضيرها ما يتفوه به مُتَفَوِّهٌ جاهل بقدرها ، أو متأثر بما نسبه إليها أعداؤها - زوراً وكذباً - من نقائص ومثالب :

كَنَاطِحٍ صَخْـرَةً يَوْمـاً لِيُوْهِنَهَـا   فَلَـمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ

وليس أدلَّ على جهل الثعالبي بأحوال هذه القبيلة ، وبتاريخها في مختلف عصوره ، من توهمه أنَّ ماكانت توصم به زال ، بعد أَنْ شَرُفَتْ بقتيبة بن مسلم وبنيه .

إنه - بهذا القول - يحاول طمس تاريخها طوال قرون متعاقبة ، فيتجاهل فصاحة سَحْبان ، وفَتَكَاتِ المنتشر ، ورائعةَ الأعشى الباهليِّ في الرثاء ، وغير ذالك من مآثرها في عصر ما قبل الإسلام ، ثم يُضْفِـي على أَزْهَى عهود تاريخها - وهو العهد الإسلاميُّ - حِجَاباً كثيفاً ، محاولاً إخفاءه ، بحيث تبدو القبيلة وكأنَّها - لو لم يعرف من رجالها قتيبة - لم تكن شيئاً مذكوراً ، لا بَلْ لَعُدَّتْ أَلأَمَ قبيلة عُرِفَتْ ، ولازمتها هذه الصفة إلى أبد الأبدين .

ولو كان لدى أَبي منصور الثعالبيِّ عُمْقُ نظرة في التاريخ ، بوجه عام ، وإدراك تامٌّ بما يتعلق بتلك القبيلة منه لاتضح له :

١ ــ أن من رجال باهلة قبل قتيبة من لم يبلغ قتيبة مبلغه في الفضل والشرف ، كأبي أُمَامَةَ صُدَيٍّ بنِ عجلان الباهلي ، وإخوته ممن حازوا فضلَ السبق في الإسلام ، وفازوا بصحبة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وتجاهلُ هاؤلاءِ إزْرَاءٌ بقدرهم ، وجهل فاضح بما لهم ولإخوانهم من أهل ذالك العصر من فضل ، ممن اتفق المسلمون عامة على أنهم خير القرون - بنص الحديث الشريف -.

٢ ــ إن لِصُدَيٍّ بن عجلان - أحدِ قادة فتح حِمْصَ ، ولسلمانَ بنِ رَبيعة

بطلِ القادسية ، ولأخيه عبدالرحمن ، ولغير هاؤلاء من رجال باهلة إبَّانَ الفتوحات في صدر الإسلام ، من البلاءِ الحسن ما لا يقل عَمَّا أُثِرَ لقتيبة الذي أسعفه السعد ، وحالفه التوفيق ، بعد أنِ امْتَدَّ رواقُ الدولة الإسلامية ، ورسختْ قواعد بنائها ، بينما أفعال من تقدمه من أولئك الرجال كانت في دور التَّأسِيس والإنشاء .

٣ ــ إن هذه الأخبار والأشعار التي ساقها الثعالبيُّ في كتابه هذا ـ بعدما تقدم ـ وأورد بعضها في كتابه الآخر «التمثيل والمحاضرة»(١) كلها مما قيل بعد عصر قتيبة ، وهي من آثار اشتدادِ عُرَامِ النَّعْرةِ الشعوبية ، في العهد العباسي ، أَثْنَاءَ سيطرة الأعاجم من البرامكة وغيرهم ، وتصرفهم في شؤون الخلافة ، وتَصَدِّي أبي عبيدة وأَضْرَابه من الشعوبيين لإذكاء نار تلك النعرة ، لا بالنسبة لباهلة قبيلة قريع أبي عبيدة ونِدِّهِ الأصمعي ، بل بالنسبة للعرب أجمعين ، مما بقي رَجْعُ صدَاهُ يتردد في مؤلفات كثير من الأعاجم وأشعارهم ، وفي مؤلفات غيرهم ممن لم يدرك حقيقة البواعث السيئة له .

٤ ــ ومن غَفْلَةِ الثعالبي ـ إنْ لم يكن من جهله ـ استدلالُهُ بالبيت :

إذَا مَا قُرَيْشٌ خَلاَ مُلْكُهَا ... فَإِنَّ الْخِلاَفَةَ في (بَاهِلَهْ)

متوهماً أنه قيل بعد أنْ شَرُفَتْ باهلةُ بِقُتَيبةَ وبنيه بزعمه ، ومعروف أنَّ البيت قيل قبل أن يشتهر أَمْرُ قتيبة ، وأنه قيل في أبيه مسلمِ بن عَمْرٍو ـ صاحب الْحَرُونِ الحصان المشهور ـ كما تقدم إيضاح هذا في الكلام على خيل باهلة ـ ثم إنَّ البيت لم يُرَدْ بِهِ الْمَدْحُ إذْ بعده :

بِرَبِّ الْحَرُوْنِ أَبِي صَالِحٍ ... وَمَا ذَاكَ بِالسُّنَّةِ الْعَادِلَهْ

٥ ــ وفات الثعالبيَّ ومن تَرَسَّم خُطَاه من مقلديه أنَّ سُعَارَ النَّيْلِ من باهلة

---

(١) ٤٤٦ .

لم يشتدَّ ويقوى إلا في عهد قتيبة ، حين انحرف عنه الخليفةُ انحرافاً سبب قتله ، فانحرفت الدنيا كلها بانحراف الخليفة ضدَّ قبيلةِ باهلة ، واشتدت ضَرَاوَةُ الشعراء في هجائها بما أثاره الفرزدق ومشايعوه كَالْأَخطل وغيره ، مما أصبح أساساً لانتقاص هذه القبيلة بعد عهد قتيبة ، حتى تسلط العنصر العجمي على تدبير شؤون الخلافة ، وفي كنف هذا التسلط دَوَّتْ أبواقُ الدعوة (الشعوبية) ممثلةً في أبي عبيدة وأَضْرابه من شعراء الموالي والْأَعاجم ، تُنَمِّي تلك النعرة ، وتُذْكِي أُوَارَ نارها ، وترددت أَصْدَاءُ أَصْواتِ تلك الأبواق ، ومَازَالتْ تتردد في كل زمان ومكان إلى هذا العهد ، فكيف يصح القول بأنها خفيتْ بقتيبة وبنيه وهي لاتزال ، وهاهي الأمثلة :

١ ــ يَأْتِي عالِـمٌ جليل من علماء العصر ، فَيُؤَلِّفُ أَشْمَلَ كتابٍ وأحكمه في تراجم الأعلام ، منذ أقدم العصور إلى هذا العهد ، ولكنه لم يسلم من مسايرة الثعالبيِّ فيما يتعلق بقبيلة باهلة(١) : كانتِ النسبةُ إلى باهلة حِطَّةً عند العرب ، يضربون الأمثالَ بلؤمهم :

لَا تَنْفَعُ ٱلْأَنْسَابُ مِنْ هَاشِمٍ إِنْ كَانَتِ ٱلْأَنْفُسُ مِنْ بَاهِلَهْ

ثم يورد الخرافات المتداولة ويواصل القول : واستمرت هذه صفتهم إلى أن ظهر فيهم قتيبة بن مسلم وبنوه فزالت الوصمة ، وقيل :

إذا ما قريش ـ البيت ـ

عفا الله عن أستاذنا أَبِـي غيث الزركلي فما كان مُتَسَرِّعاً في إصدار أحكامه في حق من يترجمه ، ولكنها هَفْوَةُ عالمٍ ، ونَبْوَةُ صارم .

٢ ــ ومثل أَبي غيث خيرالدين الزركليِّ ـ الدكتور جواد علي في كتابه

(١) «الإعلام» لخير الدين الزركلي: ٢ .

«المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» حيث قال[1]: وعُرِفَتْ باهلة باللؤم حتى ضُرب بها المثل فقيل: (لؤم باهلة).

٣ ـ وكأنَّ علماءَ هذا العصر تواطَؤُوْا واتفقوا على اتباع سَنَنِ مَنْ سبقهم حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ. مع إهدار الاعتماد على أعظم هبة وهبها الله الإنسانَ وهو عقله، لكي يُمَيِّزَ به بين الحق والباطل، فهذه صفوة ممتازة من أشهر علماء الشام ومصر وآخرين من غير هذين القطرين، تتجه لتأليف دائرة معارف عربية شاملة، فلا يحاول واحد من هذه الصفوة التي تجاوزت ثمانية عشر عالماً[2] أن يَتثَبَّتَ من صحة ما سيرد من معلومات في هذه الموسوعة التي أُريد بها أن تَكون من أوثق المراجع وأشملها ـ باختيار أَصَحِّ المصادر في نقل المعلومات منها، ثم استعمال مقاييس العقل والمنطق لإدراك صحة هذه المعلومات، فالاكتفاءُ بالنقل المجرد من تلك المصادر مهما بلغتِ الثقة بها قد يقبل في حالات خاصة، أما أن تَتَصَدَّى صفوةُ علماءِ العرب لتقدم مرجعاً أساسيًّا في مختلف العلوم لجميع الباحثين، فتعمد إلى الإكتفاءِ بالنقل المجرد من أي مؤلف، أو من مجموعة مؤلفات تتابع مؤلفُوها على ما تحويه من تدوين معلومات يتضح بطلانها ومجافاتها للمنطق لأول وهلة، من تلك المعلومات ـ بل التُّرَّهَات الباطلة[3] ـ: وكانت النسبةُ إلى باهلة حِطَّةً عند العرب، يضربون بلؤمهم الأمثال، استمرت هذه صفتهم حتى ظهر فيهم قتيبة بن مسلم وبنوه فزالت عنهم الوصمة ـ كذا قالت «الموسوعة العربية الميسرة».

---

(١) ٤/٢١٨/٣٣٩/٤٤٥ ـ واحال إلى «ثمار القلوب».

(٢) وهم: محمد شفيق غربال ـ الرئيس ـ ود: سهير القلماوي، ود: إبراهيم حلمي عبدالرحمن، ود: إبراهيم مدكور، وأحمد محمد بدوي، وإسماعيل مظهر وجاسم محمد الخلف وحسن جلال العروسي ود: جميل صليبا، ود: الدرديري أحمد إسماعيل، ود: زكي نجيب محمود، ود: عبدالرحمن زكي، ود: علي توفيق شوشة، ود: فؤاد صروف، ود: قسطنطين زريق، ود: كامل منصور، ومريت غالي. (٣) «الموسوعة العربية الميسرة» مادة «باهلة».

ما أعظمها من فرية أُلْصِقَتْ بهذه القبيلة الكريمة من أنَّ النسبة إليها حِطَّةٌ عند العرب ، وما أجهل من أراد إلصاقها بها بالتاريخ العربي في مختلف عصوره .

ولعل أول من أتى بعبارة قد تؤدِّي لذالك المعنى السيِّءِ هو السمعاني - صاحب كتاب «الأنساب» إذ ورد فيه[1] : وكان العرب يستنكفون من الإنتساب إلى باهلة ، كأنها بينهم ليست من الأشراف - ثم تصرف في هذا القول من جاء بعد السمعاني كُلٌّ بما فهم منه ، وتوسعوا في ذالك بدرجة تبعث على الأسى ، كيف انجرف أؤلئك ، وفيهم علماءُ أَجِلَّةٌ من حيث لا يشعرون ، فيما لا يسوغ الانجراف فيه بالنسبة لفرد من الناس ، بدون التثبت من صحة ما ينسب إليه ، فكيف بالنسبة لطائفة من الأمة لها حرمتها ومكانتها -: وكقول صاحب «خزانة الأدب»[2]: وباهلة قبيلة منحطة بين العرب ، ولذا قيل :

وَما يَنْفَعُ ٱلأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتِ ٱلأَنْفُسُ مِنْ (بَاهِلَهْ)

ولنفرضْ جدلاً - أنَّ امْرأً من قبيلة أَتَى بفعلة تُعَدُّ سُبَّةً ومنقصة ، أو أن مجموعة من تلك القبيلة أَتَتْ عملاً معيباً ، بغير تواطُؤٍ ولا اتفاق مع بقية أفرادها ، هل تنجرُّ السُّبَّةُ فتشمل كل القبيلة في جميع عصورها المتعاقبة ؟ إن القول بهذا مما يتفق العقلاء على مجافاته لمقتضى العدل والإنصاف ، ومنافاته للقواعد الشرعية ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[3] إلا أَنَّ طائفة من العلماء - منذ القرن الرابع الهجري إلى هذا العصر كادت تتفق على اقتراف ذالك ، بارتكاب أَسْوَإِ جُرْمٍ بحق قبيلة بأسرها - إذْ وَصَمَتْهَا بما نُسِب إلى أحد أفرادها .

---

(1) ٧٠/٢ . (2) ٨١/٩ .

(3) سورة (الإسراء) الآية الـ(١٥) .

وهذانِ عالمان جليلان من علماء المغرب أحدهما الشيخ أحمد البدوي المجلسي الشنقيطي صاحب أرجوزة «عمود النسب» الثاني الأستاذ حماد بن الأمين المجلسي الموريتاني شارح تلك الأرجوزة في كتابه «تحفة الألباب ، شرح الأنساب» وهو عالم معاصر ـ يسيران على سنن من تقدمهما ممن حاد عن نهج الصواب ، قال الشنقيطي(1) :

بَـاهِـلَةٌ طَـفَـاوَةٌ، غَـنِـيٌّ لِأَعْصُرٍ ، بَـاهِـلَةُ الـدَّنِيُّ
مِنْهُ الْإِمَامُ الْأَصْمَعِيُّ الْـمُنْكِـرُ نَـسَبَـهُمْ وَالـظَّالِـمُ (الْـمُـنْتَشِرُ)

ويخلص الشارح إلى القول : وصفهم بالدناءة لكثرة ما تهجوهم العرب ، وتسخر منهم حتى قيل : إن في الحديث «تتكافأُ دماؤكم ولو قتلتم رجلاً من باهلة» وأما أقوال العرب فهم فلا تُحصَى نظماً ونثراً ـ وبعد إيراد ما تكرر ترديدهُ في الكتب حتى مُجَّ واطُّرِحَ ، لتفاهته ـ يأتي بشرح قول الناظم :

قُتَيْبَـةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَحْـدَبُهَـا الْـمُشْتَـوِي عِفَاقَ، فِيْـهِ سَبُّهَـا
إِنَّ عِـفَـاقَ أَكَـلَتْـهُ بَـاهِـلَهْ تَمَشَّـشُـوا عِـظَامَـهُ وَكَـاهِـلَهْ
وَتَرَكُوا أُمَّ عِفَاقٍ ثَاكِلَهْ

أَحْدَبُ باهلة يعني الأحدبَ بن عَمْرٍو بن عَمَّارة بن عبد الْعُزَّى ـ جَدُّهُ عَمَّارَةُ هو الذي قتل عبدَ الدار بن قُصَيٍّ ، لكنه أكل رجلاً من بني عامر ، فَسُبَّتْ به باهلة مع ماهم عليه ، أكله من أَجْلِ الجوع ـ إلى أن قال الشارح ـ: سحبان وائل وبَاقِلٌ ابنا عَـمٍّ ، من باهلة : ومنهم سحبان وائل الذي يُضْرب به المثل في الفصاحة ، وبَاقِلٌ الذي يضرب به المثل في الفهاهَة ، ويستطرد في الكلام حتى يصل إلى قول الناظم :

بَـاهِـلَةٌ مُحَـارِبٌ سَـلُوْلُ أَزْرَتْ بِهَـا إِخْـوَتُهَـا الْفُحُـوْلُ

(1) «تحفة الألباب» ـ ٢٨٥ ـ ومابعدها والكتاب من منشورات حكومة قطر سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) .

وشرحه : يعني أنَّ هذه القبائل كَانَ فِيها بعض ما يكون من الشعر[1]، والْغَنَاءِ في الْعَدُوِّ ونحوِ ذالك ، ولكن وضعها القصور عن إخوتها ، أما باهلة فوضعهم شرفُ غطفان إخوتهم ، وأما محارب فقد وضعهم ما لِسُلَيْمٍ وهوازِنَ من المآثر ، وأما سَلُولُ فقد أَزْرَى بهم قصورهم عَنْ بني عامر بن صعصعة . انتهى المراد منه ملخصاً .

قد تطغَى الحيرة على القارئَ وهو يحاول التوفيق بين ما علل به الأستاذان الكريمان الشنقيطي وحماد ما وصما به باهلة من الدناءة ، فهما في موضع يقرران : (أَحدَبُها المشتوي عِفَاقَ فِيْهِ سَبُّهَا) فَسُبَّتْ به باهلة مع ماهم عليه ، وفي موضع آخر يَعُدَّانِ باهلة بين القبائل التي وضعها القصور عن إخوتها : وضعها شرفُ غطفان ، وَأَيًّا كانَ الأمر فلا داعي للتعجل ، بل ينبغي السير في متابعة الأستاذين الفاضلين لاستيضاح جميع جوانب رأييهما - أو ما يستطاع استيضاحه من الجوانب - لإدراك مَدَى انطباقهما - أو أحدهما - على واقع الحال بالنسبة لما وصمت به قبيلة باهلة .

وأول ما يتبادر إلى الذهن هو : هل ارتفاعُ منزلةِ قبيلة من القبائل ، وَتَفوُّقُهَا في ناحية من نواحي الشرف يكون سبباً لِضَعَةِ أَقْرب القبائل إليها نسباً ؟ ؛ أو أنَّ ٱلْأَمْرَ بعكس هذا ، فإذا شرفت إحدى القبيلتين شرفت الأخرى ؟!

ثم متى تفوقَتْ غطفان فتميزت في جانب من جوانب حياتها ، وقصرت باهلة عن مجاراتها في بلوغ ما شرفت به ؟ أَفي العهد الجاهلي ؟ وفيه عُرِفَ من مآثر باهلة ما لم يعرف لغطفان ، من الغارات الجريئة والمجاولات مع القبائل الأخرى البعيدة عن بلادها ، وبروز عدد من الفرسان منها ، مما لم يُعْرَفْ مثله

(١) كذا في الأصل (الشعر) ولعل المؤلف تصحفت عليه كلمة (الشرف) الواردة في كتاب «الممتع» (على أن لباهلة في الإسلام شرفاً باذخاً ، ومنهم رجال لهم صيت ، وفيهم كرم ومروءة ودين ورئاسة) .

في غطفان ، بحيث كان منهم من رَأس قبائل قَيْسٍ كلها وأَخَذَ مِرْبَاعَها[1] ، وبينما كانت غطفان تحل بلاداً حصينة منيعة بجبالها وحِرارها ، بحيث تَسْهُلُ حمايتها ، كانت باهلة تستوطن بلاداً مكشوفة ، محاطة بكثير من الأعداء ، الذين يحاولون الانقضاض عليها ، ولكنها استطاعت حمايتها ؟!

أم في العهد الإسلامي ؟ ومن ذَا الذي تخفى عليه مواقف غطفان من محاربة المسلمين حتى خضعت بالقوة ، بخلاف قبيلة باهلة التي انقادت للإسلام عن طوع واختيار ، وبرزت مواقفها المشرفة في نصرته أَثْنَاءَ الفتوحات الإسلامية ؟!

قد يصح القول بأن باهلة كان من أسباب ضعفها ـ لا ضَعَتِها وهوانها ـ هي وأُخْتُها غَنِيٌّ أنهما انفصلتا عن غطفان أختِهما القربى في النسب ، ونَأَتَا عنها في المنازل ، فاستوطنتا بلاداً تحيط بها قبائل لا تربطهما بها رابطة النسب القريب ـ وإنْ جمعتهما القيسية ـ من فروع بني عامر بن صعصعة وغيرها ـ بحيث اضطرت القبيلتان غني وباهلة إلى محالفة تلك الفروع ، ومن هُنَا يصح القول بمحافظة غَطَفان على تماسُكِ كِيانها ، وبقاءِ قوتها ـ رَغْمَ ما حدث بين فَرْعَيْهَا عَبْسٍ وذُبْيَانَ من فتن وحروب ـ ولكنها امتازت على غني وباهلة اللتين أَلْجَأَتْهُمَا ظروفُ الانفصال إلى التحالف ، ومعروفةٌ منزلة الحليف في المجتمع القبليِّ في العهود القديمة ، وكان هذا التحالف من أوسع الأبواب التي ولج منها أعداء القبيلتين ـ واتخذ منه خيال الفرزدق أوسع مجال للتفنن في هجاء (باهلة) بوقاحة وفحش ، وما وصف القبيلة بـ (الدناءة) و(اللؤم) سوى رَجْعِ صَدَى ذالك الهجاء .

ولعل من الغرابة بمكانٍ أن يكون أحدُ الباحِثِينَ الغربيين أَسْبَقَ إِلَى إدراك هذا من غيره ، ممن تحدث في هذا الموضوع من علماء العرب ، منذ القرن الرابع الهجري ، فقد جاء في «دائرة المعارف الإسلامية» التي أصدرها

(١) انظر «الممتع» للنهشلي: ١٦٣ .

المستشرقون باللغة الإنجليزية ، ثم عُرِّبَتْ ، في الكلام على (باهلة) مانصه[1] : يطلق اسمُ باهلة على قبيلة مَعْنٍ البدوية ، في شمال الجزيرة يقال (بني باهلة) نسبة إلى باهلة بنت صَعْب ، التي بَنَى بها ابنُ زوجها مَعْنٌ ، وكانت مراعيهم في القديم جنوب اليمامة ، ويقال : إنهم ظلُّوا هناك إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، ثم نجدهم بعد ذالك يحتلون الْـحُفَيْرَ . . . وكانت قبيلةُ باهلة سَيِّئَةَ السُّمْعَةِ حتى إنَّ النسبة إليها وهي (باهلي) من ألفاظ الهجاء ـ ثم أحال كاتب هذه المادة (هل J. HELL) إلى «ديوان الفرزدق» مشيراً إلى الصفحات التي ورد فيها هجاؤه ، باعتباره المصدر الوحيد في ذالك ، وهذا مما يوضح أقوى الجوانب من وصم باهلة بسوء السمعة ، مِـمَّا كان لهذا الغربيِّ السبقُ إلى إيضاحه ، وقد خفي على كثير ممن تحدث عن تلك القبيلة .

أما إقدامُ أَحْدَبِ باهِلَةَ على شَـيِّ الرجل العامري وأَكْلِهِ فقد ذكره ابن الكلبي وكثيرون غيره ممن جاء بعده ـ كالجاحظ وغيره ـ ولا غرابة في وقوع مثل هذا الفعل من أيِّ واحد من الناس ، وإنما وجه الغرابة القولُ بأن وصف باهلة بالدناءة (باهلة الدِّنِـيُّ) كان من جَرَّاءِ تلك الْفَعْلة ـ كما في كتاب «تحفة الألباب» للأستاذ حماد بن الأمين الموريتاني :

١ ـ فلم يكن الأَحدب الباهليُّ بِأَوَّلِ من دفعته الضرورة وأَلْـجَأَتْهُ ضَراوةُ الجوع لارتكاب فعلته تلك ، ونَصُّ الخبر أن عِفَاقَ بنَ مُرَيٍّ القشيريَّ كان

(١) ٣١٩/٣ ـ الترجمة العربية ـ ومما ينبغي التنبيه عليه من أوهام ما وقع في هذا الكلام :
١ ـ ما كانت قبيلة باهلة تعرف بـ(قبيلة معن) بل اسمها يشمل ولد مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان وولد معن بن مالك .
٢ ـ استقرار باهلة في بلادها القديمة استمر إلى ما بعد القرن الخامس الميلادي بزمن ، فالهمداني وهو ممن أدرك القرن التاسع الميلادي ذكر في «صفة جزيرة العرب» بقاءهم في بلادهم تلك .
٣ ـ الحفير منهل بقرب البصرة ، حفر أحد الباهليين هناك بئراً . ولم يكن موطن استقرار لباهلة ـ كما سبق إيضاح هذا في الكلام على بلادها ـ.

مجاوراً في باهلة ، في سنة قَحْطٍ ، فأخذه الأحدب فشواه وأكله ، وفيه يقول الشاعر :

إنَّ عِفَاقاً أَكَلَتْهُ باهلهْ

الرجز المعروف ـ والضرورة تُلْجِـئُ إلى ارتكاب المحظور ، والفعل حدث في زمن ماكان لأهله شريعة تردع عن ارتكاب المحرمات ، فقد كان القوم يرتكبون منها ماهو أسْوَأ من أكل لحوم الناس ، وليس من الممكن الإحاطة بالظروف التي دفعت الرجل إلى ما فعل ، ولا شك أَنَّ من أَسْوَاءِها أنه أَقدم على أكل صاحبه مضطرًّا ، وقد يكون بينهما من العداوة ما سبب ذالك ، وليس المقصود هُنَا الدفاع عن مقارفة تلك الفعلة الدَّنِيئة ، ولكن عن أخذ قبيلة بأسرها بجريرة فرد ، لم تتضح جميع الأحوال الدافعة له إلى ما فعل .

٢ ـ ليس هذا الرجل الباهليُّ وَحْدَهُ الذي أقدم على ما أقدم عليه ، فابنُ الكلبيِّ بعد سياق الخبر ، أضاف[١] : وناسٌ من بني فَرِير بن عُنَيْنٍ من طَـيٍّءٍ جاورتهم امرأة من بني تميم ، فأصابتهم سنة فأكلوها . وقومٌ من هُذَيْلٍ ، أَكَلُوا جاراً لهم . وأَكَلَ بنو عُذْرَة أمةً لهم .

والجاحظ عَدَّ من القبائل التي هُجِيَتْ بأكل لحوم البشر ـ غير من ذكر ابن الكلبي ـ بني فَقْعَسٍ من بني أَسَدٍ ، مستدِلاً بشعر معروف الدُّبَيْرِيِّ في هجوهم :

إِذَا مَـا ضِفْتَ يَـوْمـاً فَقْعَسِيًّـا ... فَـلا تَـطْعَمْ لَـهُ أَبـداً طَعَـامَـا
فَــإِنَّ اللَّحْمَ إِنْسَــانٌ فَــدَعْــهُ ... وَخَيْرُ الزَّادِ مَـا مَنَعَ الْـحَـرَامَا

(١) «جمهرة النسب»: ٤٥٩ ـ تحقيق الدكتور ناجي حسن .

كما أورد من أبيات في هَجْوِ هُذَيْلٍ :

وَأَنْتُـمْ أَكَلْتُـمْ شَحْمَةَ بْنِ مُخَدَّمٍ   زَبابٍ، فَلَا يَأْمَنْكُمُ أَحَدٌ بَعْـدُ

ومن شعر حسَّانَ في هجو لِحْيَانَ من هُذَيْلٍ :

قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْـجَارِ بَيْنَهُمُ   فَالْكَلْبُ وَالشَّاةُ وَالْإِنْسَانُ سِيَّانِ(١)

وما سُقْتُ هذه الشواهد إلا لإيضاح عدم انفراد باهلة بالهجاء من جَرَّاءِ ذلك الفعل .

٣ ـ إنَّ السبة ـ إن كان ثَمَّتَ سُبَّة شاملة ـ هي أَجْدَرُ بأن تلحق بقوم عِفَاقٍ ، ولهذا عيرهم الفرزدق بكفهم عن باهلة حين لم يَثْأَرُوا بِرَجُلِهِم المأكول ـ فقال :

إِذَا (عَامِرٌ) خِصْيَـيْ عِفَاقٍ تَقَلَّدَتْ   بِأَعْنَاقِهَا، وَاللُّؤْمُ تَحْتَ الْعَمَائِمِ

٤ ـ إنَّ من أظلم الظلم أَخْذَ المحسن بجريرة الْـمُسِيْءِ ، ومن ذالك أن توصف قبيلة كريمة بالدناءة بسبب هفوة حدثتْ من أَحد أفرادها ، دون تواطُؤٍ ، ورضا وإقرار لما اجترم . ولنفرض جدلا أَنَّ رجلاً ذا صولة وسلطان ، ارتكب ماهو من هذا القبيل ـ بل أشنع منه ـ أمن العدل والإنصاف أن ينجر عار فعله إلى قبيلته ـ يروي مؤرخ مكة الشيخ عبدالملك بن حسين العصامي (١٠٤٩/ ١١١١هـ) أن حاكم البلد الأمين المنتمي إلى أسمق دوحة في سماء المجد والشرف ، حُمَيْضَة بن أبي نُمَـيٍّ ، وقد وقع بينه وبين أخيه أبي الغيث خلافٌ على الحكم أَدَّى إلى انتصار حُمَيْضَةَ ، فَعمد في رابع ذي الحجة سنة ٧١٤ إلى قتل أخيه ، ثم استدعى إِخْوَتَهُ للضيافة ، فاجتمعوا ، فما راعهم إلا أبو الغيث مقتولاً في جفنة مَسْلُوقاً كما هو ، وقَدْ وُضِعَ بين أيديهم ، وعلى رَأْسِ كُلٍّ واحدٍ

(١) «الحيوان»: ١٣٠/٧ .

منهم غلامانِ أسودان مِنْ غِلمان حُمَيْضة ، معهم السلاح ، فَأَذْعَنُوا له بالملك قهراً[1] .

ماكان حسناً ـ وأيْـم الحق ـ أن يُدَنَّسَ تاريخ (خير أُمة أُخْرِجت للناس) بمثل هذه القاذورات من أفعال الجبابرة الطغاة ، ممن نزع الله من قلوبهم جميع ما فضل به الإنسان من أحاسيس الخير ، وضوابط التصرف ، فضاهوا ضواريّ الوحوش شراسَةً وخبثاً ، إننا لو تَخَيَّلْنَا أن ما جرى من ذالك المجرم يَمَسُّ ـ من قريب أو بعيد ـ حِـمَى تلك الدوحة العظيمة السامقة الفروع ، الراسخة الجذور ، شرفاً ومجداً وأخلاقاً وسُمُوًّا ، إذْ شرفت بنسبة سيد ولد آدم إليها ـ لو تخيلنا ذالك لضللنا ضلالاً مبيناً ، فما بالنا نسارع مقررين وصمة قبيلة باهلة بجريرة (أحدبها)؟!

ولن أتمادى في السير مع أخينا الأستاذ حماد ، فأقِفَ في كل موضع من كتابه مما هو بحاجة إلى الوقوف فيه ، بل أُمُرَّ مسرعاً ، مكتفياً بالإشارة إلى بعضها :

١ ـ كنسبة (باقل) إلى باهلة ، ومعروف أنه من ربيعة ، ثم من بني قيس ابن ثَعْلبة ـ كما ذكر ابن دُرَيد في «الاشتقاق»[2] وغيره .

٢ ـ وكقوله في الأصمعي[3] : (وإنكاره لنسب باهلة أنه كان يقول : لم تلدني لِأَنَّ جَدِّي قُتيبة بنَ مَعْنٍ لم تلده ، فكيف أكون من باهلة ، والناس إذا كانوا من باهلة تَبَرَّأُوْا من نسبهم ، فكيف بمن لم تلده باهلة) .

هذا الكلام المنسوب إلى الأَصمعي مُلَفَّقٌ من عدة أقوال : فإنكارُ الأصمعيِّ أن تكون باهلة جدة له ، إنكار صحيح ، إذ هو من أَبناء معن بن مالك ،

(١) «سمط النجوم العوالي» : ٤/٢٢٨ .
(٢) ٢٧٤ ـ تحقيق عبدالسلام هارون وانظر شرح المثل : (أعيا من باقل) في «جمهرة الأمثال» للعسكري و«مجمع الأمثال» للميداني . (٣) ٢٢٨ .

الذين لم تَلِدْهُـمْ باهلة ، ولكنه لم يَنْفَ كونها حضنتهم فَنُسِبُوا إليها ، وهو لم ينتف من النسبة إلى باهلة القبيلة ، ولهذا حاول أعداؤه الطعنَ في انتسابه إليها ، ولكن شيطانهم أبا عُبَيْدَةَ ـ وقد أدرك فساد هذا الطعن نفاه .

وجملة (الناس إذا كانوا من باهلة تبرأوا منها) ليست من كلام الأصمعي بل من اختلاق أشد الناس عداوة له ولقبيلته ، أبي عبيدة مَعْمَرِ بن المثنًى إمام الشعوبين .

وعلى ذكر الأصمعي فقد تكررت في الكتاب(١) كلمة (أبي مطهر) و(أبا مطهر) في أجداده ، وصواب الاسم (مُظَهَّر) ـ بعد الميم المضمومة ظاء معجمة مفتوحة ، فهاء مفتوحة مشددة فراء ، قال في «القاموس» وشرحه(٢): ومُظَهَّرُ ـ كَمُعَظَّمٍ ـ جَدُّ عبدِ الملك بن قُريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع بن مُظَهَّرٍ الأصمعي ـ أما ابن مَاكولا فضبط الاسم بكسر الهاء المشددة (مُظَهِّر) .

٣ ـ وكالتساهل في النسبة إلى الحديث ماليس منه : (حتى قيل : إن في الحديث تتكافأُ دماؤكم ولو قتلتم رجلاً من باهلة). والأخ الكريم ليس يجهل الوعيد الشديد في ذالك . ويدرك أن صيغة : (حتى قيل : إن في الحديث) ليست كافية في التنبيه على بطلان نسبته إلى الحديث النبوي الشريف ، وكلمة (الحديث) في كلام الأستاذ تنصرف أول ما تنصرف إليه .

٤ ـ وكإيراده ما عبر عنه بـ (أقوال العرب) وماهو سوى أشعار ساقطة

---

(١) رسم (ظهر) .

(٢) «الإكمال»: (باب مظهِّر ومُطهَّر : أما مُظَهِّر بظاء معجمة وهاء مشددة مكسورة فهو مظهر بن رافع ـ إلى أن قال : ـ الآباء : الحارث بن مسعود . . . و . . . والأصمعي هو عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع بن مُظَهِّر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم ـ إلى آخر النسب من نسخة مخطوطة ـ .

المعنى ، لبعض الموالي من الشعوبيين وأضرابهم من فسقة الشعراء ، وحكايات وأقوال خرافية ملفقة ، وضعت للتندر والفكاهة ، وليست أقوالاً صحيحة ، مأثورة النسبة عن قوم ثقات عدول . ولعل عذرَ الأستاذ في إيرادها ـ إن كان له عذر ـ تأثُّرُهُ بمن سبقه ، وما أكثر من تَأَثَّرَ أُولئك ، عن حسن نِيَّةٍ وسلامة قصد .

٥ ـ وأرى الوفاءَ بحق الشيخ الجليل ناظم «عمود النسب» يقتضيني أن أقِف وقفة ابتهال ودعاء ليسبغ عليه الله جَلَّ وَعَلَا واسع عفوه ورضوانه ، فلقد انجرف لسانه ، فانحرف انحرافاً سيئاً بقوله (باهلة الدِّنِـيُّ) وهو لا يجهل مدلول كلمة (الدناءة) وشمولها جميع صفات الخسة والحقارة والخبث ، وعدم العفة في البطن والفرج ، أيجوز شمول قبيلة فيها من الصحابة والعلماء ، والصالحين من عباد الله الأتقياء ، منْ لا يحصون كثرة طيلة العصور الماضية ، إنه ـ تغمده الله برحمته التي وسعت كل شيء ـ لا يجهل ما لها من مواقف في صيانة شرفها ، والحِفَاظِ على أصالتها ، منذ أنْ عُرِفَتْ حتى جاء الزمن الذي أوشكت الفوارق القائمة على صيانة أعراق الأجناس البشرية أنْ تزول بانسياح موجات قبليَّةٍ في بلاد الأعاجم ، واندماجها بسكان تلك البلاد ، فلم تتأثر باهلة بما تأثرت به قبائل أُخرى من التمازج والاختلاط بغيرها .

وما خبر تلك السيدة الباهلية الكريمة التي أزهقت روح من حاول الاعتداء على عفافها وكرامتها ثم جادت بروحها شهيدة صيانة عرضها ، ولا خبر السيدة الباهلية الأخرى التي أثارتها حرباً شعواء بين قومها وبين أُعدائهم حفَاظاً على شرفها ، وصيانة لعرقها العربي الطاهر أن يدنس بمصاهرةِ عِلْجٍ تراه لا يساميها بل لا يدانيها حسباً وكَرَماً ، مهما سمت منزلته في قومه ـ وماذالك

الخبر بسر[1].

وأراني أطلتُ الوقوف ، وماذالك إلا لأوضح لأحبابنا وإخواننا ممن نَأَوْا عَنَّا سَكَناً ، وقَرُبُوا من قلوبنا حُبًّا وتقديراً ـ لأُوضح لهم مبلغ عنايتنا واهتمامنا واستفادتنا بما يفيضونه من علم غزير ، ذي صلة قوية بحياة أُمتنا وبلادنا جميعاً ، ونحرص كلنا على أن تزداد تلك الصلة قوة واستمراراً ، وكلنا ندرك أن (المؤمن مرآة أخيه المؤمن) .

ومن تلك الأقوال قول صاحبنا وزميلنا في (مجمع اللغة العربية) الشيخ محمد بهجة الأثري[2] : باهلة قبيلة من أَخَسِّ قبائل العرب ، ويُضْرَبُ بلؤمها المثل ، ولم تزل العرب تصف باهلة باللؤم في الجاهلية والإسلام ، ثم خفيتْ منهم تلك السِّمَةُ ، وشَرُفَتْ بقتيبة بن مسلم وبنيه حتى قال القائل :

إِذَا مَا قُرَيْشٌ خَلاَ مُلْكُهَا ... فَإِنَّ الْخِلاَفَةَ في (بَاهِلَهْ)

---

(1) كالمثل : (مايومُ حَليمة بِسِرٍّ) يضرب لكل أمر متعالم مشهور ، ويوم الباهلية يعرف عند المؤرخين بخبر (قصر الباهلي) ، وملخص خبر المرأة الأولى : أن رجلاً استضاف باهلية اسمها معاذة ، فأكرمته ولما لم يجد عندها أحداً سامها نفسها ، فثارت الغيرة والحمية بها ، ولكنها عرفت أنها لا تتمكن من القضاء عليه إلا بخديعته ، فقضت عليه ، ويظهر أنها من أثر مصارعته أصابها ما سبب وفاتها وقد نظم قصتها أعشى باهلة حيث قال :

فَلَمَّا بَغَاهَا نَفْسَهَا، غَضِبَتْ لَهَا ... عُرُوقُ نَمَتْ وَسْطَ الثَّرَى فَاسْتَقَرَّتِ
فَأَمَّتْ بِهَا فِي نَحْرِهِ وَهْوَ يَبْتَغِي الـ ... نِّكَاحَ، فَمَرَّتْ فِي حَشَاهُ وَجَرَّتِ

وانظر الأبيات في ترجمة الأعشى مع الشعراء .

أما المرأة الثانية فيستفاد مما ذكره المؤرخون أن ملك الترك وجه جموعه بقيادة (كورصول) للاستيلاء على موقع في خُراسان يعرف بقصر الباهلي ، وفي القصر امرأة من باهلة ، فنزلت تلك الجموع به ، فأراد أحد قوادهم أن يتزوج تلك المرأة الباهلية ولكنها صيانة لعرضها بمصاهرة من ليس كفوًا لها امتنعت واستثارت حمية قومها فأرادت جيوش الترك الاستيلاء على ذالك القصر وسبي جميع من فيه من المسلمين وهم نحو مئة أهل بيت بذراريهم ولكن الجيش الإسلامي بعد ذالك هزم الترك في خبر فصله المؤرخون في حوادث سنة اثنتين ومئة (انظر «تاريخ ابن جرير» ٦٠٨/٦) .

(2) هامش «بلوغ الأرب» ١٠٩/٢ .

ثم استرسل الشيخ في سرد ما لَاكَتْهُ الألسن ، وسُوِّدَتْ به الصفحات من أخبار باطلة ، وأشعار ساقطة ، تصدَّى لجمعها ، أحدهم وتحدث بهَا في إذاعة (لندن) ثم نشر أحاديثه في كتاب بعنوان «قول على قول» وكلها مما تردد ذكره فيما تعرضت للحديث عنه من المؤلفات .

وقول صديقنا الأستاذ عباس العزاويِّ ـ رحمه الله ـ في الكلام على الصلبة(١): وأما ما يقال من أنَّ العرب يعتبرونهم غَيْرَ عَرَبٍ فهذا غير صحيح ، وإنما يقولون : إنهم يتعاطون أَخَسَّ الأمور . . . ، ومن جهة أنهم ليس لهم نسب معروف ، وأنَّ لاختيار النسب علاقة في نبذهم ، كما نَبَذَ العربُ باهلةَ لصفاتٍ اختصو بها ، ومنهم من يَعُدُّهُمْ من باهلة ، والظاهر أن هذا ليس بصواب . انتهى .

ويكرر الشيخ علي الطنطاوي قول العزاوي بتحويرٍ في أسلوبه فيقول(٢): إنَّ (صلْبة) في عرب اليوم كباهلة في عرب الأمس ، قبيلة لئيمة ، يَأْنف الكرام من الانتساب إليها . ويقول في كتاب آخر في معرض الثناء على قتيبة بن مسلم(٣): رجل ما رفعه نَسَبُهُ فَقَدْ كان من أَخَسِّ قبائل العرب ، وأَحَطِّهَا منزلةً ، من قبيلة كان يستحي أبناؤها من الانتساب إليها ، ويَضْرِبُ العربُ المثلَ بالخِسَّة بها ، ويَتَرَفَّعُ العرب عن ذكرها ، من باهلة .

ويأتي أُسْتَاذُنَا الزِّرْكِلِيُّ ـ رحمه الله ـ فيكرر قولَ دريدِ بن الصِّمَّةِ عملاً لا قولاً :

وَهَلْ أَنَا إلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ   غَوَيْتُ وَإنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

(١) «عشائر العراق» ٣١٣/١ .
(٢) «صور وخواطر» ـ ٧١ ـ طبع ١٤٠٩هـ نشر (مكتبة المنار) في الرياض .
(٣) «رجال من التاريخ» ٦٨ الطبعة الثانية .

فيرمي تلك القبيلة - كما رماها الآخرون - ويتلقَّفُ أحجارَهُ بعده لمواصلة رَمْيِهَا المتحدثُ عن باهلة في «الموسوعة العربية الميسرة» .

ماكان أؤلئك العلماء الأجلة يحملون أَيَّ حقد أو بغض أو كراهية لقبيلة باهلة ، وما أرادوا فيما عرضوه في مؤلفاتهم إلا خدمة الحقيقة مجردة من كل غاية ، ولكنهم أُتُوْا من حيثُ تَوَقَّعوهُ وَسِيلةً لِبلوغها ، إِذْ وثقوا بمن ليس أهلاً للثقة ، فقبلوا آراءه ، وساروا على نهجه دون تثبت ، فأصابوا قوماً بجهالة من حيث لا يشعرون ، وما أكثر مَنْ أَصَابُوا ، وما أبشع ما رَمَوْا به هاؤلاء المصابين الأبرياء . لقد رَمَوْا باهلة بِأَسْوَإِ وصمة تعيب المرء ، فزعموا أنها مضرب الأمثال في اللؤم ، أي بِجِماع خلال الضَّعَةِ والهوان ، من الشُّحِّ ، ومهانة النفس ، ودناءة الأصل والحسب ، بحيث أُصبحت بين القبائل العربية منبوذةً مُـحْتَقَرَةً لا صلة بينها وبين القبائل الأخرى ﴿ سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيْمٌ ﴾ فما كانت هذه القبيلة الكريمة - كما صورها الشعوبيون أبو عُبيدة وأضرابه - بهذه الصفة ، بل كانت كغيرها من قبائل العرب مَجْداً وشرفاً ، وعُلُوَّ منزلة ، ولم يُعْرَفْ عنها في عصر من عصور تاريخها أنها كانت بِأَقَلَّ منزلة من مثيلاتها من القبائل ، أو أنها اتصفت بأية صفة تقلل من قدرها ، أو تبرزها بصورة من المهانة والضعف ، حسبما تَصَوَّرَها وصَوَّرَهَا هاؤلاء الذين انساقوا وراء أؤلئك الجاهلين بقدر هذه القبيلة أو المقلدين لأعدائها من الشعوبيين ، بإبرازها بأبشع صورة من الذل والحقارة ، وهي أبعد ما تكون عن هذه الصورة .

تلك نماذج من أقوال علمائنا الأفاضل - لم تكن قائمة على المنطق السليم لمحاولة الوصول إلى الحق مما يتعلق بهذه القبيلة على وجهه الصحيح ، فهل هم معذورون في هذا ؟!

صلة باهلة بالقبائل الأخرى

لقد اعتاد مدونو التاريخ أن يتأَثَّرُوْا خُطَا مَنْ تقدَّمَهُمْ تَأَثُّراً أبرز جوانب من تاريخ الأمة العربية بمظهر يتنافى مع واقعه ، في بعض أحواله ، إذ كيف يصح أن يكتب عن تاريخ أية قبيلة من القبائل العربية مَنْ يعيش في بلادٍ تفصل بينها وبين تلك القبيلة آلاف الأميال ؟ وكيف يستطيع الإحاطة بما يتعلق بتلك القبيلة وهو لم يخالطها ، ولم يعش بينها ؟ فالثَّعالِبِيُّ والسمعانِـيُّ وأضرابهما ممن يعيشون في بيئة أعجمية يفصلها عن جزيرة العرب ـ التي تقيم فيها باهلة ـ آلاف الأميال كيف يحكمون على هذه القبيلة ، ويصورون صلتها بأخواتها من القبائل العربية الأخرى ؟

لقد عاشتْ قبيلةُ باهلة في بلادها في عالية نجد ، بين أخواتها ممن تربطها بها رابطة النسب والجوار ، منذ أقدم عصورها حتى العهد الحاضر ـ عيشة الوئام والتعاون والتقارب بمختلف صوره ، فلم يحدُثْ أَيُّ نفور يفصل بينها وبين القبائل الأخرى ، ولم يعرف عنها من سُوْءِ الأَخلاق ما سبب أية صورة من صور التقاطع ، طوال تلك القرون ، وليس أَدَلَّ على جهل هاؤلاء الذين يريدون أَنْ يُوْجِدُوا هُوَّةً بين باهلة وبين أخواتها من القبائل العربية من أنهم لم يُدْرِكُوا أَنَّ لهذه القبيلة صِلاَتٍ عميقةً راسخةَ الجذور مع كل القبائل العربية ، التي لا تزال قوية متصلة ، يدركها من عايشها في مواطنها في قلب جزيرة العرب ، أما أؤلئك الذين يصفونها وهم أبعد ما يكونون عنها ، أَوْ أؤلئك الذين يتلقفون ما كُتِبَ عنها بدون تثبت من حقيقته فما أجدرهم بأن يَضَلُّوا السبيل ، وأَنْ يصفوا هذه القبيلة بما هي بريئةٌ منه ، فيظلموها .

إنهم ـ في ازدرائهم بشأن هذه القبيلة ـ لم يراعوا الحفاظَ على احترام جانب

اجتماعي لا يختص بها وحدها ، وهو ارتباط نسبها بنسب أشرف الخلق محمد ﷺ ، ارتباطاً من القوة والقرب يستلزم إدراكَ ما يجب له من تقدير ، فباهلة بنو مالك بن أَعْصُرَ بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ، ومُضَرُ هو الأب السابع لِفَهْرٍ - أبي قُرَيْشٍ ، قبيلة المصطفى ، وهو الجد السابع عشر له - عليه الصلاة والسلام - وأيُّ ازْدِرَاءٍ واحتقار لهذا الجانب من وصف أحد أطرافه بـ (اللؤم) والحقارة .

أما الروابط الأخرى بين قبيلة باهلة وقبيلة قريش ، فقد يكون لبعض أؤلئك السائرين مع الشعوبيين في فلك واحد للنيل من هذه القبيلة العذر في جهلها ، فمنها أن إحدى نسائها نالت شرف القرب من المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فكانت إحْدَى جدَّاته من قبل أبيه ، وهي السيدة شقيقة بنت قتيبة بن معن ابن مالك بن أَعْصُر الباهلية ، التي حظيت بتقوية تلك الصلة مرة أخرى فكانت جَدَّةً لثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان من قبل أُمِّهِ - كما أوضح ذلك أبو جعفر محمد بن حبيب ، في كتاب «المحبر»[1] .

ولإبْطالِ زعم الزاعمين بمنابذة العرب لهذه القبيلة ، والترفُّعِ عنها ، وهو زعم ناشيءٌ عن جهل مُطْبِقٍ بتاريخ العرب قديمه وحديثه ، وبمعرفة مكانة هذه القبيلة ومنزلتها ، مما كان من آثارهِ أَنَّ جهلة فقهاء أحدِ المذاهب الأربعة لم يتورعوا عن الدرس في مؤلفاتٍ خصصت لبيان الأحكام الشرعية بما جاءت تلك الأحكام بضده ، من تجريد قبيلة باهلة من الكفاءة في النسب - كما تقدم إيضاح هذا - لإبطال ذالك الزعم يحسن ذكر جوانب من صلات باهلة بمختلف القبائل العربية قديماً وحديثاً بطريق الإيجاز :

من المعروف أن باهلة الأم ، التي تُنْسب إليها القبيلة ، وهي زوجة أَبِي

(١) ٥٠ و ١٥ .

القبيلة مالك بن أَعْصُرَ هي ابنة صَعْبٍ من سَعْدِ الْعَشِيْرَةِ من مَذْحِجَ ـ وسعدُ العشيرة لا تزال فروعها باقيةً في بلادها القديمة في أودية (تَثْلِيْث) و(طَرِيْبٍ) و(جاشٍ) وفي فروع تلك الأودية وما حولها ، وفي سَرَاةِ عَبِيْدَةَ جنوب وشرق بلاد عَسِيْرٍ ، والفروع الْـمَذْحِجِيَّةُ تعرف الآن باسم (قحطان) ومنها سعد .

وأخت باهلة ـ في رأي بعض علماء النسب ـ هي بَجِيلةُ بنت صَعْبٍ ، وإلى بَجِيلة يُنْسَبُ جِذْمٌ عظيم من العرب ، يعرف الآن باسم (بني مالك) في سراة الحجاز الواقعة جنوب الطائف .

ولباهلة مصاهرات في كثير من القبائل التي تجاورها أو تقاربها في المنازل ، كبني قُشَيْرٍ من كعب بن ربيعة ، وبني تَميم ، ومن هذه المصاهرات :

في بني قُشَيْرٍ ـ القبيلة التي كانت تجَاوِرُ باهلةَ ، فكثر التصاهر بين القبيلتين ، ويقول أحد الشعراء القُشَيْرِيين مُدِلاًّ بخؤولته من باهلة[1] :

إِذَا أَنْتَ لَـمْ تَخْشِفْ مَعَ الْقَوْمِ خَشْفَةً ... مِنَ الْـجَهلِ لَـمْ يَأْمَنْ أَخٌ أَنْتَ صَاحِبُهْ
وَرامَتـكَ ذُلَّانُ الـرِّجَـالِ وَلَـمْ تَهَبْ ... لِشَيْءٍ إِذَا مَـاهِيْبَ لِـلَّيْثِ جَـانِبُـهْ
أَنَـا الأَعْنَقُ بْـنُ البَـاهِـلِيَّـةِ أَرْتَـدِيْ ... حَمَـائِـلَ عَضْبٍ لَمْ تُفَلَّلْ مَضَـارِبُـهْ
تَغَبَّشْتُـهُ الـدَّيَّـانَ في عَـام لَـزْبَـةٍ ... فـخبـخب فـيهـا بُـدْنُـهُ وَحَـقَـائِبُـهْ

وبلاد بني تميم كانت تمتد حتى حدود بلاد باهلة من شرقها ، حيث تنتشر فروع من تميم في الْـمَرُّوْتِ وماحوله ، فتختلط ببعض فروع باهلة في المنازل ، فَقَوِيَ الاتصال بين القبيلتين ، فأمُّ قُتيبة وقَعْنبٍ ابْنَيْ مَعْن بن مالك بن أَعْصُرَ هي سَوْدَة بنت عَمْرِو بن تميم ـ على ماذكر ابن الكلبي في «جمهرة النسب»[2] وغيره .

---

(١) «النوادر والتعليقات» لأبي علي الهجري ـ ١٤٨ المخطوطة المصرية والشاعر الأعنق بن الباهلية القشيري .

(٢) ٤٥٨ ـ تحقيق الدكتور ناجي حسن .

وأم الحارث وغَنْـمٍ ابْنَيْ قُتَيبة بن معن بن مالك السوداءُ بنت أُسَيِّدِ بن عَمْرِو ابن تميم[1] .

وبنو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم أُمهم السَّفْعَاءُ بنْتُ غَنْمِ ابن قُتَيبة بن مَعْنٍ الباهلية ، وهي أُمُّ الأَحْمَالِ ـ ثعلبةً وعَمْرٍو والحارثِ (أَبِـي سَلِيْطٍ) وصُبَيْرٍ ـ من بني يربوع بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم[2] .

والأحنفُ بن قيس التميمي ـ الذي يضرب به المثل في الحلم ، كان يفتخر بخؤولته من باهلة ، وأمه حُبَّى بنت قرط بن عَمْرٍو ـ وخاله الأخطَل بن قُرْطٍ الباهلي تقدم ذكرهما في تراجم الأعيان ، ومن شعر الأحنف[3] :

أنـا ابْنُ البـاهِلِيَّـة أَرْضَعَتْنِي ... بِثَـدْيٍ لاَ أَجَـدَّ وَلاَ وخِيْمِ
أُتِمَّتْنِي فَلَـمْ تَنْـقُصْ عِـظَامِي ... وَلاَ صَوْتِـي إِذَا اصْطَكَّتْ خُصُومِـي
أُغُضُّ عَلَى الْقَذَى أَجْفَانَ عَيني ... إِذَا طَاشَ السَّفِيْهُ إِلَى الْـحَلِيْـمِ

ويظهر أَنَّ أبا الأحنفِ صاهر باهلة قبل استقرار فروع من تميم في البصرة ، ويُسْتَأْنَسُ لهذا أن الأحنفَ لما حضرته الوفاة وقيل له : ماذا تشتهي ؟ قال : أَشْتَهِـي شَرْبَةً من مَاءِ الغُزَيْز ، والْغُزَيْزُ منهلٌ لا يزال معروفاً ، يقع شرق الْـمُرُّوْتِ غير بعيد عنه ، حيث تختلط منازل الباهليين ومنازل التميميين ، واستمر التصاهر بين القبيلتين فتزوج قتيبة بن مسلم الباهليُّ الْغَرَّاءَ بنْتَ ضِرَار ابن مَعْبد بن زرارة . فأتت منه بِضِرَارِ بن مسلم ، الذي حماه أخواله التميميون من القتل ، حين قُتِل أَبُوه وإخوته وأهلُ بيته[4] .

كما تزوج قتيبة بن مسلم الرَّعُوْمَ بنتَ إياس بن شعبة بن عبدالرحمن بن

(١) منه . المصدر السابق . (٢) «نسب عدنان وقحطان» للمبرد ـ ١٦ ـ.
(٣) «زاد الرفاق» الورقة (١٠١/ب) المخطوطة المصرية .
(٤) «تاريخ ابن جرير» حوادث سنة ٩٧ ـ و«المحبر» ـ ٤٥٣ ـ.

هانِـيءِ بن قَبِيصة الشيباني(١)، من بكر بن وائل ، مِنْ رَبيعة .

ومع أنَّ متقدمي المؤرخين لم يُعْنَوْا بهذه الناحية الاجتماعية التي تُعَدُّ من أقوى الروابط بين القبائل العربية إلا أن ماورد في مؤلفاتهم من الكثرة بحيث يضيق المجال عن استيعاب ذكره ، وهو من أقوى الدلائل على إبطال فرية من حاول فصل قبيلة باهلة عن المجتمع القبلي الأصيل ، وما حاول إلصاقه بها من سيء الصفات ، بل إنَّ تَنْزِيْهِ هذه القبيلة الكريمة من جميع ذالك من أولى البدهيات :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي ٱلْأَذْهَانِ شَيْءٌ ... إِذَا احْتَـاجَ النَّهَـارُ إِلَى دَلِيْـلِ

وما سُقْت ما تقدم إلا لإيضاح الدلالة على أن أولئك العلماء الذين بلغت بهم الثقة بأقوال من تقدمهم من المؤلفين فكرروها في مؤلفاتهم ما كانت الثقة بهم تلك في محلها ، بالنسبة لما يتعلق بقبيلة باهلة ، فما كان أولئك المتقدمون ذوي اطلاع واسع ، ومعرفة تامة بأحوال العرب في مختلف عصورهم ، وما سار هؤلاء المتأخرون على النهج القويم لتمحيص تلك الأقوال بِمَعايير علمية صحيحة تبرز ما فيها من زيف .

وَهَبْ أَنَّ متقدمي المؤلفين كانوا معذورين فيما وقعوا فيه من أخطاء في حق تلك القبيلة أو غيرها من القبائل ، ولم تكن لهم دوافع سيئة ، إذْ لم يكن في مستطاع الباحث منهم الاتصال المباشر بمن رغب دراسة أحواله من تلك القبائل في مهدها ، للظروف المحيطة بجميع أقطار العالم في العصور الماضية ، فَتَلَقَّفَ ما قَدَّمَ من معلومات عن بُعْدٍ ، من أية مصدر ، وقَبِلَهُ على عِلاَّتِه ، ثم قَدَّمَه في مُؤَلَّفِهِ ، وهو كُلُّ ما يستطيع تقديمه - إذَا ساغ مثل هذا العمل لمثل ذالك

(١) «المحبر» ٤٥٣ .

الباحث ، أفيسوغُ مثلُهُ في هذا العصر وقد تَهَيَّأَتْ جميعُ الوسائل التي تمكن العالم المنصف ، وكُلَّ مُهْتَمٍّ بدراسة جانب من جوانب حياة سكان هذه البلاد ، من الوصول إلى كل قبيلة من القبائل في مواطن استقرارها ، لدراسة مختلف أحوالها ، ثم الكتابة عنها عن علم وبصيرة ؟!

إنَّ الـمَرْءَ لينتابه الْأَسَى ، وتغمره الحيرة في حالة هاؤلاء العلماء الأَجِلَّة ، وفيهم من عاش في هذه البلاد ، أو من تكررت زيارته لها ، أَوِ التقى وصادق كثيراً من مثقفيها ، ومع ذالك فحين يتصدَّى أحدهم للحديث عن بعض أهلها يأتي بما هو أشبه بالخرافات ، وبما هو أغرب مما كان يتناقله بعضُ الرحالين في العصور القديمة عن سُكَّان مجاهل البلاد النائية عن العمران ، بل يتجاوز ذالك إلى ما يثير الكراهية في النفوس ، ويحدث إساءة الظن بالمتحدِّثِ ، وإنْ لم يكن جَدِيْراً بذالك .

إن من بين هاؤلاء العلماء الأفاضل العالم الجليل الذي كان له الفضل في إثارة هذا الموضوع ، وتناوله بالكتابة ، لمحاولة الكشف عن حقائق غمرتها سُحُبُ التضليل والجهالة قروناً متعاقبة ، وهذا العالم ممن سعدتْ هذه البلاد باستقراره فيها حقبةً من الزمن تتجاوز ربع قرن ، وأَحَلَّهُ أبناؤها أَرفع منزلة في نفوسهم عن جدارة واستحقاق ، لقيامه بنشر العلم ، والدعوة إلى التحلي بالفضيلة ، والتمسك بالأخلاق السامية ، ومحاربة الجمود أو التعصب لغير الحق ، والحث على استقاء الأحكام الشرعية من منابعها الصافية ـ كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ـ وفي العام الماضي ـ ١٤٠٩هـ نشر الشيخ أحدَ كتبه ، متناولاً بجملة قصيرة منه الغض من قدر طائفة من سكان هذه البلاد التي عاش فيها تلك المدة الطويلة ، نشره بعد مُضيٍّ ما يقرب من عامين

من إثارة الموضوع[1]، أما كان جديراً بشيخنا الجليل ـ وقد كان لكتابه الأول أثره ـ أن يتوقّى الوقوع في محذور الإساءة إلى إخوان له ، يُكِنُّوْنَ له في قلوبهم كل مودة وتقدير ؟!

أترى شيخنا ـ قال ما قال عن (باهلة) متأثِّراً ببعض آراء متأخري فقهاء أبي حنيفة ؟ إنه ـ رعاه الله وإنْ كان حَنَفِـيَّ المذهب ـ أَجَلُّ وأرفعُ قدراً من أن يُشَايع ذوِي التعصب للمذهب ، أو الجمود على التقليد الأعمى ، وهو يدرك عن علم وبصيرة ما ينطوي عليه تمثيل (باهلة) بـ (الصلبة) وأن (الكرام تأنف من الانتساب إليها)[2].

قد يُعْذَرُ الشيخ بانصرافه لما اتجه له في أيامه الأخيرة من الاهتمام بمطالعة ما يتعلق بما هو مَعْنِـيٌّ به من الوعظ والإرشاد ، ومعالجة المشكلات الاجتماعية من المؤلفات ، عن النظر في كتب التاريخ ، ليدرك جوانب مما كان لتلك القبيلة من الروابط والصلات بالقبائل العربية جميعها بالمصاهرة كقريش وتميم وهوازن والأزد ، وغيرها ـ مما تقدمت الإشارة إلى أطراف منه ـ وهو يدرك أن المصاهرة من أقوى أسباب الانتساب . كما يدرك فظاعة وصف قريش وغيرها من القبائل التي ربطت أنسابها بنسب باهلة بأنها (من اللئام) لذالك الارتباط بهذه القبيلة التي يأنف من الانتساب إليها (الكرام) وهذا مما ينزه عن القول به كل مسلم ، فكيف بعلم من أعلام الإسلام في هذا العصر .

ولقد كان الأولى والأحرى بالشيخ أن يَـحُوْلَ لئلا يَنْجَرَّ هذا الأمر بشمول جميع ذوي الارتباط بهذه القبيلة ، بعد أن شرفت كغيرها من القبائل بأقوى

---

(١) نشرت مقالة (باهلة القبيلة المهضومة القدر) في «العرب» س ٢١ /٤٣٣ ـ في شهر المحرم سنة ١٤٠٧ (أيلول سنة ١٩٨٦م) ونشر كتاب الشيخ «صور وخواطر» في الرياض سنة ١٤٠٩هـ .

(٢) «صور وخواطر» ـ ٧١ ـ.

الروابط ، وأشرف الصلات ، بانضوائها جميعاً عن طواعية وصدق ، تحت راية الإسلام ، وتلك القبائل على أصفى ما يكون من المحبة والتآخي والتواصل والتقارب ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ ولم تزل هذه الأُخُوَّةُ تنمو وتزداد قوة ، والتواصل يستمر منذ ذالك العصر إلى عهدنا الحاضر ، بحيث لا تجد الآن قبيلة من قبائل العرب لا تربطها بباهلة رابطة التصاهر والنسب .

وما كان بالأمر العسير التثبت في هذا الأمر بالنسبة لعالم جليل ، مكنته إقامته الطويلة في هذه البلاد من معرفة الكثير من أحوال أهلها ، وله من صلاته القوية بعلمائها وبتلاميذه ـ وما أكثرهم ـ مِمَّنْ لا يجهل ارتباط الأسر الباهلية المنتشرة في أكثر مدن المملكة بأعرق الأسر الأخرى نسباً وحسباً من حاضرة وبادية ، مما لا يتسع المقام لتفصيله ، بل لم يكن ما يدعو للحديث فيه ، لكونه مما لا يخفى على أحد من أبناء هذه البلاد ـ لولا أنَّ من بين أساتيذنا وعلمائنا ـ وفقهم الله ـ من يجهل الكثير من أحوالنا ؟ فإلى هاؤلاء يساق الحديث :

لا يزال الارتباط بالمصاهرة بين القبائل العربية قائِمـاً على أُساس التكافؤ بالنسب ، وجارياً على ما كان عليه منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر ، فلا تستنكف قبيلة أو فرد قبليٌّ من الزواج من قبيلة أخرى صريحة النسب ، أو تزويج أحد أفرادها ، بدون استثناء ، سوى عدد قليل من القبائل التي لا شك في أصالة نسبها ولكنها تكونت من ألفاف من القبائل التي جهلت أُصولها ، ثم أدركها من الضعف ما دفع القبائل القوية إلى الترفع عن مصاهرتها .

وهناك مجموعات من النَّاس تعيش متفرقة ومتنقلة في الجزيرة ، وتمتهن الصناعة ، يطلق عليها أسماء متعددة كـ (هُتَيْمٍ) و(الصَّلَبة) و(الخَلَوَة) و(السَّيَادِيْ) ويتعاطى بعضهم حرفًا محتقرة عند العرب ، وتضعف الغيرة عند بعض

رجالهم ، فهذه المجموعات يرى العربيُّ القبليُّ في مصاهرتها عاراً وسُبَّةً ، كما يرى بعضهم في مصاهرة طبقة من سكان المدن من الحضر ممن يعرفون بـ (بني خَضِير) و(الصَّفَّارين) و(الصناع) مالا يلائم مكانته الاجتماعية .

أما القبائل التي لا تزال متمسكة بالحفاظ على أصولها وتقاليدها القديمة فهي تتكافأ بالنسب وتتقارب بالتصاهر .

وكانت (باهلة) ولا تزال - كغيرها من أخواتها - محافظةً على مكانتها الاجتماعية بين جميع القبائل ، فكما قَوِيَتْ صلتها بقبائل العهد القديم كقريش وتميم وغيرهما ، فقد استمرت تلك الصلة قوية ومتماسكة مع كل قبائل هذا العهد الحديث بدون استثناء ، وليس أدل على ذالك من أن أرفع الأسر قدراً ، وأنبهها ذكراً - في هذا العهد بين جميع القبائل العربية هي أسرة (آل سعود) وقد امتدت رابطة المصاهرة بينها وبين الباهليين ، كما امتدت بينهم وبين أشهر أسرة عرفت بالعلم ورفعة القدر وهي أسرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب - كما سيأتي تفصيل ذالك ، ولا يتسع المجال لاستيعاب ذكر كل ما يتعلق بهذه الناحية فيكتفي بعرض أُطرافٍ منه :

الأزد :

من أشهر قبائلها في العهد الحاضر قبيلة (الدواسر) وصلة باهلة بها من حيث التصاهر لا تزال قائمة ، فآل شمسان من الدواسر ، صاهروا آل عبداللطيف الباهليين ، كما صاهر غيرهم آخرون .

تميم :

وكما كانت صلات تميم بقبيلة باهلة بطريق المصاهرة قوية في الماضي - فهم أخوال الأحنف بن قيس - فلازالت مستمرة ، مع أرفع الأُسَرِ التميمية كأسرة

الْعَنَاقِر ، أمراءِ الْوَشْمِ - بلدة ثَرْمَدَاء ، فقد صاهر هاؤلاء آل سُوَيْدَان الباهليين ، حيث تزوج أمير ثرمداء عبدالرحمن بن ناصر العنقريُّ ابنةَ ابن سويدان الباهلي ، وتزوج عبدالله بن إبرهيم بن فوزان العنقري من آل سويدان أيضاً فهم أخوال ابنه الشيخ إبراهيم العنقري - وزير الشؤون البلدية والقروية سابقاً ، والمستشار الخاص لخادم الحرمين الشريفين الآن ، وصاهر أحد العناقر وهو الشاعر المعروف باسم (لويحان) عبدالله بن عبدالرحمن العنقري - صاهر خالد بن محسن بن صالح آل سُبَيِّل الباهلي ، وآل روَّاف الأسرةُ التميميةُ المشهورةُ في بلدة الدرعية صاهرت آل الباهلي أمراء هذه البلدة ، بل إنَّ من أرفع الأُسَرِ التميمية أسرةَ آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فقد تزوج أحد أحفاد هذا الإمام وهو عبداللطيف بن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الإمام الشيخ محمد تزوج هَيَا ابنةَ عبدالله الباهلي من أهل المصانع ، وهي أم الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف مؤلف كتاب «مشاهير علماء نجد» وغيره كما أن عبدالعزيز بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن قد صاهر آل الباهلي ، فتزوج ابنة عبدالرحمن بن عبدالعزيز الباهلي أخت الأمير محمد بن عبدالرحمن أمير الدرعية الآن . وتزوج محمد بن خليفة آل صُقَيْهٍ التميمي ابنةَ حسين بن محمد بن سند الباهلي .

حـــرب :

ومن صلات باهلة بقبيلة حَرْب الخولانية القحطانية الأصل أن آل نَحِيْتٍ ، من شيوخ بني سالم ، صاهروا الباهليين فتزوج اثنان من آل نَحِيتٍ هما عواد الأشقر ، وابن رَباح ابنتي عبدالله بن هِجْرِسٍ الباهلي .

وصاهر حسن بن عبدالله بن فايز الباهلي ساير بن دوحان السالمي الحربي وآل ناهض أمراء بلدة البرود - من الكتمة من بني علي بن حرب - صاهروا باهلة ،

فتزوج عبدالله بن عبدالكريم آل ناهض ابنة فهد بن رشيد الباهلي ، وآل مُشَوَّح من الكتمة تزوج سعد بن إبراهيم بن سعد آل مشوَّح ابنة عبدالله بن محمد بن فهد بن رشيد . وصاهر آل جاسر من الكُتَمَةِ آل عَقْلٍ الباهليين سكان الفيضة فتزوج عقل بن راشد هيا ابنة علي بن جاسر بن علي آل جاسر ، وتزوج محمد بن جاسر بن علي هيا ابنة زيد بن عبدالعزيز آل رُشَيْدٍ الباهلي .

ربيعـــة :

وربيعة الجذم الثاني المشهور من جِذْمَيْ عدنان ، وفروعه كثيرة ، إليها تنسب الأسرة السعودية الكريمة ، ومنها عَنَزَة ارتبطت باهلة بالمصاهرة بالأسرة السعودية ، فقد تزوج الأمير محمد بن عبدالرحمن الباهلي أمير الدرعية ابنة فيصل بن هذلول بن ناصر بن فيصل بن ناصر بن عبدالله بن ثنيان بن سعود الجد الذي تنسب إليه تلك الأسرة الكريمة . وقد صاهر فرع من عَنَزة وهو آل مُهَنَّا أمراء مدينة بُرَيْدة باهلة فتزوج أحدهم ابنة عبدالله بن محمد آل رُمَيْح الباهلي ، وآل سُعَيْدان من عنزة صاهروا البواهل ، وآل مرزوق من عَنَزَة صاهروا محمد بن عبدالله الباهلي .

سُبَيْـــــع :

ومن بني ثَوْرٍ من قَبيلة سُبَيْع - وهاؤلاء من بني عامر بن صعصعة الذين كانت تربط باهلة بهم رابطة التحالف قديماً ، قد صاهر آلُ سُلَيْمٍ منهم خالد ابن عبدالله آل رُمَيح الباهلي ، وآل سليم هم أُمراء مدينة عنيزة .

عُتَيْبـــــة :

من أثرى قبائل هذا العهد وأكثرها فروعاً ، وجُلُّ فروعها هوازنية الأصل ، وكثير من هذه الفروع أصهرتْ إلى باهلة وصاهرتها ، فإبراهيم بن حمود بن

سُبَيِّلٍ تزوج من الأساعدة من الرُّوَقَةِ ، وحمد بن إبراهيم آل حمّاد الباهلي صاهر الدعاجين ، وكذا الشيخ حمود بن سُبَيِّلٍ ، وعبدالله بن إبراهيم آل حمَّاد تزوج ابنة عبدالله الملقي من الرُّوْسان ، وكذا فهد بن رُشَيْدٍ الباهلي ، وآل عقل الباهليون تزوج اثنان منهم من أسرة الثقيل العتيبية .

قحطـــان :

والجذم القحطاني من أكثر سكان الجزيرة فروعاً ، وأوسعها انتشاراً ، في المدن والقرى والْـهُجَرِ ، وفي البادية ، ولتلك الفروع مصاهرات وصلات نسب كغيرهم من فروع القبائل الأخرى ، فآلُ عَسَّافٍ أمراءُ الرَّسّ ـ وهم من العُجْمان ، من يَامٍ من همدان من قحطان ، قد صاهروا عبدالله بن خالد الباهلي ، وكثير من الباهليين اتصلوا بالمصاهرة بالقحطانيين ، ومنهم حمود بن حمد بن حماد ، ومحمد الحمد ، وحميد بن فهيد السالم الباهليين وغيرهم .

وآل البواردي ـ أُمراءُ مدينة شَقْرَاء ـ من بني زَيْدٍ من مَذْحِجَ ـ صاهرهم محمد بن عُوَيْوِيْد الباهلي من سكان البرود ـ فهم أخوال أبنائه ، كما أنَّ أسرة آل الْـجُمَيْح من بني زيد هاؤلاء منهم من تزوج من آل عبداللطيف الباهليين ، وعلي بن راشد بن عقل الباهلي تزوج من آل البواردي .

قريـــش :

وكما صاهرت باهلةُ قريشاً قديماً فكان منها إحدى جدات المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام وإحدى جدات الخليفة الثالث من قبل أمه ، فقد استمرت المصاهرة إلى هذا العهد ، فأمراء بلدة الفَيْضَةِ ـ فَيْضَةِ السِّرِّ ـ من آل حُسَيْنٍ ـ أمراء المدينة العلويين الهاشميين القرشيين ـ قد اتصلت مصاهرة الباهليين بهم إلى هذا العهد ، فراشد بن عقل آل عقيل الباهلي صاهر آل شايع بن نوفل أمراء بلدة الفيضة ، كما تزوج فهد بن شايع آل نوفل أخت راشد بن عقل الباهلي .

مُطَيْــــر :

وقبيلة مُطَيْرٍ تضم عناصر عدنانية وقحطانية كغيرها من كبريات القبائل ، ولكنها صريحة النسب ، ولها صلات بقبيلة باهلة قوية ، فقد صاهر كثير من مشاهيرها هذه القبيلة ، فَجَهَزُ بن شَرَارٍ أحد رؤساء بني ميمون من بني عبدالله ، صاهر عليَّ بن حمد بن عُوَيْوِيْد ، وحمَدَ بنَ هِجْرِسٍ الباهليين ، وآل رُكْبَان الباهليُّون من أهل الـمَجْمَعة - صاهروا آل بُصَيِّصٍ شيوخ الصُّعْرَانِ من قبيلة مُطير ، وصالح بن محمد بن سُبَيِّلٍ صاهر الرَّحَامِين من مُطَيْر ، ومحمد بن سبيل صاهر مانع بن سحمان المطيري ، من أمراء العُضَيْلات من الصُّعَبَة (الصعوب) من بني عبدالله ، وهديلق بن محمد بن سُبَيِّلٍ صاهر بركة بن نَزَّال المطيري ، وفهد بن مطرود الباهلي صاهر نَفْجَانَ الدَّيْحَانِـيَّ من واصل من بُرَيْهٍ ، ثم من مطير من سكان الرَّسِّ ، ومحسن بن عبدالله الفايز الباهلي صاهر محمد بن سعد الجبلي المطيري ، وصالح الدهيسان من الصعانين من مطير صاهر محمد بن رشيد الباهلي .

هذا قليل من كثير ، وهو ما وعته الذاكرة ، وفيه مقنع ، ومنه يتضح أن تلك الصلات شملت أرفع الأسر منزلة اجتماعية ، من أمراء المدن ، وأعيان البادية المشهورين ، من شيوخ وفرسان ، وقُلْ مثل ذالك عما لم يرد له ذكر من القبائل المشهورة في هذا العهد ، مما يعرفه أبناء هذه البلاد ، ويرون من فضول القول - إن لم يكن من ممجوجه - التحدث فيه .

أفيصحُّ - والأمر كما اتضح - أنْ يقال عن (باهلة) ماقاله شيخنا ومن تقدمه ممن غرق في حمأة التقليد ، من أنَّ (الكرام تأنف من الانتساب إليها)؟!!

ولقد توقعت حين بعثت للشيخ ما كتبته تعليقاً على ما ورد في كتابه الأول -

(١) انظر ترجمته في (عالية نجد) أحد أقسام «المعجم الجغرافي» ج ١ ص ٩٧ .

أن أحظى منه بجواب اعْتَدْتُّ دائماً واعتاد غيري من طلبة العلم سماعَهُ منه ومن أمثاله من العلماء العاملين للحق ولوجه الحق : (الرجوع إلى الحق فضيلة) ولا أزال أتوقع ذالك .

وما أعظم ماغمرني من السرور حين حادثتُ أَحَدَ الإخوة من بلاد الشام ـ ولعله من تلاميذ الشيخ ـ مشيراً إلى هفوة منه في الموضوع ، وردتْ في مقدمة ديوان صنعه لأحد شعراء باهلة ، إذ نقل قول الدكتور جواد علي دون تنبيهٍ على خطإٍ في حق تلك القبيلة الكريمة[1] فكان فيما كتب به إليَّ من (ليون) في فرنسا بتاريخ ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ ـ ٣١ كانون الثاني ١٩٨٩م (. . . فيما يخص العبارة التي أشجتكم ـ وعُرِفَتْ باهلة باللؤم . . . الخ ـ إن العبارة منقولة عن كتاب الثعالبي ، نقلها جواد علي في «المفصل» . . . على أني أُحِبُّ أنْ أَبُوحَ لأستاذنا أني تنبهت متأخِّراً إلى أن ما يذكره الثعالبي ـ والعُهْدةُ عليه في ذالك ـ مَنْفِـيٌّ بما ذكره المتقدمون الذين أشرتم إليهم ، وكان عليَّ أَنْ آتِـي بأقوالهم ، ولعلِّي فَاعِلٌ ذالك في طبعة الديوان القادمة ـ إن شاء الله . ولو لم يكن لباهلة من المفاخر إلا أنها أنجبت قتيبة بن مسلم الباهلي ، وعبدالملك بن قُرَيْبٍ الأصمعي ، لكفاها فخراً ، ولَغَرِقَ اللُّؤْمُ ـ وهو فِرْيَةٌ ـ في بحر فضائلها) . . . هذا مما ملأ فؤادي غبطة وسروراً من مسارعة الأخ الكريم الأستاذ محمد خير البقاعي للانصياع لقبول الحق ، حين اتضح له ، دون جمجمة أَوْ تردد ، وهذا هو النهج القويم الذي يجب على رائدي الحقيقة سلوكه .

وَيُعَنِّـي الاستمرارُ في السير وراء أؤلئك الذين صوبوا سهام الانتقاص من قدر تلك القبيلة ـ بدوافع مختلفة ، وكلهم على غير حق ـ ممن تخيلها كـ (الجزور التي إذا سقطت كَثُرَتْ سكاكينُها) ويأبى الله لها إلا أن يكون لها من أَصالتها

---

(١) مقدمة «ديوان الباهلي» ـ ٩ ـ.

وطهارة أعراقها ، وسموِّ أخلاقها ، ما أبقاها وصانها صامدة ثابتة قوية ، غير آبهةٍ ولا متأثرة بكثرة ما وُجِّه إليها من تلك السهام ـ حتى من بعض من تَصَدَّى لإبراز بعض جوانب من مآثرها ومفاخرها ، فوقع في هوة التقليد عن حسن قصد ، كقول الدكتور سليم النعيمي[1]: كانت من أضعف القبائل في الجاهلية ، وأقلها شأناً . وقول الدكتور عبدالجبار الجومرد : والبخل صفة عرف بها أكثر الباهليين بين العرب ، وفيهم يقول الشاعر :

ولِلْبَاهِلِيِّ عَلى خُبْزِهِ كِتَابٌ: لِآكِلِهِ آكِلُهْ

قال هذا بعد زعمه اتفاق مؤرخي السِّيرِ على أَنَّ الأصمعي كان بخيلاً[2].
وَهُوَ زَعْمٌ بِحَاجَةٍ إلَى مَايُؤَيِّدُهُ .

وما أرى الدكتورين الفاضلين على حقٍّ فيما زعما ، فلم تكن باهلة في الجاهلية ضعيفة ولا قليلة الشأن ، وإن أدركها الضعف في آخر العهد فتلك حالةُ كُلِّ قبيلة وليست خاصة بباهلة ، واستلال الدكتور عبدالجبار بالبيت على اتصاف (أكثر الباهليين بالبخل) ـ كذا (وأكثر) استدلال واضح البطلان ، فما كان الشاعر بـ (الْـحَكَمِ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ) فهذا البيت من شعر اليزيدي في هجو الأصمعي ـ وتقدم ذكره ، فكيف يسوغ أن يوصف أكثر الباهليين بالبخل ، بل كيف يصح تصديق العدو فيما نسب إلى عدوه ؟

ولا شك أن اليزيدي كان متأثراً بموقف أبي عُبيدة من الأصمعي وقومه ، ذالك الموقف الذي سبب انحراف كثيرين من أصحاب الأصمعي ، ومنهم اليزيدي ، فاتجهوا لترويج الأكاذيب ضده ـ كما سبقت الإشارة إلى هذا[3].

---

(١) مقدمة كتاب «الاشتقاق» للأصمعي ـ ٣ ـ طبعة (المجمع العلمي العراقي) سنة ١٩٦٨م .
(٢) كتاب «الأصمعي حياته وشعره» ـ ١٠٠ ـ ويحيل في ذالك «محاضرات الأدباء»: ١/ ٢٩٠ .
(٣) انظر صفحة (   ) .

والآن وقد بلغت في الكتاب هذا المدى فما أحوج القارئ إلى أن يروح عن نفسه بـ (نكتة) تفتق عنها ذهن أبي عثمان ، وقد تكون إحدى (الجمرات) التي رمى بها صرح تلك القبيلة الشامخ ، قال ـ لا فُضَّ فُوْهُ ـ: قالوا : ومن العرب قبائل ـ كذا بصيغة الجمع ـ تُدِيْرُ الكأْسَ عن اليسار ، منهم باهلة بن أَعْصُرَ ، قال الشاعر :

وَبَاهِلُ لا يُسْقَى عَلَى الْيُمْنِ كَأْسُهَا   سَقَاهَا مِنَ الْـمُهْلِ الْـمُذَابِ مَلِيْكُهَا[1]

فَاقرأْ واسخر ، وإن شئت فاعجب بعبقرية تلك القريحة التي تفتقت عن سبر أغوار ما عناه هذا الشاعر الماكر !!

---

(١) كتاب «البرصان والعرجان» ـ ٣٣٩ ـ

الخاتمــــة ...

وبعد هذا السير الذي لا أعدُّه مُضْنِيًا بقدر ما هو مريح ، إذْ من خلاله استطعت أن أتبين الكثير من ملامح تاريخ قبيلة كريمة ، ما أَجْدَرَ أَخَواتِها من القبائل العربية أن ينال تاريخُها في جميع أحقابه من الدراسة والبحث ما يوضح معالمه .

ولقد بذلتُ ما استطعتُ من الجهد في البحث والاستقصاء في الجانب المظلم من تاريخ تلك القبيلة ، إذْ رأيتُ الاهتمام بالتعمق في دراسته أولى من الاتجاه للجوانب الأخرى التي قد لا يختلف فيه تاريخها عما هو عليه بالنسبة للقبائل الأخرى ، إنه البحث لإدراك مدى تلك الصفات السلبية التي أُلْصِقَتْ بها ، مما نَخَلْتُ لمعرفته كُلَّ ما وقع تحت يدِي من المؤلفات ، وها أنا أُحِسُّ بفيضٍ غامر من الراحة ، وإحساسٍ قويٍّ من الاطمئنان ، حين أُقَدِّمُ مما تضمنته تلك المؤلفات أوفى وأوفرَ ما استطعت إدراكَهُ مما يتعلق بذالك الجانب السلبي .

قد يؤخذ عليَّ التوسع في إبراز جوانب هي من السُّوْءِ أَوْلَى بالستر ، ومن التفاهة أَحَقُّ بأن تطرح ، ومن مخالفة الحقيقة أجدر بِأَلَّاتذكَر ، ولكن عُذْرِي - فيما أقدمت عليه - أنني حرصت لنيل ثقة من يتوخَّى الحقيقة في دراسة تلك الجوانب ، ليجدني سائراً على النهج الحميد - كما قال الإمام العابد الورع أبو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ : أَهْلُ السنة يكتبون مالهم وماعليهم ، وأهل البدعة لا يكتبون إلا مالهم ، وما إخالُ كُلَّ منصفٍ إلَّا سائراً على ذالك النهج الذي لا طريق لبلوغ الصواب سواه .

وقد يُؤْخَذُ عليَّ - فيما يؤخذ - محاولتي عند إيضاح ماله صلة بالجوانب المضيئة من تاريخ تلك القبيلة - إبرازها بصور من الإشراق والإضاءة أكثر مما هي عليه ، واندفَاعِي في عرض الْـمُعْتِمِ من تلك الجوانب وَرُوْحُ التذمر

والامتعاض والانفعال طاغية على مشاعري ، يبدو أثر ذالك في أسلوب العرض ، بحيث لا يعف عن المبالغة في الطعن والتجريح ، في مقام كان الأولى بِـي أن أكون أكثرَ تَجَرُّداً وبُعْداً عن الميل والمحاباة ، وأقوى ثقة وتقديراً ، وأحسنَ ظَنًّا بأؤلئك السادة من العلماء الذين تناولهم الحديث .

ولكن عذري في ذالك ـ وفي كل ما يُؤْخَذُ عليَّ غيره وما أكثره !! ـ أنني بعد أن بذلت الجهد ، وبالغت ما استطعت في البحث والدراسة لِاكْتِنَاهِ حقيقة ما تُرْمَى به هذه القبيلة من سوء القول ، أدركت عن علم ويقين أنها رُمِيَتْ بما هي منه بريئة ، وخلال مئات السنين وفساق الشعراء ، وذَوُو اللَّهْو والمجون من أراذل الْـمَلَإِ يتفكهون بما يلوكون من ساقط القول للنيل منها .

ولم أَقْرأْ لأحدِ أولئك العلماء كلمةَ حقٍّ ، ولم أسمع لأحد منهم برأي صريح ، لحماية أعراضٍ أوجب الله صيانتها ، والدفاع عن إخوةٍ يجب الدفاع عنهم .

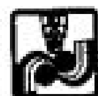
بل فُجِعْتُ حقًّا حين اتضح لي أَنَّ كثيراً من أؤلئك العلماء قَدْ عطل الانتفاع بأعظم ما أنعم الله به على الإنسان ، وفضله به على سائر الحيوان ، وهو العقل ، فتلقف هاؤلاء تلك الأقوال عمن سبقهم تَلَقُّفَ الواثق المطمئن ، وتقبلوها دون التفكير لإدراك ما تَرْمِـي إليه ، أو التعمق في البحث عن مصادرها ودوافعها ، ومن هنا بَدَى أَثَرُ ذالك في أسلوب العرض ، لا في جوهر الغرض ، فالباحثُ المنصف لن يعدمَ فيما قُدِّمَ ما يتمكن من خلال دراسته أن يصل إلى ما وصلت إليه عن رضًا وقناعة ، وقَدْ لَا يكون أَقَلَّ تأثراً مني ـ من خلال ما عرضته أو ما اتضح له مما لم أستطع عرضه ـ حين تبدو له تلك الحالة التي أَلمعتُ إليها واضحةً جليةً ، وهي حالة محزنة حقًّا ، لا تقف عن حدٍّ

السلبية المطلقة من أولئك العلماء ، حيال طائفة من إخوانهم فحسب ، بل تتمثل في الغرق في تيار المحاكاة والتقليد ، وإهدار كرامة العقل بالتخلي عن التفكير لإدراك حقائق الأمور ، وتصورها تصوراً صحيحاً قبل الحكم عليها .

وليكن الوقوف عند الدعاء المأثور : اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّباعَهُ ، وأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلاً وَوَفِّقْنَا لِاجْتِنَابِهِ ، وَلاَ تَجْعَلْهُ مُلْتَبِساً علينا فَنَضِلَّ .

وآخِرُ دَعْوَانَا ﴿ أَنِ الْـحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

National Offset Printing Press
P.O. Box: 2957 - Riyadh 11461
Telephone: 4027546 / 4021791



المطابع الأهلية للأوفست
ص.ب: ٢٩٥٧ - الرياض ١١٤٦١
تلفون: ٤٠٢٧٥٤٦ / ٤٠٢١٧٩١